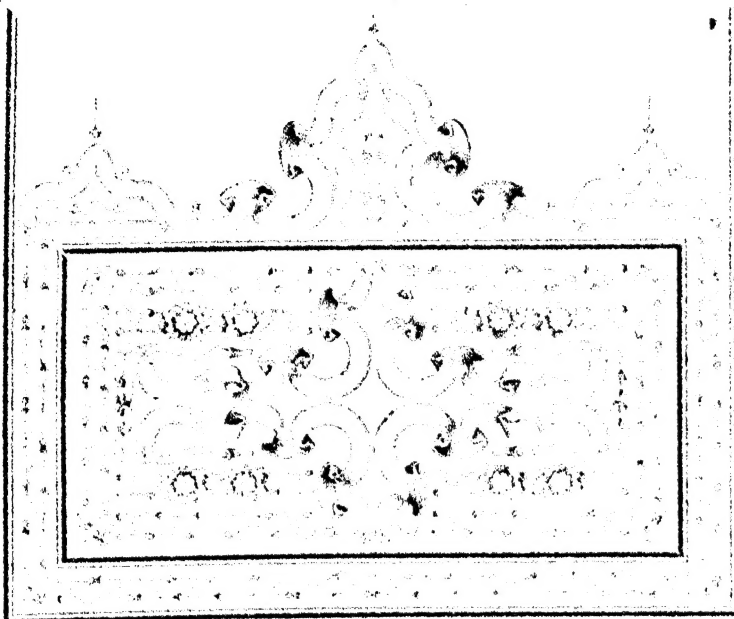


(الجزء الخامس)
من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهامم المؤيد من مولاه القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك
مدينة بهوبال حالا بالاقطار الهندية
لا زالت ~~ك~~واكب فضله
في الآفاق زاهرة
مضيه
آمين

وبها مشه تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشرة المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مستندة من أصحابها مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا اه من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الكبرى الميرية بيولا مصر المحمية)
سنة ١٣٠١ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة يوسف عليه السلام)

قيل هي مائة واحد عشر آية وهي مكية كلها وقيل زلت ما بين مكة والمدينة وقت الهجرة وقال ابن عباس وقتادة الأربع آيات قال القرطبي قال العلماء ذكر الله أفاصيص الانبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فإذ لا يدرى مخالف على معارضة ما ذكره ولا على معارضة ما لم يكرر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) قد تقدم الكلام فيه في فاتحة سورة يونس (تلك آيات الكتاب المبين) أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيهم والمبين من أبان بمعنى بان أي الظاهر أمره في كونه من عند الله وفي إعجازه بنوعيه لا سيما الأخبار عن الغيب أو الواضح معانيه للعرب بحيث لا يلتبس على قارئه ومسامحه لنزوله على لغتهم أو بمعنى بين أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفاء الملاك هو الملكوت وأسرار النشأتين في الدارين أو المبين فيه قصص الأولين وشرح أحوال المتقدمين أو قد أبين فيها مسائل عنه اليهود ومن قصة يوسف قال قتادة مبين فيه الله ببركته ورشده فهذا من أي ظهر وقال الزجاج مبين للعق من الباطل والحلال من

(بأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب ألبيهم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) قال السدي الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى وهو كما قال فان الاحبار هم علماء اليهود كما قال تعالى لولا ينهاهم الربايون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت والرهبان عباد النصارى والقسيسون علماءهم كما قال تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا والمقصود التحذير من علماء الروم وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة من فسد من علماءنا كان فيه شبهة من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبهة من النصارى وفي الحديث الصحيح تركن سنن من كان قبلكم حذوا النذرة بالقدرة قالوا اليهود والنصارى قال فن وفي رواية فارس والروم قال ومن الناس الاهولاء والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وذلك انهم ياكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم

في الناس يا كونا موالهم بدلت ٥٥ لا حبار اليهود على اهل الجاهلية سرف ولهم مدحهم حرج وهذا اوسراب يحيى اليهم
فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفروهم وعادهم طمعاً منهم ان تبقى لهم الرياسات فاطنأ الله الله
بنور النبوة وسلمهم اياها وعوضهم الذل والصغار وبأوا بغضب من الله تعالى وقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله أي وهم مع كلهم
الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة انهم يدعون الى الخير وليسوا
بكاثر نعمون بل هم دعاة الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وقوله والذين يكتزون (٣) الذهب والنفضة ولا ينتقونها في سبيل الله

الآية هؤلاء هم القسم الثالث من
رؤس الناس فان الناس عالة على
العلماء وعلى العباد وعلى ارباب
الاموال فاذا فسدت احوال
هؤلاء فسدت احوال الناس
كما قال ابن المبارك

وهل أفسد الدين الا الملوكة

وأحبار سوء ورهبانها
وأما الكثر فقال مالك عن عبيد
الله بن دينار عن ابن عمر وهو المال
الذي لا تؤدى زكاته وروى
النورى وغيره عن عبيد الله عن
نافع عن ابن عمر قال ما أدى زكاته
فليس يكثر وان كان تحت سبع
أرضين وما كان ظاهراً لا تؤدى
زكاته فهو كثر وقد روى هذا عن
ابن عباس وجابر وأبي هريرة
موقوفاً ومرفوعاً وقال عربن
الخطاب نحوه ايما مال أدبت
زكاته فليس يكثر وان كان مدفوناً
في الارض وأيما مال لم تؤد زكاته
فهو كثر يكوى به صاحبه وان
كان على وجه الارض وروى
البضاري من حديث الزهري عن
خالد بن أسلم قال خرجنا مع عبد الله
ابن عمر فقال هذا قبل ان تنزل

الحرام فهذا من أبان بمعنى أظهر قال مجاهد بن الله حلاله وحرامه وعن معاذ قال بين الله
الحروف التي سقطت عن ألسن الاعاجم وهي ستة أحرف (أنا أنزلناه) أي الكتاب
المبين حال كونه (قرأنا) فعلى تقدير أن الكتاب السورة يكون تسميتها قرآناً باعتبار أن
القرآن اسم جنس يقع على الكل وعلى البعض وعلى تقدير أن المراد به كل القرآن
فتمكون تسميته قرآناً واختلفوا (عربياً) صفة لقرآن أي على لغة العرب وفيه من غير
لسان العرب مثل سجيل ومشكاة وأليم واستبرق ونحو ذلك قاله ابن عباس وجابر
وعكرمة وهذا هو الصحيح وأنكرها أبو عبيدة محتجاً بهذه الآية والجمع انهم لما تكلمت بها
العرب نسبت اليهم وصارت لهم لغة (لعلكم تعقلون) أي لكي تعلموا معانيه وتفهموا
ما فيه لانه نازل بلغثكم أخرجه الحاكم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا
قرآناً عربياً ثم قال ألهم اسمعيل هذا اللسان العربي الهاما وعن مجاهد قال نزل القرآن
بلسان قريش وهو كلامهم (نحن نقص عليك أحسن القصص) هو تتبع الشيء
ومنه قوله تعالى وقالت لأختمه قصبة أي تتبع أثره وهو مصدر وسميت الحكاية قصة لان
الذي ينقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً والتقدير نقص عليك قصصاً أحسن
القصص فيكون بمعنى الاقتصاص أو هو بمعنى المنعول أي المقصوص والظاهر أنه
أحسن ما يقتض في بابها قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فترات هذه
الآية وعن ابن مسعود مثله وقال قتادة نقص عليك من الكتب الماضية والقرون
الخالية وأموال الله السابقة في الأمم أحسن البيان واختلاف في وجه كون هذه السورة
أو القرآن هو أحسن القصص فقل لان ما في هذه السورة من القصص يتضمن من العبر
والمواعظ والحكم ما لم يكن في غيرها وقيل لما فيها من حسن المخاطرة وما كان من يوسف
عليه السلام من الصبر على أذاشهم وعنده عنهم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين
والملائكة والشیاطين والجن والانس والاعنام والطير وسير الملوك والمماليك والتجار
والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وقيل لان فيها ذكر الحبيب
والمنجوب وما دار بينهما وقيل ان أحسن هنا بمعنى أعجب وقيل ان كل من ذكر فيها كان
ما له السعادة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكك بهما أهل الجنة
في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها (بما أوحينا) بإيجازنا

الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرة للاموال وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعمر بن مالك نسخها قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
الآية وقال سديد عن محمد بن زياد عن أبي أمامة انه قال حلية السيوف من الكثر ما أحدتكم الامامة من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال النورى عن أبي حصين عن أبي الخصى عن جعدة بن هبيرة عن علي بن رضى الله عنه قال أربعة آلاف فسادونها
نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كثر وهذا غريب وقد جاء في مدح التقليل من الذهب والنفضة وقد التكتثر منها أحاديث كثيرة
ولنورد منها هنا طرفاً يدل على الباقي قال عبد الرزاق أخبرنا النورى أخبرني أبو حصين عن أبي الخصى عن جعدة بن هبيرة عن

على رضى الله عنه في قوله والذين يكتزون الذهب والنفضة الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم تبالذهب بالنفضة يتولها تلاتا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا فأى مال نخذ فقال عمر رضى الله عنه أنا أعلم ألكم ذلك فقال نارسول الله أن أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نخذ قال لسانا إذا كرا وقلبا إذا كرا وزوجة تعين أحدكم على دينه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبي محمد بن جعفر حدثنا شعبة حدثني سالم بن عبد الله أخبرنا عبد الله بن أبي الهذيل حدثني صاحب لي أن رسول الله (ﷺ) صلى الله عليه وسلم قال تبالذهب والنفضة قال وحديثي صاحبى انه انطلق

مع عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله قولك تبالذهب والنفضة ماذا أخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا إذا كرا وقلبا إذا كرا وزوجة تعين على الآخرة حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال لما نزل في الذهب والنفضة ما نزل قالوا فأى المال نخذ قال عمر فانا أعلم ألكم ذلك فأوضع على بعير فأدركه وأنا في أثره فقال يا رسول الله أى المال نخذ قال قلبا إذا كرا ولسانا إذا كرا وزوجة تعين أحدكم على أمر الآخرة ورواه الترمذى وابن ماجه من غير وجه عن سالم بن أبي الجعد وقال الترمذى حسن وحكى عن البخارى أن سالم بن أبي الجعد من ثوبان قلت ولهذا رواه بعضهم عنه مرسل والله أعلم حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حميد بن مالك حدثنا يحيى بن يعلى المحاربى حدثنا أبي - حدثنا غيلان بن جامع المحاربى عن عثمان بن أبي البظان عن جعفر بن أبي ياس عن مجاهد

(البك هذا القرآن وإن كنت من قبله) أى من قبل إيماننا إليك (من الغافلين) عن هذه القصة لم تحط بربالك ولم تفرع معك (إذ) أى اذ كروقت أن (قال يوسف لا يبه) قرأ الجمهور يوسف بنهم السين وقرئ بكسر هاء مع الهـ من مكان الواو وحكى الهـ من زفتح السين وهو اسم عبرانى غير معروف للعلمية والعجمة وقيل هو عربى والاول أولى بدليل عدم سرفه وأبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وعاش يوسف من العمر مائة وعشرين سنة ذكره السيوطى فى التعبير (بأب) بكسر تاء التانيث اللغظى التى هى عوض عن ياء المتكلم المخدوفة وأصلها أبى وهذا التعويض مختص بالنظيرين أبى ويأمت ولا يجوز فى غيرهما من الأسماء ومن نص على كونها للتانيث سيبويه والخليل ويدل عليه كتبهم أيا عاشاء وقياس من وقف بانشاء ان يكتبها تاء كينت وأخت وجاز الحاقها بالمذكر كما جاز حياءة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغللام بضعه (أنى رأيت) من الرؤيا التومية لا من الرؤية البصرية كما يدل عليه لا تنصص رؤياك على اخوتك قال ابن عباس رؤيا الانبياء حق وكانت هذه الرؤيا ليله الجمعة وكأنت ليلة القدر فرأى ان أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكان يوسف اذ ذاك ابن اثنتى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين (أحد عشر كوكبا) وهى جريان والطارق والنيال وقابس وعمودان والتليق والمصبج والصروح والقرع ووثاب وذوالكتفين قاله البيضاوى وهذه نجوم غير مرصودة خصت بالرؤيا لغيرتهم عنه قاله الشهاب وورد فى حديث أسماء كذا أساقه السيوطى فى الدرا المنصور وفيه الضعفاء والمتروكون وقال ابن الجوزى هو موضوع قال ابن عباس أحد عشر كوكبا اخوته والشمس أمه والقمر أبوه وعن قتادة والسدى وابن زيد نحوه (والشمس والتمر) أخرهما عن الكواكب لظهور منيتهم ما وسرفهما كما فى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقيل ان الواو بمعنى مع (رأيتهم لى ساجدين) مستأنسة لبيان الحالة التى رأهم عليها كأن سائل سأل فتال كيف رأيتهم فأجاب بذلك وانما أجريت مجرى العتلاء فى الضمير المختص بهم لم يوصفها بوصف العتلاء وهو كونها ساجدة كذا قال الخليل وسيبويه والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل اذ انزلوا من رتبته وقيل كررت للتأكيده لما طال النصب بالمناعم والاول أولى والله خفى الزمخشري لانه متى دار الكلام بين الرجل على التأكيده والتأيس لحمله على التاني

عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكتزون الذهب والنفضة الآية كبر ذلك على المسلمين وقالوا أولى

ما يستطبع أحد منا ولده ما لا يلقى بعده فقال عمر أنا أفرج عنكم فأنطق عمر واتبه ثوبان فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله انه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يفرض الزكاة الا لطيبهم اما بى من أموالكم وانما يفرض المواريت من أموال تبنى بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بخير ما يكثر المراء المرأة الحالة التى اذا نظر اليها سرت واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته ورواه أبو داود والحاكم فى مستدركه وابن مردويه

من حديث يحيى بن يعلى به وقال الحاتم صحيح على شرطهما ولم يخرجاه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر ففر من زلا فقال لعلامة اننا بالاسفرة نعبث بها فأنكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت الا وأنا أخطئها وأؤزمها غير كلتي هذه فلا تحفظوها على واحفظوا ما أقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنت الناس الذهب والفضة فكنزوا هؤلاء الكلمات اللهم اني أسألك الثبات في الامر والعزيمه على الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك قلبا سليما (٥) وأسألك لسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم

وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك من غير ما تعلم ولما تعلم انك أنت علام الغيوب وقوله تعالى يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جهابهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون أى يقال لهم هذا الكلام يسكننا وتقرى عاوتهم كما كفى قوله ثم صبوا فوق رؤسهم من عذاب الجحيم ذى انك أنت العزيز الكريم اى هذا بذالك وهذا الذى كنتم تكذبون لانفسكم ولهذا يقال من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله عذب به وهو لا لما كان جمع هذه الاموال أثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أولهيب اعنه الله جاهدنا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرأته تعينه فى ذلك كانت يوم القيامة عوناً على عذابه أيضاً فى جدها أى عنتها حبل من مسد أى تجمع مع من الحطب فى النار ونلقى عليه ليكون ذلك أبلغ فى عذابه كما ان هذه الاموال لما كانت أعز الاشياء على أربابها كانت أضرا الاشياء عليهم فى الدار الآخرة فيحصى عليها فى نار

أولى والمراد حقيقة السجود لانه كان التحية فيما بينهم السجود وقيل المراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره والاقول أولى ولم تظهر رؤى يوسف الا بعد أربعين سنة وهو قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصرى كان بينهما ثمانون سنة حين اجتمع عليه أبواه واخوته وخروله ساجدين (قال يابى لا نقصر رؤياك على اخوتك) الرؤيا مصدر رأى فى المنام رؤيا على وزن فعلى كالسقى والبشرى والنفه للأنثى ولذلك لم يصرف نهي يعقوب ابنه يوسف عن ان يقصر رؤياه على اخوته لانه قد علم تأويلها وخاف أن يقصرها عليهم فيفهمون تأويلها ويحصل منهم الحسد ولهذا قال (فيكيدوا لك كيدا) وهذا جواب النهى أى فيفعلوا لاجلك كيدا ممتارا سخا لا تقدر على التخلص منه أو كيدا خفيا عن فهمك وهذا المعنى الحاصل بزيادة اللام كد من ان يقال فيكيدوا كيدا وقيل انما سبى باللام لتضمنه معنى الاحتيال المتعدى باللام فيفهم هذا التضمن معنى التعلين جميع الكيد والاحتيال كما هو القاء مدة فى التضمن ان يقدر أحدهما أصلا والآخر حالا (ان الشيطان للانسان عدو مبين) مستأنفة كأن يوسف قال كيف يقع ذلك منهم فنبهه بأن الشيطان يحملهم على ذلك لانه عدو للانسان مظهر للعداوة شجها بها وقد وردت أحاديث صحيحة فى بيان الرؤيا الصالحة وأنها من الله والسوء وأنها من الشيطان وفى ان رؤيا المؤمن جرم من أربعين جزءا من النبوة وليس لها تعلق بهذه الآية بل هى نعم (وكذلك) أى ومثل ذلك الاجتباء البديع الذى رأيت فى المنام وشاهدت آثاره فى عالم المثال من سجد تلك الاجرام العلوية النيرة لك الدال على شرف وعز وكمال نفس وبحسبه وعلى وفقه (يحببك ربك) ويحقق فيك تأويل تلك الرؤيا فيجعلك نبيا ويصطفيك على سائر العباد ويسخرهم لك كما تسخرت لك تلك الاجرام التى رأيت فى منامك فصارت ساجدة لك قال النحاس الاجتباء أصله من جبيت الشيء اذا حمله له نفسك ومنه جبيت الماء فى الخوض جمعته ومعنى الاجتباء الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه اياه بفيض الهى تحصل منه أنواع المكرمات بلا سعى من العبد وذلك مختص بالانبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين وهذا يتضمن الثناء على يوسف وتعبده نعم الله عليه ومنها (ويعلمن من تأويل الاحاديث) أى تأويل الرؤيا قال مجاهد عبارة الرؤيا وقال ابن زيد تأويل العلم والحلم وكان يوسف من أعب الناس وسمى الرؤيا أحاديث

جهنم ونهايت بحرها فتكوى بها جهابهم وجنوبهم وظهورهم قال سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عمر بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود والله الذى لا اله غيره لا يكوى عبد بكثر فليس دينار ولا درهم درهمه ولكن يوسف جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حذته وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا ولا يصح رفعه والله أعلم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال بلغنى ان الكثر يقول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يشرسه ويقول أنا كثر لا يدرك منه شيئا الأخذ وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن

أبي طلحة عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كثرًا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كثرًا الذي تركته بعدك ولا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقتضيهما ثم يتبعه سائر جسده ورواد ابن حبان في صحيحه من حديث يزيد بن سعيد به وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح (٦) من نار فيكوى بها جنبه وجهه وتظهره في يوم كان مقداره خمسين

ألف سنة حتى يقضى بين العباد ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وذكرنا في الحديث وقال البخاري في تفسيره هذه الآية حديث شافعية بن سعيد حدثنا جرير عن حصين عن يزيد بن وهب قال مررت على أبي ذر بالربذة فقلت ما أنزلك بهذه الأرض قال كنا بالشام فقرأت والذين يكسرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فقال معاوية ما هذه فينا ما هذه الأفي أهل الكتاب قال قلت انهم النبيون وفيهم ورواه ابن جرير من حديث عبيد بن القاسم عن حصين عن يزيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله عنه فذكره وزاد فارتفع في ذلك بين وبينه القول فكتب إلى عثمان يشكو في كتب إلى عثمان أي أقبل إليه قال فأقبلت إليه فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك إلى عثمان فقال لي تبيع قريبًا قلت والله إن أدع ما كنت أقول (قلت) كان من مدع أبي ذر رضي الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة

العيال وكان يفتي بذلك ويحرمهم عليه ويأمرهم به ويعلف في خلافه فنهاه معاوية فلم ينفذ فحسب أن يضرب حسنة بالناس في هذا فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وإن يأخذوا به فاستقدمه عثمان إلى المدينة وأنزله بالربذة وحده وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان وقد اختبره معاوية رضي الله عنه وهو عنده هل يوافق عمله قوله فبعث إليه بالنفديان ففرقها من يومه ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال إن معاوية إنما يعني إلى غيرك فأخطأت فهاهنا الذهب فقال ويحك إنما خرجت ولكن إذا جاء مالي فاستبالي به وهكذا روى عن أبي طلحة عن ابن عباس أنها عامة وقال السدي هي في أهل القبلة وقال الأحنف

لأنها أحاديث الملكان كانت صادقة وأحاديث الشبهان ان كانت كاذبة قال القرطبي وأجمعوا أن ذلك في تأويل الروايات وقد كان يوسف أعلم الناس بتأويلها وقيل المراد تأويل أحاديث الأمم السالفة والكتب المنزلة قاله الزجاج وقيل المراد بأحوال أخوته إليه وقيل أنجاءه من كل مكروه وقيل أنجاءه من القتل خاصة والأحاديث جمع تكسير فتقيل لو أحده لتوطلب وهو حديث ولكنه شذبه على أحاديث وله نظائر في الشذوذ كأباطيل وأفطيج وأعارض في باطل وفطيج وعريض وزعم أبو زيد أن لها واحدًا مقدرًا وهو أحادونه ونحوه وليس باسم جمع لأن هذه الصيغة مختصة بالتكسير وإذا كانوا قد اتفقوا ذلك فيما يصرح له بنشر من لفظة نحو عباديد وشماطيط وأبائيل ففي أحاديث أولى قاله السمين (ويتم نعمته عليك) فيجمع لك بين النبوة والملك كما تدل عليه الروايات التي أراها الله أو يجمع لك بين خيرى الدنيا والآخرة (وعلى آل يعقوب) وهم قرابته من أخوته وأولاده ومن بعدهم وذلك أن الله سبحانه أعطاهم النبوة كما قاله جماعة من المفسرين ولا يبعد أن يكون إشارة إلى ما حصل لهم بعد دخولهم مصر من النعم التي من جملتها كون الملك فيهم مع كونهم أنبياء وقد قال أكثر المفسرين (كما أجمعها على أن يكون) أي أنما مثل تمامها عليهم ما وهى نعمة النبوة عليهم ما مع كون إبراهيم الخليل الله خليفًا ومع كون إسحق نجاه الله سبحانه من الذبح قاله عكرمة وصار لهما الذرية الطيبة وهم يعقوب ويوسف وسائر الأسباط (من قبل) أي من قبل هذا الوقت الذي أنت فيه أو من قبلك (إبراهيم وإسحق) عطف بيان لأن يكون أو بدل منه أو على ضمائر أعني وعبر عنهم بالأنبياء مع كونهم ما أبجد وأبائيه للشعار بكل ارتباطه بالأنبياء المكرام (إن ربك عليم) بمصالح خلقه (حكيم) في أفعاله وأفعاله مستأنسة مقررة لمنهون ما قبلها تعال لاله أي فعل ذلك لانه عليم حكيم إشارة إلى قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وأنه لا يذبح النبوة إلا في نفس قدسية وكان هذا الكلام من يعقوب مع ولده يوسف تعبير الرواية على طريق الإجمال أو علم ذلك من طريق الوحي أو عرفه بطريق الدراسة وما تقتضيه أخبار البوسنية (القد كان في يوسف وأخوته آيات للأنبياء) أي القد كان في قصتهم علامات دالة على عظيم قدرة الله وبديع صنعته للأنبياء من الناس عنهم أو غيرهم فنيه اكتفاء وقرأ أهل مكة آية على التوحيد قال النحاس وآية ههنا قراءة

ابن قيس قدمت المدينة فبينما أنا في حلقة فيها ملائمة قرىش اذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد أخشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكاذبين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلقة تدن أحدهم حتى يخرج من نفخ كفته حتى يخرج من حلقة تدن يترزل قال فوضع القوم رؤسهم فخاراً أت أحدا منهم رجع اليه شيئاً قال وأدبر فابتعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعلمون شيئاً وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا بى ذر ما يسرنى ان عندى مثل أحد ذهباً ير على ثلاثة أيام وعندى (٧) منه شئ الا ديناراً رصده لدين فهذا والله أعلم هو الذى

حدثنا أبو ذر على القون بهذا وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن سعيد بن أبي الحسن عن عبد الله بن الصامت رضى الله عنه انه كان مع أبي ذر فخرج عطاؤه ومعه جارية فجعلت تقتضى حوائجه فنضلت معها سبعة قاهرها ان تسترى به فلوساً قال قلت لو ادخرته لحاجة بيونك وللضيف ينزل بك قال ان خليلي عهد الى أن أيتأذهب أو فضة أو كى عليه فهو جرح على صاحبه حتى يفرغ في سبيل الله عز وجل ورواه عن يزيد عن همام به وزاد افراغا وقال الحافظ بن عساكر بسنده الى أبي بكر الشبلي في ترجمته عن محمد بن مهدي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن أبي فروة الرهاوى عن عطاء عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال يا رسول الله كيف لي بذلك قال ما سئلت فلا تمنع وما رزقت فلا تخف قال يا رسول الله كيف لي بذلك قال

حسنة وقيل المعنى لقد كان في يوسف واخوته آيات دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم للسائلين له من اليهود فانه روى انه قال جماعة منهم وهو بمكة اخبرنا عن رجل من الانبياء كان بالشام أخرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمى ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ولا من يعرف خبر الانبياء وانما وجهوا اليه من أهل المدينة من يسأله عن هذا فأمر الله سورة يوسف جملة واحدة كفى التوراة وقيل معنى آيات للسائلين بحب لهم وقيل بصيرة وقيل عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف وما حقق الله فيها ومنها حسد اخوته له وما آل اليه أمرهم ومنها صبر يوسف على ما فعلوا به وما آل اليه أمرهم من الملك ومنها حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمرهم من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات قال القرطبي وأسماء وهم يعنى اخوة يوسف وهم أحد عشر رويلاً وهو أكبرهم وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويشجر وأمههم ليا بنت ليمان وهى بنت خال يعقوب وولده من سريته زلفة وبناته أربعة وهم دان وتفتونا وجاد وأوشير ثم ماتت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنا عشر نفراً وقال السهيلي ان أم يوسف اسمها وقتار راحيل ماتت من نفاس بنيامين وهو أكبر من يوسف وعن قتادة فى الآية يقول من سأل عن ذلك فهو هكذا ما قص الله عليكم وأباً كم به وعن الفضال نحوه وعن ابن اسحق قال انما قص الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خبر يوسف وبغى اخوته عليه وحسد هم اياه حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه عليه وحسد هم اياه حين أكرمهم الله بنبوته ليا نسي به (اذ) أى وقت ان (قالوا ليوسف واخوه) هو بنيامين بكسر الباء وصحح بعضهم فتحها فنيه الوجهان وهو أصغر من يوسف وخصوه بكونه آتاهم جميعاً اخوته لانه أخوه لا بونه كما تقدم واللام القسم أى والله ليوسف ووجه الخبر فقال (أحب الى أيننا منها) مع تعدد المبتدأ لان أفعال التفضيل يستوى فيه الواحد ومافوقه اذ لم يعرف وهو مبنى من حب المبنى للمفعول وهو شاذ فبأسا فصح استعما للورد في أفصح الفصحى واذا بنيت أفعال التفضيل من مادة الحب والبغض تعدى الى الناعل المعنوى بالى والى المفعول المعنوى باللام أو بنى وعلى هذا جاءت الآية الكريمة وانما قالوا هذا لانه بلغهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذلك والا فاننا راينا سنده ضعيف وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عبيدة عن يزيد بن الصرم قال سمعت علياً رضى الله عنه يقول مات رجل من أهل الصفة وترى دينارين أو درهمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كستان صلوا على صاحبكم وقد روى هذا من طرق أخر وقال قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة صدى ابن عجلان قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في منزله ديناراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمة ثم توفى رجل آخر فوجد في منزله ديناران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كستان وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر اسحق بن ابراهيم

الفراديسي حدثنا معاوية بن يحيى الاطرابلسي حدثني اوطاة حدثني أبو عامر الهوزني سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يموت وعنده أجر أو أبيض إلا جعل الله بكل قيراط صنعة من نار يكوى بها من قدمه الى ذقنه وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمود بن خداس حدثنا سيف بن محمد النوري حدثنا الاعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوضع الدينار على الدينار ولا الدرهم على الدرهم ولكن يوسع جلدك فيه كوى بها اجباهم وجنوبهم وظهرهم هذا ما كنتم تفتخرون به لانفسكم (٨) فذوقوا ما كنتم تكذبون سيف هذا كذاب متروك (ان عدة الشهور

عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ثم قالوا المشركين كافة كما يظلمونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل أخبرنا أيوب أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ثم قال أي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم الفتح قلنا بلى ثم قال أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى ثم قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد قلنا بلى قال فان

خبر الروافد فاجمع رأيهم على كيدته (وشحن عصبة) الواو للعمال والعصبة الجماعة قيل وهي ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هي العشرة فما زاد وقيل من العشرة الى خمسة عشر وقيل ستة وقيل تسعة وقيل من العشرة الى الأربعين قاله قتادة والمادة تدل على الاطاعة من العصاة لا اطاعتها بالرأس وقيل الاصل فيه ان كل جماعة تعصب بعضهم لبعض يسعون عصبة والعصبة لا واحد لها من انظها بل هي كالنفر والرهط وقد كانوا عشرة (ان أبا ذؤانب في ضلال ميين) أي اني ذهبت عن وجه التدبير بالترجيح لهم ما علينا وابارهم ادوننا مع استوائنا في الانتساب اليه ولا يصح ان يكون مرادهم انه في دينه في ضلال اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به قال ابن زيد أي اني خطا من رأيته (اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضا) أي في أرض واليه ذهب الخوف وابن عيسى وقال الرضا خشي أي أرضا منكورة مبهمة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلاؤها من الناس ولأنهم من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المهمة وقيل انها مفعول ثان والمعنى الزلوه أرضا والطرح الرمي وبعبارة عن الاقتحام في الخراف يعني قالوا افعلا بوابه أحد الامرين اما القتل أو الطرح في أرض أو المشير بالترح البعض الآخر أو كان المتكلم بذلك واحدا منهم فوافقه الباقيون فكانوا كالقاتل في نسبة هذا المقتول اليهم وجواب الامر (يحل لکم وجهایکم) أي يصف ويخلص فيقبل عليكم ويحببكم حبا كاملا لأن الرجل اذا قبل على الشيء أقبل بوجهه (وتكونوا من بعده) أي بعد يوسف والمراد بعد الفراغ من قتله وأطرحه وقيل من بعد الذنب الذي اقترفته وفي يوسف (قوموا صالحين) في أمور دينكم وطاعة أئبيكم وأصاخين في أمور دنيائكم يذهب ما كان يشغلکم عن ذلك وهو الحسد ليوسف وتكدر خواطركم بتأثيره عليكم هو وأخوه أو صاخين مع أئبيكم بعد رده دونه أو المراد بالصالحين الثابتون من الذنب في المستقبل (قال قائل منهم) أي من الاخوة قيل هو يهوذا وقيل روبيل وقيل سمعون والاولى أولى قيل وجه الاظهار في (لا تفسدوا يوسف) استجلاب شفقتهم عليه فلم ير هذا القاتل القتل ولا طرحه في أرض خالية ففترأبيل قال (وأفوه في غيابة الحب) أي في بئر يشرب منها الماء فانه أقرب خلاصه فحصل ذلك انه اخبر خذله بالثقة هي أرفق بيوسف من تلك الخصلتين قرأ جماعة غيابة بالافراد وغيرهم بالجمع وأنكر

دعائكم وأموالكم وأحسبه قال واعراضكم عليكم حرام كرمه إليكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ابو وسئلون ربكم فيبالكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب فلعن من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ورواه البخاري في التفسير وغيره وسلم من حديث أيوب عن محمد وعوان بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه به وقد قال ابن جرير حدثنا عمر حدثنا شعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض

وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورب رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ورواه البزار عن محمد بن معمر به ثم قال لا يروى عن أبي هريرة الا من هذا الوجه وقد رواه ابن عون وقرة عن ابن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه به وقال ابن جرير أيضا حدثني موسى بن عبد الرحمن المروقي حدثنا زيد بن حباب حدثنا موسى بن عبيدة الربذي حدثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عني في أوسط أيام التشريق فقال أيها الناس ان الزمان قد استدار فهُوَ اليوم كهيئته (٩) يوم خلق الله السموات والارض وان عدة

الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والحرم وروى ابن مردويه من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مثله أو نحوه وقال حماد بن سلمة حدثني علي بن زيد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه وكانت له صحبة قال كنت آخذ من سام ناقة رسول الله في أوسط أيام التشريق أروا الناس عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيه انفسكم وقال سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله منها أربعة حرم قال حرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

أبو عبيد الجمع لان الموضع الذي ألقوه فيه واحد قال الناس وهذا ضيق في اللغة والجمع يجوز والغاية كل شيء غيب عنك شيئا وقيل للقب غيبة والمراد بهم اهلنا غورا البئر الذي لا يقع عليه البصر وطاقة فيه قال الهروي الغيبة سدأ وطاق في البئر قريب الماء يغيب ما فيه من العيون وقال الكلبي الغيبة تكون في قعر الحب لان أسنله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما في جوانبه وقال الزمخشري هي غوره وما غاب منه من عين الناظر وأظلم من أسنله والماء متقاربة والحب البئر التي لم تطوويش لها قبل الطي ركية فاذا طويت قبل اهلها بئر وسميت جبلا لانها قاطعت في الارض قطعا أول كونه مخدورا في جبوب الارض أي ما غلظ منها وجمع الحب جبيب وجباب وأجباب وجمع بين الغيابة والحب مبالغة في ان يلقوه في مكان أسفل من الحب شديد الظلمة حتى لا يدركه نظر الناظرين وقيل وهذه البئر بيت المقدس قاله قتادة وقيل ببعض نواحي ايلياء وقيل بالاردن قاله وهب وقيل بالشام وعن ابن زيد قال بجذاء طبرية بينه وبينها أميال وقال مقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب الامر (يلتقطه بعض السيار) قرئ بالتحسينة والفوقية ووجه ان بعض السيار سياره هي الجمع الذي يسير في الطريق جمع سيار أي المبالغ في السير والانتفاط هو أخذ شيء من شرف على النماح من الطريق أو من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة كأنهم أرادوا ان بعض السيار إذا التقطه حمله الى مكان بعيد بحيث يخفى عن أيه ومن يعرفه ولا يحتسبون الى الحركة بانفسهم الى المكان البعيد فرعبان والدهم لا يأذن لهم بذلك وكان هذا الحب معروفا فارد عليه كثير من المسافرين (ان كنتم فاعلين) أي عاملين بما أنشئت به عليكم في أمره كأنتم يحزم بالامر بل وكله الى ما يحجمون عليه كما يفعل المشير مع من استشاره وفي هذا دليل على ان اخوة يوسف ما كانوا أنبياء فان الانبياء لا يجوز عليهم التواطؤ على القتل لمسلم ظلموا بغيا وقيل كانوا أنبياء وكان ذلك منهم زلة قدم أرقعهم فيها التهاب نار الحسد في صدورهم واضطرام جرات الغيظ في قلوبهم ورد بان الانبياء معصومون عن مثل هذه المعصية الكبيرة المتباعدة في الكبر مع ما في ذلك من قطع الرجم وعقوق الوالد واقتراء الكذب وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد وقيل عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك اهلكوا جميعا وقيل لهم لم يكونوا في ذلك الوقت أنبياء بل صاروا أنبياء من

(٢ - فتح البيان خمس) والارض تقر برمته صلوات الله وسلامه عليه وتأييد للامر على ما جعله الله في أول الامر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا انسي ولا تبديل كما قال في تحريم مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله تعالى الى يوم القيامة وهكذا قال ههنا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض أي الامر اليوم شرعا كما ابتدأ الله ذات في كتابه يوم خلق الله السموات والارض وقد قال بعض المنسرين والمتكلمين على هذا الحديث ان المراد بقوله قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض انه انفق ان يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك

السنة في ذي الحجة وان العرب قد كانت نسبت النسي يصحون في كثير من السنين بل أكثر في غير ذي الحجة وزعموا ان حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة وفي هذا نظر كما سنبينه اذا تكلمنا على النسي وأغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث انه اتفق صح المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع والله أعلم * (فصل) ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزمه جمعة أسماء المشهور في أسماء الايام والشهور ان المحرم سمي لكونه شهر الحرام وعندي انه سمي بذلك تأكيداً لحرمة لان العرب كانت تتقرب به (١٠) فلهذا عاماً وحرمة عام. قال ويجمع على محرمات ومحارم وصفه سمي بذلك

للمحرم يوم سمي منهم حين يخرجون للقتال والاسفار يقال مخفر المكان اذا خلا ويجمع على أصفار فكل وأجمال شهر ربيع الأول سمي بذلك لارتبائه سمي فيه والارتجاع الإقامة من عمارة الربيع ويجمع على أربعة ككصيب وأصبار على أربعة كزغيف وأرغفة ربيع الآخر كالأول جادى سمي بذلك لجود الماء فيه قال وكانت الشهور في جادى سمي لاتدور وفي هذا نظر اذا كانت شهورهم منسوبة بالاهل ولا بد من دورانها فاعلم سمي به وذلك وسمي عند جود الماء في البرد كما قال الشاعر

وابله من جادى ذات أندية

لا يسر العبد في ظلمات الدنيا
لا ينج الكلب فيها غير واحدة

حتى يلف على خرطومها الدنيا
ويجمع على جاديات كبادري وجباريات وقد يدكر ويؤنث فيقال جادى الأولى وجادى الآخرة رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرباب ورباب وربيات شعبان من شعب النبال وتفرقها لفارقة ويجمع

بعد وكان كل ذلك قبل ان ينهاهم الله ولما أجمع رأيهم على ان ياقوه في غيايات الحب جاؤا الى أبيهم وخاطبوه بذلك الابوة استعطفوا له وتحريكاً للحنون الذي جبلت عليه طبائع الآباء للابناء وتوسلاً الى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه واستفهموه واستفهام المنكر لا مريب في ان يكون الواقع على خلافه (قالوا يا أبا مالك لا تأمننا على يوسف) أى أى شئ لك لا تجعلنا أمنا عليه وكانهم قد كانوا سألوه قبل ذلك ان يخرج معهم يوسف فأبى قريئاً تأمناً بالاطهار وبالادغام من غير ائتمان واتفق الجمهور على الاخذاء والأائتمان (وانا لك جعون) في حنطة وحيطته عاطفون عليه فأقنوا به لحنه حتى نرده اليك (أرسله معنا غداً) أى فى غدا الى العذراء التي أرادوا الخروج اليها وغدا طرف والاصل عند سيويه غدوة وقال الضر بن جميل ما بين النجر وطلوع الشمس يقال له غدوة وكذا يقال له بكرة والغدا اليوم الذي بعده من الذي أنت فيه (يرتفع) هذا جواب الامر قريئاً بالنون واسكان العين وبها وكسر العين اسناداً للكل والاولى مأخوذة من قول العرب رقع الانسان أو البعير اذا أكل كيف شاء والمعنى يتسع في الخصب وكل مخصب رافع والرفع التمتع في أكل الشوكه ونحوها والثانية مأخوذة من رعى الغنم وقريئاً بالتحسية فيها ورفع يلعب على الاستئناف والضمير ليوسف وقال النبي معنى يرتفع تجارس وتحافظ ويرعى بعضه بعضاً من قولهم رعاك الله أى حفظك (ويلاعب) من اللعب قيل لابي عمرو بن املأ كيف قالوا له ب وهم أنبياء فقال لم يكونوا مثلاً أنبياء وقيل المراد به اللعب المباح وهو مجرد الانسباط لا نشرح الصدر وقيل هو اللعب الذي يتعمدون به الحرب ويتقنون به عليه وكان اللعب بالاستباق والاتصال قريئاً القتال الأعداء كما في قولهم اناذبهنا نستبق لا اللعب الخفوف الذي هو ضد اساق وجماعاً لعمالشبه به ولذلك لم يشكر عليهم يعقوب لما قالوا والله ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما جاز فها بكرا تلاءمها وتلاءميت وقال ابن عباس يرتفع وتلعب نسي ونشط وتلهموا (و) الحال (اناله لحافظون) من ان ياله مكرود (قال) أى فاجابهم يعقوب بقوله (ان لي جزئى أن تذهبوا به) أى ذهبا بكم به واللام لام الابتداء للتأكيد والتخصيص المضارع باحالة أخبر به بانه يحزن لغيبه يوسف عنه لفرط محبته له وسنوه عليه والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب (و) مع ذلك (أخاف أن يأكله الذئب) قال هذا يعقوب تخوفاً عليه منهم فكفى عن ذلك بالذئب وقيل

على شعبان وشعبان من شدة الرمضاء وهو الحار يقال رمضت النصال اذا عطشت ويجمع على رمضان ورماضين انه وأرمضة قال وقول من قال انه اسم من أسماء الله خطأ لا يرج عليه ولا يلتفت اليه قلت قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف ويذكره في أول كتاب الصيام شوال من شالت الابل بأذنهم للطراق قال ويجمع على شواول وشواويل وشوالات القعدة بفتح القاف وكسرها لله ودهم فيه عن الشال والترحال ويجمع على ذوات القعدة الحجة بكسر الحاء وقتهما سمي بذلك لارتبائه الخ في يوم ويجمع على ذوات الحجة أسماء الايام اولها الاسد ويجمع على آحاد وواحد وواحد نوبوم الاثنين ويجمع على اثنتين الثلاث فيقولون

ويؤث ويجمع على ثلاثاوات وثلاث ثم الاربعاء بالمد ويجمع على اربعاءوات وآرابيع والخميس يجمع على خمسة والخامس
ثم الجمعة بضم الميم واسكانها وفتحها أيضا ويجمع على جمع وجماعات السبت مأخوذ من السبت وهو النطق لانتهاء العدد عنده
وكانت العرب تسمى الايام أول ثم أهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤث ثم العروبة ثم شبار قال الشاعر من العرب بالعارية المتقدمين
أرجى ان أعيش وان يمى * بول أو باهون أو جبار أو التالى دبار فان أفته * فؤنس أو عروبة أو شبار
وقوله تعالى منها أربعة حرم فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تحرمه (١١) وهو الذى كان عليه جهويهم الاطائفة منهم

يقال لهم البسل كانوا يحرمون من
السنة ثمانية أشهر رتعة وتشددا
وأما قوله ثلاثة متواليات ذو
القعدة والحجة والمحرم ورجب
مضر الذى بين جدادى وشعبان
وانما أضافه الى مضر لصحة قولهم
في رجب انه الذى بين جدادى
وشعبان لا كما قلناه ربيعة من ان
رجب المحرم هو الشهر الذى بين
شعبان وشوال وهو رمضان
اليوم فين صلى الله عليه وسلم انه
رجب مضر لارجب ربيعة وانما
كانت الاشهر المحرمة أربعة ثلاثة
سردوا واحد فرد لاجل اداء مناسك
الحج والعمرة فحرم قبل أشهر الحج
شهر ربيع وهو ذو القعدة لانهم يتعدون
فيه عن القتال وحرم شهر ردى
الحجة لانهم يوقعون فيه الحج
ويشتغلون بأداء المناسك وحرم
بعد شهر ربيع وهو المحرم ليرجعون
فيه الى أقصى بلادهم آمنين وحرم
رجب في وسط الحيل لاجل
زيارة البيت والاعتساب به لمن يقدم
اليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره
ثم يعود الى وطنه فيه آسنا وقوله
ذلك الدين القيم أى هذا هو الشرع

انه خاف ان يأكله الذئب حقيقة لان ذلك المكان كان كثير الذئاب ولو خاف منهم علمه
ان يقتلوه لارسل معهم من يحفظه قال ثعلب الذئب مأخوذ من تذأبت الريح اذا هاجت
من كل وجه قال والذئب مهموز لانه يجى من كل وجه (وأنتم عنه عافلون) لاشتغالكم
بالرتع والالعاب أو لكونكم غير مهتمين بحفظه أخرج أبو الشيخ وابن مردويه والسنلى
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تلقوا الناس فيكذبون فان
بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الناس فلما لقنهم أبوه كذبوا فقلوا أكله الذئب
(قالوا) جوابا عن عذره الثانى وهو قوله أخاف ان يأكله الذئب وأما عذره الاول وهو
قوله انى لم يجرى فلم يجبه واعنه اسأل كون الحزن زمنة قصيرا لا تقضاه برجوعهم واما
لانه ليس غرضهم ازالة الحزن عنه بل ابقاءه فيه والثانى هو المتعين (لئن أكله الذئب)
اللام على الموطئة للقسم والمعنى والله لئن أكله الذئب (و) الحال انا (نحن عصبة) جماعة
كثيرة عشرة رجال (انا اذا) أى فى ذلك الوقت وهو أكل الذئب له (الخاسرون)
لهما لكون ضعفا وبجرا أو مستحقون لله لئلا اعدم الاعتمادا بنا واتقاء القدرة عن
أيسر شئ وأقله أو مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار وقيل معناه لما هلكوا حقه
وعذره الجمل جواب القسم المقدر فى الجملة التى قبلها (فلما ذهبوا به) من عند يعقوب
(وأجمعوا) أمرهم أى عزموا الان أصل معنى الاجماع العزم المصمم (ان يجمعوه
فى غيابة الحب) قد تقدم نفسه يرها قريه او جواب لما محذوف انظروا ودلالة المقام
عليه أى فعلوا به ما فعلوا من الذى وقيل جوابه قالوا انا انا انا ذهبنا استبق وقيل
الجواب المقدر جعلوه فيها وقيل الجواب أو حينما والواو متعمة ومثله قوله تعالى فلما أسلمنا
وتله للعين وادياه أى نادياه قال ابن عباس كان يوسف فى الحب ثلاثة أيام (وأوحينا
اليه) أى الى يوسف تبشيره وتأييده الوحشته مع كونه صغيرا اجتمع على ازال الضرر به
عشرة رجال من اخوته بقلوب غلبة قد زعمت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة فان
الطبع البشرى دعى عند الدين يتجاوز عن ذنب الصغير ويعتفروا بضعفه عن الدفع وبجده
عن أيسر شئ يراهم منه فكيف بصغير لا ذنب له بل كيف بصغير هو أخ وله ولهم أب مثل
يعقوب فلقد أبعد من قال انهم كانوا أنبياء فى ذلك الوقت فما هكذا عمل الانبياء ولا فعل
الصالحين وفى هذا دليل على انه يجوز أن يوحى الله الى من كان صغيرا ويعطيه النبوة

المستقيم من امثال امر الله فيما جعل من الاشهر الحرم والحج ذوبها على ما سبق فى كتاب الله الاول قال تعالى فلا تظنوا
فيه من أنفسكم أى فى هذه الاشهر الحرم لانها آكدوا بالغ فى الانتم من غير ما كان المعاصى فى البلاد الحرام تضاعف لقوله تعالى
ومن يرد فيه باحاد بظلم يضاعف من عذاب اليم وكذلك الشهر الحرام تغاظ فيه الاثم والهاذا تغاظ فيه الدية فى مذهب الشافعى
وطائفة كثيرة من العلماء وكذا فى حق من قتل فى الحرم أو قتل ذا محرم وقال حسان سنة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس فى قوله فلا تظنوا فيه أنفسكم قال فى الشهور كلها وتال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله

الآية فلا تظلموا في كهن ثم اخص من ذلك أربعة أشهر فجعلهم حراما وعظم حرماتهم وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم وقال قتادة في قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم ان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء وقال ان الله اصطفى صفائا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهر ورمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة (١٢) الله رفعتهم واما عظم الله فاعلمنا عظيم الامور بما عظم الله به عند

أهل الشهم وأهل العقل وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن الحنفية بان لا تحترق ومن حرمتين وقال محمد بن اسحق فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فاعلمنا النبي الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر وهذا القول اختصار ابن جرير وقوله وقاتلوا المشركين كافة أي جميعكم كما يات في آياتكم كافة أي جميعهم واعلموا ان الله مع المتقين وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أم لم يكن على قولين أحدهما وهو الاشهر انه منسوخ لانه تعالى قال فبينا فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأمر بقتال المشركين وظاهر السياق شعريانه أمر بذلك أمرا عاما ولو كان محرما في الشهر الحرام لأوشك ان يبيده بالناس لاخها ولان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذو القعدة كما ثبت في الصحيحين انه خرج الى هوازن في شوال فلما

سينفذ كما وقع في عيسى ويحيى بن زكريا وقيل معنى الوحي هنا الالهام كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وأوحيا الى أم موسى والاول أولى وقد قيل انه كان في ذلك الوقت قد بلغ مبلغ الرجل وهو بعيد جدا فان من كان قد بلغ مبلغ الغهم لا يخاف عليه ان يأكله الذنب (لتبذهم) أي اخبرن اخوتك (يا مريم هذا) الذي فعلوه معك بعد خلوصك مما أرادوه بك من الكيد وأزولوه عليك من الضرر (و) الحال أن (هم لا يشعرون) بانك أخوهم يوسف لاعتقادهم هلا كان قائما لك في غيابة الجب وابعدهم بك ولكونك قد صرت عند ذلك في حال غير ما كنت عليه وخلاف ما عهدوه من وسألتني ما قاله لهم عند دخولهم عليه بعد أن صار اليه ملك مصر وقال مجاهد وهم لا يشعرون بذلك الوحي وقال قتادة فبهت ذلك الوحي عليه ما صنع به وعن ابن عباس قال وهم لم يعلموا وحي الله اليه (وجاؤا بآهم عشاء يبيكون) وهو آخر النهار وقيل في الليل ليكونوا في الظلمة أجراء على الاعتذار بالكذب أي ما يابا كين أو متبا كين لانهم لم يبيكوا حقيقة بل فعلوا فعل من يبكي ترويجا لتكذبهم وتثنية لما ذكرهم وغدرهم فلما وصلوا الى أبيهم (قالوا يا أبا ناديهما استبق) أي تتسابق في العدو أو في الرمي وقيل لتفضل بالسهم ويؤيده قراءة ابن مسعود وتفضل قال الزجاج وهو نوع من المسابقة وقال الازهرى النضال في السهام والرهان في الخيل والمسابقة تجمعهما قال النشيري تستبق أي في الرمي أو على الفرس أو على الاقدام والغرض من المسابقة التدريب بذلك في القتال وقال السدي يعني نشدوه وعدوه وقال مقاتل تصيد أي تستبق الى الصيد (وتركا يوسف عند متاعنا) أي ثيابنا البحر بها (فأكله الذنب) التامة تعقيب أي أكله عقب ذلك وقد اعتذروا اليه بما خافه سابقا عليه ورب كلمة تقول لصاحبها دني (وما أنت بؤمن) أي بصدق (لنا) في هذا العذر الذي أبدينا والكلمة التي قلناها وفي هذا الكلام منهم فتح باب اتهامهم كالمبايعة على صاحب الذوق (ولو كانا) عندك أو في الواقع (صادقين) لما قد علق بقلبك من التهمة لنا في ذلك مع شدة محبتك له قال الزجاج والمعنى ولو لا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقنا في هذه القصة أشدة محبتك ليوسف وكذا ذكره ابن جرير وغيره (وجاؤا على) فوق (رقيصه بدم كذب) وصف الدم بأنه كذب مبايعة كما هو المعروف في وصف اسم العين باسم المعنى فكأنه نفسه صار كذبا أو قيل المعنى بدم ذي كذب أو بدم مكذوب فيه قال ابن

كسرهم واستأثروا بهم ورجع فاهم لم ينجوا الى الطائف فعمد الى الطائف فحاصرهم أربعة بين يوما عباس وانصرف ولم ينتهجه فثبت انه حاصر في الشهر الحرام والقول الآخر ان ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام وانه لم يذبح تحريم الشهر الحرام لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تظلموا ما نزل الله ولا الشهر الحرام وقال الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الآية وقال فلا تظلموا المشركين وقد تقدم انها الأربعة المقررة في كل سنة لا أشهر التسبيح على أحد القولين وأما قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يات في آياتكم كافة

فيحتسمل انه منقطع عما قبله وان حكمه مستأنف ويكون من باب التهيج والتخصيض أى كما يجتهد معون خربكم اذا حاربكم فاجتهدوا انتم ايضا لهم اذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يدعون ويحتمل انه اذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام اذا كانت البداءة منهم كما قال تعالى الشهر الحرام بالحرم والحرمات قصاص وقال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم الآية وهكذا الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف واستعبابه الحصار الى أن دخل الشهر الحرام فانه من تمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف (١٣) فانهم هم الذين ابتدؤا القتال وجعوا الزبال

ودعوا إلى الحرب والنزال
فعمدها قصدهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما تقدم فلما تحصنوا
بالبطائق ذهب إليهم لينزلهم من
حصونهم فقالوا من المسلمين وقتلوا
جماعة واستمر الحصار بالجحائيق
وغيرها قريبا من أربعين يوما وكان
البدء أوه في شهر حلال ودخل
الشهر الحرام فاستمر فيه أياما ثم قتل
عنهم - ثم لانه يغتفر في الذوام مالا
يغتفر في الابتداء وهذا أمر مقرر
وله نظائر كثيرة والله أعلم وإن ذكر
الاحاديث الواردة في ذلك وقد
حررنا ذلك في السيرة والله أعلم

تكم (أما النسبُ زيادة في الكثرة
يفضل به الذين كثروا يحملونه عاما
بحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم
الله فيقبلوا ما حرم الله زين لهم سوء
أعمالهم - والله لا يهدي القوم
الكافرين) هذا ما اذم الله تعالى
به المشركين من تصرفهم في شرع
الله بآرائهم - المائدة وتغييرهم
أحكام الله بأهوائهم - المائدة
وتحليلهم ما حرم الله وبحرمتهم -

عباس ومجاهد كان سم سخله وقرأ الحسن وعائشة بدم كذب بالدال المهملة أى بدم
طرى يقال لادم الطرى كذب وقال الشعبي انه المتغير والكذب أيضا البياض الذى يخرج
في الظنار الاحداث فيجوز ان يكون شبه الدم في القميص بالبياض الذى يخرج في الظنار
من جهة اللونين وقد استدلل يعقوب على كذبهم بصحة القميص وقال لهم متى كان هذا
الذنب حكيمياً كل يوسف ولا يخرق القميص ثم ذكر الله سبحانه ما أجاب به يعقوب عليه
السلام فقال (قال بل سوات) أى زينت وسهات وأمرت (لكم أنفسكم أمراً) قال
النيسابورى التوسيل تقرير معنى في النفس مع الطمع في اعانته وهو تفعليل من السؤل
وهو الاثنية قال الازهرى وأصله مهموز غير أن العرب استقلوا فيه الهمزة وفي الشهاب
من السؤل بالفتحين وهو استرشاء العصب ونحوه فكان السؤل بذله فيما حرص عليه
(فصبر جميل) قال الزجاج أى فشأى أو الذى أعنته صبر جميل وقال قطرب أى فسبرى
صبر جميل وقيل فصبر جميل أولى بى قيل الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه لا حد غير الله
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا شكوى فيه من بش لم يصبر أخرجه ابن جرير وهو
مرسل وقال مجاهد ليس فيه جزع رقرى فصبر اجيلاً وكذا فى مصنف أنس قال المبرد
بالرفع أولى من النصب لأن المعنى رب عندي صبر جميل وانما النصب على المصدر أى
فلا تصبرن صبر اجيلاً (والله المستعان) أى المطلوب منه العون والجللة انشائية دعائية
لا اخبارية (على) أى على اظهار حال أو على احتمال (ما تصنون) أى تذكرون من
أمر يوسف عليه السلام وقال قتادة على ما تكذبون (وجاءت سيارة فارسوا) ذكر
على المعنى مكان أرسلت (واردهم) هذا شروع فى حكاية خلاص يوسف وما كان بعد
ذلك من خبره وقد تقدم تندير السيرة أى جماعة مسافرون هموا سيارة اسيرهم
فى الارض والمراد بهم هنا رفقة مارة تسير من الشام أو من مدين الى مصر فأخطوا
الطريق وهاموا حتى نزلوا قريمان الحب وكان فى قفرة بعيدة عن العمران ترده المارة
والرعاة وكان ماؤه مشاوار الذى يرد الماء ليس يتقى للقوم وكان اسمه فيما ذكر المنسرون
ملك بن ذعر الخزاعى من العرب العاربة (فأدلى دلوه) يقال أدلى دلوه ذأر لها لئلا لها
ودلاها اذا أخرجهما قاله الاصمعى والدلو مؤنث وقديكرو والدلو الذى يستتر بهما فعلق
يوسف بالحبل فلما خرج الدلو من البئر أبصره الوارد (قال يا بشرى) ومعنى مناداه للبشرى

ما أحل الله فأنهم - كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استتطالوا به مدة الأشهر الثلاثة وما فيهم من التصريم المانع
 لهم من قضاء أو طارهم من قتال أعدائهم فكانوا قد أحذروا قبل الإسلام عدة تحليل الحرم فأخروه إلى صفر فيجلبون الشهر الحرام
 ويحرمون الشهر الحلال - واطنو واحدة الأشهر الأربعة كما قال شاعرهم وهو عير بن قيس المعروف بجذل الطعان
 لقد علمت مديان قومي * كرام الناس إن لهم كراما
 ألسنا الناسين على معد * شهورا الحل نجعلها حراما
 وقام علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إنما النسب في زيادة في الكفر
 فأى الناس لم يترك بوتر * وأى الناس لم يعلك بلحاما

لقد علمت مدبران قومي * كرام الناس ان لهم كراما
 ألسنا الناسين على معد * شهو الحل نجعلها حراما

فأى الناس لم يترك بوتر • وأى الناس لم يعلك لحاما

وقال، علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله إذا الناس زياد في الكفر

قال النسي ان جنادة بن عمرو بن أمية الكوفي كان يوافي الموسم في كل عام وكان يكنى أبا نامة فينادي ألا ان ابائنا لا يهاب ولا يهاب إلا وان صفرا العام الأول حلال فيجب للناس فيحرم صفرا عاما ويحرم اخرم عاما فذلك قول الله انما النسي من زيادة في الكفر يقول يتركون اخرم عاما وعاما يحرمونه وروى العوفي عن ابن عباس نحوه وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد كان رجلا من بني كنانة يأتي كل عام الى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس اني لأعاب ولا أعجاب ولا مردلما أقول انافد حرمنا المحرم وأخرنا صذر ثم يجي العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته (١٤) ويقول انافد حرمنا صفرا وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطوا عدة ما حرم

انه أراد - ضروره في ذلك الوقت فكانه قال هذا وقت مجيئنا وأوان حضورك وقيل انه نادى رجلا اسمه بشري وهذا على ما فيه من البعد لا يتم الا على قراءة من قرأ بأشري وقد قرئ بأشراي أي وعليه أهل المدينة وأهل مصر وأهل البصرة وأهل الشام قرأ بإضافة البشري الى الصفري فالأولى قال النحاس والمعنى من نداء البشري التبشير لمن حضر وهو أوكدم من قولك بشرته كما تقول يا عبدا أي يا عبدي هذا من أيامك فاحضر قال وه - ذا مذهب سيبويه (هذا غلام) وكان يوسف أحسن ما يكون من الغلمان وقد أعطى شطر الحسن وقيل ورثه من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن فكان حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدان والعضدين والساقين خفيف البطن صغير الدرة وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحه واذا تكلم ظهر من ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه قال الفخار فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه وقال قتادة تباشروا به حين استخرجوه من البئر وفي بيت المقدس معلوم مكانها (وأشروه) أي أسروا الوارد وأصحابه الذين كانوا معه يوسف عن بنية الرفقة فلم يظهره لهم وقيل انهم لم يخنوه ولكن أخذوا وجدانهم له في الحب وزعموا انه دفعه اليهم أهل الماء ليبيعوه لهم عصر وقال مجاهد أسره التجار بعضهم من بعض وقيل ضمير انما على في أسروه لاختاره يوسف وضمير المفعول ليوسف وذلك انه كان يأتيه أخوه وذو كل يوم بطعام فأتاه يوم خروجه من البئر فلم يجده فيه فأخذه براخوته فألقوا الرفقة وقالوا هذا غلام أبقينا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يأخذوه فيه يقتلوه وعن ابن عباس يعني اخوة يوسف أسروا شأنه وكتبوا ان يكون أخاهم وكتب يوسف شأنه مخافة ان يقتله اخوته واختار البيهقي بيعه اخوته بثمن بخس والاولى (بضاعته) أي أخذه حال كونه بضاعته أي متاعا للتجارة والبضاعة ما يبيع من المال أي يقطع منه لانها قطعة من المال الذي يجربه قيل قاله لهم الوارد وأصحابه البضاعة استبضعناها من الشام مخافة ان يشاركوهم فيه (والله اعلم بما يعملون) أي بما يترتب على عملهم التبع بحسب الظاهر من ان أسرار والنوائذ المنظوية تحت باطنه فان هذا البلاء الذي فعلوه كان سببا لنصوله الى مصر وتثقله في أطوار حتى صار له ملكها فرحم الله العباد والبلاء دخل وصافي سنى القبط الذي وقع بها كما سيأتي قيل وفيه وعيد شديد لمن كان فعله

الله قال يعنى الاربعه فيجب ليو ما حرم الله لتأخير هذا الشهر اخرا م وروى عن أبي وائل والقدال وقناة نحوه هذا وقال بعد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قوله انما النسي من زيادة في الكفر الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له العلس وكان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يأتي الرجل قاتل أبيه ولا يند اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم نسيه العام هذا العام صفوان فاذا كان العام التالي جعلنا محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغروا في صذر حرموه مع المحرم هذا محرمان فهذه صفة غريبة في النسي وفيها نظر لانها في عام انما يحرمون على هذا ثلاثة أشهر فقط وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر فأين هذا من قوله تعالى يحلون عاما ويحرمونه عاما ليواطوا عدة ما حرم الله وقد روى عن مجاهد صفة غريبة أيضا قال عبد الرزاق اننا سمعنا عن أبي الجهم عن مجاهد في قوله تعالى انما النسي من زيادة في الكفر

الآية قال فرض الله عز وجل الحج في ذي الحجة قال وكان المشركون يسمون ذي الحجة المحرم وصفر وربيع وربيع سببا وجنادى وجنادى وربيع وشعبان ورمضان وشوالا وذي القعدة وذي الحجة يحجون فيه مرة ثم يسكنون عن اخرم ولا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفرا ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون شوال رمضان ثم يسمون ذا القعدة ثم يسمون ذا الحجة ثم عاونا على هذا النصفة فكانوا يحجون في كل شهر عامين حتى اذا وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجه التي حج فوافق

ذالعدة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وهذا الذي قال مجاهد فيه نظراً أيضاً وكيف تصح حجة أي بكر وقد وقعت في ذى القعدة وأنى هذا وقد قال الله تعالى وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله يرى من المشركين ورسوله الآية انما يودى به في حجة أي بكر فلولم تكن في ذى الحجة لما قال تعالى يوم الحج الاكبر ولا يلزم من فعلهم النسي هذا الذي ذكره من دوران السنة وجههم في كل شهر عامين فان النسي حاصل بدون هذا فانهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاموا ويحرمون عوضه صفراً (١٥) والسنة على نظامها ثم في السنة الثانية يحرمون

المحرم ويتروكونه على تعريضه ليواطئوا عدة ما حرم الله أي في تحريم أربعة أشهر من السنة الا انهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتواليه وهو المحرم وتارة ينسونه الى صفر أي يؤخرونه وقد قدمنا الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار الحديث أي ان في الامر في هذه الاشهر وتحريم ما هو محرم منها على ما ثبت في كتاب الله من العدد والتوالي لا كما تعتد جهلة العرب من فصلهم تحريم بعضها بالنسي عن بعض والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة فاجتمع اليه من شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال وانما النسي من الشيطان زياده في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما فكلوا يحرمون انحرز عاموا ويستحلون مصر ويستحلون الحرم وهو النسي وقد تكلم الامام محمد بن اسحق على هذا

سبباً لما وقع فيه يوسف من الخن وما صار فيه من الاندال يجرى البيع والشراء فيه وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كما قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في وصيه بذلك (وشروه) يقال شراه بمعنى اشتراه وشرا بمعنى باعه والمراد هنا الثاني أي باعه الوارد وأصحابه أو اشتراه السياره من اخوته (بمن نجس) ناقص أو زيف وقيل ظلم وقيل حرام لان عن المحرم والحرام يسمى نجساً لانه منجوس النجاسة أي منقوصه فلم يحل لهم بيعه ولا أكل ثمنه قاله ابن عباس وقيل قليل (دراهم) بل من عن أي لادنانيه (معدودة) قيل باعوه بعشرين درهما وقيل بأربعين درهما وفيه إشارة الى انها قليلة تعد ولا تؤزن لانهم كانوا لا يزنون مادون أوقية رهى أربعون درهما أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال انما اشترى يوسف بعشرين درهما وكان أهله حين أرسل اليهم بمعصر ثلثمائة وتسعين انسا تارب لهم أنبياء ونساء وهم صديقات والله ما خرجوا مع موسى حتى كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً وقد روى في مقدار عن يوسف غير هذا المقدار مما لا حاجة الى التطويل بذكره (وكانوا) الضمير يرجع الى ما قبله على حسب اختلاف الأقوال (فيه) أي في يوسف (من الزهدين) أصل الزهد قلب الرغبة يقال زهدت وزهدت بفتح الهاء وكسر ها قال سيبويه والكسائي قال أهل اللغة زهد فيه أي رغب عنه وزهد عنه أي رغب فيه والمعنى انهم كانوا فيه من الراغبين عنه الذين لا يبالون به فلذلك باعوه بذلك الثمن الجبس لان غرضهم ان يباعوه لانهم لا شئصيل ثمنه وقيل ذلك لانهم المتقطوه والمقطط للشيء متناولون به ولما دخلوا مصر وعرضوه للبيع ترفع الناس في ثمنه (وقال الذي اشتراه من مصر) هو العزيز الذي كان على خزان مصر وكان وزير الملك مصر وهو الريان بن الوليد من العمالقة وقيل ان الملك هو فرعون موسى وقال ابن عباس كان اسم المستري قنطير وعن محمد بن اسحق الطنيز بن روح وكان اسم امرأته راعيل بنت ربايل واسم الذي باعه من العزيز مالاك ابن ذعر قيل اشتراه بعشرين ديناراً وقيل زياداً وفي ثمنه مبلغ اضعاف وزنه مسكاً وعنباً وحريراً وورقاً وذهباً ولا آتى وجواغر وكان وزنه أربع مائة رطل روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وأناه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة

في كتاب السيرة كلا ما جرداً من هذا احسن فقال كان أول من نسا الشهور على العرب فاحل منها ما حرم الله وحرم منها ما أحل الله عز وجل العلم وهو حذيفة بن عبد قيس بن عدي بن عامر بن نعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم من بعده عباد ابنه قلع بن عباد ثم ابنه أمية بن قلع ثم ابنه عوف بن أمية ثم ابنه أبو غامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعابيه قام الاسلام فكانت العرب اذا فرغت من حجة الجدة عت اليه فقام فيهم خطيباً فحرم رجبا وذال القعدة وذال الحجة ويحل الحرم عاماً ويجعل مكانه صدقاً ويحرمه عاماً ليواطئ عدة ما حرم الله فيجعل ما حرم الله يعني ويحرم

مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّانَا إِلَى الْأَرْضِ أََرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) الْإِنْفِرُوا يَعْنِي عَذَابًا أَلِيمًا وَيُسْتَبَدَّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هَذَا شُرُوعٌ فِي عِقَابٍ مِنْ تَخَلُّفٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ حِينَ طَابَتِ النَّمَارُ وَالظُّلُلُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَجَرَّةُ الْقَيْظِ فَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيُّ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلَّمْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَيُّ تَكَا سَلَمٌ (١٦) وَمَلَّمْنَا إِلَى الْمَقَامِ فِي الدَّعَةِ وَالْحَفْظِ وَطِيبِ النَّمَارِ أََرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ أَيُّ

مَا لَكُمْ فَعَامَتْ هَكَذَا رِضَا مِنْكُمْ بِالْدُّنْيَا بِدَلَامِنِ الْآخِرَةِ ثُمَّ زَهْدٌ تَسَارُكٌ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَرَغْبٌ فِي الْآخِرَةِ فَقَالَ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ كَمَا قَالَ الْأَمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنْ قَيْسٍ عَنِ الْمُسْتَوْدِئِ عَنْ أَبِي فُهْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ يَمُوجُ تَرْجَعُ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ أَفَرَدَ بِأَخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَاتَمٍ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ الْجَبَدِ الْحَصِيِّ بِجَمْعٍ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ رُوحٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بْنُ خَالِدٍ الْوُهَيْبِيُّ حَدَّثَنَا زِيَادٌ يَعْنِي الْجَدِصَاصَ عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ قُلْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ أَخَوَاتِي بِالْبَصْرَةِ أَنْتَ تَقُولُ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ثُمَّ قَالَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ فَالدُّنْيَا

فَلَمَّا اشْتَرَاهُ الْعَزِيزُ قَالَ (لَا مَرَأَتَهُ) عَنْ شُعَيْبِ الْجَبَالِيِّ أَنَّ اسْمَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ زُلَيْخَاءُ بَفَتْحِ الرَّايِ كَسْرُ اللَّامِ وَالْمَدُّ كَمَا فِي الْقَامُوسِ أَوْ بَضْمُ الرَّاءِ وَفَتْحُ اللَّامِ عَلَى هَيْئَةِ الْمَصْفَرِّ كَمَا قَالَ الشَّهَابُ وَقِيلَ اسْمُهَا رَاعِيلُ بوزن هَابِيلَ وَقِيلَ أَحَدُهُمَا لِقَبْهَا وَالْآخَرُ اسْمُهَا (أَكْرَمَى مَنَوَاهُ) أَيُّ مَنْزِلُهُ الَّذِي يَتَوَلَّى فِيهِ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ وَاللِّبَاسِ الْحَسَنِ يَعْنِي أَحْسَنَ تَعَهُدِهِ حَتَّى تَكُونَ نَفْسُهُ طَيِّبَةً فِي صَحْبَتِنَا وَسَا كُنْتُمْ فِي كُنْفِنَا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ كَيْفَ أَبُو مَنَوَالٍ وَأُمُّ مَنَوَالِ لَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ رَأَى هَلْ تَطِيبُ نَفْسُهُ بِشَوَائِكِ عِنْدَهُ وَهَلْ يَرَاغِي حَقَّ زَوْلِكَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ أَكْرَمَى نَزَاتِهِ وَالْمَنَوَى مَحَلُّ التَّوَلَّى وَهُوَ الْإِقَامَةُ وَكَرَامُ مَنَوَاهُ كِتَابَةٌ عَنْ أَكْرَامِهِ عَلَى أَبْلَغِ وَجْهِهِ وَأَتَمُّ لَانٍ مَنْ أَكْرَمَ الْمَحَلَّ بِإِحْسَانِ الْإِسْرَةِ وَاتَّخَذَ الْفَرَاشَ وَنَحْوَهُ فَقَدْ أَكْرَمَ ضَيْفَهُ بِسَائِرِ مَا يَكْرُمُ بِهِ أَوْ الْمَقَامَ مَقْعَمًا كَمَا يَقَالُ الْجُلُوسُ الْعَالِي وَالْمَقَامَ السَّامِي وَمِنْهُ قَوْلُ آزَادٍ

قَلْبِي الَّذِي هُوَ الْوَالِدُ طَالَ نَوَاهُ * آتَ إِلَيْكَ فَكَرَمَى مَنَوَاهُ

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ أَفْرَسَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ الْعَزِيزِ حِينَ تَنَرَسَ فِي يَوْسُفَ فَقَالَ لَا مَرَأَتَهُ أَكْرَمَى مَنَوَاهُ الْآيَةُ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي أُمْتُ. وَمَنْ قَالَ لَا يَبْهَامَا بَتِ اسْتِجَارَةٍ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حِينَ اسْتَقْبَلَ عَمْرَ (عَمْرَى أَنْ يَنْفَعَنَا) أَيُّ يَكْنِيْنَا بِأَعْضَاءِ الْمَهْمَاتِ مِمَّا شَتَّاجَ فِيهِ إِلَى مِثْلِهِ أَوْ أَنْ أَرْدَنَا بِعَيْنِهِ بَعْنَاهُ بِرَيْحٍ (أَوْ تَخَذَهُ وَلَدًا) أَيُّ تَتَبَّاهُ فَجَعَلَهُ وَلَدًا لِتَأْقِيلِ كَانَ الْعَزِيزُ حَصُورًا لَا يَأْتِي النِّسَاءُ أَوْ كَانَ عَقِيمًا لَا يُولِدُ لَهُ كَمَا جَرَى عَلَيْهِ الْقَانِئِيُّ وَالْأَصْدَهَائِيُّ تَبَعًا لِلْكَشَافِ وَقَدْ كَانَ تَنَرَسَ فِيهِ أَنَّهُ يَتَوَلَّى فِيهِمَا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْمَمْلُوكَةِ (وَكَذَلِكَ) إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقْدِمُ مِنَ النِّجَانَةِ مِنَ اخْتَوَافِهِ وَأَخْرَاجِهِ مِنَ الْخَبِّ وَعُطْفِ قَلْبِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ أَيُّ مِثْلُ ذَلِكَ التَّمَكِّينِ الْبَدِيعِ (مَكَالِ يَوْسُفَ) يَقَالُ مَكْنَةً فِيهِ أَيُّ أَثْبَتَهُ فِيهِ وَمَكْنٌ لَهُ فِيهِ أَيُّ جَعَلَ لَهُ فِيهِ مَكَانًا وَلِتَقَارِبِ الْمَعْنَيْنِ يَسْتَعْمَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ يَعْنِي أُعْطِيْنَاهُ مَكَانَةً وَرَبَّةً عَالِيَةً (فِي الْأَرْضِ) أَيُّ فِي أَرْضٍ مَصْرُوحَةٍ صَارَتْ مَكْنًا لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَبَلَّغَ مَا بَلَّغَ مِنَ السُّلْطَانَةِ (وَلِنَعْلَمَهُ) هُوَ عِلْمُهُ عَلَى مَعْلُومٍ كَأَنَّهُ قَبِيلٌ فَعَلَّمَا ذَلِكَ التَّمَكِّينَ لِنَعْلَمَهُ أَوْ كَانَ ذَلِكَ الْإِنْجَاءَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ أَوْ مَعْطُوفٌ عَلَى مَقْدَرٍ وَهُوَ أَنْ يَقَالُ مَكَالِ يَوْسُفَ لِيَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مَا يَتَرْتَّبُ مِمَّا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَلِنَعْلَمَهُ (مَنْ تَأْوِيلُ الْإِسْرَةِ) أَيُّ عِبَارَةِ الرُّوَايَةِ وَتَفْسِيرُهَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالتَّأْوِيلُ قَبْلُ فَهَمَّ أَسْرَارُ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ وَسَمِعْنَا مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا مَانِعَ مِنْ

جَامِضٍ مِنْهَا وَمَاتِي مِنْهَا عِنْدَ اللَّهِ قَبِيلٌ وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ الْأَعْمَشِ فِي الْآيَةِ الْأَقِيلِ قَالَ كَرَادَ الرَّاكِبُ وَقَالَ حُلُّ

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ الْوَفَاةَ قَالَ أَتَوَلَّى بِكَفْنِي الَّذِي أَكْفَنَ فِيهِ أَفْطَرَالِيَهُ فَلَمَّا وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ تَطَرَّأَ إِلَيْهِ فَقَالَ أُمَامِي مِنْ كِبَرٍ مَا أَخَافُ مِنَ الدُّنْيَا الْإِعْذَانُ وَلِي ظَهْرُهُ وَبِكِي وَهُوَ يَقُولُ أَفْ لَكَ مَنْ دَارَانَ كَانَ كَثِيرًا لِنَدَائِلِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا لِنَصْرِ وَانْ كَأَمْتُ لِي غُرُورٌ ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ فَقَالَ الْإِنْفِرُوا يَعْنِي عَذَابًا أَلِيمًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ اسْتَنْفَرِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيَاةً مِنَ الْعَرَبِ فَتَنَّا قُلُوبَهُمْ فَأَمَّا بَنِي الْقَطْرِ فَكَانَ عَذَابُهُمْ وَيُسْتَبَدَّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ أَيُّ لِنَصْرَةِ

نبيه واقامته كما قال تعالى وان تتولوا نستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ولا تضروهم شيئا ولا تضرنا والله شيا بتوليكم عن الجهاد ونكولكم وتنالكم عنه والله على كل شيء قدير أي قادر على الانتصار من الاعداء بدونكم وقد قيل ان هذه الآية وقوله انفروا خفا واثقالا وقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله انهم منسوخات بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة روى هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم ورد ابن جرير وقال انما هذا فيمن دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فقتل (١٧) عليهم ذلك فلور كوه لعرقبوا عليه وهذا

النجاء والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (الانصر وه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين انفسه ما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) يقول تعالى الا تنصروه أي تنصر وارسلوه فان الله بالنصر ومؤيده وكافيه وما ظفمه كما تولى نصره اذا أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أي بكر بن أبي قحافة فلما آلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسبروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع ان يطاع عليهم ثم أحد فيخلص الى الرسول عليه الصلاة والسلام منهم أذى لجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبتسه ويقول يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما كما قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا

جمل ذلك على الجميع (والله غالب على أمره) أي على أمر الله لا يتبع منه شيء ولا يغالبه عليه غيره من مخلوقاته انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه ومن جملة ما يدخل تحت هذا العام كما يفيد ذلك اضافة اسم الجنس الى الضمير ما يتعلق يوسف من الامور التي أرادها الله سبحانه في شأنه وقيل المعنى انه كان من أمر يعقوب أن لا يتص رؤياه على اخوته فغلب أمر الله سبحانه حتى قصت عليهم حتى وقع منهم ما وقع وهذا بعيد جدا (واكرأكثر الناس لا يعاون) أي لا يطاعون على غيب الله وما في طبعه من الاسرار العظيمة والمحكم النافعة وقيل المراد بالاكثر الجميع لانه لا يعلم الغيب الا الله وقيل ان الله سبحانه قد يطلع بعض عبده على بعض نبيه كما في قوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وقيل المعنى لا يعلمون ان الله غالب على أمره وحسم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر وقيل ما عو صانع يوسف وما يريد منه (ولما بلغ أشده) قال سيدي به الاشديع واحده شدة نحو نعمة وأنعم وقال الكسائي واحده شديزنا قتل وقال أبو عبيدة انه جمع لا واحده من لفظه عند العرب وخالفه الناس في ذلك وهو من الشد وهو لربط على الشيء والعقد عليه والاشد هو وقت استكمال القوة ثم يكون بعده النقصان قيل هو ثلاث وثلاثون سنة قاله ابن عباس وقيل ثمان عشرة سنة قاله سعيد بن جبيرة قيل خمس وعشرون سنة قاله عكرمة وقيل أربعون سنة قاله الحسن وقيل ثلاثون سنة قاله السدي وقيل بلغ الحلم وبه قال ربيعة والشعبي وقيل عشرون سنة قاله النخعي وقيل غير ذلك مما قد قدمنا في النساء والانعام قال الراغب وفيه نبيه على ان الانسان اذا بلغ هذا القدر يتقوى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يرأيه ولم يقل ثما واستوى كما قال في شأن موسى في سورة القصص لان موسى كان قد بلغ أربعين سنة وهي مدة النبوة فقد استوى وتم بالحمل أعباء الرسالة وأسرار النبوة وأما يوسف فلم يكن اذ ذاك بلغ هذا السن (آية الله) هو ما كان يقع منه من الاحكام في سلطان ملك مصر (وعلم) هو العلم بالحكم الذي كان يحكمه وقيل العقل والفهم والنبوة والفتنة قاله مجاهد وقيل الحكم هو النبوة والعلم هو العلم بالدين وقيل علم الرويا ومن قال انه أوتي النبوة صيا قال المراد بهذا الحكم والعلم اللذين آتاهما الله هو الزيادة فيهما (وكذلك) أي مثل ذلك الجزاء العجيب (تجزى الحسنين)

(٣ - فتح البيان خامس) هم امامنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدثه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا تحت قدميه قال فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما أكرهه في الصحبة وللهذا قال تعالى فانزل الله سكينته عليه أي تأيده ونصره عليه أي على الرسول صلى الله عليه وسلم في أشهر النوايا وقيل على أبي بكر وروى عن ابن عباس وغيره قالوا لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل معه سكينته وهذا الاية في تحدد سكينته خاصة بتلك الحال ولهذا قال وأيده بجنود لم تروها أي الملائكة وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا قال ابن عباس يعني بكلمة الذين كفروا

الشرك وكلمة الله هي لا اله الا الله وفي الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعا ويقاتل جبة ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقوله والله عزيز أي في انتقامه وانتصاره منيع الجنب لا يضام من لاذيابه واحتج بالمثل بخطابه حكيم في أقواله وأفعاله (انفروا خنفا فاثقلا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) قال سفيان الثوري عن أبيه عن أبي الخضري مسلم بن صبيح هذه الآية انفروا خنفا فاثقلا (١٨) أول ما نزل من سورة براءة وقال معمر بن سليمان عن أبيه قال

رغم حصرى الله ذكره ان نائما كانوا عسى ان يكون أحدهم عليا وكبيرا فتقول الى لا آثم فانزل الله انفروا خنفا فاثقلا الآية أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقول أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وحنم على المؤمنين في المروج معه على كل حال في المشرق والمغرب والعسير واليسر فقال انفروا خنفا فاثقلا وقال علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة كهول وشبانا مع الله عذر أحدهم خرج الى الشام فقاتل حتى قتل وفي رواية قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتى على هذه الآية انفروا خنفا فاثقلا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله فقال أرى ربنا استنفرنا شيئا وشبابا جهزوني يا بني فقال بنوه يرسل الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات ففحق لغزو عنك فأتى فركب البحر فمات فلم يجدوا له خبرا فدفنوه فيه لم بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها

فكل من أحسن في عمله أحسن الله جزاءه وجعل عاقبته الخير من جله ما يجزيه به وهذا عام يدخل تحته جزاء يوسف على صبره الحسن دخولا أوليا قال الطبري هـ ذوان كان مخرجه ظاهرا على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله كما فعل هذا يوسف ثم أعطيته ما أعطيته كذلك أنجبك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وأمكن لك في الأرض والأولى ما ذكرناه من حل العموم على ظاهره فيدخل تحته ما ذكره ابن جرير الطبري قيل معنى الخسنيين المؤمنين وقيل الصابرين على النوائب قاله الفحل وقيل المهتدين (ورأوته) أي حين بلغ مبلغ الرجال قاله ابن زيدوه هذا رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعدما أمر أنه باكرام منواه وقوله وكذلك كآل يوسف الى هنا اعتراض جى مبدأ تؤذ باللقصة ليعلم السامع من قول الامران ما لقيه يوسف من الفتن التي سبقتك بها صليها له غاية جملة وعاقبة حميدة وأنه محسن في جميع أحواله لم يصد عنه في السرا والضرأ ما يحل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة اغناها هو التمكن البالغ المفهوم من كلام العزيز والمرادة الارادة والطلب برفق ولين وقيل هي مأخوذة من الروادى الرفق والثاني يقال أرودى أى أهملنى وقيل مأخوذة من رادى واداء وذهب لطلب شئ كأن المعنى اسم افعلت في مرادتها فعل الخادع ومنه الرائد لمن يطلب الماء والكلاء وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راد فلان جلدته عن نفسه وراودته هي عن نفسه اذا دأب كل واحد منهم ما لوط والجماع وهي عبارة عن التحلل في مواقعة ابائها وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومطالبة المدين ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أفعال الخير الفعل ومن الاخر سببه وهذا باب لطيف المثل مبنى على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشئ يقام مقامه ويطلق عليه اسم كافي قولهم كذا تدان أى كذا تجزى تجزى فان فعل البادى وان لم يكر جزاء أطلق عليه اسم كونه سببا للجزاء وهذه قاعدة متقدمة مستمرة فكان يوسف عليه السلام لما كان ما أعطيه من كمال الخلق والزيادة في الحسن والجمال سببا لراودة امرأة العزيز له مراد او المراد بالمداولة مجرد المداغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو طلب منها الترك وانما قال (التي هو في بيتها عن نفسه) ولم يقل امرأة العزيز أو زليخا قصدا الى زيادة

التقرير

وهذا ما روى عن ابن عباس وعكرمة وثبي صالح والحسن البصري ومهر بن عطية ومقاتل ابن حيان والشعبي وزيد بن أسلم أنهم قالوا في تفسير هذه الآية انفروا خنفا فاثقلا كهول وشبانا وكذا قال عكرمة والعمالي ومقاتل بن حيان وغير واحد وقال مجاهد شيئا وشبابا وشيوخا وغنيا ومساكين وكذا قال أبو صالح وغيره وقال الحكم بن عتيبة مشاغل وغيره شاعيل وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى انفروا خنفا فاثقلا يقول انفروا نسا طا وغير نسا طا وكذا قال قتادة وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد انفروا خنفا فاثقلا قال فان فينا النضيل وذو الحاجة والصنعة والشغل والمتيسر به أمره

فأنزل الله وأبى أن يعذرهم دون أن ينفروا خفا وثقالاً أي على ما كان منهم وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضاً العسر واليسر وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية وهذا اختيار ابن جرير وقال الإمام أبو عمرو والأوزاعي إذا كان النفير إلى دروب الروم نفر الناس إليها خفاً ولربما نواذوا كان النفير إلى هذه السواحل نفروا إليها خفاً وثقالاً وركاباً ومشاة وهذا تنصّل في المسئلة وقد روى عن ابن عباس ومحمد بن كعب وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة وسأني الكلام على ذلك إن شاء الله وقال السدي (١٩) قوله انفروا خفاً وثقالاً يقول غنياً وفقيراً وقوي

وضعيفاً فجاءه رجل وكان عظيم سمياً فاشكى إليه وسأله أن يأذن له فأبى فقتلته يومئذ انفروا خفاً وثقالاً فأنزلت هذه الآية أشهد على الناس فذهبها الله فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا انصوا لله ورسوله وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن محمد قال شه أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر أنهم لم يخاف من غزاة للمسلمين إلا عاماً واحداً وكان أبو أيوب يقول قال الله تعالى انفروا خفاً وثقالاً فلا أجدني إلا خفياً أو ثقلاً وتقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقمه حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن عيسى حدثني أبو راشد الخراساني قال وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على تابوت من ثياب الصيافة بجمص وقد فصل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له قد أعذر الله اليك فقال أئت علينا سورة البعوث انفروا خفاً وثقالاً

التبرير فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك قيل لو أحدى ما حملك على ما أتت عليه مما لا خيرة فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكيتها ينادي بكونه في أعلام عارج العنة والبراءة والعدول عن اسمها للمحافظة على السر وأولاً استهجان بكرها قال قتادة في امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) أي أطبقتهما قيل في هذه الصيغة ما يدل على التكثير بعدد المحال وهي الأبواب فيقال غلقت الأبواب ولا يقال غلق الباب بل يقال أغلق الباب وقد يقال أغلق الأبواب قيل وكانت الأبواب سبعة كما في البيضاوي وغيره وإنما غلقتها الشدة خوفاً (وقالت هيت لك) قرأ أبو عمرو وعاصم والأعشى والكسائي بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء وبهم أقرأ ابن عباس وابن جرير والحسن ومجاهد وعكرمة ككف وليت قال ابن مسعود لا تنطعوا في القراءة فأنشأ هو مثل قول أحدكم هلم وتعال وقرأ أبو إسحق النخعي بكسر التاء وقرأ ابن كثير وغيره بضم التاء مع فتح الهاء وقرأ أبو جعفر ونافع بكسر الهاء وفتح التاء بوزن قيل وغيض وهذه القراءات سبعة وقرأ علي وابن عباس بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة وضم التاء وقرأ ابن عامر وأهل الشام بكسر الهاء وبالهمزة وفتح التاء وهذه كلها لغات في هذه الكلمة وهي في كلها اسم فعل بمعنى هلم وتعال أي أقبل إلا في قراءة كسر الهاء بعدها همزة وتاء منسومة فأنشأ بمعنى تهيأت لك وأنكرها أبو عمرو وقال باطل جعلها بمعنى تهيأت اذهب فاستعرض العرب حتى انتهت إلى الذين هل تعرف أحد يقول هكذا وأنكرها أيضاً الكسائي وقال النحاس هي جريدة عند البصريين لأنه يقال هاء الرجل وبهي هياة ورج الزجاج التراءة الأولى وتكون اللام في لك على التراءة الأولى التي هي فيها معنى اسم الفعل للبيان أي لك أقول هذا كما في هلم لك قال الخويزي هيت جاء بالحركات الثلاث فالفتح للغة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيهاً بحيت وإذا بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قائم مقام المصدر كما في لك أقول هذا وإن لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر الفعل فيكون اسم فعل إما خبر أي تهيأت وأما امر أي أقبل وقال في الصحاح يتال هوت به وهيت به إذا صاح به ودعاه وقد روى عن ابن عباس والحسن أنها كلمة سر يائية معناها أنها تدعو إلى نفسها أو قال الكسائي هي لغة لأهل حوران وقعت إلى

وقال ابن جرير حدثني حبان بن زيد الشمرعي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والياً على حصص قبل الأفسون إلى الجراجة فرأيت شيخاً كبيراً هماً قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فبين أغار فاقبالت إليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنصرنا الله خفاً وثقالاً إلا أنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيده الله فيبقيه وإنما يتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكروا لم يعبد إلا الله عز وجل ثم رغب تعالى في النفقة في سبيله وبذل المهج في مرضاته ومرضاته رسول الله فقال وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أي هذا خير لكم من الدنيا والآخرة فلا تتركوا النفقة فقللاً

فيعلمكم الله أموال عدوكم في الديار ما يدخلكم من الكرامة في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تكفل الله للجهاد في سبيله ان يوفاه ان يدخله الجنة أو يردده الى منزله بما مال من اجر أو غنمة ولهذا قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ومن هذا القبيل ما رواه الامام أحمد حدثنا عبد بن أبي عدي عن حميد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل أسلم قال أجدني كارهها قال أسلم وان كنت كارهها (لو كان عرضا قريبا وسفرا (٢٠) فاصدا لا تبعول ولكن بعدت عليهم الشقة واسجدون بالله لو استطعنا لخرجنا

معكم به لكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) يقول تعالى مؤجبا للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقعدوا بعدما استأذنوه في ذلك منظرين انهم ذوو اعدا ولم يكونوا كذلك فقال لو كان عرضا قريبا قال ابن عباس غنمة قريبة وسفرا قاصدا أي قريبا أيضا لا تبعول أي الكاذب جاؤا معك كذلك ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة الى الشام وسجدون بالله أي لكم اذ ارجعتم اليهم واستطعنا لخرجنا معكم أي لو لم يكن لنا اعدا لخرجنا قال الله تعالى به لكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون (عفا الله عنهم اذن لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتاب قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو حصين بن سليمان الرازي حدثنا سفيان بن عيينة

أهل الحجاز عنها تعال قال أبو عبيدة فسألت شيخا عالمنا من حوران فذكر انهم الفهم وعن ابن عباس معناه للباب القبطية وقال الحسن أي عليك بالبريانية وقيل هي بالعبرانية ومن قال انهم ابغى لغة العرب يقول ان العرب وافقت أصحاب هذه اللغة فكلمت بهم اعلی وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في التنوير ولغة العرب الترك في العساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وعن مجاهد انهم لغة عربية تدعوهم بها الى نفسها (قال معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذ الله ما دعوتني اليه يقال عاذ به وعذاؤه معاذ الله ما دعوتني اليه (رب) تعليل للامتناع الكائن منه بعض الاسباب التي هي أقرب الى فهم امرأة العزيز وقيل الضمير للشأن فكأنه قيل ان الشأن المظهر هذا وهو ربي أي سيدي الذي ربابي العزيز (أحسن منواي) حيث أمر بك بقوله أكرمي مثواه فكيف أخونته في أهله وأجيئك الى ماتريدين من ذلك وقال الزجاج ان الضمير لله سبحانه أي ان الله ربي تولاني باطفافه فلا أركب ما حرمة قال مجاهد والسدي وابن اسحق يعبد جدا ان يطلق نبي كريم على مخلوق انه ربه ولو بعني السيد لانه ليس بمخلوق كافي الحقيقة والاول فيه ارشادها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه (انه لا يفلح الظالمون) تعليل آخر للامتناع منه عن اجابته والسلاح الظنر والمعنى انه لا يظفر الظالمون بطالهم ومن جسدنا الظالمين الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز من يوسف وقيل معناه انه لا يستعد الزناة (ولقد) لام قسم (همت به وهم بها) يقال هم الامر اذا قصده وعزم عليه والمعنى انه هم بمخالطتها كما همت بمخالطته ومال كل واحد منهم ما الى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية وبالجملة الحقيقة ولم يكن من يوسف عليه الصلاة والسلام القصد الى ذلك اختيارا كما يفيد ما تقدم من استعاذته بالله وان ذلك نوع من الظلم بل قد من غير رضا ولا عزم ولا تصميم والتصد على هذا الوجه لا مؤاخذة فيه فلا خلاف في ان يوسف لم يأت بفاحشة وانما الخلاف في وقوع الهم ولما كان الانشاء معصومين عن الهم بالمعصية والتصد اليها أيضا تكلم أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف فن ذلك ما قاله أبو حاتم قال كنت اقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن فلما أتيت على قوله ولقد هممت به وهم بها قال هذا على التقديم والآخر كانه قال ولقد

عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاذة أحسن من هذا انه باع نفسه قبل المعاتبة فقال عفا الله عنه لم اذنت لهم وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما سمعون ثم أزل التي في سورة النور فخص له في أن ياذن لهم ان شاء فقال فاذا استأذنتك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم الآية وكذا روى عن عطاء الخراساني وقال مجاهد نزلت هذه الآية في أناس قالوا استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم ياذن لكم فاقعدوا ولهذا قال تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا أي في ابداء الاعذار وتعلم الكاذبين يقول تعالى علا تركتهم لما استأذنتك فلم تاذن لاحد منهم في القعود ولتعلم الصادق منهم

في اظهر اطاعتك من الكاذب فانهم قد كانوا مصرين على التعود عن الغزو . ولهذا أخبر تعالى انه لا يستأذنه في القعود عن الغزو
أحد يؤمر بالله ورسوله فقال لا يستأذنك أي في التعود عن الغزو والذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
لأنهم يرون الجهاد قربة فلما ندبهم اليه بادروا وامتلأوا والله عليهم بالمقتدين انما يستأذنك أي في التعود عن الجهاد الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الآخر أي لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم وارتابت قلوبهم أي شككت في صحة ما جئتهم به فهم في
رويهم يترددون أي يتعبدون يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى وليست لهم (٢١) قدم ثابتة في شيء فهم قوم حيارى هلكى لا إلى
هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن ينزل الله

فان تجده سبيلا (ولو أرادوا الخروج
لأعدوا له عدة ولكن كره الله
البعائم فنبطهم وقبيل اعدوا
مع القاعد دين لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا
خلالكم يغيونكم الفتنة وفيكم
سماعون لهم والله عليهم بالظالمين)
يقول تعالى ولو أرادوا الخروج
أي معك في الغزو ولأعدوا له عدة
أي لتأهبوا له ولكن كره الله البعائم
أي أبغض ان يخرجوا معك قدرا
فنبطهم أي أخرهم وقبيل اعدوا
مع القاعد دين أي قدرا ثم بين
تعالى كراهيته لخروجهم مع
المؤمنين فقال لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا أي لأنهم جبناء
مخذولون ولا وضعوا خلالكم
يغيونكم الفتنة أي ولا سراعوا
السير والمشى بينكم بالتميمة
والبغضاء والفتنة وفيكم سماعون
لهم أي مطيعون لهم ومستحسنون
لحديثهم وكلامهم يستمعونهم
وان كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدي
الى وقوع شر بين المؤمنين وفساد
كبير وقال مجاهد وزيد بن أسامة

هت به ولو ان رأى برهان ربه لهم بها وقال أحد بن يحيى نعلب أي هت زلجنا بالمعصية
وكانت مصرية وهم يوسف ولم يوقع ما هم به فيين الهمين فرق ومن هذا قول الشاعر
همت بهم من نية لؤلؤ * شفت غيلات الهوى من فؤاديا

فهذا انما هو حديث نفس من غير عزم وقيل هم هم أي هم بضربها وقيل هم بمعنى تني
أن يتزوجها وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف الى ما قدمنا من حمل اللفظ
على معناه اللغوي ويدل على هذا قوله الا أتى ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وقوله وما
أبرى نفسي ان النفس لامارة بالسوء ومجرد الهم لا ينافي المعصية فانها قد وقعت العصمة
عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب قال الشهاب قال الامام المراد بالهم في الآية
خطور الشيء بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على
الميل اليه وطلب شربه ولكن يمتعه دينه عنه وكلمة الفاتنة حسنا وجالا لنهاية الشباب
النهي التوى فتقع بين الشهوة والعفة وبين النفس والعقل مجاذبة ومنازعة قالهم هنا
عبارة عن جوازيب التبعية ورؤية البرهان جوازيب الحكمة وهذا الايدل على حصول
الذنب بل كمالا كان هذه الحال أشد كانت القوة على لوازم العبودية أكل انتهى
ويؤيده ما في البيضاوي المراد به مع عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة
لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيقة بالمدح والاجر الجزيل
من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشاركة الهم كقولك قتلته
لولا أخف الله انتهى وقيل انهم بالفاحشة وأتى ببعض مقدماتها وقد أفرط الزمخشري
في التشنيع عليه والصحيح نزاعه عن الهم انحرأ أيضا وقد أطنب الرازي في هذا المقام
فليراجعه وقيل معنى الهم انها اشتته واشتهاها قال الخفاجي والله أحسن الوجوه
وجواب لوفي (ولو ان رأى برهان ربه) محذوف أي لفعل ما عزم به واختلف في هذا
البرهان الذي رآه ما هو فقيل ان زلجنا قامت عندان هت به وهم بها الى صم لها في زاوية
البيت فسترته بثوب فقال ما تصنعين قالت استحي من الهى هذا ان يرى على هذه الصورة
فقال يوسف أنا أولى ان استحي من الله تعالى روى معنى هذا عن علي بن أبي طالب وفي
رواية عن علي بن الحسين وقبل انه رأى في سقف البيت مكتوبا ولا تدبروا الزنا انه كان
فاحشة وقيل رأى كذا مكتوبا عليها وان عليكم لحافطين كراما كآتين وقيل ان البرهان

وان جرير وفيكم سماعون لهم أي عيون يستمعون لهم الاخبار ويؤيدونها اليهم وهذا لا يبقى له اختلاف من يخرجهم معهم بل هذا
عام في جميع الاحوال والمعنى الاول أظهر في المناسبة بالسياق واليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين وقال محمد بن اسحق كاد
استأذن فيما باعني من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبي بن سلول وأحد بن قيس كانوا أشرفا في قومهم فنبطهم الله لعلهم اذا
يخرجوا فيفسدوا عليه جندهم وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرعهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم
ثم أخبر تعالى عن تمام علمه فقال والله عليهم بالظالمين فاخبر بأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ولهذا قال

تعالى لو خرجوا فيهم ما زادكم الا خبالا فاخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا و مع هذا ما خرجوا كما قال تعالى ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لامحسبهم ولولا انهم لم يولوا و هم معرضون وقال تعالى ولولا ان كتبنا عليهم ان يقتلوا لنسفناكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولولا انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تنبيها واذا لا يبينهم من ادنا اجر اعظمها وهدى بهم صراطا مستقيما والايات في هذا كثيرة لتدبغوا النفس من قبل وقلوب الك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله و هم كارهون (٢٢) يقول تعالى محرضا اليه عليه السلام على المنافقين لتدبغوا النفس من قبل

وقلبوا الك الامور اى لتدبغوا انفسهم فذكرهم و اجالوا آراءهم في كيدك وكيدك انك لا تدان دينك واخذاه مسد طويلا بذلك اول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة رمت به العرب عن قوس واحدة وماربتهم وود المدينة و منافقوها فلما نسر الله يوم بدر وأعلا كلمته وقال ابن أبي وأصحابه هذا امر قد توجه قد خلوا في الاسلام ظاهرا انهم كلفوا الله الاسلام وأهل اعظمهم ذلك وساء لهم واهذا قال تعالى حتى جاء الحق وظهر امر الله و هم كارهون (ومنهم من يقول انذني ولا تنسني الا في النسوة سقطوا وان جهنم لحيطه بالكافرين) يقول تعالى ومن المنافقين من يقول لك يا محمد انذني في الشهود ولا تنسني بالخروج معك بسبب الجوارى من نساء الروم قال الله تعالى الا في النسوة سقطوا اى قد سقطوا في النسوة يقولهم هذا كما قال محمد بن اسحق عن الزهري وزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن قتادة وغيرهم قالوا قال رسول الله صلى الله

هو تدبره عهد الله وبنافقه وما أخذ على عباده وقيل نودي يا يوسف أنت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السلفاء وقيل رأى صورة يعقوب على الجدار عاضا على أنفله يتوعده به قال قتادة وأكثر المفسرين والحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة والنخعي وقيل رأى جبريل في صورة يعقوب قاله ابن عباس وقيل لم يعقوب فصر يده في صدره فخرجت منه نوء من أنامله وقيل رأى جبريل قاله البيضاوي قال الخفاجي هذا مع ما في القمص ونحوه لا يليق ذكره وتركه أحسن منه كله مما لأصل له والنص ناطق بخلافه والبرهان ما عنده من العلم الدال على تحريم ما عت به وأنه لا يمكن الهم ففلا عن الوقوع فيه هذا هو الذي يجب اعتقاده والجل عليه انهم وعلى الجملة ان كل ذلك الاخرافات وأباطيل تعجز الآذان وتردها العقول والأذهان ويل لمن لا كها والنسوة اسمها وصداقها والحاصل ان رأى شيئا حل بينه وبين ما هم به والله أعلم بما هو وقد أطل المفسرون في تعيين البرهان الذي رأوا بلا دليل يدل عليه من السنة المطهرة واختلقت أقوالهم في ذلك اختلافا كثيرا (كذلك) اشارة الى الارادة المدلول عليها بقوله رأى برهان ربه أو الى التثبيت المتهوم من ذلك أى مثل تلك الارادة أو رضاء أو مثل ذلك التثبيت بنسائه (النصرف عنه السوء) أى كل ما يسوءه (والنساء) هو كل أمر مضر الطبع وقيل السوء الخيانة للز في أهل والنساء الزنا وقيل السوء الشهوة والنساء المباشرة وقيل السوء الثناء القبيح والاولى الحل على العموم فيدخل فيه ما يدل عليه السياق دخولا أو لا قال أبو السعود وفيه آية بيينة وحجة قاطعة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يتبع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط ولا قيل لنصرفه عن السوء والنساء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العنة والعصمة فأمل (المن عبادنا الخالصين) تعليل لما قبله قرئ بكسر اللام وقعها وهي سبعية والمعنى على الاولى ان يوسف قد كان ممن أخلص طاعته لله وعلى الثانية انه كان ممن استخلصه الله للرسالة وقد كان عليه السلام مختصا مستظلا وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زميرتهم من أول أمره بقضية الجملة الاممية لان ذلك حدث له به ان لم يكن كذلك فانهم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية قال الخفاجي قيل فيه ان كل من له دخل في هذه القصة

عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أني سلمة هل لك يا جد العام في اجلاء بنى الاضر فقال يا رسول الله أو شهد تأذن لي ولا تنسني فوالله لقد عرف قوت ما رجل أشد عجباً بالنساء مني وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاضر ان لا أصبر عنهم فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك في الجد بن قيس نزلت هذه ومنهم من يقول انذني ولا تنسني الآية أى ان كان انما يخشى من نساء بنى الاضر وليس ذلك به فاسقة قط فيه من الفسقة بخلافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم وهكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد انها زلت في الجد بن قيس وقد كان الجد بن قيس هذام من أشرف

بني سلمة وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجدي بن قيس على اناج له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واني داودا من الجن ولكن سيدكم النبي الجعد الايض بشر بن البراء بن معرور وقوله تعالى وان جهنم لمحيطه بالكافرين أي لا تحمدهم عنها ولا مهرب (ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة يتولوا قد أخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعلم تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد اوة هو لاله لا نه مهمه اصابه من حسنة أي فتح ونصر وظفر على الاعداء (٢٣) مما يسره ويسر أصحابه ساءهم ذلك وان تصبك مصيبة يتولوا قد أخذنا امرنا من

قبل أي قد اخترنا من مبايعته من قبل هذا ويتولوا وهم فرحون فأرشد الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال قل أي اهل من يصيبنا الا ما كتب الله لنا أي نحن تحت مشيئته وقدره وهو مولانا وسيدنا وملكونا وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل (قل هل تربصون بنا الا احدي الحسنين ونحن نترص بكم ان يصيبكم الله بعداب من عنده أو يبدىنا فترصدوا انامكم مترصون قل ان الله طوعا أو كرها لا يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نسقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) يقول تعالى قل اهل يا محمد هل تربصون بنا أي تنتظرون بنا الا احدي الحسنين شهادة أو ظن بكم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ونحن نترص بكم

شهد براءته وشهد الله بقوله انصرف الخ وشهد هو على نفسه بقوله هي راودتني وشهو وشهدت زليخا بقولها وان قد راودته عن نفسه فاستعصم وسيدها بقوله انك كنت من الخاطئين وابليس بقوله لا غوينهم أجمعين الاعداء منهم المخاصين فتضمن اخباره بانه لم يغوه ومع هذا كله لم يبرئه أهل القصة كما قيل

وكتفتي من جن إبليس فارتقي * بي الحال حتى صار إبليس من جندي

(واستبقا الباب) أي تسابقا اليه وهذا كلام متصل بقوله ولقد هممت به وهم بها الآية وما بينهما اعتراض جريبه بين المعطوفين تقرير انزاهته عليه السلام ووجه تسابقهما ان يوسف يريد الفرار والخروج من الباب وامرأة العزيز تريد ان تسبقه اليه لتمتعه عن الفتح والخروج ووجد الباب هنا وجمعه فيما تقدم لان تسابقهما كان الى الباب البراني الذي يخلص منه الى خارج الدار قال السيوطي يادر اليه يوسف للفرار وهي للتشبث به فامسكت ثوبه (وقدت) أي جذبت (قيصة من دبر) من ورائه فانشق الى أسنله والتد القطع وأكثر ما يستعمل فيما كان طولا وانقط بالطاء يستعمل فيما كان عرضا قال الشهاب في الربحانة التد والقط متقاربان معني وهما انزعان من القطع وفيه لطيفة اتفاقية لان التد قطع الشيء من نصفه أو قطعه نصفين والقط قطع الطرف كافي الشفع والشم فكأنه لكونه قليلا من القطع نقص منه العين انتهى واسناد التد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف أيضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للذي ان عبالغتها في منعه عن الخروج وبذلك يهودا في ذلك انقوت المحبوب أو تخوف الافتتاح (والأنديا سيدها الذي الباب) أي وجدنا العزيز هناك وعني بالسيد الزوج لان التبط يسعون الزوج سيدا وانما لم يقل سيدهما لان ملكه ليوسف لم يكن حقيقيا لم يكن سيدا له (قالت ماجرا من أراد باغاثك سوا) من الزنا وشهو والجملة مستأنفة كأنه قيل فما كان منها ما عندنا أن الله سيدها الذي الباب قالت هذه المقالة طلبا منها للجملة وللسرعة على نفسها فثبت ما كان منها الى يوسف أي أي جزاء يستحقه من فعل مثل فعل هذا ثم أجابت عن استفادها بتواها (الآن يسجن) أي ماجراؤه الا ان يسجن ويحتمل ان تكون مانافية أي ليس جزاؤه الا السجن وانما أتت بذكر السجن لان الحب لا ينتهي ايلام المحبوب وانما أرادت ان يسجن عندها يومين ولم ترد السجن الطويل قال الخازن وهذه

أي تنتظر بكم ان يصيبكم الله بعداب من عنده أو يبدىنا أي تنتظر بكم هذا أو هذا اما ان يصيبكم الله بعداب من عنده أو يبدىنا بسي أو يقتل فترصدوا انامكم مترصون وقوله تعالى قل ان الله طوعا أو كرها لا يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ثم أخبر تعالى عن سبب ذلك وهو انهم لا يتقبل منهم لانهم كفروا بالله وبرسوله أي والاعمال انما تصح بالابتنان ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى أي ليس اهلهم قدم صحيح ولاهمة في العمل ولا ينفقون نفقة الا وهم كارهون وقد أخبر الصادق المدوق صلى الله عليه وسلم ان الله لا يبل حتى تلوا وان الله طيب لا يقبل الا طيبا فلهذا لا يقبل الله من هؤلاء نفقة ولا

علاما لانه انما يتقبل من المتقين (فلا تجعلك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فلا تجعلك أموالهم ولا أولادهم كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال أيضا بنون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال الحسن البصري بن كثرها والنفقة منها في سبيل الله وقال قتادة هذا من المقدم والمؤخر تقديره فلا تجعلك أموالهم (١٤) ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا واختار ابن جرير

قول الحسن وهو القول الاول
 القوي الحسن وقوله وتزحق
 أنفسهم وهم كافرون يريدان عيبتهم
 حين عيبتهم على الكفر لكون ذلك
 أنكى لهم وأشد لعذابهم عيانا
 بالله من ذلك وهذا يكون من باب
 الاستدراج لهم فيما هم فيه
 (ويحلفون بالله انهم لم تكلموهم وما هم
 منكم ولا كنهم هم قوم يفرقون لو
 يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا
 لولوا اليه وهم يجمعون) يخبر الله
 تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن
 جزعهم وفزعهم وفرقهم وهاهم
 انهم يحلفون بالله انهم لم تكلموهم
 مؤكدة وما هم منكم أي في نفس
 الامر ولا كنهم قوم يفرقون أي
 فهو الذي بينهم على الخلاف
 لم يجدون ملجأ أي حصنا يتحصنون
 به وحرز يتحززون به أو مغارات وهي
 التي في الجبال أو مدخلا وهو
 السرب في الارض والنفسق قال
 ذلك في الثلاثة ابن عباس وشاهد
 وقادة لولوا اليه وهم يجمعون أي
 يسرعون في ذهابهم عنكم لانهم
 انما يتعاطونكم كمالا محبة وودوا
 انهم لا يتعاطونكم ولكن للضرورة

أحكام واهذا الميزان فيهم وحرر لان لاسلام واهله لا يزال في عز وافرورقة فلهذا كلما سمر المسلمون ساءهم ذلك فهم في
 يودون ان لا يتعاطوا المؤمنين ولهذا قال لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون (ومتهم من يلزم في الصدقات
 فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاعهم يخططون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من
 فضله ورسوله انما انتم غيبيون) يقول تعالى ومتهم أي المنافقين من يلزم أي يعيب عليك في قسم الصدقات اذا فرقتها او يتهمك
 في ذلك

يعلموا منها اذا هم يسخطون أي يغضبون لانفسهم قال ابن جرير أخبرني داود بن أبي عامر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فتسبها ههنا ووههنا حتى ذهبت قال وراه رجل من الانصار فقال ما هذا يا عدل فنزلت هذه الآية وقال قتادة في قوله ومنهم من يملئ في الصدقات يقول ومنهم من يظمن عليه في الصدقات وذكرنا ان رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله عز وجل ان تعدل ما عدلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأشباهه (٢٥) فان في أمي أشباه هذا يترن القرآن لا يجاوز

تراهم فاد اخرجوا فافقتهم لوهم ثم اذا اخرجوا فاقبلوهم فاد اخرجوا فافقتهم لوهم ثم اذا اخرجوا فافقتهم لوهم وذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفسي بيده ما أعظمكم شأ أولاً أمتكم ثم أنا أنا نازن وهذا الذي ذكره قتادة بنسبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الجحر بصره وأمه حرقوس لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين فقال له اعدل فانك لم تعدل فقال لقد ذهبت وخسرت ان لم أكن أعدل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الله ما يشاء من فضله هذا قوم يعترفوا أحدكم مسالاة مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم يرقون من الدين مروق السهم من الرمية فأيما القيمة فاقبلوهم فانهم شرقتي تحت أديم السماء وذكر بقية الحديث ثم قال تعالى منهم ما هو خير من ذلك لهم فقال ولو أنهم هم رضوا ما آتاهم ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله أنا

في قوله اسماء رويته عن نفسه وقرئ من قبل بضم اللام وكذا من دبر قال الزبيح جعلاهما غايين (وان كان قبيل قدس دبر) أي من ورائه (فكذبت) في دعواها عليه (وعوس الصادقين) في دعواه عليهما ولا يخفى ان هاتين الجملتين الشرطيتين لا تلازم بين مقدمهما وتأخيرهما لا عادة ولا عادة ولا يستقام من الشهادة في شيء وانما ذكرنا توسيع الدائرة وارضاء العنان الى جانب المرأة باجرام عسي ان يحتمل الحال في الجملة مجرى الظاهر الغالب الوقوع فليس ههنا الامجد اماره غير مطردة اذن الجازان يجذب اليها وهو مقبل عليه فيقتصد التمهيد من دبر وان يجذب وهو مدبر عنه فيقتصد التمهيد من قبل (فلما رأى) العزيز (قيمه) أي قيص يوسف (قدس دبر) كانه لم يكن رأى ذلك بعد ولم يدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة انزال وعرف خيانه امرأته وبرأه يوسف عليه السلام (قال) أي العزيز وقيل هذا من قول الشاهد والاول أرى (الله) أي الامر الذي وقع فيه الاختلاف بينكم أوان قولك ما جازم ان أراد بأهل ذلك سوءاً (من) جنس (كيدك) ومكركن وحيلكن يامعشر النسياء (ان كيدكن عظيم) مخاطب الجن لان الخيل والمكايد لا تختص بهم وانما وصف الكيد بالعظيم لان كيدهم أعظم من كيد جميع البشر في تمام مرادهم لا يتدبر عليه الرجال في هذا الباب فانه أظن وألق بالملب وأشد قاتراً في النفس وعن بعض العلماء ان أنف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفاً وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به لرجال وفي حاشية الخفاص وقيل عليه ان ضعف كيد الشيطان في مقابلة كيد الله وعظم كيدهم بالنسبة للرجال وهو ليس بشيء لانه استدل بظواهر اطلاقهما ومثله مما تعلق به النفس وتبسط يكتفي فيه ذلك القدر انتهى قال الخفناوي هذا فيما يتعلق بامر الجماع والشهوة لا عظيم على الاطلاق اذ الرجال أعظم منهم في الخيل والمكايد في غير ما يتعلق بالشهوة ثم طيب العزيز يوسف عليه السلام بقوله (يوسف أعرض عن هذا) الامر الذي جرى واكتفه ولا تعدث به حتى لا يفسد ويشيع بين الناس وقيل معناه لا تكره به ولا تهم به فقد بان عذرله ثم قبل عليه بالخطب فقال (واستغفري) يا زليخا (للذنب) الذي وقع منك قال الكرخي كان العزيز قليل الغيرة بل قال في البعران تربة مصر فتعصى هذا

(٤ - فتح البين خمس) ان الله راغبون فمضت هذه الآية الكريمة أدبا عظيماً وسريراً فاحيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله وقالوا حسبنا الله وكذلك الرغبة الى الله وحده في التوفيق اطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامتنال أوامر وتلك زواجره وتصديق أخباره والاقتناء بآثاره (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة فلوهم وفي الرقاب الغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) لما ذكر تعالى اعتراض المنافقين الجهلة علم النبي صلى الله عليه وسلم ونزولهم ناد في قسم الصدقات من تعالى الله الذي قسمها من حكمها

وتولى أمر هاتين المملكتين إلى أحد غيرهما فجزأها هؤلاء المذكورين كما رواه الامام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحرث العدائي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لم فبايعته فأبى رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له إن الله لم يرض بحكمي ولا غيره في الصدقات حتى أحكم فيها وهو جزأها عناية أصناف فان كنت من تلك الاجراء أعطيتك وقد اختلف العلماء في هذه الاصناف الثمانية هل يجب استيعاب الدفع اليها أو الى ما أمكن منها على قوانين أحدهما ان يجب ذلك (٢٦) وهو قول الشافعي وجماعة والثاني أنه لا يجب استيعابها بل يجوز

الدفع الى واحد منها ويعطى
جميع الصدقة مع وجود الباقي
وهو قول مالك وجماعة من السلف
والخلف منهم عمر و زينة وابن
عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير
وميمون بن مهران قال ابن جرير
وهو قول عامة أهل العلم وعلى هذا
فإنما ذكرت الأوصاف ههنا لبيان
المصرف لا لوجوب استيعابها
ولو جوه الحجاج والمواخذة مكان
غير هذا والله أعلم وإنما قدم التقراء
على البقية لأنهم أحوج من
غيرهم على المشهور ولشدت افتقارهم
وما جرتهم وعند أبي حنيفة أن
المسكين أسوأ من التميمي وهو
كما قال أحمد وقال ابن جرير حدثني
يعقوب حدثنا ابن عتبة الشافعي
عن عن شمة قال قال عمر رضي
الله عنه التميمي ليس بالذي لا مال له
ولكن التميمي الأخلاق الكسب
قال ابن عتبة لا خلق أغراب
عندنا والجمهور على خلافه وروى
عن ابن عباس وشجاهد والحمز
البصري وابن زيد وأخبار ابن جرير
وغير واحد أن التميمي هو الأعنف
الذي لا يسأل الناس شيئا والمسكين

والله لا يشافها الاسد ولودخل فيها لا يقي (انك كنت) بسبب ذلك (من الخاطئين)
 أي من جنسهم يرمي يوسف بالخطيئة والجملة لتعميل لما قبلها من الامر بالاستغفار ولم يقل
 من الخاطئين تغليباً للصدق على المؤث كما في قوله وكانت من القاتلين ومعنى من
 الخاطئين من المتعمدين يتدل خطأ اذا اذنب متعمداً وقيل التقدير من القوم الخاطئين
 وقيل ان القاتل يوسف ولا امرأة العزيز به هذه المقالة هو الشاهد الذي حكم بينهما
 (وقال نسوة) قرى نسوة بنهم النون قاله أبو البقاء وبكسرهما والمراد جماعة من النساء
 ويجوز التذكير في الفعل المستدالين كما يجوز التأنيث ولا واحد له من لفظه بل من
 معناه وهو امرأة والنساء جمع كثره أيضاً ولا واحد له من لفظه قيل ولكن خساوهن امرأة
 ساقى العزيز وامرأة خبازة وامرأة صاحب دوابه وامرأة صاحب سمكة وامرأة حاجبه
 (في المدينة) هي مصر وقيل مدينة الشمس (امرأة العزيز) يعني زليخا (تراودفتها)
 الفتى في كلام العرب الشاب الحديث السن والفتاة الشابة والمراد هنا غلامها يقال فتأى
 وفتأى أى غلامى وفتأتى وفتأتى بالاضارع تنبيه على ان المراودة صارت مخفية عليها وديدا
 دون المأنى فلم يثن راودت (عن نفسه) وهو يتنصع منها (قد شغفها حباً) أى غلبها حبه
 وقيل دخل حبه في شغافها قال أبو عبيدة شغاف القلب غلافه وهو جلدته عليه وقيل هو
 وسط القلب وعلى هذا يكون المعنى دخل حبه الى شغافها فغاب عليه وقرئ شغفها بالعين
 المهملة قال ابن الاعراب معناه أحرى حبه عليها قال الجوهري شغفها الحب أحرق قلبه
 وقال أبو زيد أمرضه وقال النحاس معناه عنفأ كثر أهل اللغة قد ذهب بها كل مذهب
 لأن شغاف الجبال أعاليها وقد شغف بذلك شغفها سكان الغين المعجمة اذا ولع به وقرأ
 الحسرق قد شغفها بنهم الغين وحكى بكسرهما قال النحاس ولا يعرف ذلك في كلام العرب
 لا شغفها بنهم الغين ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة
 البيضاء فمكانه أصق حبه بقلها كالصوق الجلدة بالكبد وقيل المعنى ان حبه دخل الجلدة
 حتى أصاب القلب وقيل ان حبه قد أحاط بقلها كاحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي
 حجب حبه قلبها حتى صارت لا تتعقل شيئاً سواه وقال السمين خرق شغاف قلبها أى حجاب
 القلب وهو جلدة رقيقة وقيل سويداء القلب وقيل داء يصل الى القلب من أجل الحب
 وقيل جلدة رقيقة يقال لها انسان القلب ليست محيط به والمعنى خرق حجابها وأصابه

هو الذي يبال ويخوف ويتبع الناس وقد قاده الشمرس به زمانة والمساكن العديج الجسم فاحرقه

وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم بن محمد بن قنبر عن المهاجرين قال سفيان الثوري يعني ولا يعنى الأعراب منها شيئا وكذا روى عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبيزي وقال عكرمة لا تقولوا للفقراء المداين مساكين إنما المداكين أهل الكتاب وللتذكر الحديث تعاقب لكل من الأصناف الثمانية فأما الفقراء فعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى روى أحمد وأبو داود والترمذي ولا أحمد أيضا والشافعي وابن ماجه عن أبي هريرة مثله وعن عبيد الله بن

عدي بن الحيارن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة فقلب فيهما البصر فزأهما جلد من فقال ان شئت ما أعطيتكما ولا حظ فيها الغنى ولا لقوى مكتسب رواه أحمد وأبو داود والنسائي بإسناد جيد قوى وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح روى عنه عمر بن نافع سمعت أبي يقول ذلك قلت وهذا قول غريب جدا بتقدير صحة الإسناد فان أبابكر هذا وإن لم ينص أبو حاتم على جهالة لكنه في حكم المجهول وأما المساكين فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده القيمة والله يستأن (٢٧) والقرعة والزكاة قالوا فما المسكين يا رسول الله

قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفتن له فيمصدق عليه ولا يسأل الناس شيئا رواه الشيخان وأما العادلون عليهم الجباة والسعاة يستحقون منها قسطا على ذلك ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم الصدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملهما على الصدقة فقال ان الصدقة لا تسأل لخدم ولا لآل محمد انما هي أو سأل الناس وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركا قال فلم يرزل يعطيني حتى صار أحب الناس الي بعد أن كان أبغض الناس الي كما قال الامام أحمد حدثنا زكريا بن عدي أنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

فأحرقه بجمرة الحب يقال شغف الهوى قلبه شغفا وشغفه المال زين له فأحبه فهو مشغوف به وعن ابن عباس شغفها عليها وقال قتلهما حب يوسف وقال قد عانها قال أراد في سجة المرحان ولا استبعاد في اظهار العشق من جانب المرأة أما ترى في القرآن الكريم غرام امرأة العزيز يوسف عليه السلام والاعراب يذكرون العشق في تغزلاتهم من جانب المرأة بالنسبة الى الرجل خلاف العرب وسببه ان المرأة في دينهم لا تنكح الا زوجا واحدا لفظ عيشتهم منوط بحياة الزوج واذا مات تحرق نفسها معه والعشق بين الرجل والمرأة وضع الهوى فتارة يكون من الطرفين وتارة يكون من أحدهما واذا لوحظ الوضع الا الهوى فالمرأة معشوقة عاشقة والرجل عاشق معشوق وأهل الهند وافقوا العرب في التغزل بالنساء بخلاف الفرس والترك فان تغزلهم بالامارات فقط ولا ذكر من المرأة في اغزالهم ولعمري الحجة انهم لما لم يكون حيث يضعون الشيء في غير موضعه كما قال سبحانه وتعالى في قوم لوط فلما جاء أمرنا جعلنا آلها سفاهل وأمطرنا عليهم نجارا من جعل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يعبثون والعرب في التغزل بالامارات مقلدون لهم والاصل فيهم التغزل بالنساء ومعهم ما يتحدث بهن وأما الاعراب فلا يعرفون التغزل بالامارات قطعا انتهى هذا وقد عقد رحمه الله الفصل الرابع من كتابه المذکور في بيان أقسام المعشوقات والعشاق وأورد لكل قسم منها أشعارا بحسب ما أوردت من رتبة باعتبار الجهات المتنوعة والحيثيات المتنوعة ان رآها السالى تذوب طبيعته الجادة والعادل تشعل ناره الخادمة (انالترها) جملة متفرقة لمنهون ما قبلها أي نعلمها في فعلها هذا وهو المرادة لفتاها (في ضلال) عن طريق الرشدا والصواب (مين) واضح لا يلتبس على من تظرفيه حيث تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر (فلما سمعت) امرأة العزيز (تكرهن) أي بغيتن اياها سميت الغيبة سكر الاشتر كما هي في الاخفاء وقيل أردن ان يتوسلن بذلك الى رغبة يوسف فلهاذا سمى قولهن مكررا وقيل انهما أكرمت اليهن فافشين سرهما فسمى ذلك مكررا عن سفيان قال أي بعمالهن وكل مكر في القرآن فهو العمل (أرسلت اليهن) أي تدعوهن اليها لتقيم عندها عندهن وليتظرن الى يوسف حتى يتبعن فيما وقعت فيه قيل دعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فيهن هؤلاء اللاتي غيرن (واعدت لهن متكئا) أي أعدت وأحضرت زهيات لهن محالين يتكئ عليهن من غمار

حنين والله لا بغض الناس الي تقال يعطيني حتى انه لاحب الناس الي ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري به ومنهم من يعطى ليحسن اسلامه وينبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرفهم ما أتت من الابل مائة من الابل وقال لا أعطى الرجل وغيره أحب الي منه خشية ان يكبه الله على وجهه في نار جهنم وفي الحديثين عن أبي سعيدان عليهما السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبية في تربتها من اللبن فقسمها بين أربعة نفر الا قرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير وقال أنالهم ومنهم من يعطى لما يرجى من اسلام نظرائه ومنهم من يعطى ليجبي الصدقات عن بليبه

أوليدفع عن حوزته، سليمان النضر من اطراف البلاد ومحل تفصيل هدا في كتب الفروع والله أعلم وهل تعطى المؤلفة على الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف فروى عن عمرو عامر الشعبي وجاعة انهم لا يعطون بعده لان الله قد أعز الاسلام وأهله ويمكن اهتم في البلاد وأذل لهم رقاب العباد وقال آخرون بل يعطون لانه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم وأما الرقاب فروى عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبيرة والنخعي والزهرى وابن زيد (٢٨) أنهم المكاتبون وروى عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول

الثقفي والليث بن رضى الله عنهما وقال ابن عباس والحسن لا بأس ان تعتق الرقبة من الزكاة وهو مذهب أحد ومالك وأحق أى ان الرقاب أهم من ان يعطى المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها المستغنى لا وقد ورد في ثواب الاعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة وان الله يعتق بكل عضو منها عضوا من معتقها حتى التبرج بالفرج وما ذاك الا لان الجزاء من جنس العمل وما تعجزون الا ما كنتم تعملون وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله عونهم المغارزى في سبيل الله والمكاتب والمسيكين يريد الاداء أو الناحى الذى يريد العتاق رواه الامام احمد وابن السني والابا داود وفي المسند عن البراء بن عازب قال جاء رجل فقال يا رسول الله دأبى على عمل يقربنى من الجنة وياعدنى من النار فقل اعطى النسيئة وفك الرقبة فقال يا رسول الله أوليسا واحدا قال لا اعطى النسيئة ان تفرد بعقبتها وفك الرقبة ان تعين في غيرها وأما العارمون فهم أقسام منهم من

ومسايد وأعتدت من الاعتداد وهو كل ما جعلته عدة لشيء وقرئ متكا مخففا غير مهموز والمك هو الاتزاع بلغة القبط قاله مجاهد وعن عكرمة قال هو كل شيء يطع بالسكين وعن النخعي مثله وقيل ان ذلك هو لغة أزد شتوأة وقيل حكى ذلك عن الاخفش قال انما هو الورد وقرأ الجمهور متكا بالهمزة والتشديد وأصبح ما قبل فيه انه الخلس وقيل هو الطعام وبه قال ابن جبير والحسن وفتادة وسمى متكا على الاستعارة قاله الخازن أى للاتكاه عنده على عادة المتكبرين فى كل الفواكه فهو مجاز مرسل وعلاقته الخبازة وقيل المتكا كل ما اتكى عليه عند طعام أو شراب أو حديث وحكى القتيبي انه يقال اتكا ناعند فلان أى أكلنا ويؤيد هذا قوله (وأتت كل واحدة منهن سكيما) فان ذلك انما يكون لشيء يأكله بعد ان يتطعمه والسكين تذكرة وتوث قاله الكسائي والبراء قال الجوهري والغالب عليه التذكير والمراد من اعطاهم الكل واحد سكيما ان يتطعم ما يحتاج الى التطبيع من الاطعمة فيل وكان من عادته ان يأكل النعم والنواكب بالسكين وكانت تلك السكاكين خنجر ويمكن انهم أرادوا بذلك ما يقع منهن من تطبيع أيدين (وقالت) ليوسف (اخرج عليهن) أى فى تلك الحالة التى هن عليهن من الاتكاه والاكل وتطبيع ما يحتاج الى التطبيع من الطعام (فلما رأينه أكبرن) أى أعظمته قال مجاهد واحترمه وبهنه ودعشن عند رويته من شدة جماله وقيل أمين وقيل أمدين ومنه قول الشاعر

إذا ما رأين الفعل من فوق قلته • صهبا وأكبرن المني المقطرا

وقال الزهرى أكبرن بمعنى حسن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة أى دخلت فى الكبر بالحيض وقال ابن عباس حسن من الفرج ووقع من ذلك دهشا وفزع لما شاهدته من جماله السابق وحسنه الرائى وأكبر ذلك أبو عبيدة وغيره وقولوا ليس ذلك فى كلام العرب قال الزجاج يقال أكبرته ولا يقال حسنه فليس الا بكبر بمعنى الحيض وأبواب الزهرى يقال يجوز ان يكون هذا الوقف لاهاء الكتابة وقد زيف هذا بان هاء الوقف تسقط فى توصيل قال ابن النجار ان الهاء كناية عن مصدر النعل أى أكبرن اكبرا بمعنى حسن حيضا رسمى الحيض اكبرا لكون البلوغ يعرف به كأنه يدخلهم سن الكبر فيكون فى الأصل كناية أو مجازا وهذا منقول عن قتادة والسدي وقال الرازى

وعندى

أوليس من ذنبا فلمه فاجتف جماله أو غرم فى أدائه أو فى معصية ثم تاب فهو لا يدفع اليهم

والاصل فى هذا الباب حديث في قصة بن مخارق الهلالي قال تحملت جملة جملة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فأمرك بها قال ثم قال يا قبيصة ان المسئلة لانشل الا لحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يسلك ورجل أصابته جملة اجتاح ماله فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يشوم ثلاثة من ذوى الجحاش قومه فيقولون لقد أصاب فلانا فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواما من عيش أو قال

سدا دامن عيش فاسواهن من المسئلة سحت يا كاهها صاحبها سحتارواه مسلم وعن ابي سعيد قال اصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ابتاعها فكثرت دينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغرمائه خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك رواه مسلم وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد ان ابا ناصدة بن موسى عن ابي عمران الجوني عن قيس بن زيد عن قاضي المصريين عن عبد الرحمن بن ابي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الله بصاحب الدين يوم القياسه حتى يوقف بين يديه فيقول يا ابن آدم فيم اخذت هذا الدين وفيه ضيعت حقوق الناس فيقول يا رب انك تعلم (٢٩) الى اخذته فلم آكل ولم اشرب ولم

أضيع ولكن أتى على يدي اما حرق واما سرق واما وضيعه فيقول الله صدق عبدى أنا أحق من قضى عندك السر فيدعوا الله بشئ فيضعه في مكانه ميزانه فترج حسنة على سيئة فيدخل الجنة بفضل الله ورحمته وأما في سبيل الله فتهم الغزاة الذين لاحق لهم في الديوان وعند الامام احمد والحسن واسحق والشيخ من سبيل الله للعديث وكذلك ابن السبيل وهو المسافر المحتار في البلد ليس معه شئ يستعين به على سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه الى بلده وان كان له مال فكذلك السكك فممن أراد انشاء سفره من بلده وليس معه شئ فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وايابه والدليل على ذلك الآية وما رواه الامام ابو داود وابن ماجه من حديث معمر بن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا لينة العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غار في سبيل الله أو مسكين تصدق

وعندي انه يحتمل وجه آخر هو انهم انما كبرته لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وشاهدن فيه مهابة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتماد بهن فمعجبين من تلك الحالة فلا جرم كبرته وأعظم منه وجل الآية على هذا أولى انتهى (وقطعن أيديهم) أى جرحنها حتى سال الدم وليس المراد به القطع الذى يبين منه البطل المراد به الخدش والحز وذلك معروف في اللغة كما قال النحاس يقال قطع يد صاحب اذا خدشها وقيل المراد بالأيدي هنا أناملهن وقيل كما مهن والمعنى أنه لما خرج يوسف عليهن أعظمته وودشن وراعهن حسنه حتى اضطربت أيديهن فوقع القطع عليها ومن في شغل عن ذلك بما دهمهن مما تطيش عنده الاحلام وتضطرب له الابدان وتزول العقول قال مجاهد فاعلم حسن الابالدم وقال قتادة ابن أيديهم حتى ألقينها والاصح أنه كان قطعها عن غير ابانة وعن منبه عن ابيه قال مات من النسوة اللاتي قطعن أيديهن تسع عشرة امرأة كذا (وقال حسن الله) قرئ بآثبات الالف وبجذوها وباسكان الشين حاش لله وقرئ حاش الاله وحاش الله قلت آثبات الالف وحذفها قراءتان سبيعيتان وهذا بالنظر للنطق وأما رسم المصنف فلا تكتب فيه ألف بعد الشين وان نطق بها قال الزجاج أصل الكلمة من الحاشية بمعنى الناحية يقال كنت في حاشية فلان أى في ناحيته فتوالت حاشا زيد من هذا أى تباعدت منه وقال أبو علي حو من الحاشية وقيل ان حاش حرف وحاشا فعل وكلام أهل الخوف في هذه الكلمة معروف ومعناها هنا التنزيه كما تقول آسى القوم حاشا زيد اعني حاشا لله برأه الله وتنزيهه له أى عن صفة العجز عن خالق هذا أو مثاله قال مجاهد حاشا لله معاذ الله (مأذأ بشرأ) اعمال ماعل ليس هى لغة أهل الجاز وبهذا نزل القرآن كنهذا الآية وكقولها ما هن أمهاتهم وأما بنو تميم فلا يعملونها عمل ليس وقال الكوفيون أصله ما هذا يبشر فلما حذفت الباء حذف قال أحمد بن يحيى نعلب اذا قت مز يد غنطاني فوضع الباء موضع نصب وهكذا سائر حروف الخفض وأما الخليل وسيبويه وجهور التحوين فقد اعلموا عمل ليس وبه قال البصريون والبحث مقرر في كتب النحو وشواهد وجوه وقرأ الحسن ما هذا بشرأ على أن الباء حرف جر والشين مكسورة أى مأذأ بعد بشرى وهذه قراءة ضعيفة لا تناسب ما بعدهما من قوله ان هذا انما ملك كرم قال الخفاجي ورد بانها صحيحة رواية ودراية أما الاول فلا انها

عليه منها فاعدى لغنى وقد رواه الشيخان عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا في سبيل الله وابن السبيل أو جارية فقير في يد لك أو يدعوك وقوله فريضة من الله أى حكمه قد رابقت قدر الله وفرضه وقدرته والله عليم حكيم أى عليم بطواهر الامور وبواطنها وبصالح عباده حكيم فيما يقوله ويفعله ويشعره ويحكم به لاله الا هو ولا رب سواه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يقول تعالى ومن

المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون هو أذن أي من قال له شيئا صدقه فينا ومن حدثه صدقه فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا روى معناه عن ابن عباس وشجاعه وقناعة قال الله تعالى قل أذن خير لكم أي هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أي يصدق المؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم أي وهو حجة على الكافرين ولهذا قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (يخافون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كنتم مؤمنين ألم يعلموا أنه من جداد الله ورسوله فأنله (٣٠) نارجهم ثم خالفهم بذلك الخزي العظيم) قال قتادة في قوله تعالى يخافون بالله

رواها في المبعج عن عبد الوارث بسند صحيح وأما الثاني فلأن من قرأهم هذه قرأ ملك بكسر اللام فتصيح المقابلة أي ما هذا عبد الله ثم يثب بل سيد كريمة مالك انتهى وإنما نفي عنه البشرية لما شاهدت فيه من الجمال العبقري ولأنه قد برز في صورة قد لبست من الحسن البديع ما لم يهده على أحد من البشر ولا تبصر المصبرون ما يقاربه في جميع النعمة البشرية ثم نفي عنه البشرية بهذه العلامة التي بين له الملكية وإن كن لا يعرفون الملائكة ولكن (إن هذا الأمل كريمة) على الله لأنه قد تقر في الطباع وركب في النفوس أنهم على شكل فوق شكل البشر في الذوات والصفات وإن لاني أحسن من الملك وأنهم فائقون في كل شيء كما تقر فيها أن الشياطين على العكس من ذلك ولا أفيج منهم والمقصود من هذا إثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف وأعلم أنه لا يلزم من قول النسوة هذا أن الملائكة صورهم أحسن من صور بني آدم فأنهم لم يقله لدليل بل حكم على الغيب بمجرد الاعتبار المترك في طباعهم وذلك ممنوع فإن الله سبحانه يقول لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وهذا هو هذا أنه لم يكن شيء مثله من أنواع الخلق في حسن تقويمه وبكل صورته لما قاله صاحب الكشف في هذا المقام هو من جملة تعصباته لما رجع في عقله من أقوال المعتزلة على أن هذه المسئلة أعني مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر ليست من مسائل الدين في ورد ولا صدر في أغنى عباد الله عنها وأوجههم إلى غيرها من مسائل التكليف قال قتادة قلن ملك من الملائكة من حسنهم وغبابة جماله وأخرج أحمد وغيره عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أعطى يوسف وأمه شطر الحسن وقد وردت روايات عن جماعة من السلف في وصف حسن يوسف والمبالغة في ذلك فبعضها أنه أعطى نصف الحسن وفي بعض النسخ وفي بعضها ثلثه (قالت فذا لكن أرى لمتنى فيه) الإشارة إلى يوسف والخطاب للنسوة أي غيرتني فيه قالت لهن هذا لما رأيت افتتانهم بيوسف الظاهر أنه قد نسي أو معنى فيه في حبه وقيل الإشارة إلى حب فالتعجب له والمعنى فذا لكان الحب الذي لمتنى فيه هو ذلك الحب والأول أولى ورجحه ابن جرير ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى يقولن عشقت عبدا الكنعاني تقول هو ذلك العبد الذي صورتن في أنس كن ثم لمتنى فيه قال الزمخشري قالت فذا لكن ولم تقل هذا أو غيره ثم رجعوا لمتنله في الحسن واستحسني أن يحب ويستثنى به فلام البعد

لكم ليرضوكم الآية قال ذكرنا أن رجلا من المنافقين قال والله إن هؤلاء الخياريين وأشرافنا وإن كان ما يقول فحمد الله هم خير من الخير قال فسمعهما رجل من المسلمين فقال والله إن ما يقول فحمد الله خلق ولانت أشر من الخياريين قال فسمي بها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال ما حدثت على الذي قلت ففعل يا تعن ويخالف بالله ما قال ذلك رجلا من الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأمر الله الآية ونوله تعالى ألم يعلموا أنه من جداد الله ورسوله الآية أي ألم يتعجبوا ويعلموا أنه من جداد الله عز وجل أي شاقه ومباريه وإنه وإن في جد والله ورأه في جد فأنله نارجهم خالف فيها أي مهاذا عبد الله الخزي العظيم أي وهذا هو الذي العظيم والشفاعة الكبير (يخافون بالله ورسوله ما يفرضكم به ويدين له أمركم كقوله تعالى ثم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم قل استمروا إن الله يخرج المنافقين) قال مجاهد يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله

أن لا ينشئ عليا سيرا هذا وهذه الآية شبهة بقوله تعالى وذاب ولا حولك يعلم بحديثه الله ويقولون عفا أنفسهم لولا بعدنا الله عما يقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال في هذه الآية قل استمروا إن الله يخرج المنافقين من قلوبهم ما يفرضكم به ويدين له أمركم كقوله تعالى ثم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم إلى قوله ولتعرفنهم في حق القول الآية وهذا قال قتادة كانت تسمى هذه السورة النافحة فأنفحة المفضين (ولن سألهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستمرون لا تعتذروا فقد كفر تبعا بما كنتم ان نفع عن طائفة منكم فذهب

طائفة بانهم كانوا مجرمين) قال أبو عبد الله المديني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال رجل من المنافقين لأبي قريظ ناهولاه الأربعة بانطوناوا كذبنا السدة وأجبنا عند اللقاء فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون إلى قوله كانوا مجرمين وان رجله ليسفعان الحجارة وما يلمتن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر (٣١) قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس

سأريت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب أسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المسجد كذبت ولكم منافق لا تخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن فقال عبد الله بن عمرو أنارأيتهم متعلقا بحطب ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون الآية وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا وقال ابن ابي حنيفة وكان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له خنيس بن حشير يهرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض أئحسبون جلاد بني الأصغر كئثال العرب بعضهم بعضا والله لكانا بكم غدا مقرنين في الحبال اربابا وترهبنا للامؤمنين فقال

هنا لعظيم رتبته وأبعد رتبته وحالته عن رتبة البشر وأصل اللوم الوصف بالقيح وما أحسن اقتباس السيد غلام على آ زاد رجه الله تعالى من هذه الآية في قوله اياصوا حبا كذا مقطعة * فذلك الذي لم تنفي فيه ثم لما أظهرت عذرتهم ما عند النسوة بما شاهدته مما وقع فيه عند ظهوره لهن ضائق صدرها عن كنتم ما تجده في قلبها من حبه فأقرت بذلك وصرحت بما وقع منها من المارادة له فتألت (ولقد) اللام لام قسم (راودته عن نفسه فاستعصم) أي استعصم واستعصم واستعصى مما أريد طالبا للعصمة نفسه عن ذلك وانما صرح بذلك لانها علمت أنه لا ملامة عليها منهن وانهم قد أصابوا ما أصابها عند رويته ثم توعدته ان لم يفعل ما تريده منه كاشنة بخليلاب الحياء هاتكة لستر العفاف فتألت (ولئن) لزم قسم (لم يفعل ما أمره) أي ما قد أمرته فيما تقدم ذكره عند أن أغلقت الابواب وقالت هيت لك (السجين) أي المعتقل في السجن (وايكونا من الصاغرين) من صغر بكسر الغين يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا أي من الاذلال لما يناله من الاهانة ويسلب عنه من النعمة والعزة في زعمها فلما سمع يوسف مقالها هذه عرف أنهم اعزمت منها مع ما قد علم من نفاق قولها عند زوجها العزيز (قال) مناجيا للرب سبحانه يا رب السجن أي دخوله الذي أوعدتني به هذه وقرأ عثمان السجين بفتح السين وهو مصدر جنة جنة (أحب إلى) أي أترعندي لانه مشتقة قليلا نافذة أثرها راحت جليلا أبدية (عما يدعونني إليه) من مؤاناتها التي تؤدي إلى الشقاء والوقوع في المعصية العظيمة التي تذهب بخير الدنيا والآخرة وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبرز كل منها بصورتها اللاتقية بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعتهم اليه وانما هو والسجين شران أهون ما وأقرهم ما إلى الاينار السجن وان كان في أحدهما مشقة وفي الآخر لذة قال بعضهم لولم يتل هذا لم يتل به فالاولى للعبد أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على من كان يسأل الصبر والتعبير عن الاينار بالحببة لحسن مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستبعاته واستناد الدعوة إليهم جميعا لان النسوة رغبته في مطاوعتها وخوفه من مخالفتها وقيل

خنيس بن حشير والله لو ددت إلى أفانسي على ان يضرب كل رجل منا مائة جلدة واننا نلج ان ينزل فينا قرآن لمنا لتكم هذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر أدركك القوم فانهم قد احترقوا فاما لهم عما قالوا فان أنكروا فقتل لي قلم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه فتألت وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على راحته فجعل يقول وهو آخذ بحقيبها يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال خنيس بن حشير يا رسول الله قد بدى اسمي واسم أبي فكان الذي عني هذه الآية خنيس بن حشير فسمى عبد الرحمن وسأل الله ان يقتلهم به الا يعلم عكابه فقتل يوم اليامة

ولم يوجد له أثر وفان قتادة وثان سألنهم ليقولن انما كان فحوض ونلعب قال فيمنما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ووركب من المنافقين يسرون بين يديه فتأخر ابا بلن هذا ان يفتح قصور الروم وحصونها هيما تهيما فاطلع الله نبيه على ما قالوا فقال على هؤلاء نفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا خلفوا ما كذا لا فحوض ونلعب وقال بكرمة في تنسير هذه الآية كان رجل من ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم اني اسمع آية انا اعني بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاق قبلا في سيدك لا يقول احدا ما غسلت ثوبا كنت انا قد غسنت قال فاصيد يوم اليامة (٣٢) فاما من احدم من المسلمين الا وقد وجد غير وقوله لا تعذرنا

قد كثرتم بعد ايمانكم أي بهدا
المقال الذي استهزأتم به ان تعف
عن طائفة منكم تعذب طائفة أي
لا يعفى عن جميعكم ولا بد من
عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين
أي مجرمين به هذه المأثلة الشاجرة
الطائفة (المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف ويقبضون
أي يمسكوا الله فليسهم ان المنافقين
هم المنافقون وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم
الذين فيها هم وحسبهم واعظهم الله
والهم عذاب متين يقول تعالى
منكر اعي المنافقين الذين هم على
خلاف صفات المؤمنين ولما كان
المؤمنون يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر كان هؤلاء
يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويتقبضون أي يمسكوا
عن الانشاق في سبيل الله نسوا الله
أي نسوا كرامة قدسهم أي عامهم
معاملة من نسيتهم كقولته تعالى
فاليوم نساكم كما نسيتم انما يومكم
هذا ان المنافقين هم الناسقون
أي الخاسرون عن طريق الحق

انهم جميعا عذبوا الى أنفسهم أولادهم ان يحضروهم والاول اولي ثم جرى على هذا
في نسبة الكيد اليهم جميعا فقال (وان لا تصرف عني كيدهم) في تحييب ذلك الى
وتحسينه الذي بان تبيتنى على ما انا عليه من العصمة والعفة أما الكيد من امرأة العزيز
فقد قصه الله سبحانه في هذه السورة وأما كيد سائر النسوة فهو ما تقدم من الترغيب
له في المطاوعة والخوف من مخالفة وقيل انها كانت كل واحدة تحلوه وحدها
وتقول له يا يوسف اقض لي حاجتي فانها خير لك من امرأة العزيز وقيل انه خاطب امرأة
العزيز فاصبح لها شاب جماعة النساء تعظيمها أو وعدوا عن التصريح الى التعريض
والكيد الاحتيال وحزم (أصاب الهم) على أنه جواب الشرط أي أمل الهم واتبعهن
وطارعهن من صبا بهن واذن مال واشتاق ومنه قول الشاعر
الى عند صبا قلبي • وعند حبا يصبي

والصبوة الميل الى الهوى ومنه ربح العيال ان النفس تستطعمها وتغيل اليها الطيب نسجها
وروحها (وأكن من الجاهلين) أي ممن يجعل ما يحرم ارتكابه ويقدم عليه أو ممن
يعمل عمل الجاهل أو ممن يستحق صفة الذم بالجهل وفيه أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه
عن جهالة قال أبو السعود وهذا فرع منه عليه السلام والنجاة الى الطاف الله جريا على
سنة الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل
وسلب القوى والقدرة عن أنفسهم مبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيد عن باظهار
أن طاقته بالمداومة كشول المستعيت أدركني والاعلمك لانه يطلب الاجبار والالقاء
الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن (فاستجاب له ربه) لما قال
وان لا تصرف عني كيدهم كان ذلك منه تعرضا للدعاء وكأنه قال اللهم اصرف عني
كيدهم فالاستجابة من الله تعالى هي بهذا الاعتبار لانه لم يتقدم دعاء صريح منه عليه
السلام وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضى فالله عليه السلام لا يفتي من اظهار
اللطف (فصرف عنه كيدهم) حسب دعائه والمعنى أنه لطف به وعصمه عن الوقوع في
المعصية لانه اذا صرف عنه كيدهم لم يقع شيء مما رمنه منه ووجه اسناد الكيد قد تقدم
(انه هو السميع العليم) تعاليل لما قبلها من صرف الكيد أي انه هو السميع لدعوات
الداعين له العليم بأحوال المتعجبين اليه وفيه أنه لا يتدراخذ على الانصراف عن المعصية

الداخلون في طريق الهدالة وقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم أي على هذا الصنيع
الذي ذكر عنهم خالدين فيها أي ما كثر فيهم المخالدين هم والكفار هي حسبهم أي كفايتهم في العذاب واعظهم الله أي طردهم وأبعدهم
ولهم عذاب متين (كالدالين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم لآلههم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون)
يقول تعالى أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقوله بخلاقهم قال الحسن يدينهم وقوله وخضتم

كالذي خاضوا في الكذب والباطل أولئك حبطت أعمالهم أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنهم فاسدة في الدنيا والآخرة أولئك هم الخاسرون لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب قال ابن جرير يجمع عمرو بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس في قوله كالذين من قبلكم الآية قال ابن عباس ما أشبه الدابة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل شبهناهم لأنهم قالوا والله الذي نفسي بيده اتبعناهم حتى لو دخل الرجل جحر ضب لدخلتموه قال ابن جرير وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زياد بن مهاجر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص) صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لمتبعن

سفن الذين من قبلكم شبرا شبر وذراعا ذراع وباعا يباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله قال الكتاب قال فن وهكذروا أبو عيسى عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد قال أبو هريرة من قبلكم الآية قال أبو هريرة الخلاق الدين وخفة ثم كالذي خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس وروم قال فهل الناس إلاهم وهذا الحديث له شاهد في الصحيح (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله إلا لهم ولكن كانوا أنسهم يظلمون) يقول تعالى واعظا هؤلاء المنافقين الميكذبين للرسول ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم أي ألم يخبروا خبر من كان قبلهم من الأمم المكذبة للرسول قوم نوح وما أسابهم من الغرق العاصم لجميع أهل الأرض الأمن آمن بعبد الله ورسوله نوح عليه السلام وعاد كيف أهل كوا بالريح العقيم لما كذبوا هو داء عليه السلام وثمود

الابصصة الله واطن به وهو معنى قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثم بدأهم) أي ظهر للعزير وأصحابه الذين يدبرون الأمر معه ويشيرون عليه في الرأي وأما ما قل بدأ فقال سيدي به هو ليس بجننه أي ظهر لهم أن يسجنوه قال المبرد وهذا غلط لأن الفاعل لا يكون جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدأ وهو المصدر مخذوف الفاعل لدلالة الفعل عليه وقيل الفاعل المخذوف هو رأى أي وظهر لهم رأى لم يكونوا يعرفونه من قبل وهذا الفاعل مخذوف لدلالة ليس بجننه عليه (من بعد ما رأوا الآيات) قيل هي القميص وشهادة الشاهد وقطع الأيدي وقيل هي البركات التي فتحها الله عليهم بعد وصول يوسف إليهم ولم يجد ذلك فيهم بل كانت امرأته هي الغالبة على رأيها الفاعل له لما يوافق هواه في يوسف وإنفاذ ما تقدم منها من الوعيد له بقولها وأنت لم يسهل ما أمره ليسجن وليكون من الصاغرين قال ابن عباس الآيات قد القميص وأثرها في جسد وأثر السكين وقالت امرأة العزيز إن أنت لم تسجنه ليصدقه الناس وعن ابن زيد قال من الآيات كلام الصبي وقال قتادة الآيات حرهن أيدين وقد القميص وأقول إن كان المراد بالآيات الآيات الدالة على برائه فلا يصح مخذوف أيدي الصدرة منها لأنه وقع من ذلك لما حصل لهم من الدخلة عند ظهوره لهم مع ما ألبسه الله سبحانه من الجلال الذي ينتفع عند مشاهدته عرى الصبر ويضعف عند رؤيته قوى التجمل وإن كان المراد الآيات الدالة على أنه قد أعطى من الحسن ما يباب عقول المبصرين ويذهب بادرالك الناظرين فتم يصح مخذوف أيدي من جملة الآيات ولكن ليس هذه الآيات هي المرادة هنا (ليس بجننه) اللام جواب قسم مخذوف على تقدير القول أي قائلين والله ليس بجننه وقرئ بالذوقية على الخطاب أما للعزير ومن معه أوله وحده على طريق التعميم وفي الخطوط للمقرر في قال القضاي سجن يوسف يوم صير من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثر نبين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن يبلغها سبع سنين والآخر موسى وقد بني على أثر مسجد يعرف به جده موسى انتهى ثم أطال في بيان حال ذلك السجن وموضعه وما يصنع هناك قبل وسبب ظهور هذا الرأي لهم في سجن يوسف أنهم أرادوا استراق القالة وكتب ما شاع في الناس من قصة امرأة العزيز معه وقيل إن العزيز قصد بسجنه الخيلولة بينه وبين امرأته لما علم أنها قد صارت بمكان من حبه لا تبالى

(فتح البيان خامس) كف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وعفروا الناقة وقوم إبراهيم كيف نصره الله عليهم وأيد بالمعجزات الظاهرة عليهم وأهلك ملكهم غروذين كنعان بن كوش الكنعاني أعهذه الله وأصحاب مدين وهم قوم شعيب عليه السلام وكيف أصابهم الرجفة وعذاب يوم الطلبة والمؤتفكات قوم لوط وقد كانوا يكتفون في مداش وقال في الآية الأخرى والمؤتفكة أهوى أي الأئمة المؤتفكة وقيل أم قراه وهي سدوم والغرض أن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطا عليه السلام وإيمانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين أتتهم رسالهم بالبينات أي بالجميع والدلائل القاطعات فما كان الله ليظلمهم أي بإهلاكه إياهم لأنه أقام عليهم الحجج بأرسال الرسل وأزاحة العلل ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق فصاروا

الى ما صاروا اليه من العذاب والدمار) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويلبسون الله ورسوله اولئك سيرجهم الله ان الله عزيز حكيم) لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذلك صفات المؤمنين المحودة فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض أى يتناصرون ويتعاقدون كما جاء في الصحيح المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضا وشبك بين أصابعه وفي الصحيح ايضا مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد (٣٤) بالحنى والسهر وقوله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كقوله تعالى

واتمكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقوله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أى يطيعون الله ويحسبون الى خلقه ويلبسون الله ورسوله أى فيما أمر أو ترك ما عنده زجرا أو ثبات سيرجهم الله أى سيرجهم الله من أنصف بهذه الصفات ان الله عزيز راي يعز من أطاعة فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين حكمهم في قسمته هذه الصفات لهؤلاء وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة فأنه الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالى (وعدا الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها وما كن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو النور العظيم) يخبر تعالى بما عده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات والنعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها ما كثير فيها البادوساكن طيبة أى حسنة البادوساكن طيبة القرار كما جفى العبد من حديث ابي عمران

• معه تحمل نفسه اعليه على أى صفة كانت (حتى حين) أى الى مدة غير معلومة كما قاله أكثر المفسرين وقيل الى انقطاع ما شاع في المدينة وقال سعيد بن جبيرة الى سبع سنين وقيل الى خمس وقيل الى ستة أشهر وقد تقدم في البقرة الكلام في تفسير الحين وحتى بمعنى الى قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه بالمرأة وعن ابن عباس قال عوقب يوسف ثلاث مرات أما أول مرة فبما حبس لما كان من همه بها والثانية لقوله اذ كرتى عند ربك فلبث في السجن بضع سنين عوقب بطول الحبس والثالثة حيث قال أيتها العير انكم لسارقون فاستقبل في وجهه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (ودخل معه السجن فتيان) التقدير فجنوده دخل معه ومع المصاحبة وفتيان تلبية فتى وذلك يدل على انه ما عبد الله ويحتمل أن يكون الفتى اسم اللغادم وان لم يكن مملوكا قال ابن عباس أحدهما خازن الملك على طعامه والاخر ساقية وقد كانا موضع للمالك من الماضين اهما أهل مصر مالا في مقابلة ذلك ثم ان الساقى رجع من ذلك وقال للمالك لا تأكل طعاما فانه مسوم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسوم فقال للمالك لا تشرب فاشرب فلم يضره وقال للملك ان كل فأس تجرب الطعام على حيوان فذلك مكانه فحسب ما وكان دخوله ما السجن مع دخول يوسف وقيل قبله وقيل بعده قال ابن جرير انهم ما سالا يوسف عن علمه فقال لى أءبر الرؤيا فأسأله عن رؤياهما كما قص الله سبحانه (قال أحدهما الى أرى أنى أعصر جر) أى رأيتنى والتعبير بالمتعارع لاستحضار الصورة والمعنى أى أرى أنى أعصر عنيا فسماه باسم ما يول البهل كونه المقصود من العصر وقراءة ابن مسعود وأبى أعصر عنيا تدل على التعارف قال الأصبغى أخبرنى المعمر بن سائبان لى اعرابيا و معه عنب فقال له ما هذا قال خرزوقيل معناه أعصر عنب جر فهو على حذف مضاف وقيل الخرزهو العنب حقيقة بلغة غسان وعمان وهذا الذى رأى هذه الرؤيا هو الساقى وكان بين دخوله السجن وبين الرؤيا خمس سنين وهذه الجملة مسأنة بتقدير سؤال وكذلك الجملة التى بعده هاوى (وقال الآخر) أى الخباز (أى اراى أحمل فوق رأى خبزا) ثم وصف الحبس بهذا قوله (فأكل) أى تنهس (الضير منه) ثم قال لا يومف جميعا بعد أن قصار رؤياهما عليه (بشأنه بأربه) أى بتأويل ما قصصناه عليك من مجموع المرئيين أو بتأويل المذكور لأن كلاهما وافق فى كل واحد منهما ما نزل له

الباوى عن ابي بكر بن ابي موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب جنتان من ذهب آيتهما وما فيها جنتان من فضة آيتهما وما فيها ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رءاه الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن فى الجنة نخلة من أولوة واحدة مجوفة طويلة استون ميلا فى السماء للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضا اخرجاه فى الصحيحين وفيها ما يضاعف ابنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وأدام رمضان فان حقا على الله ان يدخله الجنة عاجز فى سبيل الله او حبس

في أفضله التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا تخبر الناس قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للجهاديين في جهنم بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه ان يردوس فانه اعنى الجنة وأوسط الجنة ومنه تخرج أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه من رواية زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر مثله وللازمي عن عباد بن الصامت مثله وعن ابي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما ترون (٣٥) الكوكب الدري في السماء انخرجه في الصحيين

ثم لم يعلم ان اهل الجنة مكان يقال له الوسيلة لقربه من العرش وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة كما قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا سفيان عن ايوب عن كعب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم على قس لوالله الوسيلة قال اعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وارجو ان اكون أنا هو وفي صحيح مسلم من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبر عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن اكون هو فغن سأل الله على الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن علي الابار حدثنا الويلد بن عبد

عقب قص رؤياه عليه فيكون الضمير راجعا الى ما رآه كل واحد منهم ما قيل ان الضمير في تأويله موضوع موضع اسم الإشارة بطريق الاستعارة فان اسم الإشارة يشار به الى متعدد والتقدير بتأويل ذلك (اننا ان من المحسنين) أي من الذين يحسنون عبارة الرؤيا وكذا قال القراء ان معناه من المعاملين الذين أحسنوا العلم وقال ابن ابي عمير من المحسنين البنا ان فسرت ذلك أو من المحسنين الى اهل السجدة فقد روي انه كان كذلك قال قتادة كان يعزى حزنهم ويذاوى مرضاهم ورأوا منه عبادة واجتهادا فأحبوه وعن الضحاك قال كان احبانه اذا مرض انسان في السجدة قام عليه واذا ضاق عليه المسكن أوسع له واذا احتاج جمع له وعن ابن عباس قال دعا يوسف لاهل السجدة فقال اللهم لا تم عليهم الاخبار وهون عليهم ثم تر الايام (قال لا يأتكم طعام ترزقانه) من جهة الله أو الملك والجملة صفة لطعام (الانباتكم بتأويله قبل ان يأتكم) مستأننة جواب سؤال مقدر ومعنى ذلك انه يعلم شيئا من الغيب بالهام الله تعالى وأنه لا يأتهم الى السجدة طعام في اللحظة الا اخبرهم بما فيه قبل ان يأتهم ما قيل أراد به في النوم والاول هو الاظهر وهو هذا ليس من جواب سؤال الهام تعبير ما قصه عليه بل جعل عليه السلام مقدمة قبل تعبيره لرؤياهما بما ناله لومر بتمه في العلم وأنداس من المعبرين الذين يعبرون الرؤيا عن ظن وتخمين فهو كقول عيسى عليه السلام وأنبئكم عاتا كاون وما تدخرون في بيوتكم وانما قال يوسف لهم ما به هذا الجمل الانتم اذله منهم فاهد عوهما اليه بعد ذلك من الايمان بالله والخروج من الكفر والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لا يأتكم في حال من الاحوال الا لاهل ما نبتكم أي يفت لكم ما فيه وكيفية وسماه تأويل بطريق المشاكلة لان الكلام في تأويل الرؤيا أو المعنى الانباتكم بما يقول اليه الكلام من مطابقة ما اخبركم بالواقع (ذلك) أي التأويل والخطاب للساكنين له عن تعبير رؤياهما (بما علمي ربي) مما أوحاه الى وأله من قبيل الكهانة والتخمين وهو ذلك مما يكثر فيه الخطأ ثم بين لهما ان ذلك الذي ناله من هذه الرتبة العلية والعلوم الجنة هو سبب ترك الملة التي لا يؤمن اهلها بالله ولا بالآخرة واتباعه لمله الانبياء من آبائه فقال (اني تركت له قوم لا يؤمنون بالله) وهو كلام مستأنف يتضمن التعليل لما قبله والمراد بالترك هو عدم التلبس بذلك من الاصل وعدم الالتفات اليه بالكلية لانه قد كان تلبس به

المات الخرافي حدثنا موسى بن ابي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله على الوسيلة فانه لم يسألها الى عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة رواه الطبراني وفي مسند الامام احمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن ابي المدله عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال لبنه ذهب ولبنه فضة وملاطها المسك وحدها نخل واللؤلؤ والياقوت وزهر الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخالد لا يبوت لا تبلى ثيابه ولا ينشئ شبابه وروى عن ابن عمر فرونا نحوه وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن ابي عمير عن النعمان بن سعد عن علي

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها فقام اعرابي فقال يا رسول الله لمن هي فقال لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الضياف وصلى بالليل والناس نيام ثم قال حديث غريب ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجهوه وكل من الاسنادين جيد حسن وعنده ان السائل هو أبو مالك الأشعري قال أعلم وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل من مشعر الى الجنة فان الجنة لا حصر لها هي ورب الكعبة نور يتلأل لا وريحانة تمتر (٣٦) وقصر مشيد ونهر مطرد وغرة نصيجة ومزوجة حسناء

جميلة وحلل كثيرة ومقام في ابد في دار سلمية وفاكهة وخضرة ووجرة ونعمة في محلة عالمة بهيمة قالوا نعم يا رسول الله نحن المشركون لها قال قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله رواه ابن ماجه وقوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم كما قال الامام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون أليس ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى برب وقد أعطينا ما لم نعط أحد من خلقه فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون برب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسيئ إليكم بعده أبدا أخرجه من حديث مالك وقال أبو عبد الله الحسين بن اسمعيل النخعي حدثنا الفضل الرباعي حدثنا القريابي عن سفيان عن

ثم تركه كما يدل عليه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله ثم وصف هؤلاء القوم بما يدل على تصليهم في الكندروتهم الكهم عليه فقال (وهم بالآخرة هم كافرون) أي هم يختصون بذلك دون غيرهم لأفراطهم في الكفر بالله (واتبعته آباء إبراهيم واسحق ويعقوب) ومما هم آباء جميعا لان الاجداد آباءهم وقدم الجد الأعلى ثم الجد الأقرب ثم الاب ليكون إبراهيم هو أصل هذه الملة التي كان عليها الاولاد ثم تلقاها عنه اسحق ثم يعقوب وانما قاله عليه السلام ترغيبا لأصحابه في الايمان وتنفيذا لما عاى كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركهم على ذكر اتباعه لانه لان الخلقة متقدمة على التحلية (ما كان) أي ماصع وما استقام فضلا عن الوقوع (لنا) معاشر الانبياء لقوة نفوسنا وفور علمنا (ان نشرك بالله من شيء) أي شيء كان من ملأ أو جنى أو أنسى فضلا ان نشرك به صفا لا يسمع ولا يبصر قال الواحدى الفظة من زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من أحد (ذلك) أي الايمان والتوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا (من فضل الله) أي نأثي من فضلاته (علينا) واطننا بما جاء به لنا من النبوة المتضمنة للعصمة عن معاصيه (و) من فضل الله (على الناس) كافة بعبدة الانبياء اليهم وهذا يتم الى ربهم وتبيين طرائق الحق لهم (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يشكرون) الله سبحانه على نعمه التي أنعم بها عليهم فيؤمنون به ويوحّدون ويعملون بمشروعهم لهم أولا يستدلون بمناصبهم من الدلائل وانزال الآيات فيأفونها كمن يكفر بالعممة ولا يشكرها ولا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من أدلة التوحيد الا فاقية والانفسية والعقلية والنقلية قال قتادة ان المؤمن لا يشكر ما به من نعمة الله ويشكر ما بالناس من نعمة ذكر لنا ان أبا الدرداء كان يقول يا رب شاكر نعمة غيرهم نعم عليه لا يدري يا رب حامل فقه غير فقيه ثم دعاهم الى الاسلام سرى كما قال (يا صاحب السجدة) جعلها ما صاحب السجدة لاجل اطول مقامها فيه وقيل المراد يا صاحب السجدة لان السجدة ليس محبوب بل معصوب فيه وان ذلك من باب ياسارق الليلة وعلى الاول يكون من باب الاضافة الى الشيعة بالمفعول به والمعنى يا سارق السجدة كقوله أصحاب الجنة وأصحاب النار قال قتادة لما عرف يوسف ان أحدهما مقتول دعاهما الى حفظهما من ربه ما والى نصيهم ما من آخرهما فقال (أأرباب متفرقون) الاستفهام

محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله للأنكار عز وجل هل تشتهون شيئا أريدكم قالوا يا ربنا ما خير مما أعطيتنا قال رضوانى أكبر ورواه البراء في مسنده من حديث الثوري وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة هذا عندى على شرط الصحيح والله أعلم (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهم مائة من النصارى الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا ذكركم خير لهم وان يتولوا يعدبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من

ولي ولا نصير) أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلبة عليهم كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف سيف للمشركين فإذا انسحق الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وصيف الكفار أهل الكتاب فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وسيف للمنافقين (٢٧) جاهد الكفار والمنافقين وسيف للبيعة

فما تناولوا التي تبغى حتى تنفي إلى أمر الله وهذا يقتضي أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق وهو اختيار ابن جرير وقال ابن مسعود في قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فإن لم يستطع فليكنسهم في وجههم وقال ابن عباس أمر الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وذهب الرقي عنهم وقال النخعي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم وعن مقاتل والربيع مثله وقال الحسن وقادة ومجاهد مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم وقد يقال أنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم به إذا وتارة بهم إذا بحسب الأحوال والله أعلم وقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال قتادة زلت في عبد الله بن أبي وذلك أنه اقتتل رجلاً من جهنم وأنصاره فغلبه الجاهل في علي الأنصاري فقال عبد الله للأنصار ألا تنصروا أمناكم والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال الغائب من كلبك يا كائن وقال لئن رجعتنا إلى

للإنكار مع التوبيخ والتعريب ومعنى التفرق هنا هو التفرق في الذوات والصفات والعدد أي هل الأرباب المتفرقون في ذواتهم هم المختلِفون في صفاتهم المتنافون في عددهم (خير) لكم يا صاحبي السجن (أم الله الواحد) أي المعبود بحق المتفرد في ذاته وصفاته الذي لا ضل له ولا يد ولا شريك (القهار) الذي لا يغالبه مغالب ولا يعانده معاند وقيل استنفهم تقرير أي طلب الإقرار بجواب الاستنهام أي أفروا واعلموا أن الله هو الخير والاول أولى أو رد يوسف عليهم ما عذه الحجة القاهرة على طريق الاستنهام لأنهم ما كانوا يعبد الا صنم وقد قيل انه كان بين أيديهم ما أصنام يعبدونها عند أدان مخاطبهم ما بهذا الخطاب ولهذا قال لهما (ما تعبدون من دونه الأسماء) فارغة لا مسميات لها وان كنتم تزعمون أن لها مسميات وهي الآلهة التي تعبدونها الكنى المما كانت لا تستحق التسمية بذلك صارت الأسماء كأنها المسميات لها وقيل المعنى ما تعبدون من دون الله الأسماء مسمياته أسماء وقيل خطاب لأهل السجن جميعاً بالخصوص الصالحين وهذا هو الظاهر وكذلك ما به من الضمائر لانه قد قصد خطاب صاحبي السجن ومن كان على دينهم (سبيتموها أنتم وآباؤكم) من تلتا أنكم بعض جهلكم وضلالتكم وليس لها من الالهية شيء المجرد الاسماء لكونها اجادات لا تسبح ولا تصبر ولا تنفع ولا تنصر والتقدير سمعتموها آلهة من عند أنفسكم (ما أنزل الله بها) أي بتلك التسمية المستتعبة للعبادة (من سلطان) من حجة تدل على صحتها (ان) أي ما (الحكم) في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية (الله) عز سلطانة لانه المتحقق لها بالذات اذ هو الذي خلقكم وخلق هذه الاصنام التي جعلتموها معبودة بدون حجة ولا برهان (أمر أن لا) أي بان لا (تعبدوا الاياه) حسب ما تقتضي به قضية العقل أيضاً والجملة مستأنفة أو حالية والاول هو الظاهر والمعنى انه أمركم بتخصيصه بالعبادة دون غيره مما ترفعون انه معبود ثم بين لهم ان عبادته وحده دون غيره هي دين الله الذي لا دين غيره فقال (ذلك) أي تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) أي المستقيم الثابت العدل الذي تعاضدت عليه البراهين عقلاً ولا نقلاً (واكن أكثر الناس لا يعلمون) ان ذلك هو دينه التوحي وصرطه المستقيم لجهلهم وبعدهم عن الحقائق أو لا يعلمون ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون وهذا يدل على ان العقوبة تلزم العبد وان جهل اذا ما كان له العلم بطريقه ثم بعد

الدين يخرج من الاعز منها الاذل فسمى به ارجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله فيه هذه الآية وروى اسمعيل بن ابراهيم بن عتبة عن عم موسى بن عتبة قال حدثني عبد الله بن الفضل انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول حررت علي من أصيب بالحرمة من قومي فكاتب إلى زيد بن أرفم وبلغه شدة حرني يذكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للأنصار ولا تبأه الأنصار وشك ابن الفضل في أبناء الأنصار قال ابن الفضل فسأل أنس بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم فقال هو الذي يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الله له بأذنه قال وذلك حين سمع رجلاً

من المنافقين يتوب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحلب لبن كان هذا صادقا فحينئذ شر من الجبر فقال زيد بن أرقم فهو والله صادق
ولا أنت شر من الجبر ثم رفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله القائل فانزل الله هذه الآية تصديقا لزيد يعني قوله يحلفون
بأنه ما قالوا الا آية رواه البخاري في صحيحه عن اسمعيل بن أبي أويس عن اسمعيل بن ابراهيم بن عتبة الى قوله هذا الذي أوفى الله له
بأذنه ولعل ما بعده من قول موسى بن عتبة وقدره محمد بن فليح عن موسى بن عتبة باسناده ثم قال قال ابن شهاب فذكر ما بعده
عن موسى عن ابن شهاب والمشهور في (٢٨) هذه القصة انها كانت في غزوة بني المصطلق فلعن الراوى وهم في ذكر

الآية وأراد أن يدكر غير هذا
فذكرها والله أعلم قال الأعمش
في معارضة حديثنا محمد بن اسحق
عن الزهري عن عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه
عن جده قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذني قومي
فقالوا انك امرؤ شاعر فان شئت
ان تعذر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببعض العلة ثم يكون
ذنبا تستغفر الله منه وذكرا الحديث
بذوله الى ان قال وكان من تخلف
من المنافقين ونزل فيه القرآن منهم
من كان مع النبي صلى الله عليه
وسلم الجلاس بن سويد بن الصامت
وكان على أم عمر بن سعد وكان
عمير في حجره فلما نزل القرآن
وذكرهم الله بما ذكرهم أنزل في
المنافقين قال الجلاس والله لئن
كان هذا الرجل صادقا فيما يقول
لننصر شر من الجبر فسمعهما عمر
ابن سعد فقال والله يا جلاس انك
لا تحب الناس الى وأحسنهم
عندي بلأمر وأعزهم على ان يصله
شيء تكرهه ولقد دقات مقالة
فان ذكرتم التفتيخى ولئن كنتم

تحقيق الحق ودعوتهم ما اليه وبيانها لهم ما مقدار الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير
ما استفسرنا ولكونه بخلاف ما قبله في قوله عنه بتكرير الخطاب فقال (يا صاحبي
السجين أما أحدكم) أي الساقى وانما أثبت له لكونه مفهوماً وليكرهه التصريح بالخبر
بأنه الذي سيصلب (في سبي ربه) أي مالكة (خرا) وهي عهدته التي كان قائما بها
في خدمة الملك فكانت قال أمأنت أيها الساقى فسته ود بعد ثلاث من الايام الى ما كنت
عليه ويدعوك الملك ويطلقك من الحبس (وأما الآخر) وهو الخبز فيخرج بعد ثلاث
(فيصايب فتأكل الطير من رأسه) تعبير المارة من انه حمل فوق رأسه خبزاً فتأكل الطير
منه (فنبى الامر الذي فيه تستفتيان) وهو ما رأياه وقصاه عليه يقال استفتاه اذا طلب منه
بيان حكم شيء سأل عنه مما أشكل عليه وهو ما قد سألناه تعبير ما أشكل عليه ما من الرؤيا
والمراد بالامر ما يؤول اليه أمرهم ما ولذلك وحده قاله البيضاوى وقال الزمخشري
المراد بالامر ما ماتهم ما به من سم الملك وما جئنا من أجله عن ابن مسعود قال ما رأى صاحباً
يوسف شيئاً مما تخالما الجبر باعله فلما أول رؤياهما قالانما كانا نلعب ولم نرشأ فقال قضى
الامر الآية يعني وقعت العبارة فصار الامر على ما عبر يوسف وقال قوم بل كنا قد رأينا
رؤيا حقيقة وعن أبي مجلز قال كان أحد الذين قصا على يوسف الرؤيا كذبا وكان هذا
الاعبير بالوحى كما نبى عنه قوله قضى الامر وقيل هو بالاجتهاد (وقال للذى ظن أنه ناج
منهم) أي قال يوسف والظان هو أيضاً يوسف والمراد بالظن العلم لانه قد علم من الرؤيا
نجاته الشرايى ولذلك الخبز فكذلك قال جهور المنسرين وقيل انظا هرائه على معناه لان
عابر الرؤيا انما يظن ظنا والاول أولى وانسب بحال الانبياء ولا سيما وقد أخبر عن نفسه
عليه السلام بأنه قد أطلع الله على شيء من علم الغيب كما تقدم (اذ كرى عند ربك) هي
مقبول القول أمره بان يذكره عند سيده ويقول له ان في السجن غلاما محبوبا ظالمنا من دخنس
سمنين ويصفه بما شاهدته من جودة التعبير والاطلاع على شيء من علم الغيب فخرج
(فأنساه الشيطان ذكر ربه) وكانت هذه المذلة منه صادرة عن ذهول ونسيان عن ذكر
الله بسبب الشيطان فيكون ضمير المنعول في أنساه عائدا الى يوسف هكذا قال أكثر
المفسرين ويكون المراد بربه في قوله ذكر ربه هو الله سبحانه أي أنسى الشيطان يوسف
ذكر الله تعالى في تلك الحال فقال للذى ظن انه ناج منهم ما يذكره عند سيده ليكون ذلك سببا

لتهلكنى ولا أحداهما هون على من الأخرى فنبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ما قال الجلاس فلما بلغ
ذلك الجلاس خرج حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يخاف بالله ما قال ما قال عمر بن سعد ولقد كذب على فانزل الله عز وجل فيه
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى آخر الآية فوقته رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فزعوا
ان الجلاس ناب فحسنت توبته وزرع فاحسن التزوع هكذا جاء هذا مدرجا من الحديث بنحو صلابه وكانت واقعه أعلم من كلام ابن
اسحق نفسه لامن كلام كعب بن مالك وقال عمرو بن الزبير نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته

مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن أشرف من حجر هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا رسول الله لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم عما قلت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وخفت ان ينزل في القرآن أو يصيبني قارعة أو أن أخط بخطيئة فقلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافتنا أن أخط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال يا جلاس أقلت الذي قاله مصعب خائف فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا إلا آية وقال محمد بن اسحق كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد بن الصامت (٢٩) فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له

عمر بن سعد فأنكرها فخلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ووزع حسنت نوبته فيما بلغني وقال الامام أبو جعفر محمد بن جرير حدثني أيوب بن اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا اسرائيل عن سماعة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال له سياتيكم انسان فينظر اليكم يعني الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل ازرق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بصاحبه فخذه وأبانه ما قالوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا إلا آية وقوله وهموا بما لم ينالوا قيل أأنزلت في الجلاس بن سويد وذلك انه همم بقتل ابن امرأته حين قال لا تخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في عبد الله بن أبي هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي نزلت في أناس أرادوا ان يتوجعوا عبد الله بن أبي وان لم يرض

لا تنباهه على ما وقع به من الظلم البين عليه بسجنه بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براءته وذلك غفلة عرضت له عليه السلام فان الاستهانة بالخلق في دفع الضرر وان كانت جائزة الا انه لما كان مقام يوسف أعلى المقامات ورتبته أعلى الرتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صاروا يأخذوا بهذا القدر فان حسنة الابراهما تالمقرين وذهب جماعة من المفسرين الى ان الذي أنساه الشيطان ذكره هو الذي نجى من الغلام وهو الشرايبي والمعنى أن الشرايبي الشيطان ذكره سيد أي ذكره لبيده فلم يبلغ اليه ما أوصاه به يوسف من ذكره عند سيد ويكنون المعنى فأنساه الشيطان ذكر اخباره بما أمر به يوسف مع خلوصه من السجن ورجوعه الى ما كان عليه من القيام بسقي الملك وقدر رجوع هذا يكون الشيطان لا سيد له على الانبياء وأجيب بان النسيان وقع من يوسف ونسبته الى الشيطان على طريق الخجاز والانبياء غير معصومين عن النسيان الا فيما يختص برون به عن الله سبحانه وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ورجع أيضا بان النسيان ليس بذنب فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكره هو هو يوسف لم يستحق العقوبة على ذلك بل ثبت في السجن بضع سنين وأجيب بان النسيان بمعنى الترتك وانه عوقب بسبب استعانة به غير الله سبحانه ويؤيد رجوع التفسير الى يوسف بعد من قوله فلبث في السجن بضع سنين ويؤيد رجوعه الى الذي نجى من الغلامين قوله فيما سألني الذي نجى منهم ما وذكرا بعد امة (فلبث) يوسف في السجن بسبب ذلك القول الذي قاله للذي نجى من الغلامين أو بسبب ذلك الانساء أخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير والطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يقل يوسف الحكامة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث ينبغي الشرح من عند غير الله وعن عكرمة مرفوعا نحوه وهو مرسل (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع كما حكاه الهروي عن العرب وبه قال قتادة وحكي عن أبي عبيدة ان البضع ما دون نصف العتد يعني ما بين واحد الى أربعة وقيل ما بين ثلاث الى سبع قاله جماعة وقيل هو ما دون العشرة وحكي الزجاج انه ما بين الثلاث الى الخمس وقد اختلف السلف في تعيين قدر المدة التي لبث فيها يوسف في السجن فقيل سبع سنين قاله ابن جرير وقتادة وهب بن منبه وقيل ثلثي عشرة سنة قاله ابن عباس وقيل أربع عشرة سنة قاله الضحاك وقيل خمس سنين

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وردت في ثمان من المتأخرين وهو بالفتح بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير وكانوا بضعة عشر رجلا قال الضحاك فنفهم نزلت هذه الآية وذلك بين فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث محمد بن اسحق عن الاعشى عن عمرو بن مرة عن أبي الخثري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كنت أخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اودبه وعمار يسوق الناقة وأنا أسرقه وعمار يتودده حتى اذا كنا بالعتبة فاذا أنا بأبني عشر رجلا كقدا عترضوه فيها قال فأنتهرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرخ بهم فلو لم يدبرين فقال لئلا رسول الله

صلى الله عليه وسلم هل عرفتم القوم قلنا لا يا رسول الله . كانوا ستمائة ولما قد عرفنا الركب قال هؤلاء المنافقون الى يوم القيامة قال
وهل تدرون ما ارادوا قلنا لا قال ارادوا ان يزجروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العتبة فيلقوه منها قلنا يا رسول الله افلا تبعث الى
عشائرهم حتى يبعث اليك كل قوم برأس صاحبهم قال لا اكره ان تحدث العرب بينهم ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله بهم
اقبل عليهم يقتلهم ثم قال اللهم ارحمهم بالديلة قلنا يا رسول الله وما الديلة قال شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدكم فيهلك
وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد أخيه نا (٤٠) الوليد بن عبد الله بن جبيع عن أبي الطفيل قال لما أقبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
عن أنس قال أوحى الى يوسف من استنقذك من القتل حين هم اخونك ان يتلو
قال أنت يارب قال فن استنقذك من الحب اذا القوك فيه قال أنت يارب قال فغن
استنقذك من المرأة ذهمت بك قال أنت يارب قال فملاك نسيتني وذكرت آدميا قال
جزعوا كلمة تكلم بهم الساني قال فو زنى لا تخمدك في السجن بضع سنين فلبث فيه سبع
سنين أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الله بن أحمد وابن المذروعي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ قال بضع
مدة العقوبة لامة الحبس كله (و) لما دنا فرج يوسف (قال الملاك) أي الملك الاكبر
وهو الريان بن الوليد الذي كان العزيز وزيره (الى ارى) أي رأيت في منامى
(سبع بقرات سمات) خرجن من نهر يابس (يا كاهن سبع عجاف) أي مهازيل في
غاية الضعف والتعبير في الموضوعين بالمضارع لاستحضار الصورة والسمات جمع سمات وسمينة
يقال رجال سمات كما يقال نساء كرام والعجاف جمع عجاف سماع وقياس جمع عجاف لان
فعلى وأفعول لا تجمع على فعال ولكنه عدل عن القياس جملا على السمات لانه نقضه
(و) رأيت (سبع منبلات خضر) قد انة قد حباها (و) رأيت سبعة (أخر بابسات)
وهي التي قد بلغت حدا الحصاد وانما حذف اسم العدد لان التقسيم في البقرات يقتضي
التقسيم في المنبلات وكان قد رأى أن السبع المنبلات البابسات قد ادركت الخضر
والثوث عليها حتى غلبتها ولم يبق من خضر تم نبي ولعل عدم التعرض لذلك في هذا في
النظم القرآني لا كنهاء بما ذكر من حال البقرات ولما شاهدنا قص الضعيف قد استولى
على القوى الكامل حتى غلبه وفقره أراد ان يعرف ذلك فقال (يا أيها الملا أفتوني
في رؤياي) الخطاب للاشراف من قومه وقيل هم الصحرة والكهنة والمعبرون للرؤيا
والمعنى اخبروني بحكم هذه الرؤيا (ان كنتم للرؤيا تعبرون) أي تعلمون عبارة الرؤيا
وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني الدسائية التي هي مثالها أو اصل العبارة
مشتملة من عبور النهر وهو النجاة ورفعة من عبوات انهر بلغت شاطئه فعبارة الرؤيا يخبر بها
يقول اليه امرها قال الزجاج اللام في الرؤيا بالبيان وقيل هو اتقوية العامل وتأخير الفعل
العامل فيه لرعاية الفواصل (قالوا) هذه (أضغاث أحلام) أي تخالطها وهي
جمع ضغث وهو في الاصل كل مختلط من الخلط من بقل أو حشيش أو غيرهما فاستعير

صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك
أمر مناديا فنادى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذ العتبة
فلا ياخذها أحد فيمنار رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتوده
حذيفة ويسوقه عمار اذا قبل
رهب طمتمون على الواحد
فه قبحوا عمارا وهو يسوق برسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عمار
رضي الله عنه يضرب وجوه
الرواحل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحذيفة قد قد حتى هبط
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
هبط نزل ورجع عمار فقال يا عمار
هل عرفت القوم فقال قد عرفت
عامة الرواحل والقوم متممون
قال هل تدري ما ارادوا قال الله
ورسوله أعلم قال ارادوا ان يتروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم
فيطرحوه قال فزار عمار رجلا
من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اشدتك بالله كم تعلم
كانوا أصحاب العتبة قال أربعة عشر
رجلا فقال ان كنت منهم فقد كانوا
خسة عشر قال فعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة

قالوا والله ما سمعنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمنا ما اراد القوم فقال عمار شهد ان الاثنى
عشر الباقيين حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا يوم تقوم الاشهاد وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير نحو
هذا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان ينشئ الناس في بطن الوادي وصعد هو وحذيفة وعمار العتبة فتبعهم هؤلاء النفر
الارذلون وهم متناهون فارادوا لسلوك العتبة فاطلع الله على مرادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر حذيفة فرجع اليهم فضرب
وجوه واحلهم ففرعوا ورجعوا ومنوخين وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة وعمار باسمائهم وما كانوا وابهين

الفنن به صلوات الله وسلامه عليه وأمرهما أن يكفيا عليهم وكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحق الأثني عشر عن جماعة منهم قاله أعلم وكذا قد حكى في معجم الطبراني قاله البيهقي ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه سلم حدثنا زهير بن حرب حدثنا أبو أحمد الكوفي حدثنا الوليد بن جميع حدثنا أبو الطوفيل قال كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بهض ما يكون بين الناس فقال أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة فقال له القوم أخبره إذا لك فقال كنا نخبز أنهم أربعة عشر فان كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله ان الاثنى عشر منهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا (٤١) ويوم يقوم الاشهاد واذر ثلاثة قالوا ما سمعنا

منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا علمنا بما أراد القوم وقد كان في حرة يمشى فقال ان الماء قليل فلا يسبغني اليه أحد فوجد قوما قد سبغوا فبقوا فلعنهم يومئذ وما رواه مسلم أيضا من حديث قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر قال أخبرني حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في أصحابي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكسبكم الديلة سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم ولهذا كان حذيفة يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره أي من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد أطلعهم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره والله أعلم وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة ثم روى عن علي بن عبد العزيز عن الزبير بن بكار انه قال هم معتب بن قشير وديعة بن ثابت وجرير بن عبد الله بن نبيل بن الحارث بن عوف

للرويا الكاذبة والاحلام جمع حلم وهي الرويا الكاذبة التي لا حقيقة لها كما يكون من حديث النفس ووسواس الشيطان والاضافة بمعنى من أي هي أضغات من أحلام آخر جوهها من جنس الرويا التي لها عاقبة تؤل اليها ويعتني بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطالان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمامة ان لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة أولئك منها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والآخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغات مع السنابل فله درشان التنزيل ويجوز أن يكون رأى مع هذه الرويا غيرها مما لم يقصه الله علينا قال ابن عباس أضغات أحلام يقول مشتبهة وعنه قال الكاذبة وعن الضحاك منله (وما نحن بتأويل الاحلام) المختلطة (بالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثمانية للعذر بجهلهم بتأويله نفروا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له لا مطلق العلم بالتأويل وقيل انهم نفروا عن أنفسهم علم التأويل مطلقا ولم يدعوا انه لا تعبير لهذه الرؤيا وقيل انهم قصدا ومحوها من صدر الملك حتى لا يشتغل به ولم يكن ما ذكره من نفي العلم حقيقة (وقال الذي نجا منهما) أي من الغلامين وهو الساقى الذي قال له يوسف اذ كرني عند ربك (واذكر) بالدال المهملة على قراءة الجهم وروى النصيحة وقرئ بالمعجمة أي تذكر الساقى يوسف وما شاهد منه من العلم بتعبير الرؤيا (بعد أمة) مدة طويله وحين يعيد ومنه إلى أمته معدودة إلى وقت قال ابن دريس تنويه والامة لا تكون على الحين الأعلى حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه قال والله أعلم وادكر بعد حين أمة أو بعد زمن أمة قليل وسمى الحين من الزمان أمة لانه جماعة أيام والامة الجماعة الكثيرة من الناس قال الاخفش هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة وقرئ بعد أمة أي بعد نسيان وامة بكسر الهمزة أي بعد نعمة وهي نعمة النجاة وعن الحسن بعد أمة من الناس وقال ابن عباس بعد سبع سنين وقيل تسع سنين وقيل سنتين (أنا أنبئكم بتأويله) أي أخبركم به بـ و إلى عنه من له علم بتأويله وهو يوسف أو أدلكم عليه أو أخبركم به عن عنده وتأويله (فأرسلون) خاطب الملك بلنظ الجمع للتعظيم أو خاطبه ومن كان معه من الملائكة منهم ان يرسلوه إلى يوسف ليقص عليه رؤيا الملك

(فتح البيان خامس) والحارث بن يزيد الطائي وأوس بن قيطي والحارث بن سويد ومعد بن وراه وقيس بن فهر وسويد وداعس من بني الحنظلي وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن اللصيت وسلالة بن الحمام وهما من بني قينقاع أظهروا الاسلام وقوله تعالى وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله أي وما للرسول عندهم ذنب الا أن الله أغناهم ببركته ومن سعاداته ولوات عليهم السعادة لهذاهم الله لما جاءهم به كما قال صلى الله عليه وسلم للانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فاعناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن وهذه الصفة يقال حيث لا ذنب كقوله ومائة هو امنهم الا ان يؤمنوا بالله الآية

وقوله عليه السلام ما ينتم ابن جيل الا ان كان فقير فاغناه الله ثم دعاهم الله تبارك وتعالى الى التوبة فقال فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا به ذنبهم الله عذابا اليمافى الدنيا والاخرة أى وان يستمروا على طريقهم يعذبهم الله عذابا اليمافى الدنيا أى بالقتل والهلم والغم والاخرة أى بالعذاب والنكال والهوان والصفار ومالههم فى الارض من ولى ولا نصير أى وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم لا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهن من فضله بخلافه وتولوا (٤٢) وهم معرضون فأعقبنهم فنادا فى قلوبهم الى يوم يلقىهن بما أخلصوا الله ما وعدوه

وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله غلام الغيوب) يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهدا وميثاقا لئن أغناهم من فضله لنصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فاوفى بما قال ولا صدق فيما ادعى فأعقبنهم هذا الصنيع نفا فاسكن فى قلوبهم - م الى يوم يلقى الله عز وجل يوم القيامة عباد الله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصرى ان سبب نزول هذه الآية الكريمة فى نعاية بن حاطب الانصارى وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ههنا وابن ابي حاتم من حديث معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن ابي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية عن ابي امامة الباهلى عن نعاية بن حاطب الانصارى انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى مالا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرحل يا نعاية قليل تؤدى شكره خبير من كثر لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترزى ان تكون مثل نبي الله صلى الله عليه وسلم

حتى يخبره بتأويلها فيعود بذلك الى الملك أو الى السجن فأتى السجن فقال يا (يوسف أيها الصديق) انما سمعنا صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصدق والكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل لانه صدق فى تعبير رؤياه التى رآها فى السجن وجعله نجيى الرسول ليوسف فى السجن أربع مرات هذه أولها (أقننا) أى أخبرنا وبين لنا (فى سبع بقرات سمان يا كلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يا ياسات) وترك ذكر الرؤيا اكتفاء بما هو وانقضى به من فهم يوسف بان ذلك رؤيا وان المطلوب منه تعبيرها ولما عاين علور تبته عليه السلام فى الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولا نبشأ بتأويله وفى قوله أقننا مع انه المستفتى وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملازمة بامور العامة وانتهى فى ذلك معبر يوسف كما آذن بذلك حيث قال (اعلى ارجع الى الناس) أى الى الملك ومن عنده من الملا بتأويل هذه الرؤيا أو الى أهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) ما نأتى به من تأويل هذه الرؤيا أو يعلمون فضلك ومنزلتك ومعرفتك لقن الرؤيا وانما لم يبت الكلام فيها لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اختصته المنية دونه ولا يعلمهم (قال ترعون) مستأنفة كغيرها مما يرد هذا المورد (سبع سنين دأبا) أى متوالية متتابعة قرئ بفتح الهمزة وسكونها وهما الغنان فى مصدر دأب فى العمل اذا جد فيه وتعب قال الفرامل لان فيه حرفا من حروف الحلق وكذلك كل حرف فتح أوله وسكن ثانياه فتثنيه جائز فى كلمات معروفة وأصل معنى الدأب التعب ويكنى به عن العادة المستمرة لانها تنشأ عن مداومة العمل اللازم له التعب واتصافه بفعل مقدر أى تدأبون دأبا قاله سيبويه أو على انه مصدر واقع موقع الحال فيكون فيه الواجه المعروفة اما المبالغة وأما وقوعه موقع السنة وأما على حذف مضاف أى دائرين أو ذوى دأب أو جعلهم نفس الدأب مبالغة فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان والسنبلات الخضر بسبع سنين فيها خصب والجفاف واليابسات بسبع سنين فيها جدد وأول ابتلاع الجفاف السمان بأكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة واستدل بالسبع الخضر على ما ذكره فى التعبير من قوله (فاحصدتم) فى كل سنة من السنين المخصبة (فذرروه) أى ذلك المحصود (فى سنبله) وقصبه ليكون القصب علفا للدواب ولا تنفصلوه عنها التلأبأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها قيل وهذه نصيحة منه لهم

لوشئت ان تسير الجبال معي ذهباً وفضة - ارت قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لا عطين كل خارجة ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق نعلبة مالا قال فالتفت غما فتمت كما بينى الدود فضاقت عليه المدينة فتصحر عنها فقرل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواها ثم غمى وكثرت فتصحر حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنور كما بينى الدود حتى ترك الجمعة فطفق يلتمس الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل نعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غما فضاقت عليه المدينة فأخبروا بما مره فقال يا ربح نعلبة يا ربح نعلبة يا ربح نعلبة

بسبب اختلافهم لم يولدوا كذبتهم كافي الصريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا
وعدا خلف وإذا اتهم خان قوله لم يولدوا أن الله يعلم سرهم ونجواهم والآية يخبر تعالى أنه يعلم السرواخي وأنه أعلم بضمائرهم
وله شواهد كثيرة والله أعلم وإن أظهر والله أن أصلهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى
علام الغيوب أي يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما باطن (الذين يازنون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
والذين لا يجدون إلا جهنم فيصغرون منهم) (٤٤) - حذر الله منهم وأهم عذاب أليم) وهذه أيضا من صفات المنافقين لا يعلم

أحد من عيهم ولم يولد لهم في جميع
الأحوال حتى ولا المتصدقون
يملكون منهم أن جاء أحد منهم بمال
جزيل قالوا هذا من أمرنا وإن جاء
بشيء يسير قالوا إن الله أغنى عن
صدقة هذا كما روى البخاري حدثنا
عبد الله بن مسعود - حدثنا أبو
النهان البصري - حدثنا شعبة
عن سفيان عن أبي وائل - وهو - لم
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
لما نزلت آية الصدقة كانت أمل
على ظهورنا فجاء رجل فصدق
بشيء كثير فقالوا امرأته وجاء رجل
فصدق بصاع فقالوا إن الله أغنى
عن صدقة هذا فزنت الذين يازنون
المطوعين الآية وقد رواه مسلم أيضا
في صحيحه من حديث شعبة به وقال
الإمام أحمد - حدثنا يزيد - حدثنا
الجريري عن أبي السليل قال وقف
علينا رجل في مجلسنا بالبيع
فقال حدثني أبي وأعمى انظر أي
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبيع وهو يقول من يتصدق
بصدقة أشهد له بها يوم القيامة
قال فخلت من عمامتي لونا
أولونين وأنا أريد أن أصدق بها
فأدركني ما يدرك ابن آدم فعقدت
على عمامتي فجاء رجل لم أربا بالبيع

والتجبي واعتصرت بفلان التجبات به وقرئ بقاء الخطاب ويعصرون بضم الياء وفتح الصاد
ومعناه يعطرون ومنه قوله تعالى وأرسلنا من المعصرات ما تنجوا قال ابن عباس يصيهم
فيه غيث يعصرون فيه الغيب والزيب ومن كل الثمرات ويحتلبون وعنه قال أخبرهم
بشيء لم يسألوه عنه كان الله قد علمه آياه وفيه يعصرون السمسمة دهنًا والغيب خرا والزيتون
زيتا والمراد كثرة الخير والنعيم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار (وقال الملك)
في الكلام حذف قبل هذا والتقدير فذهب الرسول إلى الملك فأخبره بما أخبر به يوسف
من تعبير تلك الرؤيا وقال الملك لمن يحذرنه (التوفى به) أي يوسف فرغب إلى رؤيته
ومعرفة حاله بعد أن علم بفضل ما علمه من وصف الرسول له ومن تعبيره لرؤياه (فلما جاءه)
أي إلى يوسف (الرسول) واستدعاه إلى حضرة الملك وأمره بالخروج من السجن
وهذه هي المرة الثانية من مجيئ الرسول إليه في السجن (قال) يوسف للرسول فأصدا
أظهر براءته (ارجع إلى ربك) أي سيدك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
أيديهن) أمره بأن يسأل الملك عن ذلك وتوقف عن الخروج من السجن ولم يسارع إلى
إجابة الملك ليظهر للناس براءة ساحته وبراءة جانبه وأنه ظلم بكيد امرأة العزيز ظلمًا بينا
قال ابن عباس أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن ولقد أعطى عليه السلام
من الحلم والصبر والأناة ما تضيق الأذهان عن تصويره ولهذا ثبت في الصحيح من قوله صلى
الله عليه وآله وسلم ولولايت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي يعني الرسول الذي
جاء يدعو إلى الملك قال ابن عباسية كان هذا الفعل من يوسف نادرًا وصبرًا وطلب البراءة
ساحته وذلك أنه خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه فيراه
الناس بذلك العين يقولون هذا الذي راود امرأة العزيز وفيه دليل على أن الاجتماع في
نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في واقعتها وانعقاد فأسأله ما بال النسوة وسكت
عن أمر امرأة العزيز رعاية لتمام الملك العزيز وأخوف منه من كيدها وعظم شرها وذكر
السؤال من تقليع الأيدي ولم يذكر مرادتهن له تنزيهاً عنه عن نسبة ذلك إليهن ولذلك
لم ينسب المرادوة فيما تقدم إلى امرأة العزيز إلا بعد أن رمت بدائمها وانسلت وقد اكتفى
هنا بالإشارة الإجمالية بقوله (إن ربي بكيدهن عظيم) فجعل علم الله سبحانه بما وقع
عليه من الكيد منهن مغنياً عن النصريح وقبل المراد بالرب هنا الملك وجعله رباً لنفسه

رجلاً أشد منه سواداً ولا أذم به ساقه لم أربا بالبيع ناقة أحسن منها فقال يا رسول الله صدقة قال لا يكونه
نعم قال دونك هذه الناقة قال فلزمه رجل فقال هذا يتصدق به فوالله ليهي خير منه قال فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
كذبت بل هو خير منك ومنها ثلاث مرات ثم قال ويل لأصحابك المشركين من الأبل ثلاثاً قالوا الأمن يا رسول الله قال الأمن قال
بالمال هكذا وهكذا وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ثم قال قد أفلح المزهدي المجهود ثلاثاً المزهدي في العيش المجهود في العبادة
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال جاء عبد الرحمن بن عوف باربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وجاء رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا الصاع وقال العوفي عن ابن عباس ان رسول الله خرج الى الناس يوم فنادى فيهم ان اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر فامسكت احدهما واثبتت بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فسخزمنه رجال وقالوا ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعون بصاعك من شيء ثم ان عبد الرحمن بن عوف قال عندي مائة (٤٥) أوقية من ذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب رضي

الله عنه أجمعون أنت قال ليس بي جنون قال فعلت ما فعلت قال مالي ثمانمائة آلاف أما أربعة آلاف فأقرب ربحي وأما أربعة آلاف فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أبقيت ولمزه المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن عطية الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فانزل الله عز وجل وعذر صاحب المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال تعالى في كتابه الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية وكذا روى عن مجاهد وغير واحد وقال ابن ابي عمير كان من المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف درهم وعاصم بن عدى أخو بني العجلان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف وقام عاصم بن عدى وتصدق بمائة وسق من تمر فلزوهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذي تصدق بجهد أبي عبيدة أخو بني انيف

ليكونه مربيا له والاول اولى وفيه تعظيم كيدهن والوعيد لهن على كيدهن (قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه) مستأنفة كانه قيل فاذا قال الملك بعد ان ابلغه الرسول ما قال يوسف والخطب الشأن العظيم الذي يحق له ان يخاطب فيه صاحبه خاصة وانما يخاطب في الامور العظام قال الازهرى تقول هذا خطب جليل وخطب يسير والمعنى ماشا انكن وكانت النسوة أربعين كما تقدم وقد تقدم معنى المراودة وانما نسب اليهن المراودة لان كل واحدة منهن وقع منها ذلك كما تقدم ومن جملة من شبهه خطاب الملك امرأة العزيز أو أراد به نسبة ذلك اليهن وقوعه منهن في الجملة كما كان من امرأة العزيز تحاشيا عن التصريح منه بنسبة ذلك اليها لكونها امرأة وزيره وهو العزيز فاجبت عليه بقولهن (قلن حاش لله) أي معاذ الله تنزيهه عن ان يتصف بالعجز عن خلق بشي عفيف مثل هذا (ما علمنا عليه من سوء) أي من أمر سيئ ينسب اليه من خيانة في شيء من الاشياء وغير ذلك وما علمت زليخا ان هذه المناظرات والتنعصات انما هي بسبب ما فعند ذلك كشفت الغطاء وصرحت بما هو الواقع و(قالت امرأة العزيز) منزلة بجانبه مقرة على نفسه بما بالمرادة له (الآن حصص الحق) أي تبين وظهر بعد خفائه وأصله حص فقبل حصص كما قيل في كبوا كبكبوا قاله الزجاج وأصل الحص استئصال الشيء يقال حص شعره اذا استأصله والمعنى انما انتقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه وقيل هو مستحق من الحصة والمعنى بان حصة الباطل قال الخليل معناه ظهر الحق بعد خفائه وقال ابن عباس تبين وعن مجاهد وقادة والصلح وابن زيد والسدي مثله ثم لما علمت ان يوسف راى جانبها حيث قال ما بال النسوة ولم يذكروا مع ان الفتن كلها انما نشأت من جهتها كافتائه على ذلك باعترا فها بان الذنب منها او وضحت ذلك بقولها (آنا راودته عن نفسه) ولم تقع منه المرادة الى أصله (وانه لمن الصادقين) فيما قاله من تنزيه نفسه ونسبة المرادة اليها وراوت بالآلان زمان تكلمها به هذا الكلام فاخبر الرسول يوسف بجواب النسوة المذكورة فقال (ذلك) أي الحادثة الواقعة منه وهي تبينه وتأييده ذهب أكثر المفسرين الى ان هذا الكلام من كلام يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به وهذه هي المرة الثامنة من مرات مجي الرسول ليوسف في السجن والمعنى فعلت ذلك (ليعلم)

الا راى حليف بني عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فافترغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغني عن صاع أبي عتيل وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا طائفة بن عباد حدثنا أبو عوانة عن عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا فاني أريد ان أبعث بهما قال جاء عبد الرحمن بن عوف فقال يا رسول الله عندي أربعة آلاف ألفين أقرضهم ما ربي وألفين اعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت وبات رجل من الانصار فاصاب صاعين من تمر فقال يا رسول الله أصبت صاعين من تمر صاع أقرضه لربي وصاع لعمالي قال فلزوه المنافقون وقالوا

ما أعطى الذي أعطى بن عوف الأرياء وقالوا لم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا فانزل الله الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم الآية ثم روى عن أبي كامل عن أبي عوانة عن عمرو بن أبي - لمعة عن أبيه مرسل قال ولم يسند أحد الاطالوت وقال الامام أبو جعفر بن جرير حديثنا بن وكيع حديثنا يزيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة حدثني خالد بن يسار عن ابن أبي عقيل عن أبيه قال بت أجر الجري على ظهري على صاعين من تمر فاقبالت باحدهما الى أهلي يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب الى رسول الله صلى الله (٤٦) عليه وسلم فأتيته فاخبرته فقال انتم في الصدقة قال فسخر القوم وقالوا لقد

العزير (ان لم أخس) في أهله (بالغيب) والمعنى يظهر الغيب أي وهو غائب عن أو أمانا غائب عنه قال الزمخشري أي مكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة قبل انه قال ذلك وهو في السجن بعد ان أخبره الرسول بما قالته النسوة وما قالتها امرأة العزيز وقيل ان انه قال ذلك وقد صار عند الملك والاول اولى وذهب الاقلون من المفسرين الى ان هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك القول الذي قلته في نزيهه والاقراء على نفسي بالمرادة ليعلم يوسف اني لم أخس فاذب اليه ما لم يكن منه وهو غائب عني أو أمانا غيبة عنه (وأن الله لا يهدي كيدا الخائنين) أي لا يبتليه ولا يذله ولا يضربه ولا يبده ولا يهديهم في كيدهم حتى يوقعوه على وجه يكون له ما يثبت به ويدوم وإذا كان من قول يوسف ففيه تعريض بامرأة العزيز حيث وقع منه الكيد له والحيلة لزوجها وتعريض بالعزيز حيث ساعد على حبسه بعد ان علم براءته ونزاهته ولعل المراد منه اني لو كنت خائلا لما خصني الله من هذه الورطة وحيث خائني منها يظهر اني كنت بريئا مما نسبوا لي ثم تواضع لله تعالى وتبارك فقال (وما أبرئ نفسي) وهذا ان كان من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس وعدم التزكية لها مع انه قد علم هو وغيره من الناس انه بريء ويظهر ذلك ظهور الشمس وأقرب به المرأة التي ادعت عليه الباطل ونزاهته النسوة اللاتي قطعن أيديهن وان كان من كلام امرأة العزيز فهو واقع على الحقيقة لانها قد أقربت بالذنب واعترفت بالمرادة بالاقرار على يوسف وقد قيل ان هذا من قول العزيز وهو بعيد جدا ومما أبرئ نفسي من سوء الظن يوسف والمساعدة على حبسه بعد ان علمت براءته (ان النفس لا مارة بالهوى) أي ان هذا الجنس من الانفس البشرية شأنه الامر بالسوء ليله الى الشهوات وتأثيرها بالطبع وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك (الامر رحم ربى) أي الامن رحم من الذنوس فعصمها عن ان تكون أمارا بالسوء أو لا وقت درجة ربى وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن رحمة ربي هي التي تكفها عن ان تكون أمارا بالسوء (ان ربي غفور رحيم) تعليل لما قبلها أي ان من شأنه كثرة المغفرة لعباده والرحمة لهم (وقال الملك اتوني به أسخفا صه لنفسي) الملك هو الريان بن الوليد لا العزيز كما تقدم والمعنى أجهله حاله الى دون غيره وقد كان قبل ذلك خائسا للعزيز والاستخلاص طلب من شوائب الشركه قال ذلك لما كان

كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فانزل الله الذين يلزون المطوعين الآية وكذا روى الطبراني من حديث يزيد بن الحباب به وقال اسم عقيل حباب ويقال عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة وقوله فيسخرون منهم وقوله سخر الله منهم هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين لان الجزاء من جنس العمل فعلم لهم معاملة من سخر منهم ان تصارا للمؤمنين في الدنيا وأعد الله منافقين في الآخرة عذابا أليما لان الجزاء من جنس العمل استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم ذلك بانهم كذروا بالله ورسوله والله لا يهدي التوهم الفاسقين) يخبر تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بان هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار والله لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل ان السبعين انما ذكرت حجة على المادة الاستغفار لهم لان العرب في أساليب كلامها تذكر المفعول في مبالغة كلامها ولا تزيد التهديد أو لا ان يكون

ما زاد عليها بخلافه اوقبل بل اها فهو مكاروى العوفى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت يوسف هذه الآية أسمع ربي قدر خص لي فيهم فواته لا تستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله ان يغفر لهم قتال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم الآية وقال الشعبي لما نقل عبد الله بن أبي انطلق اليه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي قد احتضر فأحب ان تشهدوه وتصلى عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ما سمعت قال الحباب بن عبد الله قال بل أقت عبد الله بن عبد الله ان الحباب اسم شيطان فانطلق معه حتى شهدوا أباه فبصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له انصلى عليه فقال ان الله

قال ان تستغفر لهم سبعين مرة ولا تستغفر لهم سبعين وسبعين وكذا ارى عن عروة بن الزبير ومجاهد بن جبير وقتادة بن دعامة ورواه ابن جرير باسانيد (فرح المخلفون ببقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرب لئلا نارجعهم أشد حرالو كانوا يفتقرون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) يقول تعالى دائما للمنافقين المتخافين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة تبوك وفرحوا بعودهم بعد خروجه وكرهوا ان يجاهدوا معه باموالهم وانفسهم في سبيل الله (٤٧) وقالوا أى بعضهم لبعض لا تنفروا في الحرب ذلك ان لا ترجعوا في غزوة تبوك كان في شدة الحرب عند طيب

الظلال والثمار فلما قالوا لا تنفروا في الحرب قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم نار جهنم التي تصيرون اليها اجمع الفتن لكم أشد حرا مما فرتم منه من الحرب لاشد حر من النار كما قال الامام مالك عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نار بنى آدم التي توقدوها جز من سبعين جزءا أخر جاء في الصحاح من حديث مالك به وقال الامام احمد حديثه ثمانية عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جز من سبعين جزءا من نار جهنم فضربت في البحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد وهذا أيضا مع اسناده صحيح وقد روى الامام ابو عيسى الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس الدوري عن يحيى ابن بكير عن شريك عن عامر عن ابى صالح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد الله على النار ألف سنة حتى احترت ثم أوقد عليها

يوسف نفيسا وعادة الملوك ان يجعلوا الاشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم قال ابن عباس فأتاه الرسول فقال ألق عندك ثياب السجى والبس ثيابا جدد اوقم الى الملك فمدعاه أهل السجى ودعاهم وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أناه رآه غلاما حداثا فقال أيعلم هذا رؤياى ولم يعلمها السحرة والكهنة وأقعدوه قدومه وقال لا تخف وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير واعطاه دابة مسروجة مزينة كدابة الملك وضرب الطبل بمصران يوسف خطيئة الملك وعنه قال قال الملك ليوسف انى احب ان تخاطبني في كل شئ الا في أهلى وأنا آف ان تأكل كل معى فغضب يوسف فقال أنا حق ان آف انابن ابراهيم خليل الله وأنا ابن ابراهيم ذبيح الله وأنا ابن يعقوب نبي الله وهذه هي المرة الرابعة من مجيى الرسول ليوسف في السجن (فلما كلمه) في الكلام حذف وتفسيره فاقومه فلما كلمه أى الملك يوسف ويحتمل ان يكون المعنى فلما كلم يوسف الملك قيل والاول أولى لان مجالس الملوك لا يتكلم فيها ابتداء الا هم دون من يدخل عليهم وقيل الثانى الاول لقول الملك (قال لك اليوم لدينا مكيين أمينين) فان هذا يفيد انه لما تكلم يوسف في مقام الملك جاء بما حاسبه الى الملك وقربه من قلبه فقال له هذه المقالة ومعنى مكيين أمينين ذوو مكانة وأمانة بحيث يتمكن مما يريد من الملك بامنه الميث على ما باطلع عليه من أمره أو على ما يكله اليه من ذلك وقيل المكانة المترلة والجاه والمعنى قد عرفنا أمانتك ومنزلتك وصددك وبراعتك مما نسبت اليك ومكين كلمة جامعة لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا واليوم ليس بجمع بارادة المكانة والامانة بل هو ان التكلم والمراد به بدبهم بها احتراما عن احتمال كونهم ما بعد حين قيل انه لما وصل الى الملك أجلسه على سريره وقال له انى احب ان أسمع تأويل رؤياى منذ نعيرها لك بكل بيان وأتم عبارة فلما سمع الملك منه ذلك قال له انك اليوم لدينا مكيين أمينين فلما سمع يوسف منه ذلك (قال اجعاني على خزان الارض) أى ولنى أمر الارض التى أمرها اليك وهى أرض مصر أو اجعاني على حفظ خزان الارض وهى الامكنة التى تخزن فيها الاموال والطعام جمع خزينة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ طلب يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به الى نشر العدل ورفع الظلم ويتوصل به الى دعاء أهل مصر الى الايمان بالله وترك عبادة الاوثان وفيه دليل على انه يجوز لمن وثق من نفسه اذا دخل في أمر من أمور السلطان ان يرفع منار الحق ويهدم

الف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم ثم قال الترمذي لا اعلم احدا رفعه غير يحيى كذا قال وقد رواه الحافظ ابو بكر بن مردويه عن ابراهيم بن محمد بن محمد بن الحسين بن مكرم عن عيسى بن عبد الله بن سعيد عن عامر عن شريك وهو ابن عبد الله النخعي به وروى ايضا ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نار اوقدوها الناس والحجارة قال أوقد عليها الف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت فهى سوداء كالليل لا يضى لها نور وروى الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث تمام بن نجيع وقد اختلف فيه عن الحسن بن عمار عن انس رفعه

لوان شرارة من نار جهنم بالمشرق لوجد حرام من المغرب وروى الحافظ ابو يعلى عن ابي بصير بن ابي اسرائيل عن ابي عبيدة الحداد عن هشام بن حسان عن محمد بن شبيب عن جعفر بن ابي وشية عن شعيب بن جبير عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذا المسجد مائة الف أوز يدون وفيهم رجل من اهل النار فتنفس فاصابهم أنفسهم لاحترق المسجد ومن فيه غريب وقال الاعمش عن ابي ابي بصير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل النار عذابا يوم القيامة لمن له نعلان وشر اكل من نار يغلي منها دماغه كما يغلي الرجل (٤٨) لا يرى ان احدا من اهل النار شد عذابا منه وانه اهل جهنم عذابا

اخر جاده في الصحابين من حديث الاعمش وقال مسلم ايضا حديثا ابو بكر بن ابي شيبة حديثا شاذلي بن كثير حديثا زهير بن محمد عن سهيل بن ابي صالح عن النعمان بن ابي عمار عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى اهل النار عذابا يوم القيامة يتنقل بين اهل من نار يغلي دماغه من حرارة نعله وقال الامام احمد حديثا شاذلي عن ابن عجلان سمعت ابي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى اهل النار عذابا رجل يجعل له نعلان يغلي منها دماغه وهو اسناد جيد قوي ربه على شرط مسلم وانه اعلم والاحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كلا انهم ليطغون لشوى وقال تعالى بسب من فوق رؤسهم اليم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقال تعالى ان الذين كفروا باياتنا

ما أمكنه من الباطل ان يطالب ذلك لنفسه ويجوز له ان يصف نفسه بالاوصاف التي لها ترغيبا في ما يرويه وتنشيطا لمن يحاط به من الملوك بالقام مقاليه الامور اليه وجعلها منوطا ببول كنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النهي عن طلب الولاية والمنع من تولية من طلبها أو حرس عليها وكان يوسف طلبه ابتغاء لوجه الله لا طلب الملك والدنيا وبهم اذا اجتمع بينهما (انني حفيظ) وهو الذي يحفظ الشيء اني حفيظ لما جعلته الى من حفظ الاموال لا آخر جهاتي في غير محارجه ولا أصر فيها في غير مصارفها (عليه) برجوه جمعها وتفرقها ومدخلها ومخرجها ومصالحها عن شيعة بن نعمة الضبي قال يقول اجعلني على جميع الطعام اني حفيظ لما استودعني عليه بسنين الجماعة وقيل حفيظ لما استودعني عليه لما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليه أعلم لغة من يأتي (وكذلك) أي مثل ذلك التمكين العجيب (مكاليوسف) أي جعلناه مكانا (في الارض) أي أرض مصر روى انها كانت أربعين فرسخا في أربعين والتمكين عبارة عن كمال قدرته ونفوذا أمره ونهيته حتى لا ينزع منه منازع فيما يراه ويختاره وصار الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع وصار الناس يعملون على أمره ونهيته (يتبوا منها حيث يشاء) أي ينزل منها حيث أراد بعد الضيق والحبس ويتخذ منه مائة وهو عبارة عن كمال قدرته كانه قدّم وكأنة يتصرف في الارض التي أمرها الى سلطان مصر كما يتصرف الرجل في منزله وفي القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله فمات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بعصرو دانت له الرقاب قاله السيوطي وعن ابن زيد ان يوسف تزوج امرأة العزيز فوجدها بكر او كان زوجها عينا وقد استدلت بهذه الآية على انه يجوز تولي الاعمال من جهة السلطان الخاثر بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق وقد قدمنا الكلام مستوفى على هذا في قوله سبحانه ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال مجاهد ولم يزل يوسف يدعوا الملك الى الاسلام ويتطاف به حتى أسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله وكذلك مكالم الخ (انصيب برحمتنا من نشاء) من العباد فترحمه في الدنيا بالاحسان اليه والانعام عليه وفي الآخرة بادخاله الجنة وانجائه من النار (ولا نضيع أجرا المحسنين) في أعمالهم الحسنة التي هي مطلوبة منهم أي لا نضيع ثوابهم فيها ومجازاتهم عليها (ولا اجر الآخرة)

سوف نعطيهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غير هالدة ووقوا العذاب وقال تعالى في هذه الآية اي الكريمة قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يشقهون اي لو انهم يشقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ليقوا به من حرجهم الذي هو أضعاف اضعاف هذا ولكنهم كما قال الآخرة كالسجيرة من الرضا بالنار وقال الآخر عمر بن الخطاب في حجة خوف من البار والحر وكان اولي لك ان تنق من المعاصي ذر النار ثم قال تعالى جل جلاله متوعدا هؤلاء المنافقين في صنيعهم هذا فليصصكموا قليلا الآية قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس الدنيا قليل فليصصكموا فيها ما شاؤوا فاذا

النساء لا يكون بالياء والنون ولو أريد النساء لقال فاقه وأمع الخوائف أو الخائفات ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبرهم) كقول الله ورسوله وما تواتروا وهم فاسقون) أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصل على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره لا يستغفر له ويدعوله لأنهم كفروا بالله ورسوله وما تواتر عليه وهذا حكم عام في كل من عرف منافقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري حدثنا يزيد بن أسد سئل عن أبي اسامة (٥٠) عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال لما أتى عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله

ابن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قبضه يكن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصل عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصل عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصل على أبيه وقد كفركم الله أن تصل على أبيه صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أخيرني الله فقال استغفروا لهم أو لا تستغفروا لهم إن استغفروا لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال أنه منافق قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل آية ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي اسامة حماد بن أسامة به ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر عن أنس بن عياض عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به وقال فضيل بن عياض وصلينا معه وأمر الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية وهكذا رواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله به وقد روى من

وبالغلام لك فإن الأول يقتضي عرفانك بالغلام وإن بينك وبين مخاطبك نوع عهد والشأن لا يقتضي ذلك قاله الكرخي أو أتى باللام لأنه كان أخاهم لا يبرأ من لآلئهم وهذا أحسن من الأول وأعله عليه السلام إنما قاله لما قيل من أنتم سألوه عليه السلام جلازا ثم ادعى الاعتماد لبيان فاعطاهم ذلك بشرطهم أن يأتيوا به لما قيل من أنه لما أراه وكلوه بالعربة قال لهم من أنتم فاني أنكركم فقالوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فحسنا فنثار فقال لهم لعليكم جنتهم عيوننا فوالله ما إذا الله نحن أخوة بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق لنا من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كالأني عشر فذهب أحدهم إلى البرية فهلك وكان أحبا إلينا أيضا فقال كم أنتم فهنا قالوا عشرة قال فإني أخادى عشر قالوا هو عند أبيه يسلي به عن الهالك قال فمن يشهد ذلكم أنكم أنتم عيوننا وانما نزلون حق قالوا نحن لا ندر لا يعرفنا فإياهم أحد عشر قالوا فدعوا بعضكم عند ربي وأتوني بأخيك من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فافترعوا فاصاب القرعة شعرون فخذوه وعندهم لا يساعدهم وورد الأمر بالاتبان به عند التجهيز ولا الحث عليه بإبقاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصاد على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في ربا لهم لأجل رجوعهم ولا عدهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليمهم عند أبيهم إرسال أخيه مع الكيل من غير تكرار الرسالة على أن استبقا شعرون لو وقع السكان ذلك طامة ينسب عندها كل قيل وقال ثم قال لهم (الأترون إلى أوف الكيل) أي أئتمه وجوابه بصفة الاستقبال مع كونه قال لهم هذه المقالة بعد تجهيزهم للدلالة على أن ذلك عادة المستقرة وغرضه ترغيبهم في العود إليه مرة أخرى ثم أخبرهم بما يزيدهم وثوقا به ونصديقاقوله فقال (وأنا خير المقلين) أي وال حال أنا خير من نزل بي كما فعلت بكم من حسن الضيافة وحسن الانزال قال الزجاج قال يوسف ذلك حين أنزلهم وأحسن ضيقتهم وقال ابن عباس أنا خير من يضيف بمصر قال الرازي وهذا الكلام بضعف قول من يقول من المنسرين أنه اتهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس ومن يشافهمهم هذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم الأترون إلينا أيضا نعم يوسف مع كونه صديقا أن يقول لهم ذلك مع أنه يعرف برأيتهم من هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بالصدق ثم توعدهم إذا لم يأتيوه به فقال (فإن لم تأتوني) إذا عدهم مرة أخرى (به) أي

حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام عليه فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه تحولت حتى قف في صدره فقلت يا رسول الله أعلني عدو الله عبد الله بن أبي الفائل يوم كذا كذا وكذا بعد أيامه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم حتى إذا كثرت عليه قال أخرني يا عمراني خبرت فاخترت قد قبل لي استغفر لهم الآية لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفرت لزدت قال ثم

صلى عليه ومثني معه وقام على قبره حتى فرغ منه قال فعبجت من جرائقي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال
فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل وهكذا رواه الترمذى فى التفسير من حديث محمد بن اسحق عن الزهري به وقال
حسن صحيح ورواه البخارى عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهري به فذكر من له وقال أخر عنى يا عمر لما كثرت عليه قال
خيرت فاخبرت ولو أعلم انى انزلت على السبعين لغفر له لندت عليها (٥١) قال صلى عليه رسول الله ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا

حتى نزلت الآيتان من براءة ولا
تصل على أحد منهم مات أبدا ولا
تقيم على قبره الآية فمحييت بعد من
جرائقي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورسول الله صلى الله
عليه وسلم أعلم وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبد
المالك عن ابن الزبير عن جابر قال
لمامات عبد الله بن أبي أئى ابنه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله انك ان لم تأت لم نزل
نعيه به فأتاه النبي صلى الله عليه
وسلم فوجد قد أدخل فى حفرة
فقال أولا قبل ان تدخلوه فاخرج
من حفرة ونزل عليه من ريقه
من قرنه الى قدمه وأبسه قيصة
ورواه النسائي عن أبي داود الحارثي
عن يهوى بن عبيد عن عبد الملك وهو
ابن أبي سليمان به وقال البخارى
حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا
ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن
عبد الله قال أتى النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن أبي عبد
ما أدخل فى قبره فامر به فاخرج
 ووضع على ركبته ونفث عليه من
ريقه وأبسه قيصة والله أعلم

بأخذكم الذى من أيسكم (فلا كمل لكم عندى) أى فلا أيسكم شيئا فيما بعد فضلا
عن آيائه وأما فى الحال فقد أوفىكم كيالهم وهـ ذانها به الخوف لانهم كانوا محتاجين
الى تحصيل الطعام ولا يمكن الا من عنده فذا منعهم من العود فتدبى عليهم
(ولا تقربون) أى لا تدخلوا بلادى فضلا ان أحسن اليكم وقيل معناه لا أنزل لكم عندى كما
أنزلتكم هذه المرة ولم يردنهم لا يقربون بلاده والمعنى لا تدنوا منى ولا تقربون شجرى وما على
ان لا ناهية أو على انها نافية وهو معطوف على محل الجزاء داخل فى حكمه كأنه قال فان لم
تأتوني به تحرموا ولا تقربوا فلما دعوا منه ذلك وعدوه بما طلبه منهم (قالوا استأذنه
أباه) أى سئط عليه منه ونجى فى ذلك بما تقدم عليه وقيل معنى المأذنة هنا الخادعة
منهم لا يهيم والاحتيال عليه حتى يتزعموه منه (وانا لناعلون) هذه المأذنة غير
مقتصرين فيه ارقيل معناه وانما قادرون على ذلك لانتعاني به ولا ناعاظمه (وقال) يوسف
(الفتية) أى لغلمان وأتباعه قرأه أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم من رواية شعبة وابن
عاصم واختاره هذه القراءة أبو جهم والنحاس وغيرهم أو قرأه سائر الكوفيين انتهى
واختار هذه القراءة أبو عبيد وبقرأ ابن مَعُود قال النحاس انتهى مخالفاً للسواد
الاعظم ولا يترك السواد لجمع عليه لهذا الاسناد المذتفع وأيضاً فان فتية أشبه من
فتيان لان فتية عند العرب لاقل العدد وأمر التبادل بان يجعلوا البضاعة فى الرحال
أشبهه والجملة مستأنسة جواب سؤال كأنه قيل فما قال يوسف بعد وعدهم له بذلك فاجيب
بأنه قال للفتية قال الزجاج الفتية والفتيان فى هذا الموضع الممالكة وقال النعائى هـ ما
لغتان جيدتان مثل الصبية والصبان قال الكرخى وكلاهما اجمع فى كاخوة واخوان
جمع أح الاول للقلة والثانى للكثرة قال البيضاوى وهم الكيالون (اجعلوا بضاعتهم)
المراد بالبضاعة هنا هى التى وصلوا بها من بلادهم يشتروا بها الطعام وكانت زعالة وأدما
وقال ابن عباس أورفا (فى رحلهـم) وكل لكل رحل واحد من غلمان يدس فيه
البضاعة التى اشتروا بها الطعام الذى فى هذا الرحل والرحال جمع رحل وهى الأوعية التى
يحمل فيها الطعام وغيره والمراد به هنا ما يستعجبه الرجل معه من الاثاث قال الواحدى
الرحل كل شئ معد للرحيل من عالة لمتاع ومركب للبعير ومجلس ورسن انتهى والمراد
هنا الأوعية التى يجعلون فيها ما يمارونه من الطعام قال ابن الانبارى يقال للوعاء رحل
وللبيت رحل فعل يوسف عليه السلام ذلك تفضلاً عليهم وقيل ليستعينوا بها على

وقد رواه أيضاً فى غير موضع مع مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن عيينة به وقال الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحالى
البرازى مسنده حدثنا عمرو بن على حدثنا يحيى حدثنا محمد بن عثمان حدثنا جابر ح وحدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد
الرحمن بن مغراء الدوسى حدثنا محمد بن عثمان حدثنا جابر قال يحيى بن عمار بالمدينة فابوى ان يصلى
عليه النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبى أوسى ان يكفن بقميص وهذا الكلام فى حديث
عبد الرحمن بن مغراء قال يحيى فى حديثه صلى عليه وأبسه قيصة فانزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

وزاد عبد الرحمن وخلع النبي صلى الله عليه وسلم قيصره فأعماه يادومنى فصلى عليه وقام على قبره فأتاه جبريل عليه السلام لما
ولى قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره واسأله لابس به وما قبله شاهد له وقال الامام أبو جعفر الطبرى حدثنا أبو
أحمد حدثنا جابر بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يصلى على عبد الله بن أبي فاخذ جبريل
بنوبه وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ورواه الحافظ أبو يعلى فى مسنده من حديث يزيد الرقاشى وهو ضعيف
وقال قتادة أرسل عبد الله بن أبي الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم وهو مريض فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم

يا رسول الله انما أرسل اليك لتؤبى
ثم سأله ان يعطيه قيصره يكفن فيه
فأعطاه يادومنى عليه وقام على قبره
فأنزل الله عز وجل ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا الآية وقد ذكر
بعض الساف انه انما كسامة قيصره
لان عبد الله بن أبي لما قدم العباس
طلب له قيصر فلم يجد على نفسه
الا نوب عبد الله بن أبي لانه كان
منهم ما طويلا ففعل ذلك به رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكانا
فأله أعلم ولهذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه
الآية الكريمة عليه لا يصلى على
أحد من المنافقين ولا يقوم على قبره
كما قال الامام أحمد حدثنا ياقوت
حدثنا عن أبيه حدثني عبد الله
ابن أبي قتادة عن أبيه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دعى الى جنازة سأل عنها فان اثنى
عليه اخبره فامضى صلى الله عليه وسلم وان كان
غير ذلك قال لا اهلها شأنكم بها
ولم يصلى عليه او كان عمر بن الخطاب
لا يصلى على جنازة من جهل سأل

الرجوع اليهم سر بعاشرا الطعام وقيل يرجعوا اليه مرة أخرى لعلمهم انهم لا يقبلون
الطعام الا بين قاله الفراء جري عليه الجلال وقيل انه خاف ان لا يكون عنده شيء
آخر من المال لان الزمان كان زمان قح وشدة وقيل أراد ان يحسن اليهم على وجه
لا يلحقهم فيه ممنة ولا عيب وقيل أراد ان يرهم بره وكرمه واحسانه اليهم وقيل أراد ان
يكون ذلك عونا لايه ولا خوة على شدة الزمان وقيل غير ذلك وقيل انه استعجب ان يأخذ
من أبيه واخوته ثمن الطعام ثم علل يوسف ما أمر به من جعل البضاعة فى الرحل وهى
معرفته ثم لها فقال (أعلمهم بعرفونها) أى بساعتهم (اذا انقلبوا) رجعوا (الى
أهلهم) لانهم لا يعلمون برد البضاعة اليهم الا عند تنزيع الاوعية التى جعلوا فيها الطعام
وهى لا يفرغونها الا عند الوصول الى أهلهم ثم علل معرفتهم للبضاعة المردودة اليهم
الجمعة فى رحالهم بقوله (أعلمهم يرجعون) لئلا فاتهم اذا عرفوا ذلك وعلموا انهم
أخذوا الطعام بلاغن وان ما دفعوه عوضا عنه قد رجع اليهم وتفضل بهم وصلوا اليه
عليهم نشطوا الى العود ولا سيما مع ما هم فيه من الجذب الشديد والحاجة الى الطعام
وعدم وجوده اليهم فان ذلك من أعظم ما يدعوهم الى الرجوع وبه يذنبون ان يوسف
عليه السلام لم يرد البضاعة اليهم الا لهذا المنصوص ودور رجوعهم اليه فلا يتم تعليل ردها
بغير ذلك (لما رجعوا الى أبيهم) قيل ان يشتغلوا بفتح المتاع (قالوا يا ابانا) قدمنا
على خير رجلا أنزلناوا كرمنا كرامة عظيمة فقال لهم يعقوب اذارجعتم الى ملك مصر
فاقروا عليه منى السلام وقولوا ان ابانا يدعوك بما أوليتنا فقالوا (منع منا الكيل)
وأرادوا به اذا ما تقدم من قول يوسف لهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى أى منع
الكيل فى المصير تقبل بعده هذه المرة وفيه دليل على ان الامتياز مرة بعد مرة معه ودفعها
بينهم وبينه ولعلمهم قالوا له هذه امثالة قيل ان يتكفوا متاعهم ويعلموا برد بضاعتهم كما
يذهب ذلك قوله فيما بعد لم يتكفوا متاعهم الآية ثم ذكر له ما أمرهم به يوسف فقالوا
(فارسل معنا اخانا) أى امين الى مصر (مكث) بسبب ارساله معانا يريد من الطعام
وهو مجزوم فى جواب الأمر وأصله تكثيل بوزن نعتهم ووزنه الا نفضل وبحسب الاصل
نفعل قرا سائر الكوفيين بالقصة واختار أبو عبيدة قراءة النون قال ابعثوا كلهم
داخلين فبين يكمل وزعم انه اذا كان باليه كان للآخ وحده أى يكمل اخونا بنيامين

حتى يصلى عليه احدى بنه بن اليمان لانه كان يعلم ان اعيان المنافقين قد أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترضه
ولهذا كان يقال له صاحب السر الذى لا يعلم غيره أى من العصابة وقال أبو عبيد بن كآب القريب فى حديث عمر انه أراد ان يصلى
على جنازة رجل فمره حذيفة كانه أراد ان يصده عن الصلاة عليها ثم حكي عن بعضهم ان المرز بلغة أهل البصرة هو القرص
باطراف الاصابع ولما سمى الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم كان هذا الصنيع من أكبر
الشربات فى حق المؤمنين فشرع ذلك وفى فعله الاحكام كانت فى العاصم وغيرها حديث أى هريرة رضى الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شهد الجنائزة حتى يصل على أهله فله قبر أطول ومن شهد لها حتى تدفن فله قبر أطول قيل وما القبر أطول قال أصغرهما مثل أحد وما القيام عند قبر المؤمن إذا مات فروى أبو داود حدثنا إبراهيم بن موسى الرازي أخبرنا هشام عن عبد الله بن بجير عن هاني وهو أبو سعيد البربري مولى عثمان بن عفان عن عثمان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل انفرد بإخراجه أبو داود ودرجه الله وقوله ولا تنجيكم أموالهم ولا أولادهم الآية تقدم تفسير نظير هذه (٥٣) الآية الكريمة والله الحمد (وإذا أنزلت سورة إن آمنوا بالله

وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُن مع القاعد دين رضوان يكونوا مع الخوالب وطبع على قلوبهم فهم لا يشقهون) يقول تعالى منكروا إذا ما للمتخلفين عن الجهاد الناكين عنه مع القدرة عليه ووجود السعة والطول واستأذنوا الرسول في القعود وقالوا ذرنا نكُن مع القاعد دين ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخوالب بعد خروج الجيش فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما كما قال تعالى عنهم في الآية الأخرى فإذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداثا أي عات السنتهم بالكلام الحمد القوى في الأمن وفي الحرب أجبن نبي وكما قال الشاعر
أفي السلم أعيار أجفان غلظة
وفي الحرب أشباه النساء العوارك
وقال تعالى في الآية الأخرى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت

واعترضه الخاس بما حصله ان اسناد الكيل الى الاخ لا ينافي كونه للجمع والمعنى يكال بنيامين لنا جميعا والقراءتان سبعيتان قال الزجاج أي ان أرسلته اكلتنا والامننا الكيل (واناله) أي ابنيامين (الحافظون) من ان يصيبه سوء أو مكروه (قال) يعقوب لما قالوا له هذه المقالة (هل آمنتكم عليه الا كما آمنتكم على أخيه من قبل) مستأنفة كما تقدم نظائر ذلك في مواضع كثيرة والمعنى انه لا يباينهم على بنيامين الا كما يباينهم على أخيه يوسف وقد قالوا له في يوسف واناله الحافظون كما قالوا له انما خانوه في يوسف فهو ان آمنهم في بنيامين خاف ان يخونوه كما خانوه في يوسف (فأله خير حافظا) منصوب على الحالية وقرئ حفظا على التمييز ولعل هنا ضمرا والتقدير فتوكل يعقوب على الله ودفعه اليهم وقال فأله خير حافظا والمعنى ان حفظ الله ايام خير من حفظهم له وانما أرسله معهم لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحق والصدق مثل ما شاهد بينهم وبين يوسف أو ان شدة القحط وضيق الوقت أحوج به الى ذلك (وهو أرحم الراحمين) فارجو ان ينم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قيل لما وكل يعقوب حفظه الى الله سبحانه حفظه وأرجعه اليه ولما قال في يوسف وأشف ان يأكله الذئب وقع له من الامتحان ما وقع قال كعب لما قال ذلك قال الله تعالى وعزني وجلالي لا ردن عليك كليهما (ولما قصوا) بحضرة أبيهم (متاعهم) أي أوعية الطعام وما هو أعم من ذلك مما يطلق عليه اسم المتاع سواء كان الذي فيه طعاما أو غير طعام (وجددوا بضاعتهم) التي حملوها الى مصر لئلا يروا بها وهي غن الطعام وقد تقدم بيانها (ردت اليهم) وجعلته (قالوا يا أبانا) مستأنفة كما تقدم (مانعي) مالا يستفهم الانكار والمعنى أي شيء تطلب من هذا الملك بعد ان صنع معنا ما صنع من الاحسان برد البضاعة والاكرام عند القدوم اليه وتوفير ما أردناه من الميرة وأردوا به هذا الكلام تطليب قلب أبيهم وقال قتادة مانعي وراء هذا وفيه لعل ان مانعية أي مانعي في القول وما تزد فيما وصفنا لك من احسان المثل الميناوا كرامه لنا وقرئ بالنوقية خطا باليعقوب أي أي شيء تطلب وراء هذا الاحسان أو أي شيء تطلب من الدليل على صدقنا ثم رهنوا على مانعهم من التزيد في وصف الملك بقولهم (هذه بضاعتنا ردت الينا) فان من نضل عليهم بر ذلك حقيق بالثناء عليه منهم مستحق لما وصفوه به وهي جنة مقررة مادل عليه الاستفهام من الانكار اطلب شيء مع كونها قد

سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الدين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر الغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خير ا لهم الآية وقوله وطبع على قلوبهم أي بسبب نكولهم عن الجهاد والخروج مع الرسول في سبيل الله فهم لا يشقهون أي لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه ولا ما فيه مضرة لهم فيجتنبوه (لكن الرسول والذين آمنوا معه يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئک لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدین فيها ذلك الفوز العظيم) لماذا كرر تعالى ذم المنافقين وبين شام على المؤمنين ومالهم في آخرهم فقال لكن الرسول والذين

آمنوا معه جاهدوا إلى آخر الآية يتبين من بيان حالهم وما آلهم وقوله وأولئك لهم الخيرات أى في الدار الآخرة في جزاءات انفرادهم
والدرجات العلى (وجاء المعتبرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم)
ثم بين تعالى حال ذوى الاعذار في ترك الجهاد الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويبينون له ما هم فيه من
الضعف وعدم القدرة على الخروج وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة قال الفضالك عن ابن عباس انه كان يقرأ وجاء
المعذرون بالتحفيف ويقول هم أهل العذر وكذا روى (٥٤) عن ابن عيينة عن حميد عن مجاهد سوا قال ابن اسحق وبلغني

انهم لم يقر من بني نزار خفاف بن
إيماء بن رخصة وهذا القول هو
الظاهر في معنى الآية لانه قال بعد
هذا وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
أى لم يأتوا فيعتذروا وقال ابن
جرير عن مجاهد وجاء المعذرون
من الاعراب قال نضر بن غنار
جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله
وكذا قال الحسن وقمادة ومحمد بن
اسحق والقول الاول أظهر والله أعلم
لما قدمنا من قوله بعده وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله أى وقعد
آخرون من الاعراب عن الجنى
للاعتذار ثم أوعدهم بالعذاب
الاليم فقال سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب أليم (ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ولا على
الذين لا يجدون ما يفتقون
مخرج اذا نعتوا الله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم ولا على الذين اذا ما أتوا
لتحملهم قلت لأجد ما أحملكم
عليه تولوا وأعينهم نفرض من
الدمع حرنا ألا يجحدوا ما يفتقون
انما السبيل على الذين يستأذنونك
وهم أغنياء رضوان يكونوا مع

ردت إليهم (ونقرأ ههنا) نجلب إليهم الميرة وهى الطعام يقال مارأه يجرهم اذا حمل لهم
الطعام وجلبه من بالآخر إليهم والمائر الذى يأتى بالطعام وقراء السلى يضم النون
(ونحنظأحانا) بنيامين مما تخافه عليه (وزداد) بسبب ارساله معنا (كيل) حمل
(بغير) زائد على ما جئنا به هذه المرة لانه كان يكال لكل رجل وقر بغير قال مجاهد حمل
حمار وهى لغة قال أبو عبيدة يعنى ان الحمار يقال له فى بعض اللغات بغير (ذلك) أى
زيادة كيل بغير لا خينا (كيل بغير) يسمل على الملك ولا يتنفع علينا من زيادته له
لكونه بغير الا يتعاضده ولا يضايفنا فيه وقيل ان المعنى ذلك المكيل لاجلنا قليل نريد
ان يضاف اليه حمل بغير لا خينا واختار الزجاج الاول وقيل ان هذا من كلام يعقوب
جوابا على ما رآه أولاده وزداد كيل بغير يعنى ان حمل بغير شئ بغير لا يخاطر لاجله بالولد
وهو ضعيف لان جواب يعقوب هو (قال ابن ارساء له معكم حتى تؤثون) أى تعدون
(موتقا) ما أتى به وأركن اليه (من) جهة (الله) سبحانه وهو الخافيه والموتق
العهد المؤكدا باليمين وقيل هو المؤكدا بالله اذ الله عليه واللام فى (لأنتأبى به) جواب
القسم أى تحلفوا بالله ان تردن بنيامين أى لأنتأبى به والاستثناء بقوله (الآن يحاط بكم)
مترغ من أعم الاحوال لان أنتأبى به وان كان كلاما مستثناه فى معنى النفى فكأنه
قال لا تمنعون من أتيا فيه على حال الاحاطة بكم وأمن أعم العلل أى لعلة من
العلل الالهة الاحاطة بكم والاحاطة مأخوذة من أحاطه العدو ومن أحاط به العدو وقد
غلب أو غلب تقول العرب أحبط بفلان اذا هلك أو قارب هلاكه فاخذ يعقوب عليهم
العهد بان يأتوه بنيامين الان بغلب واعليه أو يهلكوا دونه جميعا فيكون ذلك عذرا لهم
عنده (فلأتوه موثقههم) أى أعطوه ما طلبه منهم من اليمين والعهد (قال الله على
ما نزل وكبيل) أى قال يعقوب الله على ما قلنا من طمى الموتق منكم واعطائكم على
ما طلبته منكم مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خاس فى عهده وخفى
فى الخلف به أو موكل اليه القيام بما شهد عليه منا (وقال يابى لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من أبواب متفرقة) لما تجهز أولاد يعقوب للهجرة الى مصر خاف عليهم أبوهم
ان تصيبهم العين لكونهم كانوا ذوى جمال ظاهر ونياب سنة مع كونهم أولاد رجل
واحد فنهاهم ان يدخلوا مجتمعين من باب واحد لان فى ذلك مظنة لاصابة العين لهم

الموافق وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) ثم بين تعالى الاعذار التى لا حرج على من قعد معها عن
القتال فذكر منها ما هو لازم للشخص لا يفتق عنه وهو الضعف فى التركيب الذى لا يستطيع معه الجهاد ومنه العمدى
والعرج ونحوهما وله ذابأبوه ومنها ما هو عارض بسبب مرض عن له فى بدنه شغل له عن الخروج فى سبيل الله وبسبب فقره
لا يقدر على التجهيز للحرب فامس على هؤلاء مخرج اذا قعدوا ونعتوا فى حال قعودهم ولم يجرؤوا بالناس ولم ينبطوهم وهم محسنون
فى حالهم هذا ولهذا قال ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي نعيم

رضي الله عنه قال قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الناصح لله قال الذي يوثق حق الله على حق الناس وإذا حدث له أمر أن
أوبده له أمر الدنيا وأمر الآخرة بدأ بالذي للآخرة ثم تفرغ للذي للدنيا وقال الأوزاعي خرج الناس إلى الاستسقاء فقام فيهم بلال
ابن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر اسمعوا مقربين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم اناسمعتكم تقول ما على
المحسنين من سبيل اللهم وقد أقررنا بالاساءة فاعذرنا وارحمنا واسقنا ورفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقال قتادة نزلت هذه الآية
في عائذ بن عمرو والمزني حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا هشام بن (٥٥) عبيد الله الرازي حدثنا ابن جابر عن ابن فروة عن

عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت قال كتب أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كنت
أكتب براءة فأتى لوضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى فقال كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى
فنزلات نيس على الضعفاء الآية وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمر الناس أن يذبحوا غارين معه فخافته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل بن مقرن
المزني فقالوا يا رسول الله اجلسنا فقال لهم والله لا أجد مأجداً عليكم عليه فتولوا وهم يبكون وعز عليهم
أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجيبون نذرة ولا يحملوا رأى الله حرمهم على محبته ومحبة رسوله أنزل
عذرهم في كتابه فقال لبس على الضعفاء إلى قوله فهم لا يعلمون وقال مجاهد في قوله ولا على الذين
إذا ما أتوا لتعملهم ثم نزلت في بني مقرن من مزية وقال محمد بن كعب كانوا سبعة نفر من بني عمرو

والعين حق فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ أربعة أبواب وقال السدي أراد الطرق لا الأبواب ولم يأمرهم بالتفرق في الكثرة الأولى لأنهم كانوا
مجهولين في الكثرة الأولى ولم يكن بقوله لا تدخلوا من باب واحد من قوله وادخلوا من
أبواب متفرقة لأنهم لو دخلوا من بابين مثلاً كانوا أقداماً مثلوا انتهى عن الدخول من باب
واحد ولكنه لما كان في الدخول من بابين مثلاً نوع اجتماع يخشى معه أن تصيبهم العين
أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة قال النخعي أحب يعقوب أن يلقى أخاه في خلوة قيل
وكان قد علم أن ملك مصر هو ولده يوسف إلا أن الله لم يأذن له في إظهاره ذلك فلما بعث أبناءه
إليه قال لهم ذلك القول والأول أولى أعني أنه خاف عليهم العين وبه قال ابن عباس ومجاهد
وقدة وجهور المفسرين وقد أنكر بعض المعتزلة كتابي على الجبائي واتباعه أن
للعين تأثيراً في انكارها بلغة ولم يذكروا في انكاره شبهة فضلاً عن حجة وإيس هذا يستكر من
هو لا فقد صار دفع أدلة الكتاب والسنة بمجرد الاستبعادات العقلية دأبهم ودينهم وأى
مانع من إصابة العين بتقدير الله سبحانه لذلك وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأن العين حق
وأصيب بها جماعة في عصر النبوة ومنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعجب من
انكاره هؤلاء لما وردت به نصوص هذه الشريعة ما يقع من بعضهم من الأراء على من يعمل
بالدليل المخالف لمجرد الاستبعاد العقل والتقطع في العبارات كالمنحصر في نفسه فانه
في كثير من المواطن لا يتف على دفع دليل الشرع بالاستبعاد الذي يدعيه على العقل حتى
يضم إلى ذلك الوقاحة في العبارة على وجه يقع المتصريحين في الأقوال الباطلة والمذاهب
الزائفة وبالجملة فتقول هؤلاء مدفوع بالدولة المتكاثرة واجماع من يعتديهم من هذه الامة
سلطاناً وخلفاء بما هو مشاهد في الوجود فكم من شخص من هذا النوع الانساني وغيره
من أنواع الحيوان هلك به هذا السبب وقد اختلف العلماء فيمن عرف بالإصابة بالعين
فقال قوم يمنع من الاتصال بالناس دفعا لضرره بحبس أو غيره من لزوم يتيه وقيل يثني
وأبعد من قال انه يقتل إذا كان يعمد ذلك ويتوقف أصابته على اختياره وقصده ولم
ينزجر عن ذلك فانه إذا قتل كان له حكم القاتل ثم قال يعقوب لا ولاده (وما أغنى عنكم
من الله من شيء) أي لا أدفع عنكم ضرراً ولا أجلب اليكم نفعاً بتدبير هذا بل ما اقتضاه
الله عليكم فهو واقع لا محالة قال الزجاج وابن الأنباري لو سبق في علم الله أن العين تهلككم

ابن عوف سالم بن عوف ومن بنى واقف حرمي بن عمرو ومن بنى مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب ويكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى فضل
الله ومن بنى سلمة عمرو بن عتبة وعبد الله بن عمرو والمزني وقال محمد بن اسحق في سياق غزوة تبوك ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم الباقيون وهم سبعة نفر من الانصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير وعليه بن زيد أخو بني حارثة
وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار وعمرو بن المسلم بن الجوح أخو بني سلمة وعبد الله بن المغفل المزني وبعض
الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو والمزني وحرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعباس بن سارية الفزاري فاستقم لهوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال لا أجعلكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا لا يجدوا ما ينفقون وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن الأودي حدثنا وكيع عن الربيع عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما أنفست من نفقة ولا قطعتم واديا ولا نلت من عدوني لا الا وقد شر كوكم في الاجر ثم قرأ ولا على الذين اذا ما تولوا تهنأ لهم قلت لا اجعلكم اجلكم عليه الآية وأصل الحديث في الصحاحين من حديث (١) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ولا يترتب سيرا الا وهم (٥٦) معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر وقال الامام أحمد حدثنا

وكيع حدثنا الاعشى عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة رجلا ما قطعتم واديا ولا سلكتم طريقا الا أنشركوكم في الاجر حبسهم المرض ورواه مسلم وابن ماجه من طرق عن الاعشى به ثم رد تعالى الملامة على الذين يستأذنون في التعمود وهم أغنياء وانهم في رضاهم بان يتركوا مع النساء الخواف في الرجل وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذ ارجمتم اليهم قل لا تعتذروا ان يؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسمى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيئاتون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أخبر تعالى عن المنافقين بانهم اذا رجعوا الى المدينة انهم يعتذرون

مع الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال آخرون ما كان يغني عنهم يعقوب شيئا قط حيث أصابهم ما أصابهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم قال أبو السعود ولم يرد عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال تعالى ولا تلتقوا بايديكم الى التمسكة وقال تعالى خذوا حذركم بل أراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمداغة للقدري بل هو استعانة بالله وهرب منه اليه ثم صرح يعقوب بأنه لا حكم الا لله سبحانه فقال (ان الحكم الا لله) وحده لا لغيره ولا يشاركه فيه مشاركا (عليه) لا على غيره (توكلت) أي اعتمدت ووثقت في كل ارادوا صدار (وعليه) لا على غيره (فليتوكل المتوكلون) على العموم ويدخل فيه أولاده دخولا أولا (ولما دخلوا) المدينة (من حيث أمرهم أبوهم) أي من الابواب المتفرقة ولم بجعة عوادا خيل من باب واحد وجواب لما (ما كان يغني عنهم) ذلك الدخول أو رأى يعقوب واتباعهم له (من الله) أي من جهته (من شيء) من الاشياء مما قدره الله عليهم أي الذي أراد وقوعه فقد نسبوا للسرقة وأخذ منهم بنيامين ونصاعنت المصيبة على يعقوب لان الحذر لا يدفع التندر والاستثناء بقوله (الا حجة في نفس يعقوب قضاها) منقطع والمعنى ولكن حاجة كانت في نفسه وهي شفقتهم عليهم ومحبة اسلامتهم أظهرها يعقوب لهم ووصاهم بهما غير معتقدان للتدبير الذي دبره لهم تأثيرا في دفع ما قضاه الله عليهم وقيل انه خطر يبال يعقوب ان الملائكة اذا رآهم مجتمعين مع ما يظهرونهم من كمال الخلقة وسيم الشجاعة أوقع بهم من حذرهم وحذرهم فامرهم بالتفرق لهذه اللة وقد اختار هذا النحاس وقال لا معنى للعين هنا وفيه ان هذا لو كان السبب لامرهم بالتفرق لم يخص النهي عن ذلك بالاجتماع عند الدخول من باب واحد لان هذا الحذر والخوف يحصل بالاجتماعهم داخل المدينة كما يحصل بالاجتماعهم عند الدخول من باب واحد وقبل ان الفاعل في قضاها ضمير يعود الى الدخول لا الى يعقوب والمعنى ما كان الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكنه قضى ذلك الدخول حاجة في نفس يعقوب لوقوعه حسب ارادته (وانه) أي وان يعقوب (لذو علم) جليل (لما علمناه) أي لتعلمنا بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يبين الخلل

اليهم قل ان يؤمن لكم اي لن تصدقكم قد نبأنا الله من اخباركم اي قد علمنا الله أحوالكم وسمى الله عملكم ورسوله اي يظهر اعمالكم للناس في الدنيا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي فيضبركم باعمالكم خيرها وشرها ويجزيكم عليها ثم أخبر عنهم انهم سيئاتون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقارا لهم انهم رجس اي خبيث نجس بواطنهم واعتقاد انهم وماواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون اي من الآثام والخطايا واخذ برأيتهم ان رضوا عنهم لم يجلسوا بهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله فان

الفسق هو الخروج ومنه سميت الفاروق بسعة لخروجها من حجرها للفساد ويقال فسقت الرطبة اذا خرجت من اكلها
(الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا أحدود ما أنزل الله على رسوله والله عليهم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله وصلوات الرسول ألا انهم اقرب اليهم سيدهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم) أخبر تعالى ان في الاعراب كفارا ومنافقين
ومؤمنين وان كذرتهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد وأجدر (٥٧) أي أخرى أن لا يعلموا أحدود ما أنزل الله على رسوله كما قال

الاعمش عن ابراهيم قال جلس
اعرابي الى زيد بن صوحان وهو
يحديث أصحابه وكانت يده قد
أصبحت يومئذ وقد قال الاعرابي
والله ان حديثك لي عجبي وان يدك
لترينني فقال زيد ما يريدك من يدى
انما الشمال فقال الاعرابي والله
ما أدري اليين يقطعون أو الشمال
فقال زيد بن صوحان صدق الله
الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر
أن لا يعلموا أحدود ما أنزل الله على
رسوله وقال الامام أحمد حدثنا عبد
الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان
عن أبي موسى عن وهب بن منبه
عن ابن عباس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من سكن البادية
جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن
أتى السلطان افتتن ورواه أبو داود
والترمذي والنسائي من طريق
عن سفيان الثوري به وقال
الترمذي حسن غريب لا نعرفه
الامن حديث الثوري ولما كانت
الفاطمة والحفاه في أهل البوادي لم
يبعث الله منهم رسولا وانما كانت
البعثة من أهل القرى كما قال
تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا

في رأيه عند تخلف الاثر وعلم ان ما قضاه الله سبحانه فهو كائن لا محالة وقيل غير ذلك وهذا
أولى وفي تأكيد الجدل بان واللام وتنكير العلم وتعليق بالعلم المستند الى ذاته سبحانه
من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه ونفاهته ما لا يخفى
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بذلك كما ينبغي وقيل لا يعلمون ان الحديث من مذوب اليه
وان كان لا يغني عن القدر شيئا والى ما يدفعه وقيل المراد بان أكثر الناس المشركون (ولما
دخلوا على يوسف) أي في محل حكمه (آوى) ضم (اليه أخاه) بنيامين قيل انه أمر بانزال
كل اثنين في منزل فبقي أخوه منه ردافضه اليه (وقال اني أنا أخوك) يوسف قال له
ذلك سرا من دون ان يطلع عليه اخوته (فلا تبئس) أي فلا تحزن والابتئس
اجتلاب الحزن والبؤس والضرو الشدة (بما كانوا يعملون) اخوتك من الاعمال
الماضية التي عملوها وقيل انه لم يخبره بانه يوسف بل قال له اني أنا أخوك مكان أخيك
يوسف فلا تحزن بما كنت تلتناه منهم من الجناء حسدا وبغيا وقيل انه أخبره بما سجد به
معهم من جعل السقاية في رحله فقال لأبالي فدرس الصاع في رحله وهو المراد بالسقاية في
قوله (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) وأصلها المشربة التي كان الملك يشرب بها
جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسمى بها الدواب ويكال بها الخب وقيل كانت من فضة
وقيل من ذهب وقيل من زبرجد وقيل مرصعة بالجواهر وقيل غير ذلك وقد تقدم تفسير
الجهاز والرحل وعبر بالبناء هنا إشارة الى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم لان
الغرض منه قد حصل وقد عرفت حالهم بخلاف المرة الاولى كان المطالب طول مدة
اقامتهم لينعرف الملك حالهم والمعنى انه جعل السقاية التي هي الصواع (في رحل أخيه)
الذي هو الوعاء الذي يجعل فيه ما يشربه من الطعام من مصر (ثم) بعد ذلك (أذن)
نادى (مؤذن) منادوا علم معلم والأذان في اللغة الاعلام وكان ذلك النداء مع رفع الصوت
مرارا كثيرة بدليل التفعيل بعد اتصالهم عن مجلس يوسف حتى انطلقوا وخرجوا من
العمارة ثم أرسل خلفهم من استوفى منهم وجسهم كما يشير له التعبير بتم التي للترخي بل قيل
انهم وصلوا الى بليس وردوا من عندها (أيتمها العير) قال الزجاج معناه يا أصحاب
العير أي الابل فهو مجاز مرسل علاقته بجارية كما قاله السمين وفي المصباح العير بالكسر
اسم للابل التي تحمل الميرة في الاصل ثم غلب على كل قافلة انتهى وكل ما امتير عليه من

(٨ فتح البيان خامس) نوحى اليهم من أهل القرى ولما أهدى ذلك الاعرابي تلك الهدية لبسول الله صلى الله عليه وسلم فرد
عليه أضعافها حتى رضى قال الله هممت ان لأقبل هدية الامن قرشي أو نقي أو انصارى أو دومي لان هؤلاء كانوا يكتنون المدن
مكة والطائف والمدن يتقوا بين فهم أطف اخلاقا من الاعراب لما في طباع الاعراب من الجفاء وقوله والله عليهم حكيم أي عليهم عن
يستحق ان يعلمه الايمان والعلم حكيم فيما قسم بين عباد من العلم والجهل والايمان والكفر والنفاق لا يستل عما يفعل لعلمه وحكمته
وأخبر تعالى ان منهم من يتخذ ما ينفق أي في سبيل الله مغرما أي غراما وخسارة ويتربص بكم الدوائر أي ينتظر بكم الحوادث

والآفات عليهم دائرة السوء أي هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم والله سميع علمهم أي سميع لدعاء عباده عليهم عن يستحق النصر عن يستحق الخذلان وقوله ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويقتضيه ذم ما يتفق قربات عند الله وصلوات الرسول هذا هو القسم الممدوح من الأعراب وهم الذين يتخذون ما ينفعون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ويتقنون بذلك دعاء الرسول لهم ألا أنهم اقرب لهم أي إلا أن ذلك حاصل لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ٥٨) رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين

فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) يجبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم قال الشعبي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية وقال أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقنادة هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي مرة ربن الخطاب برجل يقرأ هذه الآية والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فاحذر عريده فقال من أقرأك هذا فقال أبي بن كعب فقال لا تشاركني حتى أذهب بك إليه فلما جاء قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أرى أنارفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبي تصدق بهذه الآية في أول سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم

الأول والمخير والبعال فهو غير قاله الهيثم وقيل قافلة الجبر وقال أبو عبيدة العير الأول الرحلة المركوبة ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير لأنه يعبر أي يذهب ويجي (أنكم أسارقون) نسبة السرق إليهم على حقيقة أنها الان المنادى غير عالم بما دبره يوسف وقيل إن المعنى إن حالكم حال السارقين من كون الصواع صار لديكم من غير رضا من الملك وليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الأقرب إلى ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم وقيل غير ذلك وهذا أولى (قالوا) أي أخوة يوسف (وأقبلوا عليهم) أي حال كونهم مقبلين على من نادى منهم المنادى من أصحاب الملك أي التفتوا إليهم وخطبوا بهم يتولاهم (ماذا تفقدون) أي ما الذي فقدتموه والفقْد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه يقال فقدت الشيء إذا علمته بضائع أو فحواه فكأنهم قالوا ماذا ضاع عليكم وما استفهامية وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة (قالوا) في جوابهم (نفقد صواع الملك) وقرئ بالغين المجهة وقرئ صوع وصياح وصاع وقال الزجاج الصواع الصاع بعينه وهو يد كروبوث وهو السقاية قال ابن عباس كل شيء شربت منه فهو صواع وقيل الصواع الذي يكال به وجعه أصوع والصواع لغة فيه وجعه صيعان وفيه قرأت كثيرة وهي ثمانية كلها لغات في هذا الحرف والمراد هنا آلة الكيل مما هانارة كذا وأتارة كذا وإنما أخذها هذا الأنا ميكا لا لفرقة ما يكال به في ذلك الوقت (ولمن جاء به حل بعير) من الطعام جعله لآعلى نية تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله وهذا قول المؤذن وحده فهو الذي كئل ومنه والبعير الجمل وفي لغة بعض العرب أنه الحمار والمراد بالجل ههنا ما يحمله البعير من الطعام ثم قال المنادى (وأنا به) أي بعمل البعير الذي جعل لمن جاء بالصواع قبل التنشيط للآوعية (زعيم) كقيل قاله ابن عباس أي بلسان أهل اليمن وعن سعيد بن جبير وبجاءه وقنادة والضعاف مثله ولعل القائل ينقد صواع الملك هو المنادى وإنما نسب القول إلى الجماعة لكونه واحد منهم ثم رجع الكلام إلى نسبة القول إلى المنادى وحده لأنه القائل بالحقيقة وهذه الآية تدل على أن الكذابة كانت محجة في شرعهم في ذلك الزمان (قالوا والله لقد علمت ما جئنا لنفسد في الأرض)

وفي سورة الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وفي الأنفال والذين آمنوا هجروا وجاهدوا معكم الآية ورواه ابن جرير التاء قال ذو كر عن الحسن أنه كان يقرأه برفع الأنصار عطنا على والسابقون الأولون فقد أخبر الله العظيم أنه قدر رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فباويل من بعضهم أو سبب بعضهم ولا سيما سيد العصاة بعد الرسول وخبرهم وأفضلهم أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبابكر بن أبي قحافة رضى الله عنه فان الطائفة المتخذة من الرافضة يعادون أفضل العصاة ويذنبونهم ويؤنبونهم عباداً باقعة من ذلك وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة

فأين مؤلّا من الإيمان بالقرآن اذ يسبون من رضى الله عنهم وأما أهل السنة فأنهم يترضون عن رضى الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله وبوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله وهم متبعون لامبتدعون ويقتدون ولا يبتدون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون (ومع حوكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ان فى احياء العرب من حول المدينة منافقون وفى أهل المدينة أيضاً منافقون مردوا على النفاق أى مروا واستمروا عليه (٥٩) ومنه يقال شيطان مرید وما ردري قال ترد فلان

على الله أى عتوا وتجبر وقوله لا تعلمهم نحن نعلمهم لا ينافى قوله تعالى ولو نشاء لأريناكمهم فله رفتم بسميهم ولتعرفنهم فى لحن القول لان هذا من باب التوسيم فيهم بصفات يعرفون به الا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين وقد كان يعلم ان فى بعض من يخاطبه من أهل المدينة نفاقا وان كان يراه صبا حاويا وشاهدا هذا بالصحة مارواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان ابن سالم عن رجل عن جابر بن مطعم رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله انهم يزعمون انه ليس لنا أجر عكة فقال لتأتينكم أجوركم ولو كنتم فى بحر علب وأصغى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال ان فى أصحابى منافقين ومعناه انه قد يوح بعض المنافقين والمرجنين من الكلام بما لا صحة له ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذى سمعه جابر بن مطعم وتقدم فى تفسير قوله وهم وابعالم ينالوا انه صلى الله عليه وسلم أعلم

التامد من واول القسم عند الجهور وقيل من الباء وقيل أصل بنفسها وأيا ما كان فنية التعجب ولا تدخل الاعلى هذا الاسم الشريف دون سائر أسمائه سبحانه وقد دخلت نادرا على الرب وعلى الرحمن والكلام على هذا مستوفى فى علم الاعراب وجعلوا المقسم عليه هو علم يوسف وأصحابه بنزاهة جانبهم وطهارة ذيلهم عن التلوث بقذر النفس ادى الأرض الذى من أعظم أنواع السرقة لانهم قد شاهدوا منهم فى قدومهم عليه المرة الاولى وهذه المرة من التعفف والزهد عما هو دون السرقة بما يستفاد منه العلم الجازم بانهم ليسوا بمن يتجارى على هذا النوع العظيم من أنواع الفساد ولولم يكن من ذلك الاردهم لبضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم لكفى والمراد بالارض هنا أرض مصر ثم أكدوا هذه الجملة التى أقسموا بالله عليها بقولهم (وما كنا سارقين) لزيادة اتبى مما قد فوههم به وانتزه عن هذه النقيصة الخسيسة الرذيلة الشنعاء (قالوا فجزاؤه) هذه جملة متأنفة كانت قدم غير مرة فى نظائرها والقائلون هم أصحاب يوسف أو المنادى منهم وحده كما مر والضمير فى جزاؤه للصواع على حذف مضاف أى فاجزاء سرقة الصواع عندكم أو الضمير للسارق (ان كنتم كاذبين) فيما تدعون له لانفسكم من البراءة عن السرقة وذلك بان يوجب الصواع معكم فاجاب اخوة يوسف (قالوا جزاؤه) أى جزاء سرقة الصواع أو جزاء سارق الصواع والتقدير جزاء السرقة للصواع أخذ (من وجد فى رحله) واسترقاقه وتكون جملة (فهو جزاؤه) لتأكيد الجملة الاولى وتقريرها وقال الزجاج هو زيادة فى البيان أى جزاؤه أخذ السارق فهو جزاؤه لا غير قال المفسرون وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة ثم يخلى سبيله فلذلك استنفذوه من جزائه (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الكامل (نحزى الظالمين) لغيرهم من الناس بسرقة أمتعتهم وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها اذا كانت من كلام اخوة يوسف ويجوز أن تكون من كلام أصحاب يوسف أى كذلك نحن نحزى الظالمين بالسرقة ثم لما ذكر وأجزاء السارق أرادوا ان يقتلوا أمتعتهم حتى يتبين الامر فقبل يوسف على ذلك (فبدأ بأوعيتهم) يعنى بتفتيش أوعية اخوته العشرة وقيل ان المنادى وأصحابه الذين تولوا تفتيشهم وهم الذين استخرجوا الصواع من رحل بنيامين (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين دفعا للثمة ورفع المادبره من الحيلة (ثم استخرجها) أى السقاية أو الصواع لانه يذكر

حديثه باعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقا وهذا التخصيص لا يقتضى انه اطلع على أسمائهم أعيانهم كلهم والله أعلم وروى الحافظ ابن عساکر فى ترجمة أبى عمر البيرونى من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثنى شيخ يبروت بكى أبا عمر أظنه حدثنى عن أبى الدرداء ان رجلا يقال له حرملة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الإيمان ههنا وأشار بيده الى لسانه والنفاق ههنا وأشار بيده الى قلبه ولم يذكر الله الا قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل له لسانا ذا كرا وقلبا اشكرا وارزقه حبي وحسب من يحبنى وصيرا مراما الى خيرة فقال يا رسول الله انه كان لى أصحاب من المنافقين وكنت رأسا فيهم أفلا آتيتهم

قال من أنانا استغفرنا له ومن أسر على دينه فآله أولى به ولا تخرقن على أحد سترأ قال وكذا رواه أبو أحمد الخا كم عن أبي بكر
الباغندي عن هشام بن عمار به وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في هذه الآية أنه قال ما بال أقوام يتكفون علم الناس فلان
في الجنة وفلان في النار فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمرى أنت بصييد أعلم من ذأحوال الناس ولقد تكلفت شيأ
ما تكلفه الأنبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما على عما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم
إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله تعالى (٦٠) لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تلهم نحن نعلمهم وقال السدي

عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه
الآية قال قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال
أخرج يا فلان فانك منافق وأخرج
يا فلان فانك منافق فأخرج من
المسجد ناساً منهم فخرجهم فجاء عمر
وهم يخرجون من المسجد فاخترأ
منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن
أن الناس قد انصرفوا واختبأوا هم
من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم
فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس
لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين
أبشر يا عمر قد فضح الله المنافقين
اليوم قال ابن عباس فهذا العذاب
الأول حين أخرجهم من المسجد
والعذاب الثاني عذاب القبر
وكذا قال الثوري عن السدي عن
أبي مالك نحوه هذا وقال مجاهد في
قوله سنعذبهم مرتين يعني القتل
والسبي وقال في رواية بالجوع
وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب
عظيم وقال ابن جريج عذاب الدنيا
وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب
عظيم النار وقال الحسن البصري
عذاب في الدنيا وعذاب في القبر
وقال عبد الرحمن بن زيد أما
عذاب في الدنيا ولا مال والأولاد

وبؤث (من وعاء أخيه) فنكس أخوة يوسف رؤسهم من الحياء ولا موا بنيامين
فاخذوه وردوه إلى يوسف (كذلك) أي منسل ذلك الكيد العجيب (كدنا) أي دبرنا
قاله النبي أو ردنا قاله ابن الأنباري (ليوسف) يعني علمناه أيا دأ وأوحينا إليه واللام
زائدة واليه نحو السيوطي وفي أي السعد وما يشقضي أن اللام للتعليل أي صنعناه ودبرنا
لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه والكيد مبدؤه
السمي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الخدوع من حيث لا يشعري أمر مكرره لاسيما
إلى دفعه وهو محمول في حق الله سبحانه على النهاية لا على البداية وقال ابن الأعرابي الكيد
التدبير بالباطل وبالحق وقيل الكيد هنا جراه الكيد يعني كما فعلوا يوسف في الابتداء
فعلمناهم وقيل غير ذلك والاول أولى وفي الآية دليل على جواز التوصل إلى الأغراض
الجمعة بما صورته صورة الحيلة والمكيدة إذ لم يخالف ذلك شرعاً بائناً (ما كان)
يوسف (الباخذ أخاه) بنيامين (في دين الملك) أي ملك مصر وفي شريعته التي كان
عليها بل كان دينه وقضاؤه أن يضرب السارق ويغرم ضعف ما سرقه دون الاستعباد سنة
كما هو دين يعقوب وشريعته وما صلح أن يوسف ما كان يتمكن من اجراء حكم يعقوب على
أخيه مع كونه مخالفاً لدين الملك وشريعته لولا ما كاد الله له ودبر وأراد حتى وجد السبيل
إليه وهو ما اجراء على أن اخوته من قولهم إن جراه السارق الاسترقاق فكان قولهم
هذا هو عيشة الله وتدبيره وهذه الحيلة تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف أو تفسير
له يعني أن ذلك الأمر كله كان الهاماً من أمر الله ليوسف واخوته حتى جرى الأمر على
وفق المراد وهو معنى قوله (الأن يشاء الله) أي لا حال مشيئته وأذنه بذلك وأرادنه
له والاستثناء منتطع إذا أخذ من الملك لا يشمل المراد به فالعني ولكن أخذ بشريعة
يعقوب (ترفع درجات من نشاء) بضروب العلوم والمعارف والعطايا والكرامات كما
رفعنا درجة يوسف بذلك والآية تدل على أن العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لأن
الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على أخوته بل علم قرئ درجات بالإضافة والتنوين
وهما سبعة (وفوق كل ذي علم) ممن رزقه الله بالعلم من المخلوقين (عليهم) أرفع رتبة
منه وأعلى درجة لا يبلغون مداه ولا يرتقون شأوه وقيل معنى ذلك أن فوق كل أهل العلم
عليهم إلى أن ينتهي الأمر إلى الله وهو سبحانه فوق كل عالم عن سعيد بن جبيرة قال كنا

وقرأ قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم اغماير يد الله لي عذبهم بها في الحياة الدنيا فهذه المصائب لهم عند

عذاب وهي للمؤمنين أجر وعذاب في الآخرة في النار ثم يردون إلى عذاب عظيم قال الناروقال محمد بن اسحق سنعذبهم مرتين
قال هو فيه ما يعني ما هم فيه من أمر الإسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حصة ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إلى هائم
العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة والخلد فيه وقال سعيد عن قتادة في قوله سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب
القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم وذكرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر إلى حديثه باثني عشر رجلاً من المنافقين فقال ستة منهم

تكنفيهم الديلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى ينفضي الى صدره وستة عيون موتا وذكرا لنا ان عمر قال لذيبة أنشدك الله
رضي الله عنه كان اذا مات رجل من يرى انه منهم تطرأ الى حذيفة فان صلى عليه والتركه وذكرا لنا ان عمر قال لذيبة أنشدك الله
أمنهم ان قال لا ولا أو من منها أحد بعدك (وآخرون اعترفوا بنوبهم خلطوا واعمالا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليه ان الله
غفور رحيم) لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبا وشكاشا عن بيان حال المذنبين الذين تأخروا
عن الجهاد كسلا وميلا الى الراحة مع ايمانهم ونسبته بهم بالحق فقال (٦١) وآخرون اعترفوا بنوبهم أي أقروا بها واعترفوا

فما بينهم وبين ربهم واهم أعمال
آخر صلحة خلطوا هذه بتلك
فهؤلاء تحت عذو الله وغفر رانه
وهذه الآية وان كانت نزلت في
أناس معينين الا انها عامة في كل
المذنبين الخاطئين المتخلفين
وقد قال سبحانه انهم انزلت في أبي
لبابة لما قال لبي قريظة انه الذبح
وأشار بيده الى حلقه وقال ابن
عباس وآخرون نزلت في أبي لبابة
وجاعة من أصحابه تخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة تبوك فقال بعضهم أبو لبابة
وخسة معه وقيل وسبعة معه وقيل
تسعة معه فلما رجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوته ربطوا
أنفهم بسوارى المسجد وحلوا
لا يعلمهم الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما أنزل الله هذه الآية
وآخرون اعترفوا بنوبهم أطلقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنا
عنهم وقال البخاري حدثنا مؤمل
ابن هشام حدثنا سهيل بن ابراهيم
حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء حدثنا
سرة بن جندب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنا أتاني الليلة

عند ابن عباس فحدثني فقال رجل عنده وفوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس
بئس ما قالت الله العليم الخبير وهو فوق كل عالم وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا فقال علي أصبغت واخطأت
وفوق كل ذي علم عليم وعن عكرمة قال قال الله فوق كل عالم قال ابن الانباري يجب ان
يتهم العالم نفسه ويستشعر ان تواضع لواجب ربه ولا يطمع نفسه بالغلبة لانه لا يخلو عالم عن
عالم فوقعه في الآية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم (قالوا ان
يسرق) أي بنيامين الصواع (فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف وكان غرضهم
من هذا الكلام ان الساع على طريقته ولا على سيرته بل هذا وأخوه كانوا على هذه الطريقة
لانهم ما من أم أخرى غير أمنا وقال الخفافجي أتوا بكلمة ان اعدم تحفة لهم له بمجرد خروج
السقاية من رحله وأما قولهم ان ابنك سرق فبما على الظاهر ويسرق الحكيمة الحال
الماضية والمعنى ان كان سرق فليس يدع سبق مثله من أخيه والعرق نزاع وقيل انهم
جرموا بذلك وان تجرد الشرط انتهى وقد اختلف المفسرون في هذه السرقة التي نسبوها
الى يوسف ما هي فقيل انه كان ليوسف عمة هي أكبر من يعقوب وكانت عندها منطة
اصحق لكونها أسن أولاده وكانوا يوارثونها فبما أخذها الأكبر سنان ذكر أو أختي وكانت
قد حضرت يوسف وأحبته حباً شديداً فلما تزعزع قال لها يعقوب سلمي يوسف الى
فأشفت من فرانه واحتمات في بئانه لئلا يذهب اليها المنطة تحت ثيابه وحرمت بهائم
قالت قد سرق منطة اصحق فانظروا من سرقها فجنوا عنها فوجدوها مع يوسف
فأخذته عندها كما هو شرع الانبياء في ذلك الوقت من آل ابراهيم ذكره محمد بن اصحق وقد
سبق بيان شربهم في السرقة وقيل ان يوسف أخذ منها كان لجدته أي أمه فكسره
وأثاء على الطريق تغييرا للمسكر فيمير بذلك اخوته وقد روى معناه عن ابن عباس مرفوعا
وعن سعيد بن جبير وقتادة مثله غير مرفوع وقد روى نحوه عن جماعة من التابعين وحكى
عن الزجاج انه كان صنمان ذهب وقيل من فضة وقال عطية سرق في صباه ميلين من
ذهب وعن ابن عباس سرق مكحلة لحائه وقيل كان في المنزل دجاجة فاعطاها السائل
قاله سفيان بن عيينة وقيل كان يجلبا الطعام من المائدة للفقراء قال ابن الانباري وليس في
هذه الافعال كلها ما يجيب السرقة ولكنها تشبهها فغيروه بها عند الغضب وحكى

آتيان فابتعنا فانت مننا الى مدينة مبنية بابن ذهب وابن فضة فتلقا نار رجال شطرنج ختمهم كاحسن ما أنت راه وشطر كاقبح
ما أنت راه قالوا لهم اذهبوا فوقعوا في ذلك انهم فوقعوا فيه ثم رجعوا اليها قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا
هذه جنة عدن وهذا المنزل قالوا ما القوم الذين كانوا شطرنجهم كاحسن وشطرهم قبيح فانهم خلطوا واعمالا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله
عنهم هكذا رواه البخاري مختصرا في هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن
اهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم) أمر تعالى رسوله

صلى الله عليه وسلم بان يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويركهم بها وهذا عام وان أعاد بعضهم الضمير في أموالهم الى الذين اعترفوا بذنوبهم وخططوا غلاصحا وآخر سبأ وله - اذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من احياء العرب ان دفع الزكاة الى الامام لا يكون وأنه خاص بالرسول صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة وقائلوهم حتى أدوا الزكاة الى الخليفة كما كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق والله لو منعوني عينا فاني روية (٦٢) عتقنا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قاتلهم على منعه وقوله

وصل عليهم أي ادعاهم واستغفر لهم - كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي اوفى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فاتاه أبي بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي اوفى وفي الحديث الآخر ان امرأة قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال صلى الله عليك وعلى زوجك وقوله ان صلاتك سكن لهم قرأ بعضهم صلواتك على الجمع وآخرون قرؤا ان صلاتك على الافراد سكن لهم قال ابن عباس رجة لهم وقال قتادة وقاروقوله والله يبيع أي لدعائه عليهم أي بمن يستحق ذلك منذ ومن هو أهل له قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا أبو العباس عن أبي بكر بن عمرو عن عتبة عن ابن الحنفية عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا الرجل اصابته واصابت ولده وولده ثم رواه عن ابي نعيم عن مسهر عن ابي بكر بن عمرو بن عتبة عن ابن الحنفية قال مسهر وقد ذكره مرة عن حذيفة ان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

الواحدى عن الزجاج انه قال قال الله أعلم أسرق أخ له أم لا وحكى القرطبي في تفسيره عنه انه قال كذبوا عليه فيما سبوا اليه قلت وهذا أولى فما هذه الكذبة بأول كذباتهم وقد قدمنا ما يدفع قول من قال انهم قد كانوا أنبياء عند صدور هذه الامور منهم وفي البحر لابن المير ان ما ذكر في تفسير السيرة تكلف لا يسوغ نسبة مثله الى بيت النبوة ولا الى أحد من الاشراف فالواجب تركه واليه ذهب مكى وفسره بعضهم بان يسرق فقد سرق مثله من بنى آدم وذكره لنا في الحديث قال الخفافى وهو كلام حقيق بالقبول قال الزجاج وغيره الضمير في (فأمرهم) يعود الى الكلمة أو الجملة كأنه قيل فأمر الجملة (يوسف في نفسه ولم يدع لهم) ثم فسرها بقوله (قال انتم شرمكنا) وقد رد أبو على الفارسي هذا فقال ان هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل وعلى هذا يكون في الكلام رجوع الضمير على متأخر لفظا ورتبة وفيه أيضا اطلاق الكلمة على الكلام والاول سائغ في مقام التفسير كما هنا والى الثاني سائغ في اللغة وقيل الضمير عائدا الى الاجابة أي أسرى يوسف اجابته - ثم في ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل أسرى نفسه قولهم ان يسرق الخ وهذا هو الاولى ويكون معنى ولم يدع لهم انه لم يبد لهم هذه المقالة التي أسرها في نفسه بان يذكر لهم صحتها وبطلانها وجملة قال انتم شرمكنا منسرة على القول الاول ومنافعة على القولين الاخيرين كأنه قيل فماذا قال يوسف لما قالوا هذه المقالة اي انتم شرم موضع او منزلا من نسبة الى السرقة ورمية ومبها وهو يرى فانهم قد فعلتم ما فعلتم من الفاء يوسف في الحب والكذب على أيكم وغير ذلك من أقاويلكم ولم يكن من يوسف سرقة حقيقة ثم قال (والله أعلم بما تصنون) من الباطل بنسبة السرقة الى يوسف وأنه لاحقيقة لذلك ثم أرادوا ان يستعطفوه ليقول لهم أنا بيامين ويكون معهم ويرجعون به الى أيهم لما تقدم من اخذ الميثاق عليهم بان يردوا اليه (فالوايا أيها العزيز ان له) أي لبيامين هذا (أبا) متصفا بكونه (شيئا كبيرا) في السن لا يستطيع فراقه ولا يصبر عنه ولا يقدر على الوصول اليه وقيل كبير في القدر لانه في من أولاد الانبياء وفيه بعد ظاهر والاول أولى (لخذنا حدا مكانه) يعني لديك فان له منزلة في قلب أبيه ليست لواحد منا فلا يتضرر بفراق أحدنا كما يتضرر بفراق بيامين ثم عللوا ذلك بقولهم (اننا لآمن المحسنين) الى الناس كافة والينا خاصة فاتم احسانك الينا باجبتنا الى هذا المطلب فاجاب عليهم بوصف (قال معاذ الله)

لندر الرجل وولده وولده وقوله أم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده يأخذ الصدقات هذا تمهيد الى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحيط الذنوب ويعصها ويحرمها واخبر تعالى ان كل من تاب اليه تاب عليه ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فان الله تعالى يتقبلها بيمينه فيريه صاحبها حتى نصير القرعة مثل احد كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الترمذي وكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة يأخذها بيمينه فيري صاحبها كأي احدكم كأي احدكم مهرة حتى ان القرعة تكون مثل احد وتصدق

ذلك في كتاب الله عز وجل ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقوله يعق الله الربا ويربي الصدقات وقال الثوري والاعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن ابي قتادة قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل ان تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقد روى ابن عساکر في تاريخه في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي الدمشقي وأصله حصي وكان احدا الفقهاء روى عن معاوية وغيره وحكي عنه - وشب بن سيف السكسكي الحصي قال غزا الناس (٦٣) في زمن معاوية رضي الله عنه وعليهم عبد الرحمن بن

خالد بن الوليد فقتل رجل من المسلمين مائة دينار رومية فلما قفل الجيش ندم وأتى الأمير فأنى ان يقبلها منه وقال قد تفرق الناس ولن اقبلها منك حتى تأتي الله بها يوم القيامة فجعل الرجل يأتي العصابة فيقولون له مثل ذلك فلما قدم دمشق ذهب الى معاوية ليقبلها منه فأنى عليه فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع فربع عبد الله بن الشاعر السكسكي فقال له ما يبكيك فذكر له امره فقال له او مطيعي انت فقال نعم فقال اذهب الى معاوية فقل له اقبل مني خمسة آلاف فادفع اليه عشرين ديناراً وانظر الى الثمانين الباقية فمصدقهم عن ذلك الجيش فان الله يقبل التوبة عن عباده ودعوا علم باسمائهم ومكانهم ففعل الرجل فقال معاوية رضي الله لان اكون اقيمت بها احب الى من كل شيء الملك احسن الرجل (وقل اعلموا فيرى الله علمكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) قال مجاهد هذا وعيد يعنى من الله تعالى

أى نعوذ بالله معاذاً فهو مصدر والمستهبد بالله هو المستعصم به (أن) أى من أن (نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده) وهو بنى امين لانه الذى وجد السواع في رحله فقد حل نما استعباده بفتواكم التى أفنيتمونا بقولكم جزاؤهم من وجد في رحله فهو جزاؤه ولم يقل من سرق تخزنا عن الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس يسارق وفيه جواز التوصل الى الاغراض بالحيل اذ الم تخالف شر بعت ولا هدمت أصلاً وعل الله أمر يوسف بذلك تشديدا للمعنة على يعقوب ونهاه عن الفعور والفتح وأخذ البديل كما أمر صاحب موسى بقتل من لوبقى اطغى وكثر قاله ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب وجزم صاحب الكشاف بان هذه الواقعة كانت بوحى كما مر مرارا (انا اذا) أى اذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده (لظالمون) في دينكم وما تفتنهم فتواكم (فلما استياسوا منه) أى يئسوا من يوسف واجابته اياهم واسعافهم منه الى مطالبهم الذى طلبوه والسين والتاء لام بالغة قاله الرمخشري والبضاوى قال ابن اسحق أى يئسوا منه ورأوا شدته في أمره قال أبو عبيدة استياسوا أى استيقنوا ان الاخ لا يرد عليهم وفيه لئسوا من أخيم ان يرد اليهم والاول اولى (خلصوا نجيا) أى انشردوا عن الناس واعتزلوا مجلسه وانحازوا على حدة حل كونهم متناجين متحدن فيما بينهم ليس فيهم غيرهم في التشاور في أمره هذه القضية وهو مصدر يقع على الواحد والجمع كقوله وقرءا نجما قال الزجاج معناه انشردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يعلمون به في ذهابهم الى أبيهم من غير أخيم وقال قتادة وحدهم (قال كبيرهم) قيل هو رويل لانه الاسن وهو الذى كان نهاهم عن قتله وكان أكبر القوم في الميلاد قاله قتادة وقيل كبيرهم في العقل والعلم لافى السن وقيل هو ذال لانه الاوفر عقلاً وقيل شعور لانه رئيسهم (ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا) أى عهدا (من الله) في حفظ ابنه ورده اليه ومعنى كونه من الله انه باذنه ذكره النحاس وغيره (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أى وألم تعلموا ان تنسب بكم في أمر يوسف كائن من قبل تنسب بكم في بنى امين أو من قبل أخذكم العهد في شأنه على ان ما مصدرية ويجوز ان تكون زائدة والاول اولى والمعنى قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهداً بكم فيه (فلن أبرح الارض) يقال برح ابرح ورحا أى زال فاذا دخله الذى صار مبتلى أى لن أبرح من أرض مصر بل أرحها ولا أفرقها ولا أزال مقبلاً فيها على ان أبرح هنا تامة (حتى يأذن لي أبى)

للخالفين او امره بأن اعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهذا كائن لا محالة يوم القيامة كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال تعالى يوم تبلى السرائر وقال وحصل ما في الصدور وقد ينظر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان احدكم يعمل في سخرة منها ليس لها باب ولا كوة لانخرج الله عمله للناس كأنما كان وقد ورد ان اعمال الاحياء تعرض على الاموات من الاوربا والعشائر في البرزخ كما قال ابو داود الطيالسي حدثنا

الصلب بن دينار عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على اقر بانكم وعشاركم في قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم الهمهم ان يعملوا بطاعتك وقال الامام احمد دانيما عبد الرزاق عن سليمان عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض على اقرار بكم وعشاركم من الاموات فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تنقم حتى تهديهم كما هديتنا وقال البخاري قالت عائشة رضي الله عنها اذا اعجبك حسن عمل امرئ (٦٤) فقل اعلموا فيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقد ورد في الحديث

شبيهه بهذا قال الامام احمد حدثنا يزيد بن حماد ثنا جده عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عليكم ان تعيبوا بالاحد حتى تنظروا به عيبتكم فان العامل يعمل زمانا من عمره او برهة من دهره بعمل صالح لومات عليه دخل الجنة ثم يقول فيعمل عيلا سبأ وان العبد لم يعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لومات عليه دخل النار ثم يقول فيعمل عيلا صالحا واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله قبل موته قالوا يا رسول الله وكيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه فنردبه الامام احمد من هذا الوجه (واخرون مرجون لامر الله اما بعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والنضال وغير واحد هم الثلاثة الذين خلفوا الى عن التوبة وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن امية فعدوا في غزوة تبوك في جملة من قعد كسلا وميلا الى الدعة والخلف وطيب النار والفساد لا شك وانفاها فكانت عنهم طائفة ربطوا انفسهم بالوارى كما فعل اوليائه واعماله

في منارقتها والخروج منها بالعود اليه وانما قال ذلك لانه يستحي من ابيه ان ياتي اليه بغير ولده الذي اخذ عليهم الميثاق بارجاءه اليه الا ان يحاط بهم كما تقدم (او يحكم الله) في منارقتها والخروج منها وقيل المعنى او يحكم الله لي بخلص اخي من الاسر حتى يعود الى ابي واعود معه وقيل المعنى او يحكم الله لي بالنصر على من اخذ اخي فاجازيه واخذ اخي منه او اعز فانصرف بعد ذلك قال مجاهد اقاتل بسبي حتى اقتل وعن ابي صالح نحوه (وهو خير الحاكمين) لان احكامه لا تجري الا على ما يوافق الحق ويطابق الصواب ومراده بهذا الكلام الالتجاء الى الله في اقامة عذره الى والد يعقوب ثم قال كبيرهم مخاطبا لهم (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابا ناسك سرق) على البناء للمفعول وذلك لانهم قد شاهدوا استخراج الصواع من وعاءه وقرئ على البناء للمفعول قال الزجاج ان سرق يتعمل معنيين احدهما علم منه السرقة والاخر اثم بالسرق امرهم بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن انفسهم عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب وقعة يوسف (وما شهدنا الا بما علمنا) من استخراج الصواع من وعاءه وقيل المعنى ما شهدنا عندنا بسند بان السارق يسرق الابناء من شريعتك وشريعة آباءك (وما كنا للغيب حافظين) حتى يتضح لنا فعل الامر على ما شهدناه او على خلافه فان الغيب لا يعلمه الا الله فاعلم الصواع من في ربه ونحن لانعلم بذلك وقيل المعنى ما كنا وقت اخذنا له منك ليخرج معنا الى مصر للغيب حافظين بانه سيقع منه السرقة الذي افتضعا به وقيل الغيب هو الليل ومرادهم انه سرق وهم نيام وقيل مرادهم انه فعل ذلك وهو غائب عنهم فحفي عليهم فعلة قال عكرمة ما كنا علم ان ابنك يسرق وعن قتادة نحوه وقال ابن عباس ما كلاله ونهاره وحبيته وزغابه حافظين (واسأل التريفة التي كافيها) أي قولوا لا يكلمكم اسأل القريفة أي مدبرها فله قتادة وابن عباس وقيل هي قرية من قرى مصر نزلوا فيها وامتاروا منها وجرى فيها حديث السرقة والتفتيش قال المنصورون المراد اهلها وقيل المعنى واسأل القريفة نفسها وان كانت جادا فانك نبي الله والله سبحانه سينطقها فتجيبك وما يؤيد هذا انه قال سيبويه لا يجوز كلام هند او انت تريد غلام هند قيل والاول اولى لان مثل هذا النوع من النماز مشهور في كلام العرب وتعبه الحافظ بن القيم في البدائع وقال انما يضم المضاف حيث يتعين ولا يصح الكلام الا بتقديره للضرورة كما اذا قيل أكلت الشاة

وطائفة لم يفعلوا ذلك وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون قبلت توبة او ائذ قبل هؤلاء وارجأ هؤلاء عن التوبة حتى نزلت الآية الآتية وهي قوله لقد اب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية كما ساقى بيانه في حديث كعب بن مالك وقوله اما بعذبهم واما يتوب عليهم أي هم تحت عفوا الله ان شاء فعل بهم هذا وان شاء فعل بهم ذلوا لكن رحمة تغلب غضبه وهو عليهم حكيم أي عليم بمن يستحق العقوبة بمن يستحق العفو حكيم في افعاله وافعاله لا اله الا هو ولا رب سواه (والذين اتخذوا عيذا ضرابا وكفرا ونفرا يقابن المؤمنين وارصادا من حارب الله ورسوله من

قبل وليعلم ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تنقم فيه ابد المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتظاهروا والله يحب المطهرين) سبب نزول هذه الآيات الكريكات انه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصّر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للاسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر بئس القوم الذين (٦٥) أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهرهم اخرج فارا

ال كذا مكة من مشركي قريش بمآلهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بين وافتهم من أحياء العرب وقد مواعام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وامتنعهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمؤمنين وكان هذا الناسق قد حفر حفرا فريما بين الصنفين فوقع في احدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيب ذلك اليوم فخرج وجهه وكسرت ربايته الى النى السنى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه وقد قدم أبو عامر في أول المباراة الى قومه من الانصار فخطبهم واستمالهم الى نصره وموافقته فلما عرفوا كلامه قالوا لا أنعم الله بك عينا فافاسق يا عدو الله ونالوا منه وسبوه فرجع وهو يقول والله لقد أصاب قومي بعدى شر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه الى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فاني ان يسلم وغرد فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يموت بعيدا طريدا فثالثه هذه الدعوة وذلك انه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

فان المفهوم من ذلك أكلت لحمها خذف المضاف لا يلبس ونظائره كثيرة وليس منه قوله تعالى واسئل القرية وان كان أكثر الاصوليين يمثلون به فان القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع فانما تطلق القرية باعتبار الامرين كالكاس لما فيه الشراب والذنوب للدلو الملائن ماء والخوان للمائدة اذا كان عايم اطعام ونظائره ثم لكثرة استعمالهم هذه اللفظة ودورانها في كلامهم اطلقوها على السكان نارة وعلى المسكن نارة بحسب سياق الكلام وسباقه وانما يعلمون هذا حيث لا لبس فلا اسم في ذلك ولا حذف فتأمل هذا الموضع الذى خفي على القوم مع وضوحه انتهى (والغير التي أقبلنا فيها) أى أصحابها وكانوا قوم معروفين من جيران يعقوب من كنعان جل العير هنا على الدواب نفسها وهذا هو المعنى الحقيقي لها فاحتاج الى تقدير المضاف وفيما سبق على المعنى المجازى وهو نفس أصحابه فافاسق عن تقدير المضاف (وانا الصادقون) فيما قلنا جاواب هذه الجملة مؤكدة هذا التأكيد لان ما قد تقدم منهم مع أيهم يعقوب يوجب كمال الرتبة في خبرهم هذا عند السامع وهذا آخر الكلام الذى علمه لهم أخوهم الكبير فلما قالوا هذا ليعقوب (قال بل سولت) زينت أو خيلت (لكم أنفسكم أمرا) لأصل له والامر هنا قولهم ان ابل سرق وما سرق في الحقيقة وقبل المراد بالامر اخرجه من بنيامين والمننى به الى مصر طلبا للمنفعة فعاد ذلك بالمنسرة وقيل هذا الامر فتيانهم بان السارق يؤخذ بسرقته والانسراب هنا هو باعتبار ما ثبتوه من البراءة لانفسهم لم لا باعتبار أصل الكلام فانه صحيح والجملة مستأنفة مبينة على سؤال متدر كغيرها (فصبر جميل) أى فامرى صبر أو فصبر جميل أجل لى وأولى لى والصبر الجميل هو الذى لا ييؤح صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره الى الله ويسترجع وقد ورد ان الصبر عند أول الصدمة (عسى الله ان يأتي نبيهم جميعا) أى يوسف وأخيه بنيامين والاخ الثالث الباقي بمصر وهو كبيرهم كما تقدم وانما قال هكذا على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه قد كان عنده ان يوسف يت وانه باق على الحياة وان غاب عنه خبره واذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع الى الشرج قال تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا (انه هو العليم) بحالى (الحكيم) فيما يقضى به (وتولى) أى أعرض عنهم) وقطع الكلام معهم حين بلغوه خبر بنيامين (و) لما ساء حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهاج غمه (قال يا أسفا على يوسف) قال

(٩ فتح البيان خامس) فى ارتفاع وظهور ذهب الى هرقل ملك الروم يستنصره على النبى صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه وأقام عنده وكتب الى جماعة من قومه من الانصار من أهل النفاق والريب بعدهم وعينهم انه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه وأمرهم ان يتخذوا له هذا يقدم عليهم نيه من يقدم من عنده لاداء كته ويكون مرصدا له اذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور للمسجد قياه فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبولة وجاؤا فاسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي اليهم فيصل في مسجدهم ليختبوا بصلاته فيه على تقريره

وإثباته وذكروا أنهم اغتصبوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الثانية فعصمه الله من الصلاة فيه فقال أنا على سفر ولكن إذا رجعتنا إن شاء الله فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمد بانوهم من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجد هدم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية هم أناس من الأنصار بنوا مسجداً فقتل لهم (٦٦) أبو عامر بنوا مسجداً أو أمتعدوا بما استطعتم من قوة وبسلاح فأتى ذاهب

إلى قصر ملك الروم فأتى بهجند من الروم وأخرج محمد وأصحابه فلما فرغوا من مسجد هدم أبو النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا قتل فرغنا من بناء مسجدنا فكتب أن قتل في فيه وتدعونا بالبركة فأنزل الله عز وجل لا تتم في فيه أبداً إلى قوله الظالمين وكذا روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وعروة بن الزبير وقتادة وغير واحد من العلماء وقال محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمار بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلديته وبين المدينة تسعة ساعات من ثم أروا كان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقتلوا بأمر رسول الله أن يهدموا مسجد الذي أهله والحاجة والليل المطيرة والليل الثانية وأما نصيب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال في علي جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى أتيناكم فصلدنا لكم فيه فلما نزل بذي أوان أتاه

الزجاج الأصل يأسى فإبدل من الباء ألفاً الخفة الفتحة والالف شدة الجزع وقيل شدة الحزن عن ابن عباس أي يا حزننا عن قتادة مثله وعن مجاهد يا حزننا قال يعقوب هـ هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية ما بلغه بسبب فراقه ليوسف وانفصام فراقه لأخيه بنيامين وبلغ ما بلغه من كونه أسيراً عند ملك مصر فتضاءلت أحرانه وهاج عليه الوجد القديم بما أثاره من الخبر الأخير وقد روى عن سعيد بن جبير أن يعقوب لم يكن عنده ما ثبت في شر يعتنم إلا استرجاع والده بر على المصائب ولو كان عنده ذلك لما قال يا أسفاً على يوسف يعني أن الاسترجاع خاص بهذه الأمة ومعنى المناذلة لاسف طلب حضوره كأنه قال تعال يا أسفى وأقبل على وفيه شكوى إلى الله لآلمته (وايضا عينا من الحزن) أي أنقلب سواد عيني يا صام من كثرة البكاء فيل أنه زال إدراكه بحاسة البصر بالمرّة قال مقاتل لم يبصر شيئاً استسببني والترمه بعضهم بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ وقيل كان يدرك إدراكاً ضعيفاً قال بعض أهل اللغة الحزن بالضم والسكون البكاء ويشتق من ضد النرح وقال أكثر أهل اللغة هما الغتان بمعنى والبكاء بالمد رفع الصوت وبالقصر نزول المدع من غير صوت وهو المناسب هنا وهو أحد قولين والذي جرى عليه المصباح والتمام موس أنه لا فرق بينهما ما في أن كلاهما يستعمل في كليهما وقد قيل في توجيه ما وقع من يعقوب عليه السلام من هذا الحزن العظيم المنفضي إلى ذهاب بصره كلا أو بعضاً أنه إنما وقع منه ذلك لأنه علم أن يومه في خوف على دينه مع كونه بأرض مصر وأهلها حينئذ كفار وقيل إن مجرد الحزن ليس بعزم وإنما المحرم ما يفضي منه إلى الزلل وشق الثياب والتكلم بما لا ينبغي قال أبو السعد وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فإن الكف من ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ولده إبراهيم وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسطوئ الرب وأنا عليك يا إبراهيم لمحزونون انتهى ويؤيد هذا قوله (فهو كظيم) أي مكظوم فإن معناه أنه محزون الحزن محسوس لا يشبه ومنه كظم الغيظ وهو إخفاءه فالمد كظوم المسدود عليه طريق حزنه من كظم القضاء إذا سده على ما فيه والكظم بالفتح مخرج النفس يقال أخذنا كظامه وقيل الكظيم بمعنى الكاظم أي المشتمل على حزنه الممسك به ومنه الكاظمين الغيظ وقال الزجاج معنى كظيم محزون

خبر المحدث قد عارض رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومع بن عدي وأخاه عامر وعن ابن عدي أخا بلعيلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد النظام أهله فاهدماه وخرقاه فاسريعن حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقتل مالك لمن انطرق حتى أخرج الديك بنار من أهله فدخل أهله فأخذوا من النخل فاشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فخرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما رثل والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكثرا إلى آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً خدام بن خالد بن بغي عبد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج

مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وموالي بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر وقوله وليخلفن أي الذين بنوه أن أردنا
 الأحسن أي ما أردنا بنيانية الأخير أوقفنا بالناس قال الله تعالى والله يشهد أنهم لكاذبون أي فيما قصدوا ووفيانوا وأغابوه ضارا
 لمسجد بقباه وكفر بالله وفريقا بين المؤمنين وارضاد المن حارب الله ورسوله من قبل وهو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب
 لعنه الله وقوله لا تنقم فيه أبدانهم صلى الله عليه وسلم والامة تبع له في ذلك عن أن يقوم فيه أي يصلي أبدانهم حنه على الصلاة
 بمسجد بقباه الذي أسس من أول يوم بنيانه على التقوى وهي طاعة الله (٦٧) وطاعة رسوله وجعل الكلمة المؤمنين ومعه لا وموتلا

للسلام وأهله ولهذا قال تعالى
 لمسجد أسس على التقوى من
 أول يوم أحق أن تقوم فيه والسياق
 إنما هو في معرض مسجد بقباه
 ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 يزور مسجد بقباه راكبا وماشا وفي
 الحديث أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لما بناه وأسس أول
 قدمه ونزوله على بني عمرو بن
 عوف كان جبريل هو الذي عين له
 جهة القبلة فأنه أعلم وقال أبو
 داود حدثنا محمد بن العلاء حدثنا
 معاوية بن هشام عن يونس بن الحرث
 عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي
 صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 نزلت هذه الآية في أهل قباه فيه
 رجال يحبون أن يتطهروا قال
 كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم
 هذه الآية ورواه الترمذي وابن
 ماجه من حديث يونس بن الحرث
 وهو ضعيف وقال الترمذي غريب
 من هذا الوجه وقال الطبراني
 حدثنا الحسن بن علي العمري
 حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا
 سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق

وعن ابن عباس قال كظيم حزين وعن قتادة قال كظم على الحزن وحزنه في جوفه فلم يقل
 الأخير وعطاء الخراساني قال مكروب وعن عكرمة منسله وعن الفخار الكظيم
 الكمد وعن مجاهد نحوه قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقيا
 ثمانون سنة ولم تجف فيها عينا بعقوب وما على وجه الأرض يومئذ كرم على الله منه
 والله أعلم (قالوا تالله فتؤتد كريوسف) أي لا تفتؤتد خذف حرف التثنية لعدم اللبس
 قال الفراء لا منضمرة قال النحاس والذي قال صحيح وعن الخليل وسيدييه منسله قول
 الفراء قال الكسائي فتأت وقتيت أفعل كذا أي ما زلت وعن ابن عباس فتأت أي لا تزال
 تذكري يوسف ولا تنفزع عن حبه (حتى تكون حرضا) أي دننا من المرض قاله ابن عباس
 وقال قتادة هرما والمرض مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والصفة
 المشبهة مرض بكسر الراء كدنف ودنف وأصل المرض الفساد في الجسم أو العقل من
 الحزن أو العشق أو الهرم حكى ذلك عن أبي عبيدة وغيره وقيل المرض مادون الموت وقيل
 الخارض البالي الدائر وقال الفراء الخارض الفساد في الجسم والعقل وكذا المرض وقال
 المؤرج هو الذائب من الهم ويقال رجل محرض قال النحاس وحكى أهل اللغة أحرضه
 الهم إذا أسقمه ورجل حارض أي أحرق وقال الأخفش الخارض الذاهب وقال ابن
 الأنباري هو الهالك وفي المصباح حرض حرضا من باب تعب أشرف على الهلاك والأولى
 تفسير المرض هنا بغير الموت والهلاك من هذه المعاني المذكورة لقوله (أو تكون من
 الهالكين) أي من الميتين قاله مجاهد وغرضهم منع بعقوب من البكاء والحزن والأسف
 شفقة عليه وإن كانوا هم سبب حزنه ومنشأهم ومومه ونحوه (قال إنما أشكو بثي
 وحزني) بضم الحاء وسكون الزاي وقرئ بفتحهما ما (إلى الله) هذه الجملة مستأنفة
 كأنه قيل فما قال يعقوب لما قالوا ما قالوا والبث ما رد على الإنسان من الأشياء التي
 تعظم حزن صاحبها حتى لا يتدبر على أخفائها كذا قال أهل اللغة وهو مأخوذ من بثنته
 أي فرقته فسميت المصيبة بنا مجازا قال ابن قتيبة البث أشد الحزن وقد ذكر المفسرون
 أن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك حزننا وهو ما وإن لم يتدبر على
 كتمه وذكره لغيره كان ذلك بثنا فالبث على هذا أعظم الحزن وأصعبه وقبل البث الهم
 وقبل الحاجة وعنى هذا يكون عطف الحزن على البث واضح المعنى وأما على تفسير البث

عن الأعشى عن مجاهد عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 عويم بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي أنبى الله عليكم فقال يا رسول الله ما خرج من أرجل ولا امرأة من الغائط الاغسل فرجه
 أو قال مقعدته فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن محمد حدثنا أبو يس حدثنا شرحبيل عن
 عويم بن ساعدة الانصاري أنه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد بقباه فقال ان الله تعالى قد أحسن عليكم الشئاء في
 الطهور في قصة مسجدكم فلهذا الطهور الذي تطهرون به فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا الا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا

يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا ورواه ابن خزيمة في صحيحه وقال هشيم عن عبد الحميد المدني عن ابراهيم بن المعلى الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ما هذا الذي اثنى الله عليكم فيه رجال يحبون ان يتطهروا الآية قالوا يا رسول الله اننا نغسل اديبارهم بالماء وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمار الاسدي حدثنا محمد بن سعد عن ابراهيم بن محمد عن شريك بن عبد الله قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أديبارهم من الغائط حديث آخر (٦٨) قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك يعني ابن مغول سمعت

سيار ابا الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قبلي فقال ان الله عز وجل قد اثنى عليكم في الطهور وخيرا أفلا تتخبروني يعني قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقالوا يا رسول الله اننا نخذه مكتوبا على ايماننا في التوراة الاسنة نجاء بالماء وقد سرح بانه مسجد قباء جماعة من السافروا على ابن أبي طلحة عن ابن عباس ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير وقاله عطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم والشعبي والحسن البصري ونقله البغوي عن سعيد بن جبير وقتادة وقد ورد في الحديث الصحيح ان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس على التقوى وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا لانه اذا كان مسجدا قد أسس على التقوى من أول يوم فبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقي الاولى والاخرى ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل في مسنده حدثنا ابو نعيم حدثنا عبد الله بن

بالحزن العظيم فكانت له قال انما أشكو حزني العظيم وما دونه من الحزن القليل الى الله لا الى غيره من الناس ولا اليكم وعن مسلم بن يسار يرفعه قال من بث لم يصبر ثم قرأ هذه الآية أخرجه ابن جرير وعبد الرزاق قال ابن عباس بنى همي (وأعلم من الله) أي من لطفه واحسانه وثوابه على المصيبة (مالاتعلمون) أنتم وانه يأتي بالدرج من حيث لا يحتسب وقيل أراد علماء بن يوسف حتى لكنه لم يعرف أين هو وقيل أراد علماء بن رؤياه صادقة واني لا سجدة قاله ابن عباس وقيل اعلم من اجابة المضطرين الى الله (يا بني اذهبوا فقصوا) القصص مهملات طاب الشئ بالخواس مأخوذ من الحسن أو من الاحساس أي اذهبوا وتعرفوا (من) خبر (يوسف وأخيه) بالحاسة كالبحر والسمع ونطلبوه وقرئ بالجيم وهو أيضا التطلب وقيل بالحاء في الخير وبالجيم في الشر ومنه الجاسوس ومن هنا يعني عن لانه لا يقال تحسنت من فلان بل عن فلان أو هي للتبعض أي تحسنت واخبار من اخبارهم اولم يتل وأخويه لانه كان يعلم ان الثالث مقيم بمصر فليس حاله مجهول ولا عنده بخلافهما (ولا تيسروا من روح الله) أي لا تنقطوا من فرجه وتيسره ورجته قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز الانسان بوجوده ويلتذب فهو روح وحكي الواحدى عنه أيضا الروح الاستراحة من غم للقلب وقال أبو عمرو والروح النرج وعن ابن زيد قال من فرج الله يفرج عنكم الغم الذي أنتم فيه وقال ابن عباس الروح الرحمة يعني انه استعير الروح للرحمة وقيل انه مصدر بمعنى الرحمة (انه لا يئس من روح الله الا القوم الكافرون) لكونهم لم يلائمون بقدره الله سبحانه وعظيم صنعه وخفي لطفه والمؤمن يصبر عند الالام ينتظر الفرج والرحمة فينال به خيرا ويحمد الله عند الرخاء والكافر بضد ذلك (فما دخلوا عليه) أي على يوسف والتقدير فذهبوا كما أمرهم أبوه الى مصر ليقتلوا ومن يوسف وأخيه فلما دخلوا على يوسف (قالوا يا أيها العزيز) أي المثلث الممتنع القادر وكان العزيز لقب ماثل مصر يومئذ (مسنوا وأهلنا الضر) أي الجوع والحاجة قال قتادة الضر في المعيشة وعدلوا الى الشكوى لان المتحصن يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقاروا تخبره بهذه الامور فان رقق قلبه لناذركنا المقصود والاشكوا وفيه دليل على انه

عامر الاسلمى عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسجد الذي أسس يجوز على التقوى مسجدى هذا انشده اجد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التميمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد نبيانا النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال هو مسجدى هذا انشده اجد أيضا حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا سليمان عن عمران بن أبي أنس عن سعيد

ابن أبي سعيد الخدري قال تبارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال أحدهما هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا تفرد به أحد طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن عيسى حدثنا ثعلبة بن عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه انه قال تبارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى وكذا رواه الترمذى والنسائى عن (٦٩) قتيبة عن الليث وصححه الترمذى ورواه مسلم كما سياتى

طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن أنيس بن أبي يحيى حدثنا يحيى بن أبي قال سمعت أبا سعيد الخدري قال اختلف رجلان رجل من بني خديرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العمري هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا المسجد لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في ذلك يعنى مسجد قباء طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن أنيس قال أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد الخراط المدنى سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى فقال انى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه فقلت يا رسول الله أين المسجد الذي أسس على التقوى قال فآخذ كفا من حصبا فاضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا ثم قال سمعت

يجوز الشكوى عند الضرورة اذا خاف من اصابته على نفسه كما يجوز للعليل ان يشكو الى الطبيب ما يجده من العلة وعبارة أبي السعد وانما يريدوا بما أمروا به استجلا بالرافة والشفقة ليعفوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والخنو وانتهى وهذه المرة التى دخلوا فيها مصر هى المرة الثالثة كما يفيد ما تقدم من سياق الكتاب العزيز (وجئنا ببضاعة مزجاة) البضاعة هى القطعة من المال يتصدق بها شراى شئ يقال ابضعت الشئ واستبضعته اذا جعلته بضاعة وفى المثل كاستبضع التمر الى هجر والازجاء السوق يدفع وقال الواحدى فى اللغة السوق والدفع قليل لا قلب لا ومنه قوله تعالى ألم تر أن الله يرحى صحابا والمعنى انما بضاعة تدفع ولا يتقبلها التجار قال نعلب البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة قال أبو عبيد انما قيل لادراهم الرديئة مزجاة لانهم امر دودة مدفوعة غير مقبولة قال ابن عباس دراهم مزجاة أى كاسدة وعنه أيضا مزجاة رثة المتاع خالصة الحبل والغرارة والشئ وأيضاً الورق الزئوف التى لا تنفق حتى يوضع منها وفى الشام وس زجاء ساقه ودفعه ومزجاة قايه أو لا يتم صلاحها وفى المصباح زجيتها بالتمثيل دفعته برفق واختلاف فى هذه البضاعة ما هى فتيل كانت قديدا وحيدا وقيل صوف وسمن وقيل الحبة الخضراء والصنوبر وقيل دراهم رديئة زئوف وقيل النعال والأدم ثم طلبوا منه بعد أن أخبروه بالبضاعة التى معهم ان يوفى لهم الكيل أى يجعله تاما لا نقص فيه وان يتصدق عليهم فقالوا (فأوف لنا الكيل وتصدق علينا) اما بن زيادة يزدها لهم على ما يتقابل بضاعتهم أو بالانخفاض عن رداءة البضاعة التى جاؤا بها وان يجعلها كاللبضاعة الجيدة فى انشاء الكيل لهم بها ويهنا قال أكثر المفسرين وقد قيل كيف يطلبون التصديق عليهم وهم أنبياء والصدقة محترمة عليهم واجيب باختصاص ذلك بيننا ثم صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن جرير معنى قولهم اردد علينا آخانا وبه قال الضحاك وقال ابن الأنبارى وكان الذى يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة لانفس الصدقة (ان الله يجزى المتصدقين) بما يجعله لهم من الثواب الاخرى أو التوسيع عليهم فى الدنيا قال الضحاك ولم يقولوا ان الله يجزى بك لانهم لم يعلموا انه مؤمن ولما قالوا ذلك لم يتمالك يوسف ان عرفهم نفسه حيث (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) الا انهم لم يبيعوا يوسف وانه قد كانوا عابرين بذلك ولكنهم أرادوا ما ذكرناه وبه تفاد منه تعظيم الواقعة لكونه فى قوة ما أعظم

أباك يذكره رواه مسلم مفردا عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن حاتم بن اسمعيل عن حميد الخراط به وقد قال به مسجد النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف وهو مروى عن عمر بن الخطاب وأبيه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير وقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم الحق أن تقوم فيه رجال يحبون ان يتطهروا واقه يحب المطهر بن دليل عن استحباب الصلاة فى المساجد القديمة المؤسسة من أول بناها على عبادة الله وحده لا شريك له وعلى استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين والعباد العاملين المحافظين على اصباغ الوضوء والتزهد عن ملازمة

فوجها والله خان يخرج منه وكذا طال فتادة وقال خلف بن ياسين الكوفي رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواء ابن جرير رحمه الله وقوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي شكاوتهم فابسبب اقداهم على هذا الصنيع الشنيع أو رثهم نفاق في قلوبهم كما أشرب عابدا والمجمل حبه وقوله الا ان تقطع قلوبهم أي يموتهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والسدي وحبيب بن أبي ثابت والفعال وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغير واحد من علماء السلف والله عليهم أي بأعمال خلقه حكيم (٧١) في مجازاتهم عنهما من خير وشر (ان الله اشترى من

المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى به هدمه من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى انه عاوض من عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم اذ بدلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه واحسانه فانه قبل العوض عما ملككم بما تنفصل به على عبادة المطيعين له ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم والله فاعلى غنم وقال شمر بن عطية ما من مسلم الا والله عز وجل في غنمه يبعة وفيها أو مات علم انهم تلاعبه الآية ولهذا ابتال من حل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد وفيه يقول شمس الدين كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لعله العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربك ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسك ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم

يتقى الله باده فرائضه ويصبر عما حرم الله وقيل يتقى النعشاء ويصبر على الطاعة والعموم أولى ولا وجه لتخصيص نوع دون نوع (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) على العموم فيدخل فيه ما يفيد السباق دخولا أولا ووجاه بالطاهر وكان المقام مقام المظهر أي أجرهم للدلالة على ان الموصوفين بالتقوى موصوفون بصفة الاحسان (قالوا والله لقد آثرنا اختارنا وفضلنا) (الله علمنا) بما خصك به من صفات الكمال أو بالعلم والعقل أو بالملك قاله الضعك أو بالصبر قاله أبو صالح أو بالحلم والصنع أو بالحسن وقيل بالسبوة وقيل بسائر النضائل التي أعطاها الله له دون اخوته واللفظ أوسع من ذلك ويدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا وهذا اعتراف منهم بفضله وعظيم قدره وقيل ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا أنبياء فان درج الانبياء متفاوتة قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واستعار آثر للفضل والايثار للفضل (وان كنا خاطئين) أي وان الشأن كذلك قال أبو عبيدة خطأ وأخطأ واحد وقال الأزهرى الخطي من أراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم انتم تخطئ ويصيب والخطي من تعمد ما لا ينبغي قالوا هذه المنالة المتضمنة للاعتراف بالخطأ والذنب استجبالا بالعموم واستجبالا بالصنع وقيل آثر لفظ خاطئين على خطئين موافقة لرؤس الآتي (قال لا تريب) التريب التعمير والتوبيخ أي لا لوم (عليكم اليوم) قال الاسمعي تربت عليه فصمت عليه فعلة وقال الزجاج المعنى لا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الاخوة ولكم عندى الصنع والعفو وأصل التريب الافساد وهي لغة أهل الحجاز وقال ابن الانباري معناه قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب قال نعلب تريب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وأصل التريب من الترب وهو الشعم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة التريب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع أي لا تريب مستقرا وثابت عليكم وقد جوز الاخفش الوقف على عليكم فيكون اليوم متعلقا بالفعل الذي بعده وقد ذكر مثل هذا ابن الانباري عن عكرمة قال لا تريب لا تعمير وأخرج أبو الشيخ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة التفت الى الناس فقال ماذا تقولون وماذا تظنون فقالوا ابن عم كريم فقال لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ثم دعاهم بقوله (يغفر الله لكم) على تقدير الوقف على اليوم وهو بمنزلة التعليل أو أخبرهم بان الله قد غفر لهم ذلك

وأموالكم قالوا نعمنا اذا فاعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل فنزل ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم في سبيل الله فيقتلون ويقتلون أي سواهم قتلوا أو قتلوا واجتمع لهم هذا عذا فقد وجبت لهم الجنة ولهذا جاء في الصحاح وتسكن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيل الله وتصدق بسلام بان توفاه ان يدخله الجنة أو يرجعه الى منزله الذي خرج منه نائلا ما مال من اجر او غنمة وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن تأكيد لهذا الوعد واخبارا به قد كتبه على نفسه الكر يخبرهم له على رسله في كتبه البكاري وهي التوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزلة على عيسى والله ان المنزل

على محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقوله ومن اوفى بعهده من الله فانه لا يخلف الميعاد هذا كقوله ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قبلا ولهذا قال فاستبشر وابيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم اى فليستبشروا من قام بمقتضى هذا العقد ووفى به هذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامررون بالمعروف والنهيون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) هذا نص المؤمنين الذين اشترى الله منهم انفسهم واموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال (٧٢) الجميلة التائبون من الذنوب كلها التاركون للنواحيش العائدون اى القاعون

بعبادة ربهم يحافظون عليها وهى الاقوال والافعال فمن اخص الاقوال الحمد فلهذا قال الحامدون ومن افضل الاعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة ههنا ولهذا قال السائحون كما وصف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله تعالى سائحات اى صائحات وكذا الركون والصعود وهما عبارة عن الصلاة ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع ذلك يتبعون خلق الله ويرشدونهم الى طاعة الله بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليته وتحريره علماء وعلماء فقاموا بعبادة الحق ونصيح الخلق ولهذا قال وبشر المؤمنين لان الايمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن انصف به بيان ان المراد بالسياحة الصيام قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال السائحون الصائمون وكذا روى عن سعيد بن جبيرة والعوفي عن ابن عباس وقال

اليوم على تقدير الوقف على علمكم (وهو ارحم الراحمين) برحم عباده رحمة لا يتراخون بها فبما ينعمون فيجازيهم ويغفر لسيئتهم قال عطاء الخراساني طلب الخواص الى الشباب اسهل منها عند الشيخ لم تر الى قول يوسف لا تريب عليكم اليوم وقال يعقوب سوف استغفر لكم ربى اقول وفي هذا الكلام نظر فانهم طلبوا من يوسف ان يغفروا عنهم لقوله انما ترك الله علينا فقال لا تريب عليكم اليوم لان مقصودهم صدور الغفوة عنهم وطلبوا من ابيهم يعقوب ان يستغفر الله لهم وهو لا يكون الا بطلب ذلك منه الى الله عز وجل وبين المقامين فرق فلم يكن وعده يعقوب لهم بخلا عليهم بسؤال الله لهم ولا سيما اذا سئح ما تقدم من انه اخر ذلك الى وقت الاجابة فانه لو طلبه لهم في الحال لم يحصل له علم بالقبول واخرج الحكيم الترمذي وابو الشيخ عن وهب بن منبه قال لما كان من امر اخوة يوسف ما كان كتب يعقوب الى يوسف وهو لا يعلم انه يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الى عزيز آل فرعون سلام عليك فانى اجدك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فاننا اهل بيت مولع بنا سباب البلاء كان جدى ابراهيم خليل الله الذى فى النار فى طاعة ربه فجعلها الله عليه بردا وسلاما وامر الله جدى ان يذبح له ابي ففداه الله بما فداه وكان لى ابن وكان احب الناس الى ففدته فاذهب حزنى عليه نور بسرى وكان له اخ من أمه كنت اذا ذكرته شتمته الى صدرى فاذهب عني بعض وجدى وهو المحبوس عندك فى السرة وانى اخبرك لم ابرق ولم افسار فاقرا يوسف الكتاب بكي وصاح وقال (اذهبوا بقميصي) الباء للتعديبة اواذهبوا معكم قميصي و (هذا) نعم له اوبيان اوبدل قيل هو التميمي الذى البسه الله ابراهيم لما اتى فى النار وكساه ابراهيم اسحق وكساه اسحق يعقوب وكان يعقوب ادرج هذا التميمي فى قصب وعلقه فى عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين فاخبر جبريل يوسف ان يرسل به الى يعقوب ليهد عليه بصره لان فيه ربح الجنة لا يقع على سقيم الا شئ ولا مبتلى الا عوفى قال ابن عباس ولو علم اخوته اذ القوه فى الحب لاخذوه فلما اراد الله ان يرد يوسف على يعقوب وكان بين رؤياه وتعبيره اربعون سنة امر البشير ان يبشره من ثمان مراحل فوجد يعقوب رجلا وليس يقع شئ من الجنة على عاهة من عاهات الدنيا الا ابراها باذن الله (فالقوه على وجهه اى بات بصيرا) المعنى يصير بصيرا على ان يات هى التى من اخوات

كان

على بن ابي طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله فى القرآن السياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك رحمه

الله وقال ابن جرير حدثنا احمد بن اسحق حدثنا ابو احمد حدثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها قالت سياحة هذه الامة الصيام وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطاء وعبد الرحمن السلمى والضحاك ابن مزاحم وسفيان بن عيينة وغيرهم ان المراد بالسائحين الصائمون وقال الحسن البصرى السائحون الصائمون شهر رمضان وقال ابو عمرو والعبدى السائحون الذين يذبحون الصيام من المؤمنين وقد ورد فى حديث مرفوع غوه هذا وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع

حدثنا كيم بن حرام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائون وهذا الموقوف أصبح وقال أيضا حدثني يونس عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن عرو بن دينار عن عبيد بن عبد الله بن عمر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائون وهذا من جدو وهذا أصبح الاقوال وأشهرها وجاء ما يدل على ان السباحة الجهاد وهو ما روى أبو داود في سننه من حديث أبي امامة ان رجلا قال يا رسول الله انذني في السباحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سباحة أمتي الجهاد في سبيل الله وقال ابن المبارك عن ابن الهيثم (٧٣) أخبرني عمارة بن غزية ان السباحة ذكرت

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله والتكبير على كل شرف وعن عكرمة انه قال هم طلبة العلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المهاجرون رواهما ابن أبي حاتم وليس المراد من السباحة ما قد يفهمه بعض من تعبد بمجرّد السباحة في الارض والتفرج في شواطئ الجبال والكهوف والبراري فان هذا ليس بمشروع الا في أيام النتن والزلازل في الدين كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشن ان يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شرف الجبال ومواقع النطري يفر يدنيه من النتن وقال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله والحافظون لحدود الله قال السائحون بطاعة الله وكذا قال الحسن البصري وعنه رواية الحافظون لحدود الله قال لشرائط الله وفي رواية القائمون على أمر الله (ما كان للنبي والذين آمنوا ان

كان قال انهم يرجع بصيرا وقال السدي يعود بصيرا ويشهد له فارتد بصيرا قيل كان ذلك بوحى الله وقيل بعث اليه قصصه ليزول بكافؤ وينشرح صدره قال هو ذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء قيل حله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا وقيل معناه يأت الى مصر وهو بصير قد ذهب عنه العمى ويؤيده قوله (وأوتوني بأهلكم أجمعين) أي جميع من نمل له لنظ الاهل من النساء والذرائر قيل كانوا نحو سبعين وقيل ثلاثة وعشرين (وما فصلت العير) أي خرجت منطلقا من عريش مصر أو من مصر الى الشام يقال فصل فصولا وفصلته فصلا لازم ومتعد ويقال فصل من البلد فصولا اذا انصل عنه وخرج منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) يعقوب لمن غنمه في أرض كنعان من أهله (انني لاجدر بريح يوسف) أي أدركها بحاسة النهم أي أنفها أي ربح الجنة من قبص يوسف فالإضافة لادنى ملازمة قيل انه اهاجت ربح فصفت القمص فذاحت روائح الجنة في الدنيا فحملت ربح القمص الى بهتوب مع طول المسافة فاخبرهم بما وجد قال ابن عباس وجد ربحه من مسيرة ثمانية أيام وقيل من مسيرة عشرة أيام وقيل من مسيرة ثمانين فرسخا ثم قال (لولا أن تنشدون) أي لولا ان تنسبوني الى التند وهو ذهاب العقل من الهرم يقال أفند الرجل اذا خرف وتغير عقله قال مجاهد وقال أبو عبيد لولا ان تنسبهم لجعل التند السنه وقال الزجاج وابن عباس لولا ان تجهلون لجعل التند الجهل وقال أبو عمر والشيباني التند بيد التبعي وقيل هو الكذب قاله ابن عباس وقال ابن الاعرابي لولا ان تنسبوا رأيي وروى مثله عن أبي عبيدة وقال الاخفش التند تفتيد اللوم وضعف الرأي وكل هذه المعاني راجع الى التهجيز وتضعيف الرأي يقال فتند تفتيدا اذا أعجزه وأفند اذا تكلم بالخطا والتند الخطا من الكلام وعن الربيع قال لولا ان تنسبهم لكانت بهم بعتوب بان الصبا قد حلت اليه ربح حبيبته والله لولا ما يحشاه من التند لما شئت في ذلك

فان الصبار يبع اذا ماتت • على نفس مهموم تجلت همومها
اذا قلت هذا حين أسلو ينجني • نسيم الصبا من حيث ما يطلع النجر
ولقد تهب لي الصبا من أرضها • فيلذ مس هبوبها وبطيب
قيل ان ربح الصبا استأذنت ربها في ان تأتي يعقوب بري يوسف قبل ان يأتيه البشير

(فتح البيان خامس) يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انه أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها لاهيه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل اليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة حاج لك بها اعذ الله عز وجل فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تستغفرون لك ما لم انه عندك فترلت

ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم قال ونزلت فيه انك لاتمدى من احببت ولكن الله يمدى من يشاء اخر جاد وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم اخبرنا سفيان عن ابي اسحق عن ابي الخليل عن علي بن رضى الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت ابستغفر الرجل لابويه وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لآبيه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فترأت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية قال للمامات فلا أدري قاله سفيان أو قاله اسرائيل (٧٤) أو وفي الحديث المامات قلت هذا ثابت عن مجاهد انه قال للمامات

وقال الامام احمد حدثنا الحسن بن موسى - حدثنا زهير - حدثنا زيد بن الحرث الديلمي عن محارب بن دينار عن ابن بريدة عن أبيه قال كثر ما كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في سفر فنزل بنا ونحن قريب من القراكب فمضى لي ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان فقام اليه عمر بن الخطاب وقد ام بالاب والام وقال يا رسول الله مالك قال انى سألت ربى عز وجل فى الاستغفار لآلى فلم يأذن لى فدمعت عيناي رحمة لهما من النار وانى كنت غيبكم عن ثلاث نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها لئلا تتركوا زيارتهم اخيرا ونهيتكم عن لحوم الفاضلي بعد ثلاث فكلوا وامسكوا مشتم ونهيتكم عن الاشرقة فى الوعية فاشربوا فى أى وعاء شتم ولا تشربوا مسكرا وروى ابن جرير من حديث علامة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم فبرجلين اليه فجعل يحاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انارأيتا ما صنعت

قال أهل المعاني ان الله أوصل اليه ربيع يوسف عند انقضاء مدة الخنة من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى مدة غائبين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فهو فى مدة الخنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل (قالوا) أى قال الحاضرون عنده من أهله (تالله انك) يا يعقوب (اننى ضالالك) ذهابك (القديم) عن طريق الصواب الذى كنت عليه قديما من افراط حبك ليوسف ورجاء لقائه على بعد العهد لا تنساه ولا تنفتر عنه واسان - ليعقوب يقول لهم لايعرف الشوق الا لمن يكابده * ولا الصبابة الا لمن يعانها لاتعذل المشقة فى اشواقه * حتى تكون حشاك فى أحشائه

وقيل الضلال الجنون قاله سعيد بن جبيرة وقيل انك فى محبة القديمة قاله مجاهد وقال ابن عباس فى خطبة التقدمة قالوا له ذلك لانه لم يكن قد بلغهم قدوم البشير وكان عندهم ان يوسف قدم مات وهلك (قال ان جاء البشير) بين يدي العير قال ابن عباس البشير البر يدوعن الضلالة مثله قول المفسرون البشير هو يوسف ابن يعقوب قال اخيه أنا جئته بالقميص ملصقا بالدم فأعطى اليوم قميصك لا خبره انك حى فافرحه كما أفرخته وبه قال سفيان (ألقاه على وجهه) أى ألقى البشير قميص يوسف على وجهه يعقوب أو ألقاه يعقوب على وجه نفسه (فارتد) الارتداد انقلاب الشيء الى حال قد كان عليها والمعنى عاد (بصيرا) ورجع الى حاله الاولى من صحة بصره وقوته وسروره عن الحسن قال لما ان جاء البشير الى يعقوب فأتى عليه القميص قال على أى دين خلعت يوسف قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة (فان) يعقوب لمن كان عنده من أهله الذين قال لهم انى لاجد ربيع يوسف (ألم أقل لكم) هذا القول فقلتم ما قلتم ويكون قوله (انى أعلم من الله ما لاتعلمون) كلاما مستدلا لا يتعلق بالقول ويجوز ان تكون الجملة مقول القول ويريد بذلك اخبارهم بما قاله لهم سابقا انما شكوبنى وحرنى الى الله والمعنى أعلم من الله ما لاتعلمون من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا (قالوا يا ابانا - استغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين) طلبوا منه ان يستغفر لهم واعترفوا بالذنب وفى الكلام حذف والتقدير لما رجعوا من مصر ووصلوا الى أبيهم فلو اهدا القول اعتذارا عما حصل منهم فوعدهم بما طلبوه منه و (قال سوف أمستغفر لكم ربي) قال الزجاج أراد يعقوب ان

يستغفر

قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر ابي فاذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فام يأذن لى فارقى باكا

أكرمتم يوسف وقال ابن ابي حاتم فى نفسه حذرنا الذين خدشوا حديثنا عبيد الله بن وهب عن ابن جرير عن أيوب بن هانى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم االى المقابر فاتبعناه فجلس الى قبر منها فاجاه طويلا ثم بكى فبكينا ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لكانت قال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنه وانى استأذنت ربى فى زيارتها فاذن لى ثم أوردته من وجه آخر ثم ذكر من حديث ابن مسعود

قريباً منه وفيه وإن استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأُنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا الآية فاخذوني ما يأخذ الوالد للولد وكنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة حديث آخر في معناه قال الطبراني حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن شبط حدثنا الحق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبل من غزوة بولك واعتقر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبراه فنادى ربه طويلاً ثم انه بكى فاشتد بكاءه (٧٥) وبكى هو لاله بكائه وقالوا ما بكى نبي الله بهذا المكان

الآن قد أحدث في أمته شيء لا تطيقه فلما بكى هو لاله قام فرجع إليهم فقال ما يبكيكم قالوا يا نبي الله بكينا لك لأنك قد لما العلة أحدث في أمته شيء لا تطيقه قال لا وقد كان بعضه ولكن نزلت علي قبر أبي فسألت الله أن يأذن لي في شئنا عنهم اليوم القسيمة فإني الله أن يأذن لي فرجتها وهي أمي فبكيت ثم جاءني جبريل فقال وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فقبراً أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه فرجتها وهي أمي ودعوت ربي أن يرفع عن أمي أربعاً ورفع عنهم اثنين وأبي أن يرفع عنهم اثنين ودعوت ربي أن يرفع عنهم ثم الرجم من السماء والفرق من الأرض وأن لا يلد بهم شيئاً وأن لا يذيق بعضهم بأساً بعضاً فرفع الله عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والهرج وانما عدل إلى قبراه لأنها كانت مدفونة تحت كذا وكانت عسفان لهم وهذا حديث

يستغفرونهم في وقت السحر لأنه أخلق بأجابة الدعاء لأنه يحمل عليهم بالاستغفار قاله ابن مسعود وقال ابن عباس أخرهم إلى السحر وكان يصلي بالسحر لأن دعاء السحر مستجاب وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عنه أيضاً قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم في قصة هو قول أخي يعقوب لآبيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة قيل أخره إلى ليلة الجمعة لأنها أشرف الأوقات وقيل أخره إلى أن يستحل لهم من يوسف ولم يعلم أنه قد عفا عنهم أول يعرف حالهم في صدق التوبة وجللة (أنه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبلها (فلما دخلوا على يوسف) لعل في الكلام محذوراً وقام قد راو هو فرحل يعقوب وأولاده وأهله إلى مصر فلما دخلوا على يوسف وهم يومئذ اثنا وسبعون ما بين رجل وامرأة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة ألف وستمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهري وكانت الذرية ألف ومائتي ألف قاله القرطبي فقد بورك فيهم كنهير حتى بلغوا هذا العدد في مدة موسى مع ابنه وبين يوسف وأربع مائة سنة كما في التعبير قال أبو هريرة دخل يعقوب مصر في ملك يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وعاش في ملكه ثلاثين سنة ومات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة قال أبو هريرة وبلغني أنه كان إبراهيم خليل الله مائة وخمسة وتسعين سنة (أوى إليه أبو يه) أي ضمهم ما أنزلهم ما عنده قال المفسرون المراد بالأبوين هنا يعقوب وزوجه خالته يوسف لأن أمه قد كانت ماتت في ولادتها لآخيه بنيامين وقيل أحى الله له أمه تخليقاً للرؤيا حتى يحدث له وبه قال قتادة وسفيان بن عيينة قال الخازن والأول هو المعتمد وهذا جني على أنه تزوج راحيل في حياة اختها ليا قال الخنزاوي وهذا قول ضعيف وإن الرابع أن ليا ماتت قبل أن يتزوج راحيل وعلى هذا فله كانت له ما أخت ثالثة تزوجها يعقوب بعد حما وأدركت هذه القضية انتهى وقيل كانت أمه باقية فلا حاجة إلى التأويل وهو الأولي بظاهر النظم القرآني (وقال ادخلوا مصر) أي لا فائمة بهم (إن شاء الله آمين) على أنفسكم وأهليكم مما ذكره هون من القبط وأصناف المكاره وقد كانوا فيمضون يخافون ملوك مصر ولا يداخلونها إلا بجوار منهم قيل والنقييد بالمشبهة عائد إلى الدخول مع الأمن ولا مانع من عودهم إلى الجميع لأن دخولهم لا يكون إلا بعيشة الله سبحانه كما أنهم لا يكونون آمنين إلا بعيشته وقيل إن

غريب وسباق عجيب وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب الغدادي في كتاب السابق واللاحق بسـ لمجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فآمنت ثم عادت وكذلك ما رواه الهيلي في الروض بسـ منه فيه جماعة مجهولون إن الله أحياه أباه وأمهم فآمنوا وقد قال الما نط ابن دحية في هذا الأسـ تدلال بما حمله هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها وصلى على العصر قال الطحاوي وهو حديث ثابت يعني حديث الشمس قال القرطبي فليس أحيا وهو ما يتنع عقلاً ولا شرعاً قال وقد سمعت أن الله أحيا أمه وأبائهم فآمن به قلت دهـ إذا كله متوقف على صحة الحديث فاذا صح فلا مانع منه

والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لامة فنهاه الله عز وجل عن ذلك فقال إن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر لايه فأنزل الله وما كان استغفار إبراهيم لايه الا عن وعده وعدهاياه الآية وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فقام **ك**وعن الاستغفار لامراتهم ولم ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار إبراهيم لايه (٧٦) الآية وقال قتادة في الآية ذكر لنا ان رجلا من أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم قالوا لبي الله ان من آياتنا من كان يحسن الجوار ويعمل الارحام وينفك العاني ويد في بالذم أفلا نستغفراهم قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله اني لاستغفر لاي كما استغفر إبراهيم لايه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين حتى بلغ قوله الجحيم ثم عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام فقال وما كان استغفار إبراهيم لايه الآية قال وذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قد أوحى الله الى كلمات قد خان في اذني ووقرن في قلبي أمرت ان لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فنزل ماله فهو خير له ومن أسست فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف وقال الثوري عن الشيباني عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال فكان ينبغي له ان يعيش معه ويدفنه ويدعوله بالصالح ما دام حيا فاذا مات وكبته الى شانه ثم قال

التقيد بالشيئة راجع الى قوله سوف استغفر لكم ربى وهو بعيد جدا وظاهر النظم القرآنى ان يوسف قال لهم هذه المنة لى أعنى ادخلوا مصر قبل دخولهم وقد قيل في توجيه ذلك انه تلقاهم الى خارج مصر فوقف منتظرا لهم في مكان أو خيمة فدخلوا عليه فأوى اليه أبو يه وقال ادخلوا مصر فلما دخلوا مصر دخلوا عليه فدخلوا معه فدخلوا الى مصر فلهذا الدخول غير الارل ولمصر فضائل كثيرة ذكرها المقرئ في الخطط منها ان الله عز وجل ذكره في كتاب العزيز بنه او عشرين مرة مرة بصرى الذ كروتارة ايماء وقال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها في عشرة مواضع من القرآن وقد جافى فضل مصر أحاديث أوردها المقرئ في تاريخه ومن أراد ان يذكر السردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فليتنظر الى أرض مصر حين يحضر زرعها وتنور ثمارها ومن شاء ان يطلع على مواقع مصر وما جريته افعليه ان ينظر في الخطط وفي حسن الخاضرة للبيوطى (ورفع أبو يه على العرش) أى أجدهم حاصه على السير الذي يجلس عليه كما هي عادة الملوك قال ابن عباس العرش السير و الرفع النقل الى العلو (وخروا) أى الابوان والاخوة (له) أى يوسف (سجدا) وكان ذلك جائزا في شربتهم منزلا منزلا التحية وقيل لم يكن ذلك سجودا بل هو مجرد ايماء وانحناء وكانت تلك تحيتهم وهو يخالف معنى خروا له سجدا فان الخروا في اللغة المقيد بالسجود لا يكون الا بوضع الوجه على الارض وقيل التحية في له راجع الى الله سبحانه أى وخروا لله سجدا وهو بعيد جدا وقيل ان التحية ليوسف ولللام للتعليل أى وخروا لاجله وفيه أيضا بعد قال عدى بن حاتم في الآية كانت السجدة تحية من كان قبلكم فاعطاكم الله السلام مكانها وعن قتادة نحوه وعن ابن زيد قال ذلك سجود تشريفه كما سجدت الملائكة تشريفه لا دم وليس سجود عبادة وكان ذلك بامر الله لتحقيق رؤياه (وقال) يوسف (يا أيها الذين آمنوا) التي تقدم ذكرها (من قبل) أى من قبل هذا الوقت في حال الصغر (قد جاءها ربي حقا) أى صدق ما توقع تأويلها في القنطة عن ما دلت عليه قيل وكان بين الرؤيا والتأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ثلثون أو ثمان وعشرون وقيل خمس وثلاثون وقيل سبعون حتى هذه الأقوال كلها ابن الجوزى والله أعلم كم كان بينهما (وقد أحسن بي) الاصل ان يتعدى فعل الاحسان بالى وقد تدهى بالياء كما في قوله وبالوالدين احسانا ويقال بى الى بمعنى واحد وقيل انه

وما كان استغفار إبراهيم لايه الى قوله تبرأ منه لم يدع ويذهب له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره من على رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب قال يا رسول الله ان عنت الشيخ الضال قدمات قال اذهب فواره ولا تخدن شيئا حتى تأتيبنى فذكر سام الحديث وروى انه صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه أبى طالب قال ومن بعد رحم باعم وقال عطاء بن أى رباح ما كنت لادع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لاني لم أسمع الله يحب الصلاة الا عن المشركين يقول الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى ابن جرير عن ابن وكيع عن أبيه

عن عصمة بن رامل عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولأبيه قال لا قال ان ابي مات مشركا وقوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال ابن عباس ما زال ابراهيم يستغفر لابي حتى مات فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وفي رواية لما مات تبين له انه عدو لله وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم رحمهم الله وقال عبيد بن عمير وسعيد بن جبلة انه تبرأ منه يوم القيامة حين باق أباه وعلى وجهه أبيه القفرة والغبرة فيقول يا ابراهيم اني كنت أعصيك واني اليوم لأعصيك فيقول أي رب ألم تعدني ان لا تحزنني يوم يبعثون (٧٧) فاي خزي أخرى من أبي الاعداء فيقال انظر الى

ما وراءك فاذا عوبت فخرج من مطلق أي قد مسح فضبعه ثم يصحب بقوائمه و يلقى في النار وقوله ان ابراهيم لاواه حليم قال سليمان الثوري وغير واحد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود انه قال الاواه الدعاء وكذا روى من غير وجه عن ابن مسعود وقال ابن جرير حدثني المنفي حدثنا الحاج بن منهال حدثني عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس قال يا رسول الله ما الاواه المتضرع قال ان ابراهيم لاواه حليم ورواه ابن أبي حاتم عن حديث بن المبارك عن عبد الحميد بن بهرام به ولفظه قال الاواه المتضرع الدعاء وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم بن عمار عن أبي الغدير انه سئل ابن مسعود عن الاواه فقال هو الرحيم وبه قال مجاهد وأبي ميسرة وعمر بن شريك والحسن البصري وقتادة وغيرهم ما أي الرحيم بهاد الله

من أحسن معنى لطف أي لطف بي محسنا (اذا خرجني من السجن) بعدما ابتليت به ولم يذكر اخرجهم من الحب لان في ذكره نوع تريب وتخجيل للاخوة وقد قال لا تريب عليكم اليوم وقد تقدم بسبب سجنه ومدة بقاءه فيه وقد قيل ان وجه عدم ذكر اخرجهم من الحب ان المنة كانت في اخرجهم من السجن أكبر من المنة في اخرجهم من الحب لان دخوله الحب كان بعد اخوته ودخوله السجن بسبب تهمة المرأة فاخرجهم من السجن كان لزوال التهمة عنه وكان ذلك من أعظم نعمه سبحانه عليه وفيه بعد وضعف وقيل لان اخرجهم من السجن كان سببا للوصول الى الملك أولان مصيبة السجن عنده كانت أعظم لطول مدتها ولما صاحبة الاوباش وأعداء الدين فيه بخلاف مصيبة الحب لقصر مدتها ولكون المؤنس له فيها اجبريل عليه السلام وغيره من الملائكة (وجاء بكم من البدو) أي البادية وهي أرض كنعان بالشام وكانوا أهل موائى وبرية فسكنوا البادية وقيل ان يعقوب عليه السلام تحول الى البادية بعد النبوة لأن الله لم يبعث نبيما من البادية وان المكان الذي كان فيه يعقوب يقال له بدو وفيه نظروا البدو وهو البسيط من الارض والبدو خلاف الحضرة والبادية خلاف الحضرة قال الخفاف في البادية والبدو والبداية عن قيل سميت به لان ما فيها بيدو للنظر لعدم ما يوراه (من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي) أي بعد ان فسد بيننا وجل بعضنا على بعض يقال نزع اذا خلع وأحله من نخس الدابة ليقوى مشيتها وأحال يوسف ذنب اخوته على الشيطان تسكر مامنه وتادبا (ان ربي لطيف) قال الازهرى هو من اسماء الله تعالى معناه الرقيق بعباده يقال لطف فلان بفلان لطف اذا رفق به وقال عمرو بن ابي عمرو اللطيف الذي يوصل اليك أربك في لطف قال الخطابي اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقيل اللطيف العالم بقائق الامور قال قتادة لطف يوسف وصنع له حين اخرجهم من السجن وجاءه بالهدى من البدو ونزع من قلبه نزع الشيطان وتحرشه على اخوته (لما يشاء) أي لاجل ما يشاء حتى يجي على وجه الصواب (انه هو العليم) باموره (الحكيم) في افعاله ولما اتم الله نعمته على يوسف عليه السلام بما خاصه من المحن العظيمة وبما خوله من الملك وعلمه من العلم ناقت نفسه الى الخير الاخرى الدائم الذي لا ينقطع فقال (رب قد آتيتني من الملك) من التبر بفض اي بعض الملك لانه

وقال ابن المبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة وكذا قال العوفي عن ابن عباس انه الموقن وكذا قال مجاهد والضحاك وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد عن ابن عباس الاواه المؤمن زاد على بن أبي طلحة عنه هو المؤمن الثواب وقال العوفي عنه هو المؤمن بلسان الحبشة وكذا قال ابن جرير هو المؤمن بلسان الحبشة وقال الامام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن عتبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له ذوالنجاين انه أواه وذلك انه رجل كان اذا ذكر الله في القرآن رفع صوتا بالدعاء ورواه ابن جرير وقال سعيد بن جبلة والسجى الاواه

فوما بعد اذ هداهم الآية قال بيان الله عز وجل للمؤمنين في ترك الاستغفار لا مشركين خاصة وفي بيانه لهم في معصيته وطاعته عامة فافعلوا أودروا وقال ابن جرير يقول الله تعالى وما كان الله ليقضى عليكم في استغفاركم لو أنكم المشركين بالفساد بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهي عنه فتتركوها فاقبل ان يبين لكم كراهة ذلك بالنهي عنه ثم تضيعوا نهيها الى ما نهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالفساد فان الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والمنهي وامان لم يؤمر ولم ينه فغير **كأن** مطيعاً وعاصياً فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه (٧٩) وقوله تعالى ان الله ملك السموات والارض يحيي

ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير قال ابن جرير هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال المشركين ومولوك الكفر وانهم ينشقوا بنصر الله ملائكة السموات والارض ولم يرهوا من أعدائه فانه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواء وقال ابن أبي عمير حدثنا علي بن ابي دلامة البغدادي حدثنا عبد الرهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اذ قال لهم هل سمعوا من ما سمع قالوا ما سمع من شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اسمع اطميط السماء وما تلام ان تسمع وما في من موضع شرب الا وعياه ملك ساجد أو قائم وقال كعب الاحبار ما من موضع خربة ابرق من الارض الا وملك موكل به يرفع علم ذلك الى الله وان سلائكة السماء لا أكثر من عدد التراب وان حلة العرش ما بين كعب أحدهم الى حمة مسيرة مائة عام (الكتاب الله على النبي

بالشام في الارض المقدسة فهو الآن هناك (ذلك) المذكور من امر يوسف اى قصته وما جرى له مع اخوته وما صار اليه من الملك بعد الرق (من أبناء الغيب) أخباره (نوحية البث) خبر ثان قال الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي اى الذي من أبناء الغيب نوحية البث والمعنى الاخبار من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان هذا الذى قصه عليه من امر يوسف واخوته من الاخبار التى كانت غائبة عنه فاولاه الله اليه وأعلم به ولم يكن عند قبل الوحى شيء من ذلك وفيه تعريض طاع بكنار قرين لانهم كانوا كاذبين له صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء به بخود او عباد او حسدا مع كونهم يعاون حقيقة الخيال ودليل قاطع على صحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان أميا بحيث لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى غير بلده الذى نشأ فيه ومع ذلك أتى به هذه القصة الطويلة على أن تركيبه وافصح عبارة فدل ان آياته من الوحى من الله سبحانه وتعالى (وما كنت لديهم) أى لدى اخوة يوسف وهوة لعل لكل من الخبرين (اذا جاءوا امرهم) اجتماع الامر العزم عليه أى اذ عزموا جميعا على الشاهد في الحب (وهم) أى بنو يعقوب فى تلك الحالة (يمكرون) يمكرون فى هذا الفعل الذى فعلوه ويغفونه الغوائل أو يتكرون بيهتوب حين يود بتميص ملابغ بالدم وقالوا أكله الذئب واذالم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديهم عدان فعلوا ذلك اتنى علم بذلك مشاهدة ولم يكن بين قوم لهم علم باحوال الامم الله ولا خالطهم ولا طوع فأتى علمه بذلك بطريق الرواية عن السيرة فلم يبق بعلمه بذلك طريق الا خبر الوحى من الله سبحانه فهذا يستلزم الايمان بما جاء به فلما لم يؤمن بذلك من عاصره من الكفار قال الله سبحانه اذ اكرأ لهذا (وما أكرم الناس ولو حرصت) على هدايتهم وبالعق فى ذلك (بمؤمنين) بالله لتسجيهم على الكفر الذى هو دين آباءهم يقال حرص حرص من شرب يشرب وفي لغة ضعيفة مثل حديد يمدوا الحرس طلب الشئ باجتهاد والاسم الحرس بالكسر وحرص حرص من باب تعب لغة اذ ارجب رغبة مذهبته وقال الزجاج معناه ما أكثر الناس مؤمنين ولو حرصت على ان تهديهم لانك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء قال ابن الانبارى ان قريشا واليهود سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قصة يوسف واخوته فذكرها ثم حاشا فبا وأتى بها على وفق ما عندهم فى التوراة وهو يامل

والهاجر بن الانصار الذين تبعوه فى ساعة العسق من بعدما كاد يربغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم الله بهم رؤوف رحيم قال مجاهد وغير واحد نزات هذه الآية فى غزوة تبوك وذلك انهم خرجوا اليها فى شلق من الامر فى سنة شديدة وحرص شديد وعسر من الزاد والماء قال قتادة خرجوا الى الشام عام تبوك فى اهبان الخمر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيه فاجهد شديد حتى لقد ذكر لنا ان الرجلين كما يشقان الثمرة بينهما وكان نفر يتداولون الثمرة بينهم فها هذا ثم يشرب عليها ثم يمشيها هذا ثم يشرب عليها فانتاب الله عليهم وأفظلهم من غزوتهم وقال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى اخبرنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد

في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدام يذغزوة بغزوها الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حشد واسع قبل سفر ابيد او ما وروا استقبال عدوا كثر انخلى للـ لمن أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فاجبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يحصى مهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فقل رجل ير أن يتغيب الاظن ان ذلك سيخفي عليه ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصغر فتجهز اليها رسول الله (٨١) صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فطهنت أغدولكى أتجهز

معههم فلم يرجع ولم أقض من جهازى شيئا فاقول كذا نفسى أنا قادر على ذلك اذا أريدت فلم ينزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس البس فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئا وقلت أتجهز بعد يوم أو يومين ثم الحقت فغدوت بعد ما صلوا لا أتجهز فرجعت ولم أقض من جهازى ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم ينزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتشارط الغزو ففهممت ان ارنحل فالحقهم وليتني انى فعلت ثم لم يتدر ذلك لى فطهنت اذا خرجت فى الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى انى لا أرى الارجل مغموصا عليه فى التناق أو رجلا من عذره الله عز وجل ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قبولك فقال وهو جالس فى النوم تبولك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة حبسه يا رسول الله برده والنظر فى عطنه فقال معاذين جبل بنى ما قات والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خبرا فكت

الا ليقصر نونا الى الله زلقى ومثل هؤلاء الذين اتخذوا اخبارهم اربابا من دون الله والمعتقون فى الاموات بانهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه كما ينعله كثير من عباد القبور فهذا الاقرار الصادر منهم بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم هو يصدق عليه انه ايمان بالمعنى الاعم أى تصديق لا بالمعنى الاخص أعنى ايمان المؤمنين فهذا الايمان الصادر منهم واقع فى حال الشرك فقد آمنوا حال كونهم مشركين والى هذا الوجه ذهب جمهور المفسرين ولكنهم لم يذكروا ما ذكرناه ههنا من تقريره بكونه ايمانا بالمعنى الاعم ولا بد من ذلك حتى يستقيم الكلام ويصدق عليه معنى الايمان الوجه الثانى ان المراد بالآية المنافقون لانهم كانوا يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فاصفوا كانوا يؤمنون ظاهرا الا وهم مشركون باطنا دروى هذا عن الحسن البصرى الوجه الثالث انهم أهل الكتاب يؤمنون بكتابهم ويتقدمون علماءهم فى الكفر بغيره ويقولون المسيح ابن الله وعزير ابن الله فهم يؤمنون بما أنزل الله على أنبيائهم حال كونهم مشركين الوجه الرابع ان المقصود بذلك ما كان يقع فى تلبية العرب من قواهم ليس لك لا شريك لك الا شريككاهو لك فقد كانوا فى هذه التلبية يؤمنون بالله وهم مشركون روى فهو ذلك عن ابن عباس الوجه الخامس ان المراد بهذه الآية المرأون من هذه الامة لان الرباه هو الشرك المشار اليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم الشرك أخفى فى أمتى من ديب القمل فالمرأون آمنوا بالله حال كونهم مشركين بالرباه وأخرج أحمد فى المسند من حديث محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الا صغرا قالوا وما الشرك الا صغرا يا رسول الله قال الرباه يقول الله يوم القيامة اذا جرى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم ترأون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء الوجه السادس ان المراد بالآية من نسي ربه فى الرخاء وذكره عند الشدة روى ذلك عن عطاء وفيه انه لا يصدق على ذلك انه آمن بالله حال كونه مشركا الا ان يجعل مجرذ من ان الذكر والدعاء عند الرخاء شركا مجازا كانه نسيه وتر كالدعاء وقد عبدوا آخروا وهو بعيد على انه لا يمكن اجتماع الامرين لانه حال الذكر والدعاء غير متصفا بالنسيان وترك الذكر وقد تقرر ان الحال قد فى عاملها الا ان يعتبر بما كان عليه الشئ فان ذلك أحد العلاقات المصعبة للتجاوز وبطل عليه قوله تعالى فاذا ركبو فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم

(١١ فتح البيان خامس) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه فافلا من تبولك حضرتى بنى وطهنت أمد كرا الكذب وأقول بما أخرج من خطبة غدا وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلقبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل فادما زاح عنى الباطل وعرفت انى لم أبع منه بشئ أبدا فاجعت صدقه فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا قدم من سفره أبا المسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المختلطون فطنقوا بعندين اليه ويهلفون له وكانوا بضعة وعشرين رجلا فيقبل من رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ويبستغفر

لهم ويكل سرارهم الى الله تعالى حتى جئت فلما سألت عليه بسم نبيهم المفضي ثم قال لي تعال فأتيت أمشي حتى جئت بين يديته فقال لي ما خلفك ألم تكن قد شئت أن تكون من أهل الديار أبيت أن أخرج من محضهم بعد ذرأفتك أعطيت جدلا ولا كفى والله لقد علمت أني حدثتك اليوم بحديث كذب نزلني به عن ليوشككن الله أن يخطئك على ولئن حدثتك بصدق فجدد على قلبه أني لا أرجو عقيب ذلك من الله عز وجل والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله (ص) (١٢) صلى الله عليه وسلم ألم أهاهذ أفقد صدق فتهم حتى يقضى الله فيك فقامت

وقام الى رجل من بني سامة واتبعه الى
فقالوا لي والله ما علمنا لك كنت
أدب ذنبا قبل هـ داوود
عزرت الآن تكون اعترت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر به المقتلون فقد كانت
كافيتك من ذنبتك استغفار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لك قال
فوالله ما زالوا يقولون حتى أردت
ان أرجع فأكذب نفسي قال ثم
قلت له هم هل اتي معي هذا أحد
قالوا نعم لشيء معك رجلان قالوا
مثل ما فات وقيل له ما مثل ما قيل
لك فقلت فمن هما قالوا امرارة بن
الريبع العامري وطلال بن أمية
الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين
قد شهدا بدرا لي فيهم ما أسوة قال
فخضيت حين ذكروها مالي فقال
ونعم بي رسول الله صلى الله عليه
وسلم المـ ابن عن كلامنا أيا
الثلثة من بين من تخلف عنه
فاجتنبنا الناس وتغيروا بنا حتى
تشكرت لي في نفسي الأرض فما
هي بالأرض التي كنت أعرف
فلينبأ علي ذلك خمسة من ليله فاما
صاحباي فاما سكاكنا وقعدا في
يومهم ما يبكتان واما ما فكت

بشر كون الوجه السابع ان المراد من أسلم من المشر كين فانه كان مشركا قبل ايمانه حكم
بالك الحاكم في نفسه وتقريره انه ما يؤمن أحدهم بالله الا وقد كان مشركا قبل ايمانه
والكلام فيه نالكلام في الوجه الذي قبله والجواب الجواب الوجه الثامن ان المراد
بالشرك ههنا ما يعرض من الخواطر والاحوال حال الايمان قاله الواسطي كما حكاه عنه
البيضاوي وفيه ان هذه الخواطر والاحوال ان كانت مما يدق عليه الشرك الاكبر
أو الاصغر فذلك وان كانت خارجة عن ذلك فهو فاسد الوجه التاسع انهم الذين يشبهون
الله بخلقه رواد الكشف عن ابن عباس وتقريره انهم آمنوا بالله حال نشيخهم هم له بما
يكون شركا أو يؤول الى الشرك الوجه العاشر هو ما تقول القدرية من اثبات القدرة
للعباد حكم الله في مدارك التنزيل وتقريره انهم آمنوا بالله حال اثباتهم ما هو مختص
به غيره وهو شرك أو منزل منزلة الشرك الوجه الحادي عشر ما قاله محبي الدين بن عربي
في تفسيره ان كثرة الناس انما يؤمنون بغير الله ويكفرون بالله دائما في بعض الاحيان
بشر كون الله سبحانه مع ذلك الاله الذي هم مؤمنون به فلا يؤمن أكثرهم بالله الاحال
كونه مشركا وفيه ان ظاهر النظم القرآني ان الايمان بالله والشرك بشرك غير معه
لا يكون الا بشرك يكمع غيره وبين المعنيين فرق الوجه الثاني عشر ذكره ابن كثير في
تفسيره وهو ان غمة شرك كاختفاء الايشع بفتح الشا من يفعله كما روى عن حذيفة انه
دخل على مريض يزوره فرأى في عضده سيرا فاططعته وانتزعته ثم قال وما يؤمن أكثرهم
بالله الا وهم مشركون وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر مرفوعا عن
حلف بغير الله فقد أشرك وأخرج أحمد وأبو داود ومن حديث ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرقي والتمايم والتولة شرك وفي لفظ له ما الطيرة شرك وما
منا الا ولكن الله يذهبها بالتوكيل وروى أحمد في المسند عن عدي بن عبد الرحمن قال
دخلت على عبد الله بن حكيم وهو مريض فقيل له لو تعلمت فقال تعلق شيا وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من تعلق شيا وكل اليه ورواه النسائي عن أبي هريرة وفي المسند
عن عتبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علق نجاسة فقد أشرك وفي
معجم مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله أمان غنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه روى أحمد وغيره من

أشد الصوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع النبي وأطوف به لا سواي فلا يكلمني أحدوا في رسول الله صلى الله عليه حديث
وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة قائم وأقول في نفسي أحرأ شفتيه بردا لسلام علي أم لأنهم أصلي قربا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت
علي صلاتي نظرت فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تدورت حائط أبي قتادة وهو ابن
عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام ففأنت فها يا قتادة أنت ذلك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله قال فكنت
قال فمدت له ففشدته فكنت فمدت له ففشدته فكنت فقال الله ورسوله أعلم قال ففاضت عينا وتولت حتى تدورت الجدار

فبينما أُمشي بسوق المدينة إذا أنا ببطي من أثباط الشام من قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل علي كعب بن مالك قال فطفت الناس يشيرون له إلى حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان وكنيت كاتبا فإذا فيه أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جندك وإن الله لم يجعلك في داره وإن ولا مضبعة فالحق بنا لو استقل فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاة قال فتممت به التنوير فسجرت به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمين إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني يقول يأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تعترل امرأتك قال فقلت أطلعتها أم ماذا أفعل فقال بل اعترلها (٨٣) ولا تقر بها قال وأرسل إلى صاحبي بمنزل ذلك قال فقلت

لا امرأتي الخبيثة يا كعب فذكرني عندهم حتى يتنصت الله في هذا الأمر ما شاءة قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشأت برسول الله أن هلالا شيخ ضعيف ليس له نكاح فهل تذكره أن أخذته قال لا ولكن لا يقربك قالت والله والله ما به من حركة إلى شيء والله والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فتعال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت والله لا استأذن فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب قال فلبثنا عشر ليال فأكمل لنا خبز وولدت له من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى مناقد ضاقت علي نفسي وضائق علي الأرض صارحيت صارتا أوفي علي جميل سلع يقول يا علي صوتك أشبه يا كعب بن مالك قال

حديث غيره وفي المسند أيضا من رده الطيرة من حجة فقد أشرك قالوا برسول الله ما كفارة ذلك قال ان يقول أحدكم اللهم لا خير الاخيرك ولا طير الاطيرك ولا اله غيرك وأخرج أحد من حديث أبي موسى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل ثم قال والله كيف تجتنبه وهو أخفى من ديب النمل قال قولوا اللهم اننا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفر لك لما لا نعلمه وقد روى من حديث غيره إذا عرفت ما تنصتة كتب التفسير من الوجوه التي ذكرناها وعرفت تقريرها على الوجه الذي قررناه فاعلم ان هذه الأقوال إنما هي اختلاف في سبب النزول وأما النظم القرآني فهو صالح لجملة على كل ما يصدق عليه معنى الإيمان مع وجود معنى الشرك والاعتبار بما فيه هذه اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في مواضعه فيقال مثلا في أهل الشرك انه ما يؤمن أصكهم بان الله هو الخالق الرازق الا وهو مشرك بالله بما يعبد من الاصنام ويقال فيمن كان واقعا في شرك من الشرك الخفي وهو من المسلمين انه ما يؤمن بالله الا وهو مشرك بذلك الشرك الخفي ويقال مثلا في سائر الوجوه فلهذا على التقرير الذي قررناه سابقا وهذا الصلح ان يكون وجههم متقلا وهو أوجهها وأرجحها فيما حسب وان لم يذكروا أحد من المفسرين فيما قيل من انه يشك كل وجودا تصفههم بالإيمان في حال تلبسهم بالشرك استشكل واقع وقوعه وسؤال هل محله وجوابه قد ظهر مما سبق فانه يقال مثلا ان أهل الجاهلية كان إيمانهم الجماع للشرك هو مجرد الاقرار بان الله هو الخالق الرازق وعولوا في ما هم عليه من الشرك وكذلك يقال ان أهل الاسلام كان شرك من وقع منهم في شيء من الشرك الخفي الاصغر غير مناف لوجود الإيمان منهم لان الشرك الاصغر لا يخرج به فاعله عن معنى الإيمان ولهذا كانت كثرته ان يتعدو ذنبه من ان يشرك وان يقول في الطيرة اللهم لا طير الاطيرك ولا اله غيرك فقد صحح هذا انه اجتمع الإيمان الحقيقي والشرك الخفي في بعض المؤمنين واجتمع الإيمان بالمعنى الاعم والشرك الخفي في أهل الجاهلية وكذا يقال في أهل الكتاب انه اجتمع فيهم الإيمان بما أنزل الله على أنبيائهم والانحراف ببعضهم من بعض المخلوقين أشبه الله عز وجل وهكذا في بقية الوجوه (أما ما رواه أنبيائهم غاشية من عذاب الله) الاستهزام لانكاروا الغاشية ما يشاهم ويغمرهم من العذاب كقوله يوم يغشاهاهم

فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء انفرج من الله عز وجل بالتوبة عليه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيعة الله عليا حين صلى الصبح فذهب الناس يمشرون وذهب قبل صاحبهم مبشرون وركض إلى رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفي علي الجبل فكان الصوت أسرع من النسر فلما جاني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته ثوبي الكسوت وما ياه يشارته له والله ما أملاك يومئذ غيرهما واستعرت ثوبي فلديتهما وانطلقت أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناقني الناس فوجياهم ثوبي بنوكة الله يقولون لي نوبه الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد والناس حوله فقام إلى طلحة

ابن عبد الله بن رول حتى صالحنى وهناني والله ما قام الى رجل من المهاجر من غيرته قال فكان كعب لا ينساها الطلحة قال كعب فلما صلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سراسر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر حتى يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبى ان أشجع من مدنى صدقة الى الله والى رسوله قال أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال ففعلت فاني (٨٤) أمسك منى الذي بخير وقات يا رسول الله انما نجاني الله بالصدق وان

من توبى ان لا أحلث الأصدا
ما ثبت قال فوالله ما أعلم أحدا
من المسلمين أبلاء الله من الصدق
في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما
أبلى الله تعالى والله ما نعت
كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا
واى لا أرجو ان يحذفنى الله عز
وجل فبما بقى قال وأرسل الله تعالى
أفدتاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعد ما تكذبت قلوب
فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
بروف رحيم وعلى الثلاثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم
أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ لهم
الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله
هو التواب الرحيم يا أيها الذين
آمَنُوا اتقُوا اللَّهَ **وَكُونُوا**
الصادقين الى آخر الآيات قال
كعب فوالله ما أنعم الله على من
نعمة قط بعد ان هداني للإسلام
أعلم في نفسي من صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

العباد من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هي الساعة وقيل الصواعق والقوارع
وقيل وقية انفسهم قال قتادة وقيل نعمة تشملهم ولا مانع من الحمل على العموم (أو تاتهم
الساعة بغتة) أى فجأ من غير سابقية سلامة والنصب على الحال قال السيد دجاء عن
العرب بل بعد ذكره وقوله وقع أمر بغتة يقال بغتهم الامر بغتة اذا فاجأهم
(وهم لا يشعرون) باتيانهم اقبل قبيح الصيغة بالناس وهم في أسواقهم غير مستعدين لها
(قل) يا محمد لله **شركي** (هذه) الدعوة التي أدعوا اليها والطريقة التي أنا عليها
(سبيلي) طريقى وسببى وفسر ذلك بقوله (ادعوا الى الله على بصيرة) أى على حجة
والحجة والبصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل (النا من اتبعنى) أى ويدعو
اليهم من اتبعنى واقصدى بهم دنى قال القرطبي والمعنى ومن اتبعنى يدعوا الى الله كما أدعوا في
هذه الدليل على ان كل متبع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق عليه ان يقتدى به
في الدعاء الى الله أى الدعاء الى الايمان به وتوحيده والعمل بمبادئه لعباده قال ابن
الانباري ويجوز ان يتم الكلام عند قوله أدعوا الى الله ثم ابتدأ فقال على بصيرة أنا ومن
اتبعنى قال قتادة على بصيرة أى على هدى (و) أصبح (سبحان الله) أى وأمره قديره باله عا
لا يطيق بحلاله من جميع النقا من الشر كله والاضداد والامتنان (وما آمن من المشركين)
بالله الذين يتخذون من دونه أئادا (وما أرسلنا من قبلك) هذا رد على من قال لولا أنزل
عليه ما كان أى لم يبعث من الأنبياء الى من قبلهم (الارجالا) لا لا شك أى ليس وامن أهل
السموات كما قلتم قاله ابن عباس فكيف يشكرون رسالتنا بالذو تسلى الآية على ان الله سبحانه
لم يبعث نبيا من السماء ولا من الجن وهذا رد على من قال ان في النساء أربع نبيات حواء
وآسية وام موسى ومريم وقد كانت بعثة الانبياء من الرجال دون النساء امر معروف وأخذ
العرب حتى قال قيس بن عاصم في حجاج المنبئ

فلمعت ليبتئنا الى فمنا فيها • وأصبحت أنبياء الله ذكرا
فلمعة الله والاقوام كهم • على حجاج ومن باليوم اغرانا

(نوحى اليهم) كما نوحى اليه وقرئ بالياء بعد الله معول (من أهل القرى) أى المدائن
والامصار دون أهل البادية لغلبة الجفاء والتسرية على البدو ولكون أهل الامصار أنهم
عشراؤا كمل - الواسع علموا أهل فضلا قال قتادة ما علم ان الله أرسل رسول لا فط

ان لا يكون كذبة فاهل الذين كذبوه فان الله تعالى قال لقد ين كذبوه حين أنزل لوصى شرم قال لا صدق الله الامن
نعم الى سبحانه فوالله لكم انما انقلبتم اليهم لتمرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وما اواههم جهنم حرابا كانوا يكسبون يحلفون
لكم لتمرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال وكأناهم الثلاثة الذين خلفوا عن أمر أولئك الذين قبل منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوا فبأبهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه فلذلك قال الله عز وجل
وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخلفتم الا باورا جأوه أمرنا الذي ذكر بحاجتنا فخلافتنا عن العزور وانما هو عن خلافه واعتذر

اليه فقبل منه هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحب الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري نحوه فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة باحسن الوجوه وأبسطها وكذا روى عن غيره واحد من السلف في تفسيرها كما رواه الأعمش عن أبي سنيان عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا أنه لم يسم كعب بن مالك وطلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكلهم من الأنصار وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد وكلهم قال مرارة بن ربيعة وفي رواية عن سعيد ابن جبيرة ربيع بن مرارة وقال الحسن البصري ربيع بن مرارة أو (٨٥) مرارة بن ربيع وفي رواية عن الضحاك مرارة بن

الريبيع كواقع في الصحيحين وهو الصواب وقوله فيمن أوجعهم شهداء يدرا قيل الله خطأ من الزهري فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة يدرا والله أعلم ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من النسيق والكرب من شجر المسلمين إليهم نحو من خسين ليلة بياض ما هارضاقت عليهم أنفسهم وضائق عليهم الأرض بما رحبت أي مع سعة ما فسدت عليهم المسالك والمذاهب فلا يمتدون ما يصنعون فسبوا الأمر الله واستكاثوا الأمر الله ونبوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحالفهم وأنه كان من غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم أبى الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خير لهم وتوبته عليهم ولهذا قال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أي اصدقوا الزموا الصدق تسموا من أهله وتبعوا من المهالك ويعمل لكم فرجا من أموركم ومخرجا وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية

الأمي من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل المعمرور وقال الحسن لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من السماء (أفلم يسيروا في الأرض فيظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أفلم يسير هؤلاء المشركون المنكرون لنسب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيظنوا إلى مصارع الأمم الماضية فيعتبروا بهم وما حل بهم من عذاب الله حتى ينزعوا عما هم فيه من التكذيب قال الحسن أي كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح والأمم التي عذبها (ولدار) الساعة (لا آخرة) أو آخرة الآخرة أو الحياة الآخرة على حذف الموصوف وقال الفراء إن الدار هي الآخرة وأضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظ كيوم الجمعة وصلاة الأولى ومجدد الجامع والكلام في ذلك مبين في كتب الأعراب والمراد بهذه الدار الجنة وقرئ للدار الآخرة (خير) من دار الدنيا (للذين اتقوا أولا تعقلون) على الخطاب وقرئ بالتحسية أي يتذكرون ويعتبرون بهم فيؤمنوا (حتى) غاية الحذف دل عليه الكلام وتقديره وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ولم نعلم أجل أمهم الذين لم يؤمنوا بما جاؤا به بالعبودية حتى (إذا استأمنوا من الرسل) عن النصير بعقوبة قومهم أوحى إذا استأمنوا من إيمان قومهم لأنهم ما كذبوا في الكفر وقدره الترطبي الأرجال أنهم لم يعاقب أمهم حتى إذا قدره ابن الجوزي الأرجال لا يدعوا قومهم فكذبواهم وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا قدره الزمخشري الأرجال لا يفتراخي نصرهم حتى وأحسب ما قدمته وقال الواحدى حتى هنا من حروف الابتداء يستأنف بعدها (ونفذوا) أنهم قد كذبوا (قرأ جماعة من الصحابة وتابعيهم والكسائي والفراء بالتخفيف مبنيا) لا فاعول أي ظن القوم أن الرسل قد كذبواهم في أخبارهم من العذاب ولم يصدقوا وقيل المعنى ظن القوم أن الرسل قد كذبوا فيما ادعوا من النصير وقيل المعنى وظن الرسل أنهم قد كذبوا أنفسهم حين حدثهم بأنهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجالهم النصير وقرأ الباقر كذبوا بالتشديد والمعنى عليها واضح أي ظن الرسل بأن قومهم قد كذبواهم فيما وعدوهم به من العذاب ويجوز في هذا أن يكون فاعل ظن القوم المرسل إليهم على معنى أنهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما جاؤا به من الوعد والوعيد وقرأ مجاهد وحيد قد كذبوا بالتخفيف معروفا على معنى وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا وقد قيل إن الظن في هذه الآية بمعنى اليقين لأن الرسل قد اتبعوا أن قومهم كذبواهم وليس ذلك مجرد ظن منهم

حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتقوى الصدق حتى يكتبه الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتقوى الكذب حتى يكتبه الله كذابا أخرجه في الصحيحين وقال شعبه عن عروب بن مرة سمع أبا عبد الله يحدث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرأوا إن شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هكذا قرأها ثم قال فهل تجدون

لاحد فقه رخصة وعن عبد الله بن عمر في قوله انشأ الله وكونوا مع الصادقين قال مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال انشأك
مع أبي بكر وعمر وأصحابهم ما قال الحسن البصري ان أردت ان تكون مع الصادقين فليكن بالزهد في الدنيا والكف عن أهل الملة
(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يضلوا وعن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا
نصب ولا خفة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر
المتقين) يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن (٨٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها

والذي ينبغي ان يفسر القن باليقين في مثل هذه الصورة ويفسر بعناه الاصل فيما يحصل
فيه مجرد ظن فقط من الصورة السابقة وقد أطل الخزن والخبأ في بيان معنى هذه
الآية بما ليس في ذكره كثير فائدة وفائدة كراهه قنع وبلاغ (جاهم نصرنا) أي نجاه الرسل
نصر الله سبحانه نجاة أو جاف قوم الرسل الذين كذبوه هم نصر الله لرسوله بإقناع العذاب على
المكذبين وأخرج البخاري وغيره من طريق عروة أن عائشة عن قول الله سبحانه حتى
إذا استأسر الرسل وطمئنتهم قد كذبوا قال قلت يا كذوب الم كذبوا يعني هل هذه الكلمة
مخترعة أم متقدمة فقالت بل كذبوا يعني بالآية ديدقات والله لقد اتفقوا ان قومهم
كذبوهم فها هو بالظن قالت أجل أمرى الله استيقنوا بذلك فقالت لعلمها رظنوا انهم قد
كذبوا مخترعة قالت ما إذا لم تكن الرسل لتظن ذلك برهم اوقات فساد هذه الآية قالت هم
اتباع الرسل الذين آمنوا بهم وصدقهم بطال عليهم البلاء واستأخروا عنهم النصر حتى اذا
استأسر الرسل من كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم هم نصر
الله عند ذلك وقال ابن عباس كذبوا مخترعة يقولون كذبوا وكذبوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله قل عروة عن عائشة أنها قالت ذلك وأبته وقالت والله
ما وعد الله رسوله من شيء الا علم الله به يكون قبل ان يموتوا وكلمه لم ير البلاء بالرسول حتى
يطأوا من مناهم من المؤمنين قد كذبوه وكانت تقرها فقالت نعم عائشة ان انجي صلى
الله عليه وآله وسلم قرأ وطمئنتهم قد كذبوا مخترعة أخرجه ابن مردويه من طريق
يكرمة وعن ابن عباس ايضا أنه كان يقرأ قد كذبوا مخترعة وقال في الرسل من قومهم ان
يجيبوا لهم وطمئنت قومهم ان الرسل قد كذبوهم عما جاؤهم به جاءهم نصرنا أي الرسل وسوا
قرأ ابن عباس وعرفنا ان الرسل من ايمان قومهم ان يؤمنوا بهم وطمئنت قومهم حين ابطاء
النصر انهم قد كذبوا وقال حنطت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سورة يوسف
انهم قد كذبوا مخترعة والمفسر في هذا الكلام يرجع الى ما ذكرناه من الخلاف عن الصحابة
(فتحي من انشاء) من عبادنا عند نزول العذاب بالكافرين والذين نجاهم الله هم الرسل ومن
آمن معهم وهؤلاء المكذبون (ولا يرد باننا) أي عذابا عند نزوله (عن القوم المجرمين)
المسركين قال ابن عباس وذلك ان الله بعث الرسل بدعوت قومهم فاجابوهم انهم أطاع
الله نجوا من عررض عذب وغوى وفيه بيان من انشاء الله نجاة من العذاب وهم من

من أحياء العرب ورغبتهم بأنفسهم
عن مواساة فيما حصل له من
المشقة فانهم انصروا أنفسهم من
الاجر لانهم لا يصيبهم ظمأ وهو
العاش ولا نصب وهو التعب ولا
خفة وهي الجاعة ولا يطأون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون
من عدوهم ولا ينالون من
ظنرا وغلبة عليه الا كتب لهم
به هذه الاعمال التي ايسر داخله
تحت قدرهم والله في ما شئت من
أفعالهم ما لا يحاط به ولا يجرى
ان الله لا يضيع أجر من أحسن
عمله (ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا لا
كتب لهم اجر من الله أحسن
ما كانوا يعملون) يقول تعالى
ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل
الله نفقة صغيرة ولا كبيرة شيء
قليل ولا كثيرا ولا يقطعون واديا
أي في السبيل الى الأعداء الا كتب
لهم ولم يقل الله ان هذه أفعال
صادرة عنهم وما هذا قال ليجوزهم
الله أحسن ما كانوا يعملون وقد
حصل لآل المؤمنين عثمان بن

عفان رضي الله عنه من هذه الآية الكريمة طوافه ونصيب عظيم وذلك انه أتفق في هذه الغزوة لشقات الجاهلية
والاموال الجزيلة كما قال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا أبو موسى العنوي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا
سفيان بن الوليد بن أبي هشام عن فرقة بن أبي الهيثم عن عبد الرحمن بن حبيب السلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حث
على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه على مائة يبرأ باحلاسها أو اقتابها قال ثم حث فقال عثمان على مائة يبرأ
اخرى باحلاسها أو اقتابها قال ثم قال عثمان بن عفان على مائة أخرى باحلاسها أو اقتابها قال فرأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيده هكذا يحركها فخرج عبد الصمد يده كأنه يحب ما على عثمان ما عمل بعد هذا وقال عبد الله أيضا حدثنا هرون بن معروف حدثنا عبد الله بن شاذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبها بيده ويوقه قول ماضر ابن عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا وقال قتادة في قوله تعالى ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم (٨٧) الآية ما زادوا قوم في سبيل الله بعد ما عمل بهم إلا زادوا وأقربا من الله (وما كان

المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين واينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) هذا بيان من الله تعالى لما أراد من تنفير الأحياء مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فإنه قد ذهبت طائفة من السلف إلى أنه كان يجب التنفير على كل مسلم إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى انفروا خفافا واثقالا وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب الآية قال فسبح ذلك بهذه الآية وقد يقال إن هذا بيان لمراده تعالى من تنفير الأحياء كلها بشرط من كل قبيلة أن لم يخرجوا كلها ليتفقهوا الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم عما كان من أمر العدو وفتحهم لهم الأمران في هذا التنفير المعين وبعد صلى الله عليه وسلم تكون الطائفة النافرة من الحى أمانة للنفقة وأمانة للجهاد فإنه فرض كفاية على الأحياء وقال على

عدا هؤلاء الجرمين (لقد كان في قصصهم) أى قصص الرسل ومن بعثوا إليهم من الأمم أو في قصص يوسف وأخوته وأبيه قاله مجاهد (عبرة) هى الذكرى والتذكير العبرة الخاصة من الجهل والخير وقيل هى نوع من الاعتبار وهى العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول (لاولى الألباب) هم ذوو العقول السليمة الذين يعقبون بعقولهم فيدرون ما فيه مصالح دينهم وأمنهم كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الأخبار المطابقة للواقع مع بعد المدة بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين الرسل الذين قص حديثهم ومنهم يوسف وأخوته وأبوهم كونه لم يطلع على أخبارهم ولا اتصل بأخبارهم وعبرة الكرخى وجه الاعتبار بقصصهم أنه قال في أول السورة نحن نقص عليك أحسن القصص ثم قال ههنا لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب وذلك تنبيه على أن حسن هذه القصة إنما هو لأجل حصول العبرة منها ومعرفة الحكمة والقدر (ما كان) هذا المقصود الذى يدل عليه ذكر القصص أو القرآن المشتمل على ذلك المتقدم ذكره في قوله أنا أنزلناه قرآننا عربيا (حديثنا يفترى) قال قتادة الثرية الكذب (وإن كنت صدق الذى بين يديه) من الكتب المنزلة كالنوراة والأنجيل والزبور وقيل هو تصديق ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله (وتفصيل كل شئ) من الشرائع المجدلة المحتاجة إلى تفصيلها لأن الله سبحانه لم يشرط في الكتاب من شئ من الأحكام والحدود والقصص والمواعظ والأمثال وغير ذلك وقيل تفصيل كل شئ من قصة يوسف مع أخوته وأبيه وقيل وليس المراد به ما يتنصيه من العموم بل المراد به الأصول والقوانين وما يؤل إليها قال قتادة فصل الله بين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل ما من شئ من أمر ديني إلا وله مستند في القرآن بواسطة أو بغير واسطة (وهدى) فى الدنيا بهتدى به كل من أراد هدايته (ورحمة) فى الآخرة برحم الله بهم أعباده العاممين بما فيه بشرط الإيمان الصحيح ولهذا قال (لقوم يؤمنون) أى بصدقونه وبما تضمنه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه وقدره وأمان عداهم فلا يتنفع به ولا يهتدى بما اشتمل عليه من الهدى فلا يستحق ما يستحقه

• (سورة الرعد وهى ثلاث وقيل أربع أو خمس أو ست وأربعون آية) •

ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة بغنى عصبة يعنى السرايا ولا يسروا إلا بأذنه فإذا اجتمعت السرايا وقد أنزل بعدهم قرآنا تعلمه الساعدون مع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا بتهامون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ويحس السرايا أخرى فذلك قوله ليتفقهوا فى الدين يقول ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون وقال مجاهد نزلت هذه الآية فى أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا فى البوادي فاصابوا من الناس

المعروف ومن الخصب ما ينتفعون به ودهوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اديابكم وحنفونا فوجدوا في انفسهم من ذلك تخرجا واقلوا من البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فاولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة فيكون الخيرة لمنتهى وافي الدين وليستعوا ما في الناس وما أنزل الله فعذرهم ولينذروا قومهم انهم اذارجعوا اليهم لعلمهم بعذرهم وقال قتادة في الآية هذا اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيوش أمرهم الله ان يغزوا بنبيه صلى الله عليه وسلم وتقيم طائفة مع (٨٨) رسول الله تنفعه في الدين وتنطق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن

خلافهم وقال الضمالي كل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يجعل لخدمته المسلمين ان يخاف منه الا اهل الاعذار وكان اذا اقام وأمرى السرايا لم يجعل لهم ان يطلاقوا الا بانه وكان الرجل اذا أسرى قبل بعده قرآن وتلاه في الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه الشاعدين معه فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أفاوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيترؤفونهم ويشتقونهم في الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول اذا اقام رسول الله فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني بذلك انه لا ينبغي للمسلمين ان ينفروا جميعا وفي الله صلى الله عليه وسلم قاءة ولكن اذا دعاه في الله فسرت السرايا وقعد

وقد وقع الخلاف هل هي مكية أو مدنية وعن ذهب الى الاول سعيد بن جبير والحسن وعكرمة وعطاء وجابر وابن زيد والي الثاني ابن الزبير والكلبي ومقاتل والقول الثالث انها مدنية لايتين قائم ما رتبنا بكة وهما قوله تعالى ولوان قرأنا سيرت به الجبال وقيل قوله ولا يرال الذين كفروا ان يصيبهم بما غنوا فاعرعة وقيل هو الذي يريكم البرق الى قوله له دعوة الحق وعن جابر بن زيد كان يصيب اذا حضر الميت ان يقرأ عدة سورة الرعد فان ذلك يخفف عن الميت وانه أهون لقبضه وأيسر لشانه

• (بسم الله الرحمن الرحيم) •

(المز) قد تقدم الكلام في الحروف الواقعة في أوائل السور بما يغني عن الاعادة قال ابن عباس المعنى انما الله أرى وقال مجاهد فواتح يفتح بها كلامه والحق ان الله تعالى أعلم برأدها وهو اسم للسورة والتقدير هذه السورة اسمها هذا (تلك) أي آيات هذه السورة وقيل اشارة الى ما قص عليه من أنباء الرسل وقيل الى آيات القرآن وعليه جرى التخصي في وجه سور التيسرين (آيات الكتاب) والمراد بالكتاب السورة أي تلك آيات السورة الكاملة العجيبة الشأن والاضافة بمعنى من وقال مجاهد الكتاب التوراة والانجيل (والذي أنزل اليك من ربك) المراد به القرآن كله فانه فتادة وغيره أي هو (الحق) البالغ في انصافه هذه الصفة لاشراكه (ولكن أكثر الناس) يعني مشركي مكة (لا يؤمنون) بهذا الحق الذي أنزل الله اليك قال الزجاج لما ذكر انهم لا يؤمنون ذكر الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال (الله الذي رفع السموات بغير عمد) العمدة الاساطين والدعائم جمع عمد أي على غير قياس والقياس ان يجمع على عمد بضم العين والميم وقيل ان عمد اجمع عمد أي أي انه اسم جمع لا جمع صناعي وهو صادق بان لا عمد أصلا وهذا هو أصح القولين أي قائمات بغير عمد تعتمد عليها وقيل لها عمد ولكن لا تراها وهذا قول مجاهد وعكرمة قال الزجاج العمدة قدرته التي لا يشك في السموات وهي غير مرئية لنا وقرئ عمد على انه جمع عمد بعمده أي بانداله وحله (تروم) مستأنفة استشهاد على رؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد وهو أقرب مذكور وجهه التخصي وقيل في الكلام تقدير بونا خبير والتقدير رفع السموات بغير عمد ولا ملحق الى مثل هذا

بلادهم وكانت القبيلة منهم تسبل بأسرها حتى يجلوا بالمدينة من الجهد ويعتزلوا بالاسلام وهم كاذبون التكلف فاضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجهد وهم فأرسل الله بحبر رسوله انهم ليسوا مؤمنين فردد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشارهم وحذر قومهم ان يملوا فاعلمهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذارجعوا اليهم الآية وقال الصوفي عن ابن عباس في هذه الآية كان يطلق من كل حي من العرب عصاة فيأفون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه هل يريدون من أمر دينهم وينفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما نأمرنا ان نفعله وأخبرنا بما أمر به عشارنا اننا نعصا عليهم قال جابرهم

نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعته وطاعة رسوله وبيعهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا اتوا قومهم قالوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل لينارق اياه وامه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرهم قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً وما كان لاهل المدينة الآية قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين يخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البدو الى قومهم يفتقونهم فانزل الله عز وجل وما كان المؤمنون (٨٩) لينفروا كافة الآية ونزلت والذين

يحابسون في الله من بعد ما استجيب له يحجهم داحضة عذرهم وعليم غضب ولهم عذاب شديد وقال الحسن البصري في الآية لينفقه الذين خرجوا بغيرهم الله من الظهور وعلى المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين) أمر الله تعالى المؤمنين ان يقاتلوا الكفار ولا قاتلوا الاقرب فالاقرب الى حوزة الاسلام ولهذا ابدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا شرع في قتال أهل الكتاب فقبضه زلفوا الروم الذين هم أقرب الناس الى جزيرة العرب وأولى الناس بالدعوة الى الاسلام لانهم أهل كتاب فبلغ تبوله فرجع لاجل جهد الناس وجذب البلاد

التكلف قال ابن عباس وما يدريك لعلها بعد ما ترونها وقال يقول لها عدوا كن لاترونها يعني الأعداء قال ايس بن معاوية السماء بقبية على الارض مثل القبية وبه قال الحسن وقنادة وجهه المفسرين وعن ابن عباس قال السماء على أربعة أملاك كل زاوية موكل بها ملك قال السمين في هذا الكلام وجهان أحدهما التقاء العدو والرؤية جميعا أي لا عمد فلزوية يعني لا عمد لها فلا ترى واليه ذهب الجمهور والثاني ان لها عدوا لكن غير مرتبة (ثم) هنا جرد العطف لا للترتيب لان الاستواء عليه غير مرتب على رفع السموات (استوى على العرش) استواء يليق به هذا مذهب السلف وقال المعتزلة استوى عليه بالحنظ والتدبير واستوى أمره وأقبل على خلق العرش وقد قدم الكلام على هذا مستوفى والحق ان الاستواء على العرش صفة لله سبحانه بلا كيف كما هو متردد في موضعه من علم الكلام (وحضر الشمس والقمر) أي ذللهما لما أراد منهما من منافع الخلق ومصالح العباد فالحركة المستمرة على حدم من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها (كل) من الشمس والقمر (يجري لاجل مسمى) أي الى وقت معلوم معين وهو فناء الدنيا وزوالها وقيام الساعة التي تذكر عند هاتين الشمس ويخسف القمر وتكدر الأجواء وتنبت وقيل المراد بالاجل المسمى درجاتهم ما ومانازلهما التي ينتهيان اليها لاجبوازائها وهي سنة للشمس وشهر للقمر لا يختلف جري واحد منهما ما قبل وهذا هو الحق في تدبير الآية (يدبر الامر) أي أمر العالم العلوي والسفلي يعني بنفسه ويعضيه وحده فله مجاهد والمعنى بصرفه على ما يريد وهو أمر ملكوته وربوبيته يدبره على أكمل الاحوال وأتم الافعال لا يشغله شأن عن شأن وقيل يدبر الامر بالاجداد والاعدام والاحياء والاماتة ولا وجه للتخصيص بشئ دون شئ فان اللفظ أوسع من ذلك قال الكرخي وحمل التدبير على العموم أول من حمله على نوع من أحوال العالم كما جرى عليه جمع من المفسرين وهذا التدبير والافعال الامضاء هم من فوق العرش وهو ظاهر نظم القرآن الكريم (يفصل) أي يبين (الآيات) الدالة على كمال قدرته وربوبيته ومنها ما تقدم من رفع السماء بغير عمد وتخصير الشمس والقمر وجريهما لاجل مسمى والمراد من تدبيره العباد على ان من قدر على هذه الاشياء فهو قادر على البعث والاعادة ولهذا قال (لعلكم) عند مشاهدة هذه الآيات (بلى ما ربكم بوقفون) لان شكوا

(١٢ فتح البيان خامس) وضيق الحال وذلك سنة تبع من هجرته عليه السلام ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجه باحدى وعشرين يوما فاختره الله لما عنده ورأى بالامر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد مال الدين ميله كذا ان يجعل فتيته الله تعالى به فاطر القواعد وثبت الدعائم ورد شارح الدين وهو راغم ورد أهل الردة الى الاسلام وأخذوا كذا عن منعها من الضمائم وبين الحق لمن جهله وأدى عن الرسول ما حمله ثم شرع في تجهيز الجيوش الاسلامية الى الروم عبدة الصليبان والى الفرس عبدة النيران ففتح الله بركة سفارته البلاد وأرغم أنف كسرى

وقبصر ومن أطاعه - مامن له - بادوا أنفق كنوزهما في - بيل الله كما أخبر بذلك رسول الله وكان تمام الامر على يدي وجهه يمين
بعده وولى عهده الفاروق الاواب ثم - يد المجرى أبي - نض عمر بن الخطاب رضي الله عنه فارغم الله به أنوف الكفرة الملحدين
وقع الطغاة والمنافيين واستولى على الممالك شرقا وغربا وجمعت اليه خزائن الاموال من سائر الاقاليم بعدا وقربا ففرقها على
الوجه الشرعي والسبيل المرضي ثم لما مات ثم - يد اوقد عاتس حيدا أجمع الصحابة من المهاجرين والانصار على خلافة
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٩٠) شهيد الدار فكسى الاسلام رياسة حلة سابغة وامتدت

الدعوة في سائر الاقاليم على رقاب
العباد حجة الله الباقية فظهر
الاسلام في مشارق الارض
ومغاربها وعلت كلمة الله وظهر
دينه وبلغت الملة الحنيفة من
أعداء الله غاية ما ربهوا وكلماء علوا
أمة اتقلوا الى من بعدهم ثم الذين
يلوهم - م من العتاة النصارى امتثال
لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وقوله تعالى واجدوا لكم غلظة
أي غلظة عليهم في قتالكم لهم فان
المؤمن الكامل هو الذي يكون
رفيقا لآخيه المؤمن غليظا على
عدوه الكافر كقوله تعالى فوف
يا أي الله بشوم يحهم ويحبونه أدلة
على المؤمنين أعززة على الكافرين
وقوله تعالى محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار
رحماء بينهم وقال تعالى يا أيها
النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وفي الحديث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
العضول القتال يعني أنه نضول
في وجهه وله قتال لهامة عدوه
وقوله واعلموا ان الله مع المتقين أي

فيه ولا تغفون في صدقه ولما ذكر الدلائل السجارية أتته هابذة كالدلائل الارضية فقال
(وهو الذي مد الارض) على وجه الماء قال الفراء بسطها طولها وعرضها تثبت عليها
الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وقال الاصم ان المذهب هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه زاد
الكرخي فقوله مد الارض يشعر بأنه تعالى جعل الارض مجمعا عظيما لا يتبع البصر
على منتهاه انتهى قبل وهذا المد الظاهر للبصر لا ينافي كبريتا في نفسها التباعدا أطرافها وبه
قال أهل الهيئة والله أخبر أنه مد الارض وأنه دحاها وبسطها وأنه جعلها فراشا وكل ذلك
يدل على كونها - م - ملعة كالأرض وهو أصدق قولا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة وفي
الجامع الصغير حديث رواه البيهقي عن ابن عباس ولفظه أول بقعة وضعت من الارض
موضع البيت ثم مدت منها الارض وان أول جبل وضعه الله على وجه الارض أبو قبيس
ثم مدت منه الجبال وعن ابن عمر وقال الدنيا - م - مائة عام أو بعامة عام خراب
ومائة عمران في أيدي المسلمين ذلك - م - ميرة ميرة وقدرى عن جماعة من السلف في ذلك
تقريرات لم يأت عليهم دليل يصح وعن علي بن أبي طالب قال لما خلق الله الارض قصت
وقالت أي رب تجعل علي - م - آدم يعلمون علي الخطايا ويجعلون علي الخبيث فارسل الله
فيها من الجبال ماترون ومالاترون فكان أفرارها كاللحم ترجرج (وجعل فيها) جبالا
(رواي) أي ثوابت تسكنها عن الاضطراب واحدها راسية لان الارض ترسوها
أي تثبتت والرسو الثبوت (وأنها را) أي مباحا جارية في الارض فيها منافع الخلق أو
المراجل جعل فيها مجاري الماء (ومن كل النمرات) متعلق بجعل في قوله (جعل فيها
زوجين اثنين) أي انثوية ذكورية وهما الثردان اللذان كل منهما زوج الآخر وأكذب
الزوجين اثلا يفهم ان المراد بذلك الثنعمان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن انثوية
ذلك انثوية اعتبارية أي جعل من كل نوع من أنواع نمرات الدنيا - م - اثنين اما في الانثوية
كالبيض والوداد ونحوه - م - أوفى الطعمية كالحلوى والحامض ونحوه - م - أوفى القدر
كالصغرو والكبر أوفى الكيفية كالخرو والبرد وما أشبه ذلك ويجوز أن يتعلق بجعل الاول
ويكون الثاني استغنا فالبيان كيفية ذلك الجعل قاله أبو العود قال الفراء يعني بالزوجين
هنا الذكر والانثى من كل صنف ومثله عن مجاهد والاول أوفى (يعني الليل النهار) أي
بلده مكانه فيصير أسود فلما بعد ما كان أبيض منير أشبه ازالة نور الجوى بالظلمة بتغطية

الاشياء

كم اذا انصفوه وأطعوه وهكذا الامر

لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الامة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم ير الوافطاهرين على عدوهم
ولم تزل الفتوحات كثيرة ولم تزل الاعدا في مخالوخنا ثم لما وقعت الفتنة والاهواء والاختلافات بين الملوك طمعت الاعدا في
اطراف البلاد وتقدموا اليها فلم يمانعوا الشغل الملوك بعضهم - م - ثم تقدموا الى حوزة الاسلام فاخذوا من اطراف بلدانا
كثيرة ثم لم ير الوافطاهرين حتى احتضروا على كثير من بلاد الاسلام وتبعجانه الامر من قبل ومن بعد فكلما قام ملك من ملوك الاسلام

وأطاع وأمر الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله والله المستول المأمول ان
يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين وان يعلى كلمتهم في سائر الأقاليم انه كريم جواد (واذا ما أنزلت سورة فثمهم من
يقول أيكم زادته هذه إيماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى
رجسهم وما تواؤمهم كافرون) يقول تعالى واذا ما أنزلت سورة فمنها من المنافقين من يقول أيكم زادته هذه إيماناً أي يقول بعضهم لبعض
أيكم زادته هذه السورة إيماناً قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم (٥١) إيماناً وهم يستبشرون وهذه الآية من

أ كبر الدلائل على ان الايمان يزيد
وينقص كما هو مذهب اكثر السلف
والخلف من أئمة العلماء بل قد حكي
غير واحد الاجماع على ذلك وقد
يسط الكلام على هذه المسئلة في
أول شرح البخاري رحمه الله وأما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجساً الى رجسهم أي شكاً الى
شكهم وريباً الى ريبهم اقوله تعالى
ونزل من القرآن ما هو شفاء
والآية وقوله تعالى قل هو الله الذي
آمنا واهدى وشفاهم والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقرو وهو عليهم عصى
أو أممات ينادون من مكان بعيد
وهذا من جملة شقائهم ان ما يهذى
التسلوب يكون سبباً لاضلالهم
ودمارهم كما ان سبي المزاج لو غذى
بما غذى به لا يزيد الا خبالاً ونقصاً
(أولايرون انهم يستبشرون في كل
عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من
أحد ثم انصرفوا وسرف الله قلوبهم
بانهم قوم لا يفتقرون) يقول تعالى
أولايرى هؤلاء المنافقون انهم
يفتنون أي يفتنون في كل عام
مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم

الاشياء الخسيسة بالاعطية التي تسترها أي بتم النهار لليل والتركيب وان احتل العكس
أي بان الجمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار أيضاً سائر لظلمة الليل
الا ان الانسب بالدليل ان يكون هو العائى وعده في تضاعيف الآيات السنية وان
كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرة باعتبار ظهور في الارض فان الليل انما هو ظلمة
وفيما فوق موقع ظلمة الليل أصله لال والنهار لها ما تعلق بالثمرات من حيث العقد
والانساج على انهما أيضاً زوجان متقابلان مثلها وقرى يغشى من التغمية وقد سبق
تفسير هذا في الاعراف (ان في ذلك) المذكور من مد الارض وانباتها بالجبال وما جعله
الله فيها من الثمرات المتزاوجة وتعاقد النور والظلمة (لايات) بينة (التي يتذكرون)
أي للناظرين المتفكرين المعبرين فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب
والشكر هو تصرف القلب في طلب الاشياء وقال صاحب المفردات الشكر قوة مطروقة
للعلم الى المعالوم والتكثير حران تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون
الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يكون له صورة في القلب وله ذاروى تذكره في الآله
الله ولا تفكروا في الله اذ الله منزوع ان يوصف بصورة (وفي الارض قطع متجاورات)
أي بقاع مختلفة وهذا كلام متأنف مشتمل على ذكر نوع آخر من أنواع الآيات قول
وفي الكلام حذف أي قطع متجاورات وغير متجاورات كما في قوله سرايل تفيكم الحزراى
والبرد وقيل المتجاورات المدن وما كان عامراً وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير
معمور وقيل معنى متجاورات متدانيات تراها واحداً وماؤها واحد وفيها زرع وجنات
ثم تتفاوت في الثمار فيكون البعض حلواً والبعض حامضاً والبعض طيباً والبعض غير طيب
وبعض يصلح فيه نوع والبعض الاخر نوع آخر وعن ابن عباس قال يريد الارض
الطيبة العذبة التي يخرج نباتها باذن ربها تتجاورها البضة القبيحة الماخلة التي لا يخرج
منها نباتها وهما أرض واحدة وماؤها شئ واحد ملح أو عذب فتنبت اخداهما على
الاخرى قال قتادة قرئ متجاورات قريب بعضهما من بعض وقال ابن عباس الارض تنبت
حلواً والارض تنبت حامضاً وهي متجاورات نسق عا واحد وقيل ملاصقات فمنها طيب
وسخ وقليل الربع وكثير وهو من دلائل قدرته تعالى سبحانه (و) في الارض
(جنات) أي بساتين وعلى النسب تقديره جعل فيها جنات والجنة كل بستان ذي شجر

يذكرون أي لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم قال مجاهد يفتنون بالسنة والجوع وقال
قتادة لغزوف السنة مرة أو مرتين وقال شريك عن جابر عن الجعفي عن أبي الضحى عن حذيفة في قوله أولايرون انهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين قال ثنائس في كل عام كذبة أو كذبتين فيضل بها فقام من الناس كثير رواه ابن جرير في الحديث عن أنس
لا يزداد الامر الا شدة ولا يزداد الناس الا نصا وما من عام الا والذي بعده شرفه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وقوله واذا
ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا وسرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفتقرون هذا أيضاً اخبار عن

المتنافين انهم اذا اُتوا سورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تقرر بعضهم الى بعض أى تلفسوا هل يراكم من أحد ثم انصرفوا
أى تولوا عن الحق وانصرفوا عنه وهذا حالهم فى الدنيا لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا ينهضونه كقوله تعالى فخلهم عن
التذكرة مرضين كأنهم حرم متنفذة فرت من قرة وقوله تعالى فقال للذين كسروا قبلك مهطعين عن الدين وعن الشمال عزين
أى ماله ولا القوم يتقابلون عنك عينا ونملا لاهروا من الحق وذهابا الى الباطل وقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم كقوله فلما
زاغوا أزاغ الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون (٩٢) أى لا يفقهون عن الله خطا با ولا يتصدون لشهوه ولا يريدونه بل هم فى شغل

عنه وتوهم منه فلم يدا صاروا الى
ما صاروا اليه (لقد جاءكم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنكم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم) يقول تعالى
يشتا على المؤمنين بما أرسل اليهم
رسولا من أنفسهم أى من جنسهم
وعلى أمتهم كما قال ابراهيم عليه
السلام ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وقال تعالى لقد علمنا ان الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
أنفسهم وقال تعالى لقد جاءكم
رسول من أنفسكم أى منكم
وبلغناكم كما قال جعفر بن أبي
طالب للتجاني والمغيرة بن شعبه
رسول كسرى ان الله بعث فينا
رسولا منا عرف نسبه وصفته
ومدحه وشجرحه وصفه وأمانته
وذكر الحديث وقال سفيان بن
عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه
في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من
أنفسكم قال لم يصبه شئ من ولادة
الجاهلية وقال صلى الله عليه وسلم
خرجت من نكاح ولم أخرج من
سفاح وقد وصل هذا من وجه آخر

من الخيل وأغاب وغاب ذلك سمي جنة لانه يستريح بها الارض واليه الاشارة بقوله
(من أغاب) جمع غاب (وررع وخيل) ذكر سبحانه الزرع بين الأغاب والخيل لانه
يكون فى الخارج كثيرا كذلك ومنه فى قوله سبحانه جعلنا لآدم ما يشاء من أغاب
وحفناها ما يخل وجعلنا بينهم ما زرعا واخل والغاب بمعنى الواحد فخله لكن الخيل
يدكر ويؤنث والخيل مؤنث لاغير (صنوان وغير صنوان) قرئ بالرفع فى الأربعة
عطفها على جنات وبالجر عطفها على أغاب وبضم الصاد وكسرها وهما لغتان والأولى
لغة قيس وتيم والثانية لغة العامة وقرئ بشقها وهو اسم جمع لاجتماع تكبير لانه ليس
من انية فعلا بل بالفتح ونظير صنوان بالفتح عدان قال أبو عبيدة جمع صنو وهو أن
يكون الاصل واحدا ثم يترع فيصير خيلا ثم يحمل وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير
فالصنوان جمع صنور على الثلاث بجمعها أصل واحد وتشعب فروعها فالصنو المنفرد
واحد هذه الثلاث قال ابن الاعرابى الصنوا مثل ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم
عم الرجل صنواييه فعنى الآية على هذا ان اشجار الخيل قد تكون ممثلة وقد لا تكون
قال فى الكشف جمع صنو وهى الكلمة لها رأسان وأصلها واحد وقيل الصنوان
الجمع وغير الصنوان المنفرد قال النحاس وهو كذلك فى اللغة يقال للخلعة اذا كانت فيها
خلعة أخرى أو أكثر صنوان والصنو المنسل ولا فرق بين التثنية والجمع الا بكسر النون
فى المنى وبما يشبهه الاعراب فى الجمع عن البراء بن عازب قال الصنوان ما كان
أصله واحدا وهو متفرق وغير الصنوان التى تلبت وحدها وفى لفظ الصنوان الخلعة
فى الخلعة ملازمة وغير الصنوان الخيل المنفرد وعن ابن عباس هى مجتمعة الخيل
فى أصل واحد وغيرها المتفرقة فى السهم والصنوا شرع بجمعها وفرعا آخر أصل واحد
والمسل وفى الخبر اذا خرج فلان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحد منهن صنو
والاثنان صنوان بكسر النون والجمع صنوان برفعها (بى) بالتحسية أى بسى ذلك كله
بمعنى اشجار الجنة وزروعها (عناو) (د) والماسج رقيق ما نفع به حبة كل نام وقبل
فى حده هو جوهر سجال به فوام الارواح وفرى نسى بالقافية بارجع الصغار الى جنات
وقال أبو عمرو وأثبت أحسن أقوله (ونفسل بهضها على بعض فى الاكل) أى فى الطعم
ما بين الخلوا والخامض وغير ذلك من الطعام ولم يقل بعضه قرئ بالنون على تقدير ونحن

كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الزاهر رمزى فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى حدثنا أبو

أحمد يوسف بن هرون بن زياد حدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد قال أشهد على أى حدثنى عن أبيه عن جده عن علي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدتى أى وأمى لم يمتنى من سفاح
الجاهلية شئ وقوله تعالى عزير عليه ما عنتم أى بعز عليه الشئ الذى بعث الله عليه وبشئ عليه اولها جافى الحديث المروى من طرق
عنه انه قال بعث بالحنيفة السحرة وفى الصحيح ان هذا الدين يسر وسر بعنه كلها سهلة صعبة كلمة يسيرة على من يسرها الله تعالى

عليه حرص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والاخروي اليكم وقال الطبراني مدد شامحمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن قطن عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال تر كآرسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في الهواء الا هو يذكر لنا منه علما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم وقال الامام أحمد حدثنا قطن حدثنا المسعودي عن الحسن بن سعد عن عبد الله الهزلي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يحرم حرمة (٩٣) الا وقد علم انه سيطلعها منكم مطلع الاواني

أخذ يجرزكم ان تهافتوا في النار كنهفت الشراس والذباب وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا أحمد بن سلمة عن علي بن زيد ابن جده عن ابن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ملكان فيما يرى النائم فعد أحدهما عند رجله والاخر عند رأسه فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومن مثل أمته فقال ان مثله ومن مثل أمته كمثل قوم سفراء انتهوا الى رأس مضارة ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المضارة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك اذا بهم رجل في حلة حبرة فقال أرايتم ان وردت بكم رياض معشبة وحياضاروا فتبعوني قالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردتهم رياض معشبة وحياضاروا فأكادوا نسيروا وهموا فقال لهم ألم ألقاكم على تلك الحال فجاءتمني ان وردت بكم رياض معشبة وحياضاروا ان تتبعوني فقالوا بلى فقال فان بين أيديكم رياضاهي أعشب من هذه وحياضاهي أروى من هذه

نفصل وقرئ بالياء ومتى قرئ الاول بالياء جاز في الثاني بالياء والثون ومتى قرئ الاول بالياء تعين في الثاني الثون لا غير فالترآت ثلاثة لا أربعة كما توهم وكلها سبعة قال الكرشي قرئ بالتحية ليطابق قوله يدبر وقرئ بنون العظمة وأنت خير بان القراء يتبعون فيما اختاروه من الترآت الاثر لا الرأي فانه لا مدخل له فيها أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وابن جرير وابن المنذر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال الدقل والفارسي واخلووا الحامض وقال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد عن ابن عباس قال هذا حامض وهذا خلوه وهذا دقل وهذا فارسي والاكل بضمهم واسكان الثاني للتخفيف المأكول والمراذبه ما يؤكل منها وهو النمر والخبث فالنمر من التخبيل والاعتاب والخب من الزرع كانه قال ونفضل الحب والنمر بعضهما على بعض طعما وشكلا ورائحة وقدر او لاوة وجوضة وغناضة وغير ذلك من الطعوم وفضلها أيضا في غير ذلك كاللون والتمتع والضر وانما اقتصر على الاكل لانه أعظم المدافع (ان في ذلك) المذکور (آيات) دلالات على بدیع صنع وعظم قدرته فان القطع المتجاورة والجنات المتلاصقة المشقة الى أنواع النبات مع كونها تنقي عما واحد وتنفاضل في الثمرات في الاكل فيكون طعم بعضها خلوا والاخر حامضا وهذا في غاية الجودة وهذا ليس بجيد وهذا فائق في حبه وهذا غريب فائق مما يتطاع من تشكروا وتعتبروا ونظر العتلاء ان السبب المنتضي لاختلافها ليس الا قدرة الدافع الحكيم جل جلاله وتعالى شأنه لان تأثير الاختلاف فيما يخرج منها يحصل من غرائم الا يكون في نظر العتلاء الا للتبيين اما اختلاف المكان الذي هو الميثاق والاختلاف الماء الذي تبقى به فاذا كان المكان متصاورا وقطع الارض متلاصقة والماء الذي تنقي به واحد لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل الا تلك القدرة الباهرة والذبح العجيب (القوم يعقلون) أي به معلون على قضية العقل وما يوجب غيرهم ملين لما يقتضيه من التفكير في الخلوقات والاعتبار في العبر الموجودات أي يستعملون عقولهم بالتفكير فيها حسن هذا بالعقل والاول بالتفكير لان الاستدلال باختلاف الثمرات سهل ولان التفكير في الشيء سبب لتعقله والسبب تقدم على الماسب فتدبر التفكير على التعقل قال الحسن هذا مثل ذر به الله للقلب بني آدم فاناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فتقرق قلوب قوم وتخشع وتضع

فأثروني فقالت طائفة صدق والله لتبعته وقالت طائفة قد رضينا بهذا القيم عليه وقال البراءة ثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قال حدثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ان أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه في شيء قال عكرمة أراه قال في دم فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال أحسن اليك قال الاعرابي لا ولا أجلت فغضب بعض المسلمين وهموا ان يتوموا اليه فاشاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ان كفوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الى منزله دعا الاعرابي الى البيت فقال انك انما جئتنا لتألفنا فاعطيناك فقلت ما قلت فزاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

والدافعة خلوا بيني وبين ناقتي فانا
أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه اليها
وأخذ لها من قشام الارض ودعاها
حتى جاءت واستجابت وشدها عليها
رحلها وانى لو أطمعكم حيث
قال ما قال لدخل النار رواه البخار
ثم قال لانه يروى الا من هذا
الوجه قلت وهو ضعيف جعل
ابراهيم بن الحكم بن أبان والله
أعلم وقوله بالمومنين رؤوف رحيم
كنزوله واخذ من جنته لمن
اتبعك من المؤمنين فان عسولك
فذل انى يرى مما تاملون وتوكل على
العزيز الرحيم وهكذا أمره تعالى
في هذه الآية الكريمة وهى قوله
تعالى فان تولوا الى ربنا عذابنا
به من الشريعة العظيمة الملهمة
الكاملة الشاملة فتأمل -
الله لا اله الا هو أى الله كافى لا اله الا
هو عليه توكلت كما قال تعالى رب
لمشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذ
وكيل لا وهو رب العرش العظيم
أى هو مالك كل شئ ومخالقه لانه
رب العرش العظيم الذى هو صف
الخلقات وجميع الخلق من
السماوات والارض وما بينهما وما

منه - ما تحت العرش مذهبهم ويزعمون ان الله تعالى وعلمه محيط بكل شيء وقد روي انه قال في كل شيء وهو على كل شيء قدير
وكيل قال الامام احمد حدثنا محمد بن ابي بكر حدثنا بشر بن عمار حدثنا ثعلبة عن ابي بن زيد عن يوسف بن هيران عن ابن عباس
رضي الله عنه - ما عن ابي بن كعب قال اشرأب ترات في القرآن هذه الآية لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة
وقال عبد الله بن الامام احمد حدثنا روح حدثنا عبد المؤمن حدثنا عمر بن شاذق حدثنا ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن
ابي العالية عن ابي بن كعب رضي الله عنه انهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة ابي بكر رضي الله عنه فكانت رجال يكتبون

وإلى عليهم أبي بن كعب فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الآية فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أبي بن كعب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقراني بعدها آيتين لله جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر الآية قال هذا آخر ما نزل من القرآن ففتح به بالله الذي لا اله الا هو وهو قول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وهذا غريب أيضا وقال أحد حدثنا علي بن بصرى حدثنا علي بن محمد بن سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال أتى الحرث بن خزيمة (٩٥) بهاتين الآيتين من آخر براءة لقد جاءكم

رسول من أنفسكم إلى عمر بن الخطاب فقال من معك على هذا قال لا أدري والله اني لا شهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيتها وحفظتها فقال عمر وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجمعناها سورة على حدة فانظر واسورة من القرآن فضعهوها في ما فوضعهوها في آخر براءة وقد تقدم الكلام أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما يجمع القرآن فأمر يزيد بن ثابت بجمعه وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك وفي الصحيح أن زيدا قال فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة وقد قدمنا أن جماعة من الصحابة تذاكروا ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها والله أعلم وقد روى أبو داود عن يزيد بن محمد عن عبد الرزاق بن عمر وقال كان من ثقات المسلمين من المتعبدين عن مدرك بن سعد قال يزيد شيخ نقعة عن يونس بن ميسرة

تذكر ير الله مرة في قوله أنشأوا المعنى أي نعاذ خلقا جديدا بعد الموت كما كان قبله ولم يعلموا أن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غيره مثل قادر على إعادتهم ثم لما حكى الله سبحانه ذلك عنهم حكم عليهم بأمر ثلاثة الأول (أولئك الذين كفروا ببرهم) أي أولئك المنكرون لقد رتب سبحانه على البعث هم المتكادون في الكفر الكاملون فيه وفيه دليل على كفر منكري البعث (و) الثاني (أولئك الأغلال في أعناقهم) الأغلال جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل في العنق أو تدببه اليد إلى العنق أي يغلقون بها يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلا بالغل وقيل الأغلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الاطواق للأعناق (و) الثالث (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يندكون عنها بحال من الأحوال وفي توسط ضمير النص دلالة على تخصيص الخلود بعنق كرى البعث (و) يستعملونك بالسيئة قبل الحسنة) نزل في استعجالهم العذاب استمزازا والسيئة العتوبة المهلكة والحسنة العافية والسلامة قالوا هذه المقالة لدرط انكارهم وشدة تصميهم (وقد خلت من قبلهم المثلثات) جمع مثلة كسيرة وهي العتوبة الفاسخة سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه وهو الذنب من المماثلة في أن كلامهم مدموم قال ابن الأنباري المثلة العتوبة التي تلي في المعاقب شيئا بتغيير بعض خلقه من قولهم مثل فلان بشلان إذا شأ خلقه بقطع أنفه وسمل عينيه وبقر بطنه وقرى بفتح الميم واسكان الشام تخفيفا لثقل الضمة قبل وهي لغة الجاز في لغة تميم يضم الميم والشام جها واحدا على لغتهم مثله مثل غرفة وغرفات وقرى بفتحهم وقبل المثلة ثمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلا لا يرتفع غيره به قال قتادة المثلثات العقوبات يعني وقائع الله في الأمم فمن خلا قبلكم وقال ابن عباس المثلثات ما أصاب أقرون الماضية من العذاب والمعنى أن هؤلاء يستعملونك بالسيئة قبل العتوبة بهم وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بهم ويحذرون من حلول ما حل بهم وهذا الاستعجال من هؤلاء هو على طريقة الاستمزاز قوله لهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (وإن ربك لذو مغفرة) أي لذو تجاوز عظيم والمراد بها الأمهال وتأخير العذاب (للناس على) أي مع (ظلمهم) باقترافهم الذنوب ووقعهم في المعاصي أن تابوا عن ذلك ورجعوا إلى الله سبحانه والجوارح في محل نصب على الحال أي حال كونهم ظالمين وفي الآية إشارة

عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات الا كفاه الله ما أهمه وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عبد الرزاق عن عمر هذا من رواية أبي زرعة اللبني عنه عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري عن يونس بن ميسرة بن حليس عن أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول ما من عبد يقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات صادقا كان بها أو كذبا الا كفاه الله ما أهمه وهذا زيادة غريبة ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد عن أحمد بن عبد الله بن عبد الرزاق عن جده عبد الرزاق بن عمر بن سعد فرفعه فذكر مثله بالزيادة وهذا

منكروا الله أعلم آخر تفسير سورة براء قوله الجذوانة (تفسيره يونس عليه السلام وهي مكبة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (الرقم آيات الكتاب الحكيم) كان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ثم قال الكافرون ان هذا الساحر مبین) أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة وقال أبو الغضضي عن ابن عباس في قوله تعالى الرأى أنا الله أرى وكذا قال الضعفاء وغيره تلك آيات الكتاب الحكيم أي هذه آيات القرآن المحكم المبين وقال مجاهد (٩٦) الرتل آيات الكتاب الحكيم (١) وقال الحسن ان توراة

والزبور وقال قتادة تلك آيات الكتاب قال السكتي التي كانت قبل القرآن وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه وقوله أكان للناس عجباً الآية يقول تعالى منكروا على من تعجب من الكفار من ارسال المرسلين من البشر كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم أنبشروا وناو قال هود وصالح والشوهم أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وقال تعالى تخبرنا عن كفار فریش انهم قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجب وقال الضعفاء عن ابن عباس لما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً أنكرت العرب ذلك أومن أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد قال فانزل الله عز وجل ان كان للناس عجباً الآية وقوله أن لهم قدم صدق عند ربهم اختلفوا فيه فقال علي بن أبي طالب عن ابن عباس في قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق يقول سمعت لهم السعادة في الذكر الاول وقال العوفي عن ابن عباس ان لهم

عظيمة ورجاء كبير لان من المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالعلم لا يكون تأملاً فيجوز ان يكون قبل التوبة ولهذا قيل انما في عصاة الموحدين خاصة وقبل الماراد بالمعصية هنا تأخير العقاب الى الآخرة كما تقدم لي مطابق ما حكاه الله من استعجال الكفار له توبة وكما يفيد قوله تعالى (وان ربك لشديد العقاب) فمعاقب من يشاء من العصاة المكذبين من الكافرين عقاباً شديداً على ما تقتضيه مشيئته في الدار الآخرة فتأخيراً ما استعجلوه ليس للاهمال عن معيدين المسبب قال المازنات هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا عدو الله وشيرون ما هنا لا أحد العيش ولولا وعيدوه وعقابه لان كل واحد (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) أي على محمد صلى الله عليه وآله وسلم (آية من ربه) غير ما قد به من الآيات كالعصا والبدو الناقة وهؤلاء القائلون هم المستعجلون له ذاب وانما عدل عن الاشارة الى الموصول ذما لهم بكفرهم بآيات الله التي تنجزها الخيال حيث لم يرفعوا الهارأس ولم يصدقوا ما من جنس الآيات وهذا مكابرة من الكفار وعنادوا لا فقد أنزل الله على رسوله من الآيات ما يغني البعض منه قال الزجاج طلبوا غير الآيات التي أنزل الله وأمثل آيات موسى وعيسى فقال الله تعالى (انما أنت منذر) فنذرهم بالنار وايس اليك من الآيات من نبي وفيه ازالة لرغبته صلى الله عليه وآله وسلم في حصول مقترحاتهم فانه كان شديد الرغبة في ايجاب مقترحاتهم لشدة التفاته الى ايمانهم قاله الخطيب وجاء في انما أنت بصيغة الحصر لئلا يظن ان الله عليه وآله وسلم مرسل لئلا ارادوا ببيان ما يحذرون عاقبته وليس عليه غير ذلك وقد فعل ما هو عليه والذرا بلغ السار ولم يدع شيئاً مما يحصل به ذلك الا أن به وأوضحه وكرره فجاءه الله عن أمته خيراً (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم الى ما فيه هدايتهم ورشادهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقتضون وان لم تنفع الهادية بهم بالتعل ولم يتبعوها وآيات الرسل مختلفة هذا باقياً بآية أو آيات لم يأت بها الاخر بحسب ما يعطيه الله منها ومن طلب من بعضهم ما جابه البعض الاخر فتدبى في التعت الى مكان عظيم فليس المراد من الآيات الا الدلالة على النبوة لكونها مجهزة من جهة القدرة البشرية وذلك لا يختص بفرع منها ولا بأفراد معينة قال الرازي فهذا هو الوجه الذي قررره القاضي وهو الوجه الصحيح الذي ينبغي الكلام معه مستظماً انتهى وقبل ان المعنى ولكل قوم هاد هو الله سبحانه عز وجل

فانه قدم صدق عند ربهم يقول أجزا حسناً فقدموا وكذا قال الضعفاء والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فانه وهذا كقوله تعالى لينذر بأما شديد الآية وقال مجاهد أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الاعمال الصالحة صلواتهم وصومهم وصدقهم ونسبهم قال ومحمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وكذلك قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقال قتادة سلم صدق عند ربهم واخبار ابن جرير قول مجاهد انها الاعمال الصالحة التي قدموها كما يقاله قدم في الاسلام كقول حسن لنا التقدم العباد اليك وخلقنا • لا رناني طاعة الله تابع وقول ذي الرمة (١) ياض بالاصل

كم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على الحجر وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا الساحر مبين أي مع
 نابعنا اليهم رسولنا منهم رجلا من جنسهم بشيرا ونذيرا قال الكافرون ان هذا الساحر مبين أي ظاهر وهم الكاذبون في ذلك (ان
 بكم الله الذي خالق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم
 اعبدوه أفلاتنكرون) يخبر تعالى ان رب العالم جميعه وانه خلق السموات والارض في ستة أيام قيل كهذه الايام وقيل كل يوم
 ألف سنة مما تعدون كما يأتي بيانه ثم استوى على العرش والعرش (٩٧) أعظم المخلوقات وسبقها قال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج

ابن حجرة حدثنا أبو أسامة حدثنا
 اسمعيل بن أبي نعيم قال سمعت سعدا
 الطائي يقول العرش يا فتنة حرام
 وقال وهب بن منبه خلقه الله من
 نوره وهذا غريب وقوله يدبر الامر
 أي يدبر امر الخلائق لا يعزب عنه
 مثقال ذرة في السموات ولا في
 الارض ولا يشغله شأن عن شأن
 ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالحاج
 المهين ولا يلهيه تدبير الكبير عن
 الصغير في الجمال والبعاد والعمران
 والقدار وما من دابة في الارض الا
 على الله رزقها الآية وما تسقط من
 ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
 الارض ولا رطب ولا يابس الا في
 كتاب مبين وقال الدراوردي عن
 سعد بن اسحق بن كهيل بن عجرة
 انه قال حين نزات هذه الآية ان
 ربكم الله الذي خالق السموات
 والارض الآية انهم ركب عظيم
 لا يرون الا أنهم من العرب فقالوا
 لهم من أنتم قالوا من الجن خرجنا
 من المدينة آخر جنتها هذه الآية
 رواه ابن أبي حاتم وقوله ما من
 شفيع الا من بعد اذنه كنوله تعالى
 من الذي يشفع عنده الا الله

بانه القادر على ذلك وليس على أيامه الا انما اراد ان عباس عادي داع وقال
 بجاهد المنذر ثم صلى الله عليه وآله وسلم ولكل قوم هادي يدعوهم الى الله وعن سعيد
 بن جبيرة ومجاهد بن عباس نحوه وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المنذر
 هو الهادي آخر جد ابن مردويه وعن عكرمة وأبي النخعي نحوه وقيل الهادي هو العمل
 الصالح وقيل الهادي هو القائد الى الخير لا الى الشر وهو يوم الرسل وأتباعهم الى آخر
 الدهر وعن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده
 على صدره فقال أنا المنذر وأرما يده الى كتفه على فقال أنت الهادي يا علي بك يمتدي
 لمهندون من بعدي آخر جسد ابن جرير وأبو نعيم في المعرفة والدليل وان عاكر وان
 النجار قال ابن كثير في تفسيره وهذا الحديث فيه تكرار شديدة وجلة (الله يعلم ما تعمل
 كل شيء) مسستأنفة مسوقة لبيان احاطته سبحانه بالعلم وعلمه بالغيب الذي هذه الامور
 منه وقيل الاسم الشريف خير أي لكل قوم هادي هو الله وجلة يعلم ما تعمل كل شيء تفسير
 هادي وهذا بعيد جدا والعرب هنا تعدلوا بمعنى العرفان وما موصولة أي يعلم الذي
 عمله كل شيء في بطنها من علقته أو مضعته أو ذكر أو أنى أو صبيح أو قبيح أو سعيد أو شقي
 وطويل أو قصير أو تام أو ناقص أو استغنى ما به أي يعلم أي شيء في بطنها وعلى أي
 حال هو أو من قدرية أي يعلم جملها (وما تغيب الارحام وما تزداد) وما في الموضعين
 محتملة للاوجه المتقدمة ونعاش وزاد اسمع تعديهم ما ولزومها ولك ان تدعى حذف
 لعائد على القول بتعديهم ما وان تجعل ما من قدرية على القول بلزومها والغيب
 النقص وعليه أكثر المفسرين أي يعلم الذي تغيبه الارحام أي تنقصه ويعلم ما تزداده
 لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا من أوقاته وأحواله فقيل المراد نقص خلقة الخلق وزيادة
 كنقص أصبع أو زيادة رطل وقيل ان المراد نقص مدة الخلق عن تسعة أشهر
 أو زيادة رطل وقيل اذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصا في ولدها قاله ابن عباس
 وإذا لم تحض يزداد الولد وينمو فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام
 خلقه باستكمال الدم وقال سعيد بن جبيرة الغيب ما تنقصه الارحام من الدم والزيادة
 ما تزداده منه وقال الخليل ما تغيب الله نطق وما تزداد ما زاد في الخلق على ما غاضت
 حتى ولدته عما وذاك ان من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة

١٢ فتح البيان خامس) وكنوله تعالى وكم من فئة في السموات لا تغنى شئ عنهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى
 لقوله ولا تمنع الشفاعة عنه الا من أدن له وقوله ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلاتنكرون أي أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له أفلا
 تنكرون أي أيها المنذر كون في أمركم تعبدون مع الله غيره وأنتم تعلمون انه المنذر بخلق كنوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
 يقولون الله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم يقولون الله قل أفلا تتقون وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها
 (اليهم ربكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده اصمى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا والهم شراب

من جيم وعذاب اليم عما كانوا يكفرون) يخبر تعالى أن اليه مرجع الخلائق يوم القيامة لا يترك منهم أحدا حتى يعيده كما بدأه ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده وهو أهون عليه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط أي بالعدل والجزاء الآتوني والذين كفروا لهم شراب من جيم وعذاب اليم عما كانوا يكفرون أي بسبب كفرهم بعد يوم القيامة بأنواع العقاب من محوم وجيم وظل من محوم هذا فليدوقوه وجيم وغسق وآخر من شكلة أزواج هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون بطرفون بينهم وبين جيم أن (٩٨) هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب

أشهر ومن من تنقص فذلك الغيب ضر والزيادة التي ذكر الله وكل ذلك يعلمه الله وقال سبحانه الغيب خروج الدم والزيادة استساكة ومدة الحمل أكثرها عند قوم سنان وبه قالت عائشة وأبو حنيفة وقيل إن النجاة ولد استين وقيل أكثرها أربع سنين واليه ذهب الشافعي وقيل خمس سنين وبه قال مالك وأقلها سنة أشهر وقد يولد هذه المدة ويعيش (رأى نبي) من الأشياء التي من خلقها الأشياء المذكورة (عنده) سبحانه (يقدر) هو التقدير الذي قدره الله وهو معنى قوله سبحانه أنا كل شيء خلقناه بقدر أي كل الأشياء عند الله سبحانه جارية على قدره الذي قد سبق وفرغ منه لا يخرج عن ذلك شيء وهذا ما ذهب إليه السلف من أن الكبرياء هذه معدية عالم أي يعلم كيفية كل شيء وكيفيته على الوجه المقتضى للمدين ويحصل أن يكون المراد بالعديفة أن الله تعالى خصص كل حادث بوقت معين وبأمة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وأحوالهم وخوافهم وشي من أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة (عالم الغيب وله شهادة) أي عالم كل غائب عن الحس وكل مشهود وحاضر أو كل معدوم وموجود وقال الضعفاء عالم السر والعزلة ولا مانع من حمل الكلام على ما هو أعم من ذلك (الكبير المفعال) أي العظيم الذي كل شيء دونه المتعالي عما يشكركون أو المستعلي على كل شيء قدرته وعظمته وقهره أو المتعالي عن الخلق باستوائه على عرشه ومباينته عن خلقه وهو الأول ثم لما ذكر سبحانه أنه يعلم تلك الغيبات لا يفاد شيئا منها بين أنه عالم بما يسرونه في أنفسهم وما يخفون به أعيانه تعالى وإن ذلك لا يتفاوت عنده فقال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) فهو يعلم ما أسر الإنسان كعلمه بما جهر به من خير أو شر أي سواء ما أسرته الله لئلا يلو أو ما شفه باللسن وسر من أسر وجهه من جهر (ومن هو كتمان الليل) أي مستتر في الظلمة الكائنة في الليل المتواري عن الأعين يقال حتى الشيء إذا خفي أي استتر وتواري (وسار بالنيار) قال الكسائي سرب سرب سربا وسروا إذا ذهب وقال القتيبي أي منصرف في حوائجه بسر عمن قولهم أسرب السرب قال الأنصبي حل سربه أي طريقته والسرب بالكسر النفس يقال هو واسع السرب أي رخي السبال والسرب ففتح يبيت في الأرض لا مننذله وهو الوكر وقال الزجاج معنى الآية الجاهر بظلمة والمضمهر في نفسه والظاهر في الطرقات والمستخفي

ما خلق الله ذلك إلا بالحق فيفسد الآيات لقوم يهملون أن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لا آيات لقوم يتفكرون) يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وتكليم خلقه وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وجعل شعاع القمر نورا هذان وعدان آخر تفاوت بينهما مما لا يشبههما وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقد رآه من منازل قاتل ما يبدو صغيرا ثم يترأى بنوره وجرمه حتى يستنشق ويكبل إداره ثم يشرع في التخص حتى يرجع إلى حلقته الأولى في سام ثم يركن قوله تعالى والقمر قد رآه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في ذلك سبحون وقوله تعالى والشمس والقمر حسيبانا الآية وقوله في هذه الآية الكريمة وقد رآه أي القمر منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وما الشمس تعرف الأيام واسم القمر تعرف السهور والأعوام ما خلق الله ذلك إلا بالحق أي لم يخفه عينا بل حكمه

عاجية في ذلك وحجته بآية كقوله تعالى وما خالصا السما والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا في من النار وقال تعالى ألم أنما خلقناكم عبداً لآلنا لترجعون أنت على الله الملك الحق لا اله الا دورب العرش الكريم وقوله تنسبل الآيات أي تبين الخلق والأدلة لقوم يعلمون وقوله إن في اختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا وإذا ذهب هذا لا يتأخر عنه شيئا كقوله تعالى يغشى الليل النهار بظلمة حجبنا وقال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر الآية وقال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكناً الآية وقوله وما خلقنا في السموات والأرض أي من الآيات الدالة على

عظمته تعالى كما قال وكأين من آية في السموات والارض والآية وقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغيبني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال أفلم يرؤا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وقال ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب أى العتول وقال ههنا لايات لقوم يتقون أى عقاب الله وحفظه وعذابه (ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك ماواههم النار بما كانوا يكسبون) يقول
تعالى مخبرا عن حال الاشقياء الذين كفروا ببقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقاءه (٩٩) شيئا ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنوا
اليها أنفسهم قال الحسن والله

في الظلمات علم الله فيهم جميعا سواء وهذا الصق يعنى الآية كما تشبهه المتباعدة بين المستخفي
والسارب فالمستخفي المستور والسارب البارز الظاهر والنعم ما قال بعضهم
يامن ترى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأنيل
وترى عذرو قينا طها في نحرها * والمخ في ذاك العظام النحل
اغتر راجد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الأول

وقيل مستخفرا كب رأسه في المعاصي وساربا ظاهرا بالنهار بالمعاصي وعن ابن عباس
قال هو صاحب ربيعة مستخف بالليل وإذا خرج بالنهار رأى الناس انه يرى من الانم (له)
الضمير راجع الى من في قوله من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف أى لكل من
هؤلاء (معتبات) هى المتأويات التى يخلف كل واحد منها صاحبه ويكون بدلائله
وهم الحفظة من الملائكة تعقب في قول عامة المفسرين قال الزجاج المعتبات ملائكة
يأتى بعضهم يعقب بعض قبلهم خمسة بالليل وخمسة بالنهار وفي الخطيب انهم عشرون
انكل انسان عشرة بالليل وعشرة بالنهار وهو الذى في شرح الجوهرة وانما قال معتبات
مع كون الملائكة ذكورا لأن الجماعة من الملائكة يقال لها معتبة ثم جمع معتبة على
معتبات ذكر معناه الضم كقيل أبنات سعد وربات بكر وقيل أنشأ أكثر ذلك منهم
فحو نسبة وعلامة قال الجوهري والعقب العود بعد الدخ قال الله تعالى ولى مدبر أوله
يعقب وقرئ معاقب جمع يعقب وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة
العصر الحديث بطوله أخرجه الشيخان وقال ابن عباس هذه الملائكة التى صلى الله عليه وآله
وسلم خاصة قلت العموم أولى ويدخل فيه سبب النزول ودخول أولها (س بين يديه ومن
خلفه) أى من بين يديه من له لمعتبات والمراد أن الحفظة من الملائكة يتعاقبون من
جميع جوانبه وقيل المراد بالمعتبات الأعمال ويعنى من بين يديه ومن خلفه ما تقدم به وما
تأخر (يحفظونه من) أجل (أمر الله) وقيل يحفظونه من بأس الله إذا أذن بالاستهال
له والاستهانة حتى يتوب وقيل يحفظونه عليه حسنات وسيئات وقيل من شر
طوارق الليل والنهار قال الشافى في هذا قولان أحدهما أنه على التقديم والتأخير أى له
معتبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه والثانى ان كون الحفظة يحفظونه

بكون لهم نوراً يشون به وقال ابن جرير فى الآية يئمل له عمله فى صورة حسنة ويرج طيبة إذا قام من فبره يعارض صاحبه ويشره
بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عبد الله فيجعل له نوراً من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله تعالى يمد لهم ربهم بإيمانهم
والكافر يئمل له عمله فى صورة سيئة ويرج متنة فيلزم صاحبه ويلاذه حتى يقدفه فى النار وروى نحوه عن قتادة مرسل الله أعلم وقوله
دعواهم فيها سبحانه اللهم ونحيتهم فيها سلام وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أى هذا أصل أهل الجنة قال ابن جرير أخبرنا
قوله دعواهم فيها سبحانه اللهم وذلك لدعواهم فيها سبحانه اللهم قال إذا ربه الطير دعوا الله فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم

فردون عليه فذلك قوله وتحييتهم فيه اسلام قال فاذا اكلوا اجدوا الله ربهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال مقاتل بن حيان اذا اراد اهل الجنة ان يدعوا اجدهم بالطعام قال اجدهم سبحانه اللهم قال فيقوم على احدثهم عشرة آلاف خادم مع كل خادم خمسة من ذهب فمطعمهم ليس في الاخرى قل فيما كل منهن كلين وقال زيان النوري اذا اراد احدثهم ان يدعوا بشئ قال سبحانه اللهم وهذه الاية فيها شبهة من قوله وتحييتهم يوم يقوم الساعة لا يبعثون فيها لغوا ولا تأثيما الا قليلا من سلاما وقوله سلام قول من رب رحيم وقوله والملائكة (١٠٠) يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم الاية وقوله واخر دعواهم ان الحمد

لله رب العالمين هذا فيه دلالة على انه تعالى هو الخمود لهذا المعبود على طول المدا والهدا اجد الله عند الله خالصة واستمراره في ابتداء كتابه وعند الله استدا تم به حيث يقول تعالى الحمد لله الذي اقرن الى عبده الخطاب الى غير الله من الاحوال التي يطول بسطها والاهل الخمود في الاولى والاخرة في الحياة الدنيا وفي الاخرة في جميع الاحوال ولهذا ابا في الحديث ان اهل الجنة يلهون التسبيح والتمجيد كما يلهون النفس والمسا يكون ذلك كذلك لما يرون من تزيينهم الله عليهم فتكبر وتعالى وترداه فليس لها الشاكلة او امثلة الا هو ولا رب سواه (ولو جعل الله للناس الشر استنجابا لهم بالخير لقتلوا جميعا لئلا يلهوهم فلو ان الذين لا يرجون لقاءنا في طمعناهم بدمهمون) بغير تعالى عن الله واطنه بعبادته لا يستحيب لهم اذا دعوا على انفسهم او اموالهم او اولادهم في حال شعورهم وغفهم والله يعلمهم عدم القصد بالشر الى اعادة ذلك فلهذا لا يستحيب لهم والاحالة هذه

هو مما امر الله به قال الزجاج المعنى حفظهم الياء من امر الله أي مما أمرهم به لا أنهم يقدرون ان يدعوا أمر الله قال ابن الانباري وفي هذا قول آخر وهو ان من عني الباء أي يحفظونه بأمر الله واعانة واستظهاره بالسفاسي وقيل ان من بمعنى عز أي يحفظونه عن أمر الله بمعنى من عند الله لا من عند انفسهم كقوله أطعمهم من جوع أي عن جوع وقيل يحفظونه عن ملائكة العذاب وقيل يحفظونه من الجن والانس فهي على بابها والخيار ان جبر ان المعقبات الموابك والحراس والجلال وزينة أيدي الامراء في حول السلطان على معنى ان ذلك لا يدفع عنه القضاء وقال ابن عباس ذلك الحفظ من أمر الله بأمر الله وان الله لا ينفذ قدره ملائكة ولا من خدم الخلق ان يحفظوا أحدا من أمر الله ومما افاد الله عليه الامراء وادبه وعن قتادة مثله وعنه أيضا قال ولي السلطان يكون عليه الحراس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه يقول يحفظونه من أمرى فاني اذا أردت بشوم سواء لا مرد له وقال أيضا الملوك يفتنون الحرس يحفظونهم من أمامهم وعن خلفهم وعن خلفهم يحفظونهم من الخلف ألم اسمع ان الله يقول اذا اراد الله بشوم سواء فلا مرد له أي اذا ارادوا ثم تقف الحرس عنه شيئا وعن عكرمة قال هؤلاء الامراء وعن ابن عباس قال هم الملائكة تعقب بالليل نكتب على ابن آدم ويحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلعا عنه وعن علي قال ليس من عبدا الا ومعه ملائكة يحفظونه من ان يقع عليه انط أو يتردى في بئر أو يأكله سبع أو يغرق أو يحرق فاذا جاء قدر الله حراجه وبين القدر وقد ورد في ذكر الحفظة الموكبين بالانسان حديث كثيرة مذكورة في كتب الحديث (ان الله لا يعير ما يقوم) من العمة والعافية (حتى يعيروا ما لا يعيرهم) من طاعة الله والاحالة الجارية بالاحالة السببية والمعنى انه لا يسلب قوما نعمة انهم اعلمهم حتى يعيروا الذي بالانفسهم من الخير والادعائ الصالحة أو يعيروا القدرة التي فطرهم الله عليها وقيل وليس المراد انه لا يتزل بأحد من عباده عقوبة حتى يستدمل له ذنب بل قد قيل المناسيب بتوب الغير كما في الحديث انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سائل فقال اللهم فليتنا الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبيث (واذا اراد الله يقوم سو) أي هذا ثلوه ذابا (فلا مرد) أي فلا راد (له) وقيل المعنى اذا اراد يقوم سواء أعنى قلوبهم حتى يختاروا ما فيه البلاء (وما لهم من دونه من وال) إلى

لقد اورد حجة كما يستحيب لهم ارادوا انفسهم اولادهم واولادهم بالخير والبركة والحب ولهذا قال امرهم ولو جعل الله للناس الشر استنجابا لهم بالخير لقتلوا جميعا لئلا يلهوهم فلو ان الذين لا يرجون لقاءنا في طمعناهم بدمهمون) بغير تعالى عن الله واطنه بعبادته لا يستحيب لهم اذا دعوا على انفسهم او اموالهم او اولادهم في حال شعورهم وغفهم والله يعلمهم عدم القصد بالشر الى اعادة ذلك فلهذا لا يستحيب لهم والاحالة هذه

أبو داود من حديث حاتم بن اسمعيل به قال البرار وتفرده عبادة بن الوليد بن عباد بن الصامت الانصاري لم يشاركه أحد فيه وهذا
 كقول تعالى ويدع الانسان بالشرد عام بالخير الآية وقال بجاهد في نفسه رعدة الآية ولولا يجل الله للناس الشر استعجالهم
 بالخير الآية وهو قول الانسان لولده أو ماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنة فلو يعمل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب
 لهم في الخير لا يهلكهم (واذا مس الانسان الضر دعانا جنبه أو قاعدا أو قائما قلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره
 منه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن الانسان (١٠١) وشكره وقله كقول الله واذا مسه الضر فدعاه

عمر بن أي كثير وهما في معنى واحد وذلك لانه اذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها وأكثرت الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها ورفعها عنه في كل اضطجاعه وقعوده وقيامه وفي جميع أحواله فإذا فرج الله شدته وكشف كربته أعرض ونأى بعبده وذهب كأنه ما كان به من ذلك شيء مرة كأن لم يدعنا الى ضره منه ثم ذم تعالى من عبده صفة وطير بقية فقال كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فأما من رزقه الله الهداية والهدى والوفيق والرشاد فإنه مستثنى من ذلك كقوله تعالى الا الذين صبروا واولوا الصالحات وكسول رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لا امر المؤمنين لا يقتضي الله قضاء الا ان خير الله ان أصابته ضراء فصره كان خيرا له وان أصابته سرافقت كرك كان خيرا له وليس ذلك لاحد الا لله مؤمنين وانما أهلكت النرون من قبلكم لما طغوا وجاهتهم رسلهم بالبينات وما كانوا يؤمنوا كذلك تجزي اليوم النرون من ثم جعلناكم

أمرهم وياتحبون اليه في دفع عنهم ما ينزل بهم من الله سبحانه من العتوبات أو من ناصر ينصرهم. وينفعهم من عذاب الله والمعنى انه لا راد لعذاب الله ولا رقص لحكمه ولما خوف سبحانه عباده بانزل ما لم ير ذلك أتبعه بما ورثه من بعض الوجوه وتخاف من بعضهم اوهى البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر في أول البقرة تفسير هذه الالفاظ وأسبابها فقال (هو الذي يركم البرق) هو لما يظهر من خلال السحاب وعن علي ابن أبي طالب قال البرق مختار برق من نار بايدي ملائكة السحاب يزجرون به السحاب وروى عن جماعة من السلف ما يوافق هذا ويخالفه (خوفوا طمعا) أي تخافوا خوفا واطمعه واطمعه وقيل النصب على العلة بتقدير ارادة الخوف والطمع أو على الحالية من البرق ومن الخطابين بتقدير ذوى خوف وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه قيل والمراد بالخوف هو الخاضل من الدواعي وبالطمع هو الخاضل بالضرر وقال الزجاج الخوف للمساقر لما يتأذى به من المطر والطمع لما يضره لانه اذا رأى البرق طمعه في المطر الذي هو سبب الخصب قال قتادة خوفه ما فر يخاف أذاه ومشتته وطمعه ما يطمع في رزق الله ويرجو بركة المطر ومنفعته وعن الحسن خوفه لا يهل الجرو وطمعه لا يهل البر وعن الضعفاء قال الخوف ما يخاف من الدواعي والطمع الغيث (وبشيء السحاب النقال) التعريف للجنس والواحدة كحابة والنقال جمع قنبلة والسحاب الغيم المسحب في الهواء والمراد ان الله سبحانه يجعل السحاب التي يشتملها لا يبعثها فيهم من الماء (وبسبح الرعد) نفسه متلبسا (بجمعه) وليس هذا مستبعدا ولا مانع من ان يسميه الله بذلك وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وإنما على تفسير الرعد بملك من الملائكة فلا استبعاد لذلك ويكون ذكره على الانفراد مع ذكر الملائكة بعد المزمع خصوصية له وعناية به والمسموع عظمته هو نفس صوته اذا سجد التسبيح المذكور وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب أي الصوت الذي يتولده عند الضرب وقيل المراد وبسبح سامع الرعد أي يتولون سبحانه الله وحمده واذول أولى أخرج أحمد عن شيخ من بني غفار قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يمشي السحاب فيسطق أحسن النطق ويحدث أحسن الحديث وقيل والمراد بطنها الرعد وبه كها البرق وقد ثبت عند أحمد والترمذي

خلافة في الارض من بعدهم لم يتركهم نعمه (يؤمنون) أخبر تعالى عما أحل بالنرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والنجى الواضحات ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم وأرسل اليهم رسولا لا ينظرون لهم له واتباعهم رسوله وفي صحيح مسلم من حديث أبي نصره عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ياحلوا خضره وان الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تفعلون فافقوا الدنيا وانفوا النساء فان أول قمتة في اسرائيل كانت من النساء وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة بهذا أنبا ناجدا عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ان عوف بن مالك قال لابي بكر رأيت فيما يرى

الثامن كائن شيادلى من السماء فانتظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعيد فانتظروا أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل
 عمر بثلاث أذرع حول المنبر فقال عمر دعنا من رؤياك لأرب لتأفيم فلما استخلف عمر قال يا عوف رؤياك قال وهل لك في رؤياي
 من حاجة ولم تشر في قال ويحك اني كرهت ان تبغى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فتص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع
 الناس الى المنبر بهذه الثلاث الأذرع قال أما احسد اهن فانه كان خليفة وأما الثانية فانه لا يخاف في الله لومة لائم وأما الثالثة فانه
 شهيد قال فقال رسول الله تعالى ثم جعلناكم (١٠٢) خلأف في الأرض من بعدهم لتنظروا كيف نعملون فقد استخلفت يا ابن

أم عمر فانظر كيف تعمل وما قوله
 فاني لا أخاف في الله لومة لائم فيها
 شاء الله وأما قوله شهيد فاني نعم
 الشهادة والمسلمون سيديون
 به (واذا تنلى عليهم هم آياتنا بينات
 قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت
 بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون
 لي ان أبدله من تلقاء نفسي ان
 اتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان
 عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل
 لو شاء الله ما تلوه عليكم ولا ادراكم
 به فتدبرون فيكم عرأ من قبله أفلا
 تعقلون) يعبر تعالى عن تعنت
 الكفار من مشركي قريش
 الجاحدين للمعروفين عمنهم
 اذا قرأ عليهم الرسول صلى الله
 عليه وسلم كتاب الله وحججه الواضحة
 قالوا انت بشر ان غير هذا أي رد
 هذا وجها به فبر من هذا آخر
 الى وضع آخر قال الله تعالى لبيبه
 صلى الله عليه وسلم قل ما يكون لي
 ان أبدله من تلقاء نفسي أي ليس
 هذا الى انما أعمد ما مورور رسول
 مبلغ عن الله ان اتبع الامايوحى
 الى اني أخاف ان عصيت ربي عذاب
 يوم عظيم ثم قال شجاعة عليهم

والله اني في اليوم والليلة واذا اقم في مستدرلكم من حديث ابن عمر قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمع الرعد وانصواعي قول اللهم لا تقبلنا به نصيبك ولا تهلكنا
 بعد ايانك وعافنا قبل ذلك وأخرج العقبلي وضعه ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينشئ الله السحاب ثم ينزل فيه الماء فلا شيء أحسن
 من نوره ولا شيء أحسن من اطقه ومطقه الرعد ونوره البرق وأخرج ابن مردويه
 عن جابر بن عبد الله ان خزيمة بن ثابت وابس بالانصارى سأل رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم عن من السحاب فقال ان ملكا موكلا بكم كلابم القاصية ويعلم الدانية يده مخراق فاذا
 رفع رقت واذار جر رعدت واذ انرب صرعت وعن ابن عباس قال أقبلت يهودا الى
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا اخبرنا ما عذ الرعد قال ملك من ملائكة الله
 سبحانه موكل بالسحاب يده مخراق من نار يجر به السحاب ويده حيث أمر الله قالوا
 فما هذا الصوت الذي يسمع قول صوته قالوا صدقت أخرجه الترمذي وغيره وأخرج
 البخاري في الادب المفرد وابن أبي الدنيا في المفرد وابن جرير عن ابن عباس انه كان اذا سمع
 صوت الرعد يقول سبحان الذي سبحانه له وقال ابن الرعد من يعق الغيث كما يعق الراعي
 بعفه وفردوى غوره من خوفه من برق وعن أبي هريرة ان الرعد صوت الملك وعن ابن عمر
 نحوه وعن ابن عباس قال الرعد ملك اسمه الرعد وصوته هذا فيجبه فاذا استدرج
 السحاب والسحاب من خوفه ففخرج انصواعي من بينه وعن أبي عمران الجوني
 قال ان جعور من نار دون العرش تكون منها انصواعي وعن السدي قول انصواعي نار
 (و) (الملائكة من جبهته) سبحانه أي هيبته وجلاله وقيل من جبهة الرعد وقد
 ذكر جماعة من المفسرين ان هؤلاء الملائكة هم أعوان الرعد وان الله سبحانه جعل له
 أعوانا ويرسل انصواعي فيصيب بها من يشاء من خلقه فيهلكه وسباق هذه
 الامور هي الغرض الذي سبقت له الآيات التي قبلها وهو الدلالة على كمال قدرته
 وانصواعي جمع صاعقة وهي العذاب الذي يزل من البرق وقيل هي الصوت الشديد النازل
 من اخوة ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي في ذاتها شيء واحد وهذه الاشياء تنشا
 منها قول الكرخي وأمر الصاعقة عجيب جدا لانها تارتد في السحاب واذ ارتدت من
 السحاب فربما عاصت في الجرد وحرفت الخيطان قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب

في جهة ما به فترت الله ما تلوه عليكم ولا ادراكم به أي هذا انما جئتكم به عن اذن الله في ذلك ومن يشتهه المسلم
 وارادته والله ابل على اني لست آتية من عندى ولا اقربيه انكم عاخذون عن معارضته وانكم تعلمون صدقي وأما اني منذ نشأت
 يثبتم الى حين به اني الله عز وجل لا تشقون على تشايع صوتي به ولهذا قال فتدبرون فيكم عرأ من قبله أفلا تعقلون أي أفليس
 لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم ابا سفيان عن من صفته النبي صلى الله عليه
 وسلم قال هرقل لا يوسفيان هل كنتم تهتمون بالكذب قبل ان يقول ما قال قال أبو سفيان فقلت لا وكان أبو سفيان انذاك الرأس

الكفرة وزعيم المنكرين ومع هذا اعترف بالحق والفضل ما شهدت به الاعداء فقال له هرقل فقد اعرف انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وقال جعفر بن ابي طالب للجاني ملك الحبشة بعث الله فينا رسولا نعرف صدقه ونسبه واماته وقد كانت مدته مقامه عليه السلام بين اظهرنا قبل النبوة اربعين سنة وعن سعيد بن المسيب ثلاثا واربعين سنة والصحيح المشهور الاول (فن اظلم من افترى على الله كذبا وكذب باياته انه لا يقبل النجرون) يقول تعالى لا أحد اظلم ولا أعتى ولا أشد اجراما ممن افترى على الله كذبا ونقول على الله وزعم ان الله أرسله ولم يكن (١٠٣) كذلك فليس أحدا كبر جرما ولا أعظم ظلما من هذا

ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء فكيف يشبه حال هذا بالانبياء فان من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس فان الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين من سببه الكذاب لمن شاهدوها أظهر من الفرق بين وقت النجى وبين نصف الليل في شمس الظلمة فمن شيم كل منهم ما وافق ماله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكذب من سببه الكذاب وجحاح والاسود العنسى قال عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتخذ من الناس فيمن اتخذ منه فلما رأته عرفت ان وجهه ليس بوجه رجل كذاب قال فكان أول ما سمعته يقول يا أيها الناس افسحوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأركان وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ولما قدم وفد سام ابن عليه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه بن سعيد بن بكر

المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذم (وهم) أي الكذابر المخاطبون في قوله وهو الذي يريكم النور (بجادلون في شأن الله) فينكرون البعث تارة ويستعملون بالعذاب اخرى ويكذبون الرسل ويعصون الله وقيل التمهيد راجع الى من واعاد عليهم التمهيد جعلا باعتبار معانيها ثم انجدالة المناقضة على سبيل الممازعة والمغالبة وأصله من جدات الحبيل اذا أحكمت قتله واجلته مستأنفة (وعوشيد الخجل) أي المماحلة والمكيدة لا عدائه من محل بئلان اذا كاده وعرضه لهلاك وسنه فعل اذا تكلف استعمل الخيلة ولعل أصله الخجل بمعنى التمعق والخيلة تحلية من الخيلة الكريمة ويضعف استنفهها قال ابن الاعرابي الخجل المكر والمكر من الله التدبير بالحق وقول الخناس المكر من الله افعال المكروه الى من يستحقه من حيث لا يشعروا قال أبو زعري الخجل فعال من الخجل بمعنى القوة والشدة والميم أصلية وما حلت فلانا محالا أينا أشد وقال أبو سعيد الخجل العترة والمكروه قال الزجاج يقال ما حلقه محالا اذا قاومته حتى يبين أيكم أشد والخجل في اللغة الشدة قال ابن قتيبة أي شديد الكيد وأصله من فعل من الخول أو الخيلة جعل الميم كميم المكان وأصله من الكون ثم يقال تمكنت فاعل على غير قياس وبمعناه انه قرى بشيخ الميم على انه مفعول من حال يعول اذا احتل قال الأزهري غلب ابن قتيبة ان الميم فيه زائدة بل هي أصلية واذا رأيت الحرف على مثال فعال أو له ميم مكسورة فهي أصلية من مثل مهادر ملاك ومهراس وغير ذلك من الحروف وفي القاموس الخجل ككتاب الكيد وروم الامر بالخيل والتدبير والقدرة والجذل والعذاب والعقاب والعداوة والمعادلة كالمماحلة والقوة والشدة والهلاك والاهلاك ومحل به مثل الخاء محلا ومثالا كاد به عاية الى السلطان ومما حله ومما لا قاوم حتى يبين أيكم ما أشد انهم في وجهه عاية والتابعين في تفسير الخجل عن أقوال ثمانية الاول العداوة الثاني الخول الثالث الأخذ به قال ابن عباس الرابع الخطف الخامس القوة السادس الغضب السابع الهلاك الثامن الخيلة (له دعوة الحق) الاضافة للملابسة أي الدعوة للملابسة تعق اخذته به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه كما يقال كلمة الحق والمعنى انها دعوة محبابة واقعة في موقعها لا كدعوة من دونه وقيل الحق هو الله سبحانه والمعنى ان الله سبحانه دعوة المدعو الحق وهو الذي يسمع فيجيب وقيل المراد بدعوة الحق ههنا كلمة التوحيد والاحلاس والمعنى الله من خلقه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع هذه السماء قال الله قال ومن نصب هذه الجبال قال الله قال ومن سطع هذه الارض قال الله قال فبالذي رفع هذه السماء ونصب هذه الجبال وسطع هذه الارض أرسلت الى الناس كافة قال اللهم نعم ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام ويحلف عند كل واحدة هذه الأيمان ويحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صدقت والذي بعثني بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص فاكتفى هذا الرجل بعمره هذا وقد أيقن بصدق صلوات الله وسلامه عليه بما رأى وشاهد من الدلائل الدالة عليه وقال حسان بن ثابت لو لم تكن فيه آيات مينة كانت يد يدته ثابت بالخبر وأما مسيلة فن شاهد من ذوي

البصائر علم أمره لا محالة بأقواله الركيكة التي آتت بصحيفة وافعاله غير الحسنة بل القبيحة وقرأته الذي يخلد به في النار يوم
الحسرة والفضيحة وكم من فرق بين قوله تعالى لا اله الا هو الحق القبول لا تأخذ سنة ولا نوم الى آخرها وبين قول مسيلة فجهه الله
واعنه باضمدع بنت ضمدعين اني كم تنقن لالما تكدرين ولا الشارب تمهين وقوله فجهه الله لقد أنعم الله على الحسلي
اذ أخرج منها سمعة نسي من بين صفاق وحشي وقوله حمده الله في نار جهنم وقوله الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل
وقوله أبعد الله عن رحمة والماجنات بخدا (١٠٤) والخايزات خيرا واللاققات انما اهالة وسمنا ان قريشا قوم يعتدون الى

غير ذلك من الخرافات والهذيان
التي يأتها الصبيان ثم يتألفوا
بها الاعلى وجهه الضخمة
والاستمراء والهاذا أرغم الله أنه
وشرب يوم الحديقة حنقه
ومزق ثملته ولعنه فجهه وأمله
وقدموا على الصديق ثمين وجاؤا
في دين الله راغبين فسالهم
الصديق خليفة الرسول صلوات
الله وسلامه عليه ورضي عنه ان
يقروا عليه شيئا من قرآن مسيلة
أعنه الله فسالوا ان يعفيهم من ذلك
فأبى عليهم الا ان يقرؤا شيئا منه
ليسمعهم من لم يسمعهم من الناس
فيعرفوا فضل ما هم عليه من الهدى
والعلم فقرأوا عليه من هذا الذي
ذكرناه وأشياعه فلما قرؤوا قال
اهم الصديق رضي الله عنه وبحكمكم
أين تان يذهب به قولكم والله ان
هذا لم يخرج من ال وذاكرنا عمرو
ابن العاص وقد على مسيلة وكان
صديقه الى الجاهلية وكان عمرو لم
يعرفه فقال له مسيلة ويحك يا عمرو
ماذا أنزل على صاحبكم يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه
المدة فقال لقد سمعت أصحابه يقرؤن
سورة علقمة فصيرة فقال وما هي

ان يحدو ويحاصو له وقيل معنى كونه الله تعالى انه شرعها وأمرهم او جعلها افتتاح
الاسلام بحيث لا يقبل يدونها وقبل دعوة الحق دعاؤا وسجانه عند الخوف فانه لا يدعى فيه
سواء كما قال تعالى ضل من تدعون الا اله وقيل الدعوة العبادة فان عبادة الله هي الحق
والصدق (و) الآلهة (الذين يدعون) بالباطلة وارة وبالتامشاة لاس السبعة
ولامن العشرة وعليها فقرأ بكاسط بالتونين ويكون في قوله الاتي لا يستحيون التفات
(من ونة) أي غير الله عز وجل وهم الاصنام (لا يستحيون) أي لا ينجبون (لهم بشي)
عما يظنون منهم كأنما كان (الا بكاسط كفيه الى الماء) أي استجابة كاستجابة الماء
لمن يسط كفيه اليه من بعيد فانه لا يجيبه لان جارا لا يشعر بحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب
دعاه ولا يدري انه طاب منه (اليلغ فاه) بارتفاعه من البئر اليه ولهذا قال (وما هو)
أي الماء (بيلغهم) أي يبالغ فيه وقيل وما التغم يبالغ الماء اذ كل واحد منهم ما لا يبلغ
الاخر الى هذه الحال وقيل وما يبالغ بكفيه الى الماء يبالغ الماء ذكره السبعين والاول أولى
أعلم الله سبحانه ان دعاءهم الاصنام كدعاء العطشان الى الماء يدعوا الى بلوغه وما الماء
بالعلم وقيل انه بكاسط كفيه الى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شيء منه وقد ضربت
العرب لمن سعى فيما لا يدركه من الباطل قبض على الماء وقال الفراء ان المراد بالما هنا ماء البئر
لانهم مددوا فانه شبهه بمن يتدبى الى البئر فيسحب الماء من البئر فيسحب الماء من البئر
يدعو غيره من الاصنام عن علي قال تان الرجل العطشان يدبى الى البئر ليرفع الماء
اليه وما هو يبالغه وعن ابن عباس قال هذا مثل المنزلة الذي عبد مع الله غيره فقله كمثل
الرجل العطشان الذي ينظر الى خياله في الماء من بعيد وهو يريد ان يتناوله ولا يقدر عليه
(وما دعاه الكافرين) أي عبادتهم هم الاصنام وحقيقة الدعاء والاول هو الظاهر والثاني
قول ابن عباس (الاقضلال) أي يضل عنهم ذلك الدعاء اذا احتاجوا اليه لان
اصواتهم محبوبة عن الله تعالى فلا يجدون منه شيئا ولا يسمعهم بوجه من الوجوه بل هو
ضائع ذاهب (وتمه بجد من في السموات والارض) ان كان المراد بالسجود معناه
الحقيق وهو وضع الجبهة على الارض للتعظيم مع الخضوع والتذلل فذلك ظاهر في
المؤمنين والملائكة ومسلمي الجن واما الكفار فلا يصح تأويل السجود بهم ذاق حقهم
فلا بد ان يعمل السجود المذكور في الآية على معنى حق الله السجود ووجب حتى يتناول

فقال والعصر ان الانسان اني خسرت الى آخر السورة فصار مسيلة ساعة ثم قال وأنا قد أنزل على منله فقال وما هو فقال السجود
يا ويراد بالانسان الذي خسرت الى آخر السورة فصار مسيلة ساعة ثم قال وأنا قد أنزل على منله فقال وما هو فقال السجود
هذا من مشرك في حال شركه لم يشقه عليه حال عودته الى الله عليه وسلم وصدقه وحال مسيلة لعنه الله وكيفية كيف بأولى البصائر
والهمى والهاب العقول الساجدة المستقيمة والحق ولهذا قال الله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه
شي ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله وقال في هذه الآية الكريمة فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الجرمون

وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل وقامت عليه الحجج لأحد أظلم منه كما جاء في الحديث أعنى الناس على الله رجل قتل نبيا أو قتله نبي (ويعبدون من دون الله مالا يبصرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلطوا ولولا كلمة سبقت من ربك لغضى بينهم فيافيهم يختلفون) ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتهم عند الله فأكبر تعالى أنهم لا تنفع ولا تضر ولا تغلظ شيئا ولا يقع شيء مما يزعمون فيها (١٠٥) ولا يكون هذا أبدا وهذا قاله قتل أننبئون

الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض وقال ابن جرير معناه أتنبئون الله بما لا يكون في السموات ولا في الأرض ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حدث في الناس كاش بعد أن لم يكن وأنهم كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدت الأصنام والانداد والاونان فبعث الله الرسل بآياته وببيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ليخلص من هلك عن يمينه ويحيي من حى عن يمينه وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك الآية أى لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لغضى بينهم فيما اختلفوا فيه فامنع المؤمنين وأعنت الكافرين (ويشركون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما لعيب الله فاتقوا الله يا أيها الذين آمنوا) من

السجود بالفعل وغيره أو ينسب السجود بالانقياد لأن الكفار وإن لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره وحكمه فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى وجائعين تغلبا لآله قلاء على غيرهم ويكون سجود غيرهم تبعا لسجودهم ومما يؤيد حمل السجود على الانقياد ما بيده تقديمه على الفعل من الاختصاص فإن سجود الكفار لا صناء بهم معلوم ولا ينقادون لهم كما يتبادرهم الله في الأمور التي يقرون على أنفسهم بأنهم آمن بالله كالخلق والحياة والموت وغير ذلك وبضايده على إرادة هذا المعنى قوله (طوعا وكرها) فإن الكفار ينقادون كرها كما ينقاد المؤمنون طوعا وهما متساويان على المصدرية أى انقياد طوعا وانقياد كرها وعلى الحال أى طائعين وراضين وكارهين غير راضين وقال الفراء الآية خاصة بالمؤمنين فإنهم يسجدون طوعا وبعض الكفار يسجدون أكرها باليأس وخوفا كلنا فاقبل الآية محمولة على هؤلاء وقيل الآية في المؤمنين فمنهم من يسجد طوعا ولا ينقل عليه السجود ومنهم من ينقل عليه لأن التزام التكليف مشقة ولكنهم يتحملون المشقة إيمانا بالله وإخلاصا له أو المراد بالسجود هو الاعتراف بالعلامة والعبودية وكل من فيها من ملك وأنس وجن فإنهم يقرون له بالعبودية والتعظيم وبذلك عليه قوله تعالى وإني سألتهم من خلق السموات والأرض ليعتقوا أن الله الأول أوى (وطلاهم) جمع ظل والمراد به من له ظل منهم كالأناس لا الجن ولا الملائكة إذ لا ظل لهم ما والمعنى سجود حقيقة تبعا لصاحبه حيث صار لازما لا ينفعك عنه قال الزجاج جاء في التنزيل أن الكافر يسجد لغير الله فقل يسجد لله وقال ابن الأنباري ولا يعبدان بخلق الله تعالى للظلال عقولا وأفهاما تسجد بهم الله سبحانه كما جعل للحيال أفهاما حتى اشتغلت بتبصيره فظل المؤمن يسجد لله طوعا وظل الكافر يسجد لله كرها وقيل المراد بالسجود ميلان الظلال من جانب إلى جانب آخر وطولها تارة وقصرها أخرى بسبب ارتفاع الشمس ونزولها والاول أوى (بأنفسه والواصل) أى البكر والعشائير وخصهما بالذكر لانه يزداد ظهور الظلال فيهما وهما أطرف للسجود المقدر أى ويسجد ظلهم في هذين الوقتين وقيل لأنهم حاطرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهم والعدو بالضم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والعدو بالفتح أول النهار وقيل إلى نصف النهار والواصل جمع أصل وهو الشية والواصل العشائير جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس وقد تقدم تفسير العدو والواصل في

(١٤ فتح البيان خامس) المنتظرين أى ويقول هؤلاء الكفرة المكذبون المعاندون لولا أنزل على محمد آية من ربه يعنون كما أعطى الله نوحا الناقة وأن يحول لهم الصناديق أو يريهم جبار مكة ويجهل مكانها بساتين وأنهم أراؤنحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله كما قال تعالى تبارك الذي أنشأهم من ذلك جئات تجري من تحتها الأنهار ويجهل للشخص وابل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا وكقوله وما من أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الآية يقول تعالى إن متى في خلقى أى إذا آتاهم ما سألوا فإن آمنوا بالحق فلهذا ما أخبر رسول الله صلى الله

عليه وسلم بين اعطائهم ما سألوا فان آمنوا والاعذبوا وبين انظارهم اختيار انظارهم كما لم عنهم غير مرة صلى الله عليه وسلم
ولهذا قال تعالى ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم الى الجواب عما سألوا فقل انما الغيب لله أي الامر كله لله وهو يعلم العواقب
في الامور فانتظروا الى معكم من المنتظرين أي ان كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتهم فانتظروا احكم الله في وفيكم هذا
مع انهم قد شاهدوا من آياته صلى الله عليه وسلم اعظم مما الواحش أشار بحضرتهم الى القمر ليلة ابدارهم فانتظروا انتظروا فرقة من
وراء الجبل وفرقة من دونه وهذا اعظم من سائر (١٠٦) الآيات الارضية مما سألوا ولم يسألوا ولو علم الله منهم انهم سألوا ذلك

استرشادا وتنبها لا يابهم ولكن علم انهم انما يسألون عنادا وتعتنا فتركهم في مدارجهم وعلم انهم لا يؤمن منهم أحد كقوله تعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية الاية وقوله تعالى ولواترنا اليهم الملائكة وكلهم الموقر وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا اليؤمنوا الا ان يشاء الله الاية ولما فهم من المكابرة كقوله تعالى ولو فرضنا عليهم بآيات السماء الاية وقوله تعالى وان يروا كسفا من السماء سافطا الاية وقال تعالى ولولنا ذلك عليك كتابا في قرطاس فلم يهدوا بأيديهم فقال الذين كفروا ان هذا الاصح من بين قنصل هؤلاء قل من ان يجابوا الى ما سألوا الا لافا فاذة في جوابهم لانه دائر على تعنتهم وناداهم لكثرة غيورهم وفاداهم ولهذا قال فانتظروا الى معكم من المنتظرين (واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراءهم انهم اذا هم مكروا آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتسبون ما تكفرون هو الذي يبركم في البر والبحر حتى اذا

الاعراف ابصارا في معنى هذه الآية قوله سبحانه ولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفقا طلاله عن اليمين والشمائل سبحانه وهم داخرون قيل وهذه السجدة من عزائم حدود التلاوة فيسن للقارئ ولم يقع ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة (قل من رب السموات والارض) أي خالقهم وامتنوا في امورهم ما أمر الله سبحانه رسوله ان يسأل الكفار من ربه ما سأل فتريرهم لنا كانوا يقرون بذلك ويعترفون به كما حكا الله سبحانه في قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خنهن العزيز العليم وقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أمر رسوله صلى الله عليه وآله ولم ان يجيب فقال (قل الله) فكانه حكي جوابهم وما يعتقدونه لانهم ربما (١) تعلموا في الجواب حذرا مما يلزمهم ثم أمرهم بان يلزمهم الحق ويكتمهم فقال (قل انما تحذرون) الاستفهام للانكار أي اذا كان رب السموات والارض هو الله كما تشرون بذلك وتعرفون به كما حكا سبحانه عنكم بقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم يقولون الله فباللهم اتعذرت لانفسكم بعد اقراركم هذا (من دونه ولياء) عاجزين (لا يملكون) لانهم انما ولاوا لغيره بضروبه غيبرهم او يدفعونه عن الله هم فكيف ترجون منهم النفع والضرر وهم لا يملكون ما لانفسهم ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلا ومرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقولوا لهم فقال (قل هل يستوي الاعمي) في دينه وهو الكافر (والبصير) فيه وهو المؤمن الاول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه والثاني عالم بذلك قال ابن عباس يعني المؤمن والكافر (أم هل) أم هذه هي المنقطعة فتقدير بل والهمزة عند الجمهور وبل حدها عند بعضهم وقد يتقوى بهذه الآية من يرى تقديرها بل فقط بوقوع هل بعدها وأجيب بان هل هنا بمعنى قد واليه مذهب جماعة وقيل استفهامية للتقريب والتوبيخ وهو الظاهر (تستوي) فرى بالتاء والياء والوجهان واستعان (الطلحات) أي النكسر (والنور) أي الايمان أي كيف يكونان مستويين وبينهما من التفاوت ما بين الاعمي والبصير وما بين التلمات والنور ووجه التلمات لان طريق الحق واحدة لا تختلف وطرائق الباطل كثيرة غير متحصرة (أم) هي المنقطعة التي معنى بل والهمزة أي بل (جعلوا الله شركاء) والاستفهام لانكار الوقوع قال ابن الفارسي معناه جعلوا الله شركاء (خففوا كلفه) أي مثل خلق الله يعني موهبات

كنتم في الظلمات وجر من بينهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتهم اربع عاصف وجههم الموح من كل مكان وظنوا وارضا انهم يحيط بهم دعوا الله فخلصهم الى النجاة فخلصهم هذه تكون من الشاكرين فلما نجاهم اذ هم يغفون في الارض بغفر الحق بالياء التام اعلم بكم على أنفسكم مناع الحياة الدنيا ثم البنا منكم فتنبذكم عما كنتم تعملون) يخبر تعالى انه اذا اذق الناس رحمة من بعد ضراءهم كنتم كثرنا بعد الشدة والخصب بعد الجلب والمطر بعد القمط ونحوه اذ انهم مكروا آياتنا قال (١) انهم فيه لهفة وتلعثم فكنتم توفون وانما انكمص عنه وتبصره اه خاموس

مجاهداتهم وتكذيب كقولهم واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً الآية وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح على ان زمعه كانت من الليل أي مطر ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم الله قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالكوكب وقوله قل الله أسرع مكرأى أشد استدرأجاواه إلا حتى يظن الظان من المجرمين انه ليس بمعذب وانما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرة منه والكاتبون (١٠٧) الكرام يكتبون عليه جميع ما يقوله ويحسونه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة

وأرضوا ثم أوقروا وجبالاً وبحاراً وجناتاً (وتشابه الخلق عليهم) أي فتشابه خلق النمركا بحاق الله عندهم وهذا كله في حيز النقي كما علمت أي ليس الامر كذلك حتى يشبه الامر عليهم بل اذا فكروا به قولهم وجدوا الله هو المنفرد بالخلق وسائر النمركا لا يخلفون شياً والمعنى انهم لم يجدوا الله شريكاً متعدين بانهم خلقتوا كخالقه فتشابه به هذا السبب الخلق عليهم حتى يستحقوا بذلك العبادة منهم بل انما هو لخالقه شركاء الاصنام ونحوها بمحض ضمه وجهل وهي بمنزل ان تكون كذلك لانه لم يصد عن فعله ولا خلق ولا اثر البتة ثم أمره الله سبحانه وتعالى بان يوضح لهم الحق ويرشدهم الى الصواب فقال (قل الله خالق كل شئ) كأنما كان ليس غيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه فلا شريك له في العبادة قال الزجاج والمعنى انه خالق كل شئ مما يصح ان يكون مخلوقاً الا ترى انه تعالى شئ وهو غير مخلوق (وهو الواحد) أي المنفرد بل بربوبية مقول القول أو ستأنفة (الفهار) لماء داء فكل ماء داء مروب مشهور فلوب ثم شرب سبحانه مثلاً آخر للحق وذوويه وللباطل ومنتهيه فقال (أنزل من السماء ماء) مطراً يعني من جهنم أو التنكية للتمكين من نوع عينة (فسالت أودية) جمع واد وهو كل منخرج بين جبين أو نحوهما يسيل الماء فيه بكثرة فتاتع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتذكرها لان الماء ياتي على تناوب بين البقاع واذا نزل لا يمد جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد قال أبو علي الفارسي لانه لم فاعلا جمع على أفعلة الا هذا وكأنه حل على فعل مثل جريب وأجربة كأن فعله حل على فاعل فجمع على أفعال مثل يقيم وإيتام وشريف وأشرف كاصحاب وأنصار في صاحب وناصر قال وفي قوله أودية توسع أي سال ماؤها قال ومعنى (بقدرها) بقدر ما لها من الاودية ما الت بقدر أنفها قال الواحدى والله در مبلغ الشئ والمعنى بقدرها من الماء فان صغر الوادى قل الماء وان اتسع كثر قال ابن عباس الصغير قدر صغره والكبير قدر كبره ونحوه قال ابن جرير وقال في الكشف بمقدارها الذي يعرف الله انه نافع للماء طوره عليهم غير ضار وقبل بمقدار ما لها أي ما علوها كل واحد بحسبه صغراً وكباً والبال للملاحة قال ابن الانباري شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر اذ تنفع نزول القرآن يوم كعموم نفع نزول المطر وشبه الاودية بالقلوب اذ الاودية يستكن فيها الماء كما يستكن

أي كأن لم يكن من ذلك شئ كأن لم يدعنا الى ضرر من الله ثم قال تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم أي انما يذوق وبال هذا البغي أنفسكم ولا تضرون به أحد اغيكم كما في الحديث ما من ذنب أجدر من ان يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البني وقطعة الرحم وقوله متاع الحياة الدنيا أي انما لكم متاع الحياة الدنيا الحقة ثم انما مرجعكم الى مصيركم وما لكم فتنيتكم أي فتنيتكم بجمع أعمالكم ونوفيتكم ايها فتن وجد خيرا فاحمدوا الله ومن وجد غير ذلك فلا يولن الا نفسه (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض

ابن عبد الله بن عباس هكذا يقرأها بن عباس فقال هكذا أقراني اي بن كعب وهذه قراءة غريبة وكانها زبدت للنفوس وقوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام الآية لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها رغب في الجنة ودعا اليها وماها دار السلام أي من الآفات والمقاصص والشكوك فقال والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى سراط مستقيم قال يوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لي انتم عينك ولي عقل قلبك ولتسمع مع اذنك فتأملت عميق وعقل فإني سمعت اذني ثم قيل لي (١) سيد بن داود صنع مادة (١٠٩) وأرسل داعيا فن أجاب الداعي دخل الداروا كل

من المادة ورضى عنه السيد ومن لم يحب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المادة ولم يرض عنه السيد والله السيد والدار الاسلام والمادة الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حديث مرسل وقد جاءه متصلا من حديث اللث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال اني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ويكاتبني عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما ذلك ومثل أمك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مادة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فتم من أجاب الرسول ومن من تركه فانه الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فن أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها رواء ابن جرير وقال قتادة حدثني

(الله) المثل (الحق) أي الايمان (و) المثل (الباطل) أي الكفر فالحق هو الماء والجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به ثم شرع في تبيين المثل فقال (فاما الزبد) بسميه (فيذهب جفأ) بطلا مر ميا به يقال جفأ الوادي غشا جفأ اذا رمى به أي يرميه الماء الى الساحل ويرميه الكبر فلا ينتفع به والجفأ بمنزلة الغناء وكذا قال أبو عمرو بن العلاء وحكي أبو عبيدة انه مع رؤبة يقرأ جفأ قال أبو عبيدة أجنلت القدر اذا قذفت بزبدها وأجنلت الریح السحاب اذا قطعتة قال أبو حاتم لا يقرأ بشراة رؤبة لانه كان يأكل الثار والمغنى يذهب بباطلا ما أعاني ان الباطل وان علاق في وقت فانه يصحعل ويذهب وقيل الجفأ المتفرق قاله ابن الأباري يقال جفأت الریح السحاب أي قطعتة وفرقتة ووجه المماثلة بين الزبد في الزبد الذي يحمله السيل والزبد الذي يعلو الاجسام المتطرفة ان تراب الارض لما خالط الماء وجره معه صار زبدا رايافا فوقه وكذلك ما يقد عليه في الخارج حتى يذوب من الاجسام المتطرفة فان أصله من المعادن التي تنبت في الأرض فيضاطها التراب فاذا أذيت صار ذلك التراب الذي خالطها اخبثا مرتفعا فوقها (وأما ما ينتفع الناس) منها وهو الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام المذابة والمذاب الخالص من الخبث (فيمكن في الارض) أي ينبت فيها ويبقى ولا يذهب أما الماء فانه يدلك في عروق الارض فينتفع الناس به وأما ما أذيت من تلك الاجسام فانه يصاغ حلبة وأنتعة وهذا من مثان شره الله سبحانه للعق والباطل يقول ان الباطل وان ظهر على الحق في بعض الاحوال وعلاء فان الله سبحانه سمح به ويطله ويجهل المعاقبة للعق وأهله كازيد الذي يعلو الماء فيأنيه الماء ويصمعل وكعبث هذه الاجسام فانه وان علا عليه فان الكبر يسدوه ويدفعه فهذا مثل الباطل وأما الماء الذي ينتفع الناس وينبت المرعى فيمكن في الارض وكذلك الصنف من هذه الاجسام فانه يمتدح لاشوب فيه وهو مثل الحق قال الزجاج قتل المؤمن واعتقاده ونفع الايمان كمثل هذا الماء المنتفع به في نبات الارض وحباة كل شئ وكمثل نفع الفضة والذهب وما تراجواهر لانها كلها تبني مستعابا ومثل الكافر وكفره كمثل الزبد الذي يذهب جفأ وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من مع الفضة والذهب الذي لا ينتفع به وقد حكينا ابن الأباري فيما تقدم انه شبه نزول القرآن الى آخر ما ذكرناه فخل ذلك مثلا شره الله

خلد العصري عن أبي الدرداء مر فوما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طاعت فيه الشمس الا ويحبهم الله لكان يناديان بسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كره وألهي قال ونزل في قوله يا أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام الآية رواء ابن أبي حاتم وابن جرير (لذينا أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرق وجوههم قهولا ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يتخير تعالى ان لمن أحسن العمل في الدنيا بالايمان والعمل الصالح اخذ في الدار الآخرة كقوله تعالى هل يراء الاحسان الا الاحسان وقوله وزيادة هي تضعيف ثواب الاعمال بالجنة

عذر آه شالها الى - بجماعة ضعف وزيادة على ذلك وبشأن ما يعطيه الله في الجنان من القصور والحوار والرضاع عنهم وما أخفاهم
من قرأ عين وأنت له وأعلام النظر الى وجهه الكريم فانه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يتحققونه بعملهم بل بفضل ورحمته
وقد روى تفسير الزيادة بالنظر الى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحيد بن عثمان بن عبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب
وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وشاذل بن عمرو وعامر بن سعد وعطاء بن الخدك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن
إسحق وغيرهم من السلف والخلف وقد وردت فيه (١١٠) أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه الإمام

أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة أخبرنا حماد بن
سليم عن ثابت البناني عن عبد
الرحمن بن أبي ليلى عن مسيب
رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلا هذه الآية للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة وقال إذا
دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
النار نادى ناديا أهل الجنة ان
لكم عند الله موعد يريد أن
يغيركم فأتوا فأتوا وما هو ثم نقل
. وأزبنا لم يبق من وجوهنا
وبدلت الجنة ويزجر حنا من النار
قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا
أحب إليهم من النار اليه ولا أقر
لأنهم يهلكوا وما مسلم وجاعة
من الأنعام من حديث حماد بن سلمة
به وقال ابن جرير أنا نا نا بن وهب
أنا نا نا بن وهب وأنا نا بن أي غيبة
الهمي عن النبي صلى الله عليه وسلم
حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن الله يبعث يوم القيامة
ناديا ناديا أهل الجنة (٣)
يصوت يسمع أولاهم وآخرهم أن الله
وعدهم الحسنى وزيادة الحسنى
الجنة وزيادة النظر الى وجهه

لأنه (كذلك) الضرب العجيب (بضرب الله الأمثال) في كل باب لكل العناينة
بعبادته والتمتع بهم في الدار والهداية وفيه تنعيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله
كذلك بضم الله الحق والباطل ما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الأول أو يجعل ذلك
إشارة إليهم ما جمعناهم بين سبحانه من ضرب له مثل الحق ومثل الباطل من عباده فقال فيمن
ضرب له مثل الحق (الذين استجابوا لربهم) خبر مقدم أي أجابوا دعوته أذ دعاهم إلى
توحيدهم وقد سبق أي بيانه والعمل بشرائعه (الحسنى) مبتدأ مؤخر أي المثوبة الحسنى
وهي الجنة وفيه قال جمهور المفسرين وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى الخاصة بالخالية
عن شوائب الفسرة والانقطاع والاولى الأولى وهو قول ابن عباس وقال سبحانه فيمن
ضرب له مثل الباطل (والذين لم يستجيبوا له) أي لدعوته إلى ما دعاهم اليه وهم الكفار
الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما تالة عليه والموصول مبتدأ خبر عنه بثلاثة
أخبار الاول الجملة الشرطية وهي (وإن لهم ما في الأرض جميعا) من أضاف الأموال
التي تملكها للعباد ويجهه ومنها بحيث لا يخرج عن ملكهم من شيء (ومنه ما) أي
مثل ما في الأرض جميعا كائنا ما كانا عليه (لافتدوا به) أي مجموع ما ذكر وهو
ما في الأرض ومنه والمعنى أيضا ما به مما هم فيه من العذاب الكبير والهول العظيم ثم بين
سبحانه ما عد لهم فقال (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا وهو خبر ثبات للموصول
(لهم ما وعد الله) من إضافة الصفة للموصوف أي الحساب السبي وهو ان يحاسب
الرجل به ما كره ولا يغفر له منه شيء قال الزجاج لأن كفرهم أحبط أعمالهم وقال غيره
هو المفاضلة فيه وفي الحديث من نوقش الحساب عذب (وما أوهام جهنم) أي
مرجهم اليها (وأنس المهاد) أي المستقر الذي يستقرون به أو الفرائض الذي
يشرشهم في جهنم والخصوص بالهم محذوف وهو خبر ثالث للموصول المتقدم (أولئك)
يعلم الله فلا تنكروا على من يتوهم الممانعة بين من يعلم وبين من هو شعى لا يعلم ذلك
ولا يؤمن به (أنما أنزل القرآن من ربك الحق) أي ما أنزل الله سبحانه إلى رسوله صلى الله
عليه وآله وسلم من الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة وهو القرآن (كن هو شعى) فإن
الحال بينهما متباعد جدا كالتباعد الذي بين الماء والزبد وبين الخبيث والخالص
من تلك الأجسام قبل أن يزل في حزة وأبي جهل ومع هذا فلاولى حل الآية على العموم

الرحمن عز وجل ورواه أيضا ابن أبي حاتم عن حديث أبي بكر الهذلي عن أبي نجيبة الهيمى به وقال ابن جرير
أبضا حدثنا ابن حبان حدثنا إبراهيم بن الخثعم عن ابن جرير عن كعب بن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجهه الرحمن عز وجل وقال أيضا حدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمر بن أي حلة سمعت زهيراً
عن جمع أبا العالبة - حدثنا أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى
زيادة النظر الى وجهه الله عز وجل ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث زهير به وقوله تعالى ولا يرق
(٢) قوله يا أهل الجنة يصوت الخ كذا في السمع وحرر الرواية اه

الـيشة بعثلها لا يريدهم على ذلك
 وترحمهم أى تعفونهم وتعفوهم
 ذلـة من معاصيهم وخوفهمـم منها
 كما قال وزأهم يعرضون عليها
 شائعين من الذل الآتية وقال
 تعالى ولا تحسبن الله غافلاً عما
 يعمل الظالمون اغيا يؤخرهم ايوم
 تشخص فيه الابصار مهطعين
 مقبضي رؤسهم الآيات وقوله ما لهم
 من الله من عاصم أى مانع ولا واق
 يتهم العذاب كنـوله تعالى يقول
 الانسان يومئذ أين المنـر كلالا
 وزر الى ربك يومئذ المستـر وقوله
 كأنما أغشيت وجوههم الآتية
 اخبار عن سواد وجوههم فى الدار
 الآخرة كنـوله تعالى يوم تبيض
 وجوه وتـسود وجوه فاما الذين
 اسودت وجوههم أكـفرتهم
 بما كذبوا بآياتهم فذوقوا العذاب
 بما كنتم تكفرون وأما الذين
 ابيضت وجوههم فى رحمة الله هم
 فيه خالدون وقوله تعالى وجوه
 يومئذ مشرقة صاحبة مستنيرة
 ووجوه يومئذ عليها غـبرة الآتية
 (ويوم نحـشرهم جميعاً ثم نقول
 للذين أشركوا مكانكم أنـتم
 وشركاؤكم فزنا بآياتهمـم وقال
 المـلأ لكل نفس ما أسلفت وردوا
 فى كاهـم من جن وانس وبروقابر
 كالامم المتآزرافيهـم عن مقام
 فى الآتية الاخرى يومئذ يصـلعون
 (١) يستنزع المؤمنون الى

شركاؤهم ما كنتم ابا ان تعبدون فكفى بالله شهيدا بينكم ان كل من عبادكم اهل اقلين
الى الله مولا هم الحق وصل عنهم ما كانوا يفترون) يقول تعالى ويوم نحشرهم اى اهل الارض
كقوله وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ثم نقول للذين اشرکوا الا بآية اى الزموا انتم وه
المؤمنين كقوله تعالى واستأزروا اليوم اياهم الغرمون وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ ينصرفون
اى يصيرون حذعين وهذا يكون اذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك
(١) بياض بالاصل

(۱) بیاض بالاصل

الله تعالى ان يأتي لفصل القضاء ويرى من من مقامنا هذا وفي الحديث الآخر نحن يوم القيامة على كؤم فوق الناس وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة اخبارا عما يامر به المشركين وأوتاهم يوم القيامة مكانكم أنتم ونر كماؤكم فزينا بينهم الآية أنهم أنكروا عبادتهم وتبرؤا منهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم الآية وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهو عن دعاؤهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء الآية وقوله في هذه الآية اخبارا عن قول الشر كافيما راجعوا فيه عابدينهم عند (١١٢) ادعائهم عبادتهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم الآية أي ما كنا نعرفهم ولا نعلم

بهم وانما كنتم تعبدون من حيث لا تدري بكم والله شهيد بيننا وبينكم انما مددوناكم الى عبادتنا ولا أمرناكم به اول ارضينا منكم بالث وفي هذا تبيكيت عظمهم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يعنى عنهم شيئا ولم يأمرهم به لئلا يرضى به ولا أراد ان يتركهم وقت أوج ما يكونون اليه وقد تركوا عبادة الحق اليوم السميع البصير القادر العالم بكل شئ وقد أرسل رساله وأرسل كتبه أمر ابيائه وحده لا شريك له تاهيا عن عبادة ما سواه كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الممنوعات فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وقال واستل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وجه اناس ممن دون الرحمن آلهة يعبدون والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه وبين أحوالهم وأقوالهم ورد عليهم فيما هم فيه

سوء الحساب وهو الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد في نوقس الحساب عذب ومن حق هذه الحقيقة ان يحاسبوا أنفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) قيل مستأنف وقيل معلوف على ما قبله والتعبير عنه باللفظ المنفي للتنبيه على انه ينبغي تحققه والمراد بالصبر الصبر على الايمان بما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه وقيل على الرزايا والمصائب وقيل عن الشهوات والمعاصي والاولى حمله على العموم (اتباعوا وجه ربهم) أي ثوابه ورضاه معناه ان يكون خالصا له لا شائبة فيه لغيره كأن يصبر ليقال ما كذل صبره وأشد قوته على فعل التوازل أو الاجل ان لا يعاب على الجزع أو الاجل ان لا يشتبه بالاعداء (وأقاموا الصلاة) أي فعلوها في أوقاتها على ما شرعه الله سبحانه في أذكارها وأركانها مع الخشوع والاحلاس والمراد بها الصلوات المفروضة وقيل أعم من ذلك (وأنفقوا) في الطاعة (مما رزقناهم) أي بعضه (سرا وعلانية) المراد بالسر صدقة الخصال وبالعلانية صدقة الفرض وقيل السر لمن لم يعرف بالمال ولا يتهم بترك الزكاة والعلانية لمن كان يعرف بالمال أو يتهم بترك الزكاة والحمل على العموم أولى (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون سيئة من أساء اليهم لاجل ان الله كما في قوله تعالى ادفع باني هي الحسن أو يدفعون بالعمل الصالح السيي فيجعوها أو يدفعون الشر بالخير أو للمسكر بالمعروف أو الظالم بالعدل أو الذاب بالتوبة أو الحرمان بالاعطاء أو القاطع بالوصل أو الهرب بالانابة ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الامور (اولئك) الموصوفون بالصفات المتقدمة (الهم عشي الدار) العشي مصدرة كالعاقبة والاضافة على معنى في أي العقبى الحدود فيها قال الخطيب العقبى الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خيرا وشر والمراد بالدار الدنيا وأعقاب الجنة وقيل المراد دار الآخرة وعقبها الجنة لا طبعين والشارع للصلاة (جنات عدن يدخلونها) أي لهم جنات عدن والعدن أصله الإقامة ثم صار على الجنة من الجنات واسم المكان مدن مثل مجلس لان أهلها يقيمون عليه الصيف والشتاء أولان الجوهر الذي خلقه الله فيه عدن به قال القشيري وجنات عدن وسط الجنة وقصبتها وستنها عرش الرحمن ولكن في صحيح البخاري وغيره اذا سألت الله فأسأله الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومبه تنبها أن الجنة عود وعن ابن معود قال جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها وعن الحسن ان عرقا لكعب ماء عدن قال هو

أنهم يدقونه تعالى في كل تلوك نفس ما سلفت أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما سلف من قصر عملها من خير وشر كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقال تعالى يومئذ بما قدم وأخر وقال تعالى ونحن جله يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حاسبيا وقد قرأ بعضهم عن مالك تلوك نفس ما سلفت وفسرها بعضهم بالقرآن فقرأها بعضهم في تسع ما قدمت من خير ونسروا بعضهم بعد تسع كل امة ما كانت تعبد في تسع من كان يعبد الشمس والتسع ويتبع من كان يعبد القمر والقمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت الخديش وقوله وردوا الى

الله مولاهم الحق أى ورجمت الامور كلها الى الله الحكيم العدل ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وضل عنهم أى ذهب عن المشركين ما كانوا يفترون أى ما كانوا يعبدون من دون الله افترأ عليه (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن بآلِكَ السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذللكم الله ربكم الحق فذلذا بعد الحق الا الضلال فأتى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسدوا أنهم لا يؤمنون) يخرج تعالى على المشركين باعتبارهم بوحدايته وربوبيته على وحدانية الآلهة فقال تعالى قل من يرزقكم (١١٣) من السماء والارض أى من ذا الذى

ينزل من السماء ماء المطر فيشق الارض شياقة بدرته ومشيته فيخرج منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ووحداائق غلبا وفاكهة وأباأله مع الله فسيقولون الله آمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وقوله آمن بآلِكَ السمع والابصار أى الذى وهبكم هذه القوة السامعة والقوة الباصرة ولولا هذا ذهب بهم واسلبكم اياها كقوله تعالى قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار الآية وقال قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية وقوله ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى أى بقدرته العظيمة ونسب العممة وقد تقدم ذكر الخلاف فى ذلك وان الآية عامة لذلك كله وقوله ومن يدبر الامر أى من يده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه وهو المتصرف الماحككم الذى لا معقب لحكمه ولا يئمل عما يئمل وهم يستلونه بسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن فآللك كله العلوى والسفلى

قصر فى الجنة لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل وأخرج ابن مردويه عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة عدن قضيب غرسه الله بيده ثم قال له كن فكان (ومن صلح) أى آمن فى الدنيا قاله مجاهد (من آباؤهم) أى أصولهم وهى تشبه الآباء والامهات ومن لبيان الجنس (وأزواجهم) اللاتى متنفذ فى عصمتهم (وذرياتهم) أى ويدخلها هؤلاء الفرق الثلاث وان لم تعمل بأعمالهم تكرمهم الله قاله ابن عباس ورجحه الواحدى قال الرازى وايس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة واعل الاولى من مات عنها ومات عنه وذكر الصلاح دليل على انه لا يدخل الجنة الا من كان كذلك من قرابات أو نكاح ولا يتنعج مجرد كونه من الآباء والأزواج والذرية بدون صلاح (والملائكة يدخلون عليهم) فى قدر كل يوم وليله ثلاث مرات للمشيئة وقيل بل هو فى أول دخولهم قاله السيوطى قال فى الجمل والتشبيه بهم هذا لم يره لغيره من المفسرين بل فى كلام غيره ما يدل على عدمه (من كل باب) أى من جميع أبواب التصور والمنازل التى يسكنونها ومن كل باب من أبواب الجنة أو من كل باب من أبواب القنف والهدايات من الله سبحانه (سلام عليكم) أى قائلين سلام عليكم فأنتم القول هذا دلالة الكلام عليه أى سلمتم من الآفات وأدامت لكم السلامة وقيل دعاء لهم من الملائكة أى سلمكم الله تعالى (بما صبرتم) أى بسبب صبركم فى الدنيا على الآفات وهو متعلق بالسلام أى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم أو متعلق بعبادكم أو بمعدون أى هذه الكرامة بسبب صبركم وبذلك ما احتملتم من مشاق الصبر (فتم عشي الدار) أى تم ما أعقبكم الله من الدنيا الجنة أخرجه أحمد والبخاري وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين الذين تسلمهم الثغور وتقتربهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله لمن يشاء من ملائكته انتموهم فقبوهم فتقول الملائكة ربنا نحن سكان بيئات وخيرتكم من خلفنا أفأنا مرانان نأتى هؤلاء فلم عليهم قال الله ان هؤلاء عبادى كانوا يعبدونى ولا يشركون بى شأ وتسلمهم الثغور وتقتربهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فتأتهم الملائكة

(فتح البيان خامس)

وما فى ما من ملائكة وانس وجان فقيرون اليه عسده خاضعون لديه فيقولون الله أى هم يعلمون ذلك ويعترفون به فقل أفلا تتقون أى أفلا تتقون منه ان تعبدوا معه غيره بأرائكم وجهلكم وقوله فذللكم الله ربكم الحق الآية أى فهذا الذى اعترفتم به فاعل ذلك كله هو ربكم والى الحكم الحق الذى يفتق ان يضربا العباد فذلذا بعد الحق الا الله لال أى فكل عبود سواء باطل لاله الا هو واحد لا شريك له فأتى تصرفون أى فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة ما سوا ما أنتم تعلمون ان الرب الذى خلق كل شئ والمتصرف فى كل شئ وقوله كذلك حقت كلمه ربك على الذى فسقوا

الآية أي كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غير مع انهم يعتقدون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده فلم هذا حقت عليهم كلمة الله انهم أشقياء من ما كفى النار كقولها قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فاني نؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم لا) يهدي الآن يهدي فإلحكم كيف تصحكمون وما يتبع أكثرهم الاطمان الظن (١١٤) لا يغني من الحق شيئا ان الله عليهم بما يفعلون وهذا ابطال لدعواهم

عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب فائين لهم سلام عليكم بما صبرتم فنع عقبي الذاروفي القرطبي عن عبد الله بن سلام وعلى بن الحسين اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فطلقهم الملائكة فتقول الى أين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا انتم فيقولون من أنتم فيقولون نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصي الله وصبرناها على البلاء ونحن في الدنيا قال على بن الحسين فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنع عقبي الذاروي ثم عاقبة الدار افي كنتم فيها وعلمتم فيها ما أعقبكم هذا الذي أنتم فيه فآله عقبي على هذا اسم والدار هي الدنيا وقال أبو عمران الجوني أي الجنة عن النار بضم الجيم وعنه الجنة عن الدنيا وبالجملة فقد جاءه به الله به هذه الجملة المتضمنة لمذح ما أعظمهم من عقبي الدار المتقدم ذكرها للترغيب والتشويق ثم أتبع أحوال السعداء بأحوال الأشقياء فقال (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) من بعد ما وثقوه به من الاعتراف والتبول بقولهم بلى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الايمان والرحم وغير ذلك وقد مر تفسير عدم النقص وعدم القطع فعرف منهم ما تنسب بالنقص والقطع ولا يتعرض لثني الخشية والخوف عنهم وما بعده ما من الاوصاف المتقدمة لدخولها في النقص والقطع (ويشددون في الارض) بالكفر وارتكاب المعاصي والانسداد بالانفس والاموال (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات الذميمة (لهم) بسبب ذلك (اللعنة) أي الطرد والابعاد من رحمة الله سبحانه (ولهم سوء الدار) أي سوء عاقبة دار الدنيا وهي النار وأعذاب جهنم قائم ادارهم (الله ييسر الرزق) أي ييسره (لمن يشاء) أي لمن كان كافرا استدرجا (ويقدر) أي ويقدر على من كان مؤمنا ابتلاء وامتحانا ونكسيرا للتوبة ولا يدل البسط على الكرامة ولا القبض على الإهانة ومعنى يقدر يضيق ومنه ومن قدر عليه رزقه أي ضيق وفيه معنى يقدر يعطي بقدر الكفاية ونرا السعة بقدر بكسر الدال وهو أفصح واستعمل بالضم أيضا على ما في المصباح ومعنى الآية انه الفاعل لذلك وحده القادر عليه دون غيره (وفرحوا) أي مشركو مكة (بالحياة الدنيا) فرح بطر لا فرح سرور والشرح للذة تحصل في القلب عند حصول المشتهى وجهلوا ما عند الله والجهل من شأنه لبيان فحج أفعالهم مع ما وسعه

فبما أنشركوا بالله غيره وهدوا من الاصنام والانداد قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده أي من بدأ خلق هذه السموات والارض ثم ينشئ ما فيها من الملائق ويفرق اجرام السموات والارض ويبدلها ما يشاء ما فيها ثم يعيد الخلق خلقا جديدا قل الله هو الذي يفعل هذا ويستقل به وحده لا شريك له فاني نؤفكون أي فكيف تصرفون عن طريق الرشدا الى الباطل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أي أنتم تعلمون ان شركاءكم لا تقدر على هداية ضال وانما يهدي الجبار أو الضلال ويقلب السلوب من النقي الى الرشاد الذي لا اله الا هو أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي الآن يهدي أي أتيتبع أن يهدي اعماء وبكم كما قال تعالى اخبرنا عن ابراهيم انه قال يا أبت لم تعبد مالا يسع ولا يصبر ولا يغني عنك شيئا وقال انؤوم انعبدون ما تعبدون والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك من الآيات وقوله فإلحكم كيف تصحكمون أي ما بالكم أن يذهب بصوابكم كيف سويتم بمرآة بين خلقه وعدلتم هذا ما ذا تعبدتم هذا وهذا هو الله أفردتم الرب جل جلاله الملائكة الهادى من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم اليه الدعوة والاباية ثم بين تعالى انهم لا يتبعون دليلا ولا يرهنا وانما موطن منهم أي توهه وتخييل وذلك لا يغني عنهم شيئا ان الله عليهم بما يفعلون ثم تبدلهم ووعده شديد لانه تعالى أخبرانه سبحانه على ذلك انهم الجزام وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاربيخيه من رب العالمين أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا

فصحكمون أي ما بالكم أن يذهب بصوابكم كيف سويتم بمرآة بين خلقه وعدلتم هذا ما ذا تعبدتم هذا وهذا هو الله أفردتم الرب جل جلاله الملائكة الهادى من الضلالة بالعبادة وحده وأخلصتم اليه الدعوة والاباية ثم بين تعالى انهم لا يتبعون دليلا ولا يرهنا وانما موطن منهم أي توهه وتخييل وذلك لا يغني عنهم شيئا ان الله عليهم بما يفعلون ثم تبدلهم ووعده شديد لانه تعالى أخبرانه سبحانه على ذلك انهم الجزام وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاربيخيه من رب العالمين أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا

بما لم يحيطوا بعلمه ولما باتهم بما تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) هذا بيان لا عجز القرآن وأنه لا يستطيع البشر أن يأتيوا بعلمه ولا يعجز سرور ولا بدور من مثله لأنه بصفاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة لا تكون الا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله وكلامه لا يشبهه كلام المخلوقين ولهذا قال تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله أى مثل هذا القرآن لا يكون الا من عند الله ولا يشبهه (١١٥) هذا كلام البشر ولكن تصديق الذي بين

يديه أى من الكتب المتقدمة ومنهم من اعلمه ومبين لما وقع فيها من التورية والتأويل والتعديل وقوله وتفسير الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أى وبيننا الاحكام والحلال والحرام يانا شافيا كافيا احتالا لمرية فيه من الله رب العالمين كما تقدم في حديث الحارث الاور عن علي بن أبي طالب فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وفصل ما بينكم أى خبر عما سلف وعما يأتي وحكم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه الله ويرضاه وقوله أم يقولون افترأ قل فانوا بسورة منله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين أى ان ادعيتهم وافتريتهم وشككتهم في ان هذا من عند الله وقلتم كذبوا منا ان هذا من عند محمد فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم هذا القرآن فانوا انهم بسورة منله أى من جنس القرآن واسمعوا على ذلك بكل من قدرتم عليه من انس وجان وهذا هو المقام الثالث في التصديق فانه تعالى فخذاهم ودعاهم ان كانوا صادقين في دعواهم سم انه من

عليهم وفيه دليل على ان اشرح بالانبا والركون اليها حرام قبل وفي هذه الآية تقديم وتأخير والتقدير وينسبون في الارض وفرحوا بالحياة الدنيا والاول أولى لانه ماض وما قبله مستقبل وقبل العطف على ينقضون ولا يصح لانه يستلزم تغل الفاصل بين أبعاض الصلة (وما الحياة الدنيا في الآخرة) أى بالنسبة اليها وفي جنه افني هنالام تايبة وهي الداخلة بين منضول سابق وفاضل لاحق وليست طرفا للحياة وللدنيا لانها لا يكونان في الآخرة (الامتع) أى ما هي الا شئ يستمتع به وقيل المتاع واحد الامتعة كالنصعة والسكرجة ونحوه ما وقيل المعنى شئ قليل ذاهب من متع النهار اذا ارتفع فلا بد من زوال وقبل زاد كزاد الرأكب يتزودونه منها الى الآخرة وقال عبد الرحمن بن سابط كزاد الراعي يزوده أهله الكرم من التمر أو الشئ من الدقيق أو الشئ يشرب عليه اللبن وعن ابن عباس قال كان الرجل يخرج في الزمان الاول في ابلة أو غنم فيقول لاهله متعوني فمتعونه فافقة الطير أو التمر فهدا مثل نصر به الله للدنيا وأخرج الترمذي وصححه عن ابن مسعود قال نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا يا رسول الله لو اتخذ لك فقال مالي وللدنيا ما أناني الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن المستورد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل أحدكم امرجه هذه في البه فليست بمرجع وأشار السبابة (ويقول الذين كفروا) أى المشركون من أهل مكة (لولا) هـ لا (أنزل عليه) أى على محمد (آية) أى معجزة مثل معجزة موسى وعيسى عليهما السلام (من ربه) كأنه واليد والفاقة وقد تقدم تفسير هذا فريبا وتكرر في مواضع (قل ان الله يفضل من يشاء) أمره الله سبحانه ان يجيب عليهم بهذا وهو ان الضلال بعيشة الله سبحانه من شاء ان يضل كما ضل هؤلاء الثاثلون لولا أنزل عليه آية من ربه ولا ينفعه زول الآيات وكثرة المعجزات ان لم يمهده الله عز وجل وان أنزل كل آية فان ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد وشدة الشككة والغلو في الفساد فلا بد له الى الاهتداء (ويهدى اليه) أى الى الحق أو الى الاسلام أو الى حجاب عز وجل (من أناب) أى رجع الى الله بالتوبة والاقلاع عما كان عليه وأصل الانابة الدخول في نوبة الخير كذا قال النبي ابوري (الذين آمنوا) منصوب على البدل من أناب

عند محمد فلتعارضوه بخبر ما جاء به وحدثوا واستعينوا بمن شئتم واخبرناهم لا يتدرون على ذلك ولا يبيلاهم اليه فقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتيوا بعلم هذا القرآن لا يأتيون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظميرا ثم تقاسر معهم الى عشرين سورة منه فقال في أول سورة هود ام يقولون افترأ قل فانوا بعشرين سورة منله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ثم تنازل الى سورة فقال في هذه السورة ام يقولون افترأ قل فانوا بعشرين سورة منله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وهذا في سورة البقرة وهي مدنية فخذاهم بسورة منله واخبرناهم لا يستطيعون ذلك ابدا فقال فان لم تفعلوا وان تفعلوا فاقشوا النار الاية

هذا وقد كانت القصص من حجابهم وأشعارهم ومع لقايتهم اليه المنتهى في هذا الباب ولكن جاءهم من الله ما لا قبل له بحديثه ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغته فكانوا أعلم الناس به وأقربهم له وأتبعهم له وأرشدهم له انقياداً كما عرف الصحرة لعلمهم يقنون الصحران هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر من مؤيد مدد الا عن مرسل من الله وان هذا لا يتطاع لبشر الا باذن الله وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمان علماء الطب وعالجه المرضى فكان يبرئ الأكمة والابرص ويحيي الموتى باذن الله ومثل هذا لا يدخل (١١٦) للعلاج والدواء فيه فعرف من عرف منهم انه عبد الله ورسوله ولهذا جاء في

والله في انهم هم الذين هداهم الله وأنابوا اليه وأخبرهم بما محذوف أي هم الذين آمنوا (وتطمئن قلوبهم - م - يذكر الله) أي تسكن عن التلق والاضطراب وتستأنس به كره سهل بالفتنهم كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد أو بسماع ذلك من غيره غير بالمضارع لان العلماء ينفذون بعد الايمان حينئذ قاله الشهاب وقال الكرخي المضارع قد لا يلا - ط فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل اذ ذلك على الاستمرار ومهم الآية انتهى قال في الجمل وهذا ينفع في مواضع كثيرة وقد سمى الله سبحانه القرآن ذكر قال وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقال اننا نحن نزلنا الذكر قال الزجاجة أي اذ كان الله وحده آمنوا به غير شاكين بخلاف من وصف بقوله واذا ذكر الله وحده استأذنت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وقيل الذي ذكرهنا الساعة وقيل بوعده الله وقيل بالخلاف بالله فاذا حلف ختمه بالله سكن قلبه قاله السدي وقيل يذكر رجته وقيل يذكر دلائله الدالة على توحده وقال قتادة هشت اليه واستأنت به وقال مجاهد عمده صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ولا مانع من حمل الآية على جميعها (الآية كره) وحده دون غيره من الامور التي تعبد اليها النفوس من الدنيويات (تطمئن القلوب) والنظر في مخلوقات الله سبحانه وبدا صنعه وان كان يشبه دطمانينة في الجملة لكن ليست كهذه الطمانينة وكذلك التفر في المعجزات من الامور التي لا يطيقها البشر فليس افادتهم بالطمانينة كإفادة ذكر الله فهي وجه ما ينفذ هذه التركيب من التقصير وأما قوله تعالى في الانفال انما المؤمنون الذين لم يذكروا الله ورجل قلوبهم والوجل ضد الاطمئنان فاعلم انهم اذا ذكروا العقوبات وجلوا واذا ذكروا المنوبات سكنوا أخرج أبو الشيخ عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحابه حين نزلت هذه الآية هل تدررون ما معني ذلك قالوا الله ورسوله أعبد قال من أحب الله ورسوله وأحب أصحابه وأخرج ابن مردويه عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يلمز من هذه الآية قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين شأه داود غساناً لا بد كره الله بضعاً (الذين آمنوا وعلوا الصالحات) مبتدأ خبره جملة (طوبى لهم) وجزاء لا بداه بطوبى له لانهم اعلموا بشي بعينه واملائهم انكره في معنى الدعاء كسلام عليه لا ويقل له قال أبو عبيد والرباج وأهل اللغة طوى فعل من الطيب فهو ياتي وأصله طيبى قال ابن الانبار

الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نبي من الانبياء الا وقد أوفى من الآيات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي أوينته وحياء وحده الله الى فارجو أن كون أكثرهم تابعاً وقوله بل كذبوا يعلم بحججه ما علمه وما يأتهم تأويله يقول بل كذب هو لا بالقرآن ولم ينهه ولا عرفوه وما يأتهم تأويله أي ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق الى حين تكذيبهم به جهلاً وسفهاً كذلك كذب الذين من قبلهم أي من الامم السابقة فانظر كيف كان عاقبة الظالمين أي فانظر كيف أهلكهم بتكذيبهم رسالتنا فلما وعوا وكفروا وعنادوا وجهلاً فاحذروا أيها المكذبون ان يصيبكم ما أصابهم وقوله ومنهم من يؤمن به الآية أي ومن هؤلاء الذين بعثت اليهم بالحمد من يؤمن بهذا القرآن ويتبعك ويتفجع عما أرسلت به ومنهم من لا يؤمن به بل يموت على ذلك ويبعث عليه ويرث أعلم بالفسادين أي وهو أعلم من يفتق الهداية فيمديه ومن يفتق

الضلالة فبطل وهو العادل الذي لا يجوز بل يعطى كلاماً قصته تبارك وتعالى وتقدس وتترد لاله الا هو وتاويلها (وان كذبوا فقل لي على ولكم علم انهم يشون مما عملوا وتبارى مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك أفانت تسمع الصم ولو كانوا الا بعهلون ومنهم من ينظر اليك أفانت تهدي العمى ولو كانوا الا بصرون ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون) يقول تعالى ليه صلى الله عليه وسلم وان كذبك هؤلاء المشركون فقل انهم سمعوا من علمهم فقل لي على ولكم علمكم كقولهم تعالى قل يا ايها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخرها وقال ابراهيم الخليل وأتباعه لهم المشركين اناباً عنكم مما تعبدون

من ذون الله الآية وقوله ومنهم من يستمعون اليك أي يستمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم والاحاديث الصحيحة التي تصحها النافعة
في القلوب والاديان والابدان وفي هذا كفاية عظيمة ولكن ليس ذلك اليك ولا اليهم فإلا لا تقدر على استماع الاصم وهو الاطرش
فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء الا ان يشاء الله ومنهم من ينظر اليك أي ينظرون اليك والى ما أعطاك الله من التوفد والسمت
الحسن والخلق العظيم والدلالة الظاهرة على نبوتك لا ولي البصائر والنهي وعولاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من
الهداية شيء كما يحصل لغيرهم بل المؤمنون ينظرون اليك بعين الوفاء وهؤلاء (١١٧) الكفار ينظرون اليك بعين الاحتقار واذا

رنا ويلها الحار المستطابة وقيل طوبى شجرة في الجنة وقيل هي الجنة وقيل هي البستان
بلغة الهند وقيل هي اسم الجنة بالحبشية وقيل معناه حسنى لهم وقيل خير لهم وقيل كرامة
لهم وقيل غبطة لهم قال النحاس وهذه الاقوال متتاربة واللام في لهم للبيان مثل سقياك
ورعاك قال الازهر رى تقول طوبى لك وطوبى لك لا تقول العرب وهو قول أكثر
التحويين وقيل هو مصدر من طاب كبشرى ورجعى وزانى فالصديق على وزن فعلى
ومعناه أصبت خيرا وطيبا وقيل هي شجرة في الجنة عدن تظلل الجنان كلها وقال ابن عباس
طوبى لهم فرح لهم وقرة أعين وقال عكرمة نعمى لهم وقد روى عن جماعة من السلف
نحو ما قد مرنا ذكره من الاقوال والارواح تنبى الآية بما روى مرفوعا الى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كما أخرجه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي
عن عتبة بن عبد قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله
في الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى الحديث وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن
جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والخطيب في تاريخه عن أبي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك قال
طوبى لمن آمن بي ورآني ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني فقال رجل وما
طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكتافها وفي الباب
أحاديث وآثار عن السلف وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرأ
ان شتم وظل عدو وفي بعض اللغات اسم الشجرة الخلد وفي بعضها شجرة غرسها الله يده
(وحسن ما تب) من آب اذا رجع أي ولهم حسن مرجع وهو الدار الآخرة وهي الجنة
قال السدي حسن منقلب وعن الصادق عليه السلام (كذلك) أي مثل ذلك الارسل العظيم
الشان المشتمل على المعجزة الباهرة (أرسلناك) يا محمد ارسلناك لسان وقيل شبه الانعام
على من أرسل اليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالانعام على من أرسل اليه الانبياء قبله
وقيل كما يدعى الله من آيات كذلك أرسلناك وقال ابن عطية الذي يظهر لي ان المعنى كما
أجرنا العادة بان الله يفضل ويهدي لا بالآيات المقترحة فكذلك أيضا فعلنا في هذه الامة
أرسلناك اليها يوحى لا بالآيات المقترحة وقال أبو البقاء كذلك الامر كذلك وقال الحوفي

ثم أخبر تعالى أنه لا ينظم أحدا
شيئا وان كان قد غدى به من هدى
وبدبر به من العسر ورفع به أعيننا
عمدا وأذا ناس ما قولا باغلا وأضل
به عن الايمان آخر من فهو الحاكم
المتصرف في حكمه بما يشاء الذي
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
لعله وحكمته وعدله ولهذا قال
تعالى ان الله لا ينظلم الناس شيئا
ولكن الناس انفسهم يظلمون
وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه
عز وجل يا عبادي ائني حرمت الظلم
على نفسي وجعلته بينكم محرما
فلا تظالموا الى ان قال في آخره
يا عبادي انما هي أعمالكم أحسنها
أكرم ثم أوفى لكم بالعدل ونجد
خير افعاله مد الله من وجده غير
ذلك فلا يلومن الانفس رواه مسلم
بطوله (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا
الاساعة من النهار يتعارفون بينهم
قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما
كانوا مهتدين) يقول تعالى مذكرا
للناس قيام الساعة وحشرهم من
أجداثهم الى عرصات القيامة
ويوم يحشرهم الآية كقوله كأنهم

يبرون ما يدعون لم يلبثوا الاساعة من نهار وقوله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
ويحشرهم من يومئذ ذرعا يقتلون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما يقول أمتهم طريقة ان لبثتم الا يوما
وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الا يتن و هذا كله دليل على استقصاء الحياة الدنيا في الدار
الآخرة كقوله كم لبثتم في الارض عدد سنين فانوا بغنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون
الا يتن وقوله يتعارفون بينهم أي يعرف الانبياء الايام والشرائط بعضهم لبعض كما كانوا في الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه فاذا انشأ

في الصورة فلا انساب بينهم الآية وقال تعالى ولا يسأل حيم حيم الايات وقوله قد خسروا الذين كذبوا بلفظه الله وما كانوا مهتدين
 كقولهم تعالى وباللغة الكذابين لانهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة لذلك هو الخسران المين ولا خسارة أعظم من خسارة من
 فرق بينه وبين أخته يوم الحسرة والندامة (واما ان ربك بعض الذي نعدهم او توفيك فاليانمر جمعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
 ولكل امة رسول فاذا جاء رسوله لم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) يقول تعالى مخاطبا بالرسول صلى الله عليه وسلم وامان ربك
 بعض الذي نعدهم اي تنتقم منهم في حياتك (١١٨) لتقر عينك منهم او توفيك فاليانمر جمعهم اي مصيرهم ومن قبلهم والله شهيد

أي كذبت الهداية والاضلال والاشاره لذلك الى ما وصف به نفسه من ان الله بطل من
 بشام يومى من يشاء وكل ذلك فيه تكلف وبعد الاول اظهر وأولى (قائمة) أى
 قرن (قد خلت) مضت (من قبلها) أى قبل الامة (أمة) قرون أو في جماعة من
 الناس كثيرة قدم من قبلها اجامات (تتلوا) لتقرأ (عليهم الذى أوحينا اليك)
 أى القرآن (و) الحال ان (هم يكفرون) أو استناب وهم عائد على أمة من حيث
 المعنى ولو عاد على انفسه القبل وهى تكفروا قبل على أمة وعلى امة وقيل على الذين قالوا لولا
 أنزل (بالرحمن) أى بالكثير الرحمة لبادوا ومن رحمته لهم ارسال الرسل اليهم وانزال
 الكتب عليهم كما قال - سبحانه وما أرسلناك الا رحمة للعالمين عن فتادة قال ذكرنا ان
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم زمن الحديبية حين صالح قريشا كتب في الكتاب
 بسم الله الرحمن الرحيم فقالت قريش أما الرحمن فلا نعرفه وكان أهل الجاهلية يكتبون
 باسم الله اللهم فقال أصحابه دعنا انما لهم فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون وعن ابن جريج
 في هذه الآية نحوه وقيل حيث قالوا المأمر والاباحودله وما الرحمن كما ذكر في سورة
 الفرقان بقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فهذه الآية مقدمة على
 ما هنا في التبرؤ وان تأخرت عنه في المحقق والاولى وقيل غير ذلك (قل هورى)
 من انما يتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحانه قل يا عجماء هورى أى الرحمن
 الذى أكرمتم معرفته ربي وشاقي (والله الا هو) أى لا يفتق العباد لله والايان به
 -واه (عليه توكلت) في جميع امورى (والله) لا اله غيره (متاب) أى توابى
 قاله مجاهد روية تعريض بالكفار وحثهم على الرجوع الى الله والتوبة من الكفر
 والدخول في الاسلام (ولو أن قرأ ناسيت به) أى بارأه وقرأه (الجبال) عن محل
 استقرارها وانقلبت عن أماكنها وانذهبت عن وجه الارض قيل هذا متصل بقوله لولا
 أنزل عليه آية من ربه وان جماعة من الكفار اسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 ان يسيرهم جبال مكة حتى تنفذ في فاهها أرض صبيحة فامرهم الله سبحانه بان يجيب عليهم
 بهذا الجواب المفضل العظيم شأن القرآن وفيه ادراك الكفار حيث لم يقنعوا به وأسروا
 على نعمتهم وطاهم ما لوفعه الله سبحانه لم يبق ما تقتضيه الحكمة الا الهية من عدم انزال
 الايات الى يومئذ عدا جميع العباد (أو فطعت به الارض) أى صدعت وشفت

على أفعالهم بعدك وقد قال الطبراني
 -دشاعة الله بن أحمد -دشاعة
 ابن كرم حدثنا ابو بكر الحنفي حدثنا
 داود بن الجارود عن ابي السليل
 عن حذيفة بن أسيد عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال عرضت
 على امتي البارحة فلهى هذه الحجرة
 أولها وآخرها فقال رجل يا رسول
 الله عرض عليك من خاق فكيف
 من لم يخلق فقال صور والى في
 الطين حتى انى لا عرف بالانسان
 منهم من أهدكم بصاحبه ورواء عن
 محمد بن عثمان بن ابي شعبة عن
 عتبة بن مكرم عن يونس بن بكير
 عن زياد بن المنذر عن ابي الطليل
 عن حذيفة بن أسيد بن شحوه وقوله
 واكمل امة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 قال مجاهد يعنى يوم القيامة قضى
 بينهم بالله القسط الآية كقولهم تعالى
 وأشرق الارض بنور ربها الآية
 فكل أمة تعرض على الله بمحضرة
 رسوله او كتاب اعلاه من خير بشر
 موضوع شاهد عليهم وحفظهم
 من الملائكة شهداء أيضا أمة بعد
 أمة وهذه الامة الشريفة وان
 كانت آخر الامم في الخلق الا انها
 أول الامم يوم القيامة بفضلهم

وبعضهم بينهم كما جافى الصديقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة
 المقضى لهم قبل الخلائق فامة انما حازت لقب السابق بشرف رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم الدين (ويقولون متى
 هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لكم شيئا من ان لا تنفوا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة
 ولا يستقدمون قل أرايتم انما كنتم عذابي بيانا وأنهم اراماذا يستجمل منه المجرمون أنهم اذا ما وقع آمنتم به الا ان وقد كنتم به
 تجهلون ثم قبل للذين ظلموا وادعوا عذاب النار اهل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يقول تعالى مخبرا عن كفر هؤلاء المشركين

في استجبالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين مما لا فائدة لهم فيه كقوله يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق أي كائنة لا محالة وواقعة وإن لم تعلموا وقتها عنا ولهذا ارشد تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم فقال قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا بآية أي لأقول إلا ما علمني ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني عليه فإنا عبده ورسوله اليكم وقد أخبرتكم بعبي الساعة وإنها كائنة ولم يطلعني على وقتها ولكن لكل أمة أجل أي لكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (١١٩) كقوله وإن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها الآية

ثم أخبر أن عذاب الله سيأتيهم بغنة فقال قل أرايتم أن أنا تم عذابه بيانا أو نهارا أي ليلا أو نهارا ماذا يستعمل منه الخرمون أنتم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون يعني أنكم إذا جاءهم العذاب قالوا ربنا أبصرنا وسمعنا الآية وقال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا الآن بالله وحده وكذبنا عما كنا مشركين فلم يكن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد أي يوم القيامة يقال لهم هذاتكم كيئاتكم تقر بها كقوله يوم يدعون إلى نار جهنم ثم دع هذه النار التي كنتم بها تكذبون فبصرها هذاتكم لا تبصرون أصلوها فاسمروا أولانصبروا سواء عليكم أن تنحزنوا ما كنتم تعلمون (وبتنبؤك أحق هو قل أي وربي أنه الحق وما أنتم بحجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لاقتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ونفى عنهم بالقسط وهم لا يظلمون) يقول تعالى ويستخبرونك أحق هو أي المعاد

حتى صارت قطعا متفرقة من خشية الله عند قراءته وجعلت أنهارا أو عيوننا (أوكم به الموقى) أي صاروا أحياء بقرانه عليهم فمكثوا يفهمونه عند تكليمهم به كما يفهمه الأحياء وقد اختلف في جواب لو فقبل لكان هذا القرآن وقبل لكفر وبالرحن أي لو فعل بهم هذا وقيل لما آمنوا كما سبق في قوله وما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله وقيل التقدير وهم يكفرون بالرحن لو أن قرأنا الخ وكثيرا ما تحذف العرب جواب لو إذا دل عليه سياق الكلام وتذكير كأم خاصة دون التعليل قبله لأن الموقى تشبه على المذكر الحسني والتعليب له فكان حذف التاء أحسن والجبيل والأرض إيتا كذلك قاله الكرخي قال ابن عباس قالوا للأنبي صلى الله عليه وآله وسلم إن كان كما تقول فأرنا أشياخنا الأول من الموقى نكلمهم وافصح لنا هذه الجبال فترأت هذه الآية وعن عطية العوفي قال قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لو سيرت لنا جبيل مكة حتى تتسع فصرث فيها وأقطعت لنا الأرض كما كان ساميان عليه السلام يقطع لقومه بالربيع وأوحيت لنا الموقى كما كان يحيى عيسى الموقى لقومه فأرسل الله هذه الآية (بل الله الأمر جبرها) أي لو أن قرأنا فعل به ذلك لكان هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن فلو شاء أن يؤمنوا لا آمنوا وإذا لم يشأ أن يؤمنوا لم ينفع نسيير الجبال وسائر ما اقترحوه من الآيات فالأشرب متوجه إلى ما يؤدي إليه كون الأمر لله سبحانه وبستهزمه من توقف الأمر على ما تقتضيه حكمته ومشيئته ويدل على أن هذا هو المعنى المراد من ذلك قوله (أفلم يأس الذين آمنوا) قال الكلبي يعني ألم يعلموهي لغة الضع قال في الصحاح وقيل هي لغة هوازن وبهذا قال جماعة من السلف قال أبو عبيدة أفلم يعلموا ويتبينوا قال الزجاج وهو مجاز لأن اليأس من الشيء مما يانه لا يكون نظيره استعجال الرجاء في معنى الخوف واليأسان في التردد لتفهم ما بالهما وقرأ جماعة من الصحابة والتابعين أفلم يتبين بطريق التفسير فمعنى الآية على هذا أفلم يعلموا (إن) أي أنه (لو يشاء الله هدى الناس جميعا) من غير أن يشاهدوا الآيات ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق المشيئة بأهتدائهم وكلمة لو تفسيرا لتأنيدي الشيء لا تنفاء غيره والمعنى أنه تعالى لم يهد جميع الناس لعدم مشيئته لذلك وقيل إن اليأس على معناه الحقيقي أي أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار لهم إن الله تعالى لو أراد هدايتهم هداهم لأن المؤمنين تنوارزول الآيات التي

والقيامة من الأجداث بعد صيرة الأجسام ترابا قل أي وربي أنه خلق وما أنتم بحجزين أي ليس صبر ورسكم ترابا معجز الله عن أعادتكم كما بدأكم من العدم فأنما قوله إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيات أخرى بأن يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكرك المعاد في سورة سبا وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بل وربي لتأتينكم وفي التغابن زعم الذين كفروا أن لن يعنوا قل بل وربي لتبعنن بما علمت وذلك على الله يسير ثم أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يود الكفار لو اقتدى من عذاب الله بعمل الأرض ذهبوا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ونفى عنهم بالقسط أي بالحق وهم لا يظلمون (الآن الله

ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون) يخبر تعالى انه مالك السموات والارض وان وعده حق **ص** كائن لا محالة وانه يحيى ويميت واليه مرجعهم وان الفادر على ذلك العظيم بما تفرق من الاجسام وتفرق في سائر اقطار الارض والبحار والقفار (يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وادعهم بما يجتمعون) يقول تعالى مختصا على خلقه بما انزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم يا ايها الناس (١٤٠) قد جاءكم موعظة من ربكم أي زاجر عن الفواحش وشفاء لما في الصدور أي من الشبهة والشكوك وهو

ازالة ما فيها من رجس ودنس وهدى ورحمة أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى وانما ذلك للمؤمنين والمصدقين المؤمنين بنفسه كقوله تعالى وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء الآية وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجتمعون أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا فانه أولى ما يفرحون به هو خير مما يجتمعون أي من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة النائية الداهية لا محالة كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره هذه الآية وذكر بسنده عن يثية بن الوليد عن صفوان بن عمرو سمعت أبا عبد الله الكلبي يقول لما قدم خراج العراق الى عمر رضي الله عنه خرج عمر ومولى له فجعل عمر يمد الابل فاذا هي اكثر من ذلك فجعل عمر يقول الحمد لله تعالى قل بفضل الله وبرحمته ويقول مولاه هذا والله من فضل الله وبرحمته

افترحها الكفار طمعا في ايمانهم قال ابن عباس لا يصنع من ذلك الامانة ولم يكن لينفع وقال عباس يعلم عن ابن زيد نحوه وعن اي العالمة قد ينس الذين آمنوا ان يهدوا ولو شاء الهدى الناس جميعا وفيه دلالة على ان الله لم يشأ عذابا لجميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم عاصفة فاعارة) هذا وعيد للكفار على العموم ولكفار مكة على الخصوص أي لا يزال تصيبهم بسبب ما صنعوا من الكفر والتكذيب للرسول والاعمال الخبيثة الداهية تنفخهم وتملكهم وتشتت اصلهم يقال قرعه الامر اذا اصابه والجمع فوارع والاصول في القرع الضرب والقارعة الشديدة من شدائد الدهر وهي الداهية والمعنى ان الكفار لا يزالون كذلك حتى تصيبهم نازلة وداهية مهلكة من قتل أو أسر أو جذب أو حرب أو نحو ذلك من العذاب وقد قيل ان القارعة النكبة وقيل الطلائع والسرابا قاله ابن عباس ولا يخفى ان القارعة تطلق على ما هو اعلم من ذلك (وتحل) القارعة (قريسا من دارهم) فينزعون منها وبناهدون من آثارها ما تزحف له فلوهم وترعد منه بوا درهم وقيل ان الضمير في تحل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أو تحل أنت يا محمد ممكنا قريسا من دارهم محاسنهم أخذوا عذابهم كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم لاهل النائف والاول أبى وأظهر (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم اوقيام الساعة عليهم فانه اذا جاء وعد الله المحتوم وحل بهم من عذابه ما هو الغاية في الشدة وقيل المراد بوعد الله هنا الاذن منه بتنازل الكفار والنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه قد رآه وقال ابن عباس فتح مكة وكان في الثامنة ورجع في العاشرة ولم يحج غيرها والاول أولى (ان الله لا يخلف الميعاد) فما جرى به وعده فهو كائن لا محالة (ولقد استهزى برسل) التكبير للتكثير أي برسل كثيرة (من قبلك) كما استهزى برك و هذا الآية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم (فامليت للذين كفروا) الاملاء الامهال مدة طويلة من الزمان في دعة وأمن وقد مر تحشيفه في آل عمران (ثم أخذتهم) في الدنيا بالعذاب الذي ارادهم من من النعاط والقتل والاسرو في الآخرة بالنار (فكيف كان عذاب الاستغاث) الاستغاث للتقريع والتعذيب فكيف كان عذابهم لهؤلاء الكفار الذين استهزؤا بالرسل فامليت لهم ثم أخذتهم هل كان ظمأ لهم أو كان عذابي هو واقع موقعه فكذلك أفعل عن استهزائهم ثم استغاثهم سبحانه استغاثا آخر للتوبيخ والتقريع مجرى

فقال من كذب ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته الآية وهذا مما يجتمعون وقد أسنده مجرى الخياط أبو القاسم الطبراني في خبره عن أي زهرة الدمشقي عن حيوة بن شريح عن يثية فذكره (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحراما ولا قل الله أن لكم أم على الله تفترون وما طغى الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لهو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون) قال ابن عباس ومجاهد والفضالة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم زلت انكارا على المشركين فيما كانوا يعملون ويحرمون من البعائر والسوايب والوصايل كقوله تعالى وجعلوا لله محاذرا من الضحى والانهام

نصيها الآيات وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أي الحق سمعت أبا الأحوس وهو عوف بن مالك بن أنس - أنه
يحدث عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما رث الهيئة فقال هل لك مال قلت نعم قال من أي المال قال قلت
من كل المال من الأبل والرقيق والخيل والغنم فقال إذا آتاك الله مالا فلاير عليه وقال هل تنهب الباك صحابا آذانهما فتمعه مالى موسى
فمقطوع آذانهما فاقول هذا بحرو وشق جلودها وتقول هذه صرهم ربحرهما عليك وعلى أشك قال نعم قال فانما آتاك الله لك - حل
ساعد الله أشرك من ساعدك وموسى الله أحد من - وسالوا كرمهم الحديث (١٢١) ثم رواه عن سفيان بن عيينة عن أبي الزعراء

عزروا بن عمرو عن عمه أبي الاوص
وعن بهز بن أسد عن حماد بن سلمة
عن عبد الملك بن عيسى عن أبي
الاوص به وهذا حديث جيد
قوى الاسناد وقد أنكر الله تعالى
على من حرم ما حلال أو حلال
ما حرم بغير دلالة وآراء والاهواء
التي لا تمتد لها ولا دليل عليها ثم
نوعدهم على ذلك يوم القيامة فقال
وما ظن الذين يشتركون على الله
الكذب يوم القيامة أي ما ظنهم
أن يمنعهم يوم مرجعهم البنا
يوم القيامة فقل ان الله لذو فضل
على الناس قال ابن جرير في تركه
معاجلتهم بالعتوبة في الدنيا قلت
ويحتمل ان يكون المراد لذو فضل
على الناس فيما أباح لهم مما خلقه
من المنافع في الدنيا ولم يحرم عليهم
الاماه وضار لهم في دنياهم أو دينهم
ولكن أكثرهم لا يشكرون بل
يحسروا وما أنتم الله به عليهم
ويضيئون على أنفسهم فيجعلون
بعضا حلالا وبعضا حراما وهذا
قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه
لأنفسهم وأهل الكتاب فيما
ابتدعوه في دينهم وقال ابن أبي

مجري الحجاج للكفار واستمر كالصنعة والازراء عليهم - ثم يقال (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) القائم الخفي - فوالمتولى للامور وأراد - سبحانه - أنه فأنه المتولى لأمور خلقه المدبر لآحواله - ثم بالآجال والارزاق واحصاء الاعمال على كل نفس من الانفس كائنة ما كانت والجواب محذوف أى أفمن هو بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة من معبوداتكم التي لا تنفع ولا تضر قل انقرا كانت في المعنى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشركاؤهم الذين اتخذوهم من دون الله والمراد من الآية انكار المعاملة بينهم ما وقيل المراد بالقائم الملازمة الموكلون بيني آدم والاول اولى وبه قال ابن عباس وقال عطاء الله قائم بالنسب والعدل على كل نفس (وقد جعلوا لله شركاء) استئناف وهو الظاهر بجى به للدلالة على الخبر المحذوف كما تقدم وقيل الواو للعالا وقيم الظاهر - تمام المنضم تقرير اللاهية وتصر يحاجها وقيل عطف على استمرزى أى ولقد استمرزوا وجعلوا وقال أبو البقاء معطوف على كسبت أى وجعلهم لله شركاء والاول اولى (قل - هوهم) أى عينوا حقيقة منهم من أى جنس ومن أى نوع أى وما - هوهم وفى عدايتكم بهم وتوحيج لانه انما يقال هكذا فى الشئ المسمى فحشر الذى لا يسمى - حتى أن يثبت اليه فيقال - هوهم ان شئت يعنى انه أحقر من ان يسمى وقيل ان المعنى صنوعهم ويبنوا أو صانعوهم - عما - تحتون ويستأهلون به ثم انظر واهل هى أهل لان تهم بدو قيل المعنى - هوهم بالآهية كما ترعون فيكون الشرك ديدانهم (أم تنبئونه) أى بل أنبئوا الله (بما لا يعلم فى الارض) من الشركاء الذين تعبدونهم مع كونه العالم بما فى السموات والارض وانما خسر الارض بنى الشريك عنما وان لم يكن له شريك فى غير الارض بضالانهم ادعوا له شركاء فيها (أم) أى بل أنسموهم شركاء (بظواهر من القول) من غير ان يكون له حقيقة كسمية الزنجى كافورا وقيل المعنى قل لهم أن تنبئوا الله بياطين لا يعلم أم بظاهر يعلمه فان قالوا بياطين لا يعلمه فتدجوا به عوى باطلة وان قالوا بظاهر يعلمه فقل لهم - هوهم فاذا هو اللات والعزى ونحوه - ما فعل لهم ان الله لا يعلم الله - شركاء وكما قيل المعنى أم يرأى من القول باطل فانه مجاهد وقيل يكذب من القول وقيل قل باطل لا - تنبئونه فى الباطن وقيل المعنى بجملة من القول ظاهرة على زعمهم - قال القاضي فى هذه الآية - حجاج بليغ مبنى على قدون من علم البيان أولها أفمن هو قائم الخ - حجاج عليهم - وتوحيج لهم على القياس

(١٦ فتح البيان خامس) حاتم في نفسه - بر هذه الآية - دشنا في - دشنا - دين أبي الحواري - دشنا رباح - دشنا عبد الله ابن سليمان - دشنا. وبي من الصباح في قوله عز وجل ان الله وفء - ل على الناس قال اذا كان يوم القيامة يؤتى باهل ولاية الله عز وجل فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة اصناف فيؤتى برجل من الصنف الاول: يقول عبيدي لماذا عملت فيقول يا رب خلقت الجنة وانصارتها ونملها وانهارها وحورها ونعيمها وما اعدت لاهل طاعتك فيها فاسهرت ابلي وانطمت نهاري شوقا اليها طال فية ول الله تعالى عبيدي انما عملت الجنة ههنا الجنة فادخلها ومن فضلي عليك قد اعتقك من النار ومن فضلي عليك ان

أدخلك جنتي فيدخل هو ومن معه الجنة قال ثم يوثق برجل من الصنف الثاني فيقول عبدى لماذا علمت فيقول يا رب خلقت ناراً وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها وما أعددت لأعدائك وأهل عصيتك فيها قال هرت لبلى وأظلمات نهارى خوقامتها فيقول عبدى انما علمت ذلك خوفاً من نارى فأتى قد اعتقك من النار ومن فضلى عليك ان أدخلك جنتى فيدخل هو ومن معه الجنة ثم يوثق برجل من الصنف الثالث فيقول عبدى لماذا علمت فيقول رب جبالك وشوقاك واليك وعزتك لقد أهـرت لبلى وأظلمات نهارى شوقاك واليك وبالک فيقول (١٢٢) تبارك وتعالى عبدى انما علمت جبالى وشوقالى فيتعجل له الرب جل جلاله

ويقول ها أنا ذا فأتلرالى ثم يقول من فضلى عليك ان أعتقك من النار وأبصرك جنتى وأزيرك ملائكتى وأسلم عليك بنفسى فيدخل هو ومن معه الجنة (وما تكون في شأن وما تتلوه من القرآن ولأنه لو لم يكن من عمل الاكتاف عليكم شيء هوذا الذين يصفون فيه وما به ضرب عن ربك من منقالت ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) يخبر تعالى اسمه صلى الله عليه وسلم انه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع المخلوقات في كل ساعة وآن ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره منقالت ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الارض ولا أصغر منها ولا أكبر الا في كتاب مبين كقوله وعندده مفاتيح الغيب لا يعلم الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما ننط من رفة لا يعلم الا بحية في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين فاخبر تعالى انه يعلم حركة الانهار وغيرها من الجسادات وكذلك الدواب السارحة

الفاصل للقد الجاهل بالجماعة عليها فانها وجعلوا لله شركاء وفيه وضع المظهر موضع المضمر للتنبه على انهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشركه شيء في اسمه ثالثا قل سموهم أي تسمواهم سموهم فقولوا فلان وفلان فهو انكار لوجودها على وجه برهاني كما تقول ان كان الذي تدعيه موجودا فسمه لان المراد بالاسم العلم رابعها أم تنبؤونه بما لا يعلم احتجاج من باب نفي الشيء المعنى المعلوم حتى لا يزعم وهو العلم وهو كناية خامها أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج ولهـ مزقنا تقرير لبعثهم على التفكير المعنى تقولون يا هؤلاءكم من غير روية وإنما الباطل فتذكروا فيه لتقفوا على بطلانه سادسها التدريج في كل من الاضرابات على السلف وجه وحيث كانت الآية مشقة على هذه الاساليب البدعية مع اختصارها كان الاحتجاج المذکور مناديا على نفسه بالايجاز وأنه ليس من كلام البشر انتهى (بل) اشرب عن شاجتهـ بالكلية فكانت قيل دع ذا فانه لا فائدة فيه لانه (زين للذين كفروا) قرأ ابن عباس زين على البنية لتفاعل على ان الذي زين لهم ذلك هو (مكرهم) وقرأ غيره على البناء للمنهول والمزين هو الله سبحانه أو الشيطان بالقوة الواسطة ويجوز ان يسمى المكركر الان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان كفرا وامعـ ما عدا الحق فيقول الكيد والتوبة بالاباطيل أي كيدهم للاسلام بشر لهم (وصعدوا عن السيل) أي صدعهم الله أو صدعهم الشيطان وقرئ بالبناء لتفاعل أي صدعوا غيرهم عن الايمان قراءتان سبعيتان وقد يستعمل صدلا زما بمعنى أعرض (ومن يصل الله) أي يجعله ضاللا ويقتضي مشيئة اضلاله (فقاله من هاد) يهديه الى الحق وقرأ الجمهور هاد من دون اثبات الياء على اللغة الكثيرة النصبية وقرئ بالياء على اللغة القليلة واما سبعيتان ثم بين سبحانه ما به قصده فانه فقال (لهم عذاب في الحياة الدنيا) عذابا يوجبون به من القتل والاسر وأنواع المحن (وعذاب الآخرة أشق) عليهم من عذاب الحياة الدنيا أشدوا غلظا لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدة محابيكاد يصدع القلب مرشدة فهو من الشق الذي هو الصدع (ومالهم من الله من واد) يقيم عذابا ولا عاصم يعصمهم منه ثم لما ذكر سبحانه ما به قصفه الكفار من العذاب في الآخرة والآخرى ذكر ما عاصمه المؤمنين فضل (مثل الجنة) أي صفتها الهيبة لسان التي هي في لغزابة كمثل قال ابن قتيبة المثل النسبة في أصل اللغة ثم قد

في قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امنا لكم الآية وقال تعالى وما من دابة في الارض بصير الا على الله رزقها الآية واذا كان هذا علمه بحركات هذه الاشياء فكيف بحركات المكلفين الامورين بالعبادة كما قال تعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يرزقهم ويضرب في الساجدين ويهدى اهل تعالى وما تكون في شأن وما تتلوه من قرآن ولا تعملون من عمل الا اعلمكم ثم هوذا الذين يصفون فيه أي اذا أخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راؤون سامعون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما سأل جبريل عن الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فمن لم تكن زامقا لله برالك (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الذين آمنوا وكانوا يتقون اهـم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) يخبر تعالى ان أولياءهم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم فكل من كان تقيا كان لله وليا فلا خوف عليهم م أى فيما يأتى مستقبله من الآخرة ولا هم يحزنون على ما وراءهم في الدنيا وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف وأولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله وقدره هذا في حديث مرفوع كما قال البزار حدثنا علي بن حرب الرازي حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا بهتوب بن عبد الله الأشجري وهو القمي عن جعفر بن أبي المعير عن سعيد بن حبيب (١٢٢) عن ابن عباس قال قال رجل لى رسول الله

من أولياء الله قال الذين إذا رأوا ذكر الله ثم قال البزار وقد روى عن سعيد بن مسعود عن ابن جبرير حدثنا أبو هشام الرافعي حدثنا أبو فضيل حدثنا أي عن عمارة ابن القعقاع عن أي زرعة بن عمرو ابن جبرير التيمي عن أي هريزة بنى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يعطيهم المنياء والشهادة قيل من هم رسول الله الله انهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا نحن الخاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قدرنا الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم رآه أيضا أبو داود ومن حديث جبرير عن عثمان بن القعقاع عن أي زرعة بن عمرو بن جبرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمنه وهذا أيضا ما وجدناه منقطع بين أي زرعة وعمر بن الخطاب والله أعلم وفي حديث الامام أحمد عن أي النضر عن

بصير بمعنى صورة الشيء وصفته يقال مثا لك كذا أي صورته ووصفته فارادنا بمنزل الجنة صورته ووصفته او جريان الانهار من تحتها كما تفسر للمثل قال سيديويه ونظيره فيما قصنا عليك منزل الجنة وقال انشراء المنزل مقعما لنا كيدوا والمعنى الجنة (التي وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار) والعرب تعمل ذلك كثيرا وقال الخليل وغيره ان منزل الجنة مبتدأ والخبر تجرى وقال الزجاج التثنية للغائب بالشاهد ومعناه منزل الجنة الجنة تجرى من تحتها الانهار وقال عكرمة نعت الجنة ليس الجنة منزل وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله (أكلها) أي ما ياكل فيها (دائم) أي لا ينقطع مع أولياءه النبي ومنه قوله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابراهيم التيمي لما تهم ادانته في أفواههم وقيل دائم بحسب نوعه فكل شيء كل يتجدد غيره لا يحسب شخصه اذ عين الماء كقول لا ترجع (وظلها) كذلك دائم لا يتخلص ولا ينسخه الشمس لانه ليس في الجنة شمس ولا قمر ولا نهار بل ظل عمود لا ينقطع ولا يبرول وفي الآية رد على جهوم وأصحاب قائم يقولون ان نعم الجنة ينفي وينقطع وفيها دليل على ان حركات أهل الجنة لا تنهي الى سكون دائم كما يقول أبو الهذيل واستدل عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على ان الجنة لم تتعلق بعد ورده قوله تعالى أعدت للمتقين الى غير ذلك من الآيات والأخبار الصحيحة (قلت) الجنة الموصوفة بالصفات المتقدمة وهو مبتدأ خبره (عقبي) أي عاقبة (الذين اتقوا) المعاصي أي ما آثم ومنتهى أمرهم (وعسى الكافرين النار) ليس لهم عاقبة ولا منتهى الا ذلك (والذين آمنوا هم الكتاب) أي التوراة والإنجيل (يترحمون على أولئك) بالكتاب وهم أهل الكتابين مطلقا ومن أسلم منهم لم يكون ذلك موافقا لما في كتبهم مصدقا له وعلى الأخير يكون المراد بقوله (ومن الأحزاب من ينكث بعهده) من لم يسلم من اليهود والنصارى وعن الأول يكون المراد به المشركين من أهل مكة ومن عابثهم أو يكون المراد به بعض أهل الكتابين أي من أحزابهم ما قاتلهم أنكروا لما أشغل عليه من كونه ناصرا فكانت أفعالهم فيسوجه فرح من فرح به منهم الى ما هو موافق لما في الكتابين وانكار من أنكر منهم م الى ما خالفه ما وقيل المراد بالكتاب القرآن والمراد به بفرح به الملحون والمراد بالأحزاب المتعززون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين واليهود والنصارى والمراد بالعض الذي أنكروه ما خالف ما يعتقدونه على

عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشجري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من أقسام الناس وبوازع الشياطين قوم لم يتصل بينهم رسوم متشاربة تحابوا في الله وتضافوا في الله يذبح الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ينزع الناس ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والحديث مطول وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعشى عن ذكوان بن أي صالح عن رجل عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لهم البشرى في الآخرة قال الرؤيا السالفة يراها المسلم أو ترى له وقال ابن جبرير

حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هي الرواية الصالحة براها الرجل المسلم أو ترى له بشره في الحياة الدنيا وبشره في الآخرة ثم روى ابن جرير عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر فهو ما تقدم ثم قال بن جرير حدثني المثنى (١٢٤) حدثني الحجاج بن منهال حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي

صالح قال سمعت أبا الدرداء يقول سئل عن الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فذكر فهو سواء وقال الإمام أحمد - حدثنا عفان - حدثنا أبو أنس - حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن عباد بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي أو أحد قبلك فقلت الرواية الصالحة براها الرجل أو ترى له وكذا روى أبو داود الطيالسي عن عمران الشيطان عن يحيى بن أي كثير ورواه الأوزاعي عن يحيى بن أي كثير به فذكره ورواه علي بن الحارث عن يحيى عن أبي سلمة قال ثنا عن عباد بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وذكره وقال ابن جرير حدثني أبو جعفر الحصري - حدثنا يحيى بن سعيد - حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الحميد - (١) عن جندب بن عبد الله المزني قال أتى رجل عباد بن الصامت فقال آية في كتاب الله سألت عنها قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال عباد بن الصامت ما سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي أو أحد قبلك فقلت الرواية الصالحة براها الرجل أو ترى له وكذا روى أبو داود الطيالسي عن عمران الشيطان عن يحيى بن أي كثير ورواه الأوزاعي عن يحيى بن أي كثير به فذكره ورواه علي بن الحارث عن يحيى عن أبي سلمة قال ثنا عن عباد بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وذكره وقال ابن جرير حدثني أبو جعفر الحصري - حدثنا يحيى بن سعيد - حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الحميد - (١) عن جندب بن عبد الله المزني قال أتى رجل عباد بن الصامت فقال آية في كتاب الله سألت عنها قول

استدلوا بغير ما جئناهم به وأعرضوا على هذا بان فرح المسلمون بقول القرآن معلوم فلا فائدة في ذكره راجب عنه بيان المراد زيادة في الفرح والاحتفاء بما يقبدهم من الأحكام والوجوب والنبوة والخير بعد الموت وقال كثير من المفسرين إن عبد الله بن سلام والذين آمنوا ممن أهدى الكتاب سبيلهم فذكر الرجل في القرآن مع كثرة ذكره في الزوراة فأنزل الله قبل ادعوا الله وأعوذوا بالكتاب سبيلهم فذكر الرجل في القرآن مع كثرة ذكره في أولئك الأحزاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرحوا بآيات الله وصدقوا به وبرسوله ولا حزاب اليهود والنصارى والمجوس وقال ابن زيد هو لا من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب يشرحون به لك ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ثم لما بين ما يحصل بقول القرآن من الترحيب للبعث والذكور للبعث صرح بما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن يقول لهم ذلك فقال (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وحده (ولا أشرك به) يوم من الوجوه أي قل لهم يا محمد بذلك الزاما للعبادة وردا للأنكار إنما أمرت فيما أمرت إلى عبادة الله وتوحيده وهذا أمر اتفقت عليه الشرائع واتفاق على عدم أنكار جميع الملل المقديية بالرسول (آية) أي إلى الله لا إلى غيره (ادعوا) أو إلى ما أمرت به وهو عبادة الله وحده والاول أولى لقوله (والله ماب) فإن التعمير لله سبحانه أي الله وحده لا إلى غيره مر جى يوم القيامة للعبادة لغيره فذكره مصير على عبد الله ذكر بعض فصول القرآن ووعد على الأعراس عن اتباعه مع التعمير لرد ما ذكره من اشتغاله على نسخ بعض شرائعهم فقال (وكذلك) الانزال إلى دبيع (أولئك) أي القرآن مشتق على أصول الشرائع وفروعها وقيل المعنى وكما أنزلنا الكتاب على (رسول بلغناهم) ولأنهم كذلك تركوا عبادت القرآن بلسان العرب (حكم عربيا) يريد بالحكم ما فيه من الأحكام والنقض والأحكام والبرام وأنزلنا محكمة عربية مترجمة بلسان العرب ولما أرسل عليهم فهمها وخطها، حكمهم بين الناس فيما يقع لهم من الحوادث الشرعية وإن خالفت ما في الكتاب الذبغة إذا يجب عليه أن يوافق الشرائع (ولئن) اللام هي الوعظ للقسيم (انبعثوا معهم) التي يطلبون منها واقفتهم عليها كذا فيهم أرادت على التوجه إلى قلوبهم وعدم مخالفتهم شي مما يعقدونه (بعد ما جاءك من العلم) الذي علم الله إياه (مالك) سادس - جواب القسم والشرط (من الله)

الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال عباد بن الصامت ما سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي أو أحد قبلك فقلت الرواية الصالحة براها الرجل أو ترى له ثم روى ابن جرير عن جندب بن عبد الله المزني قال أتى رجل عباد بن الصامت فقال آية في كتاب الله سألت عنها قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال عباد بن الصامت ما سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي أو أحد قبلك فقلت الرواية الصالحة براها الرجل أو ترى له وكذا روى أبو داود الطيالسي عن عمران الشيطان عن يحيى بن أي كثير ورواه الأوزاعي عن يحيى بن أي كثير به فذكره ورواه علي بن الحارث عن يحيى عن أبي سلمة قال ثنا عن عباد بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وذكره وقال ابن جرير حدثني أبو جعفر الحصري - حدثنا يحيى بن سعيد - حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الحميد - (١) عن جندب بن عبد الله المزني قال أتى رجل عباد بن الصامت فقال آية في كتاب الله سألت عنها قول

(١) قوله الاحوي كذا بالاصل الذي يابدين وحرراه

الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه وينتظرون عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تالله حاجل بشرى المؤمن رواه مسلم وقال أحدنا أحسن بعني الأشيب حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال زوايا الصالحة يبشرها المؤمن من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة فمن رأى في نفسه من رأى سوى ذلك فأنما هو من الشيطان لا من الله فلينبذ عنه يساره ثلاثاً وليكبر ولا يجبرهم أحد المخرجون وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا (١٢٥) ابن وهب حدثني عمرو بن الحارث أن دراجاً ثانياً

الدمع حدثني عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرويا الصالحة يبشرها المؤمن من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة وقال أيضاً ابن جرير حدثني محمد بن حاتم المؤدب - حدثنا عمار بن محمد حدثنا الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي في الآخرة قال في الدنيا الرويا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي في الآخرة الجنة ثم رواه عن أبي كريب عن أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال الرويا الصالحة يبشرها المؤمن من تسعة وأربعين جزءاً من النبوة

أى من جنابه (من روى) بلى أمرك وينصرك (ولا وفاق) يشك من عذابه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرض لآلته لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدراً وعلى رتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دون بطريق الأولى (وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل الذين أرسلناهم من جنس البشر لهم أزواج من النساء ولهم ذرية نولدوا منهم ومن أزواجهم ولم نرسل الرسل من الملائكة الذين لا يتزوجون ولا يكون لهم ذرية وفي هذا رد على من كان يشكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأله وسلم تزوجهم بالآية أى إن هذا شأن رسل الله المرسلين قبل هذا الرسول فبأبائكم تتكبرون عليه ما كانوا عليه فإنه قد كان لآلهم ثمانية امرأة وسبعة مائة مائة فلم يدرج ذلك في نبوته وكان لا يبعد أو دمانه امرأة وكانوا يذكرون ويأكلون ويشربون فكيف يجعل هذا قادحاً في نبوته وعن الحسن عن حمزة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التمثيل أخرجه ابن ماجه والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وعن سعد بن هشام قال دخلت على عائشة وقلت انى أريد أن أتقبل قالت لا تفعل أما سمعت الله يقول ولقد أرسلنا رسلاً آية أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وقد ورد في النهى عن التمثيل والترغيب في السكاح ما عووه معروف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعة أولاد أربع بنات وثلاثة ذكور وكانوا في الترتيب في الولادة هكذا النساء ثم فزيت فرقة فقام كأنهم فعد الله وياقظ بالطيب والله هرفاراهم وكلامهم من خديجة لآلهم من مارية القبطية وماتوا جميعاً في حبال الأفاطمة فمشت بعد ستة أشهر (وما كان) أى لم يكن (لرسول) من الرسل (ان يأتى بآية) من الآيات (الآيات الله) سبحانه فإن شاء أظهر وإن شاء لم يظهرها وليس ذلك الى الرسول لأن الرسل مرئون رسته ورون ومغلوبون محكوم عليهم من تصرف فيهم بتدبير أمرهم (الكل أجل كتاب) أى لى أمر قضاء الله ولكل وقت من الاوقات التى قضى الله بوقوع أمر فيها كذب الله بكتبه على عباده ويحكم به فيهم وقال الشرافية - ته تقدروا خير والمعنى لكل كتاب أجل أى لكل أمر كسبه الله أجل مؤجل ووقت معلوم كقول الله سبحانه لكل نبيام - تقربوا إلى الله على الهدى والكفاير وانفروا منهم بل على حسب ما يثبتوا الله وبجنته وفيه رد لآلته سبحانه -م الاجل والاعمار والبيان المعجزات والعذاب فقد كان

جلاد الله ولاى حدثنا - فبيان عن عيسى بن أبي يزيد عن أبيه عن - سباع بن ثابت عن أم كبر الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت البشائر وهكذا روى عن ابن - مودود وأبي هريرة وابن عباس وبجاهد وعروة ابن الزبير وبجزي بن أبي كثير وإبراهيم الخفي وعاصم بن أي رباح وغيرهم أنهم فسر ذلك بالرويا الصالحة وقيل المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتسارها بالجنة والمغفرة كقوله تعالى ان الذين قاتلوا معنا لعلنا الله ثم استقاموا وانتزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قل لهم فيها ما تنسبون

انفسكم ولكم فيها ما تدعون من غفور رحيم وفي حديث البراء رضى الله عنه ان المؤمن اذا حضر الموت جاءه ملائكة
بيض الوجوه بيض الثياب فقالوا اخرجي ايتها الروح الطيبة الى روح وربك وبجنان ورب غير غضبان فتخرج من فيه كما تسيل القطرة
من قم السقاء وأما بشرهم في الآخرة كما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الا كبروتنا فاعلم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم تدعون
وقال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم وقوله لا تبدل (١٢٧) الكلمات الله أى هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير بل هو مقرر مثبت

يخوفهم بذلك فاستمعوا له عند افراده الله عليهم ذلك المراد بالاجل هنا ازمة الموجودات
فكل مو - ودر زمان يوجد فيه محدود لا يراى عليه ولا ينقص والمراد بالكتاب صحف
الملائكة التى تنسخها من اللوح المحفوظ والروح نفسه (يعو والله ما يشاء ويثبت) أى يعو
من ذلك الكتاب ويثبت ما يشاء منه يقال محوت الكتاب محو اذا ذهبت أثره قرئ مخفنا
ومثله عن سجاد قال قالت قريش حين ازل هذه الآية ما تر النيا محمد تلك من شئ
ولقد فرغ الامر فارتأت هذه الآية تخويلناهم ووعد لهم اى انا ان شئنا احداثه من
امر ناما شئنا ويحدث الله فى كل زمان فيعوم ما يشاء ويثبت من ارزاق الناس ومصائبهم
وما به ملايم وما به ينقسم لهم وقال ابن عباس يفرل الله فى كل شهر رمضان الى سماء الدنيا فير
أمر السنة الى السنة فيعوم ما يشاء ويثبت الا الشدة وقوة السعادة والحياة والموت وعنه
قال هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذى
يعو والذى يثبت الرجل يعمل بعصية الله وقد سبق له خير حتى يموت على طاعة الله وقال
أبو داود ما كان يبع الله ما يشاء من أحدهما ويثبت وطاهر النظم القرآنى العموم فى كل
شئ مما فى الكتاب فيعوم ما يشاء من شدة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل
هذا ما يبدل ويحتمل هذا ما كان هذا الا يبدل عما يبدل وعلم بطلان والى هذا ذهب عرب
الخطاب وابن عباس ورواى ابن عباس وابو وائل وقادة والضحاك وابن جريج وغيرهم وقبل
الآية نص بالسعادة والشدة وقيل يعوم ما يشاء من ديوان الخدمة وعوم ما ليس فيه نواب
ولا عذاب ويثبت ما فيه الثواب والعقاب وقيل يعوم ما يشاء من الرزق وقيل من الاجل
وقيل من الشرائع فليست بعصية ولا طاعة وقيل يعوم ما يشاء من ذنوب عباده
ويترك ما يشاء وقيل يعوم ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويترك ما يشاء منها مع عدم التوبة
وقيل يعوم الآيات ويثبت الآيات وقيل يعو الله ويثبت الشمس كقوله فعوم آية الليل
وجعل آية النهار بصره وقيل يعوم ما يشاء من الارواح التى يقبضها حال النوم فيثبت
صاحبها ويثبت ما يشاء فيرده الى صاحبه وقيل يعوم ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء
منها وقيل يعو الدنيا ويثبت الآخرة وقيل غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره والاول اولى كما
يشهد به ما فى قوله ما يشاء من الله - موم مع تقدم ذكر الكتاب فى قوله لكل اجل كتاب ومع
قوله (رعد ام الكتاب) اى جملته الكتاب فانه ابن عباس والمعنى اصله وهو اللوح

كان لا محالة ذلك هو الفوز العظيم
(ولا يحزنك فواهم ان العزلة
جميعا هو السميع العليم الا ان الله
من فى السموات ومن فى الارض
وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركا ان يتبعون الا الظن وان
هم لا يخبرون هو الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصر ان فى ذلك لايات لقوم
يسمعون) يقول تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قول
هؤلاء المشركين واسمع من الله عليهم
وتوكل عليه فان امرة الله جميعا شئ
جميعها له ولرسوله وللمؤمنين هو
السميع العليم أى السميع لقول
عباده العليم باحوالهم ثم اخبر
تعالى ان له ملك السموات والارض
وان المشركين يعدون الاصنام
وهى لا تملك شئ الا شر اولئك اول
دليل لهم على عبادتهم ابل انما يتبعون
فى ذلك طغوتهم وتخرفهم وكذبهم
واقبحهم ثم اخبر الله الذى جعل
لعباده الليل لتسكنوا فيه اى
يسرعون فيه من نصهم وكلاهم
وحركاتهم والله بار بصرا اى

المحفوظ

مضينا لعاشهم وسعهم وأسارهم ومصالحهم ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون هذا
الطبع والادلة فيعذبهم ويؤسسون على عظمة - انها ومقدرها ومسبها (قلوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى
السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان هذا تقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفتخرون على الله الكذب لا يفلحون
مناعى الدنيا انما امر جمعهم ثم شديدهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يقول تعالى منكرا على من ادعى ان له
ولدا سبحانه هو الغنى أى قدس عن ذلك هو الغنى عن كل ما سواه وكل شئ فقير اليه له ما فى السموات وما فى الارض أى فكيف

يكون له ولد مما خلق وكل شيء مملوك له عبده ان عندكم من سلطانهم هذا أي ليس عندكم دليل على ما تقولون من الكذب
والهتان أتقولون على الله ما لا تعلمون أنكار ووعيداً كيد وتهمديد شديد كقوله تعالى وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً الله سبحانه
شياً أذا تكاد السموات يتنظرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ان
كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعددهم عدواً كلهم آتية يوم القيامة فرداً ثم نودى تعالى
الكاذبين عليه المنسترين ممن زعم أنه له ولداً بانهم لم يفتلحون في الدنيا (١٢٧) ولا في الآخرة فأما في الدنيا فانهم اذا

استدبرتهم واملى لهم متعهم
قللاً ثم يضطرهم الى عذاب غليظ
ثم قال تعالى ههنا متاع في الدنيا
اي مدة قريبة ثم البناهم جمعهم
اي يوم القيامة ثم يذيقهم العذاب
الشديد أي الموضع المولم عما كانوا
يكثرون أي بسبب كفرهم
وافترائهم وكذبهم على الله فيما
ادعوه من الافئدة والزور (واتل
عليهم نبأ نوح اذا قال لقومه يا قوم
ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بآيات الله فاعلم اني قد كذبت فاجعوا
أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم
عليكم حملة ثم افضوا الى ولا
تعارفون فان توليتم فبأسأتكم
من اجر ان اجري الاعلى الله
وامرت ان اكون من المبطلين
فكذبوه فنجيتهم ومن معه في الفلك
وجعلناهم خلائف واغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا فافتر كيف
كان عاقبة المنذرين) يقول
تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه
عليه واتل عليهم اي أخبرهم
واقصص عليهم اي على كفار مكة
الذين يكذبونك ويحلفونك بآ
نوح اي خبرهم مع قومه الذين

المحفوظ والام اصل الشيء والعرب تسمى كل ما يجري مجرى الاصل للشيء اماله ومنه ام
الرأس للدماغ وأم القرى لمكة فالمراد من الآية انه يعومها ما يشاء بما في اللوح المحفوظ فيكون
كالعدم ويثبت ما يشاء مما فيه فيجري فيه قضاءه وقدره على حسب ما يقتضيه مشيئته
وهذا لا ينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله جف القلم عما هو كاش وذلك لان
النعو والاثبات هو من جملته ما قضاه الله سبحانه وقيل ان ام الكتاب هو علم الله تعالى بما
خلق وما هو خالق قال ابن عباس ان الله لو حاط محض نظام برته خمسمائة عام من ديرة بيناه له
دفنان من ياقوتة والدفنان لو حاط الله فيه في كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة وعو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
الله ينزل في ثلاث ساعات تبين من الليل فيفتح الذكري في الساعة الاولى منها يظفر الذكر
الذي لا يتغير فيه احد غيره فيجمع الله ما يشاء ويثبت الحديث اخرج الطبراني وابن ابي
شيمه وغيرهما واخرج الطبراني باسناد قال السيوطي ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول يعو الله ما يشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة
والممات وعن ابن عباس قال لا يتنفع احد من القدر والكن الله يعو بالدعاء ما يشاء من
التسديد وقال قيس بن عباد العائش من رجب هو يوم يعو الله فيه ما يشاء وعن عمر بن
الخطاب انه قال وهو بطوف بالبيت اللهم ان كنت كتبت على شجرة أو ذنباً فافحه فانك
تعو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب واجعله سعادة ومغفرة وعن ابن مسعود نحوه وقيل
أم الكتاب الذكري قاله ابن عباس وقد استندت الرافضة على مذهبهم في البدن هذه الآية
وهو انهم يتدشيان بظهوره ان الامر بخلاف ما اعتقدوه وقالوا انه جازع على الله وهو ظاهر
النسادلان علمه سبحانه صفة قديمة أزلية لا يتطرق اليه التغيير والتبديل والنعو والاثبات
من معلوماته الأزلية وليس من البدن في شيء وقد علم ما هو خالق وما خلقه وما هم يعملون
(واما ربك) ما زائدة واصلة وان ترك (بعض الذي نعتهم) به من العذاب في حياتك
كما وعدناهم بذلك بشوا اننا لهم عذاب في الحياة الدنيا وبقولنا ولا يزال الذين كفروا نذيرهم
بما صنعوا قارعة والمراد ربك البعض ما نعتهم قبل موته وجواب الشرط محذوف أي
فذلك شافيتك من أعدائك ودليل على صدقتك (أو توفيتك) أي أو توفيتك قبل اراحتك
لذلك وجوابه أيضاً محذوف أي قد نصبر منك ولالوم عليك وقوله (فانما عليك البلاغ)

كذبوه كيف اهلكهم الله ودمرهم بالعرق اجعين عن آخرهم اي ذرهم ولا ان يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك اذا قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم اي عظم عليكم مقامي أي فيكم بين أظهركم وتذكيري اي كما بات الله أي بجمعهم وبرايتهم
فعلى الله توكلت أي فاني لأبالي ولا أكف عنكم - واه عظم عليكم ولا فاجعوا - واه كبر وشركاءكم أي فاجعوا انتم وشركاءكم
والذين تدعون من دون الله من صنم ووسن ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي ولا تتجمعوا امركم عليكم ملتبساً بل افسدوا
سالككم معي فان كنتم تزعمون انكم محضون فاقضوا الى ولا تنظرون اي ولا تأخرون ساعة واحدة اي مه ما قدرتم فافعلوا فاني

لا ابا لكم ولا اخاف منكم انكم لم تنم على شيء كما قال هوذا لقوم من انبياء الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه
فكذبوني جميعا ثم لا تنظرون اني نوكت على الله ربى وربكم الآية وقوله فان وايتم اي كذبتم وادبرتم عن الطاعة فاسألكم
من اجرائي لم اطلب منكم على نفعي اياكم شيئا ان اجري الا الى الله وامرت ان اكون من المؤمنين اي وانما مثل ما امرت به
من الاسلام لله عز وجل والاسلام هو دين الانبياء جميعا من اولهم الى آخرهم وان تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم كما قال
تعالى لكل جملة منكم شرعة ومنهاجا (١٢٨) قال ابن عباس: بيده وسنة فها نوح يقول وامرت ان اكون من

المؤمنين وقال تعالى عن ابراهيم
الخليل اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ووسنى به ابراهيم
بنبيه ويعقوب اي ان الله اصطفى
لكم الدين فلا تتولوا الا وانتم مسلمون
وقال يوسف رب قد آتيتني من
الملك وعلمني من اويل الاحاديث
فاطس السحرة والارض انت
ولي في الدنيا والاخرة توفي
مسلم والمؤمنين بالمعاني وقال
موسى يا قوم انكم آمنتم بالله فعليه
توكلوا ان كنتم مسلمين
وقالت الصحابة ربي افرغ علينا
صبرا وتوفنا مسلمين وقالت
بالمسلمين رب اني سلمت نفسي واسلمت
مع ساجدين لله رب العالمين وقال
تعالى انا ازل التوراة فيه اهدى
ونور بكم بها الدين الذين اهلوا
وقال تعالى واذا وحيت الى
الحواريين ان آمنوا بي وبري ولي
قالوا آمنوا واشهد باننا مسلمون وقال
سليم الرسل وسيد البشر صلى الله
عليه وسلم ان صلاتي ونسبي ومحبي
ومحبي لله رب العالمين لا شريك
له وبذلك امرت وانا اول المؤمنين
اي من هذه الامة ولهذا قال في

تعليق لهذا الحديث والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ اي ليس عليك التبليغ احكام
الرسالة ولا يلزمك حصول الاجابة منهم لما بلغته اليهم (وعليها الحساب) اي محاسبتهم
اذا ساروا اليها يوم القيام بمطاع الله ومجازاتهم عليها وايس ذلك عليك وهذا نسبية
من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم واخباره انه قد فعل ما امر الله به وليس
عليه غيره وان من لم يجيب دعوته وصدق نبوته فانه سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترى
عليه من ذلك (اولم يروا) يعني اهل مكة والاستنهام للاملاك والاولاء على مقدر
بقية المقام اي انكم وانزل ما وعدناهم واشكوا اولم ينظروا وفي ذلك لم يروا
(انا اني الارض) اي ارض الكثر ككثرة (تنقسمها من اطرافها) بالفتوح على المؤمنين
منها شيئا نسبيا بما تنقص من اطراف المشركين ويريد في اطراف المؤمنين قال الزجاج
اعلم الله ان بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر يقول اولم يروا ان الله اعلى المؤمنين
من الارض ما قد تبين لهم فكيف لا يعتبرون وهذا قول قتادة وجماعة من المفسرين
وقيل ان معنى الآية تنصها موت العلماء والعلماء وقال ابن عباس موت علمائها
وفنائها وذهاب اخبارها وعن مجاهد نحوه قال القشيري وعلى هذا فالاطراف
الاشراف وتدفان ابن الاعرابي الطرف الرجل الكريم قال الشريفي وهذا القول بعيد
لان مقصود الآية انما يريهاهم النقصان في امرهم ليهلوا ان تاخير العقاب عنهم ليس
عن عجز الان يعمل على موت اخبار اليهود والنصارى قال الواحدي التفسير الاول
اول لان هذا القول وان صح فلا يليق به هذا الموضع وبه قال الرازي وقيل المراد خراب
الارض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها قاله ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة
والشعبي وعطاء وجماعة من المفسرين اي تخرب او تموت تلك اهلها والافتخافون ان يعمل
بكم ذلك وقيل المراد بالآية هلاك من هلك من الامم وقيل المراد بجور ولا تها حتى تنقص
وقال ابن عباس نقصان اهلها وبركتهم واعني انما تنقص الانفس والثروات واما الارض
فتمتنع (والله بكم) ما يشاء في خلقه فيرفع هذا وينزع هذا ويحيي هذا ويميت هذا
وبعني هذا ويشترط هذا وفي التفسيرات من التكميل الى الغيبة وساء الخكم على الاسم
الشريف والعلم الجليل من الدلالة على العظمة وزيعة المهابة وتحقيق مضمون الخبر
بالاشارة الى العلة لا ما لا يخفى على ذي بصيرة (لا عقب حكمه) اي لا اراد نقصانه

الحديث الثابت عنه فمن معاشرة الانبياء اولاد علات ودينوا واحداى وهو عبادة الله وحده لا شريك
له وان تنوعت شرائعهم واولاد علات وهم الاخوة من امهات شتى والاب واحد وقوله تعالى فكذبوه فتنصنا من
معه اي على دينه في الغيب وهي الغيبة وجه انما هم خلافت اي في الارض واعرقتنا الذين كذبوا باياتنا وقوله فانظر كيف كان
عاقبة المذنبين اي يا محمد كيف انجينا المؤمنين واهلكا المكذبين (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ثم بعثنا من بعد قوم نوح رسلا الى قومهم فجاءوهم

بالبينات أي بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاؤهم به فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل أي فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسولهم بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم كقولهم تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم الآية وقوله كذلك نطبع على قلوب المعتدين أي كما نطبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم هكذا يطمع الله على قلوب من أشبههم من بعدهم ويختتم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم والمراد أن الله تعالى أهمل الأمم المكذبة للرسول وأنجي من آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فان الناس كانوا من قبله من زمان آدم (١٢٩) عليه السلام إلى أن أحدث الناس عبادة

الالهة ثم فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام وله هذا يقول له المؤمنون يوم القيامة أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وقال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقال الله تعالى وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح الآية وفي هذا الذار عظيم لشركي العرب الذين كذبوا سيد الرسل وخاتم الانبياء والمرسلين فانه اذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العذاب والشكال فماذا طعن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك (ثم به شئنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحرة من قال موسى أن تقولون للحق لمآجاءكم أنصر هذا ولا يسلح الساحرون قالوا أجتئتنا للتلفستنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكنا الكبرياء في الأرض وما نحن لكنا بمؤمنين) يقول تعالى ثم بعثنا من بعدك الرسل موسى وهرون إلى فرعون

والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يقفيه بالرد والابطال قال الزمخشري معناه لا أراد خذكم قال والمعقب الذي يتبع الشيء فيصدركه ولا يستدرك أحد عليه ومنه قيل لما أحب الحق معقب لانه يتعقب غيره بالطلب يعني انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كان لا يمكن تغييره ومحوه لامع المنفى النصب على الحال أي يحكم نافذا حكمه خالبا من المدافع والمعارض والمذرع لا يتعقب أحد حكمه سبحانه بنقض ولا تغيير قال ابن زيد ليس أحد يتعقب حكمه فيصدركه كما يتعقب أهل الدنيا بعضهم حكم بعض فيرده (وهو ربع الحساب) أي الانتقام فيصاحبهم بعد زمن قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل وأخرجهم من ديارهم في الدنيا فلا تستطبق عقابهم فانه آت لا محالة وكل آت قريب وقد تقدم الكلام في معناه قبل هذا والمعنى فيجازي الله من باحسانه والمسي باحسانه على السرعة (وقدم مكر الذين من قبلهم) أي قدم مكر الكفار الذين من قبل كفار مكة بمن أرسله الله إليهم من الرسل فكادوهم وكثروا بهم والمكر ابصال المذكور إلى الانسان الممكور به من حيث لا يشعر مثل مكر فرعون وبابراهيم وفرعون بموسى ويهود يعيسى وهذا تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبره ان هذا ديدن الكفار من قديم الزمان مع رسل الله سبحانه ثم أخبره بأن مكرهم هذا عدم ولا تأثير له وأن المكر كما لله لا اعتداد بمكر غيره فقال (قل للمكر جميعا) يعني عند الله جرم مكرهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمان له من مكرهم وقال الواحدى يعني جميع مكر الماكرين له ومنه أي هو من خلقه واراذه فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى أن المكر لا يضر الا باذنه واراذه فائتانه اهم باعتبار التكسب ونفيه عنهم باعتبار الخلق ثم فسر سبحانه هذا المكر الثابت له دون غيره فقال (يعلم ما تكذب كل نفس) من خير وشر فيجازيها على ذلك ومن علم ما تكذب كل نفس وأعد لها جزاءها كان المكر كله لانه يأتهم من حيث لا يشعرون (وسيعلم الكذابر) جميعهم وقرئ الكافر على التوحيد أي جنس الكافر وقيل المراد بالكفار أبو جهل (لم يحقني الدار) أي العاقبة فمخود من الفريقين في دار الدنيا وفي دار الآخرة وفيها (ويقول الذين آمنوا) أي المشركون أو جميع الكفار خطايا وشقاها لك (است) بالمحمد (مرسلا) إلى الناس من عند الله فأمره الله سبحانه بأن يجيب عليهم فقال (قل)

(١٧ فتح البيان خامس) وملئه أي قومه بآياتنا أي بحججنا وبراهيننا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين أي استكبروا عن اتباع الحق وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحرة من قال لهم موسى منكر اعلمهم أن تقولون الحق لمآجاءكم أنصر هذا ولا يسلح الساحرون قالوا أجتئتنا للتلفستنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكنا الكبرياء في الأرض وما نحن لكنا بمؤمنين) يقول تعالى ثم بعثنا من بعدك الرسل موسى وهرون إلى فرعون وملئه أي قومه بآياتنا أي بحججنا وبراهيننا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين أي استكبروا عن اتباع الحق وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحرة من قال لهم موسى منكر اعلمهم أن تقولون الحق لمآجاءكم أنصر هذا ولا يسلح الساحرون قالوا أجتئتنا للتلفستنا عما وجدنا عليه آباءنا أي الذي كانوا عليه وتكون لكنا الكبرياء في الأرض وما نحن لكنا بمؤمنين وكثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى مع فرعون

في كتابه العزيز لانهم من أعجب القصص فانه حذر من موسى كل الحذر فحضره القدر أن ربي الذي يحذره على فراشه ومائدته بمنزلة الولد ثم زرع وعاءه فدائه لميلاً أخرجه من بينهم ورزقه النبوة والرسالة والتكليم وبعثه اليه لدعوه الى الله تعالى ليعبد ويرجع اليه هذامع ما كان عليه فرعون من غفلة المملوك والاطمان بخام برأه الله تعالى وليس له وزير سوى أخيه هرون عليه السلام ففر فرعون واستكبر وأخذته الحية والنفس الخبيثة الالية وقوى رأسه وتولى برصه والذى مالىس له وتجهزم على الله وعثار بنى وأهان حرب الايمان (١٢٠) من بنى اسرائيل والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأخاه هرون ويحوطهما

بمنايته ويحرسهما بعينه الى لاناس ولم تزل المحاجة والجدالة والآيات تقوم على يدموى شيا بعد شى ومرة بعد مرة مما يهر العقول ويدعش الالباب مما لا يقوم له شى ولا يأتى به الا من هو مؤيد من الله وماتانهم من آية الالهى أكبر من أختها وبهم فرعون وماله فجههم الله على التكذيب بذلك كله واجحدوا العناد والمكابرة حتى أحل الله بهم بأسه الذى لا يردوا عنه ففهم في صبيحة واحدة ففطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقال فرعون اتوفى بكل ساحر عليهم فلما به الصخرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلقوا قال موسى ما كنتم به الصخر ان الله سيطلع ان الله لا يصلح على المشدين ويتقى الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) ذكر سبحانه قصة الصخرة مع موسى عليه السلام في سورة الاعراف وقد تقدم الكلام عليها هناك وفي هذه السورة وفي سورة طه وفي الشعراء وذلك ان فرعون لعنه الله أراد أن يهرج على الناس ويغارض ما جاء به

كفى بانه شهيداً بيني وبينكم) فهو يعلم حجة رسالتى وصدق دعواى ويعلم كذبكم (و) كذا يعلم ذلك (من عنده علم الكتاب) أى علم جنس الكتاب السماوى كالنوراة والانجيل فان أهلهم العالمين بهم ما كانوا يعلون صحة رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخبر بذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وكعب الاحبار وتميم الدارى وشعوبهم وقد كان المشركون من العرب يسألون أهل الكتاب ويرجعون اليهم فأرشدهم الله سبحانه في هذه الآية الى ان أهل الكتاب يعلمون ذلك وقبل المراد بالكتاب القرآن ومن عنده علم منه هم المسلمون فانهم يشهدون أيضاً على نبوته أو المراد من عنده علم التلوح المتفوق وهو الله سبحانه قاله مجاهد وبه قال الحسن ومثله عن ابن عمر بسند ضعيف واختار هذا الزجاج وقال لان الاشبه ان الله لا يشهد على خلقه بغيره عن جندب قال جاء عبد الله بن سلام حتى أخذ به فنادى باب المصدين قال أشدكم بالله أن تعلمون انى الذى أنزل فيه ومن عنده علم الكتاب قالوا اللهم نعم وعن ابن عباس هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يشهدون بالحق ويعترفونهم ابن سلام وابطارود وعن الشعبي ما نزل فى ابن سلام نبي من القرآن وعن سعيد بن جبيرة سئل عن الآية أهو ابن سلام فقال كيف وهذه السورة مكية وعبد الله أسلم بالمدينة وعنه قال هو جبريل وهذه السورة مدارها كما فى الكشف الى حشية الكتاب الشيد واشتهله على ما فيه صلاح الدارين وأن السعيد من تمسك بحبله والشقى من أعرض عنه الى آخره فله وهذا أقول ما قاله الخناسي اللهم اجعلنا من قسك بهرونة الوافى واهندى بهداه حتى لا يضل ولا يفتى ببركة من أنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقول بابركة النبي تعالى وأنزلى ثم لا ترغى

• (سورة براهيم عليه السلام) •

هى مكية قاله ابن عباس والزبير والحسن وعكرمة وجابر بن زيد وقادة الآيتين منها وقبل لانه آيات ثلاث فى الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى قوله ألم ترائى الذين يدعونهم الله كندرا الى قوله فان صيركم الى النار وعن ابن عباس قال هى مكية سوى آيتين منها رأتى فى يد من المشركين وهى اثنان وخمسون آية

• (بسم الله الرحمن الرحيم)

• (أر) قد تقدم الكلام فى امثال هذا وبين قول من قال انه متشابه وبين قول من قال

موسى عليه السلام من الحق الذين يزعمون الصخرة مشعبدين فانعكس عليه النظام ولم يحصل له ذلك المرام وظهور البراهين الالهية فى ذلك اغفل العام وأننى الصخرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فظن فرعون ان ينصر بالسحر على رسول الله الاسرار فخاب وخسر الجنة واستوجب النار وقال فرعون اتوفى بكل ساحر عليهم فلما جاء الصخرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون وانما قال لهم ذلك لانهم لم اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعتاة ابغزيل قالوا يا موسى اما أن تلقى واسان نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فالدم موسى ان تكون البداة منهم ليرى الناس

ما صنعوا ثم يأتي بالحق بعده فيدفع باطلهم ولهذا لما ألقوا سحرهم وأعين الناس واسترهبوهم وجاءوا ببصر عظيم فأوحى في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف أنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا وكيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فعند ذلك قال موسى لما ألقوا ما جحدتم به السحر ان الله سيظهر ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا عبد الرحمن يعني الدمشقي أخبرنا أبو جعفر الرازي عن ابن ابي وهبان أبي سليم قال بلغني ان هؤلاء الآيات شفاء من السحر (١٣١) باذن الله تعالى تنشر في انافيه ما هم يصب على رأس

المسحور والآية التي من سورة يونس قلنا انما هو لذي نوحى ما جحدتم به السحر ان الله سيظهر ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون والآية الاخرى فوق الحق وبطل ما كانوا به لولن الى آخر أربع آيات وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى رواه ابن أبي شاتم (فيما آمن موسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يقتلهم) وان فرعون اعلى في الارض وان لمن المشرفين) يخبره الى ان لم يؤمن مع موسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والطبع الفاضلات والبراهين الساطعات الاقوال من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه وملئهم ان يردوه) ثم الى ما صنعوا اعليه من الكفر لان فرعون لعنه الله كان جبارا عنيدا مشرقا في القرد والعنق وكانت له سلوة ومهابة تخاف رعيته منه خوف شديدا قال العوفي عن ابن عباس فما آمن لموسى

ان غير متشابه (كتاب) خبر مبتدأ حذف اي هذا القرآن (ترجمه اليه) يا محمد (لتخرج الناس) بدعائهم اليهم الى اتباع ما تضمنه الكتاب من التوحيد بدوغيته واللام في تخرج للعرض والغاية والتعريف في الناس للجنس والمعنى انه صلى الله عليه وآله وسلم يخرج الناس بالكتاب المنقول على مشرعه الله لهم من الشرائع مما كانوا فيه (من الظلمات) أي من ظلمات الكفر والجهل والخذللة (الى) ما صاروا اليه من (النور) أي نور الايمان والعلم والهداية قال الرازي فيه دليل على ان طريق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق ليس الا واحد لانه عبر عنها بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الحق بالنور وعولنا على مفرد جعل الكفر بمنزلة الظلمات والايمان بمنزلة النور على طريق الاستعارة وقبل ان الظلمة مستعارة للبدعة والنور مستعار للهدى وقيل من الشك الى اليقين ولا مانع من ارادة جميع هذه الامور وسند الفعل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانه الداعي والهادي والمُنذر (باذن رسم) أي بامرهم وعلمهم وتبشيرهم له قال الزجاج أي بما اذن لك من تعليمهم ودعائهم الى الايمان (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير الاعمال كما يقع منه كثيرا أي لتخرج الناس من الظلمات الى صراط العزيز الحميد وهو طريق الله الواضحة التي شرعها الله لعباده وامرهم بالمصير اليها والدخول فيها ويجوز ان يكون مستأنفا كما قد قيل ما هذا النور الذي خرجهم اليه فقبل صراط العزيز الحميد لانه نور في نفسه طريق للخلود في الجنة المؤبد واصله الصراط الى الله تعالى لانه المظهر له وانهم يخصصون لوصفين انه لا يزل كذلك ولا ينجب قاصده والعزيز هو القادر الغالب العني عن جميع الحاجات والحميد هو الكامل في الصفات الحميد (الله الذي له ما في السموات وما في الارض) قرأ الجمهور بالجر على انه عطف بيان لكونه من الانعام العالمة فلا يصح وصف ما قبله به لان العلم لا يوصف به وقيل يجوز ان يوصف به من حيث المعنى في قرأ نافع وابن عامر بالرفع على انه خبر مبتدأ حذف أي هو الله المتصف بصفات ما فيه ما خلقوا وملكوا وعبيدوا وكان به مقرب اذا وقف على الحميد دفع واذا وصل خفض قال ابن ابي شابر من خفض وقف على وما في الارض ثم جاء من لا يعترف برؤيته فقال (رويل للكافرين من عذاب شديد) معذلتهم في الآخرة وقد تقدم بيان معنى الرويل

الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يقتلهم قال فان الذرية التي آمنتم لموسى من اناس غير بني اسرائيل من قوم فرعون بسيرة منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وشاكر فرعون وامرأة ثمود وروى علي بن ابي طالب عن ابن عباس في قوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه يقول بنو اسرائيل وعن ابن عباس والضميمة والذرية القليلة وقال مجاهد في قوله الا ذرية من قومه قال هم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية انهم من بني اسرائيل لان قوم فرعون لهود الضمير على اقرب المذكرين وفي هذا الظاهر لا يراد بالذرية الا احداث والنسب

وانهم من بني اسرائيل فالمعروف ان بني اسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام واستبشروا به وقد كانوا يعرفون نعمة وصفته
والبشارة به من كتبهم المتقدمة وان الله تعالى سينفذهم بينهم أسرف فرعون ويظهرهم عليه. وهذا المبالغ هذا فرعون حذر كل الحذر
فلم يجد عنه شيئا ولم ياجاهم موسى آذاهم فرعون أشد لا ذى وقالوا وذا من قبل أن تأتيهم من بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن
يهلك عداؤكم وبه خالفكم في الارض فينظر كيف نعملون واذا تقر هذا فكيف يكون المراد الذرية من قوم موسى وهم
بنو اسرائيل على خوف من فرعون ومثلهم (١٢٢) أى واشراق قومه أن يفتنهم ولم يكن في بني اسرائيل من يخاف منه أن

يفتن عن الايمان سوى قارون
فانه كان من قوم موسى فسفى
عليهم لكنه كان طاويا الى فرعون
متصلا به متعلقا به من قال
ان الفمير في قوله ومثلهم عداؤكم
فرعون وعظام الملك من أجل
اسماعه او يحذف آل فرعون واقامة
المضاف اليه مقامه فقد أريدوا
كان ابن جبرير قد سكاها ما عن
به ض الصفة ومما يدل على ان لم
يكن في بني اسرائيل الامون
قوله تعالى (وقال موسى يا قوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين فقالوا الى الله
توكلنا ربنا لا نجعل لغيره
الطاغين ونجبار جند من القوم
الكافرين) يقول تعالى مخبرا
عن موسى انه قال لبني اسرائيل
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه
توكلوا ان كنتم مسلمين أى فان
الله كاف من توكل عليه ليس
الله بكاف عبده ومن يتوكل على
الله فهو وحيد وكثيرا ما يقرن الله
تعالى بين العباد والتوكل كقوله
تعالى فاعبدوه وتوكل عليه قل هو
الرحمن آسأبه وعليه توكلنا رب

وأصله العيب **سائر المصائر** ثم رفع للدلالة على الثبات قال الزجاج هي كلمة يقال
لله ذاب والهاذكة فدعا صباه وتعالى بذلك على من لم يخرج من الكفار به دابة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بما نزل الله عليه مما هو فيه من ظلمات الكفر الى نور الايمان قبل
والويل هو تقيض لاولى الضميمة وقيل الويل وادى جهنم ومن يمانية وقيل الويل
بمعنى التاوية في لغة اية لولون وضوء من العذاب الشديد الذي صاروا فيه قائلين
يا ويلنا ثم وصف هؤلاء الكفار بقوله (الذين يصمون الحياة الدنيا) أى يورثونها
فستهم لها (على لآخرة) الدائمة والعيم الابدى (ويصدون) أى يصرفون الناس
(عن سبيل الله) أى عردينه الذى شرعه لعباده (ويغفونها) أى السبيل (عوجا)
أى يطلبون له زيفا وميلا وعدولا وانحرافا عن الحق لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم
وانراشهم وقيل الهاء راجعة الى الدنيا أى يطلبونها على سبيل الميل عن الحق والميل الى
الحرام والعوج بكسر العين فى المعاني وبثقتها فى الايمان وقد سبق تخنيقه واجتماع
هذه الصلابة الضلال واهذا وصف صلاتهم بالبعد عن الحق فقال (أولئك) بمعنى
من هذه صفتهم (في ضلال بعيد) عن طريق الحق أى باغى فى ذلك غاية العايات القاصية
أو ذى بعد أوفيه بعد لان الضلال فى بعض الطريق مكانا قريبا وقد يضل بهيدا
والبعدوان كان من صفة الضلال لكنه يجوز وصف الضلال به مجازا لشد المبالغة بكثرة
جده وداهية دهايمه ثم لما من على المكلفين بالزال الكتاب وارسال الرسل ذكر من كمال تلك
الهمة ان ذلك المرسل بلسان قومه فقال (وما أرسلنا من رسول الا مثلنا بلسان
قومه) من كلامنا بلغتهم لانه اذا كان كذلك فهم عا المرسل اليهم ما يقوله لهم ويدعوههم
اليه وهل عليهم ذلك بخلاف ما لو كان بلسان غيرهم فانهم لا يدرون ما يقول ولا يفهمون
ما يخاطبهم به حتى يه او ذلك لسانا زهرا طويلا ومع ذلك فلا بد أن يصعب عليهم فهم
ذلك بعض صعوبة واهذا عال به صانه ما امتن به على العباد بقوله (اليس) أى ليوضح
(الهم) ما أمرهم الله به من الشريعة التى شرعها لهم ووحدهم لسان لان المراد من اللغة
عن ابن عباس ان الله فضل محمدا على أهل السماء وعلى الانبياء قبله فضله على أهل
السموات قال ان الله قال لأهل السماء ومن يقر منهم أى الله من دونه فذلك يجوز به جهنم
وقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليه عزرك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكتب له راحة

المشرق والمغرب لاله الا هو اتخذ وكذا وأمر الله ان يقولوا ان كل صلواتهم مرات متعددة
من
ايك اعبدوا بالآلهة من قبلهم وقد امتن بنو اسرائيل ذلك فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعل لغيره
الطاغين ولا تسلطهم علينا فظنوا انهم اعما سطوا لانهم على الحق وشعر على الباطل فيفتنوا بذلك هكذا روى عن أبي جاز وآبى الضمى
وقال ابن أبي عمير وغيره عن مجاهد لا تعذبنا بآبى آل فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا
ولا سلطانا عليهم فيفتنوا بنا وقال عبد الرزاق أنبا ابن عيينة عن ابن أبي نعيم عن مجاهد ربنا لا نجعل آلهة للقوم الطالين

لا تسلطهم علينا فيقتنونا وقوله ونحنأى خلاصنا برحمة منك واحسان من القوم الكافرين أى الذين كفروا بالحق وستروهم نحن قد آمننا بك وتوكلنا على الله (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن يتوآلوا قومك بعصر يونا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) يذكر تعالى بسبب انجائه بنى اسرائيل من فرعون وقومه وكيفية خلاصهم منهم وذلك ان الله تعالى أمر موسى وأخاه هرون عليهم السلام ان يتوآل أى يتخذوا قومها بعصر يونا واختلاف المنسرون في معنى قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فقال الثورى وغيره عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس (١٣٣) واجعلوا بيوتكم قبلة قال عمرو ان

يتخذونها مساجد وقال الثورى أيضا عن ابن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا ان يصلوا في بيوتهم وكذا قال مجاهد وأبو مالك والربيع بن أنس والفضال وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبو زيد ابن أسلم وكان هذا والله أعلم لما أشبهتهم بالبلاء من قبل فرعون وقومه وضربوا عليهم أمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اسجدوا لله يسبحوا بالصبر والصلاة وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حربه أمر صلى أخرجه أبو داود ولهذا قال تعالى في هذه الآية واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين أى بالنواب والنصر القريب وقال العوفي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام لا نستطيع ان نطهر مصلاتنا مع الفراعنة فأذن الله تعالى لهم ان يصلوا في بيوتهم وأمروا ان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقال مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال

من النار قيل فما فضله على الاتباع قال ان الله يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أرسلناك الا كافة للناس فأرسله الى الانس والجن وقال عثمان بن عفان نزل القرآن بلسان قريش وعن مجاهد مثله وقد قيل في هذه الآية اشكال لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل الى الناس جميعا بل الى الجن والانس ولغاتهم متباينة ولسانهم مختلفة وأجيب بأنه صلى الله عليه وآله وسلم وان كان مرسله الى الثقلاء كما مر لكن لما كان قومه العرب وكانوا أخص به وأقرب اليه كان إرساله باللسانهم أولى من إرساله باللسان غيرهم وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه حتى يصير فاهمه اليه كقوله لهم اياه ولولول القرآن بجميع لغات من أرسل اليهم وبينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل قوم بلسانه لكان ذلك مظنة للاختلاف وفي الباب التنازع لأن كل أمة قد تدعى من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غير هاوربما كان ذلك أيضا منضيا الى التحريف والتخفيف بسبب الدعوى الباطلة التي يقع فيها المتعصبون قال في الجمل والاولى ان يحمل القوم على من أرسل اليهم الرسول أيا كان وهم بالنسبة لغيره يدنا محمد خصوص عشرة رسواهم وبالله نسبة اليه كل من أرسل اليه من سائر القبائل وأصناف الخلق وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية لأنه لم يثبت انه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكانه معها تأمل انتهى (فيصل الله من يشاء) اضلاله فيه التنازع عن التكلم الى القبيصة (ويهدى من يشاء) هدايته والجملة متباعدة قال السراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن التذييل مشا كالا للقول فالرفع على الاستئناف هو الوجه يعنى لا يجوز نصبه عطفا على ما قبله لان المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى والرسل أرسلت للبيان لا للاضلال وقال الزجاج لو قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جزو المعنى على الاول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه لبيان لهم تلك الشرائع باللغة التي ألفوها وفهموها ومع ذلك فان المنسل والهادى هو الله عز وجل والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله سبحانه واسطة وسببا وتقديم الاضلال على الهداية لانه مقدم عليها اذ هو ابقاء على الامس والهداية انشاء ما لم يكن (وهو العزيز) الذي لا يغالبه مغالب في ملكه (الحكيم) الذي تجرى أفعاله على مقتضى الحكمة في صنعه ثم لما بين ان المقصود دمر بعثة بني اسرائيل الله عليه وآله وسلم هو

لما خاف بنو اسرائيل من فرعون ان يقتلوا في الدانيس الجامعة أمروا ان يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبل القبلة الكعبة يصلون فيها سرا وكذا قال قتادة والفضال وقال سعيد بن جبير واجعلوا بيوتكم قبلة أى يقابلونها بها فضا (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائكته وأموالنا في الحياة الدنيا ربنا انزلنا عن سبيلك ربنا اطمس على أمرهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجبت دعوتكم فاستقبلوا لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) هذا اخبار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام على فرعون وملائكته لما أبوا قبول الحق وأبغروا على ضلالهم وكشروهم معاندين باحدين ظالمين وظالمين

وتكبروا وعتوا قال ربنا انك آتيت فرعون بملائكة كثيرة على هذه الحياة الدنيا بالضلوع من سبيلك بفتح الياء أى أعطيتهم - ثم ذلك وأنت تعلم أنهم - لم لا يؤمنون بما أرسلتني به اليهم - ثم ادراج من ذلك لهم - ثم قوله تعالى لئن لم ينته عنهم فيه وقرا آخرون ليعذبوا لعظيم اليأس اليقين بما أعطيتهم من شئت من خلقت ليلظن من أغويته انك انما أعطيتهم هذا لئلا يكفوا اليأس - واعلم انهم - ثم ربنا طمس على أموالهم - ثم قول ابن عباس ومجاهد أى أهلكها وقال الضحاك وثبوته عليه - وقال الربيع بن أنس (١٢٤) جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت وقال قتادة

بلغنا ان زرعهم تحولت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي جعل سكرهم حجارة وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي بكير عن أبي هريرة عن محمد بن محمد بن قيس ان محمد بن كعب قرأ سورة يوسف عن أبي هريرة عن ابن عباس عن ابن عباس عن موسى بن رباح انك آتيت فرعون ولأمة زينة وأموالا في الحياة الدنيا الى قوله ربنا طمس على أموالهم الآية فقال عرابيا حارة أى شئ الطمس قال عبادت أى الهيم - ثم كلاهما حجارة فقال عرابي سعد العزير لعلهم انتهى بكعب فذا فيه حصص ويشرح فذمطع فذم قول حجارة وقوله واشدد على قلوبهم قال ابن عباس أى أطبع عليها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضب الله ولديه على فرعون وملائته الذي نزل له انه لا سحر فيهم ولا ينجي منهم نبي كاد نوح عليه السلام فقال رب لا تدبر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تدركهم

أخرج الناس من السمات الى النور أراد ان يبين ان الفرض من ارسال الانبياء لم يكن الا ذلك وخص موسى بالذكر لان أمته أكثر الامم لما قدمه على هذه الامة المحمدية فقال (وقد أرسلنا موسى) متلبسا (بآياتنا) التبع احواله وقان والجسر احوال القمل والشداد عر ولم والعاد ويدر والسبين ونص من الفترات فانه مجاهد وعطاء وعبيد ابن عمر (ان أخرج قوم من السمات الى النور) المعنى قلنا لموسى اخرج لان ارسالهم فيه معنى النور وبأن أخرج بني اسرائيل بعد ذلك فرعون من الكفر وأجهد لدى قالوا بسببه اجعل لنا الهات كما لهم آلهة الى الايمان أو العلم (وذكرهم بأيام الله) أى يوقنعة قال ابن السكيت العرب تقول الايام معنى الوقائع يقال فلان عالم بايام العرب أى يوقنعه او قال الزبيح - ثم الله عليهم - ثم يقيم أيام الله التي اشتم فيها من قوم نوح وعاد وثمود والمعنى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وأخرج التفسير والبيروني وغيرهما عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذكرهم يوم الله وآلائه به قال ابن عباس وقال الربيع يوقنعة في القرون الاولى ويترجم نفسه بـ أيام الله لانه واثقه وفي نفسه بـ ابن جرير بايام الله أى بانواع عقوباته الفاضلة ونعمه الساطعة التي فاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن استطاع علمه لك عظم خوفه وفي القاموس وأيام الله نعمه ويوم أيوم شديد وأحريم في الشهر وفي القاموس وما عبروا عن الشدة باليوم (ان في ذلك) التذكير بايام الله أو في نفس أيام الله (لآيات) أى الدلالات عظيمة دلالة على التوحيد وكمال القدرة (الحق صبار) كثير الصبر على الخن والمخ (شكور) كثير الشكر تلزم التي نعم الله بها عليه لانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البر والوفاء فليس عليهم من النعماء اعترافا ونسبة لما يحب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد بذلك كل مؤمن وعبر عنه بالوصف لانهم - ما مر لك الايمان وعنوان المؤمن وقدم الصبر على الشكور لكون الشكر عاقبة الصبر قال قتادة في الآية نعم العبد عبادا انى صبروا اذا أعطى شكروا فما حصل الصبروا شكورا كان فيها عبرة لكافة لانهم المنة دون غيرها - ثم (وذكرنا موسى) أى اذ ذكرت قول موسى (نقومه) والمعنى ذكرنا محمدنا وما ذكرنا لهم من نعمهم (اذكروا نعمه الله) أى انعمه (عليكم اذ أنجاكم) أى وفاته لجهنم لكم (من آل فرعون يسومونكم) أى يهونكم يقال

بضلوا عبادك ولا يلدوا الا فابرا - كما قالوا له - لما استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه صامه الدعوة التي آمن عليها أخوه هارون فقال تعالى قد أجيبك دعوة كما قول أبو العالفة وأبو صالح وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والربيع بن أنس دعا موسى وأمن هارون أى قد أجيبنا كما قالوا لهما من تميم آل فرعون وقد ينجيهم - هذه الآية من يقول ان تلعب المأموم على قراءة الفاتحة بعلمه فقرأتها لان موسى دعا هارون آمن رقل تعالى قد أجيبك دعوة كما استجبنا أى على أمرى قال ابن جرير عن ابن عباس فاستجبنا لما مضى الامرى وهى الاستجابة قال ابن جرير يقولون ان فرعون مكث

بعد هذه الدعوة أربعين سنة وقال محمد بن كعب وعلى بن الحسين أربعين يوماً (وجاوزنا بني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום نحيب يندك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) يذكر تعالى كيفية اغرقه فرعون وجنوده فان بني إسرائيل لما خرجوا من مصر صعبة موسى عليه السلام و هم في مائة ألف مقاتل سوى الذرية وقد كانوا استعاروا من القبط حلياً كثيراً فخرجوا به (١٢٥) معهم فاشتد حق فرعون عليهم فأرسل في المبدئين حاشرين يجمعون له

جنوده من أمة عجم فركب ورائهم في أمة عظيمة وجيوش هائلة لما يريد الله تعالى بهم ولم يقض الله عنه أحد ممن له دولة و سلطان في سائر مملكته فلهذا هم وقت شروق الشمس فلما رأى الجمعان قال أصحاب موسى انما ندركون ذلك انهم انتروا الى ساحل البحر وفرعون ورائهم ولم يبق الا ان يتقابل الجمعان ولحق أصحاب موسى عليه السلام عليه في السؤال كيف الخلق من نحن فيه فيقول اني امرت ان اسلك ههنا كذا ان معي ربي سيهدين فعند ما ضاق الامر اتسع فأمر الله تعالى ان يضرب البحر بعاصف فاضربه فانفلق الصخر فكان كل فرق كالطود العظيم اني كالجبل العظيم وصار اثني عشر طريقا لكل سبط واحد وأمر الله الريح فنفثت أرضه فانشرب لهم طريفا في البحر يسا لا تخاف دركا ولا تخشى وتغرق الماء بين الطرق كهية الشياطين لعمري كل قوم الا حرمين لثلاث بطنوا انهم هلكوا وجازت بنو إسرائيل

ساحله ظلما أي أولاه ظلما وأصل الهم في العذاب في طاب النفي (سوء العذاب) مصدر ساء يسوء والمراد جنس العذاب السيئ وهو استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة (ويذبحون أبناءهم) المولودين لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون وعطف يذبحون على بسوم موتكم سوء العذاب وان كان التذبيح من جنس سوء العذاب اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد حتى كأنه جنس آخر لما فيه من الشدة ومع طرح الواو كما في الآية الاخرى يكون التذبيح نفسا لسوء العذاب (ويستحيون نساءكم) أي يتكروهن في الحياة لاهانتهم واذلالهن ولذلك عد من جلة البلاء وزاد الكرخي كانوا يستخدمونهم بالامهنة عبادا ويغردونهم عن الازواج وذلك من أعظم المضار (وفي ذلكم) أي في انجائكم أوفى انعامهم المذكورة (بهم) أي ابتلاء لكم بالنعم أو بالعذاب فأن الله تعالى يختبر عباده تارة بالنعم وتارة بالشدائد كما قال ولولناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم بربهم (من ربكم عظيم) وقد تقدم في هذه الآية في البقرة (وإذا تاذن) بمعنى اذن قاله الفراء قال في الكشف ولا يفي تفعل من زيادة معنى ليس في فعل كأنه قيل واذا اذن (ربكم) اي انا بالعبادة التي عنده الشكوك وتزاح الشبهة والمعنى واذا تاذن ربكم فقال لئن شكرتم لأزيدنكم شجري قال لانه شرب من التول انتهى وهذا من قول موسى لسوءه أي واذا كروا حين تاذن ربكم وقيل هو من قول الله سبحانه أي اذ كرا محمد اذ تاذن ربكم وقيل واذا قال ربكم والمعنى واحد كما تقدم واللام في (لئن شكرتم) هي الموطنة للنعم والمطاب لبني اسرائيل وقوله (لا تزيدنكم) ساءت جد جواي الشرط والقسم والمعنى لئن شكرتم اناهي عليكم عما كروا واخلوكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايان الخاص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة تنزلنا مني وقيل من طاعتني قاله الحسن وقيل من الثواب والاول أظهر فالتكريب المزيدي قال الربيع أخبرهم موسى عن ربه انهم ان شكروا النعمة زاده من فضله وأوسع لهم من الرزق وأظهرهم على العالم وقال سفيان الثوري في الآية لا تذهب أنفسكم الى الدنيا فانها هوان عند الله من ذلك ولكن يقول لئن شكرتم لازيدنكم من طاعتي (ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي فلا بد ان يصيبكم منه ما يصيب هؤلاء الجوابين أيضا وقيل الجواب محذوف أي ولئن

البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده الى حافته من الناحية الاخرى وهو في مائة ألف آدمهم سوى بقية الاخوان فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع وهيبات ولات بين خاص نذ القدر واستجيب الدعوة وجاء جبريل عليه السلام على فرس وديق حائل فخر الى باب حصان فرعون فجمعهم اليه وأقنعهم جبريل البحر فانهم اطمأن وراهم ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئا فقتلهم فلهذا لم يبق بنو إسرائيل باحق بالبحر من اناقتهم فكلهم عن آخرهم بمكة كليل في ماقتهم لا يترك منهم أحدا الا الخضم فلما استوفوا فيه ونكسوا واهلهم بالخرج منه أمر الله القدير البحر ان ينظم عليهم فارطهم عليهم فلم ينفع منهم أحد

وجعلت الامواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت الامواج فوق فرعون وغشيتهم سكران الموت فقال وهو كذلك آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانما من الملائكة حيث لا ينفعه الايمان فلما راوا باننا قالوا آمنا بالله وحده وكفرا بما كناه مشركين فلم يكفهم انهم لم ياروا باننا سئنا الله التي قد دخلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وهكذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال الا ان وقد عصيت قبل أي هذا الوقت تقول وقد عصيت الله قبل هذا فيما بين وبينه وكنت من المفسدين أي في الارض الذين أضلوا الناس (١٣٦) وجعلناهم أممات يذبحون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وهذا الذي

حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك من أمر الغيب التي أم الله به ناسه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال قال لي جبريل لورايتي وقد أخذت من حال البحر قد سئنته في فيه مخافة ان تناله الرحمة ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تناسيرهم من حديث حماد بن سائبة وقال الترمذي حديث حسن وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال لي جبريل لورايتي وأنا آخذ من حال البحر قد سئنته في فيه فرعون مخافة ان تذركه الرحمة وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا وابن جرير أيضا من غير وجه عن شعبة في ذلك الترمذي

كثرت ذلك ومحمد ولا عذبكم دل عليه ان عذابي شديد وانما حذف هنا وصرح به في جانب الوعد لان من عادة الكرام النصيحة بالوعد والتعريض بالوعد فما ظنك يا كرم الكرمين (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا) أي وجميع الخلق من النشأين نعمته تعالى ولم تكفروا وجواب الشرط محذوف أي فما أضرتكم بالكفر الا الله لكم حيث حرمة وهما من مزيد الانعام وعرضة وهما للعذاب الشديد (فان الله سبحانه) (لغنى) عن شكركم لا يحتاج اليه ولا ينفعه ذلك نقص (جيد) أي مـ وجب للحمدة لانه لكثرة انعامه وان لم تشكروه أو يحمدوه غيركم من الملائكة وتنطق بنعمه ذرات الكائنات ولعله عليه السلام نعم قال هذا عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخالف الاسرار على الكفر والله ادوتيقن انه لا ينفعهم الترفع ولا التعريض بالترقيب أخرج البخاري في تاريخه والاضياء في المختارة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ألهم خسة لم يحرم خسة وفيها من ألهم الشكر لم يحرم الزيادة وعن أبي هريرة مرفوعة عن أنس قال أعطى الشكر لم يمنع الزيادة أخرجه الحكيمة الترمذي في النوادر ولا وجه لتقييد الزيادة بالزيادة في الطاعة بل الظاهر من الآية العموم كما يفيد جعل الزيادة جزاء الشكر فمن شكر الله على ما رزقه وسع الله عليه في رزقه ومن شكر الله على ما أقدره عليه من طاعته زاد من طاعته ومن شكره على ما أنعم عليه من العزة زاده الله عزة الى غير ذلك (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) استفهام تقرير يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه فيكون داخل تحت التذكير بآيات الله ويحتمل ان يكون من كلام الله سبحانه انما خطا بالاقوم موسى وتذكيرهم بالقرآن الاول واخبارهم ومجيء رسول الله اليهم ويحتمل انما ابتدأ مخاطب من الله تعالى لقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحذيرا لهم عن مخالفة والتسليم والجمع الانبياء (قوم نوح وعاد وفرعون) بدل من الموصول أو عطف بيان (والذين من بعدهم) أي من بعده هؤلاء الائمة الماضية الثلاثة (لا اله الا الله) أي لا يحصى عددهم ومقاديرهم ولا يعطى عليهم علما (الا الله) سبحانه والجملة متعوضة وعدم العلم لمن غير الله اما ان يكون راجعا الى صفاتهم وأحوالهم وأخلاقهم ومدد أعمالهم أي هذه الامور لا يعلمها الا الله ولا يعلمها غير أو يكون راجعا الى ذاتهم أي انه لا يعلم ذات أولئك الذين من بعدهم الا الله سبحانه ولم يبلغنا خبرهم أصلا وعن ابن

حسن غريب صحيح ووقع في رواية عند ابن جرير عن محمد بن المنني عن غندر عن شعبة عن عطاء

وعدي عن سعيد عن ابن عباس رفعه أحدهما وكان الآخر لم يرفع فافقه أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن زيد عن أبي الحسن عن ابن عباس قال لما غرق فرعون أنشأ بأصبعه ورفع صوته آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال يخاف جبريل ان تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحبل بمناخسه فيضرب به وجهه فيرسله هكذا رواه ابن جرير عن خفيان بن وكيع عن ابن أبي خالبه موقوف وقدرى من

حديث أبي هريرة أيضا فقال ابن جرير حدثنا ابن جدد حدثنا حكام عن عنبسة هو ابن أبي سعيد عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل يا محمد لورأيتني وأنا أعطه وأدس من الحال في فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له يعني فرعون كثر بن زاذان هذا قال ابن معين لا أعرفه وقال أبو زرعة وأبو حاتم مجهول وباقي رجاله ثقات وقد رُسل هذا الحديث جماعة من السلف قتادة وإبراهيم التيمي وميمون بن مهران ونقل عن الفضال بن قيس أنه خطب بهذا للناس فأنه أعم لم وقوله فاليوم نصيبك ليدنك لا يكون لمن خلفك آية (١٣٧) قال ابن عباس وغيره من السلف إن بعض

بنو إسرائيل شكوا في موت فرعون فأمر الله تعالى الصبر أن يلقيه بجمده سوايا بالروح وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع لبقعة شواء مونه وهلاكه وله هذا قال تعالى فاليوم نصيبك أي ترفعك على نشر من الأرض يدنك قال مجاهد بجمده ذلك وقال الحسن بجمده لا روح فيه وقال عبد الله ابن شداد سوايا صحيفا أي لم تنزق لبقته تقوده ويعرفوه وقال أبو بكر يدركك وكل هذه الأقوال لا مضافة بينها كما تقدم والله أعلم وقوله لا يكون لمن خلفك آية أي لا يكون لبقى إسرائيل دليلا على موتك وهذا كان وإن الله هو القادر الذي ناصبه كل دابة يبيده وأنه لا يقوم لعضمه شيء وله هذاقرأ بعضهم لا يكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون أي لا يتفكرون بها ولا يعتبرون بها وقد كان أهلا كههم يوم عاشوراء كما قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن

مسعود أنه كان يقرأ والذين من بعدهم لا يعلمهم لا الله ويقول كذب السابون وعن عمرو ابن ميمون مثله وعن أبي مجلز قال قال رجل لعلي بن أبي طالب أنا أنسب الناس قال أنك لا تنسب الناس فقال لي فقال له على أرايت قوله عاد وعود وصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا قال أنا أنسب ذلك الكثير قال أرايت قوا والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله فسكت وعن عروة بن الزبير قول ما وجدنا أحدنا يعرف ما وراءه معتن عدنان وعن ابن عباس قال ما بين عدنان واهليل ثلاثون أبلا يعرفون (جامعهم رسلهم بالبيات) أي المعجزات الظاهرة والدلالات الباهرة والشرائع الواضحة مستأنف وهذا في المعنى تفسير لتبأ الذين من قبلهم (فردوا أيديهم) أي جعلوا أيديهم (في أفواههم) ليعضوها غيظا عما جاءت به الرسل كافي قوله تعالى عضوا علىكم أنما من العيطلان الرسل جاءتهم بتسفيه أحلامهم وشتم أصنامهم وقيل إن المعنى أنهم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم لما جاءتهم الرسل بالبيات أي اسكتوا وأتركو أعذا الذي جئتكم به كذبا لهم وردا لقولهم وقيل المعنى هم أشاروا إلى أنفسهم وما يصدر عنها من قواهم أنا كثرنا بما رسلتم به أي لأجواب لكم - وى هذا الذي قلناه لكم بالسنا هذه قبل وضعوا أيديهم على أفواههم استهزاء ونجها كما يشهده من غلبه الضم من وضع يده على فيه وقيل المعنى ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأقوالهم فالضمير الأول للرسل والثاني للكفار وقيل جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ردوا قولهم فالضمير الأول على هذا لا كثرنا والثاني للرسل وقيل معناه أرموا إلى الرسل أن اسكتوا وقبل أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليكتوهم ويقطعوا كلامهم والمراد بهم ما على هذا هاتان الجارحتان المعلومتان وقيل إن الأيدي هنا الهم أي ردواهم الرسل بأقوالهم أي بالطق والتكذيب والمراد بالهم هنا ما جاءهم به من الشرائع وقال أبو عبيدة نعم ما قال هو ضرب مثل أي لم يؤمنوا ولم يجيبوا والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت قدر يد في فيه وهكذا قال الاخفش واعترض على ذلك القتيبي فقال لم يسمع أحد من العرب يقول ربيد في فيه إذا ترك ما أمر به وإنما المعنى عضوا على الأيدي حفا وغيطا وهذا هو القول الذي قدمناه على جميع هذه الأقوال وبهذا قال ابن مسعود وهو أقرب النفاية للآية بأن لم يصح من العرب ما ذكره الاخفش وأبو عبيدة فان سمع ما ذكره فتفسير الآية به أقرب (وقالوا)

(١٨ فتح البيان خامس) جبر عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم لا يحباه أنتم أحق بموسى منهم فصوموه (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من حيث لم يحتسبوا حتى جاءهم العلم إن ربك يذنب بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يخبر تعالى عما أنتم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية وقوله مبوأ صدق قيل هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه فان الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استعمرت بيد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكاملها كما قال الله

نعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض وسفاريها التي باركنا فيها وتمت لكفر بك الحسنى على بني اسرائيل
بما صعدوا من نالما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وفي الآيات الاخرى فانخرجنهم من جنات وعميون وكنوز
وقدم كرمه كذا وأورثناها بني اسرائيل وقال لهم تركوا من جنات وعميون الآيات ولكن استمروا مع موسى عليه السلام
طالبوا بالقدس بلاد الخليل عليه السلام وكان فيه قوم من العمالة فكل بنو اسرائيل عن قائلهم فبشردهم
الله تعالى في ابيه ربيع سنة ومات فيه هرون (١٢٨) ثم موسى عليهما السلام وخرجوا بعد ما مع يوشع بن نون ففتح

الله عليهم بيت المقدس واستقرت
أيديهم عليها الى ان أخذها منهم
يخسر حين امر الدهر ثم دنت
اليهم ثم أخذها ملوك اليونان
وكانت تحت احكامهم مدة
طويلة وبعث الله عيسى بن مريم
عليه السلام في تلك المدة فالتفت
اليهود قبههم الله على معاداة
عيسى عليه السلام بلولك اليونان
وكانت تحت احكامهم ورواها
عندهم ورواها اليهم ان هذا
يفسد عليكم الرعايا فبعثوا من
بعض عليهم رفاة الله اليه
وشبه لهم بعض الخوارير عشيبة
الله وقدره فآخذوه فأسلموه
واقتدوا انه هو ما قتلوا يسينا
بل رفعه الله اليه وكان الله عزيرا
مما نهم به سد المسيح عليه
السلام فهو ثمانية سنة دخل
في طين احدى ملوك اليونان في
دين النصرانية وكان فيلوسفا
قبل ذلك قد دخل في دين النصارى
قبل نفسه وقبل حيله لفسده
فوضعت له الاساقفة منهم قوانين
ونرى مائة مؤه وأحدونها في
لهم الكنائس والبيع الكبار

أي انكنا للرسول (انا كفرناحما أرسلتم به) من اليناب على زعمكم (وانا في شك)
عظيم (عند دعوتنا اليه) من الايمان بالله وحده وترك ما سواه (مريب) أي
موجب لرب يقال أربته اذ فعلت أمرا أوجب ريبه وشكا والريب قلق النفس
وعدم سكون أو أن لا تطعم من الشئ وقد قيل كيف سرحوا بانكفرتم بنوا أمرهم على
الشك وأوجب بانهم أرادوا انما كانوا برسالتكم وان زلنا عن هذا النقام فلا أقل من
أد نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مسمع في الاعتراف بنبوتكم وقيل كانوا
فرقين احدهما جرمت بالكفر والاخرى شكك وقيل ان كثرهم بالمعجزات وشكهم في
التوحيد فلا تالف (قالت رسلهم) جلة مستأنفة كائيد قبل فذا قالت لهم الرسل
فأجيب بام قالوا ما كبرين عليهم ومنعج من مقالهم الحق (أي الله شك) والاستنهام
للتشريع والتوبيخ والاشكار أي في وحدانيته سبحانه وهي في غاية الوضوح
والجلاء ثم ان رسل ذكروا هذا انكارهم على الكفار ما يؤكده ذلك الاسكار من
السواهد الدالة على عدم الشك في وجوده سبحانه ووجدانيته فقالوا (فاطروا له موت
والارض) أي خالفوه ما اخترعوه ما رمده ما وجدوا ما فيه ما به العدم
(بدعواكم) أي الايمان به ونؤمن به ما ولى الايمان برسالة الابن الاله عوكم اليه من تلقاء
الاشناسا كما يوهمه قولكم عند دعوتنا اليه (لغيرنا لكم من ذنوبكم) أي لاجل غفران
ذنوبكم انما آمنتم وصدقتم واللام لتعديفة كقولنا دعوتك لزيد قال أبو بيده من صلة
زائدة في الايجاب ووجه ذلك قوله في موضع آخر ان الله يغفر الذنوب جميعا وأجازة
الاختصاص وقال سبويه هي للبعيض ويجوز أن يذكر البعض ويراد منه الجميع وقيل
البعيض على حقيقته ولا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم غفران جميعها عليهم وبهذه الآية احتج من جوز زيادته في الآيات وجمهور
المصريين لا يجوز زيادتها الى النبي اذا جرت نكرة ومن ثم جعلها بعينهم للبدل
وقال ليست بزيادة ولا تبيضية أي لا يكون الله غفرا لامة من عبودية الذنوب ويحتل ان
بعضهم يغفر معنى يتخلص أي يتخلصكم من ذنوبكم ويكون مقتضاء غفران جميع الذنوب
وهو أن يمس دعوى زيادته (ويؤخرهم) بلا عذاب (الى أجل) أي وقت
(مسمى) عند الله سبحانه وهو الموت فلا بد منكم في الدنيا (قلوا ان) أي ما (أنتم)

والله ما روى السوامع واليهما كل والمعابد والتمزيات وتفسيرين انصرانية في ذلك الزمان واستمر على ما فيمن
تبدل وبغيره وتحريرهم ووضع وكذب ومخافة لدير المسيح وليق على دين المسيح على الحقيقة منهم الاغلب من الرهبان فاختدوا
لهم السوامع في البراري والمهام وشقاروا حصون في النصارى على ملوك الشام والجزيرة وبلاد الروم وبني هذا المذكور
مدينة فسطاط طينية والقمامة وبيت لحم وكنائس بيت المقدس ومدن حوران كبرى وغيره من البلدان شات هالة محكمة
وعبدوا الصليبيين حينئذ وصلوا الى الشرق وصوروا الكنائس وأحلوا لهم الخبز وغير ذلك مما أحدثوه من الشروع في دينهم

والاصول ووضعوا الامانة الكبيرة الحقة التي يسمونها الكبيرة وصنفوا القوانين وبسط هذا الغرض ان يدهم لم تزل على هذه البلاد الى ان اتزعها منهم العصابة رضى الله عنهم وكان فتح بيت المقدس على يدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله الحدود المنة وقوله ورزقناهم من الطيبات أى الخلال من الرزق الطيب النافع المستطاب طبعوا شرعا وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم أى ما اختلفوا في شئ من المسائل الا من بعد ما جاءهم العلم أى ولم يكن لهم ان يختلفوا وقدين الله لهم وأزال عنهم اللبس وقد ورد في الحديث أن اليهود اختلفوا على احدى وسعين فرقة (١٣٩) وان النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة

وستلحق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة وثلاث وسبعون في النار قيل من هم يا رسول الله قال ما انا عليه وأصحابي رواه البخاري في مستدركه بهذا اللفظ وهو في المتن والمسانيد ولهذا قال الله تعالى ان ربك يفتنى بينهم أى يمتحنهم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يفعلون (فان كنت في شك مما أرننا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك انفسك بالحق الحق من ربك فلا تكون من المحترين ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتسكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آفة حتى يروا العذاب الاليم) قال قتادة بن دعامة باعنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشن ولا أسأل وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وهذا فيه تثبيت للامة واعلام لهم ان صفة عليهم صلى الله عليه وسلم موجودة في الكتب المتقدمة التي ايدي اهل الكتاب

الابشر منكم) في الهيئة والصورة تاكون ونشربون كما تأكل ونشرب فلا فضل لكم علينا ولا ستم ملائكة (تريدون أن تصدونا) وصفوهم بالبشر أو لانتم بارادة الصلابة -م (عما كان يعبد آباؤنا) أى آباؤهم ثانيا أى تريدون أن تصرفونا عن معبودات آباؤنا من الاصنام ونحوه (وأنا) ان كنتم صادقين بانكم من سلون من عند الله (بالمطان مبين) أى حجة ظاهرة واضحة تدل على صحة ما تدعونه من المزية أو النبوة وقد جاءهم بالمطان المبين والحجة الظاهرة ولكن هذا نوع من تعنتهم ولون من تلوناتهم (قالت لهم رملهم) مملين مشاركتهم في الجنس (ان نحن الابشر منكم) أى في الصورة والهيئة كما قلتم لا تشكركم ذلك (ولكن الله يمين) ويتفضل (عن من يشاء من عباده) بالنبوة والرسالة وقبل بالتوفيق والهداية جعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى وفيه دليل على ان النبوة أمر وهى لا كسبى كما يرغمه جهلة المتفلسفة والحكماء (وما كان) أى ما صح (لنا) ولا استقام (أن نأتيكم بالمطان) أى بحجة من الحجج وقيل المراد بالمطان هنا هو ما يمل به الكفار من الآيات على سبيل التعنت وفيه دليل أنهم من ذلك فان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (لا بأذن الله) أى بعينه وإرادته وليس ذلك في قدرتنا وقيل بأمره لا بأذنته أى ان الله لتأفقه والاول أولى (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) في دفع شرور أعدائهم عنهم وفي الصبر على معاداتهم وهذا أمر منهم للمؤمنين بالتوكل على الله دون من عداه وكان الرسل قصدا وهذا الأمر للمؤمنين الأمر لهم أنفسهم قصدا أولا ولهذا قالوا (وما لنا) أى رأى مانع وعذر لنا (أن لا نتوكل على الله) سبحانه في دفع شروركم عنا فيه الصفات عن الغيبة الى التكلم والاستفهام للاستنكار (وقد هذا ناسبا) بضم الباء ويكونها مبيات أى والحال انه قد دعى بنا ما يوجب التوكل عليه ويستدعيه من هدايتنا الى الطريق الموصل الى ربه وهو ما شرعه لعباده وأوجب عليهم سلوكه وعرضنا طريق الصلابة بين لنا الرشاد وحيث كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب السادح في التوكل قالوا الى سبيل التوكيد القسمة مظهرين لكامل العزيمة (و) الله (لتصبرن على ما آذيتونا) من وقوع التكذيب لنا منكم والعداوة لافقة احاث الباطلة وغير ذلك مما لا يخفى وما مصدرية أو موصولة اسمية (وعلى الله) وحده دون من عداه (فليتوكل المتوكلون)

كما قال تعالى الذين يسمعون الرسول النبى الا نرى الذى يجودون مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الآية ثم مع هذا العلم الذى يعرفونه من كتبهم كما يعرفون انباءهم يلبسون ذلك ويعرفونه ويملونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آفة حتى يروا العذاب الاليم أى لا يؤمنون انما ياتونهم بل حين لا ينفع انفسا انفسهم ولهذا المدعى موسى عليه السلام على فرعون وملته قال ربنا اطع من على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم كما قال تعالى ولما اتانا نبيه الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء

الغنام من الناس والنبي معه
الرجل والنبي معه الرجلان
والنبي ليس معه أحد ثم ذكر كثرة
اتباع موسى عليه السلام ثم ذكر
كثرة أمته صلوات الله وسلامه
عليه كثرة سدس الخافقين والشرق
والعربي والعرض ان لم يؤيد بقربة
آمنت بكملها بنبيهم من سلف من
النبي الاقوم نسرهم هل
ينبؤ وما كان ايمانهم الا تخوفا
من وصول العذاب الذي اشرهم
به رسولهم بعد ما عاينوا اسبابه
وخرج رسولهم من بين اظهريهم
فعمد هاجاروا الى الله واستعانوا
به وتضرعوا والديه واستعانوا
واضرعوا اطنا لهم ودوابهم
ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن
يرفع عنهم العذاب الذي اشرهم
به نبيهم فعند هاجرهم الله وكشف
عنهم العذاب واخروا كما قال تعالى
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ومتعناهم الى حين واختلف
المفسرون هل كشف عنهم
العذاب الاخرى مع النبو
أو انما كشف عنهم في الدنيا فقط

الغشام من الناس والنبي معه
الرجل والنبي معه الرجلان
والنبي ليس معه أحد ثم ذكر كثرة
اتباعه وصى عليه السلام ثم ذكر
كثرة أمته صلوات الله وسلامه
عليه كثرة عدت الحافقين والتمرقى
والعربي والغرض ان لم يوجد قرية
آمنت بكلمها بينهم من سلف من
القرى الاقوم نسوهم أهل
ينبوى وما كان ايمانهم الا تخوفا
من وصول العذاب الذى ائذروهم
بدرسولهم بعد ما عاينوا اسبابه
وخرج رسولهم من بين اظهروهم
فعدا جاوروا الى الله واستعانوا
به وتضرعوا والديه واستعانوا
واضرروا اطفالهم ودوابهم
ومواشيهم وسالوا الله تعالى أن
يرفع عنهم العذاب الذى ائذروهم
به نبيهم فعند هارجهم الله وكشف
عنهم العذاب واخروا كما قال تعالى
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا
ومتعناهم الى حين واختلف
المفسرون هل كشف عنهم
العذاب الاخرى مع النبوى
أو انما كشف عنهم فى الدنيا فقط

على قواين أحدهما الناسا كان ذلك في الحياة الدنيا بما هم مضيق هذه الآية والقول الثاني فيه ما لقوله تعالى عليه وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فبغواهم إلى حين فاطلق عليهم الإيمان والإيمان متقدس العذاب الآخر وي وهذا هو الظاهر والله أعلم وقال قتادة في تفسير هذه الآية لم يذبح قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فذكرت الأقوم يؤنس لما فقدوا نعيمهم وطبوا أن العذاب فنددناهم قنف اقد في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة ولهذه الآية نحو إلى اقربا ربعين ليلة فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم فآلى قتادة

وذكر أن قوم يونس بنى أرض الموصل وكذا روى عن ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبيرة وغيره من السلف وكان ابن مسعود يقرأها فهلا كانت قريبة أمنت وقال أبو عمران عن أبي الجلد قال لما نزل بهم العذاب جعل يدور على رؤسهم كمنطع الليل المظلم فمشوا إلى رجل من علمائهم فقالوا لعلمائهم عوبه لعن الله أن يكشف عما العذاب فقال قولوا يا حي حين لا حي يا حي يحيى الموتى يا حي لا اله الا أنت قال فكشف عنهم العذاب ونعم القصة سيأتي - فصلا في سورة الصافات ان شاء الله (ولو شاء ربك لا آمن من في الارض كلهم جهاة فأتت نكرة الناس حتى يكونوا مؤمنين (١٤١) وما كان لنفس أن تؤمن الا بأذن الله ويجعل الرجس

على الذين لا يعقلون) يقول تعالى ولو شاء ربك يا محمد لأذن لأهل الارض كلهم في الايمان بما جئتهم بقا آمنوا كلهم وان كان له حكمه فيما يشاء الله تعالى كقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولازلون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهذا قال تعالى أفأتت نكرة الناس أي تتركهم حتى يكونوا مؤمنين أي ليس ذلك عليه ولا اليأس بل الله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ليس عليهم هداهم ولكن الله يهدي من يشاء لعلمك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أنك لا تهدي من أحببت وإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب فذكرنا أن أنت مذكورة عليهم بصيغرة الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الله تعالى هو الفعال لما يريد الهادي من يشاء المضل لمن يشاء لعلمه وحكمته وعمله

عليه ومراقبتي له = قوله تعالى أفى هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال الاخفش مقامي بمعنى عذابي (وخف وعيد) أي خشي وعيدي بالعذاب وقيل بالقرآن وزواجه وقيل هو نفس العذاب الموعود للكفار والوعيد اسم من الوعد وهذه الآية تدل على ان خوف من الله غير الخوف من وعده لان العطف يقتضي التفسير قاله الكرخي (واستقصوا) أي استنصروا بالله على أعدائهم أو سألوا الله القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة بين الخصمين ومن الاول قوله ان تستفتحوافته دجاكم الفتح ومن الثاني قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا أي احكم والضمير في استفتحوافته دجاكم الفتح ومن الثاني للفرقة وقيل لقربش لانهم في سنى الجذب استظفروا فلم يظفروا وهو على هذا مستأنف والاول أولى وقرئ استفتحوافته الثانية على لفظ الامر امر اللرس بطاب النمرة فنصروا وسعدوا وربحوا (وخاب) أي خسرو وقيل هلك (كل جبار) هو المتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقا هكذا حكاه النحاس عن أهل اللغة وقيل من تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وعوضه ذم في حق الانسان وقيل الذي لا يرى فوقه أحدا وقيل المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه والمعالى متقاربة (عبيد) هو المعاند للعق والنجاب له قاله شاعر وهو ما خوذ من العند وهو الناحية أي أخذ في ناحية معرضا قال الزجاج العبيد الذي يعدل عن القصد ويعتد قال الهروي وقال أبو عبيد هو الذي عند وفي وقال ابن كيسان هو الشايع بأنفسه وقيل المراد به العاصي وقيل الذي أبي ان يقول لا اله الا الله قاله قتادة وقيل العبيد التناكب عن الحق قاله ابراهيم الخفي وقال قتادة المتكبر وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقيل هو المهج بجماعته وقيل هو الذي يعاند ويخالف ومعنى الآية انه خسرو وهلك من كان متصفا بهذه الصفة (من ورائه) أي من بعده (جهنم) والمراد به هلاكه على ان وراءه هنا بمعنى بعده وقوله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ أي من بعده كذا قال الفراء وقيل من ورائه أي من امامه قال أبو عبيدة هو من أئمة الاضداد لان أحدهما ينقلب الى الآخر ومنه قوله تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل ذنبه غصبا أي أمامهم - وبه قال قطرب وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائه أي - وفي رواية - وأنا من وراءه أي في طلبه وقال النحاس من ورائه أي من امامه وليس من الاضداد ولكنه من نواري أي استرقفت ارت

ولهذا قال تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا بأذن الله ويجعل الرجس وهو الخبال والفساد على الذي لا يعقلون أي جميع الله وأدلتة وهو العادل في كل ذلك في هدايته من هدى واضلال من ضل (فرا تظروا ماذا في السموات والارض وما تعني الآيات ولتذر عن قوم يؤمنون هل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم نجي رسلا والذين آمنوا كذلك حق علينا نجي المؤمنين) يرشد تعالى عباده الى التفكير في آياته وما خلق الله في السموات والارض من الآيات الباهرة لنرى الابواب عما في السموات من كواكب نيرات نوابت وسيارات والنس والقمر والليل والنهار واختلافهم في ابلج أحدهما

في الآخر حتى يطول هذا ويقتصر هذا ثم يقتص هذا ويطول هذا وارتشاع الماء وانساءها وحسنها وزيئها وما أنزل الله منها من مطر فأجابته الأرض بعد موتها وأخرج فيها من أقانيب الغار والزروع والأزهار وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمذافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب وما في البحر من البحائب والأمواج وهو مع هذا مذل للالكين يجعل سفنهم ويجري بهم برفق التدبير لا اله الا هو ولا رب سواه وقوله وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون أي وأي نبي تغني الآيات السماوية والأرضية (١٤٤) والرسول بآياتها راجعها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم

لا يؤمنون قوله أن الذين حنت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية وقوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خسروا من قبلهم أي فهل ينتظرون هؤلاء المكذوبين لا يمحوا من التهمة والماذاب الا مثل أيام الله في الذين خسروا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسولهم قل فانظروا إلى معكم من المتظنين ثم انفي رسلنا والذين آمنوا أي ونم لك المكذبين بالرسول كذلك حقا علينا انفي المؤمنين أي - فما أوجبته الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وكما به في العديدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رضى سبقت غضبي (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من شيء فلا تعد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أنكون من المؤمنين وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكون من المشركين ولا تدع من دون الله مالا تشرك ولا بضرك فان

جهنم من ورائه لانهم لا ترى وحكي مثله ابن الأباري وقول نعلب هو اسم لما توارى عنه سواه كان خائفا أو قدامك (وبقي من ماء صديد) أي يلقي فيها ويقي والصديد ما يبيل من جلود أهل النار ولطوهمهم واشتقاقه من الصلابة لا يصد الناظرين عن رؤيته وهو دم مختلط بطين يسيل من جلد الكافر ولحمه وقال عكرمة هذا القيح والدم وقول محمد بن كعب القرظي هو ما يبيل من فروج الزناة يذاه الكافر والصديد صفة الماء وبيل منه وقيل عطف بيان له (يتجرعه) التجرع العصى أي يتحساه مرة بعد مرة لاهمة واحدة لمرارة وحرارة وتذوقه وكرهه وقيل يكف تجرعه ويتهر عليه ولم يذكر الزنجشري غير ذلك اندال على المهلة أي يتناول شيئا أو قبل أنه يعني جرعه المجرد (ولا يكاد يسبقه) يقال ساغ الشراب في الخلق يسوغ سوغا إذا كان سهلا والمعنى لا يقارب ان يسبقه ويتابعه فكيف يكون الاساعغة بل يغصر به بعد الشيا واللتي فيشر به جرعة بعد جرعة فيطول عذابها بحرارة واعطش تارة وبشر به على هذه الحالة أخرى فان السوغ التحذير الشراب في الخلق يسوله وقول نفس ونفسه لا يجيب نفى ما ذكره معا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساعغة لانه المعهود في الاشرية وقيل انديغ بعد شدة وابطاء كقوله وما كادوا يشعلون أي يشعلون بعد ابطاء كما يدل عليه قوله تعالى في آية أخرى يصمر به ما في بطونهم قبل كاد صلة وقول الزنجشري للمصافة وقيل معناه لا يجيزه أخرج أحد الترمذي واستغربه والشافعي وابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم في الحلية وصححه عن أي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال يقرب الى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه منع أمعاء حتى يخرج من دبره يقول الله وسقوا ماء حميما فتطعم امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعنا (ويأتيه الموت) أي أسبابه (من كل مكان) أي من كل جهة فمن الجهات من قدماه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله أو من كل موضع من مواضع بدنه وقال الاخفش المراد بالموت هنا البلى التي تعذب الكافر في النار ما هو ناله دلتها قال ابن عباس يعني أنواع العذاب وليس منها نوع الا الموت يأتيه منه لو كان يوت ولكنه لا يموت لان الله يقول لا يقضى عليهم فميتوا وقال ميون بن مهران المعنى من كل عظم وعرق

وعصب

فعلت فالت اذا من الطالين وان يثبت الله بضرك فلا كاشف له الا هو وان يردك بحجر فلا راد لقطعه

يصيبه من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من صحة ما بينكم وبين الدين الحنيف الذي أوحى الله الى قلوبنا الا عبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبدوا الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما حياكم ثم اليه مرجعكم فان كانت انفسكم التي تدعون من دون الله حقا فلان لا عبد فادعوها فليسكني فانها لا تضر ولا تنفع واعمال الذي يبدى الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وأمرت أن أكون من المؤمنين وقوله وان

أقم وجهك للدين حنيفا الآية أي أخلص العبادة لله وحده حنيفا أي منصرفا عن الشرك ولهذا قال ولا تكونن من المشركين وهو معطوف عن قوله وأمرت أن أكون من المؤمنين وقوله وإن يسئلك الله بضر الآية فيه بيان لأن الخير والشر والنفع والصراع هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه فيما ذكرنا حده وهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة صفوان بن سليم من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلبوا (١٤٣) الخير دهركم كله وتعرضوا للنفقات ربكم

فإن الله تنفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوهم أن يستعروا منكم ويؤمنوا بربكم ثم رواه من طريق الليث عن عيسى ابن موي عن صفوان عن رجل من أصحاب عن أبي هريرة مرفوعا عنه له سواء وقوله وهو الغل والنور الرحيم أي لمن تاب إليه ولو مر أي ذنب سكان حتى من الشرك به فأنه يتوب عليه (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانتهى فإني أنصه نفسه ومن ضل فإني أضل عليه) وما أنا عليكم بوكيل وأتبع ما يوحى اليك وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين يقول تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مريبة فيه ولا شك فيه فمن اهتدى به واتبعه فإني أعود نفع ذلك الاتباع على نفسه ومن ضل عنه فإني أجمع وبال ذلك عليه وما أنا عليكم بوكيل أي وما أنا بموكل بكم حتى تؤمنوا به إنما أنا نذير لكم والهداية على الله تعالى وقوله وأتبع ما يوحى اليك وهو خير الحاكمين أي خير الناصحين بعده وحكمته

وعصب وعن محمد بن كعب بنحوه عن إبراهيم التيمي قل من موضع كل شعرة في جسده (وهو عبت) أي والخال أنه لم يمت حقيقة فيستريح وقيل تعلق نفسه في خبرته فلا يخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانه من جوفه فيصيا ومثله قوله لا يموت فيها ولا يحيى وقيل المعنى وما هو بعيت لتناول شئ أو الموت به وامتداد سكراته عليه والأولى تنسب الآية بعدم الموت حقيقة لما ذكرنا من قوله سبحانه لا يموت فيها ولا يحيى وقوله لا ينقض عليهم فيموتوا ولا ينقض عنهم من عذابها (ومن ورثه) أي من أمته ومن بعده أو من بين يديه قاله البيضاوي وقيل الضمير عائدة على كل جبار كما في السمين (عذاب غليظ) أي شديد يستقبل في كل وقت عذابا أشد مما هو عليه قبل هو الخلود في النار قاله إبراهيم التيمي وقيل حبس الانفس قاله قتادة بن عياض (مثل الذين كثروا برهم) كلام مستأنف منقطع عما قبله قال سيبويه تقديره فيأتي إليكم مثل الذين والمنزل مستعار للنصبة التي فيها غرابة وقال الزجاج والفرقة التقدير مثل أعمال الذين وروى عنه أنه قال بالغام مثل وقيل مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل (أعمالهم) الصالحة كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقراء الضيف وبر الوالدین ونحو ذلك أو عبادتهم الأصنام في عدم الانتفاع بها أو الأعمال التي أشركوا فيها غير الله تعالى (كراماد) أي باطلة غير مقبولة والرماد ما يبق بعد احتراق الشيء وهو ما ينط من الخطب والنعم بعد احتراقه بالنار ووجهه في الكثرة على رمد وفي القلة على أرمد (اشتبهت به الریح) حاله بشدة وسرعة فتنه وطيرته ولم يبق منه شئ (في يوم عاصف) العصف شدة الريح وصف بدوامها بانفة كما يقال يوم حار يوم بارد البرد والحرف ما لا منهم أو الأسناد فيه تجوز ووجه التشبيه أن الريح العاصفة تطير الرماد وتفرق اجزائه بحيث لا يبقى له أثر فكذلك كثرة هم أبطال أعمالهم وأحباطها بحيث لا يبقى لها أثر وقد بين محصله بقوله (لا يقدر أن يمسكوا) من ذلك الأعمال الباطلة (على شيء) منها ولا يرون له أثر في الآخرة يجازون به وينابون عليه بل جميع ما عملوه في الدنيا باطل ذاهب كذهاب الريح بالرماد عند شدة هبوبه أو هو فذلك التمثيل وعن ابن عباس لا يقدر أن يمسكوا أي لا يمسكوا لهم نعمهم كما لا يقدر على الرماد أن يمسك في يوم عاصف (ذلك) أي ما دل عليه التمثيل من هذا البطلان لأعمالهم وذهاب أثرها (هو الضلال) الهلاك

عن (تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية) قال الحافظ أبو يعلى حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا أبو الأحوص عن أبي اسحق عن عكرمة قال قال أبو بكر السري رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شئت قال شئتني هود الواقعة وعم ينسألون وإذا الشمس كورت وقال الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا عوف بن هشام عن شيبان عن أبي اسحق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر رسول

الله قد ثبت قال شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يسألون واذا الشمس كورت وفي رواية هود واخواتها وقال الطبراني حدثنا
عبدان بن أحمد حدثنا جاج بن الحسن حدثنا بهيد بن سلام حدثنا عمر بن محمد عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم شيبني هود واخواتها الواقعة والحاقة واذا الشمس كورت وفي رواية هود واخواتها وقدرى من حديث ابن
مسعود فقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق
الرباضي حدثنا عمرو بن ثابت عن أبي اسحق (١٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان نأبكر قال يا رسول الله ما شيبك

قال هود والواقعة عمرو بن ثابت
مستروك وأبو اسحق لم يدرك ابن
مسعود والله أعلم

• (بسم الله الرحمن الرحيم) •
(الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت
من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا
إلا الله انى لكم منه نذير وبشير
وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
يعتكم متاعا حسنا الى أجل مسمى
وبؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا
فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير
الى الله مرجعكم وهو على كل شئ
قدير) فقد تقدم الكلام على حروف
الهيئات في أول سورة البقرة بما أغنى
عن اعادته هنا والله التوفيق
وأما قوله ألكم آياته ثم فصلت
أى هى الحكمة في انظها من نصلة
في معناها فهو كامل صورة ومعنى
هذا معنى ماروى عن مجاهد وقتادة
واخبره ابن جرير وقوله من لدن
حكيم خبير أى من عند الله الحكيم
في أقواله وأحكامه خبير بعواقب
الامور ألا تعبدوا إلا الله أى نزل
هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة
الله وحده لا شريك له كقوله تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول الا
نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون

(البعيد) عن طريق الحق المخالف لمنهج الثواب أو عن فعل الثواب ولما كان هذا
خيرا لنا لا يمكن تداركه ولا يرجى عوده بعبادة رالم تر أن الله خلق السموات
والارض (الرؤية هنا هي القلبية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعريضا
لائمته أو الخطاب لكل من يصلح له باحق) أى بالوجه الصحيح الذى يحق أن يخلفها عليه
ليستدل بها على كمال قدرته لا باطلا ولا عشا والبالياء صاحبة ثم بين كمال قدرته بجهانه
واستغنائه عن كل أحد من خلقه فقال (ان يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويات بخلق
جديد) سواكم فيعدم الموجودين ويوجد المعدمين ويهلك العصاة ويبقى بن طبيعته
من خلقه لان النادر لا يصعب عليه شئ وانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور ودون
مقدور والمقام يحتمل ان يكون هذا الخلق الجديد من نوع الانسان ويحتمل ان يكون
من نوع آخر (وما ذلك) أى الازهاب والاتيان باعدام الموجود وابتعاد المعدم (على
الله بعزيز) أى بمشقة ومتعذرا لانه سبحانه قادر على كل شئ وفيه أن الله تعالى هو الحقيقى
بان يرجى ثوابه ويخاف عقابه ولذلك أتبعه بذكر أحوال الاشنة فقال (وبرزوا لله
جميعا) أى الخلائق من قبورهم يوم الحساب والبروز اظهروا البراز بالفتح المكان
الواسع لظهوره ومنه امرأة برز أى اظهره للرجال ورزحصل في البراز أى انفضه وذلك
بان يظهر به انه كاهن فى برزوا اظهروا من ثيورهم وعبر بالماضى عن المستقبل فنبها
على تحقيق وقوعه كما هو مقرر في علم المعاني واغنى قال وبرزوا لله مع كونه سبحانه عالما
بهم لا يخفى عليه شئ من أحوالهم برزوا ولم يبرزوا لانهم كانوا يستترون عن العيون عند
فعلهم لم يلهى ماضى ويظنون ان ذلك يخفى على الله تعالى فالكلام خارج على ما يقتضيه
(فقال الضعفاء للذين استكبروا) أى قال الاتباع الضعفاء في الراى للارؤساء الاقوياء
المتكبرين بما هم فيه من الرياسة (انا كذالك نبعأ) في الدنيا في الدين والاعتقاد فكذبنا
الرسول وكذبنا الله متابعا لكم والتبع جمع تابع مثل خادم وخادم وحارس وحرس
وراصد وراصد أو مصدر وصف بملابسة أو على تقدير ذوى تبع قال الزجاج جمعهم
في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع فقال الضعفاء للذين استكبروا من أكلهم وقادتهم
عن عبادة الله انا كذالك نبعأ (فقل أنتم) في هذا اليوم والاستقام للنبى (مفنون)
أى دافعون (هنا) يقال أغنى عنه اذا دفع عنه الاذى وأغناه اذا وصل اليه النفع

وقالوا لقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقوله انى لكم منه نذير وبشير أى (من)
لكم نذير من العذاب ان خالفتموه وبشير بالثواب ان أطعتموه كما جاء في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد
الصفا فدا بطون قريش الاقرب ثم الاقرب فاجتمعوا فقال يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا تملككم ألسنهم صدق
فقالوا ما برئنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدي عذاب شديد وقوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يعتكم متاعا حسنا الى
أجل مسمى وبؤت كل ذي فضل فضله أى وأمركم بالاستغفار من الذنوب الساغفوا التوبة منها الى الله عز وجل فيما

نستقبلونه وان تستمروا على ذلك يتبعكم مشاعا حسنا أي في الدنيا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله أي في الدار الآخرة قاله قتادة كقوله من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياطة طيبة الآية وقد جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعوا ذلك ان تتفق فتنة تبتغي بها وجه الله الا أجرت بها حتى ماتت في في امرأتك وقال ابن جرير حدثني المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ويؤت كل ذي فضل فضل قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي كان (١٤٥) عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم

يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ذلك من غلب آثامه على اعشاره وقوله وان تولوا فاني أخف عليكم عذاب يوم كبير هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسوله فان العذاب يناله يوم القيامة لا محالة الى الله مرجعكم أي معادكم ومرجعكم يوم القيامة وهو على كل شيء قدير أي وهو النادر على ما يشاء من احسانه الى اوليائه والقيامه من أعدائه واعادة الخلائق يوم القيامة وهذا مقام التهيب كما ان الاول مقام ترغيب (الا انهم ينشرون صدورهم ليعتقنوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه علم بذات الصدور) قال ابن عباس كانوا يكرهون ان يستقبلوا السماء بفروجهم ورجل وقاعهم فانزل الله هذه الآية تروى البخاري من طريق ابن جرير عن محمد بن عباد بن جعفر ان ابن عباس قرأ الا انهم تنشرون صدورهم الآية فقلت يا ابا العباس ما تنشرون صدورهم

(من عذاب الله من شيء) أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله فمن الاول للبيان والثانية للتبعية. قال الزمخشري وقيل هما للتبعية. معاقلة في الكشف أيضا وقيل الاول يتعلق بمحذوف والثانية مزيدة (فولوا) أي قال المستكبرون شيعيين عن قول المستغشين (لو هدا الله) الى الايمان في الدنيا (اهديناكم) اليه ولكن لما أضلنا وضلنا دعوناكم الى الضلالة وأضلناكم واختارنا لكم ما اخترناه لانفسنا والجملة مستأنفة كأنه قيل كيف أجابوا وقيل المعنى لو هدا الله الى طريق الجنة لهديناكم اليها وقيل لو فحانا الله من العذاب لنجيناكم منه (سواء علمنا أجر عنا أم صبرنا) أي مستوعبنا الجزع والصبور الجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه والله زرع وام لنا كيد التسوية كما في قوله تعالى سواء علمهم أم لم ينذرهم (ما لنا من محيص) أي نجاة ومهرب من العذاب من الحيص وهو العـدل على جهة القرار يقال حاص فلان عن كذا أي فز وزاغ يهيم من حيصا وحيصا وحيصانا والمعنى ما لنا وجه نتبعه عن النار ويجوز ان يكون هذا من كلام الفريقين وان كان الظاهر انه من كلام المستكبرين وفي مجيئ كل جملة مستأنفة من غير عاطفة دلالة على ان كلاما من المعاني مستقل بنفسه كافي في الاخبار وقال زيد بن اسلم جزء أمانة سنة وصبر وamana سنة وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه عن كعب بن مالك يرفع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول أهل النار اهلوا فلتصبر فصبورون خمسة مائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا اهلوا فلتجزع فبكموا خمسة مائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا اسراء علينا أجزعنا ثم صبرنا ما لنا من محيص والظاهر ان هذه المراجعة كانت بينهم بعد دخولهم النار كما في قوله تعالى واذ يتصالحون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاهم هل أنتم مغنون عنا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيما ان الله قد حكم بين العباد (وقال الشيطان) للفريقين (ما نقضى الامر) أي دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار على ما سيأتي بيانه في سورة مزيم ان الله وعدكم وعد الحق فصدق في وعده وهو وعد جعله بالبعث والحساب ومجازاة المحسن باحسانه والمسيئ باسائه قال الثوري وعد الحق هو من اصافه الشيء الى نفسه كقوله هم مسجد الجامع وقال البصريون وعدكم وعد اليوم الحق (ووعدتكم) وعدا باطلا لانه لا بعث ولا حساب

(١٩ فتح البيان خامس) قال الرجل كان يجامع امرأته فيدني أو يفعل فيدني فترات الا انهم تنشرون صدورهم وفي لفظ آخره قال ابن عباس اناس كانوا يصيرون ان يتخلوا فينضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فينضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ثم قال حدثنا الحيدى حدثنا صفيان حدثنا عمرو قال قرأ ابن عباس الا انهم ينشرون صدورهم ليعتقنوا منه الا حين يستغشون ثيابهم قال البخاري وقال غيره عن ابن عباس يستغشون يغطون رؤسهم وقال ابن عباس في رواية اخرى في نفس هذه الآية يعني به الشيطان في الله وعمل السيئات وكذا روى عن جاهدوا الحسن وغيرهم أي انهم كانوا ينشرون صدورهم اذا قالوا شيئا أو عملوا فيظنون

انهم يستخفون من الله بذلك فآخبرهم الله تعالى انهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل يعلم ما يسرون من القول وما يعلمون انه عليهم ذات الله وراى يعلم ما تكن صدورهم من النيات والغماير والسرار وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معانيه المشهورة

فلانكفن الله ما في قلوبكم * ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
 يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر * ليوم حساب أو يجعل فينتقم

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهل بوجود الصانع (١٤٦) وعلمه بالجزئيات والمعاد وبالجزء وبكتابة الاعمال في الحذف ليوم القيامة

وقال عبد الله بن شداد ما أحدهم إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم نني صدره وغلى رأسه فأقبل الله ذلك وعود الصبر الى الله أولى لقوله الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلمون وقرأ ابن عباس إذا نهم نأوى صدورهم برقع الله صدورى الناعلية وهو قريب المهيى (وما من ذابة فى الارض الا على الله رزقها وبعمامهها ومسدود عنها كل فى كتاب مبين) أخبر تعالى انه متكفل بارزاق الخوقات من سائر دواب الارض صغيرها وكبيرها بحجورها وبربها والله يعلم مسدودها ومسود عنها ما لم أين منتهى صيرها فى الارض وأين نأوى اليه من وكرها وهو مسدود عنها وقا على بن أبى طلحة وغيره عن ابن عباس ويعلم مسدودها أى حيث نأوى ومسود عنها حيث توت وعن مجاهد مسدودها فى الرحم ومسود عنها فى الصاب كقضى فى الانعام وكذا روى عن ابن عباس والعمالك وجاءت مؤذ كراين ثنى ستم أقوال المسر بن ههنا كما

ولا جنة ولا نار (فأخذهنكم) ما وعدتكم به من ذلك (وما كانلى عليكم من سلطان) أى تسلط عليكم باظهار حجة على ما وعدتكم به وزيته لكم (الا ان دعوتكم) أى مجرد دعائى لكم الى القواية والاضلال بلا حجة ولا برهان ودعوتهم ايت من جنس السلطان حتى يستثنى منه بل الاستثناء منقطع أى لا يمكن دعوتكم وقيل المراد بالسلطان هنا القهر اى ما كانلى عليكم من تهرين تطركم الى اجابنى وقيل هذا الاستثناء مفعول من باب تهيئة بينهم ضرب وجيع مبالغة فى نفيه لاسان عن نفسه كانه قال انما يكونلى عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من سلطان وليس منه قطعا (فاستجبتملى) أى فاستجروا الى اجابنى (فلا الخوملى) بما وقعتم فيه بسبب وعدى انكم بالباطل واخلاى هذا الموعد فان من سرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك (ولوموا اللهكم) باستجابكملى بمجرد الدعوة الى لاسان عليهم ولا حجة فان من قبل المواعيد الباطلة والدعوى الزائفة عن طريق الحق فعلى نفسه جنى ولما رنه قطع ولا سيما ودعوى هذه الباطلة وموعدى الفاسد وقعا معارضين لوعده الله لكم وشواحق ودعوتكم الى دار السلام مع قيام الحجة التى لا تخفى على عاقل ولا تدبى الا على مخذول وقريب من هذا من يقتدى بأراء الرجال الخالفة لما فى كتاب الله ولما فى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤثرها على ما فيه ما فانه قد استجاب للبلط الذى لم يتم عليه حجة ولا دل عليه برهان وترك الحجة والبرهان خلف ظهره كما يشهد كثير من المقلدين بالرجال المقلدين لهم المشككين عن طريق الحق بسوء اختيارهم الله هم غفرا (ما نابصر خكم وما أنتم بمصرىنى) يقال سرح فلان اذا استغاث بصرخ صراخا وبصرىنا واستصرخ بمعنى سرح والمصرخ المغيب والمستصرخ المستغيث يقال استصرخنى فاستصرخه والصريح صوت المسدود صرخ والصريح أيضا الصارخ المستغيث والمصرخ المغيب ومعنى الآية ما نابغيتكم ومنقذكم عما أنتم فيه من العذاب وما أنتم عفيين ولا منقذى ما نابغيتكم وفيه ارشاد لهم الى ان الشيطان فى تلك الحالة تمبلى عما تلجوا به من العذاب محتاج الى من يغينه ويخلصه مما هو فيه فكيف بطهعون فى انتم من هو محتاج الى من يغينه قال ابن عباس الماهى ما نابغيتكم وما أنتم فى ذمى وقال الشعبي فى هذه الآية خطيبان بقوم ان يوم القيامة ليس وعيسى فلما

ذكره عند تلك الآية فله أعلم وان جميع ذلك مكتوب فى كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك كقوله وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا انهم أمثالكم ما فرطوا فى الكتاب من شئ ثم الحزبهم يحشرون وقوله وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تدهق من ورقة الا بهاءه الا حجة فى ظلمات الارض ولا تطب ولا يبأس الا فى كلب مبين (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) لعلكم أبكم أحسن عملا ولئن قلت انكم معونون من بعد الموت ليشولن الذين فكفروا ان هذا الاصرميين وان آخرنا منهم العذاب الى أمة معدود ذلك قولن ما يحبسهم الا يوم ياتيهم ليس

مضر وفاعنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) يحذر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وان عرشه كان على الماء قبل ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطينا قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء قال فأتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقته من عقاليها قال فخرجت (١٤٧) في أثرها فلا أدري ما كان بعدي وهذا الحديث

مخرج في صحيح البخاري ومسلم
بانقاط كثيرة ذمها قالوا اجنانه
فـالـك عن أول هذا الامر فقال
كان الله ولم يكن شئ قبـه وفي رواية
غيره وفي رواية معه وكان عرشه الى
الماء وكتب في الذكر كل شئ ثم
خلق السموات والارض وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم ان الله قدر مقادير
الخلق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة وكان
عرشه على الماء قال البخاري في
تفسيره في هذا الآية حدثنا أبو الهيثم
أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد
عن الأعرج عن أبي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال الله عز وجل
أنتق الله في عليـه اذ قال يد الله
ملائك لا يفقهونها فانتق الله تعالى الليل
والنهار وقال أفرايت ما أنتق من ذخايق
السموات والارض فانه لم يفسد
ما في يمينه وكان عرشه على الماء
ويده الميزان يخلص ويرفع وقال
الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون
أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن

ابليس فيقوم في حزنه فيقول اتول المذكور في الآية وأما يسى فيقول ماقلت لهم -
الانما امرتني بان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم - ثم شهيد امدمت فيهم فلما توفقتنى
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شئ شهيد وقال فتادة المعنى ما انا بعميتكم (اي
كثرت عما انكرت من قبل) قد ذهب جهور المنسرين الى ان ماص - درية اى
باشرا كلكم اياى مع الله فى الطاعة لانهم كانوا يطيعونه فى اعمال الشر كما يطاع الله فى
اعمال الخير فالانكر الذى استعاره بتشبيه الطاعة به وتزييلها بمنزلة اولانهم لما انكر كوا
الاصنام ونحوها باتباعه لهم فى ذلك فكأنهم انكر كونه وقيل موصولة على معنى انى كثرت
بالذى انكر كونه وهو الله عز وجل ويكون هذا حكاية لكثرة بالله عند ان امره بالعبود
لا قدم ولما كشف لهم - التناع بان لا يغنى عنهم من عذاب الله شيئا ولا ينصرهم بنوع من
نوع النصر صرح لهم - بانك كافر باشرا كه - مع الله فى الزبانية من قبل هذا الوقت
الذى قال لهم الشيطان فيه هذه المنة وهو ما كان منهم فى الدنيا من جعله شر يكابر به
قام لهم الشيطان فى هذا اليوم مما ما تقدم ظهورهم ويتطوع فلوهم فاوضح لهم اول ان
مواعيدهم التى كان يعددهم - فى الدنيا باطلة معارضة لوعدا الحق من الله سبحانه والله
أخبرهم ما وعدهم من تلك المواعيد ولم ينف لهم بشئ منها ثم اوضح لهم ثانيا بانهم قبل الحوا
قوله بما لا يوجب التبول ولا يثنى على عقل عاقل لعدم الخلة التى لا بد لها من قبول
قول غيره ثم اوضح لهم ثالثا بانهم لم يكن منهم الا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان الخالية عن
أيسر شئ مما يتبادر الى عقولهم من اربع ما وقعوا فيه ودفع لومهم له وامرهم بان
يلوموا انفسهم لانهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذى لا يتيسر بطلانه الى من له ادنى
عقل ثم اوضح لهم خامسا بان لا نصر عدوه ولا ثمانية ولا يستطيع لهم نفعا ولا يدفع عنهم -
ضررا بل هو - لهم فى الخوف فى البلية والعجز عن التخلص عن هذه الشنة ثم صرح لهم -
سادسا بان قد كثرت عما اعتقدوه فيه وانبتوه له فتضاغت عليهم - الحسد رات وتالت عليهم
المصائب واذا كان جملة (ان الظالمين لهم عذاب اليم) من تمة كلامه كما ذهب اليه البعض
فهو نوع سابغ من كلامه الذى خاطبهم به فاثبت لهم انهم انما هم كراما هو جزاؤهم عليه من
العذاب الا ايم لاعلى قول من قال ان ابتداء كلام من جهة الله سبحانه ولما اخبر به الله
بحال اهل النار اخبر بحال اهل الجنة فقال (وادخل) قراءة الجهور على البناء لا دخول

عطاء عن وكيع بن عديس عن عمه أبي رزيب وأبيه لقيط بن عاصم بن المذني العقبلي قال قالت بارس رسول الله أين كان ربك قبل أن يخلق خلقه قال كان في عرش ما خلقه هو أو ما فوقه هو أو من خلق العرش بعد ذلك وقد رواه الترمذي في التمهيد. يروان ما جاء في السنن من حديث يزيد بن هرون بن أبي الترمذي هذا حديث حسن وقال مجاهد وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئا وكذا قال وهب بن منبه وضمرة وقد اتفقا وابن جرير وغير واحد قول قتادة في قوله وكان عرشه على الماء يثبتكم كيف كان به خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض وقول الربيع بن أنس وكان عرشه على الماء لما خلق السموات والأرض فمن ثلث الماء قد بين فجعل أصلها

ولا يحيدوا الامة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة فبرادهم بالامد كقوله في هذه الآية الى لمة معدودة وقوله في يوسف وقال الذي نجى منهم ما واذ كر بعد امة وتستعمل في الامام المقتدى به كقوله ان ابراهيم كان امة فاسما لله حينئذ ولم يكن من المشركين وتستعمل في الملة والدين كقوله اخبارا عن المشركين انهم قالوا لا يوجدنا آباءنا على امة وانما على آثارتهم مقتدون وتستعمل في الجماعة كقوله ولما ورد ما مدين وجد عليه امة من الناس يسقون وقوله واقتد بهم على كل امة رسولان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم (١٤٩) بالتسوية وشبه لا يظلمون والمراد من الامة

هيما الذين يبعث فيهم الرسل مؤمنهم وكافرهم كما في صحيح مسلم والذي ينسب يده لا يسعني احد في هذه الامة هو دى ولا نسراى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار واما امة الاتباع فهم المصدقون للرسول كما قال تعالى **كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ** اخرجت للناس وفي الصحيح فاقول امى امى وتستعمل الامة في الشريعة والطائفة كقوله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وكقوله من اهل الكتاب امة قائمة الآية (واثن اذقنا الانسان منارحة ثم زعمنا انها من الانبياء ومن كذور واثن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليتوان ذهب السيات عن اننا نخرج نخور الا الذي صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة وأجر كبير) يعبر تعالى عن الانسان وما فيه من الصفات الذميمة الامن رحم الله من عباده المؤمنين اذا اصابته شدة بعدة منة فحصل له اليأس وقنوط من الخير بالنسبة الى المستقبل وكفرو بجهود لما نبي الحال كانه لم ير خيرا ولم يرج

المسلم لا ينجات ورثها وتوفى أكلها كل حين فذكر نحوه وفي لفظ لابن جرير وان مردويه من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم هل تدرون ما الشجرة الطيبة ثم قال هي النخلة وروى نحوه هذا جماعة من الصحابة والتابعين وقيل غيرها والمراد توفى أكلها كل ساعة من الساعات من ليل أو نهار في جميع الاوقات من غير فرق بين شتاء وصيف قاله ابن عباس وقيل المراد في اوقات مختلفة من غير تعيين وقيل كل غدوة وعشية وقيل الحين هنا سنة كانه لان النخلة تنثر في كل سنة مرة وقيل كل شهر وقيل كل ستة أشهر قاله ابن عباس وسعد بن جبيرة وقادة والحسن يعني من وقت طلوعها الى حين سرامها وقول علي بن أبي طالب ثمانية أشهر وتيمم في أربعة أشهر من حين طلوعها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب شهران قال الحسن وهذه الاقوال متقاربة غير متناقضة لان الحين عند جميع أعمال اللغة الامس شذمهم بمعنى الوقت يقع لتقليل الزمان وكثيرين وقد ورد الحين في بعض المواضع برادهم أكثر كقوله هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد تقدم بيان أقوال العلماء في الحين في سورة البقرة وقول الزجاج الحين لوقت طال أم قصر عن ابن عباس في قوله تعالى توفى أكلها كل حين قال يكون أخضر ثم يكون أصفر وعنه قال كل حين جدد النخل وندروى عن جماعة من السلف في هذا أحوال كثيرة ووجدنا حكمه في تفسيره لابي بن النخيل بالشجر على الاطلاق ان الشجرة تسمى شجرة لا بثلاثة أشياء عرق رافع وأصل ثابت وفرع ثابت وكذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالايدي والاركان وقيل غير ذلك وعن ابن عباس الكلمة الطيبة شهادة ان لا اله الا الله والشجرة الطيبة المؤمن وأصلها الثابت قول لا اله الا الله ثابت في القلب وفرعها في السماء يقول يرفعهم بعمل المؤمنين الى السماء وندروى نحوه هذا عن جماعة من التابعين ومن بعدهم (ويضرب الله امثال الناس اعلمهم يتذكرون) أحوال المبدأ والمعاد وبتأثير معجزة سبحانه الدالة على وجوده ووحدة ذاته وفي ضرب الامثال زيادة تذكير قهيم وتصور للمعاني وتقريب اليها من الحس ومما نقل من تذكرة واعظ (ومثل كلمة خبيثة) قد تقدمت في غيرها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل وضرب الله مثلا كلمة خبيثة للبيان ان ذلك غير متعدي بالضرب والبيان (شجرة) أى كمثل شجرة (خبيثة) قيل هي شجرة الخ فلز وقيل هي شجرة النور وقيل الشجرة

بعد ذلك فبرادهم ان اصابته نعمه بعد انقضاء ما يتوان ذهب السيات عنى أى يقول ما يتوان الى به ده ضام ولا سواه انه لخرج نخور أى فرح بما في يده بطر نخور على غير قال الله تعالى الا الذين صبروا على الشدائد والمكروه وعملوا الصالحات أى في الرخاء والمغفرة اولئك لهم مغفرة وأجر كبير عا أسأله وفي الرخاء كما في الحديث والذي ينسب يده لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا نصب ولا حزن حتى الشوك يشا كها الا كفر الله عنه بهم من خطاياهم وفي الصحاح والذي ينسب يده لا يتنقى الله لا مؤمن فضاء الا كان خيرا له ان اصابته برادهم كركن خيرا له وان اصابته ضراء ضراء كان خيرا له وليس ذلك لاحد غير المؤمن

ولهذا قال الله تعالى والعصران الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال تعالى ان الانسان خلق هلوعا الايات (فله لا تترك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كبراً وجاء معه ملك انما انت تكذب وتبوء الله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراء قل فأتوا به شراً سورته من مثبرات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل به علم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) يقول تعالى مسلياً الرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يعتق به (١٤٠) المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول كما أخبر تعالى عنهم في قوله وقالوا

ماله هذا الرسول ولنا كل الطعام ويحيى في الاسواق لولا انزل اليه لئلا يكون معه نيرا أو ياتي اليه كثر أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً فامر الله تعالى رسوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأرشده ان لا يضيق بذلك منهم صدره ولا يصدنه ذلك ولا ينتبه عن دعائهم الى الله عز وجل آتاه الليل وأطراف النهار كما قال تعالى ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون فاتية وقال ههنا فاعلم انك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لاني اتواهم ذلك فاعلم انك تارك ذلك اسوة بالخواند من الرسل فثبت قائمهم كذبوا أو أضوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل ثم بينا تعالى انما القرآن وانه لا يسطيع أحسان يأتي بمثله ولا يشتر سور مثله ولا بسورة من مثله لان كلام الرب تعالى لا يشبه كلام الخلق فكما ان صفاته لا تشبه صفات المخلوقات وذاته لا يشبه هائتي تعالى وتقدس وتعالى لا اله الا هو ولا رب سواه ثم قال تعالى فان لم يستجيبوا لكم

وقبل الطلعة وقيل هي كشوب بالضم وأخر من مثله وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض (اجتنت) أي استوصلت واقتضت وقطعت من أصلها قال المورج أخذت جنتها وهي نفسها وذاتها والجنته تخص الانسان فاعدا ونائما يقال جنته فلعله واجتنته اقتضاه كائنها اجتنت وكائنها غير ثابتة بالكلية وكانها ملقاة على وجه الارض ومعنى (من فوق الارض) انه ليس لها أصل راسخ وعروق متصلة من الارض (مالها) أي لهذه الشجرة (من قرار) أي من استقرار وقيل من نبات لانها ليس لها أصل ثابت تغرس في الارض بل عروقه في وجهها ولا فرع لها صاعد الى السماء بل ورقها يتدلى في الارض كشجرة البطيخ وغيره ارضي مكان الكافرو كلته لا حجة له ولا نبات فيه ولا خبر يأتي منه أصلاً ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح وفي الخبيثة تسميتها شجرة فجاز لان الشجر ماله ساق والتجيم ماله ساق له وفي من التجيم فسميتها شجرة لانه كلة قال ابن عباس الكرامة الخبيثة الشرك والشجرة الخبيثة الكافر يعني الشرك ليس له أصل يأخذه الكافر ولا يبرهان ولا يقبل الله مع الشرك عملاً وقد روى فهو هذا عن جماعة من التابعين ومن بعدهم (يثبت الله) راجع الى مثل الاول (الذين آمنوا بالاقول الثابت) أي بالحق الواضحة مندهم وهي الكرامة الطيبة المتقدمة ذكرها قد ثبت في الصحيح اسمها كلمة الشهادة يقولها المؤمن اذا قعد في قبره قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله تعالى يثبت الله الآية وقيل معنى تثبت الله لهم هو ان يدوموا عليه (في الخبيثة الدنيا) ويستمروا حتى اذا فتلوا في دينهم لم يراوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الاخذود وغير ذلك (وفي الآخرة) أي في القبر بثلثين الجواب وتكفي الصواب قاله الجمهور وقيل يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل المراد بالحياة الدنيا وقت المسئلة في القبر وفي الآخرة وقت المسئلة يوم القيامة والمراد انهم اذا استلجوا عن معتقدهم ودينهم أو نحو ذلك بالاقول الثابت من دون آياتهم (١) ولا تردد ولا بهل كما يقول من لم يوفق لا أدري فيقال له لا أدريت ولا تثبت وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال المسئلة اذا مثل في القبر يشهد بأن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا الآية وعن البراء قال اذا جاء الملكان الى الرجل في القبر فله لامن ربك فقال ربي الله وقالوا ما يثبت قال ربي الله سلاماً وقالوا

أي فان لم يأتوا بعبادة ما دعوتهم اليه فاعلموا انهم عاجزون عن ذلك وان هذا الكلام منزل من عند الله متفق عليه من وأمره ونهيته وانه لا اله الا هو فهل انتم مسلمون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا نار وجحيم ماصنعوا فيها رباطل ما كانوا يعملون) قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية ان أهل الربا يبعثون بحسب ما هم في الدنيا وذلك انهم لا يظنون تغير ايقول من عمل صالحاً انتماس الدنيا وما وصلاته وتعبها وبالليل لا يهمل الا انتماس الدنيا يقول الله تعالى أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحيط عمله الذي كان يهمله لالتماس الدنيا

وهو في الآخرة من الخاسرين وهكذا يرى عن مجاهد والضمالي وغير واحد وقال ابن مسعود والحسن بن علي بن النضر في الحديث المرفوع
وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرياء وقال قتادة من كانت الدنيا همه ونيتته وطلبته جازاه الله بحسنة في الدنيا ثم ينضى إلى
الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجزي بحسنة في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وقد ورد في الحديث المرفوع
نحو من هذا وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم بما سخطنا به لا يهادى فيها من عبد الله من آتاه
الآخرة وسخط بها فهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (١٥١) كلا نعد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء

ربك محظوظا انظر كيف فعلنا
بعضهم على بعض وللاخرة أكبر
درجات وكبر تنصلا وقال تعالى
من كان يريد حرث الآخرة زدله في
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤنثه
منها وأمواله في الآخرة من نسيب
(أفمن كان على بينة من ربه ويبلغه
شاهد منه ومن قبله كتاب موسى
أماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن
يكفر به من الأحزاب فالنار موعده
فلانك في مرتبة منه انه الحق من
ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
يخبرته إلى عن حال المؤمنين الذين
هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها
عبادته من الاعتراف له بأنه لا اله الا
هو كما قال تعالى فاقم وجهك للدين
حينما فطر الله البشري فطره الله
عليها الآية وفي الصحيحين عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على
الفطرة فإواه يهودانه أو ينصرانه
أو يمجسانه كما تولد البهيمة يبعثها
هل تحبون فيها من جسد عام
الحديث وفي صحيح مسلم عن عباس
ابن حماد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تعالى
اني خلقت عبادي حنثا فإني أتهم

من نبئت قال نبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فذلك التثيبت في الحياة الدنيا وعن ابن
عباس نحوه وعن أبي سعيد قال في الآخرة القبر وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا في القبر وأخرج البرازن أيضا قالت قلت يا رسول الله
تبلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأت ضعيفة قال يثبت الله الذين آمنوا والآية
وعن عثمان بن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من دفن الميت
وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم واسألوا الله التثبيت فإني الآن يسئل أخرجه أبو داود
وقد وردت أحاديث كثيرة في سؤال الملائكة للميت في قبره وفي جوابه عليهم وفي عذاب
القبر وفنته وإيس هذا وضع بسطها وهي معروفة نسأل الله التثبيت في القبر وحسن
الجواب وتسمي له بنص له انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير (ويصل الله السالمين)
راجع للمثل الثاني أي يضلهم عن حجتهم التي هي القول الثابت فلا يقدر على التكلم
بها في قبورهم ولا عند الحساب كما أضلهم عن اتباع الحق في الدنيا قبل والمراد بالظالمين
هنا الكفرة وقيل كل من ظلم نفسه ولو عبرد الاعراض عن البيانات الواضحة فإنه
لا يثبت في مواقف النسيان ولا يمدى إلى الحق (ويصل الله ما يشاء) من التثيبت
للمؤمنين والخذلان للظالمين لراد لحكمه ولا اعتراض عليه قال الثوري أي لا تذكر له
قدرة ولا يسئل عما يفعل والاطهار في محل الانتمار في الموضعين تربية المهابة (الم تر)
هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولئك من يصلح له تعجبا عما صنع الكفرة
من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى ادراك (إلى الذين بدلوا نعمة الله عليهم
(كفرا) أي جاءه لوابل شكرها الكفر بها وذلك بتكذيبهم محمد صلى الله عليه وآله
وسلم حين بعثه الله منهم وأنعم عليهم بدو قتل انهم بدلوا نعمة النعمة كذا قال البيهقي على
الاول تغيير في الوصف والنعمة باقية لكنهم عوضوا بالكفران وعلى الثاني تفسيق
الذات والنعمة زائلة بمبدل الكفر فانهم لما كفروا ضلوا عن الله فصاروا نازكين لها
محصلين للكفر بدلها ولذا ابن عباس هـ كثر أهل مكة أخرجه البخاري والشافعي وبه
قال جمهور المفسرين قيل نزلت في الذين قالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر
قال على هم النصارى من قريش كفتهم يوم بدر أخرجه الشافعي وقد روى عنه في تنبيه هذه
الآية من طرق نحوه هذا وعن عمار بن الخطاب قال هـ الأجران من قريش نوا الميرة

الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم يزل به سلطانا وفي المسند والسف
كل مولود يولد على هذا الملة حتى يهرّب عنه لسانه الحديث فالمؤمن باق على هذه الفطرة وقوله ويتلو شاهد منه أي وجاءه شاهد من
الله وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة النعمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين
ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية والضمالي وغيرهم النسخ والهدى وغيره أحد في قوله تعالى ويتلو شاهد منه
لتعجيل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه والحسن وقتادة هو محمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما قريب في المعنى لان كلا من

جبريل ومحمد صلوات الله عليهم ابلغ رسالة الله تعالى لجبريل الى محمد ومحمد الى الامة وقبل هو على وهو ضعيف لا يثبت له قائل والاول
والثاني هو الحق وذلك ان المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد بالشرعة من حيث الجاهل والافاضيل تؤخذ من الشريعة والفطرة
تصدقها او تؤمن بها واولها هذا قال تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وهو القرآن بلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغه النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى امته ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اى ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اماما
ورسالة ثم ابراه الله تعالى الى تلك الامة اماما (١٥٢) لهم وقدوة يقتدون بها ورسالة من الله بهم فمن آمن بها حق الايمان فاده

ذلك الى الايمان بالقرآن ولهذا قال
تعالى او انتم لا يؤمنون به ثم قال
تعالى من وعد المن كذب بالقرآن او
يشي به ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار هم عدوه اى ومن كفر بالقرآن
من سائر اهل الارض مشركهم
واهل الكتاب وغيرهم من سائر
طوائف بني آدم على اختلاف
الوانهم واشكالهم واجناسهم من
بلغه القرآن كما قال تعالى لا تدركم
به ومن بلغ وقال تعالى قل يا ايها
الناس اى رسول الله اليكم
جميعا فالنار موعده وفي حديث
مسلم من حديث شعبة عن ابي
بشر عن سعيد بن جبير عن ابي
موسى الاشعري رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
والنبي انسى بيده لا يسمع لى احد
من هذه الامم يورى او يصرانى
ثم لا يؤمن لى الادخل النار وقال
أبي الهيثم بن عبيد بن جبير
قال كنت لانا مع جديت عن النبي
صلى الله عليه وسلم على وجهه الا
وجدت صدقه او قال تصديقه
فى القرآن فيلغى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يسمع لى احد من

وبوامة فاما ابو المغيرة فكذبوه يوم يدروا ما بنوا مية فتعوا الى حين وعن علي بنوه
ايضا وعن ابن عباس قال عم جبريل لهذين الابين هم والذين اتبعوه من العرب فلقوا بالروم
أخرج ابن ابي شيبة في تاريخه نظر فان جبريل وأصحابه لم يدروا الا فى خلافة عمر بن الخطاب
وقيل انه عامة فى جميع المشركين (واحدا) اى انزلوا (فومهم) بسبب ما زينوه
لهم من الكفر (دار البوار) وهى جهنم قيل هم قادة فريش اهلهم يوم يردار
الهلاك وهو القتل الذى اصيبوا به والاول اولى اتوله (جهنم) فانه عطف بيان لدار
البوار يقال بار الشئ يورى بالانتم ذلك وبار الشئ يورى كد على الاسنةارة لانه اذا
ترى صار غير مستغنى به فاشبه الهالك من هذا الوجه (يصلونها) من ثمانية لبيان كيفية
الجلود فيها اى داخلين فيها امتا بين لحده (وبس القرار) اى قرارهم فيها أو بس
المتر جهنم فانحدروا بالذم محذوف (وجه لولته انداد) اى أمثالا واشباهها اى
شركاء فى الربوبية أو فى التسمية وهى الاصنام قال قتادة يعنى أشركوا بالله وليس له تعالى
شريك ولا ند ولا شبهة تعالى عن ذلك علوا كبيرا (ابضلو) بانض البياضهم (عن سبيله)
اى عن سبيل الله الامم المعاقبة بطريق الاستعارة التسمية اى ليعقوب جعلهم لله أندا
ضلاهم لان العاقل لا يريد ضلال نفسه وحسن استعمال لام المعاقبة هنا لانها شبه
الغرس والغاية من جهة حصولها فى آخر المراتب والمشابهة أحد الامور المعجزة للمعجز
وقرى بضم الباء اى ليووقعوا قومهم فى الضلال عن سبيل الله فهذا هو الغرض من جعلهم
لله أندا وانقرامان سبعين انهم قد هدوهم سبحانه فقال لبيبه صلى الله عليه وآله وسلم (قل
تتعوا) فى الدنيا بما أنتم فيه من الشهوات وما زيفت لكم أنفسكم من كفران الذم
واضلال الناس أياما قلائل وفى التمديد بصفة الامر ايدان بان المهدي عليه السلام محبوب
لافضائه الى الله سبحانه (فان مصيركم) اى مردكم ومرجعكم فى الآخرة (الى النار)
ولما كان هذا ما لهم وقد صاروا بشرطهم اليكم عليه وانهم ما لكم فيه لا يتلقون عنه
ولا يتقبلون فيه نفع الناصحين جعل الامر بما شرته مكان النهى عن قربانه ايضا لما
تكون عليه عاقبتهم وانهم لا يأتون الى النار فلا بد لهم من نعطى الاسباب
القتضية لذلك فجعله فان مصيركم الى النار دليل للامر بالانقاع وفيه من التهديد ما لا يقادر
قدره أو المعنى فان دمتم على ذلك فان مصيركم الى النار والاول اولى والنظام القرآنى عليه

هذه الامم يورى ولا يصرانى فلا يؤمن لى الادخل النار جعلت أقول أين مصداقه فى كتاب الله قال وقيل أدل

ما جمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وجدته تصديقاً فى القرآن حتى وجدت هذه الآية ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده قال المال كاهما وقوله فلانك فى حربة منه اى الحق من ربك الآية أى القرآن حتى من الله لا مريفة ولا شئ فيه كما قال
تعالى لم تنزل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين وقال تعالى المذلك الكتاب لاريب فيه وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى وان نطع أكثر من فى الارض بضلوك عن سبيل الله وقال تعالى ولقد

صدق عليهم اسم ابليس ظنه فاتبعوه الا فرى يقامن المؤمنين (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول
 الاثم ادهوا له الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويعفون ما عوجاوه هم بالآخرة هم
 كافرون اولئك لم يكونوا همجزيين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع
 وما كانوا يصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون) يسين
 تعالى حال المفترين عابيه وفضيحتهم في الدار الآخرة على رؤس الخلائق من (١٥٣) الملائكة والرسل وسائر البشر والجان كما قال

الامام أحمد حدثنا به زوعفان قال
 اخبرنا همام حدثنا قتادة عن
 صفوان بن محرز قال كنت اخذا
 بين يدي ابن عمر عرض له رجل قال
 كيف سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول في التجوي يوم
 القيامة قال سمعته يقول ان الله
 عز وجل يثني المؤمن فيضع عليه
 كفيه ويثبت يده من الناس ويقرره
 بذنوبه ويقول له ان تعرف ذنب كذا
 انعرف ذنب كذا ان تعرف ذنب كذا
 حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه
 انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك
 في الدنيا وانى اعفرت هالك اليوم ثم
 يملأ كتاب حسناته واما الكفار
 والمافقون فيقول الاثم ادهوا له
 الذين كذبوا على ربهم
 الا لعنة الله على الظالمين الآية
 أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين
 من حديث قتادة وقوله الذين
 يصدون عن سبيل الله ويعفون ما
 عوجا أي يردون الناس عن اتباع
 الحق والحق طريق الهدى الموصلة
 الى الله عز وجل ويحبسونهم الجنة
 ويعفون ما عوجا أي ويريدون أن
 يكون طريقهم عرجا غير معتدلة

أدل كما يقال لمن سعى في مخالفة الله اظمان اصنع ما شئت من المخالفة فان مصيرك الى السيف
 (قل لعبادي) يثبت اليه امن متوحيه ويحذفها النظار لخطا والقراءتان سعيان ويجريان
 في خمس مواضع من القرآن هذا وقوله في سورة الانبياء ان الارض برزخا لعبادي
 الصالحون وقوله في العنكبوت باعبادي الذين آمنوا وتوفي في سبيل الله بل من عبادي
 الشكور وفي سورة الزمر قل يا عبادي الذين آمنوا (الذين آمنوا بآية الله والصلاة وينفقوا
 مما رزقناهم) لما أمرهم بان يقولوا لا اله الا الله كفرا للجانعين له ائنا اذا ما قاله لهم
 أمرهم سبحانه ان يقولوا لا اله الا الله وهو طائفة المؤمنين هذا القول والمقول
 محذوف دل عليه المذموم ورأى قل لهم أقيموا الصلاة الواجبة واقامتها الله ثم أركانها
 وأنفقوا أي أخرجوا الزكاة المفروضة وقبل أراد به جميع الانفاق في جميع وجوه الخير
 والبر والجل على العموم أولى ويدخل فيه الزكاة دخولا اوليا (سرا وعلاية) قال القراء
 أي مسرين ومعلنين أو انفاق سرا وعلاية أو وقت سرا وعلاية فالانصاف على الحال
 أو المصداق أو الظرف قال الجمهور السر ما خفي والعلاية ما ظهر وقيل السر ان تطوع
 والعلاية الفرض وقد تقدم بيان هذا عند تفسير قوله ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي
 (من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق) قال أبو عبيدة البيع ههنا القدام الخلال
 الخلة وهو مصدر قال الواحد في جميع أهل اللغة وقال أبو علي الفارسي جمع خلة
 مثل قبة وقنار وبرمة وبرام وعلبة وعلاب والمعنى ان يوم القيامة لا بيع فيه حتى يفتدى
 المقصر في العمل نفسه من عذاب الله بدفع عوض عن ذلك وايس هناك مخالة حتى يشفع
 الخليل للخليل وينقذ من العذاب فامرهم سبحانه بالانفاق في وجوه الخير مما رزقهم الله
 سبحانه ماداموا في الحياة الدنيا قادرين على انفاق أموالهم من قبل ان يأتي يوم القيامة
 فانهم لا يتقدرون على ذلك بل لا مال لهم اذ ذاك فالجمله لتأكيدهم مضمون الامر بالانفاق مما
 رزقهم الله ويمكن أن يكون فيها أيضا تأكيد كيد لمضمون الامر بإقامة الصلاة وذلك لان تركها
 كثيرا ما يكون بسبب الاشتغال بالبيع ورعاية حقوق الاخلاء قبل هذه الآية الدالة على
 نفي الخلة محمولة على نفيها بسبب ميل الطبيعة وشهوة النفس والآية الدالة على حصول
 الخلة وثبوتها كقول سبحانه في الزخرف الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
 محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الاتراء أثبتا للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم

(٢٠ فتح البيان خامس) وهم بالآخرة هم كافرون أي جاحدونهم مكذبون بوقوعها وكونها اولئك لم يكونوا همجزيين
 في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء أي بل كانوا تحت قهره وغلبته وفي قبضته وساطته وهو قادر على الانتقام منهم في
 الدار الآخرة ولكن يؤخرهم يوم تشخص فيه الابصار وفي الصحيحين ان الله لم يزل للظالم حتى اذا اخذته لم يفلته ولهذا
 قال تعالى يضاعف لهم العذاب الآية أي يضاعف عليهم العذاب وذلك ان الله تعالى جعل لهم معار وبصارا وثبوتا فأنغى عنهم
 معهم ولا ابصارهم ولا أقدنهم بل كانوا اصمعا عن معاني الحق عما من اتباعه كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار كقوله فاولوا

لو كما سمع أو انعقل ما كفى أصحاب السعير وقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الآية ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه وعلى كل شيء ارتكبوه ولهذا كان أصبح الأقوال انهم مكفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة الى الدار الآخرة وقوله أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون أي خسروا أنفسهم لانهم دخلوا ناراً حامية فهم معذبون فيها لا يفترون عن عذابهم بل قال تعالى كما خبت زنادهم سعيراً وضل عنهم أي ذهب عنهم ما كانوا يفترون من دون الله من الابداد والاصنام فلم تجد عنهم شيئا (١٥٤) بل ضرتهم كل الضرر كما قال تعالى وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء

وكانوا بعبادتهم كافرين يقول تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا هم عزا كالاسيكفرون بعبادتهم ويكفون عليهم ضدا وقال الخليل انتم تعلمون اني اتخذتم من دون الله آلهة أنا وماودة يبسكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويعلن بعضكم بعضا وما أواكم النار وما لكم من ناصرين وقوله اذ تراءى الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب الى غير ذلك من الآيات الدالة على خسرتهم ودمارهم ولهذا قال لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون يخسر تعالى عن ما آلمهم انهم أخسر الناس صفة في الدار الآخرة لانهم استبدلوا الدرجات عن الدرجات واعتاضوا عن نعم الجنان بجميع آت وعن شرب الرحيق المختوم بسهموم وحيم وظل من يحوموم وعن الحور العين بضعاء من غلابين وعن القصور العالية بالهوية وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته فلا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبروا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعشى والاعمى والبصير وانعامه والسميع هل يستويان مثلا أفلا تدرى) لما ذكرته الى حال الانقياد مني بذكر السعداء وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فآمنت قلوبهم وعلت جوارحهم الاعمال الصالحة قولاً وفعلان من الاتيان بالطاعات وترك المنكرات وبهم ذابرت الجنات المخلقة على الفرق العاليات والسر والمصروفات والنفوف الدائيات والفرش المرتفعات والحدان الخسرات والقوا كالمشروعات المسائل المستهبات والمشارب المستلذات والنظر الى خالق الارض السموات وهم في ذلك خالسون لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون

وقيل ان يوم القيامة أحوال مختلفة ففي بعضها يشغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يعاطف الاخلاص بعضهم على بعض اذا كانت تلك الحالة لله تعالى في محبته وقد تقدم تفسير السبع والخلال (الله الذي خلق السموات والارض) أي أبدعها واختراعها ما على غير مثال سبق وخلق ما فيها ما من الاجرام العلوية والسفلية وانما أبدع خلقهم ما لانهم ما أعظم الخلق الشاهدة الدالة على وجود المانع الخالق القادر الختار ذو كل هذا الموصول سبع سلالات تشتمل على عشرة أدلة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته (وأرسل من السماء ماء) المراد بالسماء هنا جهة العلويات يدخل في ذلك الغلات عند من قال ان ابتداء المطر منه ويدخل فيه السحاب عند من قال ان ابتداء المطر منها ويدخل فيه الأسباب التي تنثر السحاب كالرياح قيل ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الريح ومن الريح الى الارض وتكبير الماء الذي نوعاً من أنواع الماء وهو المطر (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الفرات) المتنوعة (رزقناكم) أي لبني آدم يعيشون بدو من لسان كقولك أنقذت من الداهية وقبل للبعوض لان الفرات منه ما هو رزق لبني آدم ومنها ما هو ليس برزق لهم وهو ما لا يأكلونه ولا يشربون به والفرات يمتزج على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضاً كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر واتواحتسب يوم حصاده وقيل المراد به ما يشمل المعنوم والملبوس (وحذرناكم الغل) أي السنن البخارية على الماء لجرت على ارادكم لاجل الانتفاع بهم في جلب ذلك الرزق الذي هو الفرات وغيرهما من الداء بلداً آخر فاستعملوها في مصاخركم ولذا قال (لتجربى في البحر) كما تريدون وعلى ما تعلمون بالركوب والحمل ونحو ذلك (بأمره) أي بأمر الله ومشيئته وأذنه وقد تقدم تفسير هذا في البقرة (وحذرناكم الأنهار) بكل فائدة فله مجاهد أي ذلكم لكم بالركوب الماء والابرار انهم الى حيث تريدون وهو من أعظم نعم الله على عباده (وحذرناكم الشمس والقمرة) لتتقوا ما بهما وتستضيئوا بضوئهما (دائمين) الذوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية والداب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة ودأب في السير دأب عليه ودأب في عمله جد ونعب وبأية قطع وخضع فهو دأب لا يفتل ولا يغير والله سبحانه والتهاد والدأب يسكون الهمزة العادة والشأن وقد يجرى دأباً في اصلاح ما يسهل لسانه من السبات والخير وانزلة الغلة لان الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول السنة والقمرة سلطان الليل وبها يعرف انقضاء الشهر وروى ذلك بتفسير الله عز وجل

وعملوا الصالحات وأخبروا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعشى والاعمى والبصير وانعامه والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تدرى لما ذكرته الى حال الانقياد مني بذكر السعداء وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات فآمنت قلوبهم وعلت جوارحهم الاعمال الصالحة قولاً وفعلان من الاتيان بالطاعات وترك المنكرات وبهم ذابرت الجنات المخلقة على الفرق العاليات والسر والمصروفات والنفوف الدائيات والفرش المرتفعات والحدان الخسرات والقوا كالمشروعات المسائل المستهبات والمشارب المستلذات والنظر الى خالق الارض السموات وهم في ذلك خالسون لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون

ولا ينامون ولا يتغوطون ولا يصقون ولا يمتشطون ان هو الارض مسك بعرقون ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين فقال
 مثل الفريقين أي الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين بالعبادة فأولئك كالأعمى والابصار والسميع والكافر أعمى
 عن ربه الحق في الدنيا وفي الآخرة لا يهدي إلى خير ولا يعرفه أصم عن سماع الحجج فلا يسمع ما ينتفع به ولو علم الله فيهم خيراً
 لسمعهم الآية وأما المؤمن فمتنن ذكي لميب بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل فيتبع الخير ويترك الشر يسمع للعبادة بفرق بينها
 وبين الشبهة فلا يروج عليه باطل فهل يستوى هذا وهذا (١٥٥) أفلا تذكرون أفلا تعجبون فينشقون بين هؤلاء وهؤلاء

كما قال في الآية الأخرى لا يستوى
 أصحاب النار وأصحاب الجنة
 أصحاب الجنة هم الفائزون وكتبه
 وما يستوى الأعمى والبصير ولا
 الظلمات ولا النور ولا الظل ولا
 الحرور وما يستوى الأحياء
 ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء
 وما أتت بجمع من في القصوران
 أنت الاندرا أنا أرسلناك بالحق
 بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا
 فيها نذير (ولقد أرسلنا نوحا إلى
 قومه أني لكم نذير مبين ألا تعبدوا
 إلا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم
 أليم فقال المشركون الذين كفروا من
 قومه ما نراك إلا بشرا منلنا وما
 نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
 بادي الرأي وما نرى إلىالكم علينا
 من فضل بل أنظركم كاذبين) يخبر
 تعالى عن نوح عليه السلام وكان
 أول رسول بعثه الله إلى أهل
 الأرض من المشرعين عبدة
 الأصنام أنه قال اتوبوا إلى الله
 فربما يرحمكم ويؤتيكم من فضله
 الله والله قال إن لا تعبدوا إلا الله
 وقوله أني أخاف عليكم عذاب يوم

وانعامه على عباده وقيل دأبين في السير امتثالاً لأمر الله قال ابن عباس دأبهم ما في طاعة
 الله والمعنى يحريان إلى يوم القيامة ولا يشتران ولا ينقطع سيرهما في فلكهما ما هو السماء
 الرابعة للشمس وسماء الدنيا للآلهة رآلى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها (وخصر
 لكم الليل والنهار) بتعاقبها فالتها راسعكم في أمورهم عاشكم وما فتحنا جوارح اليه من
 أمور دنياكم والليل تسكنوا فيه كما قال سبحانه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
 تسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولم يقنصر على النعم المتقدمة بل (وأتاكم من كل)
 نوع ووصف (مأسألتوه) قول الأخفش أي أعطاكم من المنافع والمزايا ما لا يأتي
 على بعضها العدو والخسر وقيل المعنى من كل مأسألتهم ومن كل مأسألتهم قال ابن الأنباري
 لأن نعمه عليهم أكثر من أن تحصى وقيل من زائدة وبه قال الأخفش أي أتاكم كل
 مأسألتهم وقيل للتبعية يضرب أي بعض مأسألتهم وهو رأي يبيح به قال عكرمة أي من كل
 شيء رغبتم إليه فيه وعن مجاهد مثله وعن الحسن من كل الذي سألتوه وقرئ من كل
 بتنوين وعلى هذا ما نافية حرفية أي أتاكم من جميع ذلك حال كونكم غير سامعين له
 أو صديريه أو موصولة اسمية (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي وان تعدوا
 لتعدادهم التي أنعم الله تعالى بهم عليكم أجزالا فضلا عن التنبيل لا تطيقوا احصاءها
 بوجه من الوجوه ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال وفي السمين النعمة هنا بمن
 المسم به وأصل الاحصاء ان الحساب اذا بلغ عدد ما يعتد به من عدد الاعداد وضع حصة
 ليحفظه من المعلوم انه لو دام فرد من افراد اعداد ان يحصى ما أنعم الله به عليه في خلق
 عضوم من أعضائه أو حصة من حوسه لم يقدر على ذلك قط ولا أمكنه أصلا فكيف بما عدا
 ذلك من النعم في جميع خلقه الله في بند فكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في
 كل وقت على تنويعها واختلاف أجزائها اللهم اننا نشكر لك على كل نعمة أنعمت بها
 علينا بما لا يعلم إلا أنت وبما علمناه شكر لا يعيط به حصر ولا يحصره عد وعدد ما ذكر لك
 الشاكرون بكل لسان في كل زمان قال سليمان النجاشي ان الله أنعم على العباد على قدره
 وكفهم الشكر على قدرهم وعن بكر بن عبد الله المزني قال يا ابن آدم ان أردت ان تعلم قدر
 ما أنعم الله عليك فغمض عينيك وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال من لم يعرف
 نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وعن أبي أيوب الأنصاري

أليم أي ان استمررت على ما أنعم الله عليك فذبحكم الله عذاباً أليماً وحاشا في الدار الآخرة فقال المازن الذين كفروا من قومه والملا
 هم السادة والكبراء من الكافرين منهم ما نراك إلا بشرا منلنا أي لست بملك ولا بشرف فكيف أوصى الله من دوتنا ما نراك
 اتبعك إلا الذين هم أراذلنا كالباعة والحاك كذا وباههم ولم يتبعك إلا شراف ولا الر وساءتم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن زور
 منهم ولا فكر ولا نظر بل مجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ولهذا قالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي في أول
 بادي الرأي ثم ما نرى إلىكم علينا من فضل ينولون ما رأينا إلىكم علينا فضيلة في خلق ولا خلق ولا نذقي ولا حاشا لداخلكم في دنسكم

هذا بل تظنكم كاذبين أي فيما تدعونكم من البر والصلاح والعبادة والهداية في الدار الآخرة إذ صرتم اليها هذا الاعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعملهم فأنه ليس بهار على الحق رذالة من اتبعه فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الانراف أو الازاذل بل الحق الذي لا شذ فيه أن أتباع الحق هم الانراف ولو كانوا فقراء والذين يابونه هم الازاذل ولو كانوا أغنياء ثم الواقع غالباً ما يتبع الحق ضعفاء الناس والعاب على الانراف والكبراء مخالفتهم كما قال تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها (١٥٦) انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ولما سأل هرقل ملاك

الروم أباسفيان صخر بن حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم لم قال له فيما قال انراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم فقال هرقل هم اتباع الرسل وقواهم يادى الرأى ليس بخدمه ولا عيب لان الحق اذا وضع لا يلى للرأى ولا لفة كرم جمال بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذى ركاؤذ كابل لا يشكره نالنا لاغبي أو عبي والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انما جاؤا بأمر جلى واضح وقد جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مادعون أحد الى الاسلام الا كانت له كسوة غير أى بكر فانه لم يتلقه أى ما زرد ولا زوى لانه رأى أمر اجابا عظيم ما وانما فبادر اليه وسارع وقواهم وما رى لكم علمين من فضلهم لا يرون ذلك لانهم سمعوا عن الحق لا بد من ولا يصرون بل هم في ريبهم يترددون في ظلمات الجهل بعمهون وهم الافاككون الكاذبون الا انلون الارذلون وفي الآخرة هم الاخسرون (قال باقوم أرايتم

قال قال داود عليه السلام رب اخبرني ما أدنى نعمتك على فاعلى اليه يا داود تنفس فتدس فقال هذا أدنى نعمتي عليك (ان الانسان ظالم) لنفسه باغفاله ان شكر نعم الله عليه وقيل الظالم الشاكر غير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه وظاهره شمول كل انسان وقال لزجاج ان الانسان اسم جنس يقصد به الكافر خاصة كما قال ان الانسان في خسرو قيل يريد أبا جهل والاول أولى (كفار) أى شديد كفر ان نعم الله عليه باحد لها غير شاكر لله سبحانه عليه كما ينبغي ويجب عليه عن عربن الخطاب قال اللهم اغفر لي ظلى وكفرى فقال قال بأمر المؤمنين هذا الظلم فيما بال الكفر قال ان الانسان ظالم كفار وقيل ظالم في الشدة يشكوك ويجزع كما رى النعمة يجمع ويضع (واذ قال ابراهيم) أى واذا كروقت قوله واهل المراد بسباق ما قاله ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع بان كفر قرأش بالنعم الخاصة بهم وهى اسكانهم مكة بعد ما بين كفرهم بالنعم العامة وقيل ان ذكر قصة ابراهيم ههنا لئلا ينال الكلمة العلية وقيل لقصد الدعاء الى التوحيد وانكار عبادة الاصنام وهذه القصة كانت بعد ما وقع له من الالتقاء فى النار فى تلك لم يسأل ولم يدع بل اكنى بعلم الله بحاله وفى هذه قد دعا وتضرع ومقام الدعاء اجل وأعلى من مقام تركه كما تعلم الله كما قاله العارفون فكون ابراهيم قد ترقى وانتقل من طور الى طور من أطوار الكمال (رب اجعل لى هذا البلد) أى مكة (آمنة) أى ذا امن الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقدم طلب الامن الى سائر المطالب المذكورة به لانه اذا اتى الى الامن لم يترغ الانسان اشي آخر من أمور الدنيا والدين وقد تقدم منه بمنزل هذه الآية فى البقرة عند قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا والفرق بين ما هنا وما هنا ان المطلوب ههنا مجرد الامن للبلد والمطلوب هنالك البلدية والامن وفى الجمل فسر الشارح البلد هنا بمكة وفى سورة البقرة بل كان فيقتضى ان هذا الدعاء وقع مرتين مرة قبل بناءها ومرة بعده ولذلك كتب الكرخى هنالك من نفسه انكر البلد هنا وعرضه فى ابراهيم لان الدعوة هذه كانت قبل جعل المكان بالاد فطالب من الله ان يجعل وبعده برباذا آمنا ثم كانت بعده جعله بلدا آمنا وقيل الرخصى سأل فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يامن أهلها ولا يخافون وفى الثاني ان يخرجهم من مكة كان عليهم من الخوف الى ضدها ان الامن كما قال هو بالمدحوف فاجبه له آمنا انتهى فالت والمعا الى مقاربة والمراد من الدعاء جعل

ان كنت على بنه من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انتم لمكة وهاؤنتم لها كارهون) دخول تعالى مكة محمداً براعاً ربه نوح على قومه فى ذلك أرايتم ان كنت على بنه من ربي أى على يقبر وأمر جلى ونبوته صادقة وهى الرحمة العظيمة من الله به يوم سمعتم عليكم أى خفيت لكم فتمتهدوا اليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم الى تمكيد فيها ووردها انتم كموها أى بعضكم قبوله وانتم لها كارهون (ويا قوم لا أسألكم عليه ملا ان أجرى الاعمال الله وملائكته الذين آمنوا انهم ملاقون ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون ويا قوم من نصرت من الله ان طردتمهم أفلا تدكرون) يقول لقومه لا أسألكم على نصي لكم

ما لاجرة آخذها منكم انما ابغى الاجر من الله عز وجل وما اباطارد الذين آمنوا كانوا طلبوا منه ان يطرد المؤمنين عنه احتشاما ونفاسة منهم ان يجلسوا معه كما سأل أمثالهم خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ان يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم بمجلس خاص فأرسل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال تعالى وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين الآية (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم ان يؤثروا) ثم الله خير الله أعلم (١٥٧) بما فى أنفسهم انى اذ المن الظالمين) يخبرهم

ان رسول من الله يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له باذن الله له فى ذلك ولا يباله الله - ثم على ذلك أجرا بل هو يدعو من اتبعه من شريف ووضع فن استجاب له بنحو ما يخبرهم انه لا تدركه على التصرف فى خزائن الله ولا يعلم من الغيب الا ما طمعه الله عليه وليس هو بملك من الملائكة بل هو بشر مؤيد بالمعجزات ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتسرونهم وتزدرونهم انهم ليس لهم عند الله ثواب على اعمالهم الله أعلم بما فى أنفسهم فان كانوا مؤمنين باطنا كما هو الظاهر من حالهم فلهم جزاء الحسن ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالما قال لا مالا - لم له به (قالوا بنوح قد جادتنا فاكثرت جدتنا فأتبعنا بعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتىكم به الله ان شاء وما أنتم بحجج زرين ولا ينفعكم نصي ان أردت ان أنصع لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) يقول تعالى فخيرا من استجبال قوم نوح نعمة الله وعذابه وضعفه والبلاء

مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على تخريبها وان أغار جماعة من الجبابرة عليهم أو أخافوا أهلها أو قيل هو عام مخصوص بقصة ذى السو يقتين من الحبشة على ما فى الصحاح فلا تعارض بين النصين والمراد جعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر المفسرين وغيرهم وهذا الامن حصل بحمد الله بحكمه وحرمها الى الآن قال السيوطى وقد أجاب الله دعاءه فجعله حراما لا يذبح فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يحتل فى خلافه (واجنبى وبى أن تعبد الاصنام) يقال جنبته كذا وأجنبته أى باعدته عنه ثلاثا وباعيا وهى لغة نجد وجنبه اياه مشددا وهى لغة الحجاز وهو المنع وأصله من الجانب كأنه سأل ان يبعده عن جانب الشرك بالاطاف منه وأسباب خفية والمعنى باعدنى وباعد بى عن عبادة الاصنام قبل أراد بنيه من صلبه وكانوا ثمانية وقيل أراد من كان موجودا ل دعوته من بنيه وبى بنيه وقيل أراد جميع ذريته ما تناسلوا قيل وبو يد ذلك ما قيل من انه لم يبعده أحد من أولاد ابراهيم صغرا والصغى هو التمثال الذى كانت تصنعه أهل الجاهلية من الاجار ونحوها فبعده عنه والتأييد هذا يستقيم على القوانين الاو اى وأما القول الثالث فلا يستقيم فتدبر من أولاد ابراهيم وقدمه ابرا لاصنام بلا شئ وقال الواحدى المعنى وبى الذين أذنت لى فى دعائهم وقد كان من بنيه من عبد الصنم فيكون هذا الدعاء من العام الخاص وقيل هذا شخص بالمومنين من أولاده بدليل قوله فى آخر الآية فمن تبعنى فإنه منى وذلك يشيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه وعن مجاهد قال فاستجاب الله لابراهيم دعوته فى ولده فلم يبعده أحد من ولده صغرا بعد دعوته واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله اماما رجلا من ذريته من يتيم الصلاة وتقبل دعاءه فأراه مناسكه وثاب عليه قيل هو دعاء لئلا يسه فى مقام الخوف أو تصد به الجمع بينه وبين بنيه لى استجاب لهم ببركة والمراد طلب الثبات والدوام على ذلك (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) أسند الاضلال الى الاصنام مع كونها جادات لانه قل لانها سبب اضلالهم فكانت اضرارهم وهذه الجملة تعليل لدعائه لربا واعادة التذكار لأكبر الذنوب وكثرة الابتغال والتشرع وهذا التركيب مجاز كقولهم ففتنهم الدنيا وغرهم وانما فتسوا بهم واغتروا بسببها انهم قال (فمن تبعنى) أى من تبع دينى من الناس فصار مسلما وحدا (فانه منى) أى من أهل

موكل بالملوك قالوا بنوح قد جادتنا فاكثرت جدتنا فأتبعنا بعدنا أى من التهمة والعذاب ادع علينا بما شئت فلما شأنا تدعو به ان كنت من الصادقين قال انما ياتىكم به الله ان شاء وما أنتم بحجج زرين أى انما الذى يعاقبكم ويجهلها لكم الله الذى لا يهزم شئ ولا ينفعكم نصي ان أردت ان أنصع لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أى هو مالك عليكم ابلغى لكم والارى اباكم ونصيحى ان كان الله يريد ان يغويكم أى اغواكم ودماركم هو ربكم واليه ترجعون أى هو مالك أزمة الامور المتصرف الحاكم العادل الذى لا يجوز له الخلق وله الامر وهو المبدئ المعيد مالك الدنيا والاخرة (ام يقولون افترأه

قل ان افتريته فعلى احرامى وانا برى مما تجرمون) هذا كلام معترض في وسط هذه النسخة مؤكدا لها مبررها يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اَمْ يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون افترى هذا وافتعله من عنده قل ان افتريته فعلى احرامى أى فاثم ذلك على وانا برى مما تجرمون أى ليس ذلك مفتعلا ولا افترى لانى أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه (وأوحى الى نوح انه ان يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتسب ما كانوا يفتنون واصنع الفاكهة باعنا وحننا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وبصنع الفاكهة وكلنا من عنده ملائمة فومهم بخبر وامنهم قال ان (١٥٨) فاسخروا لنا فان الله يخبر منكم ما تكفرون فوف اعلمون من يأتيه عذاب

يخزيه ويعل عليه عذاب مقبم)
يخبر تعالى انه أوحى الى نوح لما
استجبل قومه بقية الله بهم وعذابه
اهم فدعا عليهم دعوته التي قال
الله تعالى تخبر عنه انه قال رب
لا تذرعلى الارض من الكافرين
ديارا فدعاه الى ما علوب فالتصير
فعمد ذلك أوحى الله اليه انه ان
يؤمن من قومك الامن قد آمن
فلا تخزن عليهم ولا لهم منك امرهم
واصنع التكاليفى السنية باعينا
أى عمراى منا وحيثما نى تعالينا
لك ماذا تنعمه ولا تخاطبني في الدين
قالوا انهم مخرجون فقال لهم
الشاف امر الله تعالى ان يفرز
الحشب ويقتله ويبيسه فلكان
ذلك فى مائة سنة وخمسة مائة سنة
اخرى وقيل أربعين سنة والله أعلم
وذكر ابن ابي عمير عن النوراني
الله امره ان يصنعهما من حشب
السايج وان يجعل طولها ثمانين
ذراعا وعرضها الخمسين ذراعا وان
يطل باطنها وظاهرها بالقاروان
يحمل لها جوجا واوزورا يشق الماء
وقال قتادة كان طولها ثمانمائة
ذراع وعن ابن عباس طولها ثمان
مائتا ذراع فى عرض ستمائة

دينى - هل أهل مائه كنفه مبالغة (وبن عصفى) فلم يتابعنى ولم يدخل فى ملى
(فأناك غفور رحيم) فأدرك على أن تغفر له قبل قال هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفران
بشركه بذكره وقع منه الاستغفار لا ييه وهو مشرك قاله ابن الأنبارى وقيل المراد عصفى أنه
هو الجاهلون الشرك قاله مقاتل وقيل أن هذه المغفرة متقدمة بالتوبة من الشرك قاله
السدى وقيل تغفر له بأن نقله من الكفر إلى الإيمان والاسلام وتهديه إلى الصواب
والأول أولى ثم قال (ربنا إلى أسكنت من ذرى) قال الفراه من للتبعيض أى بعض
ذرى وقال ابن الأنبارى أنها زائدة ما أسكنت ذرى والأول أولى لأنه إنما أسكن الجمع
وهو بعض ولده وأمه هاجر (بواد) هو المختص بين الجبلين (غريذى زرع) أى
الزراع فيه قط وهو وادى مكة أو لا يصلح للأنبات لأنه أرض حجرية توتبت شيئا نى أن
يكون أسكانهم - لاجل الزراعة (عديت الحرم) أى الذى كان قبل الطوفان وأما
وقت دعائه فلم يكن وإنما كان من الزل وأما البيت فقد رفع إلى السماء من حين
الطوفان ولو جمل التجوز باعتبار ما يؤول المكان صحيحا أيضا يعنى أنه سبب عمره أو بيتك
الذى جرى فى سابق علم أنه سجدت فى هذا المكان ومعنى محرم لأن الله حرم التعرض
له وإنما ونبه وجهه على ما حوله حرما لمكانه أولا لأنه حرم على الطوفان أى منع منه كل
شيء لأنه اعتق منه وقيل أنه محرم على الجبابرة وقد تقدم فى سورة المائدة مبالغة فى
الاعادة أخرج الواقدي وابن عساکر من طريق عاصم بن سعد عن أبيه قال كانت سارة تحت
إبراهيم فكانت تحت دهر لا تزق منه ولدا فلما رأته ذلك وعينت له هاجرامة لها فبطية
فولدت له إسماعيل فعارت من ذلك سارة ووجدت فى نفسها وعينت على هاجر خافت أن
يقطع منها ثم لأنه أطراف فقال لها إبراهيم هل لك أن تعرى بينة قالت كيف أصنع قال
انسي ذلك أو الخفضها والخفض هو الختان ففعلت ذلك لهما فوضعت هاجر فى أذنها
قرطين فزدت به ما حسدته ففعلت سارة أن رأى أنها زدت هاجر لافه تقاره على كونه معها
ووجد بها إبراهيم ووجد أشد يدا ففعلها إلى مكة فكان يرورها فى كل يوم من الشام على
السوق من شغفه بها أو فله صبره عنها ثم قال (ربنا انبأوا الصلاة) اللام لام كى أى
ما أسكنتهم هذا الوادى الخالى من كل مرتفع ومرزق إلا إقامة الصلاة فيه متوجهين
إليه متعركين به وخصها دون سائر العبادات لماز بدفعتها ونعل تكبر بالنداء وتوسيطه

وقبل طولها أن ذراع وعرضه مائة ذراع وأصلها علم قنوا كلهم وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعا ثلاث طبقات لاظهار
كل طبقة عشرة أذرع فالسفل للدواب والوحوش والوسطى للإنس والعالم بالقطب وروكان يأم في عرضها وله غطاء من فوقه مطبق
عليها وقد ذكر الامام أبو جعفر بن جرير ثم اغوي ما من حديث علي بن زيد بن جذعان عن يوسف بن مهزيان عن عبد الله بن عباس أنه
قال قال اخواربون عيسى بن مريم عليه السلام اني قد شاعني فاني اناطاق بهم حتى انتهت الى كتيب من تراب
فاخذ كفاهم ذلك التراب مكفه فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كتب حام بن نوح قال فضرب الكتاب بماء

قال قم يا ابن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه قد سب قال له عيسى عليه السلام اهكذا اهلكتم قال لا ولكني مت وانشاب
ولكني ظننت اني الساعة فني ثم ثبت قال حدثنا عن سفيانة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائ ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت
ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت الدواب اوحى الله عز وجل الى نوح
عليه السلام ان اغرز ذنب النمل فغمزه فوق موضع خنزير وخنزيرة فاقبل على الروث فلما وقع النار بجوف السفينة يشرها وحبها
اوحى الله اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فوق سنور وسنورة (١٥٩) فاقبل على النار فقال له عيسى عليه السلام

كيف علم نوح ان البلاد قد غرقت
قال بعث الغراب يا نبي بالخبر فوجد
جيفة فوق عليها فدعا عليه بالخوف
فلا ذلك لا يأت البيوت قال ثم
بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون
بمذارها وطير برجلها فسلم ان
البلاد قد غرقت قال فلما فوقها
الخنصرة في عتقها ودعا لها ان
تكون في انس وامان فن ثا لث
البيوت قال فلما ارسل الله الا
تسلم اليه في اهلها فيجلس معنا
ويحدثنا قال كيف ياتكم من
الارض قال فقال له عد يا ابن الله
فعد اربابا وقوله ويصنع الفلك
وكلمنا عليه ملا من قومه فحروا
منه اى هم تزويجه ويكذبون بما
يتوعدهم به من الفرق قال ان
تسخطوا منا فانا نسخر منكم الالة
وعند سيدوهم ديدا كيد من ياتيه
عذاب يخزيه اى يهينه في الدنيا
ويحل عليه عذاب مقيم اى دائم
مستقر ابدا (حتى اذا جاء امرنا
وفار السور قلنا احل فيها من كل
زوجين اثنين واهلك الامن سبق
عليه القول ومن آمن وما آمن
معه الا قليل) هذه وعده من الله

لاظهار العناية الكاملة بهذه العبادة وللأشياء ارباب المقتصودة بالذات من امكانهم ثم
والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وفي الامام الامير والمراد الدعاء اليهم باقامة الصلاة
كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله ان يفتحهم لها اثبت ان الاقامة عنده للعبادة وقد
اننى كونهم بالسكب فجاء الحصر (فاجعل افئدة) الافئدة جمع فؤاد وهو القلب عبره عن
جميع البدن لانه اشرف عنده وقيل هو جمع وفد والاصل اوفدة فكانه قال واجعل
رفودا (من الناس تموى اليهم) من للتعبير وقيل زائدة ولا يلزم منه ان يحج اليهود
والنصارى لدخولهم ثم تحت لفظ الناس لان المطلوب توجيه قلوب الناس اليهم لا يكون
معهم والطلب اليهم لاقبهم الى الحج ولو كان هذا مراد القائل تموى اليهم وقيل من
للابتداء كقوله القلب منى سقيم تريد قلبى ومعنى تموى اليهم تنزع اليهم وقيل تسرع وقيل
وتحن اليهم لم لزيارة بيتك لا لذواتهم وأعيانهم وفي هذا بيان ان حنين الناس اليهم التماس
الطلب حج البيت لا لأعيانهم يقال تموى شوقا اذا مال وهوت الساقة تموى هويا فهو غاوية
اذا عدت عدوا شديدا كأنهم تموى في بئر ويحتمل ان يكون المعنى تحبب اليهم أو تسرع اليهم
وقيل تحن وتطير وتشتاق اليهم وأصله ان يتعدى باللام وانما تعدي بالي لانه نفس معنى
تقبل قال السدى اى أمل قلوبهم الى هذا الموضع وقيل تريد هم قاله النرا وقيل تعدى
اليهم وتعدى وتنزل وهذا قول أهل اللغة والمعاني متقاربة قال ابن عباس لو قال افئدة
الناس لازدجت عليه فارس والترن والروم والهند والحج اليهود والنصارى والناس كلهم
ولكنه قال افئدة من الناس فخص به المؤمنين أخرجه البيهقي قال السيوطى بسند حسن
وفيه دعاء للمؤمنين بان يرزقهم مع البيت ودعاء لكان مكة من ذريته بأنهم ينفعون من
بأنى اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا
ما ظهر بيانه وعمت بركنه (وارزقهم) اى ذريته الذين أسكنهم هناك اربابهم ومن
يساكنهم من الناس (من) أنواع (الثمار) التى تنبت فيه كما رزقت سكان القرى ذوات
الماء والزرع فيكون المراد عبارة قري بشرى مكة تحصل تلك الثمار والمراد جلب الثمرات
الى مكة بشرى القل والعبارة لقوله تعالى تجبى اليه ثمرات كل شئ وهذا أولى (لعلهم
يشكرون) نعمت التى أنعمت بها عليهم قال محمد بن مسلم ان ابراهيم لما دعا للحرم نقل
الله الطائف من فلسطين وعن الزهري قال ان الله نقل قرية من قري الشام فوضعها

فعالى لنوح عليه السلام اذا جاء امر الله من الامطار المتتابعة والهنان الذى لا يتلوع ولا يفتربل هو كما قال تعالى ففتقنا أبواب
السما بما منهم مرو وجفنا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر فنجري باعيننا جرائم من كان كفورا وما
قوله وفار السور فمن ابن عباس السور وجه الارض أى صارت الارض عيوننا تسور حتى فار الماء من السائير التى هى مكان النار
صارت تسور ما وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه السور فلان الصبح وتنوير الليل وهو
ضياؤه وانما قوله الاول اظهر وقال مجاهد والنسعى كان هذا السور بالكوفة وعن ابن عباس عين بالهندوهن قتايه عين بالجزيرة

يقال لها عين الوردية وهذه أقوال غريبة حينئذ أمر الله نوحا عليه السلام ان يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الارواح قيل وغيرهما من النباتات اثنين ذكر اواني فليل كان أول من أدخل من الطيور الدرة وآخر من أدخل من الحيوانات الجار فتعلق ابليس بذنبه فدخل بيديه وجعل يريدان ينهض فينقله ابليس وهو متعلق بذنبه فجعل يقول له نوح عليه السلام مالك ويحك أدخل فينهض ولا يتقدر فقال أدخل وان كان ابليس معك فدخل في السفينة وذكر بعض السلف انهم لم يسموا قطيعا وان يحملوا معهم الاسد (١٦٠) حتى ألقيت عليه الحصى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح

كاتب الميث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أفعيابه ركيف نظمته الماواشي ومعها الاسد فسلط الله عليه الحصى فكان أول حصى نزلت في الارض ثم شكوا الفأرة فقتلوا النوريسة نفسها فدعا نوحا فقاما وماتنا فلوحي الله الى الاسد فعمس فخرجت الهرة منه فقتلت الفأرة منها وقوله وأهلك الامن سبق عليه القول أي واحل فيها أهلك وهم أهل بيته وقرابته الامن سبق عليه القول منهم من لم يؤمن بالله فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله وقوله ومن آمن أي من قومك وما آمن معه الا قليل أي نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة الاخيرين عامان من ابن عباس كانوا ثمانين نفسا منهم نساء وهم وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل ان ما كانوا نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافت وكأنه الاربع نساء هؤلاء

بالطائف لدعوة ابراهيم وأما اجابة قوله فاجعل أفئدة الخ فقد حصلت بجرهم وقد استمر قصد الحج والعمارة لهذا البيت كل عام الى آخر الزمان (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) أي مانكته وما نظهره لان الظاهر والمنعبر بالنسبة اليه سبحانه سبحانه سيان لا تفاوت فيهما قيل والمراد هنا ما نخفي ما يقابل ما نعلن فالعنى ما نظهره وما لا نظهره وقدم الاختفاء على الاعلان للدلالة على انه مأمور به وان في علم الله سبحانه وظاهر النظم القرآني عموم كل ما نظهره وما لا نظهره من غير تقييد بشئ معين من ذلك وقيل المراد ما يخفيه ابراهيم من وجده باسمه عيل وامه حيث أسكنهم ابود غير ذي زرع وما يعلنه من ذلك وقيل ما يخفيه ابراهيم من الوجد ويعلمه من البكاء والدعاء والنجى بضمير الجماعة يشعر بان ابراهيم لم يرد نفسه فتنب بل أراد جميع العباد فكان المعنى ان الله سبحانه يعلم بكل ما نظهره العباد وبكل ما لا نظهره (وما يخفي على الله من شئ في الارض ولا في السماء) قال جمهور المفسرين هو من كلام الله سبحانه تصديقا لما قاله ابراهيم من انه سبحانه يعلم بما يخفيه العباد وما يعلنونه فتعال سبحانه ما يخفي عليه شئ من الاشياء الموجودة كأنما كان وانما ذكر السموات والارض لانهما المشاهدتان للعباد والافعال سبحانه محيط بكل ما هو داخل في العالم وكل ما هو خارج عنه لا تخفى عليه خافية قليل ويحتمل ان يكون هذا من قول ابراهيم تخفي بقا لقوله الاول وتعميما بعد التخصيص فان قيل بالاول فهو اعتراض بين كلامي ابراهيم وان قيل بالثاني ففيه وضع الظاهر موضع المضمرة ثم جد الله سبحانه على بعض نعمه الواسلة اليه فقال (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي على كبر سن وسن امرأتى (اسماعيل واسحق) قيل ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثناعشرة سنة وقيل على هنا بمعنى مع أي مع كبرى ويأسى عن الولد عن سعيد بن جبير قال بشر ابراهيم بعد سبع عشرة ومائة سنة وخمسة الولد في هذا السن من أعظم المن لان سن اليأس فهذا شكر الله على هذه المنة وهذا قاله ابراهيم في وقت آخر لا عقيب ما تقدم من الدعاء لان الظاهر انه دعا بذلك الدعاء المتقدم أول ما قدم به جارا وبنها وهي ترضعه ووضعها عند البيت واسحق لم يولد في ذلك الوقت قال الكرخي وزمان الدعاء والحمد مختلف فان الدعاء في طفولة اسمعيل ولم يكن اسحق حينئذ (ان ربي اسمع الدعاء) أي لجيب الدعاء من قولهم سمع كلامه اذا أجابه واعتدبه وعمل بمقتضاه وهو من اضافة

الصفة الصفة
السلالة وامرأة ايام وقيل بل امرأة نوح كانت معها في السفينة وهذا فيه نظر بل الظاهر انهم اهلك لانها كانت على دين قومها فاصابها ما اصابهم كما اصاب امرأتها لوط ما اصاب قومها والله اعلم واحكم (وقال اركبوا فيها بسم الله بحمهم وامر ساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنة وكان في معزل يابى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوى الى جبل يعصه من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المفرقين) يقول تعالى اخبرنا عن نوح عليه السلام انه قال للذين أمرهم بحملهم معه في السفينة اركبوا فيها بسم الله

مجربها وممرساها اي بسم الله يكون جريها على وجه الماء وبسم الله يكون منتهى سيرها وهورسوها وقرأ آتور جاء العطار ذي بسم الله مجربها وممرساها وقال الله تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المتزايين ولهذا تسحب التسمية في ابتداء الامور عند الزكوب على السفينة وعلى الدابة كما قال تعالى والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر تكونون لتستووا على ظهوره الآية وجاءت السنة بالحث على ذلك والندب اليه كما سيأتي في سورة الزخرف ان شاء الله وبه الثقة (١٦١) وقال ابو القاسم الطبراني حدثنا ابراهيم بن

هاشم البغوي حدثنا محمد بن أبي بكر المتقدم وحدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا محمد بن موسى الحرني قال حدثنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي عن نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمان أمتي من الغرق اذ ركبوا في السفن ان يتسولوا بسم الله الملك وماقدروا الله حق قدره الآية بسم الله مجربها وممرساها ان ربي لغفور رحيم وقوله ان ربي لغفور رحيم مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين باغراقهم أجمعين فذكر انه غفور رحيم كقوله ان ربي لكسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقال وان ربي لك ذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربي لك شديد العقاب الى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين رحمة وانتقامه وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال أي السفينة سائرة بهم على وجه الماء الذي قد طبق جميع الارض حتى طنف على رؤس الجبال وارتفع عليها بنحو ستة عشر ذراعا وقيل بثمانين ميلا وهذه السفينة جارية على وجه الماء سائرة باذن الله وتحت كنفه

الصفة المتضمنة للمبالغة الى المنعول والمعنى انك لكثير اجابة الدعاء لمن يدعوك وكان ابراهيم قد دعاه ربه فسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه قال الحمد لله الخ ثم سأل الله سبحانه بان يجعله مقيم الصلاة محافظا عليها غير مهمل لشيء منها فقال (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي ممن يقيمها بآثارها ويحافظ عليها في أوقاتها ثم قال (ومن ذريتي) أي اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة وانما خص البعض من ذريته لانه علم ان منهم من لا يقيمها كما ينبغي ثم سأل الله سبحانه ان يتقبل دعاه على العموم فقال (ربنا وتقبل دعاه) ويدخل في ذلك دعاؤه في هذا المقام دخولا أو ايلاما قيل والمراد بالدعاء هنا العبادة فيكون المعنى وتقبل عبادتي التي أعبدك بها ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر له ما وقع منه مما يستحق ان يغفره الله وان لم يكن كبيرا لما هو معلوم من عصمة الانبياء عن الكبائر فقال التجأ الى الله وقطعا للطمع من كل شيء الا من فضله وكرمه واعتزا فافا بالعبودية لله والاتكال على رحمة (ربنا اغفر لي ولوالدي) قيل انه دعا له ما بالمغفرة قبل ان يعلم انهم جاءوا الله سبحانه وقيل بشرط الاسلام وقيل كانت أمه مسلمة والاول أولى وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وفيه بعد وقرئ شاذا ولولدي يعني اسمعيل واسحق وأنكرها الخ حديثي بان في مصحف ولا يوى فهي مفسرة لقراءة العامة (وللمؤمنين) ظاهره شمول كل مؤمن سواء كان من ذريته أم لم يكن منهم وقيل أراد المؤمنين من ذريته فقط والاول أولى والله تعالى لا يرد دعاء خليفه ففيه بشارة لجميع المؤمنين والمؤمنات بالمغفرة اللهم اغفر لي مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا واني من ذرية خليلك ابراهيم فاغفر لي ولمن أخلفه من المؤمنين (يوم يقوم الحساب) أي يوم ينبت حساب المكافئين في المحشر استعير له لفظ يقوم الذي هو حقيقة في قيام الرجل للدلالة على انه في غاية الاستقامة وقيل ان المعنى يوم يقوم الناس للحساب وقيل يبدو ويظهر فيه الحساب والاول أولى (ولا تحسبن) بفتح السين وكسر هاء قرآن سبعين أي لا تظنن (الله عافلا عما يعمل الظالمون) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو تعرض لامتة فكأنه قال ولا تحسبن أمتك يا محمد ويجوز أن يكون خطابا لكل من يصلح له من المكافئين وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير تعرض لامتة فمعناه التثبيت على ما كان عليه من عدم الحساب كقوله ولا تكونن من المشركين ونحوه وقيل المراد ولا تحسبنه

(٢١ فتح البيان خامس) وعنايته وحراسته وامتنانه كما قال تعالى انما اطفي الماء حملناكم في الجارية لتجعله لكم تذكرة وتعيها اذن واعية وقال تعالى وجلناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر واقصدت كلأها آية فهل من مدكر وقوله ونادى نوح ابنه الآية هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرا ادعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويترك معهم ولا يفرق مثل ما يفرق الكافرون قال سآبى الى جبل يعصمني من الماء وقيل انه اتخذ له مركبا من الزجاج وهذا من الاسرافيات والله أعلم بصحته والذي نص عليه القرآن انه قال سآبى الى جبل يعصمني من الماء اعتقد بجعله ان الطوفان لا يبلغ الى رؤس الجبال

وانه لو تعلق في رأس جبل لنباه ذلك من الفرق فقال له أبوه نوح عليه السلام لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم أي ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله وقيل ان عاصما بمعنى معصوم كما يقال طاعم وكامى بمعنى مطعموم ومكسو وحال بينهم الما الموج فكان من المفرقين (وقيل يا أرض ابلى ما لك ويا ماء أظلمى وغضب الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعد اللقوم الظالمين) يخبر تعالى انه لما غرق أهل الأرض كلهم الا أصحاب السفينة أمر الأرض أن تطلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها وأمر السماء أن تقلع عن المطر وغضب الماء أي شرع (١٦٢) في النقص وقضى الامر أي فرغ من أهل الأرض فاطمة ممن كفر بالله لم يبق منهم ديار واستوت السفينة بمن

فيها على الجودى قال مجاهد وهو جبل بالجزيرة تشاخصت الجبال يومئذ من الفرق وطاوات وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام وقال قتادة استوت عليه شبرا حتى نزلوا عنها قال قتادة قد أتى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودى من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها وأول هذه الآية وكمن سفينة قد كانت بعددها فهلك وصارت رمادا وقال الضحاك الجودى جبل بالموصل قال بعضهم هو الطور وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا محمد بن عبيد عن نوبة بن سالم قال رأيت زبرجيس يسلي في الزاوية حين يدخل من أبواب كندة على عبيد فسأله انك لكثير الصلاة ههنا يوم الجمعة قال بلغني ان سفينة نوح أرست من ههنا وقال علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وانهم كانوا في أمانة وخسين يوما وان الله وجه السفينة

بعمالهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم أو يكون المراد بالنهي عن الحساب الا اذا كان عالم بذلك لا تخفى عليه منه خافية قال ميمون بن مهران في الآية هي تعزية لاهل الظلم ووعد للظالم وعن سفيان بن عيينة نحوه والغفلة بمعنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ واليقظة وفيه تسلية لروى الله صلى الله عليه وآله وسلم واعلام للمشركين بان تأخير العذاب عنهم ليس للرضا بما فعلوا بل سنة الله سبحانه في امهال العصاة (انما يؤخرهم) أي يؤخر جزاءهم وعذابهم ولا يؤاخذهم بظلمهم وهذه الجملة استئناف وقع تعليل للنهي السابق (ليوم) أي لاجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى التي للغاية (تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم فلا تنقر في أما كنها قال الفراء المعنى ترفع فيه أبصار أهل الموقف ولا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم شخص شخص البصر حدة النظر وعدم استقراره في مكانه يقال شخص سمعه وبصره وأشخصه ما صاحبه ما اشخص بصره أي لم يطرف جفنه ويقال شخص من بلده أي بعدد والشخص سواد الانسان المرقى من بعيد والمراد ان الابصار بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة قال قتادة شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترتد اليهم قيل أل للعهد وقيل لوجل على العموم كان أبلغ في التهويل وأسلم من التكرير (مهطعين) أي مسرعين قاله قتادة وزاد في الجمل الى الداعي وهو اسرافيل وقيل هو جبريل والنافخ اسرافيل قال الشهاب وهو الاصح كذا في عليه الاسمار وقيل المهطع الذي يديم النظر قاله مجاهد قال أبو عبيدة قد يكون الوجهان جميعا يعني الاسراع مع ادامة النظر وقيل المهطع الذي لا يرفع رأسه وقال ثعلب المهطع الذي يتطرق في ذل وخضوع وقيل هو الساكت قال النحاس والمعروف في اللغة أهدطع اذا أسرع وبه قال أبو عبيدة قال ابن عباس يعني بالاهطاع النظر من غير ان يطرف (مقنعي رؤسهم) اقناع الرأس رفعه وأقنع صوته اذا رفعه قال ابن عباس الاقناع رفع الرأس والمعنى انهم يومئذ رفعوا رؤسهم الى السماء ينظرون اليها انظر فزع وذلل ولا ينظر بعضهم الى بعض وقيل ان اقناع الرأس نكسه وقيل يقال أقنع اذا رفع رأسه وأقنع رأسه اذا طأطأه ذلة وخضوعا والآية محذلة للوجهين قال المبرد والقول الاول أعرف في اللغة (لا يرتد اليهم طرفهم) أي لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة الخوف وأصل الطرف تحريك الاجفان وسهيت العين طرفا لانه يكون

الى مكة فطاف بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله الى الجودى فاستقرت عليه فبعث نوح الغراب ليأتمه بخبر يكون الأرض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون فلطخت رجله بالطين فعرف نوح عليه السلام ان الما قد انضب فهبط الى أسفل الجودى فأتى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد تبللت ألسنتهم على ثمانين لغة احراها اللسان العربي فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يبعث عنهم وقال كعب الاحبار ان السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل ان تستقر على الجودى وقال قتادة وغيره ركبوا في عاشر شهر رجب فصاروا مائة وخسين يوما واستقرت بهم

على الجودى شهر او كان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير وانهم صاموا يومهم ذلك قاله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله عن شبل عن أبي هريرة قال قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقالوا ما هذا الصوم قال هذا اليوم الذي نجي الله موسى وبني اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم اسست فيه السفينة على الجودى فصام نوح وموسى عليهم ما السلام شكر الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم (١٦٣) أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فصام

وقال لا يصحابه من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بتيمة يومه وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولبعضه شاهد في الصحيح وقوله وقيل بعد اللقوم الظالمين أي هلاكهم وخسار الهمة وبعد ان رجة الله فانهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية وقد روى الامام أبو جعفر ابن جرير والخبز أبو محمد بن أبي حاتم في تنسيرهما من حديث يعقوب ابن موسى الزمعي عن قائد مولى عبيد الله بن أبي رافع بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لورحم الله من قوم نوح أحد الرحمة أم الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يعني وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك

يكون لها وقال ابن عباس يعني شاخصة ابصارهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفندتهم هوا) الهواء في اللغة الجوف الخالي الذي لم تشغله الاجرام والمعنى ان قلوبهم خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفرع والخيرة والدهش وجعلها نفس الهواء مبالغة ومنه قيل للاحق والبيان قلبه هوا أي لا رأى فيه ولا قوة وقيل معنى الآية انها خرجت قلوبهم عن مواضعها فصارت في الخناجر لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أمتها وقيل هوا بمعنى مترددة تهوى في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه وقيل المعنى ان أفئدة الكفار في الدنيا خالية عن الخير قال ابن عباس ليس فيها شيء من الخير فهي كالخربة قال قتادة ليس فيها شيء خرجت من صدورهم فنسبت في حلوقهم وعن مرة قال منخرقة لا تعي شيئا وقيل المعنى وأفندتهم ذات هوا ومما يقارب معنى هذه الآية قوله تعالى وأصبح قوادثم موسى فارغا أي خاليما من كل شيء الا من هم موسى عليه السلام والحاصل ان القلوب يومئذ زالت عن أمتها والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأندر الناس) هذا رجوع الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره الله سبحانه بان يذرههم والمراد الناس على العموم وقيل المراد كفار مكة وقيل الكفار على العموم والاول أولى لان الانذار كما يكون للكافر يكون أيضا للمسلم ومنه قوله تعالى انما ننذر من اتبع الذكر (يوم يأتيهم العذاب) أي يوم القيامة قاله مجاهد أي خوفهم يوم اتيان العذاب وانما اقتصر على ذكر اتيان العذاب فيه مع كونه يوم اتيان الثواب أيضا لان المقام مقام تهديد وقيل المراد به يوم موتهم فانه أول أوقات اتيان العذاب وقيل المراد يوم هلاكهم بالعذاب العاجل (فيقول الذين ظلموا) المراد بهم هنا هم الناس أي فيقولون والعدول الى الاظهار مكان الاشارة لان الظلم هو العلة فيما نزل بهم هذا اذا كان المراد بالناس هم الكفار وعلى تقدير كون المراد بهم من يعم المسلمين فالعنى فيقول الذين ظلموا منهم وهم الكفار (ربنا أخرنا) أي أمهلنا (الى أجل قريب) أي أمد من الزمان معلوم غير بعيد (فجاء دعوتك) لعبادك على ألسن أنبيائك الى توحيدك (وتبضع الرسل) المرسلين منك الدنيا فنعمل بما بلغوه اليها من شرائعك وتتدارك ما فرط منا من الاهمال وانما جاع الرسل لان دعوتهم الى التوحيد متفقة فاتباع واحد منهم اتباع الجميع وهذا

خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته ارفعته يديه فغرقا فلو رحم الله منهم أحد الرحمة أم الصبي وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روى عن كعب الاحبار ومجاهد بن جبير قصة هذا الصبي وأمه بنحوم هذا (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تنس أن ما ليس لك به علم اني أعطتك أن تكون من الجاهلين قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والافتقر لي وترحمي أكن من

الخطابين) هذا سؤال استعمال وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق قال رب ان ابني من أهلي أي وقد وعدتني ووعدك الحق الذي لا يلف فكيف غرق قال يا نوح انه ليس من أهلك الذين وعدت انجاءهم لاني انما وعدت نجاتهم من آمن من أهلك ولهذا قال وأهلك الامن سبق عليه القول منهم فكان هذا من سبق عليه القول بالفرق لكفره وقد نص غير واحد على تخطئه من ذهب الى أنه ليس بابنه وانما كان ابن زينة ويحكى القول انه ليس بابنه وانما هو ابن امرأته عن مجاهد والحسن وقال ابن عباس وغير واحد من السلف (١٦٤) ما زنت امرأة نبي قط قال وقوله ليس من أهلك أي الذين وعدت نجاتهم وقول

ابن عباس في هذا والحق الذي لا محمد عنه فان الله سبحانه أعز من أن يكن امرأة نبي من الناحشة ولهذا غضب الله على الذين ردوا عائشة قال عمر ~~كرمة~~ في بعض الحروف انه عل عملا غير صالح ولهذا قال الامام أحمد حدثنا يزيد ابن هرون حدثنا جاد عن ثابت عن شهر عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ انه عمل غير صالح وسمعه يقول يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن ابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن (١) سمعت ابن عباس

سئل عن قوله نجاتهم ما قال اما انه ليس بالزنا ولكن كانت هذه تخبر الناس انه مجنون وكانت هذه تدل على الاضـماف ثم قرأ انه عمل غير صالح قال ابن عيينة وأخبرني عمار الذهبي انه سأل سعيد بن جبير عنه فقال كان ابن نوح ان الله لا يكذب قال ونادى نوح ابنه قال وقال بعض العلماء ما فجرت امرأة نبي قط وكذا روى عن مجاهد أيضا وهو اختيار

(١) يابض بالاصل

منهم سؤال للرجوع الى الدنيا لما ظهر لهم الحق في الآخرة ولوردوا لعاد والمناة واعنه ثم حكى الله سبحانه ما يجاب به عنهم عند ان يقولوا هذه المقالة فقال (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أي فيقال لهم هذا القول نوح وبخا وتقر يعان من قبل الله أو الملائكة والاستفهام تقريرى قال ابن عباس من زوال عما أنتم فيه الى مائة ولون وقال السدي بعث بعد الموت أي ألم تكونوا أقسمتم من قبل هذا اليوم ما لكم من زوال من دار الدنيا وقيل انه لا قسم منهم حقيقة وانما كان اسان حالهم ذلك لاستغراقهم في الشهوات واخلاصهم الى الحياة الدنيا وقيل قسمهم هذا هو ما حكا الله عنهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يوت وجواب القسم ما لكم من زوال وانما جاء بالقول الخطاب في ما لكم مراعاة أقسمتم ولولا ذلك لقال ما لنا من زوال (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) أي استقررتهم يقال سكن الدار وسكن فيها وهي بلاد غود وفخوهم من الكفار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والعصيان له وقال الحسن علمتم بئس أعمالهم (وتبين لكم) بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار (كيف فعلنا بهم) من العقوبة والعذاب الشديد بما فعلوا من الذنوب وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم وقيل فاعله مضمرة دلالة الكلام عليه أي حالهم وخبرهم وهلاكهم (وضربنا لكم الأمثال) في كتب الله وعلى ألسن رسله أيضا حالكم ونقير يا وتكميلا للعجبة عليكم (وقدمكم) أي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قدمكم وروا في رد الحق واثبات الباطل (مكرهم) العظيم الذي استفرغوا فيه وسعهم وقيل المراد كذا قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين هموا بقتله ونفيه كما ذكر في سورة الانفال والاول أولى (وعند الله مكرهم) أي علمه وأجزاؤه أو مكتوب مكرهم فهو مجازيهم وعند الله مكرهم الذي يكمرهم به على ان يكون المكر مضافا الى المنعول وقيل المراد ما وقع من النمرود حيث حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا ربط قوائمه بأربعة ذنور وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه باطول من هذا وروى نحوه هذه القصة للخصنصر والنمرود من طرق ذكرها في الدر المنثور واستبعدنا بعض أهل العلم وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل ان يقدم على مثل هذا الامر العظيم الذي ذكره وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة

ابن جرير وهو الصواب (قبل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنذهبهم ثم نجسهم منا) هذه عذاب أليم يخبر تعالى عما قبل لنوح عليه السلام حين أرسلت السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن من ذريته الى يوم القيامة كما قال محمد بن كعب دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وكذلك في العذاب والمناع كل كافر وكافرة قال ابن ابي عمير لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحا على وجه الارض فسكن الماء وانبت نبات الارض (٢) قوله يابض الارض العمر الاكبر وابواب السماء يقول الله تعالى وقبل يا أرض اياي ماء لا آية بفعل الماء ينقص ويفيض ويدير (١) يابض بالاصل

وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه في أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح كوة الفلك التي ركب فيها ثم أرسل الغراب لينظر ما صنع الماء فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لها موضعاً فبسط يده للعمامة فاخذها فادخلها ثم مضى سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتون فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ثم مكثت سبعة أيام فأرسلها فلم ترجع فعلم أن الأرض قد برزت فلما كملت السنة كشف نوح غطاء الفلك وقيل يانوح (١٦٥) اهبط بسلام من الآيات (تلك من أنباء الغيب نوحيها

إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) يقول تعالى إنبيه صلى الله عليه وسلم هذه القصة وأشباهها من أنباء الغيب يعني من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها كأنك شاهدتها نوحيها إليك أي نعلمكم بها وأوحيناها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذب أنك تعلمها منه بل أخبرك الله بها كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك فاصبر على تكذيبهم وأذا هم فأناس تنصرون ونجعل العاقبة للذين لا تساءلون في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري الأعلى الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) يقول تعالى ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً

لهذه القصة بتأويل الآية البتة (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقرئ كادهم وضع كان وقرئ لتزول بفتح اللام على أنها لام الابتداء وقرأ الجمهور بكسر هاء على أنها لام الجود قال ابن جرير والمختارة هي الأخيرة وإن هي الخفيفة من النقيض له واللام هي الفارقة وزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدة أي وإن الشأن كان مكرهم معد لذلك قال الزجاج وإن كان مكرهم لم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال فإن الله ينصردينه وعلى قراءة الجمهور يحتمل وجهين أحدهما أن تكون إن هي الخفيفة من النقيض والمعنى كما مر والثاني أن تكون نافية واللام المكسورة لتأكيده النفي كقوله وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى وما إن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لايات الله وشرائعه الثابتة على حالها مدى الدهور المشبهة بها في الثبات والبقاء وقال ابن عباس مكرهم شركهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقة ثم اوقيل المراد بالمكر كفرهم وبنا سببه تكاد السموات يقطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) المعنى مخلف رسله وعده قال القتيبي هو من المقدم الذي يوضحه التأخير والمؤخر الذي يوضحه التقديم وسواء في ذلك مخلف وعده رسله ومخلف رسله وعده وقال الزمخشري قدم الوعد أي علم أنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه اختلاف الوعود فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته والمراد بالوعد هنا هو ما وعدهم سبحانه بقوله إننا لننصر رسلنا وكتب الله لأغلبن أنا ورسلي (إن الله عزيز) غالب لا يغالبه أحد (ذوات تمام) ينتقم من أعدائه لأولياته والجملة تعليل للنهي وقد مر تفسيره في أول آل عمران قال قتادة عزيز والله في أمره على وكيدته متين ثم إذا أنتمم اتقم بقدره (يوم) أي إذا كروا رتقب يوم (تبدل الأرض) المشاهدة (غير الأرض) والتبديل قد يكون في الذات كما في بدات الدراهم بالذنان وبقد يكون في الصفات كما في بدات الحلقة خاتماً والآية تحتمل الأمرين وبالشأن قال الأكثر (والسموات) أي وتبدل السموات غير السموات لدلالة ما قبله عليه على الاختلاف الذي مر وتقديم تبدل الأرض لقرآنهم أول كون تبدلها أعظم أثر بالنسبة إلينا أخرج مسلم وغيره من حديث ثوبان قال جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض فقال

لها ناهيهم عن الأوثان التي افتروها واخلقوا لها أسماء وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجره إلى هذا النصيح إنما ينبغي ثوابه من الله الذي فطرهم أفلا تعقلون من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجره ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة والتوبة عما يستقبلون ومن انصف بهم هذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره ودفط شأنه ولهذا قال يرسل السماء عليكم مدراراً وفي الحديث من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب (قالوا يا هود ما جئنا بنبية وما نحن بشارك اللهمنا عن قواك وما نحن لك بمؤمنين) ان نقول الاعتراك لبعض آلهناب سوء قال أنى شهد الله

واشهدوا أني بري مما أشتركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم يخبر تعالى انهم قالوا النبيهم ما جئنا ببينة اى بحجة وبرهان على ما تدعيه وما نحن بشاركي
آلهتنا عن قولك اى بمجرد قولك اتركهم تتركهم وما نحن للبعوثين بمصدقين ان نقول الاعتزال بعض آلهتنا بسوء يقولون
ما نظن الا ان بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها قال اني أشهد الله واشهدوا
اني بري مما أشتركون من دونه يقول اني بري (١٦٦) من جميع الابداد فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم ثم لا تنظرون وقوله

ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى
تحت قهره وهو الذى لا يجور فانه
على صراط مستقيم قال الوليد
ابن مسلم عن صفوان بن عمرو عن
أبي سعيد بن عبد الكلاعى فى قوله
تعالى ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها الآية قال ياخذ بنواصي
عباده فليقلن المؤمن حتى يكون
له أشد تقوى من الوالد بولده ويقول
ما غرك بربك الكريم وهذه حجة
بالغة على صدق ما جاءهم به
وبطلان ما هم عليه من عبادة
الاصنام فانما يتحقق اخلاص
العبادة لله وحده الذى بيده
الملك وله التصرف وما من شئ الا
تحت قهره لا اله الا هو (فان تولوا
فقد أبغمتكم ما أرسلت به اليكم
وبس تخلف ربي قوم ما غيركم ولا
تضره شئ ان ربي على كل شئ
حفيظ واما جاء أمرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك
عاد سجودوا بايات ربهم وعصوا
رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد
واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم
القيامة الا ان عادا كفروا ربهم
الا بعد العاد قوم هود) يقول لهم

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الظلمة دون الجسر وأخرج مسلم أيضا وغيره من
حديث عائشة قالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية
قالت أين الناس يومئذ قال على الصراط والصحيح على هذا ازالة عين هذه الارض وأخرج
البراز وابن المنذر والطبرانى فى الاوسط والبيهقى وابن عساکر وابن مردويه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قول الله يوم تبدل الارض غير الارض قال
أرض بيضاء كأنهم افضة لم يسدك فيها دم حرام ولم يعمل بها خطيئة قال البيهقى والموقوف
أصح وفى الباب روايات وقدروى نحو ذلك عن جماعة من الصحابة وثبت فى الصحيحين
من حديث سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقول يحشر
الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عنراء كقرصة ثقى وفيها أيضا عن حديث أبي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة
يتكثروها الجبار بيده الحديث وقد أطل القرطبي فى بيان ذلك فى تفسيره وفى تذكرته
وحاصله ان هذه الاحاديث نص فى ان الارض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضا
اخرى تكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال كثير من الناس
ان تبدل الارض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكلها ونسف جبالها ومد أرضها ثم
قال وذ كر شبيب بن ابراهيم فى كتاب الافصاح انه لا تعارض بين هذه الآثار وانما
تبدل ان كرتين احدها هذه الاولى قبل نفخة الصعق والثانية اذا وقعوا فى المحشر وهى
أرض عنراء من فضة لم يسدك عليها دم حرام ولا جرى عليها ظلم ويقوم الناس على الصراط
على متن جهنم ثم ذكر فى موضع آخر من التذكرة ما يقتضى ان الخلائق وقت تبدل الارض
تكون فى أيدي الملائكة رافعين لهم عنها قال فى الجمل قصص من مجموع كلامه ان
تبدل هذه الارض بأرض اخرى من فضة يكون قبل الصراط وتكون الخلائق اذ ذلك
مرفوعة فى أيدي الملائكة وان تبدل الارض بأرض من خبز يكون بعد الصراط
وتكون الخلائق اذ ذلك على الصراط وهذه الارض خاصة بالمؤمنين عند دخولهم
الجنة (وبرزوا) أى العباد والظالمون كما يفيد السياق أى ظهورهم من قبورهم
ليستوفوا جزاء أعمالهم وهذه هى علة الخروج أى ظهورهم من القبور لكونها كونه والتعبير
عن المستقبل بالماضى للتنبية على تحقق وقوعه كما فى قوله ونفخ فى الصور (لله الواحد

هود فان تولوا عما جئتمكم به فقد قامت عليكم الحجة بالبلاغى اياكم وبس تخلف الله قوم ما غيركم بعد دونه وحده (القهار)
ولا يالى بكم فانكم لا تضره بكفركم بل يعود وباله عليكم ان ربي على كل شئ حفيظ اى شاهد فقط لا قول عباده وأفعالهم ولما
جاء أمرنا وهو الرمح القيم فاهلكهم اثم عن آخرهم ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمة تعالى واطفئه وتلك عاد سجودوا
بايات ربهم كفروا به وعصوا ورسول الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بالانبياء فلهذا أتبعوا فى هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده
المؤمنين كلما ذكروا وينادى عليهم يوم القيامة على رؤس الاشهاد الا ان عادا كفروا ربهم الآية قال السدى ما بعث نبي بعد عاد
الا لعنة اعدا لسانه اى الى عهد أخاهم صالحا قال ما قوم اعدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها

فاستغفروهم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) يقول تعالى ولقد ارسلنا الى قومك صالحا فامرهم بعبادة الله وحده ولا هذا قال هو انشاءكم من الارض اى ابتداء خلقكم منها خلق منها اباكم آدم واسمهم كرم فيها جعلكم فيها اعمارا ثم رزقها ونسبها لهم فاستغفروهم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا انما اننا نعبد ما يعبد آباؤنا واتنا في شركهم تادعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فثابروني غير تخسير) يذكركم على ما كان من الكلام بينه (١٦٧) وبين قومه وقولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى كثر جولوكم في عقلائكم

قبل ان تقول ما قلت انما اننا نعبد ما يعبد آباؤنا وما علمه اسلافنا واتنا لى شركهم تادعونا اليه مريب اى شرك كثير قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي فيما ارسلني به على يقين وبرهان فمن ينصرني من الله ان عصيته وتركت دعوتكم الى الحق وعبادة الله وحده فلو تركتم ما نفعتموني ولما زدتوني غير تخسير اى خسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب ففعلوه ما فعلتم في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا فنجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوى العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين لم يغنوا فيها الا ان عود كفروا ربهم الا بعدا (انهم) تقدم الكلام عليهم في سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى

الفهار) المنذر بالالوهية الكثير القهر لمن عانده (وترى) التعبير بالمضارع لاستحضار الصورة (المجرمين) اى المشركين (يومئذ) اى يوم القيامة (مقرنين) اى مشدودين (في الاضداد) اما يجعل بعضهم مقرونا مع بعض قاله ابن قتبية اى بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرونا مع الشياطين كما في قوله نفيس له شيطاننا فهو قرين اومع ما كتبه بوان العنقايد الزائغة والملكات الباطلة اوجعلت ايديهم مقرونة الى ارجلهم قاله ابن زيدو والمقرن من جمع في القرن وهو الحبل الذي يربط به والاصفاد الاغلال والقيود قاله قتادة يقال صفدته صفا اى قيدته والاسم الصفد بفتح السين فاذا اردت التكثير قلت صفدته ويقال صفدته واصفدته اذا اعطيته قال ابن عباس الكبول وعنه يقول في وثاق قال سعيد بن جبيرة السلاسل (سرايلهم) هي القمص قاله السدي وعن ابن زيد مثله واحد هاسر بال يقال سر بلته اى البسته السربال (من قطران) هو قطران الابل الذي تهنا به قاله الحسن اى قصصناهم من قطران تطلى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسرايل وخص القطران لسرعة اشتعال النار فيه ولذعه مع نيران تحتته ووحشة لونه وقال جماعة هو النحاس المذاب وبه قال عمرو بن عباس قال عكرمة هذا القطران يطلى به حتى يشتعل نار او قال سعيد بن جبيرة القطر الصفرة والآن الحار وعن عكرمة نحوه والقطران فيه لغات بفتح القاف وكسر الطاء وهي قراءة العامة وبنو سكران وبنو سرحان وهو ما يستخرج من شجر فيطبخ ويطلى به الابل بالذهب جربها لحدته وقيل هو دهن ينحلب من شجر الابل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الابل اذا جربت وهو الهناء ولو اراد الله المبالغة في احراقهم بغير ذلك لشدروا لكتفه حذرهم عابا يعرفون واخرج مسلم وغيره عن ابي مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التائحة اذ لم تنب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب (وتغشى) اى تغطى (وجوههم النار) وتضربهم او تحللها وقلوبهم ايضا وخص الوجوه لانها اشرف ما في البدن وفيها الحواس المدركة (ايحزى) اى يفعل ذلك بهم ليحزى (الله) متعلق بيزروا والجمل التي بينهم ما اعتراض كما في السمين (كل نفس ما كسبت) من المعاصي اى جزاء موافقا لما كسبت من خير او شر (ان الله سريع الحساب) لا يشغله عنه شيء ولا حساب عن

ايديهم لانصل اليه فنكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرانه فائمة ففعلت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى االدوا بنا عوزو هذا يعلى شيخان هذا الشبي عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) يقول تعالى ولما جاءتك ابراهيم بالبشرى قيل تبشره باسحق وقيل به لانه قوم لوط قالوا سلاما قال سلام اى عليكم قال علماء البيان هذا احسن مما حيوه به لان الرفع يدل على الثبوت والدوام فالبث ان جاء بعجل حنيذ اى ذهب سر ما فاتناهم بالضيافة وهو عجل نقي البقر حنيذ مشوي على الرضف وهي الحجارة المحلاة هذا معنى ما روى عن ابن عباس

وقادة وغير واحد فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكروهم وقد تضمنت نكروهم وأوجس منهم خيفة قال السدي لما بعث الله الملائكة لقوم لوط أقبلت تنشي في صورة رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم فلما رأهم أجلهم فراغ إلى أهله فجاء بهجلاً من فذبحه وسواء في الرضف وأتاهم به فقدمهم - وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامرأته قاتمة وهو جالس في دار الضيافة (١) فن وجوه استجيب وقوله فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكروهم وذلك ان الملائكة لا يأكلون الطعام فلما رأى حالهم وقرارة ابن مـ عود فلما قرب اليه -م قالوا يا إبراهيم انا (١٦٨) لاننا كل طعاما الا بئس قال فان لهذا غمنا قالوا فاعفنا قال تذكرون اسم

حساب بل بحاسب جميع الخلق في قدر وصفهم ارم من أيام الدنيا الحديث بذلك وقد تقدم تنسيه (هـ ذابلاغ) أي هـذا الذي أنزل اليك تبليغ و كفاية في الموعظة والتذكير ومبلغ وموصل للناس إلى مراتب السعادة قبل ان الاشارة إلى ما ذكره سبحانه هـنا من قوله ولا تحسبن الله غافلاً إلى سربيع الحساب أي هذا فيه كفاية من غير ما انطوت عليه السورة وقيل الاشارة إلى جميع السورة وقيل إلى القرآن وبه قال ابن زيد وفيه من المحسنات رد العجز على الصدوق قد افتتحت هـ هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (لناس) أي لا كفار أو لجميع الناس على ما قيل في قوله وانذر الناس أي أنزل التبليغهم إلى ما فيه رشدهم ونفعهم أي لا يصلحهم إلى الخير (ولينذرنا) أي بالقرآن قاله ابن زيد وقرئ بفخ التحسية والذال المعجمة يقال نذرت بالشئ أنذر اذا علمت به واستعددت له (وليعلموا) بالدلالة التكوينية المذكورة سابقاً وبالقرآن بما فيه من الحجج (أعماها له واحد) لا شريك له (ولينذرنا) أي وليتعض أصحاب العقول السليمة والافهام الصحيحة وهذه اللامات متعلقة بمحذوف والتقدير وكذلك أنزلنا أومتعلقة بالبلاغ المذكور أي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا ويعلموا بما أقام الله من الحجج والبراهين وحدانيته سبحانه وأنه لا شريك له وليتعض بذلك أرباب العقول التي تعقل وتذكر

* (سورة الحجر) *

مكية بالاتفاق والاجماع كما قال القرطبي وعن ابن عباس وابن الزبير من له وهي تسع وتسعون آية والحجرواد بين المدينة والشام

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الر) قد تقدم الكلام عليه في محله مستوفى مراراً (تلك) أي ما تضمنته السورة من الآيات (آيات الكتاب) التعريف للتفخيم وقيل هو الجنس والمراد جنس الكتب المنزل المتقدمة قال مجاهد يعني التوراة والانجيل وقيل المراد به هـذه السورة والاضافة بمعنى من وقيل المراد القرآن ولا يتدح في هذا ذكر القرآن بعد الكتاب فقد قيل انه جمع له بين الاسمين عطفاً للتغاير اللفظي لاجل التعدد في الاسم بزيادة صفة (وقرآن مبين) أي

الله على أوله وتحمدون على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال حق لهذا ان يتخذ ربه خالماً لا فلما رأهم لا يأكلون فزع منهم فلما نظرت سارة انه قد أكرمهم -م وقامت تخدمهم ضحكك وقالت عجبا لاضيفنا تخدمهم بانفسنا كرامة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقوله قالوا لا تخف أي لا تخف منا انا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط انهم انكمهم فضحكك سارة استبشرا بهم لا كهم فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الاياس وقال قتادة ضحكك وعجبت ان قوماً يأتهم -م العذاب وهم في غفلة وقوله ومن وراء الحق يعصوب أي يولد له ولد واستدل به هذه الآية على ان الذبح اسم عمل لانه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعصوب قالت يا ويلتى ألدوا ناعجوز وهذابعل شخا الآية كما جرت به عادة النساء في أفوالهن وأفعالهن عند التعجب قالوا أنعمين من أمر الله فانه اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فلا تعجبين وان كنت عجوزاً عقيماً وبذلك شخا كبير افان الله قادر على ما يشاء رحمة الله وبركاته

عليكم أهل البيت انه جيد مجيد (فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط ان الكامل إبراهيم الحليم أو أمين يا إبراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يخبر تعالى عن إبراهيم انه لما ذهب عنه الروح وهو مأوجس من الملائكة حين لم يأكلوا وبشروه بعد ذلك بالولد وأخبروه به لاقوم لوط أخذ يقول كما قال سعيد بن جبـ في الآية قال لما جاء جبريل ومن معه قالوا له انما هم لك وأهل هذه القرية قال لهم أتتملكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتملكون قرية فيها أربعون مؤمناً بامر أم لوط قالوا لا قال ثلاثون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتكم (١) قوله وهو جالس إلى قوله فلما رأى حالهم هكذا في الآية ول التي بأيدينا وفيها بياض كما ترى فإبراهيم معجبه

ان كان فيها رجل واحد لم آمن لم يكونوا قالوا لا فقال ابراهيم عليه السلام عند ذلك ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم عن فيها النجسينه
 وأهله الا امرأته الآية فسكت عنهم واطمأنت نفسه وقال قتادة وغيره قريبان هذا زاذب احق أفرأيت ان كان فيها مؤمن
 واحد قالوا لا قال فان كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب قالوا نحن اعلم عن فيها الآية وقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب مدح
 لابراهيم بهذه الصفات الجميلة وتقدم نفسه سيرها وقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك الآية أي انه قد نفذ فيهم
 القضاء (ولما جاءت رسلنا لوطا سيي بهم وضاق بهم ذرعا (١٦٩) وقال هذا يوم عيب وجاءه قوم يهرعون اليه ومن قبل كانوا

يعملون الى سمات قال يا قوم
 هؤلاء بنيان من أطهر لركم فاتقوا
 الله ولا تخزون في ضيبي أليس
 منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت
 ما لنا في بنيانك من حق وانك لتعلم
 ما نريد (يخبر تعالى عن قدوم
 الملائكة بعد ما علموا ابراهيم
 بهلاكهم وفارقوه واخبروه
 بادلاك الله قوم لوط هذه الليلة
 فانطلقوا من عنده فأتوا لوطا وهو
 على ما قيل في أرض له وقيل في منزله
 وهم في أجل صرقة تكون على
 هيئة شباب حسان الوجوه ابتلاء
 من الله وله الحكمة البالغة فساءه
 شأنهم وضاق نفسه بسبيهم ورض
 ان لم يضيئهم أن يضيئهم أحد من
 قومه فيما لهم بسوء وقال هذا يوم
 عيب قال ابن عباس وغير واحد
 شديد بلاؤه وذلك انه علم أنه
 سيدافع عنهم وشق عليه ذلك وذكر
 قتادة انه لم أتوه وهو في أرض له
 فتضيئوه فاستجاب لهم فأنطلق
 أمامهم وقال لهم في اثناء الطريق
 كما عرض لهم بأن ينصرفوا عنه
 انه والله هؤلاء ما أعلم على وجه
 الارض أهل بلد أخبت من هؤلاء

الكامل الظاهر رشده وهداه وخيره وتنكير القرآن للتفخيم (ربما يود الذين كفروا)
 قرئ ربما بالتخفيف والتشديد وهم الغتان قال أبو حاتم أهل الحجاز يخفون وتيمم وريبعة
 يشقلون وأصلها ان تستعمل في القليل وقد تستعمل في الكثير قال الكوفيون أي يود
 الكفار في أوقات كثيرة وقيل هي هنا للتقليل لانهم ودوا ذلك في بعض المواضع لاني كلها
 لشغلهم بالعذاب وقيل ان هذا التقليل أبلغ في التهديد فان الاحوال تدهشهم فلا يفتنون
 حتى يتموا ذلك الا في احيان قليلة وقيل معناه يكفين قليل الندم في كونه زاجرا لك عن
 هذا الفعل فكيف بكثيره قيل وما هنا لحقت رب انما للدخول على الفعل وقيل نكرة بمعنى
 شيء وانما دخلت رب هنا على المستقبل مع كونها لا تدخل الاعلى الماضي لان المترقب
 في اخباره سبحانه كالواقع المتحقق فكانه قيل ربما يود الذين كفروا بهذا الكتاب والقرآن
 فهذا امر تبط بما قبله (لو كانوا مسلمين) أي منقادين لحكمه مذعنين له من جلة أهله
 وكانت هذه الودادة منهم عندما موته أو يوم القيامة والمراد أنه لما انكشف لهم الامر
 وانضح بطلان ما كانوا عاينهم من الكفر وأن الدين عند الله سبحانه هو الاسلام لادين غيره
 حصلت منهم هذه الودادة التي لا تمن ولا تغني من جوع بل هي مجرد الخسر والتندم
 ولوم النفس على ما عرط في جنب الله وقيل كانت هذه الودادة منهم عندما عاينته حالهم
 وحال المسلمين وقيل عند خروج عصاة الموحدين من النار والظاهر أن هذه الودادة كاتبة
 منهم في كل وقت مستمرة في كل لحظة بعد انكشف الامر لهم ولو صدرت أرامتنا عمة
 وجوابها محذوف أي لسروا بذلك أو تخلصوا عما هم فيه والاول أولى والتعبير عن مقتناهم
 بالغيبة نظر للاخبار عنهم ولونظر لصدوره منهم ليل لو كانا عن ابن عباس وابن مسعود
 وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا للمشركون يوم بدر حين ضربت
 أعناقهم فعرضوا على النار انهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن
 مسعود قال هذا في الجهنميين اذ أروهم يخرجون من النار وعن ابن عباس قال لا يزال
 الله يشنع ويدخل ويشفع ويرحم حتى يقول من كان مسلما فليدخل الجنة فذلك قوله
 ربما يود الذين كفروا وعن ابن عباس وانس انه مات اذ كراه هذه الآية فقلا حيث يجمع
 الله من أهل الخطايا من المشركين والمسلمين في النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم
 ما كنتم تعبدون فيغضب الله لهم فيخرجهم بنضله ورحمته أخرجه البيهقي في البعث وابن

(٢٢ فتح البيان خامس) ثم مشى قليلا ثم أعاد ذلك حتى كرره أربع مرات قال قتادة وقد كانوا أمروا أن
 لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم بدينهم بذلك وقال السدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم فبلغوا نهر سدوم ونصف النهار ولقوا بنت
 لوط تستقي فقالوا يا جارية هل من منزل فتالت مكانكم حتى آتيتكم وفرقت عليهم من قومها فأتت أباهما فقالت أدرك قيسا با على
 باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك وكان قومه منهموه ان يضيئ رجلًا قالوا دخل عناق فلنضيئ الرجال
 فجاءهم فلم يعلم أحد الا أهل بيته فخرجت امرأته فآخبرت قومها فجاءوا يهرعون اليه وقوله يهرعون اليه أي يسرعون ويهرولون

من فرحهم بذلك وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي لم يزل هذا من حجة عليهم حتى أخذوا وهم على ذلك الحال وقوله هؤلاء
 نأتى هن أظهر لكم يرشدهم إلى نسايتهم فإن النبي ﷺ بمنزلة الوالد فارشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة وقوله في الآية
 الأخرى أولم تنهك عن العالمين أي ألم تنهك عن ضيافة الرجال وقوله هن أظهر لكم قال مجاهد لم يكن بناته ولكن كل نبي أبواتمه
 وكذا روى عن قتادة وغير واحد قال ابن جريج أمرهم أن يتزوجوا النساء لم يعرض عليهم سفاحا وقوله فأنقوا الله ولا تخزون في
 ضيفي أي اقبلوا ما أمركم به من الاقتصار على نسايتكم (١٧٠) أليس منكم رجل رشيد أي فيه خير يقبل قالوا لقد علمت ما لنا في

بناتك من حق أي إن نسايتنا لأرب
 لنا فيهن ولا نشتهين وإنك لتعلم
 ما نريد أي ليس لما عرض الأفي
 الذكور وأنت تعلم ذلك فأى حاجة
 في تكرار القول علمنا في ذلك قال
 لو أنى بكم قوة أو آوى إلى ركن
 شديد قالوا يا لوط انزل ربك إن
 يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من
 الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا
 أمر أنك الله صديها ما أصابهم إن
 موعدهم الصبح أليس الصبح
 بقريب يقول تعالى إن لوطا
 نؤدبهم بقوله لو أنى بكم قوة
 الآية أي أنفعلت بكم الاتقاعيل
 بنفسى وعشيري ولهاذا ورد في
 الحديث من حديث عمرو بن علقمة
 عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 رحمة الله على لوط لقد كان يأوى إلى
 ركن شديد يعني الله عز وجل فما
 بعث بعده نبي إلا في ثروة من قومه
 فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم
 رسل الله وأنهم لا وصول لهم إليه
 قالوا يا لوط انزل ربك إن يصلوا
 إليك وأمره أن يسرى بأهله من
 آخر الليل وأن يتبع أدبارهم أي
 يكون ساقفة لأهله ولا يلتفت منكم

المبارك في الزهد وأخرج الطبراني في الأوسط بسند قال السبطي صحيح عن جابر بن
 عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن ناسا من امتي يعدون بنوهم سم
 فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون ما نرى ما كنتم فيه
 من نصديقتكم فنفكم فلا في أحد إلا أخرجه الله من النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم هذه الآية وفي الباب أحاديث مرفوعة عن جمع من الصحابة في تعيين هذا السبب
 في نزول هذه الآية (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) هذا تهديد لهم أي خذ هؤلاء الكفرة
 ودعهم عما أنت بسدده من الأمر لهم والنهي فهم لا يرعون أبدا ولا يخرجون من
 باطل ولا يدخلون في حق بل مرهم عما هم فيه من الاشتغال بالاكل والتمتع بزهرة الحياة
 الدنيا ومن الهاء العمل لهم عن اتباعك فانهم كالانعام التي لا تهتم بالبدن ولا تشغل
 بغيره وهذا الأمر لا يستعمل له ماض الا قليلا استغناء عنه بترك بل يستعمل منه
 المنارع فخو ونذرهم في طغيانهم ومن جنى الماضي قوله صلى الله عليه وآله وسلم ذروا
 الحبشة ما وذرهم وترك وذر يكونان بمعنى صير أي ذرهم هم الذين أي اترك كنار مكة
 والعموم أولى (ويلهم الأمل) أي يشغلهم طول الأمل والعمر وبلوغ الوطرو واستقامة
 الحال عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى يقال الهاء كذا أي شغله ولهى هو عن
 الشيء يلهى والمعنى يشغلهم الأمل عن اتباع الحق وما زلوا في الآمال الفارغة والتمنيات
 الباطلة حتى أسفر الصبح لذي عينين وانكشف الأمر ورأوا العذاب يوم القيامة فعند
 ذلك يذوقون ما صنعوا وأكثروا يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله والأفعال الثلاثة
 مجزومة على أنها جواب الأمر وهذه الآية منسوخة بآية السيف (فسوف يعلمون)
 عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم وفيه من التهديد والزجر ما لا بد من درقده وفيه تنبيه على أن
 إشار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من اخلاق المؤمنين قال بعض أهل
 العلم ذرهم تهديد وفوف يعلمون تهديد آخر فتنها العيش بين تهديدين قال علي بن أبي
 طالب إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل واتباع الهوى فإن الأول ينسى الآخرة
 والثاني يصعد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) من القرى بنوع من أنواع العذاب في
 حال من الأحوال (الأولها) أي أولها القرية (كأن معلوم) أي أجل وقت
 مقدراه لا يمكنها لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه معلوم غير مجهول ولا منسى فلا يتصور

التخلف

أحد أي إذا سمعت ما نزل بهم ولا تهولوا بكم تلك الأصوات المزججة ولكن استمروا إذا هيبن الأمر أن
 قال الا كثرون هو استثناء من المنيب وهو قوله فأسر بأهلك الأمر أن وكذا قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء أمر أن فخزوا
 الرفع والنصب وذكر هؤلاء أنهم أخرجت معهم وانما المسموعة الوجبة التفتت وقالت واقوماه جاءها جبر من السماء فقتلها ثم
 قربوا له لاهلهم تبشيرا له لأنه قال املكوهم الساعة فقالوا ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب هذا قوم لوط وقوف على
 الباب عكوف قد جاؤا بهم رعون اليه من كل جانب ولوط واقف على الباب يدافعهم وهم يتوعدونه فعند ذلك خرج عليهم جبريل

فضرب وجوههم بجناحه فطمس أعينهم وقال معمر عن قتادة عن - ذيفعة بن اليمان قال كان إبراهيم عليه السلام يأتي قوم لوط فيقول أنها كم الله ان تعرضوا العقوبة فلم يطيعوه حتى اذ بلغ الكتاب أجله انتهت الملائكة الى لوط وهو يعمل في أرضه فدعاهم الى الضيافة فقالوا اناضيوفنا الليلة وكان الله قد عهد الى جبريل ألا يعذبهم حتى يشهد عليهم - لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم ذكرا يعمل قومه من الشرف فشي معهم ساعة ثم التفت اليهم فقال أمانة تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ما أعلم على وجه الأرض شرا منهم أين اذهب بكم الى قومي وهم شر خلق الله فالتفت (١٧١) جبريل الى الملائكة فقال احفظوها هاتان

انثتان فلما انتهى الى باب الدار

بكي حياء منهم وشفقة عليهم فقال ان قومي شر خلق الله أمانة تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ما أعلم على وجه الأرض شرا منهم فقال جبريل للملائكة احفظوها هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهبت عجوزة عجوز السوء فصعدت فلوحث بشوها فأتاها الفساق بهرعون سراعا قالوا ما عندك قالت ضيف لوط قوم ما رأيت قط أحسن وجوها منهم ولا أطيب ريحا منهم فهرعوا يسارعون الى الباب فدعوا لوطا داخلا وهم خارجوناشدهم الله ويقول هؤلاء بنياتي هن أطهر لركم فقام الملك واردا بالباب يقول فسدده واستأذن جبريل في عتو بهم فاذن الله له في الصورة التي يكون فيها في السماء فنشر جناحه وجبريل جناسان وعليه وشاح من در من منظوم وهو براق النيايا اجل الى الجبين ودله حيك حيك مثل المرجان وهو اللؤلؤ كأنه الثيا ورجلاه الى الخضر فتال بالوط انارسل ربك

التخلف عنه بوجه من الوجوه والوافيه أوجه أحدها وهو الظاهر أنه او الحال والثاني انها مزيدة الثالث انها داخله على الجملة الواقعة صفة تأكيديا وبه قال الزمخشري (ما سبق من أمة) من الامم (أجلها) المضروب لها المكتوب في اللوح المحفوظ والمعنى انه لا يأتي هـ لا كما قبل مجيء أجلها قيل من زائدة وقيل على بابها لانها تنبئ التبعض في هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي أكد (وما يستأخرون) عنه والسبب زائدة فيكون مجيء هـ لا كهم بعدم معنى الاجل المضروب له وايراد الفـ عمل على صيغة جمع المذكر للعمل على المعنى مع التغليب ولرعاية التواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما قبلها فكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العقلاء فان لكل امة وقتا معين في نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وقال الزهري نرى انه اذا حضره أجله فانه لا يؤخر ساعة ولا يقدم وأما ما لم يحضر أجله فان الله يؤخر ما يشاء ويقدم ما شاء قلت وكلام الزهري هذا لا حاصل له ولا مناد فيه وقد تقدم نفسه في الاجل في أول سورة الانعام ثم لما فرغ من تهديد الكفار شرع في بيان بعض عتوهم في الكفر وعتادهم في الفتن مع تضمنه لبيان كثرتهم عن أنزل عليه الكتاب بعد ان كثرتهم بالكتاب فقال (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي قال كفار مكة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومتهكمين به حيث أتبعوا له انزال الذكر عليه مع انكارهم لذلك في الواقع أشد انكار ونفيهم له أبلغ نفي (أنك) بسبب هذه الدعوى التي تدعيها من كونك رسولا لله مأمورا بتبليغ أحكامه (لجنون) فانه لا يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة عندهم من كان عاقلا فقولهم هذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو كقول فرعون أن رسوا لكم الذي أرسل اليكم لجنون (لوما) حرف تفضيص مركب من لوم النية قلته ومن ما المزيدة فأفاد المجموع الحث على الفعل الداخلة هي عليه قال الفراء الميم في لوم بدل من اللام في لولا وقال الكسائي لولا ولوماسوا في الخبر والاستنهام قال النحاس لومنا ولولا وهلا واحد والمعنى هلا (تأنيبا للملائكة) ليشهدوا على صدقك وقيل المعنى لومنا تأنيبا للملائكة فيعاقبونا على تكذيبنا لك (ان كنت من الصادقين) في قولك وادعائك الرسالة والحاصل انهم قالوا مقاتلتين نعمتا الاولى بآيها الذي الخ والثانية لومنا تأنيبا فقال الله سبحانه مجيبا على الكفار ما طلبوا البيان الملائكة اليهم - مراد اعليهم - المقاتلتين على

لن يصلوا اليك اض يالوط عن الباب ودعى واياهم ففتح لوط عن الباب فخرج اليهم فنشر جناحه فضرب به وجوههم ضربا شديدا أعينهم فصاروا عميا لا يعرفون الطريق ثم أمر لوط فاحمل بأهله في ليلته قال فأسر بأهلك بقطع من الليل وروى عن محمد بن كعب وقتادة والسدي نحوه هذا (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين يبعيد) يقول تعالى فلما جاء أمرنا وكان ذلك عند طلوع الشمس جعلنا عاليها وهي سدوم سافلها كقولها فغشاها ما غشى أي أمطر عليها حجارة من سجيل وهي بالنار سبعة حجارة من طين أي مستخبرة قوية شديدة وقال بعضهم مشوية وقال البخاري سجيل

الشديد الكبير هجيل وسجين اللام والنون أختان وقوله منضود أي يتبع بعضها بعضا في نزولها وقوله مسومة أي معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه وقال قتادة وعكرمة مسومة مطوقة بها فتفتح من حجرة وذكروا أنهم انزلت على أهل البلد وعلى المتفرقين في القرى مما حوواها فبينما أحدهم يكون عند الناس يتحدث إذا جاءه حجر من السماء سقط عليه من بين الناس فدمره فلم يبق منهم أحد وقال مجاهد أخذ جبريل قوم لوط من سرحتهم ودورهم حلقهم بمواشيهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كذاها وكان حلقهم على (١٧٢) حوا في جناحه الايمن قال ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرفاتها وقال

قتادة بلغنا ان جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى جرة السماء حتى سمع أهل السماء ضواغي كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ثم اتبع شذان القوم فحرقا قال وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرى في كل قرية مائة ألف وفي رواية ثلاث قرى الكبرى منها سدوم قال وبلغنا ان ابراهيم عليه السلام يشرف على سدوم ويقول يوم ماله وقوله وما هي من الظالمين يعمدون ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعا من وجدته تعمل عمل قوم لوط فاقبلوا الفاعل والمنفعول به (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنصوا المكيال والميزان اني أراكم تجبروني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) يقول تعالى ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيحون من العرب كانوا يكتنون بين الجبار والشامق قريما من معان بلادا تعرف بهم يقال لهم مدين فارس بل الله اليهم شعيبا وكان من أشرفهم نسباً ولهذا قال أخاهم يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك

سبيل اللب والنشر المشوش (ما تنزل) نحن (الملائكة الا) تنزى لا متلبسا (بالحق) الذي يحق عنده تنزى لئلا هم فيما تقتضيه الحكمة الالهية والمشيئة الربانية وليس هذا الذي اقترحهوه مما يحق عنده تنزى للملائكة وهذا دلالة على قرئ من الانزال وقيل معنى بالحق بالرسالة وقيل بالترآق وقيل بالعذاب قاله مجاهد وقيل وقت الموت (وما كانوا اذا منظرين) قال السدي أي وما كانوا الويزات للملائكة منظرين من ان يعذبوا فالجمله المذكورة جزاء للجملة الشرطية المحذوفة قال صاحب النظم اذن مركبة من اذوان وهي اسم بمنزلة حين ثم ضم اليها ان فصار اذان ثم استعملوا الهمزة في حذفها فصار اذن ومجى انظرة ان دليل على اضممار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوا ثم انكر سبحانه على الكفار اسئراهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم المذكور فقال سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر) الذي أنكره ونسبوا بسببه إلى الجنون وهو القرآن واعتقدوا انه مختلف من عندك (واناله لحافظون) عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقصان ونحو ذلك فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر واحد من جميع الخلق من الانس والجن ان يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا اختصاص بالكتاب العزيز بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها تلك الاشياء ولما تولى الله حفظ ذلك الكتاب بقى مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وغيرهما وفيه دليل على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر لتطرق اليه الزيادة والنقصان كما تطرق إلى كل كلام سواء وقيل المعنى نزل محفوظا من الشياطين وقيل حفظه بان جعله معجزة باقية إلى آخر الدهر وقيل حفظه من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق ان يعارضه ولو بأقصر آية وقيل أعجز الله الخلق عن ابطاله وفساده بوجه من الوجوه فقيض له العلماء الراسخين يحفظونه ويذنبون عنه إلى آخر الدهر لان دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متموفرة على ابطاله وفساده فلم يقدروا على ذلك بحمد الله ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني والبيان وأصول الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك مما له مدخل في هذا الشأن وأخرج مسلم عن عياض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن

له وبيناهم عن التطفيف في المكيال والميزان اني أراكم تجبروني أخاف ان تسلبوا ما أنتم فيه بانها كركم محارم الله (ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبغسوا الناس أشياءهم ولا تنعوا في الارض منسدين ببقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) ينهاهم ألا عن نقص المكيال والميزان اذا أعطوا الناس ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطيين ونهاهم عن العتو في الارض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق وقوله ببقية الله خير لكم أي من يجزيكم الناس وقال الربيع وصية الله خير لكم وقال ابن زيد الهلال في العذاب والبقية في الرحمة

وقال ابن جرير ببقية الله أي ما تفضل عليكم من الرب بعد وفاء الكيل والوزن خير لكم من أخذ أموال الناس قال وقد روى هذا عن ابن عباس قلت يشبه قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب الآية وقوله وما أناء عليكم بحفظ أي رقيب لا حفظ أي افعلوا ذلك لله لا لغيركم الناس (قالوا يا شعب أصلك تأمر أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لا أنت الحلیم الرشید) يقولون على سبيل التكم أصلك قال الاعشى أي قراءتك تأمر أن تترك ما يعبد آباؤنا أي الاوثان والاصنام أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء فترك التطنيف هي أموالنا نفعل فيها (١٧٣) ما تريد قال الحسن أي والله ان صلاته

تأمرهم ان يتركوا ما يعبد آباؤهم وقال الثوري في قوله أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء يعنون الزكاة انك لانت الحلیم الرشید قال ابن عباس وغير واحد يقولون ذلك على سبيل الاستهزاء (قال يا قوم رأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) يقول لهم رأيتم يا قوم ان كنت على بينة من ربي أي على بصيرة فيما أدعوا اليه ورزقي منه رزقا حسنا قيل أراد النبوة وقيل أراد الرزق الحلال ويحتمل الأمرين وقال الثوري ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي لأنهم لم عن الشيء وأخالف أنا في السر فافعله في السر خفية عنكم كما قال قتادة يقول لم أكن أنما لم عن أمر وأركبه ان أريد الا الإصلاح ما استطعت أي انما مرادى اصلاحكم جهدي وطاقتي وما توفيقي الا بالله أي في اصابه الحق فيما أريده الا بالله عليه توكلت

ربه تعالى نزلت عليه كقرآنا لا يغسله الماء وأيضا في الآية وعيد شديد للمكذبين به المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاول والاول اولى بالمقام قال الخطابي انما لم يجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في المصنف لما كان يترقبه من ورودنا نسخ لبعض أحكامه وتلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته صلى الله عليه وآله وسلم ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الامة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضي الله عنه بمشورة عمر رضي الله عنه انتهى ذكره السيوطي في الاتقان وقد بسطنا الكلام على جمع القرآن في رسالتنا المسماة بالا كسبر في أصول التفسير فليرجع اليه ثم ذكر سبحانه ان عادة أمثال هؤلاء الكفار مع أنبيائهم كذلك تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ولقد أرسلنا رسلا كاثرة (من قبلك) وحذف المفعول لدلالة الارسل عليه (في شيع الاولين) أي في أممهم واتباعهم وسائر فرقهم وطوائفهم قال الفراء الشيع الامة التابعة بعضهم بعضا فيما يجمعون عليه واصلا من شاعها ذاتبعه وهم القوم المجتمعة المنفقة كلمتهم وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان في المصباح الشيعة الاتباع والانصار وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ثم صارت الشيعة اسمها لجماعة مخصوصة والجمع شيع والاشباع جمع الجمع وضافته الى الاولين من اضافة الصفة الى الموصوف عند بعض النحاة أو من حذف المضاف اليه عند آخرين منهم أي في شيع الامم الاولين وفي البيضاوي من قبيل اضافة الموصوف لصفته كقوله حق اليقين (وما كان يأتهم) أي الشيعة (من رسول) من الرسل (الا كانوا به يستهزئون) كما يفعل هؤلاء الكفار مع محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كذلك) أي مثل ذلك الذي سلكه في قلوب أولئك المستهزئين برسولهم (تسلكه) أي الذكر (في قلوب المجرمين) فالاشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخط في الخط قاله الزجاج والسلك التخاذل في الطريق قال والمعنى كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤا تلك الضلال في قلوب المجرمين وقال ابن عباس الشرك تسلكه في قلوب المشركين وعن قتادة مثله وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي أبين في ثبوت القدر لمن أذعن للعق ولم يعاند قال الواحدى أضاف الله سبحانه الى نفسه ادخال الكفر في قلوب

واليه أنيب أي أرجع فانه مجاهد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا أبو قزعة سويد بن جبر عن حماد بن معاوية عن أبيه ان أخاه مالكا قال يا معاوية ان محمدا أخذ جبراني فانطلق اليه فانه قد كل وعرف فانطلقت معه فقال دع لي جبراني فقد كانوا أسلموا فأعرض عنه فقام مغضبا فقال أما والله ان فعلت ان الناس يزعمون انك لتأمرنا بالامر وتحالف إلى غيره فقال أو قد قالوها فلئن فعلت ذلك ما ذاك الا على وما عليهم من ذلك نبي أرسله لواله جبرانه وقال أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ناسا من قومي في تهمة فحبسهم فجاء

رجل من قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخطب فقال يا محمد علام تحبس جبراني وقال ان باسالي قولون انك تنهى عن
 الشيء وتسخلي به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقولون قال فجعلت أعرض بينهما كلا ما تخافه ان يسمعا فيدعوا على قومي دعوة
 لا يفلحون بعدها أبدا فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فهمها فقال قد قالوها وأقائلها منهم والله لو فعلت لكان على وما كان
 عليهم خلوا عن جبرانه ومن هذا الحديث الذي رواه الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم الحديث عنى تعرفه
 قلوبكم وتلبس له اشعاركم وأبشاركم وترون اندسكم (١٧٤) قريب فانا أولا كم بدوا ذامهم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر

منه أشعاركم وأبشاركم وترون انه
 منكم بعيد فانا بعدكم منه اسناد
 صحيح وعن مسروق قال سمعت امرأه
 الى ابن مسعود فتسالت فتسأل عن
 الواسلة قال نعم قالت فعلم بعض
 نسائك فقال ما حفظت وصية العبد
 الصالح اذا ما أريد أن يخالفكم
 الى ما أنتم عليه فقال عثمان بن
 أبي شيبة حدثنا جبرير عن أبي سليمان
 النخعي قال كانت تجتمع ما كتب عمر
 ابن عبد العزيز فيها الامر والنهي
 في مكتب في آخرها وما كنت من ذلك
 الا ما قال العبد الصالح وما توفيق
 الابا لله عليه توكلت واليه استعجب
 (ويأقوم لا يجبر منكم شئ فتأق ان
 يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح
 أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط
 منكم بعيد واستغفروا ربكم ثم
 توبوا اليه ان ربي رحيم ودود)
 يقول لا يجبر منكم شئ فتأق أي
 لا تجعلكم عداوتي وبغضى على
 الادرار على ما أنتم عليه فيصيبكم
 العذاب وقوله وما قوم لوط منكم
 بعيد قيل المراد في الزمان قال
 قتادة يعني انما هلكوا بين أيديكم
 بالأمس وقيل في المكان ويحتمل
 الامر ان واستغفروا ربكم من

الكفار وحسن ذلك منه فن آمن بالقرآن فليس تحسنه وقال الرازي احتجوا بهذه الآية
 على انه تعالى يخلق الباطل والضلal في قلوب الكفار (لا يؤمنون به) أي بالذ كر الذي
 أنزلناه أو بعمد صلى الله عليه وآله وسلم حال من ضمير نسله أو مستأنفة لبيان ما قبلها
 وقيل ان الضمير في نسله لا يستهزاء وفيه لاذ كرو هو بعيد والاولى ان الضميرين للذ كر
 (وقد خلت سنة الاولين) أي مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلا كههم حيث فعلوا
 ما فعلوا من التكذيب والاسهتزاء وقال قتادة مضت وقائع الله فحين خلا من الامم
 فاحذروا ان يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب وقال الزجاج قد مضت سنة الله فيهم بان
 سلك الكفر والضلal في قلوبهم ثم حكى الله سبحانه اصرارهم على الكفر ونصيبهمهم على
 التكذيب والاسهتزاء فقال (ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المعادين لمحمد صلى الله عليه
 وآله وسلم المكذبين المستهزئين به (بابا من السماء) من أبوابها المعهودة ومكالمهم من
 الصعود اليه (فظلوا فيه) أي في ذلك الباب يقال نفل فلان يفعل كذا اذا فعله بالنهار
 (يعرجون) يدعون بالآلة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب الملكوت
 التي لا يتجدها جاحد ولا يعاند عند مشاهدتها معاند وقيل الضمير في فظلوا للملائكة
 أي فظل الملائكة يعرجون في ذلك الباب والكفار يشاهدونهم وينظرون صعودهم من
 ذلك الباب قاله ابن عباس (لقالوا) أي الكفار انظرط عنادهم وزيادة عتوهم (انما سكرت
 أبصارنا) قرئ مشددا وخفينا وهما سبعيتان وهو من سكر الشراب أو من السكر وهو
 سدها عن الاحساس قاله مجاهد يقال سكر النهر اذا سده وجسه عن الجرى وعن قتادة
 نحوه قال أبو عمرو بن العلاء سكرت غشيت وغطت وبه قال أبو عبيد وأبو عبيدة وروى
 عنه أيضا انه من سكر الشراب أي غشيتهم ما غطى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله
 وعلى التخصيف بمعنى سكرت وقيل أصلا من السكر يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت
 عن النظر قال النحاس وهذه الاقوال متقاربة والتشديد لاجل التكرير والمبالغة قال
 ابن عباس قرئش تقول (بل لحن) أضربوا عن قولهم سكرت أبصارنا ثم ادعوا انهم
 (قوم مسحورون) أي صهرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا بيان لعنادهم العظيم
 الذي لا يتلعمهم عنه شئ من الاشياء كما انما كان فانهم اذا رأوا آية توجب عليهم الايمان
 بالله وملائكته وكتبه ورسله نسبوا الى أبصارهم ان ادراكها غير حقيقي لعارض السكر

سالك الذنوب ثم توبوا اليه فيما نسئ تلبونه وقوله ان ربي رحيم ودود أي لمن تاب وعن أبي ليلى المكندي أو
 قال كنت مع مولاى أم سلمة ذات يوم وقد أحاط الناس بعثمان اذا شرف علينا من داره فقال يا قوم لا يجبر منكم شقاي ان يصيبكم
 مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح يا قوم لا تقتلوني (٣) كنتم هكذا وشرب بين أصابعه (قالوا يا شبيب
 ما نفعك كثيرا مما تقول وانما التالك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمنا وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله
 واتخذتموا وراكم ظهريان ربي بما أنتم لحن محيط) يقولون يا شبيب ما نفعك ما نفعهم كثيرا من قولك وانما التالك فينا ضعيفا قال
 (٣) هنا يفاض في الاصل فخر اه مصححه

سعيد بن جبيرة والثوري وكان ضير البصر وقال الثوري كان يقال له خطيب الانبياء قال السدي وابانثرا فينا ضعيفا قال انت واحد وقال ابوروق يعنون ذليلا لان عشرة ثيسوا على دينك ولولا رهطك لرجناك أي قومك لولا معزتهم علينا لرجناك قيل بالحجارة وقيل لسببنا وما انت علينا بعزير أي ليس عندنا لك معزة قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله يقول تتركوني لاجل قوتي ولا تتركوني اعظاما لجنب الرب تبارك وتعالى ان تنالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم كتاب الله وراءكم ظهر يا أي بنذعوه خلفكم لا تطيعونه ولا تظلمونه ان ربي بعاته ما لون محيط أي عوب علم جميع أحوالكم (١٧٥) وسيجزيكم (ويا قوم اعملوا على مكانتكم

اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارثقوا اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين كأن لم يغنوا فيها ألا بعد المدين كما بعدت ثمود لما ينس نبى الله من استجاباتهم قال يا قوم اعملوا على مكانتكم أي طريقتهم وهدايتهم شديد اني عامل على طريقتي فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارثقوا أي انتظروا وقوله ثمانين أي هامدين لآخر النهم وقوله لم يغنوا فيها في دارهم قبل ذلك وقوله كما بعدت ثمود وكانوا حيرانهم قريبا منهم في الدار وشبههم في الكفر وقطع الطريق وكانوا عرا بامثلهم (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فأتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود رأثعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرعد المرفود) يقول تعالى شبرا

أو أن عقولهم قد صارت فصا رادرا كهـم غير صحيح ومن بلغ في التعمت الى هذا الحد فلا تنفع فيه موعظة ولا يمتدى بآية وفي كلقى الحصر والانصراب دلالة على البتبان ما يروونه لاحقية له بل هو باطل خيل اليهم نوع من السحر ولمذ كرسجانه كفر الكافرين وعجزهم وعجز أصنامهم ذ كقدرته الباهرة وخلق البديع ليستدل بذلك على وحدانيته فقال (ولقد جعلنا) الجعل ان كان بمعنى الخلق فتقوله (في السماء ورجا) متعلق به وان كان بمعنى التصيير فهو خبره والبروج في اللغة القصور والحوال والطرق والمنازل والمراد بهم اعمامنازل الشمس والقمر والنجوم السيارة السبعة وهي الاثنا عشر المشهورة كبديل على ذلك التجربة والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم ومنازلها من أجل العلوم ويسـتدلون بها على الطرقات والافاق والخصب والجذب وقالوا الفلك اثنا عشر برجاً واسماء هذه البروج الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدى الدلو الخوت كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة عند المستغلين بهذا العلم ويسمون الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والنور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والدلو والميزان هوائية والسرطان والعقرب والحوث مائية وهذه البروج مقسومة الى ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلاث منزل وتلك البروج منازل الكواكب السبعة السيارة المريح قوله الحمل والعقرب والزهرة وله الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس وله الاسد والمشتري وله القوس والحوث وزحل وله الجدى والدلو ذ كره السيطون وهي مقسومة على ثمانية وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الثلاثة ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما وأصل البروج الظهور ومنه تخرج المرأة باظهار زينتها وقال الحسن وقتادة البروج النجوم سميت بذلك لظهورها وارتفاعها وقيل السبعة السيارة منها قاله أبوه الخ وقيل هي قصور ويوت في السماء فيها احرس قاله عذيمة وقال مجاهد البروج الكواكب (وزيناتها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم والبروج (للمناظرين) اليها أولام تنفكرين المعتبرين المستدلين بها على توحيد ربها وصانعها اذا كان من النظر وهو الاستدلال أي بابصارهم أو بآثارهم وفي السمين النظر عيني وقيل قلابي وحذف متعلقه ليهم (وحفظناها) أي السماء بالشهب (من) دخول (كل شيطان

عن ارسال موسى بآياته ودلالاته البهرة الى فرعون ملك القبط وملئه فأتبعوا أمر فرعون طريقته في الغي وما أمر فرعون برشيد أي ليس فيه رشد ولا هدى كما أنهم اتبعوه في الدنيا كذلك هو مقدمهم الى نار جهنم فأوردتهم الماهولة في ذلك الخط الاوفر من العذاب وكذلك شأن المنكرين كقولهم ربنا آتاهم ضعفين من العذاب الآتية وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر القيس حامل لواء شعراء الجاهلية الى النار وقوله وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة الآتية أي اتبعناهم زيادة على عذاب النار لعنة في الدنيا ويوم القيامة بئس الرعد المرفود قال مجاهد زيدوا

منه يوم القيامة فذلك اعتنان وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس بنس الرافد المرفود قال لعنة الدنيا والآخرة وكذلك قال الضحاك
 رقتادة وهو كقول وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار الآيتين (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن
 ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وزادهم غير تنبيذ) لماذا كرت على خبر
 الانبياء مع أنهم قال ذلك من أنباء القرى أي أخبارهم نقصه عليك منها قائم أي عامر وحصيد أي هالك وما ظلمناهم إذا هلكناهم
 ولكن ظلموا أنفسهم بتكذيبهم وكفرهم فما (١٧٦) أغنت عنهم آلهتهم أو ثأنهم التي يدعونها من شيء ما نفعوهم ولا أنقذوهم

وما زادوهم غير تنبيذ قال مجاهد
 وقناة وغيره ما أي غير تنبيذ
 وذلك أن سبب دمارهم باتباعهم
 تلك الآلهة فبهذه خسروا الدنيا
 والآخرة (وكذلك أخذ ربك إذا
 أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذ
 أليم شديد) يقول تعالى وكما أخذنا
 أولئك القرى الظالمة كذلك نفعل
 بأشباهم إن أخذهم أليم شديد وفي
 الصحيحين عن أبي موسى رضي الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إن الدليلي للنظام حتى
 إذا أخذهم ينلمته ثم قرأ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ
 ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة
 الآية (إن في ذلك لآية لمن خاف
 عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له
 الناس وذلك يوم مشهود وما تؤخرونه
 إلا لاجل معدود يوم يأتي لاتحكم
 نفس الأباذنه ففهم شقي وسعيد)
 يقول تعالى إن في إفلاك الكافرين
 وانجاس المؤمنين لآية أي عظة
 واعتبارا على صدق موعودنا في
 الآخرة وقوله ذلك يوم مجموع له
 الناس أي أولهم وآخرهم كقوله
 ففسرناهم فلم تغادره عنهم أحدا

رجيم قال أبو عبيدة الرجيم المرجوم بالنجوم كما في قوله رجوما للشياطين والرجيم في اللغة
 هو الرمي بالحجارة ثم قيل للعن والطرود والابعاد رجيم لأن الرمي بالحجارة يجب هذه المعاني
 وقال رقتادة الرجيم الملعون (الذي) أي لكن (من استرق السمع) من غير دخول وهذا وجه
 الانقذاع والسمع بمعنى المسموع وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا إلى
 السماء فيسترقوا السمع من الملائكة وقيل الاستئناس متصل أي الأمن استرق فانها
 لا تلتزم منه قال أبو العود حمله النصب على المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين من
 التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المدة قطع ان فسر ذلك بالمنع من
 دخولها والتصرف فيها انتهى قال ابن عباس أراد أن يخطف السمع كقوله الأمن خطف
 الخطفة (فأتبعه شهاب مبين) والمعنى حفظنا السماء من الشياطين ان تسمع شيئا من
 الوحي وغيره الأمن استرق السمع فانه تسمع وتلقيه الشهاب فتقتله أو تحبسه أو تحرقه
 أو تنقبه ومعنى فأتبعه تبعه وحلقه أو أدركه والشهاب الكوكب نفسه أو النار المشتعلة
 الساطعة منه كما في قوله بشهاب قبس وصنيع البضاوى يقتضى ان الشهاب بمعنى
 الشعلة هو الحقيقة والكثير وبمعنى الكوكب هو القليل وسمى الكوكب شهابا لبريقه
 شبه شهاب النار وانفصاله منها والمبين الواضح الظاهر للمبصرين يرونه لا يلتبس عليهم
 قال القرطبي واختلف في الشهاب هل يقتل أم لا فقال ابن عباس يحرق ويحرق ويحبل
 ولا يقتل يقال خيلته خيلا من باب شرب إذا فسدت عضوا من أعضائه أو أذهبت عقله
 والخيال بالفتح يطلق على الناس والجنون وقال الحسن وطائفة يقتل فعلى هذا القول
 في قتله بالشهاب قبل انقضاء السمع إلى الجن قولان أحدهما أنهم يقتلون قبل القائه
 ما استرقوه من السمع إلى غيرهم فلا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء ولذلك انقطعت
 الكهانة والثاني أنهم يقتلون بعد القائه ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن قال
 ذكره الماوردي ثم قال والقول الأول أصح قال واختلف هل كان رمي بالشهاب قبل
 المبعث فقد لا يكرهون ثم قيل لا وإنما ذلك بعد المبعث قال الزجاج والرمي بالشهاب من
 آيات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما حدث بعده ولده لأن الشعراء في القديم لم يذكروا
 في أشعارهم والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراسها صونا لأخبار

وذلك يوم مشهود أي عظيم تحضره الملائكة ويجمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم ويحكم فيه العادل الغيوب
 الذي لا يظلم وقوله وما تؤخرونه إلا لاجل معدود أي ما تؤخر إقامة القيامة إلا أنه قد سبقت كلمة الله في وجود الناس معدودين من ذرية
 آدم وضرب مدة معينة إذا انقطعت ونكامل وجود المقدر خروجهم قامت الساعة يوم يأت لاتحكم نفس الأباذنه أي يوم يأت يوم
 القيامة لاتحكم أحد الأباذن الله كقوله لاتحكمون إلا من أذن له الرحمن وقال وصوت للرحمن الآية وفي
 الصحيحين في حديث الشفاعة ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وقوله ففهم شقي وسعيد أي فن أهل الجمع

شقي ومنهم سعيد وعن عمر لما نزلت فنهق شقي وسعيد قلت يا رسول الله علام نعمل على شئ قد فرغ منه يا عمر وجرى به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له رواه أبو يعلى في مسنده ثم بين تعالى حالهم فقال (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم فيها خالدون) قال ابن جرير عادة العرب اذا أرادت ان تصف الشئ بالدوام أبد قالت هذا دائم دوام السموات والارض وكذلك (١٧٧) يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار فخطابهم

جل شأوا بما يتعارفون بينهم قلت يحتمل ان المراد ما دامت السموات والارض الجنس لانه لا بد في الآخرة من سموات وأرض غير هذه فدامت تلك السموات وتلك الارض وقال ابن أبي حاتم عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس في الآية قال لكل جنّة سماء وأرض وقوله الامام شاربك ان ربك فعال لما يريد كقوله النار مثواكم خالدين فيها الا شاء الله وقد اختلف في هذا الاستثناء على أقوال حكاهما ابن الجوزي في زاد المسير وقال ابن جرير في كتابه واختار ما نقله عن خالد بن معدان والبخاري وقتادة وابن سنان ان الاستثناء عائدا على العمدة من الموحدين وقد ورد في تفسيرها عن بعض السلف أقوال غريبة وقال قتادة الله أعلم بانيه (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الامام شاربك عطاء غير محذور) يقول تعالى وأما الذين سعدوا وهم اتباع الرسل في الجنة خالدين فيها أي ما كثر ما دامت السموات

الغيوب وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صنوان فاذا فرغ عن قلوبهم - قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسبعهم - ترقوا السمع وستمروا السمع هكذا بعضهم - فوق بعض ووصف سفيان بكثرة خرفها (٣) ويدرب بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الى آخر الى من تحته - حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فرمما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ويرمما لقاها قبل ان يدركه في كذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء أخرجه البخاري قال كثير من أهل العلم نحن نرى انقضاء الكواكب فيجوز أن يكون ذلك كما نرى ثم تصير نار اذا ادرك الشيطان ويجوز أن يقال يرمون بشعلة من نار الهواء فيضيل الينانته نجم يسرى (والارض) نصب على الاشتغال ولم يقر بأغبره لانه أخرج من حيث العطف على جملة فعلية قبلها (مددناها) أي بسطناها وفرشناها على وجه الماء كما في قوله والارض بعد ذلك دحاها وفي قوله والارض فرشناها فنعم الماهدون وفيه رد على من زعم انها كالكرة (وألقينا) أي جعلناها ووضعناها (فيها رواسي) أي جبالا ثابتة لا تتحرك بأهلها جمع راسية كما في الاختار وقد تقدم بيان ذلك في سورة الرعد (وأنبأنا فيهم ان) تبعيضية وهو الصحيح أو مزيدة عند الكوفيين والاحسن (كل شئ موزون) أي مقدر معلوم فعبّر عن ذلك بالوزن لانه مقدر تعرف به الاشياء وقيل موزون مقسوم وقيل معدود والمنصود من الانبات الانشاء والايجاد قال ابن زيد الاشياء توزن وقيل الضمير راجع الى الجبال أي أنبتنا في الجبال من كل شئ موزون من الذهب والفضة والنحاس والسكر والرمال والرصاص ونحو ذلك وقيل موزون عيزان الحكمة ومقدر بقدر الحاجة وقيل الموزون هو المحكوم بحسنه كما يقال كلام موزون أي حسن وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن (وجعلنا لكم فيها) أي في الارض (معاش) تعيشون به من المطاعم والمشارب جمع معيشة وهي ما يعيش بها الانسان مدة حياته في الدنيا وقيل هي الملابس وقيل هي التصرف في أسباب الرزق مدة الحياة قال الماوردي وهو الظاهر قلت والاول أظهر قال النسفي هي بياء صريحة بخلاف الجبال ونحوها فان تصريح البياء فيها خطأ انتهى - وقرئ بالهمز على التشبيه بشمال وقد ذكر في الاعراف وهي شاذة وقرأة الجمهور بالياء

(٢٣) فتح البيان خامس والارض الامام شاربك يعني بالاستثناء هنا أن دوامهم ليس أمرا واجبا بذاته بل موكل الى مشيئة الله وقال الضحاك والحسن هو في حق عصاة الموحدين كانوا في النار ثم أخرجوا منها عذب ذلك يقول عطاء غير محذور أي مقطوع قاله ابن عباس وغير واحد لا يتوهم ذلك المشيئة ان ثم انقطاع كباين هنا ان عذاب أهل النار دائم ودواي مشيئته وان بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال ان ربك فعال لما يريد وفي الصحيحين بوقى بالموت في صورة كبش أملح فيذبح ثم يقال (١) قوله في الصدر أي لنفسه زفير وآخرهم النفس شهيق هكذا في الاصل الذي يابدين وحرراه معججه (٢) أي أملكها انتهى مجمع البحار

يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت (فلانك في مرتبة مما بعد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل
وانالموفوهم نصيبهم غير منقوص واقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفي شك منه
مريب وان كلاما ليوفيهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير) يقول تعالى فلانك في مرتبة مما يعبد المشركون انه باطل فانه ليس لهم
مستند فيه الاتباع الا باء وسيجزيهم الله على ذلك اتم الجزاء فيعذبهم وان كانت لهم حسنات فتقدم وفاقهم اياها في الدنيا وقال الثوري
عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس والموافونهم (١٧٨) نصيبهم غير منقوص قال ما وعدوا فيه من خير وشرو قال ابن زيد نصيبهم

لانها في المفرد أصلية لان مندره معيشة من العيش فالأصلية والمدفي المفرد لا يقبل
همز في الجمع الا اذا كان زائدا في المفرد قاله في الجمل (ومن لستم له برازقين) عطف على
معاش أو على محل لكم وهم المماليك والعبيد والخدم والدواب والاولاد الذين رازقهم
في الحقيقة هو الله وان ظن بعض العباد انه الرازق لهم باعتبار استقلاله بالكسب وهذا
في غاية الامتنان والمعنى على الثاني وجعلنا لمن لستم له برازقين فيهامعاش وهم من تقدم
ذكره ويدخل في ذلك الدواب على اختلاف أجناسها وقيل أراد الوحش قاله منصور وقال
مجاهد الانعام وقيل الطيور ومنه قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها (وان
من شيء الا عندنا خزائنه) ان هي النافية ومن مزيدة لتأكيده وهذا التركيب عام لوقوع
النكرة في حيز النفي مع زيادة من ومع لفظ شيء المتناول لكل الموجودات الصادق على كل
فرد منها فاذا ذلك ان جميع الاشياء عند الله خزائنه الا يخرج منها شيء والخزائن جمع خزانة
وهي المكان الذي يحفظ فيه ثنائس الامور وذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل
مقدور والمعنى ان كل الممكنات مقدورة ومملوكة لله تعالى يخزنها من العدم الى
الوجود بمقدار كيف شاء وقال جهور المنسرين ان المراد بما في الآية هو المطر لانه سبب
الارزاق والمعاش وعن ابن مسعود وابن عباس ما تنقص المطر منذ أنزله الله ولا يمكن غطر
أرض أكثر مما مطر أخرى ثم قرأ وما ننزله الا آية قال ابن الخطيب وتخصيص قوله هذا
بالمطر تحكم محض لان قوله وان من شيء يتناول جميع الاشياء الا ما خصه الدليل وقيل
الخزائن المناقيم أي ما من شيء الا عندنا في السماء من اتيه والاولى ما ذكرناه من العموم
لكل موجود بل قد يصحق الشيء على انعدامه على الخلاف المعروف في ذلك وقيل
في العرش مثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وروى تأويل هذه الآية وأخرج البزار
وأبو الشيخ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خزائن الله الكلام
فاذا أراد شيئا قال **كن** فكان (وما ننزله) من السماء الى الارض أو نوحده
للعباد (الابتدر) أي بتقدير (معلوم) والمعنى ان الله سبحانه لا يوجد للعباد شيئا
من تلك الاشياء المذكورة الا متلبسا بذلك الايجاد بقدر معين سبحانه تفضيه مشيئة
على مقداره حاجته العباد اليه كما قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقد فسر الانزال بالايعاد وبالايشاء وبالايجاد والمعنى متقارب

يصير باعمال العباد وقوله ولا تتركوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس لا تلهوا (وأرسلنا
وقال العوفي عنه هو الركون الى الشرك وقال أبو العالية لا ترضون باعمالهم وقال ابن جرير عن ابن عباس لا تلهوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار وهذا القول حسن أي لا تعينوا الظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيت صنيعهم وليس لكم من دوني ينقذكم
ولا ناصر يخلصكم (واقم الصلاة طرقي النهار وانا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله
لا يضيع أجر المحسنين) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس واقم الصلاة طرقي النهار يعني الصبح والمغرب وكذا قال الحسن وابن
١١٠ قوله وهذه الآية رجع معناها الى الذي ذكرنا كذا لا اصل الذي يابدين ولم يتقدم ذكر القراءة ولا المعنى الذي أشار اليه في قوله

من العذاب ثم ذكر تعالى انه أتى
موسى الكتاب فاختلف فيه فمن
مؤمن به ومن كافر فلان سلف من
الانبياء اسوة ولولا كلمة سبقت من
ربك لقضى بينهم قال ابن جرير لولا
ما تقدم من تأجيله العباد الى أجل
معلوم ويحتمل ان لا يعذب أحدا
الا بعد قيام الحجة عليه فانه قد قال
ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
لزما وأجل مسمى ثم أخبر ان
الكافرين في شك مما جاء به الرسول
ثم أخبر انه سيجمع الاولين
والآخرين من الامم وسيجزيهم
باعمالهم فقال وان كلاما ليوفيهم
ربك اعمالهم الآية (١) وهذه
القراءة ترجع مع معانها الى الذي
ذكرنا (فاستقم كما أمرت ومن
تاب معك ولا تناغوا به بما تعملون
بصير ولا تتركوا الى الذين ظلموا
فتمسكم النار وما لكم من دون الله
من أوياء ثم لا تنصرون) يأمر تعالى
رسوله والمؤمنين بالثبات والدوام
على الاستقامة وذلك من أكبر
العون على النصر ونحوه عن
الطغيان وهو البغي فانه مصرفة
ولو كان على مشرك وأعلم تعالى انه

زيد وقال الحسن في رواية وقادة والضحك وغيرهم هي الصبح في أول النهار والظهر والعصر من آخره وكذا قال محمد بن كعب وقوله وزلفا من الليل قال ابن عباس وغير واحد يعني صلاة العشاء وعن مبارك بن فضالة المغرب والعشاء وكذا قال مجاهد وغيره وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات يقول ان فعل الخيرات يكفر الذنوب كما في الحديث الذي رواه أهل السنن عن علي رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذنب ذنبا في ترويضاً ويصلي ركعتين الا غفر له وفي الصحيحين عن عثمان رضي الله عنه انه ترويضاً لهم وضوء (١٧٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا رايت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يترويضاً وقال من ترويضاً وضوء في هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وروى أحمد عن عثمان رضي الله عنه انه دعا بماء فترويضاً ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يترويضاً وضوء في هذا ثم قال من ترويضاً وضوء في هذا وقام فصلى الظهر غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما كان بينه وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما كان بينه وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما كان بينه وبين صلاة المغرب ثم اغلبيت يتمرغ بلبته ثم ان قام فترويضاً وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهي الحسنات يذهبن السيئات وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت لوان علي باب أحدكم نهر يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله قال كذلك الصلوات الحسنات يغفر الله بها الذنوب والخطايا وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات

(وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو يسريع المرور (لواقع) أي حوامل لانها تحمل السحاب أي تقلده وتصرفه ثم تتربه فتزله قال تعالى اذا أفلتت بها ايا ثقالا أي حملت وناقاة لافق اذا حملت الجنين في بطنها قاله الأزهري وبه قال النضر ابن قتيبة وقيل لواقع بمعنى ملتصقة قال ابن الأنباري تقول العرب اقبل النبت فهو باقل أي مبقل والمعنى انها ملتصقة بالشجر أي تتويعها وقيل معنى لواقع ذوات لفتح قال الزجاج معناه ذوات لفتحة لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقعة يقال راح أي ذورح ولا ين أي ذوابن وتامر أي ذوات قال أبو عبيدة لواقع بمعنى ملاقح ذهب الى انه اجمع ملتصقة وفي هذه الآية تشبيه الرياح التي تحمل الماء بالحامل ولقاح الشجر بلقاح الحمل قال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء فتلقح به السحاب فتدر كما تدر اللقعة ثم تطر وعن ابن عباس نحوه وعن عبيد بن عمير قال يبعث الله المبعثرة فتقم الارض قائم يبعث الله المبعثرة فتنبه السحاب فتجعله كسفا ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه فتجعله كدركا ثم يبعث الله اللواقح فتلقح فتطر وأخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا وأبو الشيخ والديلمي بسند ضعيف عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ريح الجنوب من الجنة وهي ريح اللواقح التي ذكر الله في كتابه قال أبو بكر بن عباس لا تنقطر قطرة من السماء الا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيها قالوا صبا تهيج السحاب والشمال تجده معه والجنوب تدره والديبور تفرقه (فانزلنا من السماء) أي من السحاب وكل ما علاك فأنزلك فهو سماء وقيل من جهة السماء (ماء) المراد هنا ماء المطر (فاسقيناكموه) أي جعلنا ذلك المطر اسقياكم ولشرب مواشكم وأرضكم قال أبو علي يقال سقيت به الماء اذا أعطيت به قدر ما يروى وأسقيت به نهر أي جعلته شربا له وعلى هذا فأسقيناكموه أبلغ من سقيناكموه وقيل سقى وأسقى بمعنى واحد (وما أنتم له بحازنين) بل نحن الحازنون له فذ في عنهم سبحانه ما أثبتته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وقيل ان المعنى ما أنتم له بحازنين بعد أن أنزلناه عليكم أي لا تتقدرون على حفظه في الآبار والغدران والعيون بل نحن الحافظون له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة اليه (وانا نحن نخفي ونغيث) أي نوجد الحياة في المخلوقات ونسلمها عنهم متى شئنا وان اللام تنبذ ان الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ويبدنا احياء الخلق وامانتهم والغرض من ذلك الاستدلال بهذه الامور على كمال

الحسن والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكثرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وروى الامام أحمد عن أبي أيوب مرفوعا كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة ووزر وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فآخبره فانزل الله أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال يا رسول الله لي هذا قال الجميع امي كلهم ورواه مسلم وفي لفظ اني وجدت امرأة في بستان فنهلت بها كل شيء غير اني لم أجاء بها قبلتها ولزمتها فافعل بي ما شئت فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فذهب الرجل فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر نفسه فاتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصرة فقال ردوه علي

فردوه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفي النهار الآية فقتل معاذ آلهم وحده قال بل للناس كافة وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا
أبان بن الحقيق عن الصباح بن محمد عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم
بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدينامن يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الامن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي ننسى
بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قلنا وما بوائقه قال غشه وظلمه ولا يكسب عبدا ما لا حراما
فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيه قبل منه (١٨٠) ولا يترك خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يعجز السبي بالسبي

ولكن يعجز السبي بالحسن وقال
الامام أحمد حدثنا يونس وعثمان
حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن علي
ابن زيد عن يوسف بن مهزبان
عن ابن عباس ان رجلا أتى عمر
فقال ان امرأة جاءت تباعه
في سبيل الله فادخلتها الدوخل
فاصابت منها مادون الجماع قال ويحك
لعلها مغيبة قال أجل قال فأت
أبا بكر فاتاد فسأله فقال لعلها مغيبة
في سبيل الله (١)

ونزل القرآن وأقم الصلاة طرفي
النهار الآية فقال يا رسول الله الى
خاصة فضرب يعني عمر صدره
وقال لا ولا نعمة عين بل للناس عامة
فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صدق عمر ولا بن جبرير بسنده
عن أبي اليسر قال أتتني امرأة
تباع مني بدرهم فرافقت ان في
هذا البيت ثم اجد من هذا
فدخلت فدخلت فاهويت اليها
فقبلتها فانيت عمر (٢) فسأله فقتل
اتق الله واستر على نفسك فلم أصبر
حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فقال أخذت رجلا غاريا
في سبيل الله في أهله بمنزل هذا حتى

قدر عز وجل لانه القادر على البعث والنشور والجزاء لعباده على حسب ما يستحقونه
وتقتضيه مشيئته ولهذا قال (وفتح الوارثون) أي للارض ومن علمها لانه سبحانه
هو الباقي بعد فناء خلقه الحى الذى لا يموت الدائم الذى لا ينقطع وجوده ومصير الخلق اليه
ولله ميراث السموات والارض (وانتد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)
المراد علمنا من تقدم ولادة وموتنا ومن تأخر فيه ما وقيل من تقدم طاعة ومن تأخر فيها
وقيل من تقدم في صف القتال ومن تأخر وقيل المستقدمون هم الامم المتقدمة على
امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم والمستأخرون هم امة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم الى يوم القيامة وقيل المستقدمون من قتل في الجهاد والمستأخرون من لم يقتل وقيل
من خلق ومن لم يخلق بعد وقيل من أسلم أولا ومن يسلم آخر واللفظ أوسع من ذلك واللام
في الموضعين هي الموطئة للقسم وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة
وابن حبان والحاكم وصححه عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلى خلف رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم حسنا من أحسن النساء فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في
الصف الاول للراياها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من
تحت ابطينه فانزل الله هذه الآية وقد رواه عبد الرزاق وابن المنذر من قول أبي الجوزاء عن
ابن عباس قال الترمذي وهذا أشبه أن يكون أسح وقال ابن كثير في هذا الحديث نكارة
شديدة وعن ابن عباس قال المستقدمين الصنف المتقدم والمستأخرين الصنف
المؤخر وقد وردت أحاديث كثيرة في ان خير صنف الرجال أولها وشرها آخرها
وخير صنف النساء آخرها وشرها أولها وعن مقاتل وعطاء ان الآية في صنف القتال
وقال الحسن المستقدمين في طاعة الله والمستأخرين في معصية الله وعن ابن عباس
يعني بالمستقدمين من مات وبالمستأخرين من هو حي لم يمت وقال أيضا المستقدمين آدم
ومن مضى من ذريته والمستأخرين في أصلاب الرجال وعن قتادة شوه (وان ربك هو
يحشرهم) أي هو المتولى لذلك القادر عليه دون غيره كما يفيد ضمير الفصل من الحشر
وفيه انه سبحانه يجازي الحسن باحسانه والمسي باساءته لانه الامر المقصود من الحشر
(انه حكيم) يجري الامور على ما تقتضيه حكمة البالغة (عليه) أحاط علمه بجميع
الاشياء لا يخفى عليه شئ منها ومن كان كذلك فله القدرة البالغة على كل شئ بما وسعه علمه

ظننت اني من أهل النار حتى تميت اني أعلم اذا فاطم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة فبزل جبريل بهذه
الآية وروى ابن جبرير من حديث أبي امامة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اقم في حد الله مرة أو مرتين
فاعرض عنه ثم اقم الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال اذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا قال نعم قال فانك من خطيئتك
كما ولدتك امك فلا تعدوا أنزل الله اقم الصلاة طرفي النهار وزنا من الليل الآية وقال الامام أحمد حدثنا عثمان حدثنا حماد بن سلمة
(١) ياض بالاصل (٢) قوله فانيت عمر الخ كذا بالاصل الذى يابدين وفاق الخطيب هذا الحديث عن الترمذي عن أبي اليسر زيادة ا

أخبرنا علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فاخذ غصنا منها يابساً فنهزه حتى تحات ورقه ثم قال أبا عثمان لا تنسأني لم أفعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا عمل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان المسلم اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت ذنوبه كما تحات هذا الورق وقال أقم الصلاة طرفي النهار الآية ولا جدع معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وله عن أبي ذر مر فوعا اذا علمت سيئة فاتبعها حسنة تمحها قلت يا رسول الله أمن الحسنات لاله الا الله قال هي أفضل الحسنات (١٨١) وقال أبو يعلى حدثنا هذيل بن ابراهيم حدثنا

عثمان بن عبد الرحمن الزهري عن الزهري عن أنس مر فوعا ما قال عبد لاله الا الله في ساعة من ليل أو نهار الا طهست ما في الصغينة من السيئات حتى تسكن مثلها من الحسنات عثمان فيه ضعف وللبزار عن أنس ان رجلاً قال يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا حاجة الا اقتطعتها فقال له أتشهد ان لاله الا الله وانى رسول الله قال بلى قال فان هذا يأتي على ذلك (فلولا مكان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم أهلها منكم) يقول تعالى فلولا وجدنا من قرن من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما يقع بينهم من الشرور والمنكرات وقوله الا قليلا أي قد وجدنا منهم من هذا الضرب قليلا وهم الذي انجي الله عن حلول نقمه ولهذا أمر الله هذه الامة ان يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى

وحرى فيه حكمه سبحانه لاله الا هو (ولقد خلقنا الانسان) أي آدم عليه السلام لانه أصل هذا النوع (من) لابتداء الغاية أو لانه بعض (صلصال) أي طين يابس اذا انضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تشقق واذا انقرته سمعت له صلصلة أي صوتاً قال أبو عبيدة هو الطين المخلوط بالرمل الذي يصلصل اذا حرك فاذا طبع بالنار فهو الفخار وهو هذا قول كثير المنسرين وقال السكاني هو التين الممتن مأخوذ من قول العرب يصل اللعم وأصل اذا أنتن مطبوخاً كان أو نيئاً وهذا الطور آخر أطوار آدم الطينية وأول ابتداءه انه كان تراباً متفرق الاجزاء ثم بل فصار طيناً ثم أتت واسود فصار حملاً مسنوناً أي متغيراً ثم ييس فصار صلصاً لا وعلى هذه الأطوار والاحوال تتخرج الآيات الواردة في أطوار الطينية كآية خلقه من تراب وآية بذر من طين وهذه الآية التي نحن فيها (من) ابتداء (حمامسون) الجمأ الطين الاسود المتغير أو الطين الاسود من غير تقييد بالمتغير قال ابن السكيت تقول منه جاءت البئر حملاً بالسكرين اذا نزلت حملاً ووجبت البئر حملاً بالتحريك كثرت حماتها وأحميتها ألقيت فيها الحمأة قال أبو عبيدة الحمأة بسكون الميم مثل الحمأة يعنى بالتحريك والجمع حمائل تمرقة وتغرو الحمأ مصدر مثل الهلع والجرع ثم سمي به والمسنون قال النرا هو المتغير وأصله من سننت الجرج على الجرج اذا حككته وما يخرج بين الجرجين يقال له السنانة والسنين ويقال أسن الماء اذا تغير ومنه قوله لم يتسنه وقوله من ماء غير آسن وكلا الاشتقاقين يدل على التغير لان ما يخرج بين الجرجين لا يكون الامتنا وقال أبو عبيدة المسنون المصبوب وهو من قول العرب سننت الماء على الوجه اذا صببته والسن الصب وقال سيبويه المسنون المصوم مأخوذ من سننة الوجه وهي صورته وقال الاخفش المسنون المنصبوب القائم من قولهم وجهه مسنون اذا كان فيه طول والحاصل على هذه الاقوال ان التراب لما بل صار طيناً فلما أنتن صار حملاً مسنوناً فلما ييس صار صلصاً لا فاصل الصلصال هو الجمأ المسنون وهذا وصف بهما وعن ابن عباس قال خلق الانسان من ثلاث من طين لازب وصلصال وحمامسون فالتين اللازب اللازم الجيد والصلصال المدقق الذي يصنع منه الفخار والجمأ المسنون الطين الذي فيه الحمأة وقال أيضاً الصلصال الماء يقع على الارض الطيبة فيحسر عنها فتشقق ثم تصير مثل الخزف الرقاق وعنه قال الصلصال هو التراب اليابس الذي يبل بعد يسهه وقال أيضاً طين خلط برمل

عن المنكر كما قال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الآية وقوله واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه الآية أي اسئروا على ما هم فيه من المعاصي ولم ياتفتوا الى انكار أولئك حتى تجأهم العذاب ثم أخبر تعالى انه لم يهلك قرية الا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت عذاب قرية مصلحة قط كقوله وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم الآية (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وثبت كلمة ربك لاملأنا جهنم من الجنة والناس أجمعين) يخبر تعالى انه قادر على جعل الناس كلهم امة واحدة من ايمان أو كفر وانه لا تزال الخلقة منهم في أديانهم ومذاهبهم وآرائهم قال عكرمة مختلفين في الادي وقال الحسن مختلفين

في الرزق يسخر بعضهم بعضا والصحيح الاول وقوله الامن رحم ربك أي الا المرحومين من اتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الذي أخبرتهم به رسل الله اليهم ولم يزل هذا دأبهم حتى كان خاتم الرسل فاتبعوه وهم الفرقة الناجية كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضهم بعضا ان اليهود اختلفت على احدى وسبعين فرقة وان النصارى اختلفت على ثنتين وسبعين فرقة وستة فتنشق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما انا عليه وأصحابي رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة (١٨٢) وقال عطاء ولا يزالون مختلفين يعني اليهود والنصارى والمجوس الامن رحم ربك يعني

الجنة في الجنة وقال قتادة أهل راحة الله الجماعة وان اختلفت ديارهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل فرقة وان اجتمعت ديارهم وأبدانهم وقوله ولذلك خلقهم قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس خلقهم فرقتين كتولة فم شقي وسعيد وقيل للرجمة خلقهم قال ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد ابن ابي يحيى عن طاوس ان رجلا من اخصمه ما له فاكثرا فقال طاوس اختلفتم ما وأكثرت ما فقال أحدهما لذلك خلقنا فقال طاوس كذبت فقال أليس الله يقول ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم قال لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة كما قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال للرجمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب وكذا قول مجاهد والنسائي وقتادة كقولهم وما خلقت الجن والانس الآية وقيل المراد للرجمة والاختلاف خلقهم كما قال الحسن في رواية عطاء والاعمش وقال ابن وهب سألت مالك عن قوله ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك

وقال أيضا الذي اذا ضربته صاعل وعنه قال الطائفة تعصر بذلك فيخرج الماء من بين أصابعك وقال جامسون من طين رطب وقال من طين مننت (والجان) منصوب على الاشتغال وهو أبو الجحيم عند جمهور المنسرين وقال الحسن وعذراء وقتادة ومقاتل هو ابليس أبو الشياطين وسمى جاناته واريه عن الاعين يقال جن الشيء اذا ستره فالجان يستتر نفسه عن أعين بني آدم وهما نوعان يحجمهما وصف الاستتار عنهما وفي الجن مسلمون وكافرون وهم يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبنى آدم وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ولا يموتون الا ذمامات ابليس أبوه مذكروه الخازن قال ابن عباس الجان مسخ الجان كالتردة والخنازير مسخ الانس وقيل كان ابليس من حي الملائكة يسمى سمعون الجان خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وخلق الملائكة من النور (خلقناه من قبل) أي من قبل خلق آدم (من نار السموم) وهي الريح الحارة النافذة في المسام لشدة لظنها وقوة حرارتها يكون بالنهار وقديكون بالليل كذا قال أبو عبيدة وقال أبو صالح السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الجباب فاذا أحدث الله أمرا أخرقت الجباب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الجباب قاله الخطيب وقيل السموم نار جهنم وقيل هي جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان قاله ابن مسعود وفي السموم السموم ما يقتل من افراط الحر من شمس أو ريح أو نار لانها تدخل في المسام وقيل السموم ما كان ليللا والحرور ما كان نهارا وقيل هو من باب اضافة الموصوف لصفته وذكر خلق الجن والانس في هذا الموضع للدلالة على كمال القدرة الالهية وبيان ان القادر على النشأة الاولى قادر على النشأة الاخرى قال ابن عباس من نار السموم من أخس النار الحارة التي تنال وعن ابن مسعود قال السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعا (و) اذكر (اذ قال ربك للملائكة) بين سمعانه بعد ذكره لخلق الانسان ما وقع له عند خلقه وقد تقدم تفسير ذلك في البقرة (الى خالق بشرا) مأخوذة من البشارة وهي ظاهر الجلال (من صلصال) قد تقدم تفسيره قريبا مستوفى وكذا تفسير (من جامسون فإذا سويته) أي سويت خلقه وعدلت صورته الانسانية وخلقته البشرية وأكملت اجزاءه وأتممت خلقه أو سويت اجزاء

قال فريق في الجنة وفريق في السعير وعن مالك فيما روي عنه من التفسير ولذلك خلقهم قال للرجمة وللأختلاف بدنه وقوله وتمت كلمة ربك الآية يخبر تعالى انه قد سبق في قضائه ان من خلقه من يستحق الجنة ومنهم من يستحق النار وان لا بد ان يلا من هذين النقيضين وله الجنة البالغة والحكمة التامة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة مالي لا يدخلني الاضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار وأثرت بالمكبرين والتكبرين فقال الله عز وجل للجنة انت رحتي ارحم بك من أشاء وقال للنار انت عذابي انتقم بك من أشاء ولكل واحدة منهما مملوؤها فاما الجنة فلا يزال فيها افضل حتى ينشيء الله

لها خلقا وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع عليهم رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاء في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين) يقول تعالى ركلا نقصها عليك من أنباء الرسل مع أنهم وكيف جرى من المحاجات وما احتلله الانبياء وكيف نصر الله المؤمنين وخذل الكافرين كل فدا ما نثبت به فؤادك يا محمد أي قلبك ليكون لك بهم أسوة وقوله وجاء في هذه الحق أي هذه السورة قاله ابن عباس وجماعة وعن قتادة في هذه الدنيا وجاء في فيها قصص حق وموعظة يرتدع بها الكافرون وذكري ينتفع بها المؤمنون (١٨٣) (وقل للذين لا يؤمنون أعمالوا على مكاتبتكم أنا عاملون

وانظروا إلى ما منتظرون) يقول تعالى وقل للذين لا يؤمنون على وجه التهديد أعمالوا على مكاتبتكم طريتمكم أنا عاملون على طريقتنا وانظروا إلى ما منتظرون فستعلمون من تكون له عاقبة الدار وقد أنجز الله وعده ونصر عبده فله الحمد وحده (ولله غيب السموات والارض والسماء يرجع الأمر كله فاعلمه وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) يخبر تعالى أنه يعلم غيب السموات والارض وأنه إليه المرجع وأمر بعبادته والتوكل عليه فإنه كاف من توكل عليه وروى ابن جرير بسنده عن كعب قال سألت التوراة خاتمة هود آخر تفسير سورة هود عليه السلام والله الحمد والمنة (تفسير سورة يوسف عليه السلام وهي مكية) روى الثعلبي وغيره من طريق سالم بن سليم ويقال سالم المديني وهو متروك عن هرون بن كثير وقد نص على جهالة أبو حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي امامة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرفاكم سورة يوسف فإنه إمام مسلم تلاها وعلمها أشبهه أو ما ملك عينه هون الله عليه

بدنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي) النفخ اجراء الريح في تجاوز جسم آخر صالح لا مسا كها والامتلاء بها فن قال ان الروح جسم لطيف كالهواء فعنه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد غير متخيز ولا حال في تخيز فعني النفخ عنده تمثيلا للبدن لتعلق النفس الناطقة به ومن زائدة أو بعبارة قال النيسابوري ولا خلاف في ان الاضافة في روي للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله قال القرطبي والروح جسم لطيف اجري الله العادة بان يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم وحقيقته اضافة خلق الى خالق فالروح خلق من خلقة اضافه الى نفسه تشرى فاو تكرر عا قال ومثل روح منه وقد تقدم في النساء قال أبو السعود وليس ثمة نفخ ولا مننوخ فيه وانما هو تشييل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها فاذا اكملت استعداداه وافضت عليه ما يجي به من الروح التي هي من أمرى (ففعوا له ساجدين) الفاء تدل على ان سجودهم واجب عليهم عقب التسوية والنفخ من غير تراخ وهو أمر بالوقوع من وقع يقع أي استقطوا وخروا وفيه دليل على ان الامور به هو السجود الحقيقي أي وضع الجهة على الارض لا مجرد الانحناء كما قال السيوطي وهذا السجود هو سجود تخييلية وتكريم لاسجود عبادة والله ان يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء وقيل كان السجود لله تعالى وكان آدم قبله لهم تشر يناله وهذا وان كان معنى صحيحا لكن يخالف ظاهر النظم القرآني والاولى ما دل عليه ظاهر اللفظ فالاول اول والخطاب للملائكة الذين قال الله لهم اني خالق بشرى (فسجدوا للملائكة كلهم أجمعون) عند أمر الله سبحانه لهم بذلك من غير تراخ قال المبرد قوله كلهم أزال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد فظهر أنهم باسرعهم سجدوا ثم عند هذا بقي احتمال وهو أنهم حل سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت فلما قال أجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة وهو ايضا محال سابق وقيل قوله أجمعون تو كيد بعد تو كيد ورجع هذا الزجاج قال النيسابوري وذلك لان أجمع معرفة فلا يقع حال اول وجه ان يكون حاله ان كان منتصبا قال الكرخي فيمنه تأ كيد ان زيادة تمكين المعنى وتثريه في الذهن ولا يكون تحصيله للعامل لان نسبة أجمعون الى كلهم كناية كلهم الى اصل الجمل أو أجمعون ينمى معنى الاجتماع وقيل هما تأ كيد ان لهما بالغة وزيادة الاعتناء ثم استثنى ابليس من الملائكة فقال (الا ابليس) قيل هذا الاستثناء حاصل لكونه كان

سكرات الموت واعطاه من القوة ان لا يحسد له لما وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف اسناده بالكافة وقد ساقه الحافظ ابن عساکر من ابعان طريق القاسم بن الحكم عن هرون بن كثير ومن طريق سبابة عن محمد بن عبد الواحد النضري عن علي بن زيد عن جده عن وعن عطاء بن أبي ميمون عن زرين حبش عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وهو منكر من سائر طرقه وروى البيهقي في الدلائل ان طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه السورة أسلموا الموافقة ما عندهم وهو من رواية الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (الترنم آيات الكتاب المبين) انما نزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله ان الغافلين) أما الكلام على الحروف

المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله تلك آيات الكتاب أي هذه آيات الكتاب وهو القرآن المبين أي الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المهمة ويفسر هاء أي بيدهم أن أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأيدم وأوسعها وأكثرها ثابدة للمعاني التي تقوم بالنفوس فلم يأنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض وأبداء أنزله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فأكمل من كل الوجوه ولهذا قال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية وقد ورد (١٨٤) في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن

الأودي حدثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو وهو ابن قيس الملاقي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قصصت علينا فنزلات فتحن نقص عليك أحسن القصص ورواه من وجه آخر عن عمرو بن قيس مرسلًا وقال أيضا حدثنا محمد بن سعد القطن حدثنا عمرو بن محمد أخبرنا الله الصغار عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال قتله عليهم زمانا فأتوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل الراتك آيات الكتاب المبين إلى قوله لعلكم تعقلون ثم تلاه عليهم زمانا فأتوا يا رسول الله لو حدثنا فأنزل الله عز وجل الآية نزل أحسن الحديث ورواه الحساکم من حديث الحق بن راهويه عن عمرو بن محمد النري المذنب وروى ابن جرير بسنده عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له فأتوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن به سنون القصص فأنزل الله الراتك آيات

من جنس الملائكة وليكنه (أي أن يكون مع الساجدين) استبكارا واستعظاما لنفسه وحسدا لا دم خفت عليه كلمة الله وقيل أنه لم يكن من الملائكة وليكنه كان معهم وبينهم فغاب اسم الملائكة عليه وأمر بآمر وأمر بآمر فبكان الاستثناء به ذا الاعتبار متصلا زاد أبو السعود أما لأنه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعدتهم تغلبا وأما لأن من الملائكة جنس آيات الدون وهو منهم وقيل أن الاستثناء منقطع منفصل بناء على عدم كونه منهم وعدم تغليبهم عليه أي وليكن إبليس أي من السجدة وقد تقدم الكلام في هذا في سورة البقرة وهذه الحجة على الأول استثناء مبين لكيفية عدم السجود المنهوم من الاستثناء لأن مطابق عدم السجود قد يكون مع التردد بين سبحانه أنه كان على وجه الإباء والاستبكار (قال يا إبليس) مستأنفة أيضا وهذا الخطاب له ليس للتشريف والمكر يميل على سبيل الإهانة والاذلال والتقريع والتوبيخ وظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع إبليس بغير واسطة لأنه قال في الجواب لم أكن لأسجد لبشر خلقته فتتوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة فتقول بعض المتكلمين أنه تعالى أوصل هذا الخطاب إلى إبليس على أن بعض رسله ضعيف قيل معنى (مالك) أي غرض لك وأي سبب جئت على (أن لا تكون مع الساجدين) لا دم مع الملائكة وهم في الشرف وعلو المنزلة والقرب من الله بالمنزلة التي قد علمتها وعلى هذا فليست لازمة وإليه مال البيضاوي وقيل زائدة بدليل ما في سورة ص ما منعك أن تسجد (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته) مستأنفة كالتي قبلها أي لا ينبغي لي ولا يصح مني ولا يليق بحالي فاللام لتأكيده التي جعل العلة الترك سجوده كون آدم بشرا مخلوقا (من صلصال من حمأ مسنون) زعم أنه أنه مخلوق من عنصر نار وهي أشرف من عنصر آدم عليه السلام وهو الطين المتغير المنقح لأنهم أنيرة والطين كنيف مظلم وفيه إشارة إجمالية إلى كونه خيرا منه وقد سرح بذلك في موضع آخر فقال أنا من خلقته من نار وخلقته من طين وقال في موضع آخر أسجد لمن خلقت طينا ولم يدرك الحديث أن الفضل فيما فضله الله تعالى قال الكرخي وحاصل كلامه أن كونه بشرا يشعر بكونه جسميا كسيفا وهو كان روحانيا لطيفا فيك أنه يقول البشر الجسماني الكيف أدون جال من الروحاني اللطيف فكيف يسجد الأعلى للادنى وأيضا قال آدم مخلوق من صلصال تولد من حمأ مسنون وهذا الأصل في غاية

الدعاة

الكتاب المبين إلى قوله لمن العاقلة فإرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص

فداهم على أحسن القصص ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة المشقة على مدح القرآن وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما رواه الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان أخبرنا هشيم أخبرنا مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال امتهوكون فيهم أي ابن الخطاب والذي نفسي بيده أنه قد جئتكم بها بياض نقية لأنساؤهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه

حدثنا سفيان عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت
 باخلى من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك قال فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن
 ثابت فقلت له ألا ترى ما يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لا بد لي من أن أرى ما يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفسي محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم أتبعتموه وتركتموني اضللتكم حتى من
 الامم وأنا حظكم من النبيين وقال الخافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا (١٨٥) عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير حدثنا علي بن مسهر

عن عبد الرحمن بن اسحق عن خليفة
 ابن قيس عن خالد بن عرفة قال
 كنت جالسا عند عمر إذ أتني برجل
 من عبد القيس سكنه بالسوس
 فقال له عمر أنت فلان بن فلان
 العبدى قال نعم قال وأنت النازل
 بالسوس قال نعم فضر به بئنا معه
 قال فقال الرجل مالي يا أمير المؤمنين
 فقال له عمر اجلس فجلس فبلا عليه
 بسم الله الرحمن الرحيم الرثلك آيات
 الكتاب المبين إلى قواه من الغافلين
 فقرأها عليه ثلاثا ونثر به ثلاثا فقال
 له الرجل مالي يا أمير المؤمنين فقال
 أنت الذي نسخت كتاب دانيال قال
 مررتي بأمرأتها قال فانطأق
 فاحمها لحيم والنوف الأبيض ثم
 لا تقرأه ولا تقرئه أحدا من الناس
 قلن بلغني عنك أنك قرأته أو
 أقرأته أحدا من الناس لأنهم كذبك
 عقوبة ثم قال له اجلس فجلس بين
 يديه فقال انطلقت أنا فأتت نسخت
 كتاب من أهل الكتاب ثم جئت به في
 أديم فقال لي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما هذا في يدك يا عمر قال
 قلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزد
 به علما إلى علما فغضب رسول الله

الدناءة وأصل ابليس هي النار وهي أشرف العناصر فكان أصل ابليس أشرف من أصل
 آدم والأشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون فهو هذا مجموع شبه ابليس فأجاب الله
 سبحانه عليه بقوله (قال فخرج منها) أي حيث عصيت وتكبرت فخرج منها (فأنك
 رجيم) والضمير في منها قيل عائد إلى الجنة وقيل إلى السماء وقيل إلى زمرة الملائكة والرجيم
 المرحوم بالشبه وقيل معناه ملعون أي ملأ روحه من طرد رجيم بالحجارة وفي القاموس
 الرجم اللعن والشتم والبارد والهجران وفي المصباح الرجم ينتحتمن الحجارة والرجم القبر
 يسمى بذلك لما يجتمع عليه من الاجار ورجته رجسا بن باب قتل ضربه بالرجم (وان عليك
 اللعنة) أي الطرد والابعاد من رحمة الله سبحانه مستقرا عليك لازمالك (اليوم الدين)
 وهو يوم القيامة والجزاء وقيل هو ملعون في السموات والارض وجعل يوم الدين غاية للعنة
 لا يستلزم انقطاعها في ذلك الوقت لان المراد واماها من غير انقطاع وذكر يوم الدين
 للامالة كما في قوله تعالى ما دامت السموات والارض أو ان المراد انه في يوم الدين وما بعده
 يعذب بما هو أشد من اللعن من أنواع العذاب بما ينسب اللعن معه فكانت لا يجده ما كان
 يجده قبل ان يمسسه العذاب (قال رب فانظر لي) أي أخرى وأمهلى ولا تنتهي (اليوم
 يعثون) أي آدم وذريته طلب ان يبقى حيا إلى هذا اليوم لانه لما سمع ذلك علم ان الله قد
 أخر عذابه إلى الدار الآخرة وكأنه طلب ان لا يموت أبدا لانه اذا أخر موته إلى ذلك اليوم
 وأمهل إلى يوم البعث الذي هو وقت النسخة الثانية لا يموت بعد ذلك لا ينقطع الموت من
 حين النسخة الاولى فهو يوم لا يموت فيه وفي البياض أي أراد به هذا السؤال ان يجد فسحة
 في الاغواء ونجاة عند الموت اذ لا يموت بعد وقت البعث فأجابه إلى الاول دون الثاني وقيل
 انه لم يطلب ان لا يموت بل طلب ان يؤخر عذابه إلى يوم القيامة ولا يعذب في الدنيا (قال
 فأنك من المنظرين) لما سأل الانتظار أجابه الله سبحانه إلى ما طلبه وأخبره بان من جملة
 المنظرين من آخر آجالهم من مخلوقاته أو من جملة من أخر عقوبتهم عما اتفقوا ولم يكن
 اجابة الله آياه في الامهال كراماله بل زيادة في بلائه وشقائه وعذابه ثم بين سبحانه الغاية
 التي أمهل اليها فقال (اليوم الوقت المعلوم) الذي عينت وهو يوم القيامة فان يوم الدين
 ويوم يعثون ويوم الوقت المعلوم كلها عبارات عن القيامة وسمى معلوما لان ذلك لا يعلمه
 الا الله سبحانه وتعالى فهو معلوم عنده وقيل ان جميع الخلائق يموت في يوم معلوم هذا

(٢٤ فتح البيان خامس) صلى الله عليه وسلم حتى اجرت وجنته ثم نودي بالامانة جامعة فقالت الانصار اغضبناكم
 صلى الله عليه وسلم السلاح السلاح فأتوا حتى أحرقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني قد أوتيت جوامع
 الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا واندا بآيتكم بها يضاء نقيته فلا تم وكوا ولا يغزكم المتهوكون قال عمر فتمت فقلت
 رضيبت بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبك رسولا ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقدروا ان أي سامة في نفسه يره مختصرا من
 حديث عبد الرحمن بن اسحق هو أبو شيبه الواسطي وعبد الرحمن بن اسحق ضعفه وشيخه قال البخاري لا يصح حديثه قلت وقد

زوى له شاهد من وجه آخر فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأعمام على أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثني عمرو بن الحرث حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري عن الزبيدي حدثنا سليمان بن عامر أن جبير بن نثير حدثهم أن رجلا كان يجمعهم في خلافة عمر رضي الله عنه فإرسال اليهم ما فيهم أرسل من أهل حصص وكانوا قد اكتتبوا من اليهود وصلاصة (٣) فأخذوا معهم ما يستفتيان فيه عمر يقولون إن رضيها لأمر المؤمنين ازدنا فيها رغبة وإن لم نأمنها عنها رفضناها فلما قدم عليه قالوا أنابا رضى (١٨٦) أهل كتاب وإننا نسمع منهم كلاما تشعرونه جلودنا أفنا خدمته أو نترك

الاعتبار وقيل المراد بالوقت المعلوم هو الوقت القريب من البعث فعند ذلك يموت وقال ابن عباس هو النسخة الأولى يموت فيها إبليس وبين النسختين أربعون سنة وهي مدة موته (قال رب عاغوثي) الباء للتقسم وما مصدرية أى أقسم يا غوث أيلى واختار البضاوى في الأعراف كونها اللابسية ونقل كونها للتقسم بصيغة التقرير لأنه وقع في مكان آخر قال فبعزتك والقصة واحدة إلا أن أحدهما أقسام بصفة ذاته والثاني أقسام بفعله والنقهاء قالوا الأقسام بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الأفعال ومنهم من فرق بينهما وإن جعل الأغواء مقسما به غير متعارف قاله الكرخي قلت وأقسامه هنا باغواء الله لا لا ينافي أقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره لأن الأغواء له هو من جملة ما يصدق عليه العزة وقال أهل العراق الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزتين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس يمين قبيل والاصح أن الإيمان مبنية على العرف فأنعارف الناس الحلف به يكون عينا وما لا فلا وجواب القسم (لا زرين لهم) أى لذرية آدم وإن لم يجر لهم ذلك لعلهم (في الأرض) أى ماداموا في الدنيا والتزيين منها ما يتبعين المعادى لهم وإيقاعهم فيها وبشغالهم بزينه الدنيا وحبها عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها (ولا غوثيهم أجمعين) أى لا تضلهم عن طريق الهدى وأوتوهم في طريق الغواية وأجلهم عليها بالنساء الوسوسة في قلوبهم وذلك أن إبليس لما علم أن يموت على الكفر غير مغفوره حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم وفي الآية حجة على المعتزلة في خالق الأفعال رحلهم على النسب عدول عن الظاهر (الاعباد منهم الخلقين) أى الذين استخلصتهم من العباد أو الذين أخلصوا للعبادة والطاعة فلم يقصدوا هم أعيرك وإنما استثناهم لأنه علم أن كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الإخلاص فعل الشيء خالصا لله عن شائبة الغير (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) لا عوج فيه والمعنى حق على أن أراعيه وأحفظه وهو أن لا يكون لك على عبادى سلطان فالكلام على التشبيه عند أهل السنة كفى قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين إذ لا تجب رعاية الأصغر عندنا وقيل قال الكسائي هذا على الوعيد والتهديد كقولك لمن تهده طريقته على ومصيرك إلى وكقولك إن ربك بالمرصاد فكان معنى هذا الكلام هذا طريق مرجه إلى فاجزى كلابعدا وقيل على شاعني إلى وقيل الما على أن أدل

فقال لعلكم كتبتا منه شيئا فقال لا قال سأحدثكم انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبنى فقلت هل أنت مكتبي مما تقول قول نعم فأنت باديهم فأخذني حتى كتبت في الأكراع فلما رجعت قلت يا نبي الله وأخبرته قال اتنى به فانطلقت أرغب عن المشى رجاء أن أكون جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يحب فلما أتيت به قال اجلس اقرأ على فقرأت ساعة ثم نظرت إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يتلون فتعجرت من الشرق فما استطعت أن أجيز منه حرفا فلما رأى الذي بي رفعه ثم جعل يتبعه رماحهم ما يحوم بريقه وهو يقول لا تتبعوا هؤلاء فأنهم قد تم وكواهم وكواحتي محي آخره حرفا فرقا قال عمر رضي الله عنه فلو علمت أنكم كتبتا منه شيئا جعلتكم نكالا لهذه الأمة قالوا والله ما نكتب منه شيئا أبدا فخر بها بصلاصنتهم ما خفوا لها فلم يألوا أن يعمقوا فدناها فكان آخر العهد منها وهكذا روى الثوري عن جابر

ابن يزيد الجعفي عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت الأنصاري عن عمر بن الخطاب بنحوه وروى أبو داود في المراسيل من على حديث أي قلابه عن عمر بن الخطاب (إذا قال يوسف لا يميأب أنى رأيت أحد عشر كوكبا أشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) يقول تعالى إذ كرأهم لي يا محمد في قصة يوسف عليهم من قصة يوسف إذ قال لا يميأب وأبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كما قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أنفرد بأخراجه البخاري فرواه عن عبد الله بن محمد (٣) قوله صلاصية هكذا في الأصل وحررها اه

عن عبد الصمد بن وهب قال البخاري ايضا حدثنا محمد بن ابي نعيم عن عبيد الله بن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم قال خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا ثم قال تابعه أسامة عن عبيد الله قال ابن عباس رؤيا الانبياء وحى وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام ان الاحد عشر كوكبا عبارة عن اخوته وكانوا احدى عشر (١٨٧) رجلا والشمس والنمر عبارة عن أمه وأبيه

روى هذا عن ابن عباس والضمك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع أبويه على العرش وهو سريره واخوته بين يديه وخزوا له سجدا وقال يابوت هذا قول روي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد جاء في حديث تسمية الاحد عشر كوكبا وقال الامام جعفر بن جابر حدثني علي بن سعيد الكندي حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهودي فقال يا محمد أخبرني بستائة اليهودي فقال يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رأى يوسف انها ساجدة له ما مماؤها قال فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة فلم يجبه بشي ونزل جبريل عليه السلام فأخبره باسمائها قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال أنت تؤمن اذا خبرتك باسمائها قال نعم قال جريان والطارق والذئب وذو الكتفين وقابس ووثاب وعمودان والفليقي

على انصراط المستقيم بالبيان واللمحة وقيل بالتوفيق والهداية وقيل عائدا الى الاخلاص أي ان الاخلاص طريق على والى يؤدى الى كرامتى ورضوانى قال أبو السعود والظاهر ان ذلك رد لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لا تعدن لهم سراطك المستقيم ثم لا تبنيهم من بين أيديهم ومن خانهم الآية وقرئ على على انه صفة مشبهة ومعناه رفيع (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) المراد بالعباد هنا هم المخلصون والمراد انه لا تسلط أنت عليهم بايقاعهم في ذنبهم لا يكون به ولا يتوبون منه فلا ينافى هذا ما وقع من آدم وحواء وشحوهما فانه ذنب مغنور لوقوع التوبة عنه قال أهل المعاني معنى عليهم على قلوبهم وقال سفيان ابن عيينة معناه ليس لك عليهم قوة وقدرة على ان تلقهم في ذنب يضيّق عنه عنوى وهؤلاء خاصة أي الذين هداهم واجتباهم من عباده (الامن اتبعك) استثنى سبحانه من عباده هؤلاء وهم المتبعون لابليس (من الغاوين) عن طريق الحق الواقعين في الضلال وهو موافق لما قاله ابليس اللعين من قوله لا تغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ويمكن أن يقال بين الكلامين فرق فكلام الله سبحانه فيه نفى سلطان ابليس على جميع عباده الامن اتبعه من الغاوين فيدخل في ذلك المخلصون وغيرهم ممن لم يتبع ابليس وكلام ابليس اللعين يقضن اغواء الجميع الا المخلصين فيدخل فيه ممن لم يكن مخصوصا ولا تابعا لابليس غاويا والحاصل ان بين المخلصين والغاوين التابعين لابليس طائفة لم تكن مخلصا ولا غاوية تابعة لابليس وقد قيل ان الغاوين المتبعين لابليس هم المشركون ويدل على ذلك قوله تعالى انما سلطاننا على الذين يتولونه والذين هم به مشركون قال أبو السعود وفيه مع كونه تحميما لما قاله اللعين تنعيم لشأن المخلصين وبيان منزلتهم ولا نقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواء الغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم ثم قال الله تعالى متوعد الاتباع ابليس (وان جهنم لموعدهم) أي موعدا المتبعين الغاوين (أجمعين) تأكيد للضمير أو حال (لها سبعة أبواب) يدخل أهل النار منها وانما كانت سبعة لكثرة أهلها (الكل باب منهم) أي من الاتباع الغواة (جزء مقسوم) أي نصيب وقد روي معلوم متميز عن غيره والجزء بعض الشئ وجزأته جعلته أجزاء والمراد هنا بالجزء الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جرير النار سبع دركات وهي جهنم ثم انطى ثم الحطمة ثم العير ثم سقر ثم الخيم ثم الهاوية فأعلاها

والمصبح والضروح والنرخ فقال اليهودي أي والله انها الاسماؤها ورواه البيهقي في الدلائل من حديث سعيد بن منصور عن الحكم بن ظهير وقد روي هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي وأبو بكر البزار في مسنديهما وابن أبي حاتم في تنسيده أما أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير به وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى يوسف قصم اعلى أبيه يعقوب فقال له أبود هذا أمر متشئت يحده الله من بعد قال والنمس أبوه والقدر أمه تنرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد وضعه الأئمة وتركه الا كثرون وقال الجرجاني ساقط وهو صاحب حديث حسن يوسف ثم ذكر الحديث المروي عن جابر بن عبد الله

النبى صلى الله عليه وسلم عن الكواكب التى رآها يوسف ما أسماؤها وانه أجابه ثم قال تفرد به الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأربعة (قال يابى لا تنقص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدان الشيطان للانسان عدوميين) يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التى تعبيراها خضوع اخوته له وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يحترقون له ساجدين اذ لا لاواكراماً واحتراماً حتى يعقوب عليه السلام أن يحدث بهم هذا المنام أحداً من اخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له ولهذا قال له لا تنقص (١٨٨) رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً أى يحتملوا لك حيلة يردونك فيها ولهذا

ثبت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به واذا رأى ما يكره فليتحول الى جنبه الآخر واستندل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من شره ولا يحدث بها أحد فانهم ان تضره وفي الحديث الآخر الذى رواه الامام أحمد وبعض أهل السنة من رواية معاوية بن جندب التميمي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبها فاذا عبرت وقعت ومن هذا يؤخذ الامر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في حديث استمعنا على قنضاء الخواص بكتمانها فان كل ذى نعمة محسود (وكذلك يجتنبك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل بعتوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واصحق ان ربك عليم حكيم) يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لولده يوسف انه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك كذلك يجتنبك ربك أى يختارك ويصطفيك لنبوته ويعلمك من تأويل

أعصاة الموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها ثم ما بعدها ثم ما بعدها كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الخطيب تخصيص هذا العدد لان أهلها سبع فرق وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السمات فكانت مواردها الابواب السبعة ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحداً فجعلت أبواب الجنان ثمانية انتهى أقول الحكمة في تخصيص هذا العدد لا تنحصر فيما ذكر بل الاولى تفويضها الى جامعها وهو الله سبحانه الا أن يرد به خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجب المصير اليه وعن علي رضي الله عنه قال اطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيما الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي واستغربه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها من سل السيف على أمتي وأخرج ابن مردويه والخطيب في تاريخه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية جزء أشمر كوا بالله وجزء تشكوا في الله وجزء غفلوا عن الله وقد وردت في صفة النار وأهلها أحاديث وأثار كثيرة ليس ههنا موضع استقرارها (ان المتدين) أي الذين اتقوا الشرك بالله سبحانه كما قاله جهور الصحابة والتابعين وهو الصحيح وقيل هم الذين اتقوا جميع المعاصي وبه قال الجبائي وجهور المعتزلة والاول أولى وأجعت الامة على ان التقوى عن الكفر شرط في حصول الحكم بدخول الجنة وليس من شرط صدق الوصف بكونه متقياً أن يكون آتياً بجميع أنواع التقوى لان الآتى بفرد واحد من افراد التقوى يكون آتياً بالتقوى كما ان الضارب هو الآتى بالضرب ولو مرة واحدة والقاتل هو الآتى بالقتل ولو مرة واحدة وكل فرد من أفراد الماهية يجب أن يكون مشتملاً على تلك الماهية وبهذا التحقيق استدلو على ان الامر لا ينفيد التكرار (في جنات) هي البساتين (وعيون) هي الانهار الجارية أى مستغرقون فيها والتركيب يمتثل أن يكون الجميع جنات وعيون أو لكل واحد منهم جنات وعيون أى عدة منها كقوله تعالى وان

الاحاديث قال مجاهد وغير واحد يعنى تعبيرا لرؤيا يوسف بنوعه عليه السلام والايحاء اليك ولهذا قال كما أتمها على أبيك من قبل ابراهيم وهو الخليل واصحق ولده وهو الذبيح في قوله وليس بالرجح ان ربك عليم حكيم أى هو أعلم حيث يجعل رسالته كما في الآية الاخرى (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) اذ قالوا ليوסף وأخوه أحب الى أينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين اقبلوا يوسف وأطرحوه أرضاً يحفل لكم وجه أسيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلمين) يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع اخوته آيات للسائلين

أى عتبة ومواظبة للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فانه خبر عجيب يستحق ان يستخبر عنه فقالوا يوسف وأخوه أحب الى أبنائنا
أى حلفوا فيما ينظنون والله يوسف وأخوه يعنون بنيامين وكان شقيقه لامة أحب الى أبنائنا ونحن عصبة أى جماعة فكيف
أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة ان أبانا فى ضلال مبين يعنون فى تقديمهما علينا ومحبته لهما أكثر منا واعلم انه لم يقدم دليل
على نبوة اخوة يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ومن الناس من يزعم انهم أوحى اليهم بعد ذلك وفى هذا نظر ويحتاج
مدعى ذلك الى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى قولوا آمنا بالله (١٨٩) وما أنزل اليها وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق

ويعتوب بالاسباط وهذا فيه
احتمال لان بطون بنى اسرائيل
يقال لهم الاسباط كما يقال للعرب
قبائل وللعجم شعوب يذكر تعالى انه
أوحى الى الانبياء من أسباط بنى
اسرائيل فذكرهم اجالا لانهم
كثيرون وان كان كل سبط من نسل
رجل من اخوة يوسف ولم يقدم دليل
على أعيان هؤلاء انهم أوحى اليهم
والله أعلم اقبلوا يوسف وأطرحوه
أرضاً ليحل لكم وجه أبيكم يقولون
هذا الذى يزاحكم فى محبة أبيكم لكم
اعدموه من وجه أبيكم ليحل لكم
وحدكم اما بان نقته لوداً وتلقوه فى
أرض من الاراضى تستريحوا منه
وتختلوا أنتم بآبائكم وتكونوا من
بعد اعدائهم قوماصالحين
فانهم روا التوبة قبل الذنب قال
قاتل منهم قال قتادة وعبد بن اسحق
كان أكبرهم واسمه روبيل وقال
السدى الذى قال ذلك هو ذوا قال
محمد بن عيسى هو شمعون لا تلتحقوا يوسف
أى لا تلتحقوا فى عداوته وبغضته الى
قتله ولم يكن لهم سبيل الى قتله لان
الله تعالى كان يريد منه أمر الا بد من
امضائه وانما منه من الايحاء اليه
بالنبوة ومن التمكن له ببلاد مصر

خاف مقام ربه جنتان أولكل واحد منهم جنة وعين تجرى فى قصوره ودوره فيمتنع بها هو
ومن يختص به من حوره وولده انه قال الرازى يحتمل أن يكون منها ما ذكره الله تعالى فى
قوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهم من ماء غير آسن الآية ويحتمل أن يكون المراد
من هذه العيون منابع مغيرة لتلك الانهار (ادخلوها) أى قيل لهم ادخلوها وقرئ على انه
فعل مبني للمفعول أى أدخلهم الله اياها وقد قيل انهم اذا كانوا فى جنات وعيون فكيف
يقال لهم بعد ذلك ادخلوها على قراءة الجمهور فان الامر لهم بالدخول يشعر بانهم لم يكونوا
فيها وأجيب بان المعنى انهم لما عاروا فى الجنات فاذا اتتوا من بعضها الى بعض يقال لهم
عن الدخول الى التى أرادوا الانتقال اليها ادخلوها والقاتل هو الله تعالى أو بعض
ملائكته (بسلام آمنين) أى بسلامة من جميع الآفات وأمن من المخافات أو من
زوال هذا النعيم أو مسلمين على بعضهم بعضاً ومسلماء عليهم من الملائكة أو من الله عز وجل
وقال الضحاك آمنوا الموت فلا يتوتون ولا يكبرون ولا يستقمون ولا يعرفون ولا يجوعون
(وزعنا ما فى صدورهم من غل) هو الحقد والعداوة والشحناء والبغضاء والحسد وكل
ذلك مذموم داخل فى الغل لانها كامنة فى القلب وقدمت تفسيره فى الاعراف وعن الحسن
البصرى عن على فينا والله أهل الجنة نرات وعنه قال نرات فى ثلاثة أعيان من العرب
فى بنى هاشم وبنى تميم وبنى عدى وفى أبى بكر وعمر وعنه قال انى لارجو أن أكون أنا
وعثمان والزبير وطلحة فيمن قال الله وزعنا ما فى صدورهم من غل وعن ابن عباس قال
نرات فى عشرة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف وابن مسعود وفى الباب روايات (اخوانا) حال مقابلة قاله أبو البقاء يعنى من
فاعل ادخلوها ولا حاجة اليه بل هى حال متارنة من ضمير صدورهم والمعنى حال كونهم
اخوة فى الدين بالتعاطف والمحبة والمودة والخالطة وليس المراد منه اخوة النسب يروى
ان المؤمن ينحسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد
نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد وصاروا اخوانا حال كونهم (على سرر)
من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت قال أبو البقاء يجوز أن يتعلق بنفس اخوانا
لانه يعنى متصافين أى متصافين على سرر وفيه نظر من حيث تأويل جامد مشتق بعيد
منه والسرر جمع سرير وهو مثل ما بين صنعاء الى الجابية وقيل هو المجلس العالى الرفيع

والحكمهم افصر فهم الله عنه بمقالة روبيل فيه وأشارته عليهم بان يلقوه فى غيابة الحب وهو أسفله قال قتادة وهى بئر بيت المقدس
يلتقطه بعض السبارة أى المارة من المسافرين فتستريحوا منه بهذا ولا حاجة الى قتله ان كنتم فاعلين أى ان كنتم عازمين على ما تقولون
قال محمد بن اسحق بن يسار لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذى لا ذنب له
وبال كبير الفانى ذى الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه على كبر سنه ورقة عظمه مع
مكانه من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته الى لطف والده ومكونه الله يغفر الله لهم ويؤمر

أرحم الراحمين فقد احتلوا أمر أعظم إرصاد ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه (قالوا يا أبا ناملك لا تأمنوا على يوسف وإنا له لناحدون أرسله معنا غد يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) لما توافوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير رزيريل جاؤا بأبائهم يعقبون عليه السلام فقالوا يا أبا ناملك لا تأمنوا على يوسف الآية وهذه التوطئة توطئة وسلف ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما في قلوبهم من الحسد لطلب أبيه أرسله معنا أي أبائهم معنا غد يرتع ويلعب قرأ بعضهم بالياء يرتع ويلعب قال ابن عباس يسعي وينشط وكذا قال قتادة والسدي (١٩٠) وغيرهم وإنا له لحافظون يقولون ونحن نحفظه ونحوطه من اجلنا

المهيا للسرور ومنه قولهم سر الوادي لا فضل موضع منه (متقايين) أي يتظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى بعضهم قنابعض وعن ابن عباس نحوه فإذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم به حيث يصير كما به مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفا إلى الجهة التي يسيرها السرير وهذا أبلغ في الانس والاکرام وأخرج الطبراني والبعوي وابن أبي حاتم وغيرهم عن زيد بن أبي أوفى قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمتلاه هذه الآية قال المتحابون في الله في الجنة يتظر بعضهم إلى بعض (لا يسمهم فيها) أي في الجنة مستأنفة أو حالية (نصب) أي تعب وإعياء لعدم وجود ما يتسبب عنه ذلك في الجنة لانهم انعم بخاص ولذا تحصى تحصيل لهم بسببولة وتوافيقهم مطالبهم بلا كسب ولا جهد بل بمجرد خطور شهوة الشيء بقلوبهم يحصل ذلك الشيء عندهم صفوا عنوا قال السدي نصب المشقة والاذى (زماهم منها) أي من الجنة (بمخرجين) أبدا وهذا نص من الله الكريم في كتابه العزيز على خلود أهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما بالانقضاء وفوز بلا حرمان وفي هذا الخلود الدائم وعلمهم به تمام اللذة وكما النعيم فان علم من هو في نعمة ولذة بانقطاعها وعدمها بعد حين موجب لتغص نعيمه وتكدر لذة ثم قال سبحانه بعد أن قص علينا ما للمؤمنين عنده من الجزاء العظيم والجزء الجزيل (نبي عبادي أي) بفتح الياء نبيهم ما وسكونها فيهم ما سبعتان أي أخبرنا محمد كل من كان معترفا بعبوديتي وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك يدخل فيه المؤمن العاصي (أنا الغفور الرحيم) أي أنا الكثير المغفرة لذنوبهم هم الكثير الرحمة لهم كما حكمت به على نفسي ان رجتي سبقت غضبي اللهم اجعلنا من عبادك الذين تنفست عليهم بالمغفرة وأدخلتهم تحت واسع الرحمة أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن معمر بن ثابت قال قال من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ناس من أصحابه يضحكون فقال اذكروا الجنة واذكروا الدار فزلت هذه الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعة وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر كل الذي عند الله من رحمة لم يأس من الرحمة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأس من النار ثم ان الله سبحانه لما أمر رسوله ان يخبر عباده بهذه البشارة العظيمة أمره

(قال اني اجد زاني أن تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لا نأكله الذئب ونحن عصبة أنا اذ الحاسرون) يقول تعالى تخبروا عن نبيه يعقبون انك قال ابنه في جواب ما سألتهم ان ارسل يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء اني اجد زاني ان تذهبوا به أي يشق على منارفته مدة ذهابكم به إلى ان يرجع وذلك لفرط محبته له لما يوسم فيه من الخير العظيم وشأن النبوة والكمال في الخلق والخلق صلوات الله وسلامه عليه وقوله وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون يقول وأخشى ان تشغلوا عنه بربكم ورعيكم فيما به ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون فأخذوا من فيه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه وقالوا مجيبين عنها في الساعة الراهنة ان يأكله الذئب ونحن عصبة أنا اذ الحاسرون يقولون لئن عدنا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة انا اذ الله لا يكون عاجزون (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الحب وأوحينا إليه لتبينهم

بأمرهم هذا هم لا يشعرون) يقول تعالى فلما ذهب به اخوته من عند أبيه بعد ما اجمعتم في ذلك وأجمعوا بان يجعلوه في غيابة الحب هذا فيه تعظيم لما فعلوه انهم اتفقوا كلهم على القائه في أسفل ذلك الحب وقد أخذوه من عند أبيه فيما ينظره له إكرامه وبسطا وشرفا لصدوره داخل للسرور وعليه فقال ان يعقب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه اليه وقبله ودعاه قال غيره انهم يكن يراهم له وبين اظهار الاذى له لان غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه والفعل من ضرب ونحوه ثم وأياه إلى ذلك الحب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ولوه فيه فكان اذا لجأ إلى واحد منهم

لطمه وشتمه واذا تشبث بحافة البئر ضربوا على يديه ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة فغمره فضعفه الى صخرة تكون في وسطه يقال لها الرغوفة فقام فوقها وقوله وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا الآية يقول تعالى ذاك الطغاة ورجته وعائذته وازاله اليسر في حال العسر انه أوحى الى يوسف في تلك الحال الضيق تطييبا لقلبه وتثبيتا له انك لا تحزن مما أنت فيه فان لك من ذلك فرجا ومخرجا حسنا وانه سينصر لآله عليهم ويعلمك ويرفع درجتك وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع وقوله وهم لا يشعرون قال قتادة وهم لا يشعرون بإيحاء الله اليه وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقك (١٩١) وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال

ابن جرير حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز حدثنا صدقة بن عبادة الاسدي عن أبيه سمعت ابن عباس يقول لما دخل اخوة يوسف عليه فعرفهم وهم لم يذكروا قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نثره فبين فقال انه ليخبرني بهذا الجلام انه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وانكم انطلمتم به في القموة في غيابة الجب ثم نثره فبين قال فأتيتم أباكم فقلتم ان الذئب أكله وجئتم على قيصه بدم كذب قال فقال بعضهم لبعض ان هذا الجلام ليخبركم بخبركم قال ابن عباس رضي الله عنهم ما فلا تری هذه الآية نزلت الا فيهم لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وجازا أباهم عشاءا يكون قالوا يا انا اننا ذنبنا نسبق وتر كنا يوسف عند ما عاننا كاه الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قيصه بدم كذب قال بل سوات لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصنون) يقول تعالى تخبر عن الذي اعقده اخوة يوسف بعد ما اتوه في غيابة الجب انهم رجعوا الى أبيهم في ظلمة الليل

بان يذكروا لهم شيئا مما تضمن التخويف والتحذير حتى يجتمع الرجاء والخوف ويتقابل التبشير والتحذير ليكونوا راجعين خائفين فقال (وان عذابي هو العذاب الاليم) اي الكثير الايلام وعند ان جمع الله لعباده بين هذين الامرين من التبشير والتحذير صاروا في حالة وسطاء بين اليأس والرجاء وخبر الامور أوسطها وهي القيام على قدمي الرجاء والخوف وبين حالتي الانس والهيبه قيل لو يعلم العبد قدر عذو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لما أقدم على ذنب وفي هذه الآية لطائف منها انه أضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا شريف لهم وتعظيم كما أضاف في قوله أسرى بعبد له لا ولم يزد عليه ومنها انه أكد ذكر الرحمة والمغفرة بموكلات ثلاثة أولها قوله أني وثانيها أنا وثالثها التعريف في الغرور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة ولم يقل في ذكر العذاب اني أنا العذاب ولم يصف نفسه بذلك بل قال على سبيل الاخبار ان عذابي هو العذاب الاليم ومنها انه أمر رسوله ان يبلغ عباد الله هذا المعنى فكانت لهم دروسه على نفسه في التزام المغفرة والرحمة ثم أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم السلام ليكون سماعها من غيابة العبادات الموجهة للأنوار بدرجات السعداء وتحذرا عن المعصية الموجبة لاستحقاق دركات الاشقياء وذكر هنا أربع قصص قصة ابراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم قصة صالح وسيأتي تفصيلها وافتح من ذلك بقصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال (وبأنهم عن ضيف ابراهيم) أي أخبرهم بما جرى على ابراهيم من الامر الذي اجتمع فيه له الرجاء والخوف والتبشير الذي خالطه نوع من الرجل ليعتبروا بذلك ويعلموا انها سنة الله في عبادته وايضا لما اشتملت القصة على انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين كان في ذلك تقرير لكونه الغفور الرحيم وان عذابه هو العذاب الاليم وأصل الضيف المييل يقل أضفت الى كذا اذا مال اليه والضيف من مال اليه نزولا بل وصارت الضيافة متعارفة في القرى وهو في الاصل مصدر ولذلك وحدوا ان كانوا جماعة ملائكة اثني عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل على صورة غلمان حسناء أرسلهم الله اليه ليبشروا بالولد وبما كانوا قوم لوط عليه السلام وقدم في تفسير القصة من خلا في سورة هود عليه السلام وهي الضيف ضيفا لا ضافة الى المضيف وتديج مع فيقال أضياف وضيوف وضيوفان (ان دخلوا) اي اذ كراهم وقت دخولهم (عليه فقلوا سلاما) اي هذا اللفظ قالوه تحية لابراهيم وفي الشهاب يجوز ان يكون سلاما مستويا

يكون وبظهور الاسف والخزع عليه ويتغممون لا بهم وقالوا معاذرين عما وقع فيما رآوا انا ذهبنا نسبق أي نترامى وتر كنا يوسف عندما عاننا اي عندما عاننا كاه الذئب وهو الذي كان جزع منه وحذر عليه وقوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين قلطف عظيم في تقرير ما يحاؤونونه يقولون ونحن نعلم انك لا تصدقوا والخاله هذا لولو كنا عذاك صادقين فكيف وأنت تهمنا في ذلك لانك خشيت ان يأكله الذئب فأكاه الذئب وأنت معذوري في تكذيبك لنا الغرابة ما وقع وعجيب ما اتفقنا في أمرنا هذا وجاؤا على قيصه بدم كذب اي مكذوب مفترى وهذا من الافعال التي يكدون بها ما تملأوا عليه من المكيدة وهو انهم عدوا الى مخلة فيما ذكره مجاهد

والسدى وغير واحد قد نجحوا واطغوا وتوبه بدمهم موهمين ان هذا قصصه الذي اكاه فيه الذئب وقد اصاب من دمه ولكنهم نسوا ان يخبروه فانه لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب بل قال لهم معرضاً عن كلامهم -م الى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه بل سولت لكم انفسكم امراف صبر جميل أى فسا صبر صبراجيلا على هذا الامر الذي اتفقت عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطنه والله المستعان على ما تصفون أى على ما تذكرونه من الكذب والمحال وقال الثورى عن سمك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وجاؤا على قصصهم بدم كذب قالوا لكاه السبع لحرق التميمي (١٩٢) وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد وقال مجاهد الصبر

الجميل الذى لا جزع فيه وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبى حبله قال -مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال صبر لا شكوى فيه وهذا امر سل وقال عبد الرزاق قال الثورى عن بعض اصحابه انه قال ثلاث من الدبر ان لا تحدث بوجهك ولا بصيبتك ولا تترك نفسك وذكرك الخارى ههنا حديث عائشة رضى الله عنها فى الافك حتى ذكر قولها والله لا اجدى ولا يكمن منى الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (وجاءت سيارة فارسى او اردى فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسره بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) يقول تعالى محبوا عما جرى ايوسف عليه السلام فى الحب حين القاه اخوته وتركوه فى ذلك الحب فريد او حيدا فبكى عليه السلام فى البئر ثلاثة ايام فيما قاله ابو بكر بن عياش وقال محمد بن اسحق لما القاه اخوته فى البئر جلسوا حول البئر يوبخهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع

بفعل مقدر أى سلمنا أو سلم سلاما ويجوز انصبه بقالوا ولم تذكرونا تحية ابراهيم لهم -م وقد ذكرت فى سورة هود فالقصة هنا مختصرة (قال انما منكم ورجلون) أى خائفون فزعون وانما قال هذا بعد ان قرب اليهم -م العجل فرأهم -م لا يأتى كونه منه كما تقدم فى سورة هود فلما رأى أيديهم -م لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وقيل أنكر السلام منهم لانه لم يكن فى بلادهم وقيل أنكر دخولهم عليه بغير استئذان (قالوا) أى الملائكة (لا توجل) أى لا تخف قاله عكرمة وفرى لا تأجل وتوجل من أوجل أى أخافه (انا نبشركم بغلام عليم) مستأنفة لتعديل النهى عن الرجل لان المبشر لا يخاف منه والعليم كثير العلم وقيل هو الخليم كما وقع فى موضع آخر من القرآن وهذا الغلام هو اسحق كما تقدم فى هود ولم يسمه هنا ولا ذكر التبشير بيعقوب اكتفاء بما سلف (قال أبشر غوثى) قرئ بألف الاستنهام وبغيرها (على أن مسنى الكبير) أى مع حالة الكبير والهزم (فبم تبشرون) استنهام انكارا وتعجبا كأنه تعجب من حصول الولد له مع ما قد صار اليه من الهرم الذى جرت العادة بانه لا يولد لمن بلغ اليه والمعنى فبأى شئ تبشرون فان البشارة بما لا يكون عادة لا تصح (قالوا بشركنا بالحق) أى بما يكون لا محالة أو باليقين الذى لا لبس ولا خلف فيه فان ذلك وعد الله وهو لا يخلف الميعاد ولا يستحيل عليه شئ فانه القادر على كل شئ (فلا تكن من القانطين) أى الآيسين من ذلك الذى يشركنا بالله فانه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شئ فان وعزنا قرر كان تعجب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه) قرئ بفتح النون ومن يقنط وبكسرهما وهما الغتان سبعيتان وحكى فيه ضم النون شاذا والقنوط اليأس وبابا جلس ودخل وطرب وسلم فهو قانط وقنوط (الاضالون) أى المكذبون أو المخطئون الذاهبون عن طريق الصواب والمعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكما علمه وقدرته كما قال الله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون أى انى انما استبعدت الولد لكبر سنى لا لقنوطى من رحمة ربي ثم سألهم عما لاجله أرسلهم الله سبحانه (قال فما خطبكم أيها المرسلون) الخطب الامر الخطير والشأن العظيم أى فما أمركم وشأنكم وما الذى جئتم به غير ما قد بشرتمونى به وكان قد فهم ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجل أرسلوا لانهم كانوا اعداء والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارته كذا وما روى عليه ما السلام أولانهم بشروه فى تضاعيف الخال

به فسيق الله له سيارة ففعلوا قريبا من ذلك البئر وأرسلوا وادهم وهو الذى يتطلب لهم الماء فلما جاء ذلك البئر لازالة وأدلى دلوه فيها ثبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واسه تبشيره وقال يا بشرى هذا غلام وقرأ بعض القراء يا بشرى وزعم السدى انه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذى أدلى دلوه -م لاله انه اصاب غلاما وهذا القول من السدى غريب لانه لم يسبق الى تفسير هذه القراءة بهذا الا فى رواية عن ابن عباس والله أعلم وانما معنى القراءة على هذا التفسير يرجع الى القراءة الاخرى ويكون قد أضاف البشرى الى نفسه وحذف باء الاضافة وهو يؤيدها كما تقول الرب يا نفس اصبرى يا غلام أقبل لحذف

حكمة وقد رُسِّقَ فترك ذلك لمضي
ما قدره وقضاه ألاله الخالق
والامر تبارك الله رب العالمين
وفي هذا تعرض لرسوله محمد
صلى الله عليه وسلم واعلامه باني
عالم باذي قومك وأنا قادر على
الانكار عليهم وليكني سأملئ لهم
ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم
كما جعلت ليوسف الحكم والعاقبة
على اخوته وقوله وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة يقول تعالى وباعه
اخوته بثمن قليل قاله مجاهد
وعكرمة والخس هو النقص كما قال
تعالى فلا يخاف بخساً ولا رهقاً اي
اعتاض عنه اخوته بثمن دون قليل
ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين
أي ليس لهم رغبة فيه بل لوساؤه
بلاشئ لا جابوا قال ابن عباس
ومجاهد والنقص ان الضمير في
قواه وشروه عائد على اخوة يوسف
وقال قتادة بل هو عائد على السيارة
استبشروا به وأسروه بضاعة ولو
كانوا فيه زاهدين لما اشتروه فترج
من هذا ان الضمير في شروه انما هو
لاخوته وقيل المراد بقوله بخس
الحرام وقيل الظلم وهذا وان كان

(٢٥ فتح البيان خامس) كذلك لكن ليس هو المراد هنا لان هذا مع لوم يعرفه كل أحد ان غنمه حرام على كل حال وعلى كل أحد لانه بنو بني بن خايل الرحمن فهو الكريم بن الكريم بن الكريم وانما المراد هنا بالجنس الناقص أو الزيوف أو كلاهما أى انهم اخوته وقديباؤه ومع هذا بانقص الاغان ولهذا قال دراهم معدودة فعن ابن مسعود رضى الله عنه باؤه بعشرين درهما وكذا قال ابن عباس ونوف البكالى والسدى وقتادة وعطية العوفي وزاد اقسامها درهمين درهمين وقال مجاهد اثنا عشر ودرهما وقال مجاهد اسحق وعكرمة أربعون درهما وقال الضحاك فى قوله وكان افيه من الزاهدين

وذلك انهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل وقال مجاهد لما باعوه جعلوا يبيعونهم ويقولون لهم استوثقوا منه لا يأتى حتى
وقدوه بمصر فقال من يتبعنى ولييسر فاشتره الملك وكان مسلماً (وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن
ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكّال يوسف فى الأرض ولما علمه من تأويل الاحاديث والله غاب على أمره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ولما بلغ أشده آتياه حكماً وعلماً وكذلك نجى المحسنين) يخبر تعالى بالطافه يوسف عليه السلام انه قبيض له الذى
اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرم وأودى (١٩٤) أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن

ينفعنا أو نتخذه ولدا وكان الذى
اشتراه من مصر عزيزاً وهو الوزير
حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان
اسمه قطن سير وقال محمد بن اسحق
اسمه اطفير بن روحيب وهو الوزير
كان على خزائن مصر وكان الملك
يوثمد الريان بن الواسد رجل من
العماليق قال واسم امرأته راعيل
بنت رعايل وقال غيره اسمها رانعا
وقال محمد بن اسحق أيضاً عن محمد
ابن السائب عن ابي صالح عن ابن
عباس كان الذى باعه بمصر مالاك بن
ذعر بن قريش بن عناق بن مديان
ابن ابراهيم قاله أعلم وقال ابو اسحق
عن ابي عبيدة عن عبد الله بن
مسعود انه قال أفرس الناس ثلاثة
عزيزه مصر حين قال لامرأته
أكرمي مثواه والمرأة التى قالت
لابيها يا أبت اسأ تجزى الآية وأبو
بكر الصديق حين استخاف عمر بن
الخطاب رضى الله عنهم ما يقول
تعالى كما أنقذنا يوسف من
اخوته كذلك مكّال يوسف
فى الأرض يعنى بلاد مصر ولعله
من تأويل الاحاديث قال مجاهد
والسدى هو تعبى الرويا والله غاب
على أمره أى اذا أراد شيئاً فلا يرد

مخاطباً لهم (انكم قوم منكرون) لا أعرفكم بل أنكركم وأخاف ان تصيدوني بمكره
ولأعرف غرضكم ولا من أى القبائل أنتم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى
بالعذاب الذى كانوا يشكون نعمة فلا انشرب هو عن مجيئهم بما ينكره كأنهم قالوا
ما جئناك بما خطر لك من المكروه بل جئناك بما فيه سرورك وهو عذابهم الذى كنت
تخذهم منه وهم يكذبونك فيه قبل مجيئه (وأنت ناك) متلبسين (بالحق) أى باليقين الذى
لا مرية فيه ولا تردد أو متلبسين أنت به لا بصارك له وهو العذاب النازل بهم لا محالة (وأنا
اصادقون) فى ذلك الخبر الذى أخبرناك وقد تقدم نفسه يقول (فاسر باهلك بقطع من الليل)
فى سورة هود أى سر فى جز من الليل بهم وهم ينتاه فلم يخرج من قريته الا هو وبناته وفى
القرطبي فى سورة هود نخرج لوط وطوى الله له الأرض فى وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم
(واتبع أدبارهم) أى كن من ورائهم وامش خلفهم تذودهم لئلا يتخذ منهم أحد فيناله
العذاب أولاً لاجل ان تطمئن عليهم وتعرف انهم ناجون (ولا يلتفت منكم أحد) أى أنت
ولا أحد منهم فبرى منازلهم من العذاب فيشتغل بالنظر فى ذلك ويتباطأ عن سرعة السير
والبعد عن ديار الظالمين وقيل معنى لا يلتفت لا يتخلف (وامضوا حيث تؤمرون) أى
الى الجهة التى أمركم الله سبحانه بالمضى اليها وهى جهة الشام وقيل مصر وقيل قرية من
قري لوط وقيل أرض الخليل عليه الصلاة والسلام وقيل الأردن وزعم بعضهم ان حيث
هنا طرف زمان مستند لا يتوله بقطع من الليل ثم قال وامضوا حيث تؤمرون أى فى ذلك
الزمان وهو ضعيف ولو كان كما قال اكان التركيب وامضوا حيث أمرتم على انه لوجاء
التركيب هكذا لم يكن فيه دلالة (وقضينا اليه) أى أوحينا الى لوط عليه السلام (ذلك
الامر) هو اهلاكم قومه ثم فسر به بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع) الدابر هو الاخر أى ان
آخر من يلقى منهم تلك (مصحبين) أى سال كونهم داخلين فى وقت الصبح ومثله فقطع دابر
القوم الذين ظلموا وقدره الفراء وأبو عبيدة اذا كانوا مصحبين قال الكرخى فان كان تسيير
معنى فصحيح وأما الاعراب فلا ضرورة تدعو اليه قال ابن عباس يعنى اتصال هلاكهم
ثم ذكر سبحانه ما كان من قوم لوط عند وصول الملائكة الى قريتهم ثم فقال (وجاء أهل
المدينة) أى أهل مدينة قوم لوط وهى سدوم بسين هملة فذال معجمة على وزن فعول
وأخطأ من قال بهملة مدينة من مدائن قوم لوط كما سبق وتقدم ان هذا المجئى قبل قول

ولا يمانع ولا يخاف بل هو الغالب لما سواه قال سعيد بن جبير فى قوله والله غاب على أمره أى فعال لما

يشاء وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول لا يدرون حكمته فى خلقه وتلطفه وفعله لما يريد وقوله ولما بلغ أى يوسف عليه
السلام أشده أى استكمل عقله وتم خلقه آتياه حكماً وعلماً يعنى النبوة انه حباهم اباين وأثلث الاقوام وكذلك نجى المحسنين
أى أنه كان محسناً فى عمله عاملاً بطاعة الله تعالى وقد اختلف فى مقدار المدة التى بلغ فيها أشده فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ثلاث
وثلاثون وعن ابن عباس بضع وثلاثون وقال الضحاك عشرون وقال الحسن أربعون سنة وقال عكرمة خمس وعشرون سنة وقال

الاسدي ثلاثون سنة وقال سعيد بن جبيرة ثمانية عشر سنة وقال الامام مالك وربيعة بن زيد بن اسلم والشعبي الاشدا الجلم وقيل غير ذلك والله أعلم (ورأوته التي هوفى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي أحسن مشواى انه لا يفلح الظالمون) بخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها عسرو قد أوصاها زوجها به وبأكرامه فرأوته عن نفسه اى حاولته على نفسه ودعته اليها وذلك انها أحبته حباً شديداً الجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على ان تجمل له وغاقت عليه الابواب ودعته الى نفسها وقالت هيت لك فامتنع من ذلك أشداً الامتناع وقال معاذ الله (١٩٥) انه ربي أحسن مشواى وكانوا يطلقون الرب

على السيد والكبير اى ان يعلك ربي أحسن مشواى اى منزلى وأحسن الى فلان اى باله بالفاحشة في أهله انه لا يفلح الظالمون قال ذلك مجاهد والسدي ومحمد بن اسحق وغيرهم وقد اختلف القراء في قوله هيت لك فقرأه كثيرون بفتح الهاء وآسكان الياء وفتح التاء قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد معناه انها تدعوه الى نفسها وقال على ابن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس هيت لك تقول هلم لك وكذا قال زر بن حبیش وعكرمة والحسن وقتادة قال عمرو بن عتبة عن الحسن وهي كلمة بالسرانية أى عليك وقال السدي هيت لك أى هلم لك وهي بالنبطية وقال مجاهد هي لغة غريبة تدعوه بها وقال البخاري وقال عكرمة هيت لك هلم لك بالخورانية هكذا ذكره معلقا وقد أسنده الامام أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن سهل الواسطي حدثنا قرة بن عيسى حدثنا النضر بن عزيب الخدري عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله هيت لك قال هلم لك قال هي بالخورانية وقال أبو عبد القاسم بن سلام وكان الكسافي

الملائكة فاسر باهلك فخافى سورة هود على الترتيب الواقعي وما عساه على خلافه والواو لا تفيد ترتيباً قال الكرخي ذكر القصة في هود بترتيب الوقوع وهنا أخرز كجيمهم عن قول الرسل بل جئناك مع تقدمه ليس قبل الاول بيان كيفية نصره الصابرين والثاني بتساوي الامم (يستبشرون) اى مستبشرين بأضياف لوط طمعاً في ارتكاب الفاحشة منهم والاستبشار اظهر الفرح والسرور (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي) وحدث الضيف لانه مصدر كما تقدم والمراد اضيافاً في سببهم ضيفاً لانه رآهم على هيئة الاضياف وقومه رأوهم مرد احسان الوجوه في غاية الحسن ونهاية الجمال فلذلك طمع موافقهم (فلا تنفضون) يقال فضحه يفضحه فضيحة وفضحه اذا أظهر من أمره ما يلزمه العار باظهاره وفي المختار فضحه فافضح أى كشف مساويه وبابه قطع والاسم الفضيحة والنضوح أيضاً بضمين والمعنى لا تنفضوني عندهم تعرضكم لهم بالفاحشة فيعلمون اني عاجز عن حمايتهم من نزل بي أو لا تنفضوني بفضيحة ضيفي فان من فعل ما يفضح الضيف فتدفع ما يفضح المضيف (وانقوا الله) في أمرهم من ركوب الفاحشة (ولا تحزنون) يجوز ان يكون من الخزي وهو الذل والهوان أى لا تذلوني ويجوز ان يكون من الخزية وهي الحياء والخجل وقد تقدم تفسير ذلك في سورة هود (قالوا) اى قوم لوط مجيبين له (أولم ننهك عن العالمين) الاستفهام للانكار والواو للعطف على مقدر أى ألم تقدم اليك ونهك عن ان تكلمنا في شأن أحد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وقيل نهوه عن ضيافة غرباء الناس قال قتادة يقولون ألم ننهك ان تضيف أحد أو تؤويه في قريتنا ويجوز حمل ما في الآية على ما هو أعم من ذلك (قال هؤلاء بناتي) فتزوجوهن حلالاً ان أسأتهن ولا تزكوا الحرام وقيل أراد ببناته نساء قومه ليكون النبي بمنزلة الاب القومه أو انه كان في شربته يحمل تزوج الكافر بالمسلمة والاول أولى وقد تقدم تفسير هذا في هود (ان كنتم فاعلين) ما عزمتم عليه من فعل الفاحشة بضيفي أو ما أمركم به (اعملك) العمر والعمر بالفتح والضم واحد لكنهم خصوا القسم بالفتوح لا يشار الاخف فانه كثير الدور على أنفسهم ذكر ذلك الزجاج وهو اسم لمدة عمارة بدن الانسان بالحياة والروح وعيشه والبقاء مدة حياته في الدنيا والمعنى لعمركم قسمي أو عيني خذني الخبر لدلالة الكلام عليه قال القاضي عياض اتفق أهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا حكى

يجب هذه القراءة بمعنى هيت لك ويقول هي لغة لاهل حوران وقعت الى أهل الحجاز ومعناها تعال وقال أبو عبيد بن سالم شجنا عالماً من أهل حوران قد كرامهم يعرفها واستشهد الامام ابن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أبلغ أمير المؤمنين أذى العراق اذا أتينا ان العراق وأهله * عنق اليك فهيت هيتا يقول فتعال واقرب وقرأ ذلك آخرون هنت لك بكسر الهاء والهـ مز وضم التاء بمعنى نهيات لك من قول القائل هنت بالامر اهي هنته ومن روى عنه هذه القراءة ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى تهيت لك قال ابن جرير وكان أبو عمرو

وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضا على اصبعه بضمه وقبل عنه في رواية فضرِب في صدر يوسف وقال العوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعني سيده وكذا قال محمد بن اسحق فيما حكاه عن بعضهم انما هو خيال قطنير سيده حين دنا من الباب وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبيه ودود سمعت من محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب في حائط البيت لا تقربوا الزنا فان كان فاحشة ومقتنا وساء سبيلا وكذا رواه أبو موسى عن محمد بن كعب وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن سويد عن أبي ذر قال سمعت القرظي (١٩٧) يقول في البرهان الذي رأى يوسف ثلاث آيات

من كتاب الله ان عليكم لحافظين الآيات وقوله وما تكون في شأن الآيات وقوله أنف هو قائم على كل نفس بما كسبت قال نافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة ولا تقربوا الزنا وقال الاوزاعي رأى آية من كتاب الله في الحدارتها عن ذلك قال ابن جرير والصواب ان يقال ان رأى آية من آيات الله تزجره عما كان هم به وجاز ان يكون صورة يعقوب وجاز ان يكون الملك وجاز ان يكون ما راها مكتوبا من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك فالصواب ان يطلق كما قال الله تعالى وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفتنة أي كما أرنا به انما صرفه عما كان فيه كذلك نقيه السوء والفتنة في جميع اموره انه من عباده الخالصين أي من المجتبيين المطهرين المختارين المصطفين الاخيار صلوات الله وسلامه عليه (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألقيا سيدهما الذي الباب قالت ما جزاه من أراد اهلاك سوا إلا ان يسجن أو عذاب أليم قال هي

اعتراض أول قوم لوط على ان القسم بلوط قال قتادة أي في ضلالهم بلعبون وقال الاعمش اني غفلتهم يترددون وعنه من باب تعب كافي المختار (فأخذتهم الصيحة) العظيمة أو صيحة جبريل والصيحة العذاب قال ابن جرير الصيحة مثل الساعة وكل شيء أهلك به قوم فهو صاعقة وصيحة (مشرقين) أي حال كونهم داخلين في وقت الشروق يقال أشرفت الشمس أي أضاءت وشرقت اذا طلعت وقيل هما الغتان يعني واحد وأشرق القوم اذا دخلوا في وقت شروق الشمس وقيل أراد شروق النجوى قيل أول العذاب كان عند شروق النجوى حين أصبحوا وامتدتها الى طلوع الشمس حين أشرقوا فلذلك قال أراد لوط مطوع مصحين وقال ههنا مشرقين (خضعانا) مررب على أخذ الصيحة (عالها) أي على المدينة أو على قري قوم لوط (سافلها) وقال الزمخشري الضمير لقري ورجح الاول بانه تقدم ما يعود اليه انظرا بخلاف الثاني والمراد به العالم اوجه الارض وما عليه رفعها جبريل الى السماء من الارض السفلى وأسقطها مقبوبة الى الارض وكانت أربعة قري فيها أربع مائة ألف مقاتل (وأما طرنا عليهم) أي على من كان خارجا عن قراهم بان كان غائبا في سفر أو غيره (سجدة من سجدين) أي من طين متعبر طين بال نار وقد تقدم الكلام مستوفى على هذا في سورة هود (ان في ذلك) المذكور من قصتهم وبين ما أصابهم (آيات للمتوسمين) أي للمتوسمين الذين كانوا يسمونهم بغير فون باطن الشيء بسمه ظاهره وقال مجاهد للمتوسمين وأخرج البخاري في التاريخ والترذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ ان في ذلك آيات للمتوسمين والفراسة على نوعين أحدهما ما يوقعه الله في قلوب الصالحين فيعلمون بذلك أحوال الناس باصاغة الخدس والنظر والظن والتثبت والثاني ما يحصل بدلائل التجارب والاختلاق وللناس في هذا العلم تصانيف قديمة وحديثة وقال نعلب التواسم الناظر اليك من فرقك الى قدمك والمعنى متناوب وأصل التوسم التثبت والتفكير تفعل ماخوذ من الوسم وهو التأثير بحمدية في جلد البعير أو البقر وقيل أصله استتصاه التعرف يقال توسمت أي تعرفت مستتصاه وجوه التعرف وقيل هو من الوسم يعني العلامة (وانها

راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدك ان كيدك عن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستعفني لذني انك كنت من الخاطئين) يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان الى الباب يوسف هارب والمرأة تطلبه ليرجع الى البيت فلحقته في أثناء ذلك فاستكت بقميصه فقدته قد افطعها يقال انه سقط عنه من وراءه فقد قد افطعها واستتر يوسف هاربا ذاهبا وهي في اثره فالتفيا سيدها وهو زوجها اعلم الباب فعند ذلك خرجت مما هي فيه بكرها وكيدها وقالت لزوجها متصلا وقفاً يوسف بدائها

ماجزاء من أراد باهلك سواء أي قاحشة إلا أن يسجن أي يحبس أو عذاب اليم أي يصرب صرباً شديداً
 أنصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رتبته بامن الخيانة وقال باراً صادقاً هي راودتني عن نفسي وذكرنا
 اتبعته تحذبه إليها حتى قدت قيصة وشهد شاهد من أهلها أن كان قيصة قد من قبل أي من قدامه فصدقت أي في قولها أنه
 راودها على نفسها لانه يكون لمساعدتها وأبت عليه دفعته في صدره فصدقت قيصة فصيح ما قالت وإن كان قيصة قد من دبر فكذبت
 وهو من الصادقين وذلك يكون كما وقع لما حرب (١٩٨) منها وتطلبته أمسكت قيصة من ورائه لترده إليها فصدت قيصة من

ورائه وقد اختلفوا في هذا الشاهد
 هل هو صغير أو كبير على قولين لعلماء
 السلف فقال عبد الرزاق أخبرنا
 إسرائيل عن سمك عن عكرمة
 عن ابن عباس وشهد شاهد من
 أهلها قال ذو الحية وقال الثوري
 عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن
 عباس كان من خاصة الملك وكذا
 قال مجاهد وعكرمة والحسن
 وقادة والدي وعجم بن اسحق
 وغيرهم أنه كان رجلاً وقال زيد
 ابن أسلم والسدي كان ابن عمها
 وقال ابن عباس كان من خاصة الملك
 وقد ذكر ابن اسحق أن زليخا كانت
 بنت أخت الملك الريان بن الوليد
 وقال العوفي عن ابن عباس في
 قوله وشهد شاهد من أهلها قال
 كان صبياً في المهد وكذا روى عن
 أبي هريرة وهلال بن يساف
 والحسن وسعيد بن جبيرة والفتح
 ابن مزاحم أنه كان صبياً في الدار
 واختاره ابن جرير وقد ورد فيه
 حديث مرفوع فقال ابن جرير
 حدثنا الحسن بن محمد حدثنا

لبسبيل (تسيم) يعني قرى قوم لوط أو مدينته على طريق ثابت أو الباء بمعنى في وهي
 الطريق من المدينة إلى الشام فإن الملك في هذه الطريق يتر بملك القرى ويشاهد
 ويرى أثر عذاب الله وغضبه لانه لم يدر ولم يخف ولم يزل وعن ابن عباس معنى لبسبيل
 لهم الملك وعن مجاهد لب طريق معلم ليس يخفى وعن قتادة لب طريق واضح (أن في ذلك)
 المذكور من المدينة أو القرى أو ما أنزل بهم من العذاب (لاية لأنه مؤمنين) يعتبرون بها فإن
 المؤمنين بالله والأنبياء والمرسلين من العباد هم الذين يعتبرون بما يشاهدونه من الآثار
 ويعرفون أن ذلك إنما كان لا تقام الله من الجهال لاجل مخالفتهم وأما الذين لا يؤمنون
 فيعلمونه على حوادث العالم وحصول القرانات الكوكبية والاتصالات الفلسفية وجمع
 الآيات أو لا باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم وتعرض قوم لوط لهم
 وما كان من أهلاكهم وقلب المدائن على من فيها وامطاراً للجسارة على من غاب عنها
 ووجدوا ثانياً باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار إليها بقوله وانهم لبسبيل مقيم فلا يرد
 كيف جمع الآية أولاً ووجدوا ثانياً والقصة واحدة (وان كان أصحاب الآية) شروع
 في قصة شعيب وذ كرت ههنا مختصرة وسبباً في سورة الشعراء والآية الغيضة
 وهي جماع الشجر وجمع الشيء والجمع الابل وفي الأصل اسم للشجر الملتف والمراد بها هنا
 البقعة التي فيها شجر مزدحم في الكلام مجاز من إطلاق الحال على المحل ويروى أن
 شجرهم كان دوماً وهو المقل فالعنى وإن كان أصحاب الشجر المجمع وأرباب بقعة الأشجار
 باعتبار إقامتهم فيها ولازمهم لها (الظالمين) بتكذيبهم شعيباً واقتصر الله سبحانه
 هنا على وصفهم بالظلم وقد فصل ذلك الظلم فيما سبق واللام فيه للتأكيده وقيل الآية اسم
 القرية التي كانوا فيها قال أبو عبيدة أَيْكة وليكة مدينتهم ككة وبكة وأصحابها هم قوم
 شعيب وقد تقدم خبرهم وقد أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم إن مدين وأصحاب الآية أمتان بعث الله إليهم ماشعياً
 وعن ابن عباس قال أصحاب الآية هم قوم شعيب والآيكة ذات آجام وشجر كانوا فيها
 (فأتاهم منهم) أي أهلكتهم بالعذاب وذلك أن الله سلط عليهم شدة الحر سبعة أيام حتى
 أخذوا نساءهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه لهم حابية كالظلة فالتجوا إليها
 واجتمعوا تحتها للتظلل يلبسون الروح فبعث ناراً فأحرقتهم جميعاً (وانهم ما) الضمير يرجع

عن أن حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف ورواه غيره عن حماد بن سلمة عن عطاء بن سعيد عن ابن عباس أنه
 قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقال ليث بن أبي سليم عن
 مجاهد كان من أمر الله تعالى ولم يكن أنسياً وهذا قول غريب وقوله فلما رأى قيسه قد من دبر أي لما تحقق زوجها صدق
 يوسف وكذبها بما قد قسه ورمت به قال أنه من كيد كين أي أن هذا البهت واللطم الذي لطخت عرض هذا الشاب به

من جملة كيد كن ان كيد كن عظيم ثم قال امر اليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع يوسف أعرض عن هذا أي اضرب عن هذا صفحا أي فلا تذكرة لاحد واستغفرى لذنبك يقول لامرأته وقد كان ابن العريكة سهلا وأوانه عذرها لانها رأت ما لا صبر لها عنه فقال لها استغفرى لذنبك أي الذي وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ثم قدف به بما شو برى منه انك كنت من الخاطئين (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها قد شعنها حبا انال تراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا (١٩٩) وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن

أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لم تثنى فيه واقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) يخبر تعالى ان خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة وهي مصر حتى تحدث به الناس وقال نسوة في المدينة مثل نساء الكبراء والامراء ينكرون على امرأة العزيز وهو الوزير ويعين ذلك عليها انها تراود فتاها عن نفسه أي تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه الى نفسها قد شعنها حبا أي قد وصل حبسه الى شغاف قلبها وهو غلافه قال الضحاک عن ابن عباس الشغف الحب القاتل والشغف دون ذلك والشغاف حجاب القلب انال تراها في ضلال مبين أي في صنيعها هذا

الى مدينة قوم لوط ومكان أصحاب الايكة أي وان المكائين (ابا امام ميين) أي لبطريق واضح ظاهر قاله ابن عباس وقيل يعود على الخبرين خبر اهلا لك قوم لوط وخبر اهلا لك قوم شعيب وقيل يعود على أصحاب الايكة وأصحاب مدين لانه مرسل اليهما فذكر أحدهما مشعرا بالآخر وأرجح الاقوال هو الاول والامام اسم لما يؤتم به ومن جملة ذلك الدارقى التي تسلك قال الفراء والزجاج سمى الطريق اماما لانه يؤتم به ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافرين يأتهم به حتى يصل الى الموضع الذي يريد وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان ينسب اليه ما ثم ان الله سبحانه ختم القصص بقصة نوح فقال (واقعد كذب أصحاب الحجر) قال قتادة هم أصحاب الوادي وكانوا عود قوم صالح والحجر اسم لذي ارثود قاله الازهرى وهى ما بين مكة وتبوك وقال ابن جرير وهى أرض بين الحجاز والشام وآثارها موجودة بادية عثر عليها ركب الشام الى الحجاز وبالعكس وانما قال الله سبحانه (المرسلين) ولم يرسل اليهم الا صالحا لان من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الباقين ليكون هم متنفقين في الدعوة الى الله وقيل كذبوا صالحا ومن تقدمه من الانبياء وقيل كذبوا صالحا ومن معه من المؤمنين (وآتيناهم آياتنا) المنزلة على نبيهم ومن جعلها الناقة فان فيها آيات جسة كخر وجهها من الصخرة ودنوتها جها عن سد خر وجهها وعظمها وكثرة لبنها وانما أضاف الآيات اليهم وان كانت اصالح لانه مرسل اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) أي عن الآيات (معرضين) أي غير معتبرين بها ولا ملتفتين اليها بل تاركين لها ولهذا عقروا الناقة وخالفوا ما أمرهم به نبيهم قال الضحاک رخصي وذلك يدل على ان النظر والاستدلال واجب وان التقليد مذموم (وكانوا يخشون) الخعت في كلام العرب البرى والخبر نخته نخته بالكسر نختا أي براه وفي التنزيل أتعبدون ما تختون أي تخشون وكانوا يخشون لانفسهم (من الجبال بيوتا) بضم الباء وكسر هاء سبعيتان أي يخشونها في الجبال (آمنين) أي حال كونهم آمنين من الخراب ونقب اللصوص لها الشدة احكامها أومن ان يقع عليهم الجبل أو السقف قاله الفراء وقيل آمنين من الموت وقيل من العذاب ركونا منهم على قوتهم وناقته اوقال بعضهم المراد أنهم يخشون بيوتا في الجبال بنقرها وقطع الصخر منها بالمعاويل حتى تصير مساكن من غير بنيان (فاخذتهم الصيحة) أي العذاب وهو الرجفة أو الزلزلة الشديدة من الارض (مصحين) أي داخلين

من جها فتاها وراودتها ايام عن نفسه فلما سمعت بمكرهن قال بعضهم يتولهن وقال محمد بن اسحق بل باغهن حسن يوسف فأحببن ان يرينه فقلن ذلك ليتوصلن الى رؤيته ومشاهدته فعند ذلك أرسلت اليهن أي دعتهن الى منزلها لتضيئهن واعتدت لهن متكئا قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والسدى وغيرهم هو المجلس المعدي فيه منار ش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالنكاكين من أترج ونحوه ولهذا قال تعالى وآتت كل واحدة منهن سكينا وكان هذا كيد منها ومقابلة لهن في احتيالهن على رؤيته وقالت اخرج عليهن وذلك انها كانت قد خيأته في مكان آخر فلما اخرج ورأينه أكبرنه أي أعظم منه أي أعظم شأنه وأجلان

قدره وجعلن يقطعن أيديهن ذهبا برؤيته وهن يفلن انهن يقطعن الاترج بالسكاكين والمراد انهن حزنن أيديهن به ما قاله غيره واحد وعن مجاهد وقتادة قطعن أيديهن حتى ألقيتهن فالتهم أعلام وقد ذكر عن زيد بن أسلم انها قالت لهن بعدما كن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن أترجاوات كل واحدة منهن سكيناً هل لكن في النظر إلى يوسف قلن نعم فبعثت إليه تأمره أن يخرج اليهن فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ثم أمرته أن يرجع ليرسدهن قبله ومدير أفرجع وهن يحزنن في أيديهن فإيا أحسن بالالم ان ذهب جعلن يولون فقالت أنتم من نظرة واحدة (٢٠٠) فعملتن هذا فكيف ألام أنا فقلن حاش لله ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم ثم قلن

لها وما نرى يمسك من لوم بعد هذا الذي رأين لأنهن لم يرين في البشر شبهه ولا قريباً منه فانه عليه السلام كان قد أعطى شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الاسراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال فاذا هو قد أعطى شطر الحسن وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف وأمه شطر الحسن وقال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن وقال أبو إسحق أيضاً عن أبي الاحوص عن عبد الله قال كان وجه يوسف مثل البرق وكانت المرأة اذا أتته لحاجة أعطى وجهه مخافة ان تفتن به ورواه الحسن البصري مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا وأعطى الناس الثلثين أو قال أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث وقال سفيان عن منصور عن مجاهد عن

في وقت الصبح وقد تقدم ذكر الصيحة في الاعراف وفي هود وقد تقدم أيضاً قرياً (فما أغنى) أي لم يدفع (عنهم) شيأ من عذاب الله (ما كانوا يكسبون) من الاموال والحصون في الجبال أو من الشرك والاعمال الخبيثة أخرج البخاري وغيره عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصحاب الحجر لا تدخلوا على هؤلاء القوم الا ان تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ان يصيبكم مثل ما أصابهم وأخرج ابن مردويه عنه قال نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك بالحجر عديوت غود فاستقى الناس من مياه الآبار التي كانت تشرب منها غود وبخنو منها ونصبوا القدور بالجمع فامرهم بأهراق القدر ووعفوا العجين الابل ثم ارتحل على البئر التي كانت تشرب منها الفاقة ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال اني أخشى ان يصيبكم مثل الذي أصابهم فلا تدخلوا عليهم (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا متلذذة بالحق) وهو ما فيه حامن النوائد والمصالح ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء دفعاً لنسأدهم وارشاداً لمن بقي الى الملاح وقيل المراد بالحق مجازاة المحسن باحسنه والمسيء بأسائه كما في قوله سبحانه ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحق وقيل المراد بالحق الزوال لانهم مخلوقه وكل مخلوق زائل (وان الساعة لا آتية) وعند آياتنا ينطق الله ممن يستحق العذاب ويحسن الى من يستحق الاحسان وفيه وعيد للعصاة وتهديد ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يصنع عن قومه فقال (فاصنع الصنيع الجليل) أي تجاوز عنهم وعافوا حسرتهم وقيل فأعرض عنهم ماعراضاً جديلاً ولا تعجل عليهم بالآلة تمام وعاملهم معاملة الصنوح الجليل قال علي الصنيع الجليل الرضا بغير عتاب وعن ابن عباس مثله وعن مجاهد قال هذه الآية قبل القتال وعن عكرمة مثله يعني هذا مذبح بابية السيف وفيه بعد لان الله أمر نبيه ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصنيع الحسن الى من الجزع والخوف والامر بالصنيع الجليل لا ينافي قتالهم (ان ربك هو الخلاق) أي الخالق للخلق جميعاً (العليم) بأحوالهم وبالصالح والطالح منهم (ولقد آتيناك بسبع من المثلثي) من التبعية أو للبيان على اختلاف الاقوال في المراد ذلك الزجاج فقال هي للتبعية اذا أردت بالجمع الفاتحة أو الطوال وللبيان اذا أردت الاسباع واختلاف أهل

ربيعة الجرجشي قال قسم الحسن نصفين فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن والنصف الآخر بين سائر العلم الخلق وقال الامام أبو القاسم السهيلي معناه ان يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام فان الله خلق آدم بيده على اكمل صورة وأحسنها ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله وذن يوسف قد أعطى شطر حسنه فلهذا قال هؤلاء النسوة عند رؤيته حاش لله قال مجاهد وغيره احدهما ذاك الله ما هذا بشراً وقرأ بعضهم ما هذا بشري أي عشت تري بشراً ان هذا الا ملك كريم فالتفتن في نفسه تقول هذا معتذرة اليهن بان هذا حقيق ان يحب الجمال وكاله ولقد راودته عن

نفسه فاستعصم أى فامتنع قال بعضهم لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التى تخفى عنهن وهى العفة مع هذا الجمال ثم قالت تتوعدوه ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فعند ذلك استعاض يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن وقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه أى من الفاحشة والانصراف عن كيدهن أصب اليهن أى ان وكاتنى الى نفسى فليس لى منها قدرة ولا أملاك لها ضرا ولا نفعا لا يجوز لك وقوتك أنت المستعان وعليك التكلان فلا تنكلى الى نفسى أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه الآية وذلك ان يوسف (٢٠١) عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وجاه

فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا فى غاية مقامات الكمال انه مع شبابه وجماله وكاله تدعوه سيده وهى امرأة عزيز مصر وهى مع هذا فى غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفا من الله رجاء ثوابه ولهذا ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تجابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ورجل دعت به امرأة ذات منصب وجمال فقال ائني اخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (ثم يد الهيم من بعد ما رآوا الآيات ليسجننه حتى حين) يقول تعالى ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه الى حين أى الى مدة وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات وهى الأدلة على صدقه فى عفته

العلم فيها ما ذاهى فقال جهو المفسرين انها الفاتحة قال الواحدي وأ كثر المفسرين على انها فاتحة الكتاب وهو قول عمرو بن وهب بن مسعود والحسن ومجاهد ومادة الربيع والسكبي وزاد القرطبي أباه ريرة وأبا العالصة وزاد النيسابوري الضحاك وسعيد بن جبيرة وقدر روى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سأتى بيانه فتعين المصير اليه وقيل هى السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال والتوبة لانها ما كسورة واحدة اذ ليس بينهما تسمية روى هذا عن ابن عباس وقيل السابعة هى سورة يونس وقيل المراد بها السبعة الاحزاب فانها سبع صحائف وقيل هى السور التى دون الطوال وفوق المنصل وهى المثني والمثنى جمع مشناة من التثنية وهى التكرير أو جمع مثنية وقال الزجاج يثنى عما يقرأ بعددها معها فعلى القول الاول يكون وجه تسمية الفاتحة مثنى انها تثنى أى تكرر فى كل صلاة وعلى القول بانها السبع الطوال فوجه التسمية ان العبر والاحكام والحدود كررت فيها وعلى القول بانها السبعة الاحزاب يكون وجه التسمية هو تكرير ما فى القرآن من القصص ونحوها وقد ذهب الى ان المراد بالسبع المثاني القرآن كله الضحاك وطاوس وأبو مالك وهور وابنه عن ابن عباس واستدلوا بقوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقيل المراد بالسبع المثاني أقسام القرآن وهى الامر والنهي والتبشير والانداز وضرب الامثال وتعريف النعم وأنباء القرون الماضية قاله زياد بن أبي مريم ولا يخفى عليك ان تسمية الفاتحة مثاني لا يستلزم نفي تسمية غيرها بهذا الاسم وقد تقرر انها المرادة بهذه الآية فلا يقدح فى ذلك صدق وصف المثاني على غيرها (والقرآن العظيم) المراد به سائر القرآن قاله ابن مسعود فيكون من عطف العام على الخاص لان الفاتحة بعض من القرآن وكذلك ان اريد بالسبع المثاني السبع الطوال لانها بعض من القرآن ان اريد به القدر المشترك الصادق على الكل والبعض أو من عطف الكل على البعض ان اريد به المجموع الشخصى وأما اذا اريد بها السبعة الاحزاب أو جميع القرآن أو أقسامه فيكون من باب عطف أحد الوصفين على الآخر مما يقوى كون السبع المثاني هى الفاتحة ان هذه السورة مكية وأكثر السبع الطوال مدنية وكذلك أكثر القرآن وأكثر أقسامه وظاهر قوله ولقد آتيناك الخ انه قد تقدم آيات السبع على نزول هذه الآية وقد ثبت فى صحيح البخارى من حديث أبي سعيد بن المعلى انه قال له

(٢٦ فتح البيان خامس) وزايتها وكانهم والله أعلم انما سجنوه لما شاع الحديث ايها المانر او دها عن نفسها وانهم سجنوه على ذلك ولهذا الما طلبه الملك الكبير فى آخر المدة امتنع من الخروج حتى قتين براءته مما نسب اليه من الخيانة فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض صلوات الله عليه وسلامه وذكر الاسدي انهم انما سجنوه لئلا يشيع ما كان منها فى حقه وتبر اعرضه فيفضحها (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أراى أعصر خرا وقال الآخر انى أراى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبشنا بتأويله اننا من المحسنين) قال قتادة كان أحدهما ساقى الملك والآخر خبازه قال محمد بن اسحق كان اسم الذى على الشراب

بدا والاخر بحث قال السدي كان سبب حبس الملك اياه - انه توهم انهم - ما تملا على منه في طعامه وشربه وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والامانة وصدق الحديث وحسن السمات وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه ومعرفته التعبير والاحسان الى اهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم ولم يدخل هذا القيدان الى السجن تألقا به واحبا حبا شديدا وقال له والله لقد احببتك حبا زائدا قال بارك الله فيك انه ما احبني احد الا دخل على من محبته ضرر احدثني عمتي فدخل على الضرر بسبها واحبني ابي فاوديت بسببه واحبنتي امرأة (٢٠٢) العزيز فكذلك فقالوا والله ما نستطيع الا ذلك ثم انهم ارايا منا ما فرأى

الساقى انه يعصر خيرا يعني عنبنا وكذلك هي في قراءة عبد الله ابن مسعود اني اراني أعصر عنبنا ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن زيد بن هرون عن شريك عن الاعش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود انه فرأها أعصر عنبنا وقال الضحاك في الآية في قوله اني أعصر خيرا يعني عنبنا قال وأهل عمان يسمون العنب خيرا وقال عكرمة قال اني رأيت فيما يرى النائم اني غرست حبلة من عنب فنتت فخرج فيها عناقيد فعصرتهن ثم ستيتهن الملك فقال تمكت في السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه خيرا وقال الاخر وهو الخباز اني اراني أجعل فوق رأسي خبزنا تأكل الطير منه نخبنا وتأويله الآية المشهور عند الاكثرين ما ذكرناه انهما رأيا منا ما وطلبا تعبيرا وقال ابن جرير حدثنا وكيع وابن جبير قال حدثنا جرير عن عمار بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود قال ما رأيت صاحبا يوسف شيئا انما كان تحالما ليجربا (قال لا يأتيك

النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا علمت افضل سورة قبل ان اخرج من المسجد فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج فذكرت فقال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم وأخرج البخاري ايضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم فوجب بهذا المصير الى القول بانها فاتحة الكتاب وليكن تسميتها بذلك لا ينافي تسمية غيرها به كما قدمنا وعن الضحاك قال المثاني القرآن يذكر الله القصة الواحدة مرارا وعن زيد بن أبي مريم في الآية قال أعطيتك سبعة أجزاء من وانه وبشر وأنذر واضرب الامثال واعدد النعم واتل بآ القرآن ثم لما بين الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية نقره الله عن اللذات العاجلة الزائلة فقال (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) أي لا تطمع ببصرك الى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتغن لها قال الواحدى انما يكون ما داعينيه الى الشيء اذا دام النظر نحوه وادامة النظر اليه تدل على استحقاقه وتثنيته وقال بعضهم المعنى لا تحسدن أحد على ما أوتي من الدنيا وريبان الحمد منهى عنه مطلقا وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغيره واولا انه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه وعن ابن عباس قال في قوله لا تمدن عينيك منى الرجل ان يتنى مال صاحبه والازواج الاصناف قاله ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء وقيل يعني اليهود والنصارى والمجوس وعن مجاهد في قوله ازواجهم قال الاغنياء الامثال والاشباه وعن سفيان بن عيينة قال من أعطى القرآن فدعني الى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن ألم تسمع قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني الى قوله ورزق ربك خيرا وبقي وقد فسر ابن عيينة أيضا الحديث الصحيح ليس منامن لم يتغن بالقرآن فقال ان المعنى لم يستغن به ثم لما نهاه عن الالتفات الى أموالهم وأمتعتهم نهاه عن الالتفات اليهم فقال (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا وصموا على الكفر والعناد وقيل المعنى لا تحزن على ما متعوا به في الدنيا وفانك من مشاركتهم فيها فانك الا آخره والاول اولى روى البيهقي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تغبطن فاجر انعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قبل وما هو قال النار وعنه عند مسلم من فوعا انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان

طعام ترزقانه الانبياء كما يتأويله قبل ان يأتيك ذلك كما علمني ربى اني تركت مله قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم لا تزددوا كافرون واتبع مله آباءى ابراهيم واسحق ويه قوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يخبرهما يوسف عليه السلام انهما هما رأيا في منامهما من حلم فانه عارف بتفسيره ويخبرهما بتأويله قبل وقوعه ولهذا قال لا يأتيك طعام ترزقانه الانبياء كما يتأويله قال مجاهد يقول لا يأتيك طعام ترزقانه الانبياء كما يتأويله قبل ان يأتيك وكذا قال السدي وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلام حدثنا محمد بن يزيد شيخه عن الحسين

ابن ثوبان عن عكرمة وعن ابن عباس قال ما أدري لعل يوسف عليه السلام كان يعتاف وهو كذلك لاني أجد في كتاب الله حين قال للرجلين لا تأتيا بكما طعام ترزقانه إلا تأتيا كتاباً ويأله قال إذا جاء الطعام حلوا أو حراماً اعتاف عند ذلك قال ابن عباس انما علم فعل وهذا أثر غريب ثم قال وهذا انما هو من تعليم الله اياي لاني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً في المعاد واتبع ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب الآية يقول هجرت طريق الكفر والشرك وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهكذا يكون حال من سلك طريق (٢٠٣) الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فان الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلم ويجعله اماماً يقتدي به في الخير وداعياً الى سبيل الرشاد ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس هذا التوحيد وهو الاقرار بان لا اله الا الله وحده لا شريك له من فضل الله علينا أى أوحانا اليه وأمرنا به وعلى الناس ان يجعلنا دعاة لهم الى ذلك ولكن أكثر الناس لا يشكرون أى لا يعرفون نعمة الله عليهم - ثم يارسال الرسل اليهم بل بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا ججاج عن عطاء عن ابن عباس انه كان يجعل الجدأ باً ويقول والله لمن شاء لا غنة عند الحجر ما ذكر الله جداً ولا جدة قال الله تعالى يعنى اخبرنا عن يوسف واتبع ملة آباءى ابراهيم واسحق ويعقوب (يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان

لا تزددوا نعمة الله عليكم قال عوف كنت أصحب الأغنياء فما كان أحداً أكثرهم مامنى كنت أرى دابة خيراً من دابتي وثوباً خيراً من ثوبى فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت ثم لما نهى عن ان يد عينيه الى أموال الكفار وان يحزن عليهم - وكان ذلك يستلزم التهاون بهم - وبما معهم أمره ان يتواضع للمؤمنين فقال (واخفض جناحك للمؤمنين) خفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب ومنه قوله سبحانه واخفض لهم جناح الذل وأصله ان الطائر اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرج فجعل ذلك وصفاً لتواضع الانسان لاتباعه ويقال فلان خافض الجناح أى وقور ساكن والجناحان من ابن آدم جانباه ومنه وانهم يدك الى جناحك (وقل انى انا النذير المبين) أى المُنذر المظهر لقومه ما يصيبهم من عذاب الله (كما أنزلنا على المقتسمين) عذاباً أى انا النذير لكم من عذاب مثل عذاب المقتسمين الذى أنزلناه عليهم - ثم كقولهم تعالى أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقيل ان الكاف زائدة وقيل متعلق بحذف والتقدير أنزلنا اليك انزالاً مثل ما أنزلنا قاله الكرخى وقيل هو متعلق بقوله واقعد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون قاله الزمخشري والاولى ان يتعلق بقوله انا النذير المبين لانه في قوة الامر بالانذار وقد اختلف في المقتسمين من هم على أقوال سبعة فقال مقاتل والفراسهم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا أعقاب مكة وأنسابها وخاجها يقولون ان دخل مكة لا تغتروا بهذا الخارج فيما فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا ساحر وربما قالوا كاهن فقبل لهم المقتسمون لانهم اقتصموا هذه الطرق وقبل انهم قوم من قريش اقتصموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعراً وبعضه سحرًا وبعضه كهانة وبعضه أساطير الاولين قاله قتادة وقيل هم أهل الكتاب وهموا مقتسمين لانهم كانوا يقسمون القرآن استنزاه فيقول بعضهم هذه السورة لى وهذه لك روى هذا عن ابن عباس وقيل انهم اقتصموا كتابهم وفرقوه وبددوه وحرفوه وقبل المراد قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين كما قال تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه وأهلكه قلت وفي هذا الوجه قرب من حيث المتقاسمة وبعد من حيث وصفهم بجعلهم القرآن عضين وأما الوجه الآخر فهى مستقيمة وقيل تقاسموا ايماناً تحالفوا عليها قاله الاخفش وقيل انهم -م العاصم بن وائل وعتبة وشيبة ابنا

ان الحكم الا الله أمر الانعبدوا الاياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم ان يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالخطابة والدعاء لهما الى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الاوثان التى يعبدونها قومهم - ما فقال أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أى الذى ذل كل شيء اعز جلاله وعظمة سلطانه ثم بين لهما ان الذى يعبدونهما وهما آلهة انما هي جعل منهم وتسمية من تلقاها أنفسهم تلقاها خلفهم عن سلفهم وليس لذلك مستند من عند الله ولهذا قال ما أنزل الله به من سلطان أى حجة ولا برهان ثم أخبرهم ان الحكم والتصرف والمشيئة كله لله وقد أمر عباده فاطبة أن لا يعبدوا الاياه ثم قال تعالى ذلك الدين القيم

أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه وليكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلهذا كان أكثرهم مشركين وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقد قال ابن جرير إنما سئل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا لأنه عرف أنهم اضارة لأحدهما فأجاب أن يشغلها ما بغير ذلك لثلاثا يعاودوه فيها فعاودوه فاعاد عليهم الموعظة وفي هذا الذي قاله نظر لأنه قد وعدهما ألا تعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلته وسببها إلى دعائهم ما إلى التوحيد والاسلام (٢٠٤) لما رأى في سجنه ما من قبول الخير والاقبال له والانصات إليه ولهذا المافرغ

ربيعه وأبو جهل بن هشام وأبو الجخترى والنضر بن الحارث وأميرة بن خلف وشيبة بن الحجاج ذكره الماوردي (الذين جعلوا القرآن عضين) جمع عضه وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء وأجزاء فيكون المعنى على هذا الذين جعلوا أجزاء متفرقة بعضه شعرو وبعضه سحر وبعضه كهانة ونحو ذلك وقيل مأخوذ من عضته إذا بهتته فالمحذوف منه الهاء لا الواو وجعت العضة على المعنيين جمع العقلاء وقيل معنى عضين إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض وقيل العضة والعضين في لغة قريش السحر وهنهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة عاضهة وفي الحديث إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن العاضهة والمستعضهة وفسر بالساحرة والمستسحرة والمعنى أنهم أكثروا البهت على القرآن وسموه سحر أو كذبوا أساطير الأولين ونظير عضه في النقصان شفة والأصل شبهة وكذلك سنة أصلها سنة قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون وقال الفراء أنه مأخوذ من العضاد وهي شجرة تؤذى وتجرح كالشوك ويجوز أن يراد بالقرآن التوراة والإنجيل لكونهم مما يقرأ ويراد بالمتسمين هم اليهود والنصارى أي جعلوا ههما أجزاء متفرقة وهو أحد الأقوال المتقدمة (فويرب) أقسم الله سبحانه بنفسه الكريمة وربوبيته العظيمة (لنساءنهم) أي هؤلاء الكفرة (أجمعين) يوم القيامة سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون) في الدين من الأعمال التي يحاسبون عليها ويستثلون عنها وقيل إن المراد سؤالهم عن كلمة التوحيد وقد أخرج الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال عن قول لا إله إلا الله وروى عن أنس موقفاً وعن ابن عمر أنه قال العوم يفيد ما هو أوسع من ذلك وقيل إن المسؤولين ههنا هم جميع المؤمنين والعصاة والكفار ويدل عليه قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقوله وقنوههم أنهم مسئولون وقوله إن الدنيا آياتهم ثم إن علينا حسابهم ويمكن أن يقال إن قصر هذا السؤال على المذكورين في السباق وصرف العموم إليهم لا ينافي سؤال غيرهم (فاصدع عاتقهم) قال الزجاج يقول أظهر ما تؤمر به من الشرائع أخذ من الصديق وهو الصبح انتهى وأصل الصدع الفرق والشق يقال صدعته فاصدع أي انشق وتصدع القوم أي تفرقوا ومنه يومئذ يصدعون أي يفرقون قال الفراء أراد فاصدع بالامر أي أظهر دينك فاصمع الفعل على هذا بمنزلة

من دعوتهم ما شرع في تعبير رؤياهما من غير تكرار سؤال فقال (يا صاحبي السجن) أما أحدكما فيسقي ربه خرا وأما الآخر فيصالب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) يقول لهما يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خرا وهو الذي رأى أنه يعصر خرا ولكنه لم يعينه لئلا يحزن ذلك ولهذا أبهمه في قوله وأما الآخر فيصالب فتأكل الطير من رأسه وهو في نفس الأمر الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه وهو واقع لا محالة لأن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت وقال الثوري عن عمارة بن القعقاع عن عبد الله قال لما قالوا قالوا أخبرهما قال أما رأيتنا شيئاً فقال قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ورواه محمد بن فضيل عن عمارة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به وكذا فسر مجاهد وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغيرهم وحاصله أن من تحلم بباطل وفسره فإنه يلزم بتأويله والله أعلم وقد ورد

المصدر

في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا على رجل

طائر مما لم تعبر فإذا عبرت وقعت وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً الرؤيا بالاول عابر (وقال للذي ظن أنه ناج من ههنا اذ كرتي عند ربك فأنساها الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) لما ظن يوسف عليه السلام أن الساقى ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم لثلاثا بعثه أنه المصلوب قال له اذ كرتي عند ربك يقول اذ كرتي عند ربك وهو الملك نفسي ذلك المومني أن يذكر مولاه الملك بذلك وكان من جملة تكايد الشيطان للباطل طاع نبي الله من السجن هذا هو الصواب

ان الضمير في قوله فانساء الشيطان ذكره عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن اسحق وغير واحد ويقال ان الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد ايضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديثا فقال حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لولم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يتغنى الفرج من عند غير الله وهذا الحديث ضعيف جدا لان سفيان بن وكيع ضعيف وابراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف (٢٠٥) منه أيضا وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا

عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لوقبل المرسلة من حيث هو في غيره هذا الموطن والله أعلم وأما البضع فقال مجاهد وقتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال وهب بن منبه مكث أيوب في البلاء سبعين يوما يوسف في السجن سبعين يوما وعذب بختنصر سبعين يوما وقال النخعي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لبث في السجن بضع سنين قال ثناء عشرة سنة وقال النخعي أربعة عشرة سنة (وقال الملائكة اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملائكة افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين وقال الذي نجاهم من أود كرم بعد أمة أنا نبئكم بتأويله فاستأمن يوسف فأخبرهم الصديق أفشافي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلی أرجع إلى الناس أعلمهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون

المصدر وقال ابن الاعرابي معناه اقصد وقيل فرق جمعهم وكلهم بان تدعوهم الى التوحيد فانهم يتنشقون والاولى ان الصدع الاظهار كما قاله الزجاج والنراء وغيرهما قال الواحدى قال المفسرون أى اجهر بالامر أى امرك بعد اظهار الدعوة وما زال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستقفا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه وقال ابن عباس هذا امر من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لم يتبلغ رسالته قوموه وجميع من أرسل اليه واصدع بمعنى أمضه وأعلن ثم أمره الله سبحانه بعد أمره بالصدع بالاعراض وعدم الالتفات الى المشركين فقال (وأعرض عن المشركين) أى لا تبال بهم ولا تلتفت اليهم اذا لاموك على اظهار الدعوة قال ابن عباس نسخة قوله تعالى واقتلوا المشركين وليس للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا ثم كده هذا الامر وثبت قلب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (انا كنيئناك المستهزئين) مع انهم كانوا من اكابر الكفار وأهل الشوكه فيهم فاذا كفاه الله أمرهم بقمعهم وتدميرهم كفاه أمر من هو دونهم بالاولى وهؤلاء المستهزون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن الطلائع كذا قال القرطبي ووافقه غيره من المفسرين وقد أهلكتهم الله جميعا يوم بدر وكفاه أمرهم في يوم أحد وقد روى هذا عن جماعة من الصحابة مع زيادة في عددهم ونقص على طول في ذلك ثم وصف هؤلاء المستهزين بالشرك فقال (الذين يجعلون مع الله الها آخر) فلم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء بل لهم ذنب آخر وهو الشرك بالله سبحانه ثم توعدهم فقال (فسوف يعلمون) كيف عاقبتهم في الآخرة وما يصيبهم من عقوبة الله سبحانه ثم ذكر تسليية أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد التسليية الاولى بكفايته شرهم ودفعه مكرهم فقال (ولقد نعلم انك بضيق صدرك بما يقولون) الاقوال الكثيرة المتضمنة للظعن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسحر والجنون والكهانة والكذب وقد كان يحصل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقتضى الجبل البشرية والمزاج الانساني وان كان مفوضا لجميع أموره لربه ثم أمره سبحانه بان ينزع الكشف ما نابيه من ضيق الصدر الى تسبيح الله سبحانه وحده فقال (فسبح بحمده ربك) أى افزع الى الله فيما نابك وافعل التسبيح المتبسط بالحمد أو فزعه عما يقولون حامدا له على أن هـ ذلك للحق (وكن من

ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدا دأبا كن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) هذه الرؤيا من ملام مصر مما قدر الله تعالى انها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرما وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهايته وتعجب من أمرها وما يكون نفسها مع الكهنة والخرافة وكار دولته وأمره فدفعص عليهم ما رأى وسأله عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا اليه بانها أضغاث أحلام أى اخلاط أحلام اقتضته رؤيا هذه وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين أى لو كانت رؤيا صحيحة من اخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها فنع ذلك تذكر الذي نجاه من ذنوب الفسنيين الذين كانوا

في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك فعند ذلك تذكر بعد أمة أي مدة وقرا بعضهم بعد أمة أي بعد نسيان فقال لهم أي للملك والذين جمعهم لذلك أنا أنبئكم بتأويله أي بتأويل هذا المنام فارتسلون أي فابعثوني إلى يوسف الصديق إلى السجن ومعنى الكلام فبعثوه فجاء فقال يوسف أي الصديق اقتناؤا كرا المنام الذي رآه الملك فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف للفتى في نسيانه ما وصاه به ومن غير استشراف للخروج بل قال ترزعون سبع سنين دأبأ أي يأتىكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات فنسر (٢٠٦) البقر بالسنين لأنها تنثر الأرض التي تستقل منها الثمرات والزروع وهن

السنبلات الخضر ثم أرشداهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون أي مما استغليظتم في هذه السبع السنين الخصب فاذخروه في سنبله ليكون أبقي له وأبعد عن اسراع الفساد اليه الا المقدار الذي تأكلونه ولا يكن قليلا قليلا لا لتسر فوافيه لتتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين الخجل التي تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف الالاقى تأكل السمنان لان سنى الجذب يؤكل فيها ما جعوا في سنى الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم انهن لا يفتتن شيئا وما يذروه فلا يرجعون منه الى شئ ولهذا قال يا كلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم بشرهم بعد الجذب العاصم المتوالى بان يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أي يأتهم الغيث وهو المطر وتغسل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت ونحوه وسكرو ونحوه حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضا

(الساجدين) أي من المصايين فانك اذا فعلت ذلك كشف الله همك وأذهب غمك وشرح صدرك وفي الكلام مجاز ثم أمره بعبادة ربه فقال (واعبد ربك) من عطف العام على الخاص أي دم على عبادته الى غاية هي قوله (حتى يأتيك اليقين) قال الواحدى قال جماعة المفسرين يعنى الموت لانه موقن به متيقن الوقوع والتزول لا يشك فيه أحد وقال أبو حيان ان اليقين من أسماء الموت وينزوله يزول كل شك ووقت العبادة بالموت اعلا ما بانهم ليس لها نهاية دون الموت فلا يرد ما قيل أي فائدة لهذا التوقيت مع ان كل أحد يعلم ان اذا مات سقطت عنه العبادات وايضا الجواب ان المراد واعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تتخل لحظة من لحظات الحياة من العبادة والله أعلم بمراده قال الزجاج المعنى اعبد ربك أبدا لا لوقيل اعبد ربك بغير توقيت لحازا اذا عبد الانسان مرة أن يكون مطيعا فاذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمره بالاقامة على العبادة أبدا مادام حيا ومثله قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم في التاريخ وابن مردويه والديلمي عن أبي مسلم الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى الى ان اجع المال وكن من التجارين ولكن أوحى الى أن سيج بمدر بك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وروى بطرق كثيرة

(سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية)

وحكى مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن عبد الله وروى عن ابن عباس وابي الزبير انها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات من آخرها فانهم نزلن بين مكة والمدينة في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحد وهى قوله تعالى ولا تشعروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله تعلمون وقال قتادة هى مكية الاخر آيات وحى قوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظالموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما قسروا وقوله وان عاقبتهم الى آخر السورة وزاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الآية وضرب الله مثلا قرية وحكى الاصم عن بعضهم انها كلها مدنية والاول أولى وتسمى هذه سورة النعم بسبب ما عده الله

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون يحلبون (وقال الملائكة اتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فيها فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي يكيدهن عليهن قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه فلن حاش الله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما برئ نفسي ان النفس لا إمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) يقول تعالى اخبارا عن الملك لما رجعوا اليه بتعبير رأياه التي كان رآها بما أعجبه وانيقه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن

اخلاقه على من يبلده من رعاياه فقال استوفى به اى اخرجوه من السجن واحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى تحقق الملك ورعيته براءة صاحته وزاهاة عرضه مما نسب اليه من جهة امرأة العزيز وان السجن لم يكن على امر يقضيه بل كان ظلماً وعدواً فقال ارجع الى ربك الآية وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتنبية على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه وفي المسند والصحاحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشان من ابراهيم اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى الآية (٢٠٧) ويرحم الله لوطاً لقد كان ياوى الى ركن شديد ولوليت في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعى وفي لفظ لاجد حدثنا عفان حدثنا جابر بن سلمة حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي يكيدهن علم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت انا لاسرعت الاجابة وما ابغيت العذر وقال عبد الرزاق اخبرنا ابن عينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشتط أن يخرجوني واقد عجت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أناه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر هذا حديث مرسل وقوله تعالى قال ما خطبك اذ راودتن يوسف عن نفسه اخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز فقال مخاطباً لهن كاهن وهو يريد امرأة

فهي امن النعم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أقضى أمر الله) اى جاء ودنا وقرب عقابه للمشركين بالقتل بالسيف والتعذيب بالماضى لتحقيق وقوعه وقال جماعة من المفسرين الامر القيامة قال الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يدهما أخرجا في الصحاحين من حديث سهل بن سعد وقيل ان المراد بالامر حكمه بذلك وقد وقع وأقضى فاما المحكوم به فانه لم يقع لانه سبحانه حكمه بوقوعه في وقت معين فقبل مجي ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود وقبل المراد بآتيانه اتيان مباديه ومقدماته وقال الضحاك يعنى الاحكام والحدود والفرائض (فلا تستعجلوه) اى فلا تطلبوا حضوره قبل ذلك الوقت فانه واقع لا محالة ولا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه وقد كان المشركون يستعجلون العذاب كما قال النضر بن الحرث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والمعنى قرب أمر الله فلا تستعجلوه وقوعاً وقد كان استعجالهم على طريقة الاستهزاء من دون استعجال على الحقيقة وفيهم عن الاستعجال تكلم بهم (سبحانه وتعالى عما يشركون) اى تنزه الله وترفع عن اشراكهم أو عن أن يكون له شريك وشركهم ههنا هو ما وقع منهم من استعجال العذاب وقيام الساعة استهزاء وتكديفاً فانه يتضمن وصفهم له سبحانه بأنه لا يتدر على ذلك وانه عاجز عنه والعجز وعدم القدرة من صفات المخلوق لامن صفات الخالق فكان ذلك شركاً وهذه الجملة تنازع فيها العاملان وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة تحقيراً لاشأنهم وحطاً لدرجتهم عن رتبة الخطاب وفي قراءة سبعية بالهاء وما مصدرية فلا عائد لها عند الجمهوراً وموصولة كما قاله السمين اى عما يشركونه به وما عبارة عن الاصنام (ينزل الملائكة) قرئ بالياء التحتية والناعل هو الله سبحانه وقرئ تنزل من التنعل والاصل تنزل فانه فعل مستند الى الملائكة وقرئ تنزل على البناء للمفعول وتنزل بالنون والمراد بالملائكة هنا جبريل وعبر عنه بالجمع تعظيمه (بالروح) هو الوحي قاله ابن عباس ومثله يلقي الروح من أمره وسمى الوحي روحاً لانه يحى قلوب المؤمنين فان من جملة الوحي القرآن وهو نازل من الدين منزلة

وزير العزيز قال الملك للنسوة اللاتي قطعن أيديهن ما خطبك اى شأنك وخبرك اذ راودتن يوسف عن نفسه يعنى يوم الضيافة قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء أى قالت النسوة جواباً للملك حاش لله أن يكون يوسف متهماً الله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تين الحق وظهور وبرز أنار اودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتن عن نفسه ذلك ليعلم اى لم أخضه بالغيب تقول انما اعترفت به سداً على نفسي ليعلم زوجي اى لم أخضه بالغيب في نفس الامر ولا وقع المحذور الا كبر وانما راودتن هذا الشاب من اودته فانه اعترفت ليعلم

اني بريئة وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي تقول المرأة واست أبرئ نفسي فان النفس تحدث وتتمنى ولهذا رآه
 لان النفس لا تارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الامن عصمه الله تعالى ان ربي غفور رحيم وهذا القول هو الاشهر والاليق والانساب
 بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصرة الامام ابو العباس بن تيمية رحمه الله فافترده بتصنيف
 على حدة وقد قيل ان ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ذلك ليعلم اني لم أخنه في زوجته بالغيب الآيتين وهذا القول هو الذي
 لم يحك ابن جرير ولا ابن ابى حاتم سواء قال ابن (٢٠٨) جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرايل عن سماعة عن عكرمة

عن ابن عباس قال لما جمع الملك
 النسوة فسألهن هل راودتن يوسف
 عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه
 من سوء قالت امرأة العزيز الان
 حصص الحق الآية قال يوسف
 ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب
 فقال له جبريل عليه السلام ولا يرم
 هممت بما هممت به فقتل وما أبرئ
 نفسي الآية وهكذا قال مجاهد
 وسعيد بن جبيرة وعكرمة وابن ابى
 الهذيل والضحك والحسن
 وقتادة والسدي والقول الاول
 أقوى وأظهر لان سياق الكلام
 كله من كلام امرأة العزيز بحضرة
 الملك ولم يكن يوسف عليه السلام
 عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك
 وقال الملك اننوني به أستخلصه
 لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم
 لدينا مكيين أمين قال اجعلني على
 خزان الارض اني حفيظ عليم
 يقول تعالى اخبارا عن الملك حين
 تحقق برأه يوسف عليه السلام
 وزاهاة عرضه مما نسب اليه قال
 اننوني به أستخلصه لنفسى أي
 أجعله من خاصتي وأهل مشورتى
 فلما كلمه أي خاطبه الملك وعرفه

الروح من الجسد وبه قال الحسن فالتعبير بالروح عن الوحي على طريق الاستعارة
 التصريحية بجماع ان الروح به احياء البدن والوحي به احياء القلوب من الجهالات وقيل
 المراد ارواح الخلائق وقيل الرحمة وقيل الهداية لانها تحياها القلوب كما تحيا الابدان
 بالارواح قال الزجاج الروح ما كان فيه من الله حياة بالارشاد الى أمره وقال أبو عبيدة
 الروح هنا جبريل ويكون الباء على هذا بمعنى مع وعن ابن عباس قال الروح أمر من
 أمر الله وخلق من خلق الله وصورهم على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الامم معه
 واحد من الروح ثم تلا يوم يقوم الروح والملائكة صفا ومن في (من أمره) بيانية أي
 ناشئا ومبتدئا من أمره أو صفة للروح أو متعلق ينزل (على من يشاء من عباده) بمعنى من
 يصطفيه للنسبة والرسالة وتبلغ الوحي الى الخلق وهم الانبياء ووجه اتصال هذه الجملة
 بما قبلها انه صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبرهم عن الله انه قد قرب أمره ونهاهم عن
 الاستعجال ترددوا في الطريق التي علم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فاخبرانه
 علم بها بالوحي على ألسن رسل الله سبحانه من ملائكته (ان أنذروا) قال الزجاج أي ينزلهم
 بان أنذروا أو المعنى بان الشأن أقول لكم أنذروا أي أعلموا الناس وعبرة البضاوى وان
 مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر تدلان الروح
 أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة (أنه لا اله الا أنا) أي مروهم بتوحيدي
 وأعلموهم ذلك مع تخويفهم لان في الانذار تخويفا وتهديدا والضمير في انه للسان (فاتقون)
 رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود والخطاب للمستعجلين على طريق الالتفات وهو تحذير
 لهم من الشرك بالله والفناء فصيحة وفي الشهاب اذا كان الانذار بمعنى التقويم فالظاهر
 دخول فاتقون في المندربة لانه هو المندربة في الحقيقة واذا كان بمعنى الاعلام فالمقصود
 بالاعلام هو الجملة الاولى وهذا متفرع عليها انتهى وفيه تنبيه على الاحكام الفرعية بعد
 التنبيه على الاحكام العلمية بقوله أنه لا اله الا أنا فقد جعلت هذه الآية بين الاحكام
 الاصلية والفرعية ثم انه سبحانه لما أرشدهم الى توحيد الله ذكر دلائل التوحيد فقال
 (خلق السموات والارض) أي أوجد هما على هذه الصفة التي هما عليها (بالحق) أي
 للدلالة على قدرته ووحدانيته وقيل المراد بالحق هنا الفناء والزوال (تعالى) الله
 (عما يشركون) أي تقدم وترفع عن اشراكهم أو عن شريكه الذي يجعلونه شريكا له

ورأى فنهله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكما قال له الملك انك اليوم لدينا مكيين أمين أي انك
 عندنا قد بقيت ذامكانة وأمانة فقال يوسف عليه السلام اجعلني على خزان الارض اني حفيظ عليم مدح نفسه ويجوز للرجل
 ذلك اذا جهل أمره للعاجلة وذكر انه حفيظ أي خازن أمين عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه وقال شيبه بن نعامه حفيظ لما
 استودعني عليم بسني الجذب رواه ابن ابى حاتم وسأل العمل لعله بقدرته عليه ولما فيه من المصالح للناس وانما سأل ان يجعله على
 خزان الارض وهي الاهرام التي يجمع فيها الغلات لما يباستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها فيتصرف لهم على الوجه

الاحوط والاصلح والارشاد فاجيب الى ذلك رغبة فيه وتكرمة له ولهذا قال تعالى (وكذلك مكاب يوسف في الارض يتبوء امنها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولا جبر الاخرة خيز للذين آمنوا وكانوا يتقون) يقول تعالى وكذلك مكاب يوسف في الارض اي ارض مصر يتبوء امنها حيث يشاء قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم يتصرف فيها كيف يشاء وقال ابن جرير يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والايثار نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين أي وما أضعنا صبر يوسف على أذى اخوته وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز فلهذا (٢٠٩) عقبه الله عز وجل السلام والنصر والتأييد

ولا نضيع أجر المحسنين ولا جبر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون يخبر تعالى ان ما ادخره الله تعالى لنبية يوسف عليه السلام في الدار الاخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والمفوض في الدنيا كقوله في حق سليمان عليه السلام هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا الزاني وحسن ما ب والغرض ان يوسف عليه السلام ولده ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر مكان الذي اشتراه من مصر زوج التي راودته وأسلم الملك على يد يوسف عليه السلام قاله مجاهد وقال محمد ابن اسحق لما قال يوسف للملك اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم قال الملك قد فعلت فولاه فيما ذكره واصل اطنير وعزل اطنير عما كان عليه يقول الله عز وجل وكذلك مكاب يوسف في الارض يتبوء امنها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين قال فذكري والله اعلم ان اطنير هلك في تلك اللبالي وان الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطنير را عيل وانها

وقيل عما يشركونه من الاصنام أو منهما أي السموات والارض ثم لما كان نوع الانسان أشرف أنواع المخلوقات السفلية قدمه وخصه بالذ كرف قال (خلق الانسان) وهو اسم الجنس هذا النوع (من نطفة) أي من جناد يخرج من حيوان وهو المني فقلبه أطوارا الى ان كملت صورته ونفخ فيه الروح وأخرجه من بطن أمه الى هذه الدار فعاش فيها ومن لا تده الغاية وانتهى لها محذوف كما قرره الكرخي والنطفة القطرة من الماء يقال نطف رأسه ماء أي قطروا في الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل والمرأة جمعها نطف ونطاف ولا يستعمل للنطفة فعل من انظها (فاذا هو) بعد خلقه على هذه الصفة (خصيم) كثير الخصومة والمجادلة والمعنى انه كالمخاصم لله سبحانه في قدرته (مبين) ظاهر الخصومة ووضحها وقيل يبين عن نفسه ما يخاصم به من الباطل والمبين هو المقصص عما في ضميره بنطفة ومثله قوله تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين قيل نزلت في أبي بن خلف والاولى انها عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة فانه لا اعتبار بخصوص السبب اذا اقتضى المقام العموم كما تقر قال الكرخي ان هذه ذكرت لتقرير الاستدلال على وجود الصانع الحكيم لا لتقرير وقاحة الناس وتماديهم في الغي والكفر ثم عقب ذكر خلق الانسان بخلق الانعام لما فيها من النفع لهذا النوع والامتنان بها أكمل من الامتنان بغيرها فقال (والانعام خلقها) وهي الابل والبقر والغنم ويدخل في الغنم المعز وأكثرا يقال نعم وأنعام للابل ويقال للمجموع ولا يقال للغنم مفردة وقال الجوهرى والنعم واحد الانعام وأكثرا يقع هذا الاسم على الابل ثم لما أخبر سبحانه بانه خلقها لبي آدم بين المنفعة التي فيها لهم قال الواحد ي تم الكلام عند هذا ثم ابتدأ فقال (لكم فيها دفء) ويجوز أن يكون غنامه عند قوله لكم والاولى وأحسن والدفء السخانة وهو ما استدفع به من أصوافها وأوبراها وأشعارها قال ابن عباس دفء الثياب أي من الأكسية والاردية قال بعض المفسرين ان في الآية التناثنا من الغيبة في الانسان الى الخطاب في لكم فيقتضي ان الخطاب مطلق بن آدم المنسدرجين تحت الانسان (ومنافع) أي ما يدفعون به من الاطعمة والاشربة قاله ابن عباس وهي درها وركوبها وتاجها والحراثة ونحو ذلك وقد قيل ان الدفء التاج واللبن قال في الصداح الدفء تاج الابل وألبانها وما ينتفع به منها ثم قال والدفء أيضا السخونة وعلى هذا

(٢٧ فتح البيان خامس) حين دخلت عليه قال لها أليس هذا خير مما كنت تريد ان قال فيزعمون انه قالت أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتني النساء وكنت كما جعلك الله في حسنة وهيتك على ما رأيت فيزعمون انه وجدها عذراء فاصابها فولدت له رجلين أفراسيم بن يوسف وميشان بن يوسف وولد لافراسيم نون والد يوشع بن نون وورجة امرأة أيوب عليه السلام وقال الفضيل بن عياض وقفت امرأة العزيز على ظهر الطريق حتى مر يوسف فقالت الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا بطاعته والملوك عبيدا بمعصيته (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم

بجهازهم قال انشوفى بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المزاين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا ستراد عنه أبادوا نالفا علون وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونهم اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون ذكر السدي ومحمد بن اسحق وغيرهما من المفسرين ان السبب الذي أقدم اخوة يوسف بلادمصر ان يوسف عليه السلام لم يباشر الوزارة بمصر رمضت السبع سنين المخصصة ثم تلتها السبع سنين المجذبة وعم القبط بلادمصر بكملها ووصل الى بلاد كنعان وهى فيها يعقوب عليه السلام وأولاده وحينئذ احتاط يوسف (٢١٠) عليه السلام للناس في غلاتهم وجعلها أحسن جمع فحصل من ذلك

مبلغ عظيم وهذا ما متعدد هائله وورد عليه الناس من سائر الاقاليم والمعاملات يتبارون لانفسهم وعيالهم فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة وكان عليه السلام لا يبيع نفسه ولا يأكل هو والمالك وجنوده ما الا كلمة واحدة في وسط النهار حتى يتسكفوا الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر وما ذكره بعض المفسرين من انه باعه في السنة الاولى بالاموال وفي الثانية بالمتاع وفي الثالثة بكذا وفي الرابعة بكذا حتى باعهم بانفسهم وأولادهم بعد ما يملك عليهم جميع ما يملكون ثم أعتقهم ورد عليهم أموالهم كلها الله أعلم بصحة ذلك وهو من الاسرار البليات التي لا تصدق ولا تكذب والغرض انه كان في جملته من ورد للميرة اخوة يوسف عن أمراء ابيهم لم لهم في ذلك فانه بلغه ان عزيز مصر يعطى الناس الطعام بتمنه فاخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعاما وروى كعب بن الأشرف عن يوسف عليه السلام بنينا من شقيق يوسف عليه السلام

فان أريد بالدفء المعنى الاول فلا بد من حمل المنافع على ما عدا ما ينتفع به منها وان حمل على المعنى الثاني كان تفسير المنافع بما ذكرناه واضحاً وقيل المراد بالمنافع التساج خاصة وقيل الركوب (ومنها) اى من لحومها وشحومها (تأكلون) وخص هذه المنفعة بالذكر مع دخولها تحت المنافع لانها أعظمها وقيل خصها لان الانتفاع بلحمها وشحومها تقدم عندها عنها بخلاف غير من المنافع التي فيها أو تقديم الظرف المؤذن بالاختصاص للاشارة الى ان الاكل منها هو الأصل وغيره نادر فالأكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر يجري مجرى التنسكه وقيل تقديم الظرف للخاصة لانه لا للعصر ولما كانت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل قدمه على الأكل (وليكنم فيها) مع ما تقدم ذكره (جمال) هو ما يجعل به ويتزين والحسن والمعنى هنا لكم فيها اتجمل وتزين عند الناظرين اليها (حين تريحون وحين تسرحون) اى في هذين الوقتين وهما وقت ردها من مراعيها ووقت تسريحها اليها فالرواح والاراحة رجوعها بالعيشى وردها من المراعى والسرّاح مذهبها الى مراعيها بالقدادة يقال سرحت الابل أسرحها سرحاً وسروحا اذا غدت به الى المرعى وقدم الراحة على التسريح مع انه خلاف الواقع لان منظرها عند الراحة أجمل وذواتها أحسن لكونها في تلك الحالة قد نالت حاجتها من الأكل والشرب فعظمت بطونهم وانتفعت ذروعها فيسرح أهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع وخص هذين الوقتين لانها ما وقت نظر الناظرين اليها لانها عند ما تستقر ارضها في الحظائر لا يراها أحد وعند كونها في مراعيها هى متفرقة غير مجمعة كل واحد منها يرمى في جانب وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلاب وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون النعم في هذا الوقت فانه يسمع للابل رغاء وللبقر خوار وللشياه نغاء يجاب بعضها بعضاً (وتحمل) اى الانعام والمراد بها هنا الابل خاصة (أثقالكم) جمع ثقل وهو متاع المسافرين طعام وغيره وسعى ثقلاً لانه يثقل الانسان حمله وقيل المراد بأثقالهم (الى بلد) غير بلدكم (لم تكونوا بالغبية) اى واصلين اليه ولم يكن معكم ابل تحمل أثقالكم (الابشقر الانفس) لبعده عنكم وعدم وجود ما يحمل ما لا بد لكم منه في السفر وظاهره يتناول كل بلد بعيد من غير تعيين وقيل المراد بالبلد مكة قاله ابن عباس وقيل البين ومصر والشام

وكان أحب ولده اليه بعد يوسف فلما دخلوا الى يوسف وهو جالس في أبيته ورياسته وسيادته عرفهم حين نظر لانها اليهم وهم له منكرون اى لا يعرفونه لانهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة ولم يدروا أين يذهبون به ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم ان يصبر الى ما صار اليه فلما لم يعرفوه وأما هو فعرفهم فذكر السدي وغيره انه شرع يحاط بهم فقال لهم كلنكر عليهم ما أقدمكم بلادي فقالوا أيها العزيز اننا قد منالامية قال لعلكم عيون قالوا معاذ الله قال فمن أين أنتم قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نرى الله قال وله أولاد غيركم قالوا نعم كاثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا الى أبيه وبني شقيقه فاحتبس

أبوه ليتسلى به عنه فأمر بآثارهم وأكرامهم ولما جهزهم بجهازهم أي أوفى لهم - مكيلهم وحمل لهم أجالهم قال اثنوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم لا علم صدقكم فيما ذكرتم ألا ترون أني أوفى الكيل وأناخذ به المتزايين رغبتهم - م في الرجوع اليه ثم رهبهم - م فقال فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى الآية أي ان لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندى ميرة ولا تقرّبون قالوا سبنا وادعنا أباه وانا لفاعلون أي - منحصر على مجيئه اليك بكل ممكن ولا يبقى مجهود التعلم صدقنا فيما قلناه وذكر السدي أنه أخذ منهم رهائش حتى يقدموا به معهم وفي هذا نظر لانه أحسن اليهم - م ورغبهم كثيرا وهذا (٢١١) بل حرصه على رجوعهم وقال لفتيانه أي علمانه

اجعلوا بضاعتهم أي التي قدموا بها ليمتاروا وعوضا عنها في رجالهم - م أي في أمتعتهم - م من حيث لا يشعرون اعلمهم - م يرجعون بها قبل خشي يوسف عليه السلام أن لا يكون عندهم - م بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها وقيل تدمم ان يأخذ من أبيه - م واخوته عوضا عن الطعام وقيل أراد أن يردّهم - م اذا وجدوا في متاعهم - م تحريبا وتورعا لانه يعلم ذلك منهم والله أعلم (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبا نانع منا الكيل فارسل معنا أخانا تكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على أخيه من قبل فآله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) يقول تعالى عنهم انهم رجعوا الى أبيهم - م قالوا يا أبا نانع منا الكيل يعنون بعد هذه المرة ان لم ترسل معنا أخانا بنينا من فارس له معنا يكتل وانا له لحافظون وقرأ بعضهم - م بالياء - م ولهذا قال لهم هل آمنكم عليه الا كما آمنتمكم على أخيه من قبل

لانهم امتاحوا العرب وشقوا لانفس مشقتها قرئ بكسر الشين وفتحها قال الجوهري الشق المشقة ومنه قوله تعالى لا يشق الانفس وحكي أبو عبيدة فتح الشين وهماء معني ويجوز أن يكون المفتوح مصدرا من شقت عليه أشق شقا والمكسور بمعنى النصف يقال أخذت شق الشاة وشقة الشاة ويكون المعنى على هذا لم تكونوا بالغية الا بذهاب نصف الانفس من التعب قدامن الله سبحانه على عباده بخلق الانعام على العموم ثم خص الابل بالذكرا فإياهم من نعمة حمل الاثقال دون البقر والغنم والاستثناء من أعم العام أي لم تكونوا بالغية بشئ من الاشياء الا بشق الانفس قال ابن عباس لو تكلفتموه لم تطيقوه الا بجهد شديد (ان ربكم لرؤوف رحيم) حيث رجحكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) أي وخلق لكم هذه الثلاثة الاصناف وسميت الخيل خيلا لاختيارها في مشيها وواحد الخيل خائل كضائن واحد الضأن وقيل اسم جنس لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو الفرس والبغال جمع بغل وهو المتولد من الخيل والحمير والحمير جمع حمار ثم علل سبحانه خلق هذه الأنواع الثلاثة بقوله (لتركبوها) وهذه العلة هي باعتبار معظم منافعها لان الانتفاع بها في غير الركوب معلوم كالتمثيل عليها (وزينة) عطف على محل لتركبوها لانها في محل نصب على انه علة لخلقها ولم يقل لتركبوها بها حتى يطابق لتركبوها لان الركوب فعل الخطابين والزينة فعل الزائنه وهو الخالق والتحقيق فيه ان الركوب هو المعبر في المقصود بخلاف الزينة فانه لا يلتفت اليه أهل الهمم العالية لانه يورث العجب فكأنه سبحانه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا بواسطتها عن أنفسكم شررا لا اعياء والمشقة وأما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات وقد استدل بهذه الآية الثنايئون بتحريم لحوم الخيل قائلين بان التعليل بالركوب يدل على انها مخلوقة لهذه المصلحة دون غيرها قالوا لو يؤيد ذلك افراد هذه الأنواع الثلاثة بالذكروا خراجها عن الانعام فينبذ ذلك اتحاد حكمها في تحريم الاكل قالوا ولو كان كل الخيل جائزا لكان ذكره والامتنان به أولى من ذكر الركوب لانه أعظم فائدة منه وقد ذهب الى هذا مالك وأبو حنيفة وأصحابهما والاوزاعي ومجاهد وأبو عبيد وغيرهم وذهب الجمهور من الفقهاء والحدثين وغيرهم الى حل لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي وأحمد وأصحق ولا حجة لأهل القول

أي هل أنتم صانعون به الا كما صنعتم بأخيه من قبل تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه فآله خير حفظا وقرأ بعضهم حافظا وهو أرحم الراحمين أي هو أرحم الراحمين بي وسيرحم كبري وضعني ووجدني بولدي وأرجو من الله أن يردّه عليّ ويجمع شملتي به انه أرحم الراحمين (ولما قصوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبا نانعنا هذه بضاعتنا ردت الينا وغير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتني به الا ان يحاط بكم فلما أتوه منهم نتههم قال الله على ما نقول وكيل) يقول تعالى ولما فتح اخوة يوسف متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وهي التي كان امر يوسف قتيانه بوضعها

في حالهم فلما وجدوها في متاعهم قالوا يا ابا ناسي اي ماذا تريد هذه بضاعتنا ردت اليك كما قال قتادة ما ينبغي وراء هذا ان
بضاعتنا ردت اليك وقد اوفى لنا الكيل وغير اهلنا اي اذا ارسلت اخانا معنا ناتي بالميرة الى اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير وذلك
ان يوسف عليه السلام كان يعطي كل رجل حمل بعير وقال مجاهد حمل جمار وقد يسمى في بعض اللغات بعيرا كذا قال ذلك كيل
يسير هذا من تمام الكلام وتحسينه اي ان هذا يبر في مقابلة اخذ اخيهم ما يعدل هذا قال ابن ارسطو معكم حتى تؤثوني موثقا من
الله اي تخدشون باليهود والموائيق لتأثني به (٢١٢) الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا كلكم ولا تقدر ان تحلصه فلما اتوه

موثقيهم كده عليهم فقال الله على
ما تقول وكيل قال ابن اسحق وانما
فعل ذلك لانه لم يجد بدا من بعثهم
لاجل الميرة التي لا غنى لهم عنها
فبعثه معهم (وقال يابن لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وما أغنى عنكم من الله من
شيء ان الحكم الا الله عليه توكلت
وعليه فليستوكل المتوكلون ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوههم ما كان
يغنى عنهم من الله من شيء الحاجة
في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم
لما علمناه ولكن اكثرت الناس
لا يعلمون) يقول تعالى اخبارا عن
يعقوب عليه السلام انه امر بنيته
لما جهزهم مع اخيهم بنيامين الى
مصر ان لا يدخلوا كاهم من باب
واحد وليدخلوا من ابواب متفرقة
فانه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب
ومجاهد والفصاح وقتادة والسدي
 وغير واحد انه خشي عليهم العين
 وذلك انهم كانوا ذوي جمال وهيئة
 حسنة ومنظر وجه انفوشي عليهم
 ان يصيهم الناس بعينهم فان العين
 حق تستنزل الفارس عن فرسه
 وروى ابن ابي حاتم عن ابراهيم

الاول في التعليل بقوله اتركوها لان ذكراها هو الاغلب من منافعها لا ينفي غيره ولا نسلم
ان الاكل اكثر فائدة من الركوب حتى يذكروا يكون ذكرا أقدم من ذكر الركب وأيضا
لو كانت هذه الآية تدل على تحريم الخيل لدلت على تحريم الجر الاهلية وحينئذ لا يكون
ثم حاجة لتجديد التحريم لها عام خبير وقد قدمنا ان هذه السورة مكية والحاصل ان الأدلة
الصحيحة قد دلت على حل كل لحوم الخيل فلو سلمنا ان في هذه الآية متمسكا للقتالين
بالتحريم لكانت السنة المطهرة النافذة رافعة لهذا الاحتمال ودافعة لهذا الاستدلال
وقد اوضح الشوكاني هذه المسئلة في وثائقه بما لا يحتاج الناظر فيه الى غيره وقد ورد
في حل كل لحوم الخيل أحاديث منها ما في الصحيحين وغيرهما من حديث أسماء قالت
خبرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسافا كناه وأخرج أبو عبيد وابن
أبي شيبة والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن جابر قال أطلعنا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الجر الاهلية وأخرج أبو
داود ونحوه من حديثه أيضا وهما على شرط مسلم ونبت ايضا في الصحيحين من حديث جابر
قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن لحوم الجر الاهلية وأذن في الخيل وأما
ما أخرجه أبو عبيد وابوداود والنسائي من حديث خالد بن الوليد قال سمعنا رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن لحوم الخيل والبعال والخير في
اسناده صالح بن يحيى بن ابي المقدام وفيه مقال ولو فرضنا ان الحديث صحيح لم يقو على
معارضة أحاديث الحل على انه يمكن ان هذا الحديث المصرح بالتحريم متقدم على يوم
خير فيكون منسوخا (ويخلق ما لا تعلمون) من الاشياء المحيية والغريبة مما لا يحيط
علمكم به من المخلوقات غير ما قد عددهمنا وقيل المراد من أنواع الحشرات والهوام
في أسافل الارض وفي البحر مما لم يره البشر ولم يسمعه وقيل هو ما أعده الله لعباده في الجنة
وفي النار مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولا يخبر على قلب بشر وقيل هو خلق السوس في
النبات والدود في الثواكه وقيل عين تحت العرش وقيل نهر من النور وقيل ارض بيضاء
ولا وجه للاقتصار في تفسير هذه الآية على نوع من هذه الأنواع بل المراد انه سبحانه يخلق
ما لا يعلم به العباد فيشمل كل شيء لا يحيط علمهم به والتعبير هنا باللفظ المستقبلي لاستحضار
الصورة لانه سبحانه قد خلق ما لم يعلم به العباد ولا يأتي عليه الحصر والعد وأخرج

النضمي في الآية في قوله وادخلوا من ابواب متفرقة قال علم انه سبقي اخوته في بعض تلك الابواب وقوله وما أغنى
عنكم من الله من شيء أي هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاه فان الله اذا أراد شيئا لا يخالف ولا يعانع ان الحكم الا الله عليه توكلت
وعليه فليستوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوههم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الحاجة في نفس يعقوب قضاها
قالوا هي دفع اصابة العين لهم وانه لذو علم لما علمناه قال قتادة والنوري لذو علم يعلمه وقال ابن جرير لذو علم لتعليمناياه ولكن أكثر
لا يعلمون (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن اخوة يوسف

لما قدموا على يوسف ومعه أخوه شقيقه بنيامين وأدخلهم داركرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلوة والالطاف والاحسان واختل باخيه فاطلعه على شأنه وما جرى له وعرفه انه أخوه وقال له لا تبسوس أي لا تأسف على ما صنعوا بي وأمره بكتان ذلك عنهم وان لا يطلعهم على ما أطلعه عليه من انه أخوه وتواطأ معه انه سيحتال على ان يبقيه عنده معززاً مكرماً عظيماً فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رجل أخيه ثم أذن مؤذن أيتم العير انكم لسارقون فالووا فقبولوا عليهم ماذا انتقدون قالوا انتقد صواع الملك ولمن جاء به حل بعيراً نابه زعيم) لما جهزهم وحل لهم أبعرتهم طعاماً (٢١٣) أمر بعض فتيانه ان يضع السقاية وهي انامن

فضة في قول الاكثرين وقيل من ذهب قال ابن زيد كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعام اذ ذاك قاله ابن عباس ومجاهد وقتاده والفضاء وعبد الرحمن بن زيد وقال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس صواع الملك قال كان من فضة يشربون فيه وكان مثل المكوك وكان للعباس مثله في الجاهلية فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ثم نادى مناديينهم أيتم العير انكم لسارقون فالتفتوا الى المنادى وقالوا ماذا انتقدون قالوا انتقد صواع الملك أي صاعه الذي يكيل به ولمن جاء به حل بعير وهذا من باب الجمالة وانا به زعيم وهذا من باب الضمان والكفالة (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجهما من وعاء أخيه كذلك كذا يوسف ما كان لياخذ

ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان مما خلق الله أراضاً من لؤلؤ بيضاء ثم ساق من أوصافها ما يدل على ان الحديث موضوع ثم قال في آخره فذلك قوله ويخلق ما لا تعلمون (وعلى الله قصد السبيل) القصد مصدر يعنى الفاعل فالعنى وعلى الله هداية قاصد الطريق المستقيم عوجب وعده المحتوم وتفصله الواسع وقيل هو على حذف مضاف والتقدير وعلى الله بيان قصد السبيل والسبيل الاسلام وبيانه بارسال الرسل وانزال الكتب واقامة الحجج والبراهين والقصد في السبيل هو كونه موصل الى المطلوب فالعنى وعلى الله بيان الطرق الموصلة الى المطلوب (ومنها) الضمير راجع الى السبيل يعنى الطريق لانها تذكر وتوثق أولانها في معنى سبيل فانت على معنى الجمع وقيل راجع اليها بتقدير مضاف أي ومن جنس السبيل (جائر) مائل عن الحق والجور العدول عن الاستقامة وقيل ان الطريق كناية عن صاحبها والمعنى ومنهم جائر عن سبيل الحق أي عادل عنه فلا يهتدى اليه قبل وهم أهل الاهواء المختلفة وقيل أهل الملل الكفرية فقصد السبيل هو دين الاسلام والجائر المنهادين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقيل قصد السبيل السنة المطهرة والجائر البدع المخذلة قال ابن عباس على الله ان يبين الهدى والضلالة ومنها جائر قال السبيل المتفرقة وقال قتادة وعلى الله بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومنها جائر قال من السبيل ناكب عن الحق وعن على كان يقرأ ومنكم جائر (ولو شاء لهداكم أجمعين) أي ولو شاء ان يهديكم جميعاً هداية موصلة الى الطريق الواضح الصحيح والمنهج الحق الصريح لنعلم ذلك ولكنه لم يشأ بل اقتضت مشيئته سبحانه اراءة الطريق والدلالة عليها كما قال وهديناه النجدين وأما الاتصال اليها بالنعل فذلك يستلزم ان لا يوجد في العباد كافر ولا من يستحق النار من المسلمين وقد اقتضت المشيئة الربانية بكون البعض مؤمناً والبعض كافراً كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ولما استدلل سبحانه على وجوده وكمال قدرته وبديع صنعته بمجائب أحوال الحيوانات أراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب أحوال النبات فقال (هو الذي أنزل من) جهة (السماء) وهي السحاب (ماء) أي نوعاً من أنواع الماء وهو المطر (لكم منه شراب) هو اسم لما شرب كالطعام لما يطعم والمعنى ان الماء النازل من السماء قسمان قسم يشربه الناس ومن جلته ماء الآبار والعيون فانه من المطر لتوله

أخاه في دين الملك الا ان يشاء الله ترفع درجات من نشأ وفوق كل ذي علم عليم) لما اتهمهم أولئك النسيان بالسرقة قال لهم اخوة يوسف تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين أي لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا لانهم شاهدوا منهم سيرة حسنة انا ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين أي ليست سبحانه انا نقض في هذه الصفة فقال لهم النسيان فما جزاؤه أي السارق ان كان فيكم ان كنتم كاذبين أي شئ يكون عقوبته ان وجدنا فيكم من أخذ هذه قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين وهكذا كانت شريعة ابراهيم عليه السلام ان السارق يدفع الى المهر ورق منه وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام

ولهذا بدأوا بعيتهم قبل وعاء أخيه أي فتشم اقبله بقرينة ثم استخرجهما من وعاء أخيه فاخذهم منهم بحكم اعترافهم والتزامهم والزامهم
 ائهم بما يعقدونه ولهذا قال تعالى كذلك كذا ليوسف وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه ويرضاه لما فيه من الحكمة
 والمصلحة المطلوبة وقوله ما كان لياخذ أخاه في دين الملك أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر قاله الفضال وغيره وانما قبض الله له ان
 التزم له اخوته بما التزموه وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ولهذا مدحه الله تعالى فقال نرفع درجات من نشاء كما قال تعالى يرفع الله
 الذين آمنوا منكم الآية وفوق كل ذي علم عليم (٢١٤) قال الحسن البصري ليس عالم الا فوقه عالم حتى ينتهي الى الله عز وجل

فذلك ينابيع في الارض (و) قسم يحصل (منه شجر) ترعاه المواشي قال الزجاج
 كل ما تب من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا
 اختلط أصوات بعضهم ببعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلأ وفيما له
 ساق وقال ابن قتيبة المراد من الشجر في الآية الكلأ وقيل الشجر كل ماله ساق لقوله تعالى
 والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم مالا ساق له وجب ان
 يكون الشجر ماله ساق وأجيب بان عطف الجنس على النوع جائز (فيه تسهيون) أي
 في الشجر ترعون مواشيكم يقال سامت السائمة تسوم سومارعت فهي سائمة وأسماها أي
 أخرجهما الى الرعي فانما سميت وهي مسامة وسائمة وأصل السوم الابعاد في الرعي قال
 الزجاج أخذ من السومة وهي العلامة لانها تؤثر في الارض علامات برعيها وهذه الآية
 مبنية على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بمن يكون تحت يده أكمل من
 اهتمامه بنفسه وأما الآية الاخرى كانوا وارعوا انعامكم فبنية على قوله صلى الله عليه
 وآله وسلم ابدأ بنفسك ثم عن تعول (ينبت) الله (لكم به) أي بذلك الماء الذي أنزله
 من السماء وهذا استئناف اخبار عن منافع الماء وقدم (الزرع) لانه أصل الاغذية
 التي يعيش بها الناس وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما
 (و) ذكر (الزيتون) بعد الزرع لكونه فاكهة من وجهه واداما من وجهه لكثرته
 ما فيه من الدهن والبركة وهو جمع زيتونة ويقال للشجرة نفسها زيتونة (و) ذكر
 (التين) لكونه غذاء وفاكهة وهو مع الغنم أشرف الفواكه (و) جمع
 (الاعناب) لاشتمالها على الاصناف المختلفة وهي شبه النخلة في المنفعة من التمشك
 والغذية ثم أشار الى سائر الثمرات اجمالا فقال (ومن كل الثمرات) كما أجمل الحيوانات
 التي لم يذكرها فيما سبق بقوله ويخلق ما لا تعلمون ومن تبعضية اذ كلها انما يوجد في
 الجنة وما أنبت الارض بعض من كلها للتذكير (ان في ذلك) الانزال والانبات (لاية)
 عظيمة دالة على كمال القدرة والتفرد بالربوبية (لقوم يفكرون) في مخلوقات الله ولا
 يهلون النظر في مصنوعاته قد ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات خمس بالافراد
 وثنان بالجمع قال الكرماني ما جاء بلفظ الافراد لوحده المدلول وهو الله تعالى وما جاء
 منها بالنظر بالجمع فلما نسبة مسخرات انتهى وختم هذه الفاصلة بالتشكر لان النظر في ذلك

وكذلك روى عبد الرزاق عن سفيان
 الثوري عن عبد الاعلى النعلبي
 عن سعيد بن جبيرة قال كان عبد ابن
 عباس يحدث بحديث عجيب
 فتعجب رجل فقال الحمد لله فوق كل
 ذي علم عليم قال يكون هذا علم من
 هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق
 كل عالم وهكذا قال عكرمة وقال
 قتادة وفوق كل ذي علم عليم حتى
 ينتهي العلم الى الله منه بدى وتعلمت
 العلماء واليه يعود وفي قراءة عبد
 الله وفوق كل عالم عليم (قالوا ان
 يسرق فقد سرق أخ له من قبل
 فاسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها
 لهم قال أنتم شرمكانا والله أعلم
 بما تصنون) وقال اخوة يوسف
 لما راوا السواع قد أخرج من متاع
 بنيامين ان يسرق فقد سرق
 أخ له من قبل ينصلون الى العزيز
 بالانبياس به ويدكرون ان هذا
 فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون
 به يوسف عليه السلام قال سعيد
 ابن جبيرة عن قتادة كان يوسف
 عليه السلام قد سرق صنما لجدته
 أبي أمه فكسره وقال محمد بن
 اسحق عن عبد الله بن أبي نجيع
 عن مجاهد قال كان أول ما دخل

على يوسف من البلاء فيما بلغني ان عمته ابنة اسحق وكانت أكبر ولد اسحق وكانت عندها منطقة اسحق وكانوا
 يتوارثونها بالكبر وكان من اختبأها ممن ولها كان له سلا لا ينزع فيه يصنع فيه ما يشاء وكان يعقوب حين ولده يوسف قد حضنته
 عمته وكان اهابه وله فلم تحب أحدا حبها اياه حتى اذا ترعرع وبلغ سنوات تافقت اليه نفس يعقوب عليه السلام فأتاها فقال
 يا أخنوخة صلى الى يوسف فوالله ما اقدر على ان يغيب عني ساعة قالت فوالله ما أبنا ركة ثم قالت فدعه عندي اياما أنظر اليه
 وأسكنه عنه لعل ذلك يسكنني عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت الى منطقة اسحق فخرمتها على يوسف من تحت

نسابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق عليه السلام فأتطروا من أخذها ومن أصابها فالتست ثم قالت اضع كشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لي سلم اصنع فيه ماشئت فأتاها يعقوب فاخبرته الخبر فقال لها أنت وذلك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك فامسكته فاقدر عليه يعقوب حتى مات قال فهو الذي يقول اخوة يوسف حين صنع باخيه ما صنع حين أخذه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وقوله فاسرها يوسف في نفسه يعنى الكلمة التي بعدها وهي قوله أنتم شرمكانا والله أعلم بما تصفون أى تذكرون قال هذا في نفسه (٢١٥) ولم يیده لهم وهذا من باب الازممار قبل الذكر وهو

كثير كقول الشاعر

حزى بنوه بأب الغميلان عن كبر
وحسن ظن كما يجزى سمنار
وله شواهد كثيرة في القرآن
والحديث واللغة في منشورها
وأخبارها وأشعارها قال العوفي
عن ابن عباس فاسرها يوسف في
نفسه قال أسرى في نفسه وأنتم
شرمكانا والله أعلم بما تصفون
(قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا
كبيرا أخذنا من مكانه انا
نزالك من المحسنين قال معاذ الله
ان نأخذ الامن وجدنا متاعنا عنده
أنا اذ الظالمون) لما عني أخذ
بنيامين وقرر تركه عند يوسف
بمقتضى اعترافهم شرعوا بترقوتون
له ويعطونه عليهم فقالوا يا أيها
العزيز ان له أبا شيخا كبيرا يعنون
وهو يحبه حبا شديدا ويسلى به
عن ولده الذي فقده فخذنا من
مكانه أى بدله يكون عندك عوضا
عنه انا نزالك من المحسنين أى
العادلين المنصفين القابلين للغير
قال معاذ الله ان نأخذ الامن
وجدنا متاعنا عنده أى كما قلتم
واعترفتم انا اذ الظالمون أى ان

يعنى ان نبات النبات بالماء يحتاج الى مزيد تأمل واستعمال فذكر ألا ترى ان الحبة الواحدة
اذا وضعت في الارض ومصر عليها مقدار من الزمان مع رطوبة الارض فانها تنتفخ
وينشق اءلاها فتصعد منه شجرة الى الهواء وأسفلها تغوص منه عروق في الارض
ثم ينمو الاعلى ويقوى وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار المشتملة على
أجسام مختلفة الطباع والطعوم والالوان والروائح والاشكال والمنافع ومن تفكر في
ذلك علم ان من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شئ في شئ من صفات الكمال فضلا عن
ان يشركه أخس الاشياء في أخص صفاته التي هي الالهية واستحقاق العبادة تعالى عن
ذلك علوا كبيرا اذ كره الخازن وأبو السعود (وسخر لكم الليل والنهار) معنى تسخيرهما
للناس نصيرهما نافعين لهم بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم يتعاقبان
دائما كالعبد الطائع لسيد لا يخالف ما يأمر به ولا يخرج عن ارادته ولا يهمل السعي
في نفسه (و) كذا الكلام في تسخير (الشمس والقمر) قوله (النجوم) قرأ
حفص عن عاصم برفعه على انه مبتدأ وخبره (مسخرات) أى مذلات مقهورات
(بأمره) تعالى مجرى على غلط متعدي يستدل بها العباد على مقادير الاوقات ويمتدون
بها ويعرفون أجزاء الزمان ولا تصرف لها في نفسها فضلا عن غيرها وفيه رد على الفلاسفة
والمخمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم هي النعالة المتصرف في العالم السفلى فاخبر
سبحانه اتم امدلات تحت قهره وارادته (ان في ذلك) التسخير وما بعده (آيات لقوم
يعقلون) أى يعملون عقولهم في هذه الآيات الدالة على وجود الصانع وتترده وعدم
وجود شرك له وختم الناصلة الثانية بالعقل لان الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة
الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة وجمع الآيات لطابق قوله مسخرات وقيل ان
وجه الجمع هو ان كلام تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية في نفسها بخلاف
ما تقدم من الانبات فانه آية واحدة ولا يخلو كل هذا عن تكلف والاولى ان يقال ان هذه
المواضع التي أفرد الآيات في بعضها وجمعها في بعضها كل واحد منها يصلح للجمع باعتبار
وللافراد باعتبار فلم يجزها على طريقة واحدة افتنانا وتبيينها على جواز الامرين وحسن
كل واحد منهما (وما ذرا) أى خلق (لكم في الارض) يقال ذرا الله الخلق يذروهم
ذرا فهو ذارى ومنه الذرية وهي نسل الثقلين وقد تقدم تحقيق هذا أى وسخر لكم ما ذرا في

أخذنا بيا بسقيم (فلما استياسوا منه خلاصا ونجيا قال كبيرهم ألم تعلموا ان آباكم قد أخذوا عليكم موثقا من الله ومن قبل
ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى آيكم فتقولوا يا آبا ان ابنك
سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كانوا فيها والعبير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون) يخبر تعالى
عن اخوة يوسف انهم لما يسوا من تخليص أخيه بنيامين الذي قد التزموا اليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم ذلك
خلاصوا أى انفردوا عن الناس نجيا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روبيل وقيل هو ذاو هو الذي أشار عليهم بالقاءه في

البسر عندهما هو ابقته قال لهم ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثنا من الله لتردنه اليه فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من اضاءة يوسف عنه فلن ابرح الارض اى لن افارق هذه البلدة حتى ياذن لى ابنى فى الرجوع اليه راضيا عنى اوبحكم الله لى قيل بالسيف وقيل بان يمكننى من اخذ اخى وهو احكم الحاكمين ثم امرهم ان يخبروا اباهم بصورة ما وقع حتى يكون عندرا عنده ويتصلوا اليه ويبرؤا مما وقع بقولهم وقوله وما كالتغيب حافظين قال قتادة وعكرمة ما علمنا ان ابنك سرق وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما علمنا فى الغيب انه سرق له شيئا انما سألنا (٢١٦) ما جزاء السارق واسأل القرية التى تكافيه اقبل المراد مصر قاله

قتادة وقيل غيرها والغير الى اقلنا فيها اى التى وافقت اها عن صدقنا وامانتنا وحسن ظننا وحراستنا وانا اصادقون فيما اخبرناك به من انه سرق واخذوه بسرقة (قال بل سولت لكم انفسكم امر افسه برجيل عسى الله ان ياتى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسنى على يوسف وايضت عيناه من الحزن فهو وكظيم قالوا تالله تفتونى كى يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو ابى وحرزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون قال لهم كما قال لهم حين جاوا على قيصر يوسف بدم كذب بل سولت لكم انفسكم امر افسه برجيل قال محمد ابن اسحق لما جاوا يعقوب واخبروه بما جرى اتهمهم فظن انها كفعلهم يوسف قال بل سولت لكم انفسكم امر افسه برجيل ثم ترجى من الله ان يرد عليه اولاده الثلاثة يوسف واخاه بنيامين وروى الذى اقام بديار مصر فينظر امر الله فيه اما ان يرضى عنه فبأمره بالرجوع اليه واما

الارض من الدواب والانعام والاشجار والثمار فالمعنى انه سبحانه يحضر لهم تلك المخلوقات السماوية والمخلوقات الارضية (مختلفا ألوانه) اى هيئاته ومناظره فان ذره هذه الاشياء على اختلاف الالوان والاشكال مع تساوى الكل فى الطبيعة الجسمية آية عظيمة دالة على وجود الصانع سبحانه وتفردة قال قتادة مختلفا من الدواب والشجر والثمار من الله متظاهرة فاشكروها لله (ان فى ذلك) التسخير لهذه الامور مع اختلاف طبائعها واشكالها مع اتحاد موادها (لاية) واضحة (لقوم يذكرون) فان من تذكر اعتبر ومن اعتبر استدلى على المطلوب قيل وانما خاص المقام الاول بالتفكير لا يمكن ايراد الشبهة وخص الثانى بالعقل لانه كره بعد اماطة الشبهة وازاحة العلة فن لم يعترف بعد هذا بالوحدة دانية فلا عقل له وخص الثالث بالتذكر لزيد الدلالة فن شانه بعد ذلك فلا حس له وفى هذا من التكلف ما لا يخفى والاولى ان يقال هنا كما قلنا فيما تقدم فى افراد الآية فى البعض وجميعها فى البعض الاخر ويانه ان كلاما من هذه المواضع الثلاثة يصلح لذكر التفكر ولذكر العقل ولذكر اعتبارات ظاهرة غير خفية فكان فى التعبير فى كل موضع بواحد منها اقتناع حسن لا يجد فى التعبير بواحد منها فى جميع المواضع الثلاثة (وهو الذى سخر البحر) امين الله سبحانه بتسخير البحر بما كان الركوب عليه واستخراج ما فيه من صيد وجواهر لكونه من جملة النعم التى انعم الله بها على عباده مع ما فيه من الدلالة على وحدانية الرب سبحانه وكمال قدرته وقد جمع الله سبحانه لعباده فى هذا المقام بين التذكير لهم بآياته الارضية والسماوية والبحرية فاشدهم الى النظر والاستدلال بالآيات المتشعبة المختلفة الامكنة انما للعبوة وتكميلا للاندراوت وتوضيحا للمنازع الاستدلالية ومناطات البرهان ومواضع النظر والاعتبار ثم ذكر العلة فى تسخير البحر فقال (لتا كما واثمه لحماطريا) المراد به السمك ووصفه بالطراوة وللشعار بلطاقة والارشاد الى المسارعة بما كماله لكونه مما يندب سرعة قال قتادة يعنى حيتان البحر وقال السدى وما فيه من الدواب وبدأ به ذكر الالوان لانه اعظم المقصود به قوام البدن وتسميته لحما هو مذهب المالكية بخلاف الشافعية والحنفية وعلى هذا فلو حلف لا يا كل لحما لا يحنث باكل السمك ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ما ملح والطراوة ضد اليابوسة اى غضا جديدا ويقال طربت كذا اى جددته واطربت فلانا مدحته باحسن

ان ياخذ اخاه خفية ولهذا قال عسى الله ان ياتى بهم جميعا انه هو العليم اى العليم بحالى الحكيم فى افعاله ما فيه

وقضائه وقدره وتولى عنهم قال يا اسفا على يوسف اى اعرض عن بنيه وقال تمتد كرا حزن يوسف القديم الاول يا اسفا على يوسف جدد له حزن الابن الحزن الدفين قال عبد الرزاق انبا النورى عن سفيان العصفري عن سعيد بن جبيرة انه قال لم يعط احد غير هذه الامة الاسترجاع الى قول يعقوب عليه السلام يا اسنى على يوسف وايضت عيناه من الحزن فهو وكظيم اى ساكت لا يسكو امره الى مخلوق قاله قتادة وغيره وقال الضمك فهو وكظيم كتيب حزين وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابى

حدثنا جابر بن سلمة عن علي بن يزيد عن الحسن بن عمار عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال الله تعالى يا بني إسرائيل يا إبراهيم أتبعني فاجعلني لهم رباً فاعفوا عني الله تعالى إليه ان ياد اودان ابراهيم النبي في النار بسبي فصر وتلك بليّة لم تنكح وان يعتوب أخذت منه حبيبه فأيضت عيناه من الحزن فصر وتلك بليّة لم تنكح وهذا امر سهل فيه نكاحه فان الصحيح ان اسمعيل هو الذبيح ولكن علي بن يزيد بن جده ان له منا كبير وغرائب كثيرة والله أعلم وأقرب ما في هذا ان الاحنف بن قيس (٢١٧) رحمه الله حكاه عن بني اسرائيل كعب ووهب ونحوهما والله أعلم فان بني اسرائيل

ينقلون ان يعقوب كتب الى يوسف لما احببوا أخاه بسبب السرقة يملطف له في رد ابنه ويذكر له انهم أهل بيت مصابون بالبلاء فابراهيم ابني بالنار واهق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم فعند ذلك رقبه بنوه وقالوا له على سبيل الرفق به والسفينة عليه ناله فتفتوتد كرويسف أي لا تشارك تذ كرويسف حتى تكون حرضا أي ضعيف القوة أو تكون من الهالكين يقولون ان اسمك ربك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف قال انما أشكو بني وحرني الى الله أي أجابهم عما قالوا بقوله انما أشكو بني وحرني أي همي وما نأفيمه الى الله وحده وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أرجو منه كل خبر عن ابن عباس واعلم من الله ما لا تعلمون يعني روي يوسف ان الله لابد ان يظهره اوقال العوفي عنه في الآية اعلم ان روي يوسف صادقة والي سوف اسجده وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي يحيى عن

ما فيه ويقال بالغت في مدحه وجاوزت (وتستخرجوا منه) أي من البحر وهو الملح فقط (حلية) أي لؤلؤا ومرجانا كافي قوله سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والحلية اسم لما يحلى به وأصلها الدلالة على الهيئته كالعمامة وفي المصباح حلى الشيء يعني وبصدرى من باب تعب حلا وحسن عندي وأعجبني وحليت المرأة حلياً ساكن اللام لبست الحلي وجمعه حلى والأصل على فعول مثل فلس وفلس والحلية بالكسر الصفة والجمع حلى مقصور وتضم الحاء وتكسر وحلية السيف زينتة قال ابن فارس ولا تجمع وتحتل المرأة لبست الحلي أو اتخذته وحليتها بالثبديد لبست الحلي أو اتخذته لها الثلبسة وحليت السويق جعلت فيه شيئاً حلوا حتى حلا وظاهر قوله (تلبسونها) انه يجوز للرجال ان يلبسوا اللؤلؤ والمرجان أي يجعلونهم حلية لهم كما يجوز للنساء ولا حاجة لما نكناه جماعة من المفسرين في تأويل قوله تلبسونها بقولهم تلبسها نساءهم لانهم من جملتهم أولئك كونهن يلبسها لاجلهم وليس في الشريعة المطهرة ما يقتضي منع الرجال من التحلي باللؤلؤ والمرجان ما لم يستعمله على صفة لا يستعملها الا النساء خاصة فان ذلك ممنوع قد ورد الشرع بمنعهم من جهة كونه تشبهانهم لان من جهة كونه حلية لؤلؤاً ومرجاناً وعن أبي جعفر قال ليس في الحلي زكاة ثم قرأ هذه الآية أخرجه ابن أبي شيبة أقول وفي هذا الاستدلال نظر والذي ينبغي التعويل عليه ان الأصل البراءة من الزكاة حتى يرد الدليل بوجوبها في شيء من أنواع المال فتلزم وقد ورد في الذهب والفضة ما هو معروف ولم يرد في الجواهر على اختلاف أصنافها ما يدل على وجوب الزكاة فيها (وترى النملك مواخر فيه) أي ترى السفن شواظاً لما تدفعه بصورها قاله عكرمة ومخر السفينة شقها الماء بصدرها قال الجوهري مخر السابح اذا شق الماء بصدره ومخر الارض شقها للزراعة وقيل مواخر جوارى قاله ابن عباس وأصل المخر الجارى في المختار مخرت السفينة من باب قطع ودخل اذا جرت تشق الماء مع صوت وقيل معترضة وقيل تذهب وتبقى قال الضحاك السفينتان تجريان بريح واحدة مقبلة ومدبرة وقيل مواقرى مملوءة متاعاً وقال أبو عبيدة صوائح وقيل لمجنحة (١) قال ابن جرير المخرفى اللغة صوت عبوب الريح عند شدتها ولم يقيد بكونه في الماء (ولتبغوا من فضله) أي لتتبعوه بذلك ولتبغوا أو فعل ذلك لتبغوا أي لتجروا فيه فيحصل لكم الربح من فضل الله سبحانه قال

(٢٨ فتح البيان خامس) حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له فقال له ذات يوم ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله يقرن السلام ويقول لك أما تستحي ان تشكوى الى غيري فقال يعقوب انما أشكو بني وحرني الى الله فقال جبريل عليه السلام الله أعلم بما تشكوه وهذا حديث غريب فيه نكارة (يا بني اذهبوا فتحبسوا من يوسف وأخيه ولا تياسوا من روح الله انه (١) يقال لخت السفينة أي خاضت اللجة اه صحاح

لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يقول تعالى يخبر اعن يعقوب عليه السلام انه ندب بنبيه على الذهاب في الارض يستعلمون اخبار يوسف وأخيه بنيامين والتحسس يكون في الخير والتجسس يكون في الشر ومنهم من همم وأمرهم ان لا يأسوا من روح الله أي لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه له فانه لا يقطع الرجاء الا للأس من روح الله الا القوم الكافرون وقوله فلما دخلوا عليه (٢١٨) تقدير الكلام فذهبوا فدخلوا مصر ودخلوا على يوسف قالوا

يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر يعنون من الجذب والتعطف وقلة الطعام وجئنا ببضاعة مزجاة أي وممنا عن الطعام الذي ننتاره وهو عن قليل قاله مجاهد والحسن وغير واحد وقال ابن عباس الردي لا ينفق مثل خلق الغرارة والخبيل والشئ وفي رواية عنه الدراهم الرديئة التي لا تجوز الا بنقصان وكذا قال قتادة والسدي وقال سعيد بن جبيرة الدراهم النسل وقال أبو صالح هو الصنوبر وحب الخضر وقال الضمك كاسدة لا تنفق وقال أبو صالح جاو اجب البطم الاخضر والصنوبر وأصل الازياء الدفع لضعف الشئ كما قال حاتم طي

ليبك على ملهان ضيف مدافع وأرملة تزجي مع الليل أرملا وقال اعشى بن ثعلبة

الواهب المائة الهجان وعبدها عودا تزجي خلفها اطنالها وقوله اخبار اعنهم فافوف لنا الكيل أي أعطينا بهم هذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك وقرأ ابن مسعود فافوف كانا

السدي هي التجارة (ولعلكم تشكرون) أي اذا وجدتم فضله عليكم واحسانه اليكم اعترفتم بفضله عليكم فشكرتم ذلك بالسان والاركان قيل ولعل وجه تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها اقطاع المسافة طويلة مع أجمال ثقلها من غير مزاوله أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع انها في تضاعيف المهالك ويمكن ان يضم الى ما ذكر من قطع المسافة على الصفة المذكورة ما شتمل عليه البحر من كونه فيه أطيب مأكل وأنفس ملبوس وكثرة النعم مع تناسبها وحسن موقعها من أعظم الأسباب المستدعية للشكر الموجبة له ثم أردف هذه النعم الموجبة للتوحيده المنفردة للاستدلال على المطلوب بنعمة أخرى وآية كبرى فقال (والتي في الارض رواسي) أي جبالا ثابتة يقال رسايرسو اذا ثبتت وأقام (ان تعبدكم) أي كراهة ان تعبدكم على ما قاله البصريون أوله لا تعبدكم على ما قاله الكوفيون والميد الاضطراب عينا وشمالا يقال ماد الشئ يعبد به ما تحرك ومادت الاغصان ثمايل وماد الرجل تجتر قال قتادة حتى لا تعبدكم كانوا على الارض تمور بهم لا تنس فتقر فاصبحوا اصبحا وقد جعل الله سبحانه الجبال وهي الرواسي أو نادى في الارض (و) جعل فيها (أنهارا) لان الانقاء عنها يبعث في الجبل والخلق كقوله وأقيمت عليك محجة منى وذكر الانهار عقب الجبال لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال قال السبوطي كالليل ولم يذكر في المثال غير هذا لانه من أهل مصر (و) جعل فيها (سبلا) وأظهرها وبينها لاجل ان تهتدوا بها في أسفاركم الى مقاصدكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان وهي الطرق وقال السدي هي الطرق في الجبال (لعلكم تهتدون) بتلك السبل الى ما تريدون فلا تضلوا أو الى توحيد ربكم (و) جعل فيها (علامات) هي معالم الطرق جمع علامة وفي المصباح أعلمت على كذا بالالف من الكتاب وغيره جعلت عليه علامة وأعلمت الثوب جعلت له علما من طراز وغيره وهو العلامة وجمع العلم أعلام مثل سبب وأسباب وجمع العلامة علامات وعلمت له علامة بالثنية تدوشت له أماره يعرف بها والمعنى انه سبحانه جعل للطرق علامات يهتدون بها (وبالنجم) المراد به الجنس (هم يهتدون) به في سفرهم ليلا وقرأ ابن وثاب والنجم بضم نين والمراد النجوم فقصره أو هو جمع نجم كسقف وسقف وقيل المراد بالنجم هنا الجدي والفرقدان قاله الفراء وقيل الثريا وبنا نعيش وقيل العلامات الجبال

وتصدق علينا وقال ابن جرير وتصديقنا قال سعيد بن جبيرة والسدي رخص علينا وقيل يقولون تصديق علينا بقبض هذه البضاعة المزجاة وتجوز فيها وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحسن انبياء قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع قوله فافوف لنا الكيل وتصديق علينا ان الله يجزي المتصدقين رواء ابن جرير عن الحرث عن القاسم عنه وقال ابن جرير حدثنا الحرث حدثنا القاسم حدثنا مروان بن معاوية عن عثمان بن الاسود سمعت مجاهدا وسئل هل يكبره ان يقول الرجل في دعائه اللهم تصديق على قال نعم انما الله صدق من يتبعى النواب (قال هل علمتم ما فعلتم

يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أئنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا ان الله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يقول تعالى مخبر عن يوسف انه لما ذكر له اخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجذب وتذكر آباءه وما هو فيه من الحزن انفق ولديه مع ما هو فيه من الملك والتسرف والسعة فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورجة وشدة على أبيه واخوته وبدره البكاء فتعرف اليهم فيقال انه رفع التاج عن جبهته (٢١٩) وكان فيها شامة وقال هل علمتم ما فعلتم بي يوسف

وأخيه إذ أنتم جاهلون بغنى كيف فرقوا بينه وبينه إذ أنتم جاهلون أى انما جعلكم عليه الجهل بالمقدار الذى ارتكبتموه كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرأتم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الآية والظاهر والله أعلم ان يوسف عليه السلام انما تعرف اليهم بنفسه باذن الله له في ذلك كما انه انما اخفى منهم نفسه في المرتين الاولىين بأمر الله تعالى له في ذلك والله أعلم ولا يكن لما ضاق الحال واشتد الامر فرج الله تعالى من ذلك الضيق كما قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاعند ذلك قالوا أئنتك لانت يوسف وقرأ ابي بن كعب انك لانت يوسف وقرأ ابن محيصن أئنت يوسف والقراءة المشهورة هى الاولى لان الاستفهام يدل على الاستعظام اى انهم تعجبوا من ذلك انهم يترددون اليه من سنتين وأكثر وهم لا يعرفونه وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه فلماذا قالوا على سبيل الاستفهام أئنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى وقوله قد من

وقيل هى النجوم لان من النجوم ما يهتدى به ومنها علامة لا يهتدى بها وذهب الجمهور الى ان المراد فى الآية الاهتداء فى الاسفار وقيل هو الاهتداء الى القبلة ولا مانع من حمل ما فى الآية على ما هو أعم من ذلك قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم الخ كلام منفصل عن الاول قال السدى علامات النهار الجبال وعلامات الليل النجوم وقال ابن عباس معالم الطرق بالنهار الجبال ويهتدون بالنجم بالليل قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء ان تكون زينة للسماء ومعالم الطرق ورجوعاً للشياطين فن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به ثم لما عددا لا يأت الدالة على الصانع ووحدانية نبيه وكمال قدرته أراد ان يوحى أهل الشرك والعناد فتال (أفمن يخلق) هذه الخلقوات العجيبة العظيمة والمصنوعات الغريبة الجليلة لا يفعل هذه الافاعيل العجيبة المرئية بالعيان (كن لا يخلق) شيئاً منها ولا يقدّر على ايجاد واحد منها وهى هذه الاصنام التى يعبدونها ويجمعونهم أشركاء لله سبحانه وأطاعوا علمهم بالنظم من اجراءها مجرى أولى العلم لم جرى على زعمهم بانها آلهة أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق لوقوعها فى صحبته أو هو من عكس التشبيه وفى هذا الاستفهام من التقريع والتوبيخ للكفار لما لا يخفى وما أحقهم بذلك فانهم جعلوا بعض الخلقوات شريكاً لخالقه تعالى الله عما يشركون (أفلاتنكرون) مخلوقات الله الدالة على وجوده وتفرده بالربوبية وبديع صنعه فتستدلون بها على ذلك فانهم الوضوحها يكتفى فى الاستدلال بها مجرد الدلائل كرهلها لا يحتاج الى دقة الشكر والنظر قال قتادة فى الآية الله هو الخالق الرازق وهذه الاوثان التى تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئاً ولا تلك لاهلها ضرا ولا تنفعهم لما فرغ من تعدد الآيات التى هى بالنسبة الى المكنين نعم قال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولو اجتهدتم فى ذلك وأنعمتم نفوسكم لاتعدون عليه فضلاً ان تطيقوا القيام بحجتها من أداء الشكر وهذا تذكريا لى بنعمه تعالى وقدمه تنسيه هذا فى سورة ابراهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء الانسان لو ظهر فيه أدنى خلل وأيسر نقص انقص النعم على الانسان وتنى ان يتفق الدنيا لو كانت فى ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل فهو سبحانه يدبر بدن هذا الانسان على الوجه الملائم له مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك فكيف يطيق حصر نعم الله عليه أو يقدر على احصائها أو يتمكن من شكر ادائها ياربنا هذه نواصينا بيدك خاضعة لعظم نعمك معترفة

الله علينا أى بجمعه بين ما بعد التفرقة وبعد المدة انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا ان الله لقد آثرك الله علينا الآية يقولون معترفين له بالنضل والاثرة عليهم فى الخلق والخلق والسعة والملك والتصرف والنبوة ايضا على قول من لم يجعل لهم انبياء واقروا له بانهم اساءوا اليه واخطاوا فى حقه قال لا تثريب عليكم اليوم يقول اى لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم فى حقى بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فتال يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال السدى اعتذروا الى يوسف فقال لا تثريب عليكم اليوم يقول لا أذكركم ذنبكم وقال ابن ابي عمير والنورى لا تثريب عليكم اليوم

عندي فيما صنعت يغفر الله اليكم اي يستر الله عليكم فيما فعلتم وهو ارحم الراحمين (اذهبوا بقميصي هذا فاقوه على وجه أبي يأت بصيرا وتوني باهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم اني لا جدر يح يوسع يوسف لولا ان تفندون قالوا والله انك لنقي ضلالك القديم) يقول اذهبوا بهذا القميص فاقوه على وجه أبي يأت بصيرا وكان قد عي من كثرة المكاه وأتوني باهلكم أجمعين اي بجمع يجمعني يعقوب ولما فصلت العير أي خرجت من مصر قال أبوهم يعني يعقوب عليه السلام ان بني عنده من بني اني لا جدر يح يوسع يوسف لولا ان تفندون تفندوني (٢٢٠) الى الفند واليكبر قال عبد الرزاق أنبأنا اسرائيل عن أبي سنان

عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول ولما فصلت العير قال لما خرجت العير حاجت ربيع فخامت يعقوب بربيع فقص يوسف فقال اني لا جدر يح يوسع يوسف لولا ان تفندون قال فوجد ربيعه من مسيرة ثمانية أيام وكذا رواه سليمان النوري وشعبة وغيرهما عن ابن سنان به وقال الحسن وابن جريح كان بينهما مانعان فرفحنا وكان بينهما وبينه منذا فترقا ثمانون سنة وقوله تفندون قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وسعيد بن جبيرة تسفندون وقال مجاهد أيضا والحسن تهرمون وقولهم انك لنقي ضلالك القديم قال ابن عباس لنقي خطيتك القديم وقال قتادة اي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا لو ادهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي ادهم ان يقولوا هو الله والله والله والله صلى الله عليه وسلم وكذا قال السدي وغيره (فلما ان جاء البشر بالقاء على وجهه فارتد بصيرا قل ام اقل ليكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابا ناسه تغفر لنا ذنوبنا اننا كنا

بالعجز عن تأدية الشكر لشئ منها لا تخصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا تطيق التعبير بالشكر لك فتجاوز عنا واغفر لنا واسبل ذيول سترك على عورتنا فانك ان لا تفعل ذلك ثم لك بعجز التقصير في شكر نعمك فكيف بما قد فرط منا من التساهل في الاثم بأوامرك والانتفاء عن مناهيك وما أحسن ما قال من قال

العفو يرحمني من بني آدم فكيف لا يرحمني من الرب

وما أحسن ما ختم به هذا الامتنان الذي لا يتبس على انسان مشيرا الى عظيم غفرانه وسعة رحمة فقال (ان الله لغفور رحيم) أي كثير المغفرة والرحمة لا يؤاخذكم بالغفلة عن شكر نعمه والتصور عن احصائها والعجز عن القيام بآدابها ومن رحمة ادامتها عليكم وادرارها في كل لحظة وعند كل نفس تتفندونه وحركة تقهر كونها اللهم اني اشكرك عدد ما شكرتك ويستذكرك الشاكرون بكل لسان في كل زمان فلقد خصصتني بنعم لم أرها على كثير من خلقك من انسان وحیوان وان رأيت منها شيا أعلى بعض خلقك لم أر عليه بغيره افأني أطيق شكرك وكيف أستطيع تأدية أدنى شكر أذا ناهاف كيف أستطيع أعلاها فكيف أستطيع شكر نوع من أنواعها ثم بين لعباده انه عالم بجميع ما يصدر منهم لا يخفى عليه خافية فقال (والله يعلم ما تسرون) أي متضمونه من العقائد والاعمال (وما تعلمون) أي وما تظهرونه منها وحذف العائد اعادة الفواصل أي يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلمهم وفيه وعيد وتعرض وتوبيخ وتنبية على ان الاله يجب ان يكون عالما بالسرو والعناية لا كالاصنام التي تعبدونها فانها اجساد لا شعور لها بشئ من الطواهر فضلا عن الضمائر والسرائر فكيف تعبدونها وقراءة التحية شاذة فيها ما كانه عليه السمين ثم شرع سبحانه في تحقيق كون الاصنام التي أشار اليها بقوله كن لا يخلق عاجزة عن ان يصدر منها خاق شئ فلا تسحق عبادة فقال (والذين يدعون بالياء والذات سبعين أي والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) سبحانه صفتهم هذه الصفات الثلاثة المذكورة المنافية للالوهية وهي انهم (لا يخلقون شيا) من المخلوقات أصلا لا كبير ولا صغير ولا جلا ولا لا حقيرا (وهم يخلقون) أي وصفهم انهم يخلقون فكيف يتمكن المخلوق من ان يخلق غيره في هذه الآية زيادة بيان لانه أثبت لهم صفة نقصان بعد أن سلب عنهم صفة الكمال بخلاف قوله أفن يخلق كن لا يخلق فانه

خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم قال ابن عباس والضحاك البشير العبد وقال مجاهد اقتصر

والسدي كان هو ذاب يعقوب قال السدي انما جاء به لانه هو الذي جاء بالقميص وعومل طمخ بدم كذب فاحب ان يغسل ذلك بهذا فخام بالقميص فالتاء على وجه أبيه فرجع بصيرا وقال لبنيه عند ذلك ام اقل ليكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون أي اعلم ان الله سيرده الى وقت لكم اني لا جدر يح يوسع يوسف لولا ان تفندون فعمد ذلك قالوا لا بهم مترقبين له يا ابا ناسه تغفر لنا ذنوبنا اننا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه والغفور الرحيم اي من تاب اليه تاب عليه قال ابن مسعود وابراهيم التيمي وعمر بن قيس وابن جريح وغيرهم

ارجأهم الى وقت السحر وقال ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن ادريس سمعت عبد الرحمن بن اسحق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر رضي الله عنه يأتي المسجد فيسمع انسابا يقول اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فاطعت وهذا السحر فاعترني قال فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال ان يعقوب أخربني اني السحر بقوله سوف أستغفر لكم ربي وقد ورد في الحديث ان ذلك كان ليلة الجمعة كما قال ابن جرير أيضا حدثني المنثري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقي حدثنا أبو الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس (٢٢١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف

أستغفر لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنه وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله أعلم (فما دخلوا على يوسف أرى إليه آوى به وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع آوى به على العرش وخزوا له سجدا وقال يا بئس هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) يخبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدمه يلا مصر لما كان يوسف قد تقدم لاختوته أن يأويه بأهلهم أجمعين فدخلوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم خرج لتلقينهم وأمر الملاك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقى بني الله يعقوب عليه السلام ويقال ان الملاك خرج أيضا لتلقينه وهو الاشبه وقد أشكل قوله آوى إليه آوى به

اقتصر على مجرد سلب صفة الكمال ثم ذكر صفة أخرى من صفاتهم فقال (أموات) يعني ان هذه الاصنام أجسادها جادات ميتة لا حياة بها أصلا فزيادة قوله (غير أحياء) لبيان انها ليست كـ بعض الاجساد التي تموت بعد ثبوت الحياة لها بل لا حياة لهذه أصلا فكيف يعبدونها وهم أفضل منها لانهم أحياء (وما يشعرون) اي الآلهة (أيان يبعثون) اي الكفار الذين يعبدون الاصنام والمعنى ما تشعرون هذه الجادات من الاصنام أيان يبعث عبدتهم من الكفار ويكون هذا على طريقة التكم لهم لان شعور الجاد مستحيل عما هو من الامور الظاهرة فضلا عن الامور التي لا يعلمها الا الله سبحانه وقيل معناه ما يشعرون هذه الاصنام أيان تبعث ومتى يبعثها الله وبه بدأ القاصي بهما للكشاف ويؤيد ذلك ما روى ان الله يبعث الاصنام ويخلق لها أرواحا معها شياطينا فيؤمر بكلمها الى النار ويدل على هذا قوله انكم وما تعبـدون من دون الله حصب جهنم وقيل قد تم الكلام عند قوله وهم يخلقون ثم ابتدأ فوصف المشركين بانهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون فيكون الضمير ان على هذا الكفار وعلى القول بان الضمير في أوأحد هما الاصنام يكون التعبير عنها مع كونها لا تعقل بما عاينوا لعل جريا على اعتقاد من يعبدها بانها تعقل وأيان بفتح الهمزة وكسر الغتان وفي الآية قول آخر وهو ان أيان ظرف لقوله (الهمم الله واحد) يعني ان الاله يوم القيامة واحد ولم يدع أحدا تعدد الالهة في ذلك اليوم بخلاف أيام الدنيا فانه قد وجد فيها من ادعى ذلك وعلى هذا فقد تم الكلام على قوله يشعرون الا ان هذا القول مخرج لا يان عن موضوعها وهو اما الشرط واما الاستنهاض الى محض الظرفية بمعنى وقت مضاف للجملة بعده والظاهر تفسيره بتي يبعثون كافي للكشاف وغيره ولما زيف سبحانه طريقة عبادة الاصنام بمرح بما عاينوا الحق في نفس الامر وهو وحدانيته سبحانه وهو نتيجة ما قبله ثم ذكر ما لاجله أصر الكفار على شركهم فقال (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للوحدة اية لا يؤثر فيها وعظ ولا ينفع فيها تذكير (وهم مستكبرون) عن قبول الحق متعظمون عن الاذعان للصواب مستعززون على الحمد (لاجرم) قال الخليل هي كلمة تحقيق ولا يكون الاجواب أي حقا قلت لنافية وجرم بمعنى بد وهذا بحسب الأصل وأما الآن فتدركت لامع جرم تركيب خمسة عشر وجعلنا معنى كلمة واحدة وتلك الكلمة مصدر أو فعل معناه حق وثبت وقوله (ان الله) فاعل لاجرم وقد مر تحقيق الكلام

وقال ادخلوا مصر على كثير من المفسرين فقال بعضهم هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وآوى إليه آوى به ورفعهم على العرش ورد ابن جرير هذا وأجاد في ذلك ثم اختار ما حكاها عن السدي ان يوسف آوى إليه آوى به لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وفي هذا نظر أيضا لان الايواء انما يكون في المنزل كقوله آوى إليه أخاه وفي الحديث من آوى محدثا وما المانع ان يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواهم اليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر ان شاء الله آمنين أي ما كنتم فيه من الجهد والتهبط ويقال والله أعلم ان الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية المنين المجدية ببركة قدوم

يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة حين قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ثم لما نضر عوا اليه واستشفعوا لديه وأرسلوا بأباسفيان في ذلك فدعاهم -م فرفع عنهم -م بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام وقوله آوى اليه أبويه قال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أباه وحالته وكانت أمه قد ماتت قديما وقال محمد بن اسحق وابن جرير كان أبوه وأمه يعيشان قال ابن جرير ولم يقدرا على موت أمه وظاهر القرآن يدل على -م نياتهما وهذا الذي نصره هو المتصور الذي يدل عليه السياق وقوله ورفع أبويه على (٢٢٢) العرش قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني السرير أجلسهما

معه عليه وخروا له سجدا أي سجد له أبوه وأخوته الباقيون وكانوا أحد عشر رجلا وقال يابوت هذا تأويل رؤياي من قبل أي التي كان قصها علي أبيه من قبل أني رأيت أحد عشر كوكبا الآية وقد كان هذا شأننا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فخرم هذا في هذه الأمة وجعل السجود مختصا بالجناب الرب سبحانه وتعالى وهذا مضمون قول قتادة وغيره وفي الحديث أن معاذ أقدم الشام فوجدهم يسجدون لا سافقتهم فلما رجع سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا معاذ فقال أني رأيتهم يسجدون لا سافقتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها العظم حقه عليه ما وفي حديث آخر أن سلمان لقي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث السن بالاسلام فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم

في لاجرم باسطة من هذا قال أبو مالك لا جرم يعني الحق وقال الضمالي لا كذب (يعلم ما يسرون) من أقوالهم -م وأفعالهم (وما يعلنون) من ذلك (أنه لا يحب المستكبرين) أي لا يحب هؤلاء الذين يستكبرون عن توحيد الله والاستجابة لانبياؤه والجملة تعليل لما تضمنه الكلام المتقدم أخرج مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال إن الله جميل يحب الجمال الكبير من بطر الحق ونمض الناس وفي ذم الكبير ومدح التواضع أحاديث كثيرة وكذلك في إخراج محبة حسن الثوب وحسن النعل ونحو ذلك من الكبر أحاديث كثيرة فقد روى عن الحسين ابن علي أنه مرتبسا كين قد قدموا كسر الهيم وهم يأكلون فقالوا يا أبا عبد الله فنزل وجلس معهم وقال أنه لا يحب المستكبرين ثم أكل فلما فرغوا قال قد أجبتكم فاجيبوني فقاموا معه إلى منزله فاطعمهم وسقاهم وأعطاهم فأنصرفوا قال العلماء كل ذنب يمكن ستره واخفاؤه إلا التكبر فإنه فاق يلزمه الاعلان وهو أصل العصيان كاه وفي الحديث الصحيح أن المستكبرين أمثال الذريوم القيامة تطوهم الناس باقدامهم لتكبرهم أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم تصغر لهم أجسامهم -م في المحشر حين يضرهم تصغيرها وتعظيم لهم في النار حين يضرهم عظمها ذكره القرطبي والحاصل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بين ماهية الكبر أنه بطر الحق ونمض الناس فهذا هو الكبر المذموم وقد ساق صاحب الدر المنثور عند نفسه -م لهذه الآية أحاديث كثيرة ليس هذا مقام إيرادها بل المقام مقام ذكر ماله علاقة -م سبب الكتاب العزيز ثم شرع في ذكر شيء من قبائح المشركين فقال (واذا قيل لهم) أي وإذا قال هؤلاء الكفار المنكبرين المستكبرين قائل (ماذا) أي أي شيء أو ما الذي (أنزل ربكم) قيل القائل النضر بن الحرث وكانت عنده كتب التواريخ ويزعم أن حديثه أجل وأتم مما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم والآية نزلت فيه فيكون هذا القول منه على طريق التهكم وقيل القائل هو من يقد عليه -م وأبوهم لبعض وقيل القائل المسلمون فاجاب المشركون المنكبرون المستكبرون و(قالوا أساطير الأولين) بالرفع أي ما تدعون أيها المسلمون أساطير الأولين وأحاديثهم -م وأباطيلهم أو أن المشركين

فقال لا تسجد لي يا سلمان واجد لي الذي لا يموت والغرض أن هذا كان جائزا في شرائعهم ولهذا خروا له أرادوا سجدا فعندها قال يوسف يابوت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا أي هذا ما آل اليه الأمر فان التأويل يطلق على ما يصير اليه الأمر كما قال تعالى هل يتظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله أي يوم القيامة يأتيهم -م ما وعدوا به من خير وشئ وقوله قد جعلها ربي حقا أي صحيحة صدقا فإذ كنتم الله عليه وقد أحسن بي إذا خرجني من السجن وجاء بكم من البدو أي البادية قال ابن جرير وغيره كانوا من أهل بادية وماشية وقال كانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام قال وبعض

يقول كانوا بالاولاج من ناحية شعب أسفل من خسمى وكا انوا كحباب بادية وشاءوا بل من بعد ان نزع الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء اى اذا اراد امر اقبض له اسبابا وقدره ويسره انه هو العليم بصالح عباده الحكيم في اقواله وافعاله وقضائه وقدره وما يختاره ويريد. قال ابو عثمان النهدي عن سليمان كان بن رؤيا يوسف وتأويلها اربعون سنة قال عبد الله بن شداد واليه انتهت اقصى الرؤيا رواه ابن جرير وقال ايضا حدثنا عمر بن علي حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب الى ان التقيا ثمانون سنة (٢٢٣) لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديه

وما على وجه الارض عبد احب الى الله من يعقوب وقال هشيم عن يونس عن الحسن ثلاث وعشرون سنة وقال مبارك بن فضالة عن الحسن القى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة فغاب عن ابيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فمات وله عشرون ومائة سنة وقال قتادة كان بينهم خمس وثلاثون سنة وقال محمد ابن اسحق ذكروا انه علم ان غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة قال واهل الكتاب يزعمون انها كانت اربعين سنة او نحوها وان يعقوب عليه السلام بقى مع يوسف بعد ان قدم عليه بمصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله اليه وقال ابو اسحق السبيعي عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون انسانا وخرجوا منها وهم ستمائة الف وسبعون الفا وقال ابو اسحق عن مسروق دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون بين رجل وامرأ. وقال موسى بن عبيدة عن محمد بن

أرادوا السخيرة بالمسلمين فقالوا المنزل عليكم أساطيرهم وعلى هذا فلا يرد ما قيل من ان هذا لا يصلح أن يكون جوابا من المشركين والالكان المعنى الذى أنزل به نبأ أساطير الاولين والكنار لا يقرن بالانزال ووجه عدم وروده هو ما ذكرناه وقيل هو كلام مستأنف اى ليس ما تدعون انزاله أيها المسلمون منزلا بل هو أساطير الاولين والاساطير الاباطيل والترهات التى يتحدث الناس بها عن القرون الاولى وليس من كلام الله فى نبي ولا نما أنزله أصلا فى زعمهم وهى جمع أسطورة كالحديث وأصاحيك وأعاجيب جمع أحادوثه وأخحوكه وأعجوبة (ليحملوا) اى قالوا هذه المقالة لى يحملوا (أوزارهم) كاملة يوم القيامة لم يكفر منها شئ لعدم اسلامهم الذى هو سبب لتكفير الذنوب وقيل ان اللام هى لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير لاجل ان يحملوا الاوزار ولكن لما كان عاقبتهم ذلك حسن التعلل به كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل هى لام الامر قال الرازى فى الآية وهذا يدل على انه تعالى قد يستقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل فى حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار به هذا التكميل فائدة (ومن أوزار الذين يضلونهم) اى ويحملون بعض أوزار الذين أضلواهم لان من سن سنة سيئة كان عليه وزر وهو وزر من عمل بها كما ورد فى الحديث وقيل من الجنس لا للتبعيض اى يحملون كل أوزار الذين يضلونهم قاله الواحدى (بغير علم) حال من الفاعل والمعنى ان الرؤساء يضلون الناس جاهلين غير عالين بما يدعونهم اليه ولا عارفين بما يلزمهم من الآثام وقيل انه حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال قاله الزمخشري وعليه جرى القاضى وقائدها الدلالة على ان جهالهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يحذروا بين الحق والباطل ولا يقنعوا بالتقليد البحت العمى ورجح الاول بانه من المحدث عنه والمسند اليه الاضلال على جهة الفاعلية والمعنى انهم يقدمون على الاضلال جهلامهم بما يستحقونه من العذاب الشديد فى مقابلته ومنزل هذه الآية قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقوله ولتحمل خطاياكم وقد تقدم فى الانعام الكلام على قوله ولا تزروا زورا أخرى فغناه وزر الامدخل لها فيه ولا تعلق له بها بسبب ولا غيره قال ابن عباس يحملون مع ذنوبهم ذنوب الذين يضلونهم بغير علم وعن مجاهد نحوه وزاد ولا يخفف ذلك عن أطاعهم من العذاب شيئا (الاسماء ما يزون) اى ينس شيا يزونه ويحملونه وفى ذلك وعيد وتهديد

كعب القرظى عن عبد الله بن شداد اجتمع آل يعقوب الى يوسف بمصر وهم ستمائة وعشرون انسانا صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وخرجوا وهم ستمائة ألف ونيّف (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي فى الدنيا والاخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمته الله عليه باجتماعه بأبويه واخوته وما من الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما تم نعمته عليه فى الدنيا ان يستقر به عليه فى الآخرة وان يتوفاه مسلما حين يتوفاه قاله الخباز وان يلحقه بالصالحين وهم اخوته من النبيين والمرسلين صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين وهذا الدعاء يحتمل ان يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع اصبعه عند الموت ويقول اللهم في الرفيق الاعلى ثلاثا ويحتمل انه سأل الوفاة على الاسلام والحق بالصلحين اذا جاء أجد له وانقضى عمره لانه سأل ذلك منجزا كما يقول الداعي لغيره ما تك الله على الاسلام ويقول الداعي اللهم وأمتنا مسلمين وتوفنا مسلمين والحقنا بالصلحين ويحتمل انه سأل ذلك منجزا وكان ذلك سائغا في ملتهم كما قال قتادة قوله توفي مسلما والحقني بالصلحين (٢٢٤) لما جمع الله ثمة له وأقر عينه وهو يومئذ مغمر في الدنيا ومملكها

ونصارها الشماق الى الصالحين قبله وروى عن ابن عباس يقول ماتني نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام وروى كذا ذكر ابن جرير والسهدي عن ابن عباس انه أول نبي دعا بذلك وهذا يحتمل انه أول من سأل الوفاة على الاسلام كما ان نوحا أول من قال رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وللمسلمين وأمتي مؤمناتي ويحتمل انه أول من سأل ان يجاز ذلك وهو ظاهر سياق قتادة ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا عبد العزيز بن سفيان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان ولا بد متمنيا الموت فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واخرجهما عندهما لا تمنين احدهم الموت لضر نزل به ان كان متمنيا فليزداد وان كان مسلما فليقل يستعجب ولكن ليقول اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وقال الامام أحمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا معاذ

اهم ثم حكى سبحانه حال أضرابهم من المتقدمين فقال (قدمكر الذين من قبلهم) ذهب أكثر المفسرين الى ان المراد به غرود بن كنعان حيث بنى بناء عظيميا بابل طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقا تل أهلها فاهب الله الريح فخر ذلك البناء عليه وعلى قومه فهلكوا وكان أعظم أهل الارض تجبرا في زمن ابراهيم عليه السلام وغرود بضم النون والذال المعجمة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة والاولى ان الآية عامة في جميع المبطلين الماكرين الذين يحاولون الحاق الضر بالمحقين المؤمنين ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطاق الحق وفي هذا وعيد للسكانر المعاصرين له صلى الله عليه وآله وسلم بان مكرهم سيعود عليهم كما عاد مكر من قبلهم على أنفسهم (فأتى الله) أي أتى أمر الله وهو الريح التي أخرجت بنيانهم قال المفسرون أرسل الله الريح فاحلقت رأس الصرح في البحر وخر عليهم الباقي بالزلزلة من أسنله فاهلكهم وهم تحته (من القواعد) قال الزجاج أي من الاساطين وقيل من أصوله واساسه بكسر الهمزة جمع أس وأما بالفتح فجمعه أسس بضمين قيل لما سقطت تلبت أسن الناس بالزراع فتكلموا ويومئذ ثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية هكذا ذكره البغوي وفي هذا نظر لان صالحا كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل اليمن عربا منهم جرهم الذي نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبائل من العرب قديمة قبل ابراهيم كل هؤلاء عرب والمعنى انه أناها أمر الله من جهة قواعد هافر عز عنها (خر عليهم السقف) بفتح السين وضمها مع سكون القاف وبضمها وضم القاف أي انه سقط عليهم السقف لانه بعد سقوط قواعد البناء يسقط جميع ما هو معتمد عليها قال ابن الاعرابي وانما قال (من فوقهم) ليعلم انهم كانوا حالين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يعلوكم وان لم يكن وقع عليه فجاءه بقوله من فوقهم ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب فقال من فوقهم أي عليهم وقع وكانوا تحته فهلكوا وما أفلتوا وقيل هولاء كيد لان السقف لا يخر الا من فوق وقيل ان المراد بالسقف السماء أي أتاهاهم العذاب من السماء التي فوقهم وقد اختلف في هؤلاء الذين خر عليهم السقف فقيل هو غرود بن كنعان حين بنى الصرح قاله ابن عباس وعن مجاهد نحوه وقيل انه مجتهد وأصحابه وقيل هم المقسمون الذين تقدم ذكرهم في سورة الحجر

ابن رفاعه حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة قال جلسنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ورقتنا فبكي وقيل سعد بن أبي وقاص فاكثر البكاء وقال باليتنى مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد اعندى تتنى الموت فرد ذلك ثلاث مرات ثم قال يا سعد ان كنت خافت الجنة فاطال من عمر لئو حسن من عملك فهو خير لك وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابو يونس هو سلم بن جبير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل ان يأتيه الا ان يكون قلوبك بعمله فانه اذا مات أحدكم انقطع عنه عمله وانه لا يزيد المؤمن عمله الا خيرا تقر به اجد وهذا فيما اذا كان

الضرر خاصه وأما إذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت كما قال الله تعالى اخبارا عن السجدة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقالت مريم لما جاءها النخاض وهو الطلق الى جذع النخلة يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسما منسيا لما علمت من ان الناس يقدفونني بالقاحشة لانهم لم تكن ذات زوج وقد حلت ووضع وقد قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فجعل الله لهما من ذلك الحال فرجا ومخرجا وأنطقه في المهدي بانه عبد الله ورسوله فكان آية عظيمة ومجزة باهرة صلوات الله (٢٢٥) وسلامه عليه وفي حديث معاذ الذي رواه

الامام أحمد والترمذي في قصة المنام والدعاء الذي فيه وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون وقال الامام أحمد حديثنا أبو سلمة أنبأنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو ابن عاصم عن كثير بن قتادة عن محمود بن لبيد عن فوعان النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتن ويكره قلة المال وقلة المال أقل للعساب فعند حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر خلافة لما رأى ان الامور لا تجتمع له ولا يزداد الامر الا شدة فقال اللهم خذني اليك فقد سئمتهم وسأمتوني وقال البخاري رحمه الله لما وقعت له تلك الفتنة وجرى له مع أمير خراسان ماجرى قال اللهم توفني اليك وفي الحديث ان الرجل يمر بالبرأى في زمان الدجال فيقول يا ليتني مكانك لما يرى من الفتن والزلازل والبلايل والامور الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون قال أبو جعفر بن جرير وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوסף

وقيل المعنى على العموم يعني انهم لما رتبوا منصوبات ليكرهوا بها على أنبياء الله وأهل الحق من عباده أهل كهم الله وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بني اسرائيل وبقا شديدا ودعوه بالاساطين فانهم ذم ذلك البنيان وسقط عليهم فهاهنا كهم فهو مثل ذنبه من مكر باخر فاهلكه الله بكمرة ومنه المثل السائر على السنة الناس من خسر ببر الأختيه أوقعه الله فيه وهذا ما اختاره القاضى كاشف والاول أولى ومع ذلك العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال قتادة أنها أمر الله من أصلها فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف أعلى البيوت فانتفكت بهم بيوتهم فاهلكهم الله ودمرهم (وأناهم العذاب) أي الهلاك (من حيث لا يشعرون) به بل من حيث انهم في أمان لا يحيطر العذاب ببالهم ثم بين سبحانه ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا فقال (نم يوم القيامة يخزيهم) أي الكفار بادخالهم النار ويفضخهم بذلك ويذلهم ويهينهم عطف على مقدراى هذا عذابهم في الدنيا ثم يوم القيامة يخزيهم (ويقول) الله لهم مع ذلك توبينوا وتقرعوا (أين شركاؤى) كما تزعمون وتدعون ثم وصف هؤلاء الشركاء بقوله (الذين كنتم تشاقون) قرأ نافع بكسر النون على الاضافة والباقيون بقصصها أي تخاصمون الانبياء والمؤمنين (فيهم) والمعنى على قراءة الكسر تخاصمونى وتعادونى وتخالفونى وقد ضعف أبو حاتم هذه القراءة والمشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى مالههم لا يحضرون معكم ادعوههم فليدفعوا عنكم هذا العذاب النازل بكم (قال الذين أوتوا العلم) وهم في الموقف قيل هم العلماء قالوا لا هم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون الى وعظهم وكان هذا القول منهم على طريقة السماتة وقيل هم الانبياء وقيل الملائكة والظاهر الاول لان ذكرهم بوصف العلم يفيد ذلك وان كان الانبياء والملائكة هم من أهل العلم بل هم أعرف فيه لكن لهم وصف يذكرون به وهو أشرف من هذا الوصف وهو كونهم أنبياء أو كونهم ملائكة ولا يتدح في هذا جواز الاطلاق لان المراد الاستدلال على الظهور فقط (ان الخزي اليوم) أي الذل والهوان والفضيحة يوم القيامة (والسوء) أي العذاب (على الكافرين) مختص بهم بقولونه شماتة بهم (الذين توفاهم) بالناء والياء وهما سبعينان لكنهم مع الياء يقرأ بالامالة في الموضعين والتذكير على ان الملائكة ذكور والتأنيث لان لفظ الجمع مؤنث (الملائكة) وهم ملائكة الموت عزرائيل وأعوانه (ظالمى أنفسهم) بالكسر

(٢٩ فتح البيان خامس) ما فعلوا استغفر الله عنهم وغفر لهم ذنوبهم (ذكر من قال ذلك) حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج عن صالح المزني عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شملة بعينيه خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أستم قد علمت ما صنعتم وما لقي منكم الشيخ وما لقي منكم يوسف قالوا بلى قال فيغتر كم عنوهما عنكم فكيف لكم بر بكم فاستقام أمرهم على ان أوتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه فاعد قالوا يا انا يا انا أينالك الامر لم نأكل لا امر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط حتى حركوه والانبياء عليهم السلام أرحم البرية فقال

مالكم يا بني قالوا الست قد علمت ما كان منا البسك وما كان منا الى اخينا يوسف قال بلى قالوا ولستم قد غفرت لنا قالوا فان غفروا كما لا يغني عنا شيئا ان كان الله لم يعف عنا قال فماتريدون يا بني قالوا نريد ان تدعوا الله لنا فاذا جاءك الوحي من الله بانه قد عفا عنا فرت أعيننا واطمانت قلوبنا والافلاقرة عين في الدنيا لنا أبدا قال فقام فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين قال فدعوا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة قال صالح المئري يخيفهم قال حتى اذا كان على رأس العشرين نزل جبريل عليه السلام على يعقوب عليه (٢٢٦) السلام فقال ان الله تعالى قد بعثنى اليك بأشرك بان الله قد أجاب

دعوتك في ولدك وان الله قد عفا عما صنعوا وانه قد اعتقدوا موامتهم من بعدك على النبوة هذا الاثر موقوف عن أنس ويزيد الرقاني وصالح المري ضعيفان جدا وذكر السدي ان يعقوب عليه السلام لما حضره الموت أوصى الى يوسف بان يدفن عند ابراهيم واسحق فلما مات صبره وأرسله الى الشام فدفن عندهما عليهم السلام (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذا أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما نسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين) يقول تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لما قص عليه نبأ اخوة يوسف وكيف رفعه الله عليهم وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والاعدام هذا وأمثاله يا محمد من اخبار الغيوب السابقة نوحيه اليك وتعلمت به يا محمد لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك وما كنت حاضرا عندهم ولا مشاهدا لهم اذا أجمعوا أمرهم اى على القائه

وقد تقدم نفسه به (فالتقوا السلم) اى أقروا بالربوبية وانقادوا عند الموت ومعناه الاستسلام قاله قطرب وقيل معناه المسألة أى سألوا وتركوا المشاقة قاله الاخفش وقيل معناه الاسلام اى أقروا بالاسلام وتركوا ما كانوا فيه من الكفر (ما كنا نعمل معك سوء) تفسير السلم على أن يكون المراد بالسلم الكلام الدال عليه ويجوز أن يكون المراد بالسوء هنا الشرك ويكون هذا القول منهم على وجه الجحود والكذب أو من شدة الخوف ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة حمله على انهم أرادوا انهم لم يعملوا سوءا فى اعتقادهم وعلى حسب ظنونهم ومثله قوله والله ربنا ما كنا مشركين فلما قالوا هذا أجاب عليهم أهل العلم بقولهم (بلى) كنتم تعملون السوء (ان الله عليهم بما) اى بالذى (كنتم تعملون) فيجازيكم عليه ولا ينفعكم هذا الكذب شيئا وقال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا أبواب جهنم) يقال لهم ذلك عند الموت وقد تقدم ذكر الابواب وان جهنم درجات بعضها فوق بعض اى ليدخل كل صنف الى الطبقة التى هو موعود بها وانما قيل لهم ذلك لانه أعظم فى الخزي والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (خالدين فيها) حال مقدرة لان خلودهم مستقبل (فلبئس مثوى المتكبرين) هى فالخصوص بالذم محذوف والمراد بتكبرهم هنا هو تكبرهم عن الايمان والعبادة كما فى قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ثم اتبع أوصاف الاشقياء بأوصاف السعداء فقال (وقيل للذين اتقوا) وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) اى أنزل خيرا ورفع الاول ونصب هذا فربا بين جواب المقر وجواب الجاحد (للذين أحسنوا) فى هذه الدنيا حسنة) قيل هذا من كلام الله عز وجل وقيل هو حكاية لكلام الذين اتقوا فيكون هذا بدلا من خير قاله الزمخشري وعلى الاول يكون كلاما مستأنفا مسوقا لمدح المتقين والمعنى للذين أحسنوا أعمالهم بالايمان فى الدنيا ثموبة حسنة مضاعفة من الواحد الى العشرة الى السبع مائة الى اضعاف كثيرة وقال قتادة أحسنوا اى آمنوا بالله وكتبه ورسله وأمر واطاعة الله وحنوا عباد الله على الخير ودعوههم اليه قال الضحاك هى النصر والفتح وقال شهابه الرق الحسن وقيل الحياة الطيبة وهى استحقاق المدح والثناء أوفتح أبواب المشاهدات والمكاشفات قاله الكرخي (ولدار الآخرة) اى مثوبتها وهى الجنة (خير) مما أوتوا فى الدنيا (ولنعم دار للمتقين) دار الآخرة خذف المخصوص بالمدح

فى الجب وهم يمكرون به ولكنك أعلمت به وحي اليك كقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم لدلالة الآية وقال تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر الآية الى قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادى بنا الآية وقال وما كنت تأري فى أهل مدين تلو عليهم آياتنا الآية وقال ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الانما أنا نذير مبين يتقوا تعالى انه رسوله وانه قد أطلعهم على انباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم فى دينهم ودنياهم ومع هذا ما آمن أكثر الناس ولهذا قال وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله

كقوله ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين الى غير ذلك من الآيات وقوله ومانسألهم عليه من أجر اي مانسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء الى الخير والرشد من أجر أي من جعله لأجرة بل تفعله ابتغاء وجه الله ونصح خلقه ان هو الاذ كر للعالمين اي يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة (وكأن من آية في السموات والارض يترنون عليها وهم معروضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون) يخبر تعالى عن غفله أكثر الناس عن التذكير في آيات الله ودلائل (٢٢٧) توحيد به بما خلقه الله في السموات والارض

من كواكب زاهرات ثوابت وسيارات وافلاك دائرات والجميع مسخرات وكم في الارض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات وبحار زاخرات وأمواج متلاطحات وقفار شاسعات وكلم من أحياء وأموات وحيوان ونبات وغرات متشابهة ومختلفات في الطعم - وم والرائح والالوان والصنات فسبحان الواحد الاحد

خالق أنواع المخلوقات المنبر بالذوام والبقاء والصدية للاسماء والصنات وغير ذلك وقوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن عباس من ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الارض ومن خلق الجبال قالوا الله وهم مشركون به وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وفي الصحيحين ان المشركين كانوا يقولون في قلوبهم ليس لك لاشريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وفي صحيح مسلم انهم كانوا اذا قالوا ليس لك لاشريك لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لدلالة ما قبله عليه (جنات عدن) اي بساكن اقامة من عدن بالمكان اذا أقام به قيل يجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح فيجوز فيها ثلاثة أوجه رفعها بالابتداء والجملة المتقدمة خبرها أو رفعها خبر المبتدأ مضمراً أو رفعها بالابتداء والخبر محذوف وهو أضعفها ويجوز أن يكون جنات عدن خبر مبتدأ مضمراً لا على ما تقدم بل يكون المخصوص محذوفاً تقديره ولأنهم دارهم هي جنات وقدره الزمخشري ولأنهم دار المتقين دار الآخرة ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله يدخلونها ويجوز أن يكون الخبر مضمراً تقديره لهم جنات دل عليه قوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة قاله السمين (يدخلونها) اي تلك الجنات ولا يدخلونها ولا يخرجونها منها (تجزي من تحتها) اي من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (الانهار لهم فيها) اي في الجنات (ما يشاؤون) اي ما يقع عليه مشيئتهم صفوا عفووا يحصل لهم بمجرد ذلك وهذه الحالة لا تحصل الا في الجنة وذلك يدل على ان الانسان لا يجذل ما يريد في الدنيا (كذلك) اي الامر كذلك او مثل ذلك الجزاء (يجزي الله المتقين) المراد بهم كل من يتقى الشرك وما يوجب النار من المعاصي (الذين تتوفاهم) اي تقبض أرواحهم (الملائكة طيبين) حال من المنعول او التاعل مقارنة أو مقدرة وفيه أقوال اي طاهرين من شوائب الشرك والكفر والنفاق أو صالحين أو زاكية أفعالهم وأقوالهم او من ظلم أنفسهم بالمعاصي قاله البيضاوي او طيبين الانفس ثقة بما يتقونه من ثواب الله أو طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله أو طيبين الوفاة اي هي عليهم سبله لاصعوبة فيها وقال مجاهد طيبين أحياء وأمواتا قدر الله لهم ذلك أو فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس وقيل طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن جلالها على العموم فدخل فيه جميع ما ذكر (يقولون) اي قائلين لهم يعني الملائكة حال مقارنة ان كان القول واقعا منهم في الدنيا أو مقدرة ان كان واقعا في الآخرة (سلام عليكم) معناه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون السلام انذارا لهم بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا لهم بالجنة لان السلام أمان وفي الكرخي يقولون لهم عند الموت سلام عليكم اي لا يلحقكم بعدد مكروه فهي حال مقارنة واستشهد له في الدر المنثور بما أخرجه مالك وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي قال اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك

قد قد أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا وقال الله تعالى ان الشرك اظلم من الظلمة وهو الشرك الا عظم بعدد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وقال الحسن البصري في قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ذلك المنافق يعمل اذا عمل رياء الناس وهو مشرك بعمله ذلك يعني قوله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا ليللا ثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالباً فاعله كما روى جاد بن سلمة عن عاصم بن ابي النجود عن عروة قال دخل حذيفة على مريض فرأى في عضده سيرا

فقطعه أو انتزعه ثم قال وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وفي الحديث من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذي وحسنه من رواية ابن عمر وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرقي والتمائم والتولة شرك وفي لفظ لهما وما من إلا ولكن الله يذهب بالتوكل ورواه الإمام أحمد بإسقاط من هذا فقال حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأتته إلى الباب فتخرج وبزق (٢٢٨) كراهة أن يجمع منا على أمر يكرهه قالت وأنه جاء ذات يوم فتخرج

وعندي عجوز ترقي من الحجرة فدخلتها تحت السرير قالت فدخل فجلس إلى جاني فرأى في عنقي خيطا فقال ما هذا الخيط قالت قلت خيط رقي لي فيه فأخذه فقطعه ثم قال إن آل عبد الله لا غنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرقي والتمائم والتولة شرك قالت قلت لم تقول هذا وقد كانت عيني تنرق فكنت أختاف إلى فلان اليهودي يرقها فكان إذا رقاها سكنت فقال إنما ذلك من الشيطان كان ينجسها بيده فإذا رقاها كف عنها إنما كان يكتفي أن تقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أذهب البأس رب الناس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد عن وكيع عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال دخلت على عبد الله بن عكيم وهو مريض فعودته فقبل له لوتعلقت شيئا فقال أعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل إليه ورواه النسائي عن أبي هريرة

السلام وبشره بالجنة ونحوه في الكشف وقال أبو حيان الظاهر أن السلام إنما هو في الآخرة ولذلك جاء به - مداه ادخلوا الجنة فهو من قول خزنة الجنة وعليه فهي حال مقدرة (ادخلوا الجنة عما كنتم تعملون) أي بسبب عملكم قيل يحتمل هذا وجهين الأول يكون تبشيرا به دخول الجنة عند الموت الثاني أن يكون ذلك لهم في الآخرة ولا ينافي هذا دخول الجنة بالنزول كما في الحديث الصحيح سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولأنك يا رسول الله قال ولأننا لا أن يغمدني الله برحمته وقد قدمنا البحث عن هذا (هل ينظرون) هذا جواب شبهة أخرى لمنكري النبوة فإنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم ملك من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال هل ينظرون في تصديق نبوتك (الآن تأتيهم) بالثناء والياء سبعين (الملائكة) شاهدين بذلك ويحتمل أن يقال إنهم لما طعنوا في القرآن بأنه أساطير الأولين أو عدهم الله بقوله هل ينظرون الآن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) أي عذابه في الدنيا المستأصل لهم والمراد بأمر الله القيامة والمراد بكونهم ينظرون أنهم ينتظرون آتيان الملائكة أو آتيان أمر الله على أنفسهم بالآخرة قد فعلوا فعل من وجب عليه العذاب وصار منتظرا له وليس المراد أنهم ينتظرون ذلك حقيقة فإنهم لا يؤمنون بذلك ولا يصدقونه قيل أو مانعه خلقه فان كلا من الموت والعذاب يأتيهم وإن اختلف الوقت وإنما عبر بأودون الواو إشارة إلى كناية كل واحد من الأمرين في تعذيبهم كما أفاده أبو السعود (كذلك) أي مثل فعل هؤلاء من الإصرار على الكبر والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين من قبلهم) من طوائف الكفار فأناهم أمر الله فهلكوا (وما ظلمهم الله) بتدبيرهم بالعذاب فإنه أنزل بهم ما استحقوه بكفرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بما ارتكبوه من القبائح وفيه أن ظلمهم مقصور عليهم باعتبار ما يؤل إليه (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي أجزية أعمالهم السيئة أوجز سيئات أعمالهم معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (وحاق) أي نزل (بهم) على وجه الإحاطة والحق لا يستعمل إلا في الشر وله البيضاء فلا يقال حاق به النعمة بل النعمة قاله الشهاب (ما) أي العذاب الذي (كانوا يستهزئون) أو عقاب استهزأهم (وقال الذين أشركوا) هذا نوع آخر من كفرهم الذي حكاه الله تعالى عنهم والمراد بالذين أشركوا هنا أهل مكة (لو شاء الله)

وفي مسند الإمام أحمد من عقبه بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علق نجاسة فقد أشرك وفي رواية عدم من تعلق نجاسة فلا أثم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له وعن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه رواه مسلم وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ينادي مناد من كان أشبه لنفي عمل الله فلم يطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك رواه الإمام أحمد وقال أحمد حدثنا يونس

حدثنا **يثعني** **ابن الهادي** عن **عمرو** عن **محمود بن ابيد** ان **رسول الله صلى الله عليه وسلم** قال ان **أخوف ما أخاف عليكم** **الشرك الأصغر** قالوا وما **الشرك الأصغر** يا **رسول الله** قال **الرياء** يقول **الله تعالى** يوم القيامة اذا جازى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم ترأون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وقد رواه **اسماعيل بن جعفر** عن **عمرو بن أبي عمرو** ومولى **المطلب** عن **عاصم بن عمرو** عن **قتادة** عن **محمود بن لبيد** به وقال **الامام أحمد** حدثنا **حسن** **أفينا** **ابن لهيعة** **أفينا** **ابن هبيرة** عن **أبي عبد الرحمن الحبلي** عن **عبد الله بن عمرو** قال قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** (٢٢٩) . من رذته الطيرة عن حاجته فقد **شرك** قالوا

يا **رسول الله** ما **كفارة ذلك** قال ان يقول أحدكم اللهم لا خير الاخيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك وقال **الامام أحمد** حدثنا **عبد الله ابن غير** حدثنا **عبد الملك بن أبي سليمان** **العريزي** عن **أبي علي** رجل من بني **كاهل** قال خطبنا **أبو موسى الأشعري** فقال يا أيها الناس اتقوا هذا **الشرك** فانه أخفى من **ديب النمل** فقام **عبد الله بن حرب** و**قيس بن المضارب** فقالا والله لنخرجن مما قلت أولنا **تين عمر** ما ذونا لنا أو غير ما ذونا قال **بطل** أخرج مما قلت خطبنا **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا **الشرك** فانه أخفى من **ديب النمل** فقال له من شاء الله ان يقول فكيف تقبسه وهو أخفى من **ديب النمل** يا **رسول الله** قال قولوا اللهم انا نعوذ بك ان **نشرك بك** شيئا نعلمه ونستغفر لك لما لا نعلم وقد روى من وجه آخر وفيه ان **السائل** في ذلك هو **الصدوق** كما رواه **الحافظ أبو يعلى الموصلي** من حديث **عبد العزيز بن مسلم** عن **ليث بن أبي**

عدم عبادتنا لشيء غيره (ما عبدنا من دونه من شيء) أي لحصل ذلك جئت أولم شيء ولو شاء منا الكفر لحصل جئت أولم شيء وإذا كان كذلك فالكل من عند الله فلا فائدة في بعثة الرسل الى الأمم ومن الأولى بيانية والثانية زائدة لتأكيد الاستغراق (نحن) تأكيد لضمير عبدنا لا تصحح العطف لوجود الفواصل وان كان محسناله (ولا آباءنا) الذين كانوا على ما نحن عليه الا أن من الكفر والشرك بالله قال الزجاج انهم قالوا هذا على وجه الاستهزاء ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مؤمنين انتهى وقدم مضى الكلام على مثل هذا في سورة الانعام (ولا حرمتنا من دونه من شيء) من السوائب والوصائل والنجائز ونحوها ومقصودهم به هذا القول المعلق بالمشيئة الطعن في الرسالة أي لو كان ما قاله الرسول حقا من المنع من عبادة غيره والله والمنع من تحريم ما لم يحرمه الله حاك ذلك عن الله لم يقع منا ما يخالف ما اراده منا فانه قد شاء الله ذلك وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلما وقع منا العبادة لغيره وتحريم ما لم يحرمه كان ذلك دليلا على ان ذلك هو المطابق لمراده والموافق لمشيئته مع انهم في الحقيقة لا يعترفون بذلك ولا يقرون به لكنهم قصدوا ما ذكرنا من الطعن على الرسل والظاهر ان من الأولى والثانية ههنا زائدتان أي ولا حرمتنا شيئا حال كوننا دون أي دون الله أي مستقلين بتحريمه قاله **الحنفاوى** (كذلك فعل الذين من قبلهم) من طوائف الكفر فانهم أشركوا بالله وحرموا ما لم يحرمه وجادلوا رسلهم بالباطل واستمزوا بهم ثم قال (فهل على الرسل) الذين يرسلهم الله الى عباده بما شرعه لهم من الشرائع التي رأسها توحيده وترك الشرك به (الا البلاغ المبين) الى من أرسلوا اليهم بما أمروا به وبما نهوا عنه بلاغا ونحوا فيه المرسل اليهم لا يلتبس عليهم والبلاغ مصدر بمعنى البلاغ ثم انه سبحانه أكد هذا وزاده ايضا حاقا فقال (واتدبعنا في كل أمة رسولا) كما بعثنا في هؤلاء لاقامة الحجج عليهم وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا وأن في قوله (أن اعبدوا الله) امام صدرية أي بعثنا بان اعبدوا الله وحده أو مفسرة لأن في البعث معنى القول والوجهان حكاهما **السمين وغيره** (واجتنبوا الطاغوت) أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا الى الضلال وهو من الطغيان يذكروا يؤثرون ويقع على الواحد كقولهم يريدون ان يتحكما كوا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به وعلى الجمع كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجمع

سليم عن **محمد بن معقل بن يسار** قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم أوفال حدثني **أبو بكر الصديق** عن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** انه قال **الشرك** أخفى فيكم من **ديب النمل** فقال **أبو بكر** وهل **الشرك** الا من دعا مع الله الها آخر فقال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** **الشرك** فيكم أخفى من **ديب النمل** ثم قال ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره قل اللهم اني أعوذ بك ان أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر لك مما لا أعلم وقد رواه **الحافظ أبو التماسم البغوي** عن **شيبان بن فرج** عن **يحيى بن كثير** عن **النضر بن اسمعيل بن أبي خالد** عن **قيس بن أبي حازم** عن **أبي بكر الصديق** قال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** **الشرك** أخفى في أمي من **ديب النمل** على الصفا

قال فقال أبو بكر يا رسول الله فكيف النجاة واخرج من ذلك فقال ألا أخبرك بشي إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر لك لما لا أعلم قال الدارقطني يحيى بن كثير هذا يقال له أبو النضر متروك الحديث وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث يعلى بن عطاء سمعت عمرو بن عاصم سمعت أبا هريرة قال قال أبو بكر الصديق يا رسول الله عني شيأ أقوله إذا أصبحت وإذا أميت وإذا أخذت مضجعي قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب (٢٣٠) والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي

طواغيت والتقدير واجتنبوا عبادتها قاله كلام على حذف المضاف (فهم) أي فن هذه الامم التي بعث الله اليها رسوله (من هدى الله) أي أرشده الى دينه وتوحيده وعبادته واجتناب الطاغوت فآمن (ومنهم من حققت عليه الضلالة) أي وجبت وثبتت بالقضاء السابق في الازل لاصراره على الكفر والعناد فلم يؤمن قال الزجاج اعلم الله انه بعث الرسل بالامر بالعبادة وهو من وراء الضلال والهداية ومثل هذه الآية قوله تعالى فريقتا هدى وفرى قاحق عليهم الضلالة وفي هذه الآية التصريح بان الله أمر جميع عباده بعبادته واجتناب الشيطان وكل ما يدعوا الى الضلال وانهم بعد ذلك فريقتا هدى فمن هدى ومنهم من حققت عليه الضلالة فكان في ذلك دليل على ان أمر الله سبحانه لا يستلزم موافقة ارادته فانه يأمر الكل بالايان ولا يريد الهداية للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر أحد وهذا معنى ما حكيناه عن الزجاج هنا (فسير وفي الارض) سير المعتمرين المتفكرين اتعرفوا ما ل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك وفي الفاء اشعار بوجوب المبادرة الى النظر والاستدلال (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) رسلهم من الامم السابقة عند مشاهدتهم لا تارهم كعادته وعودى كيف ما آخر أمرهم الى خراب الديار بعد هلاك الابدان بالعذاب ثم خص الخطاب برسوله صلى الله عليه وآله وسلم مؤكدا لما تقدم فقال (ان تحرص) يا محمد (على هدايتهم) أي تطلب بجهدك ذلك وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك وفي المصباح حرص عليه حرصا من باب ضرب اذا اجتهدوا الاسم بالحرص بالكسر وحرص على الدنيا وحرص حرصا من باب تعب لغة اذا رغب رغبة مذمومة وفي السمين قراءة العامة ان تحرص بكسر الراء مضارع حرص بفتحها وهي اللغة العالية لغة الحجاز وقرئ بكسر الراء مضارع حرص بكسر ها وهي لغة لبعضهم (فان الله) تعالى للجواب (لا يهدي من يشاء) قرئ يهدي بفتح حرف المضارعة على انه فعل مستقبل مستند الى الله سبحانه أي فان الله لا يرشد من أضله وقرئ بضم حرف المضارعة على انه مبني للجهول على انه لا يهدي هادكا ائنا من كان وهما سبعينان فهذه الآية كقولها في الآية الاخرى من يضل الله فلا هادي له وقال انباء على القراءة الاولى معنى لا يهدي لا يهدي كقوله تعالى أم من لا يهدي الا ان يهدي بمعنى يهدي قال النحاس حكى عن المبرد معنى لا يهدي من يضل من علم ذلك منه وسبق له عنده

ومن شر الشيطان وشركه رواه ابو داود والنسائي وصححه وزاد الامام أحمد في رواية له من حديث ليث بن أبي سليم عن أبي بكر الصديق قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول فذكر الدعاء وزاد في آخره وأن اقترف على نفسي سوءا أو أجره الى مسلم وقوله أفامنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله الآية أي أفامن هؤلاء المشركون ان يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون كقوله تعالى أفامن الذين مكروا السعيات ان يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في قبليهم غامهم يعجزون أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم وقوله أفامن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتنا وهم نائمون أو آمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحي وهم يلعبون أفامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصره أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يقول تعالى لرسوله

صلى الله عليه وسلم الى الثقلين الانس والجن أمره أن يخبر الناس ان هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته (وما لهم وهي الدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له يدعو الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي وقوله وسبحان الله أي وأتره الله وأجله وأعظمه وأقدسهم عز ان يكون له شريك أو نظير أو عدل أو نبيد أو ولد أو والد أو صاحبة أو مشير تبارك وتقدس وتعالى عن ذلك كله علا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه

كان حليماً غفوراً (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين آمنوا أفلا تغفلون) يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء وهذا قول جمهور العلماء كدال عليه سياق هذه الآية الكريمة أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وحى تشرع وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم أم عيسى نبيات واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة باحق ومن وراء اسحق يعقوب وبقوله وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية وبأن الملك جاء إلى مريم وبشرها (٢٣١) بعيسى عليه السلام وبقوله تعالى إذ قالت

الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرتك وأصفطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وهذا القدر حاصل لهن ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك فإن أراد القائل بنبوتهم هذا القدر من التشريف فهذا الاشك فيه ويبيح الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرد أم لا الذي عليه أهل السنة والجماعة وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن اسمعيل الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية وإنما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبرا عن أشرفهن مريم بنات عمران حيث قال تعالى ما المصيح ابن مريم المرسل قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كأنها يأكلان الطعام فوصفها في أشرف مقاماتها بابا الصديقة فلو كانت نبية لذلك في مقام التشريف والاعظام فهي صديقة بنص القرآن وقال الخليل عن ابن عباس في قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً الآية أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم وهذا القول من

(وما لهم من ناصر ين) ينصرونهم على الهداية لمن أضله الله أو ينصرونهم بدفع العذاب عنهم ومن زائدة ثم ذكر عناد قريش وانكارهم للبعث فقال (وأقسموا بالله) أي حلفوا وسمى الحلف قسماً لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق ومكذب (جهداً أي ما بينهم) أي جاهدين غاية اجتهدهم فيها وذلك أنهم كانوا يقسمون بآبائهم وآلهتهم ثم فإذا كان الأمر عظيماً أقسموا بالله والجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة واتصاه على المصدرية وظاهره أنه استئناف أخبار روجه له الزمخشري نسقاً على وقال الذين أشركوا (لا يبعث الله من يوت) من عباده زعموا أن الله سبحانه عاجز عن بعث الأموات عن أبي العالمة قال كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأنابه بتقاضاه فكان مما يتكلم به والذي أرجوه بعد الموت أنه الكذا وكذا فقال له المشرك أنك لترعم أنك تبعث من بعد الموت فأقسم بالله جهدي عينه لا يبعث الله من يوت فأنزل الله سبحانه هذه الآية وعن علي قال نزلت في (بلى وعدا عليه حقا) هذا اثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى وهو يبعثهم ثم لأن البعث وعدم من الله والتقدير وعدا البعث وعدا عليه وحقه حقاً لا خلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك يسير عليه سبحانه غير عسير أما لعدم علمهم بأنه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمرعاتها وأما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناع البعث (يسين) أي ليظهر (لهم) وهو غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير في لهم راجع إلى من يوت (الذي يختلفون فيه) أي الأمر الذي وقع الخلاف بينهم فيه وبيانه أن ذلك يكون بما جاءتهم به الرسل ونزلت عليهم فيه كتب الله وقيل يسين متعلق بقوله ولقد بعثنا (وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه وأنكروا البعث (أنهم كانوا كاذبين) في جسد الههم وانكارهم البعث بقولهم لا يبعث الله من يوت (انما قولنا الشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) جملة مستأنفة لبيان كيفية الإبداء والاعادة مسوقة لهذا المقصد بعد بيان سهولة البعث عليه سبحانه قال الزجاج أعلمهم بسهولة خلق الأشياء عليه فاجبر أنه متى أراد الشيء كان وهذا كتوله فاذا قضى أمر أفاغما يقول له كن فيكون قال ابن الأنباري أوقع لفظ الشيء على المعلوم عند الله تعالى قبل الخلق لأنه بمنزلة ما قد وجد وشوهد قال الزجاج إن معنى شيء لاجل شيء فجعل اللام سببية وليس بواضح وقيل هي لام التبليغ قاله أبو السعود أي أية

ابن عباس يعترض بقوله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق الآية وقوله وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نساء وأهل كما المسرفين ثم قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الآية وقوله من أهل القرى المراد بالقرى المدن لأنهم من أهل البوادي الذين هم من أجناس الناس طباعاً وأخلاقاً وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعاً وألطف من أهل بواديهم وأهل الريف والسكناء أقرب حالاً من الذين يسكنون في البوادي ولهذا قال تعالى الأعراب أشد كفرة ونفاقاً الآية وقال قتادة في الآية قوله من أهل القرى لأنهم

اعلم واحلم من اهل العمور وفي الحديث الاخر ان رجلا من الاعراب اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان لا اتب هبة الامن قريش أو انصارى أو ثقيفى أو دوسى وقال الامام احمد حدثنا جاج حدثنا شعبة عن الأعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأعمش هو عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاعهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاعهم وقوله أفلم يسيروا في الارض اى المكذبون (٢٣٢) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم أى من الامم المكذبة كقوله

أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها الآية فاذا استمعوا خبر ذلك رأوا أن الله اهلك الكافرين ونجى المؤمنين وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال تعالى ولدار الآخرة خير للذين اتقوا اى وكأنجينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في الدار الآخرة وهى خير لهم من الدنيا بكثير كقوله اننا لننصر رسلانا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينتفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وازاد الدار الى الآخرة فقال ولدار الآخرة كما يقال صلاة الاولى ومسجد الجامع وعام اول وبارحة الاولى ويوم الخميس قال الشاعر

أتمدح فتعسا وتدمعسا

ألا لله املك من هجين ولو أقرت عليك ديار عيس

عرفت الذل عرفان اليقين (حتى اذا استبأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) يذكركم تعالى ان نصره

شئ كان مما عزوه ان كما في قولك قلت له قم فقام وهذا الكلام من باب التمثيل على معنى انه لا يمنع عليه شئ وان وجوده عند ارادته كوجود المأمور به عند أمر الأمير المطاع اذا ورد على المأمور المطيع وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور ولا كاف ولا نون حتى يقال انه يلزم منه أحد محالين اما خطاب المعلوم أو تحصيل الحاصل قلت هكذا قال أكثر المفسرين وهو يخالف ظاهر النظم القرآنى والحق ما دلت عليه الآية من القول وهو على حقيقته وانه جرت به العادة الالهية وقدمضى تفسير ذلك في سورة البقرة مستوفى وفي الآية الكريمة من النعمامة والحزلة ما يحار فيه العقول والألباب (والذين هاجروا) قد تقدم معنى الهجرة في سورة النساء وهى ترك الابل والأوطان أى اتفلقوا من مكة الى المدينة لا فامة دين الله سبحانه ومعنى (فى الله) فى شأن الله سبحانه وفى رضاه وقيل فى دين الله وقيل فى معنى لام التعليل أى الله (من بعد ما ظلموا) أى عذبوا وأهينوا وقد اختلف فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى صهيب وبلال وخباب وعمار واعترض بأن السورة مكية وذلك يخالف قوله والذين هاجروا واجيب بانه يمكن ان تكون هذه الآية من جملة الآيات المدنية فى هذه السورة كما قدمنا فى عنوانها وقيل نزلت فى أبى جندل بن سهيل وقيل نزلت فى اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما ظلمهم المشركون بمكة وأخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبيشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصارا من المؤمنين (لنموتنهم فى الدنيا حسنة) قيل المراد نزولهم المدينة قاله ابن عباس والحسن والشعبي وقتادة وقيل المراد الرزق الحسن قاله مجاهد وقيل النصر على عدوهم قاله الضعفاء وقيل ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات وقيل ما بقى لهم فيها من الثناء وصار لا ولادهم من الشرف ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الامور والمعنى لنموتنهم بمبابة حسنة أو بثوبة حسنة فحسنة صفة مصدر محذوف (ولا جبر الآخرة) أى جزاء أعمالهم الكائن فى الآخرة وهو النعيم الكائن فى الجنة التى هى المراد بالآخرة (أكبر) وأعظم من ان يعلمه أحد من خلق الله قبل ان يشاهده ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (لو كانوا) أى هؤلاء الظلمة (يعلمون) ذلك وقيل ان الضمير راجع الى المؤمنين المهاجرين أى لورا وثواب الآخرة وعائنه لعلوا انه أكبر من حسنة الدنيا وهو اسكانهم المدينة (الذين

ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله فى احوج صبروا)

الافوات اليه كقوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الآية وفى قوله كذبوا اقراءنا ان احداهما بالتشديد قد كذبوا وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقرأها قال البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال اخبرني عروة بن الزبير عن عائشة انها قالت له وهو يسألها عن قوله حتى اذا استبأس الرسل قال قلت ا كذبوا أم كذبوا قالت عائشة كذبوا قلت فقد استيقوا أن قومهم كذبوهم فاهو بالظن قالت اجل لعمري لقد استيقوا بذلك فقلت

لها وظنوا أنهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلا واستأخروهم النصر حتى إذا استياس الرسل من كذبهم من قومهم وظنت الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك حدثنا أبو اليمان أن أبا ناسبة عن الزهري قال أخبرنا عروة فقلت لعلها قد كذبوا خفيته قالت معاذ الله انتهى ما ذكره وقال ابن جرير أخرج أخبرني ابن أبي مليكة أن ابن عباس قرأنا وظنوا أنهم قد كذبوا خفيته قال عبد الله هو ابن أبي مليكة ثم قال لي ابن عباس كانوا بشروا ثم قلا (٢٣٣) حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه

متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ابن جرير وقال لي ابن أبي مليكة وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شيء الا قد علم انه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلا بالرسول حتى تنوأن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم قال ابن أبي مليكة في حديث عروة كانت عائشة تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مشقة من التكذيب وقال ابن أبي حاتم أن أبا يونس بن عبد الأعلى قرأه أن أبا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن عمر بن سعيد قال جاء انسان الى القاسم بن محمد فقال ان محمد بن كعب الترمطي قرأ هذه الآية حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا فقال القاسم أخبره عن أبي سمعة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا تقول كذبوا تقول كذبوا ثم أتبعهم اسناد صحيح أيضا والقراءة الثانية بالتخفيف واختلفوا في تفسيرها فقال ابن عباس ما تقدم وعن ابن مسعود فيما رواه الثوري عن الاعشى عن أبي

صبروا على أذى المشركين أو على مفارقة الوطن والهجرة أو على الجهاد وبذل النفس والاموال في سبيل الله واللفظ أعم من ذلك (وعلى ربهم) وحده خاصة (يتوكلون) في جميع أمورهم معرضين عما سواه والصبر مبدأ السلوك الى الله تعالى والتوكل هو آخر الطريق ومنتهاه والظاهر والله أعلم ان المعنى على المضي والتعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة توكلهم البديعة وفيه ترغيب لغيرهم في طاعة الله عز وجل وجواب الموصول محذوف أي فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وما أرسلنا من قبلك) رد على قريش حيث زعموا ان الله سبحانه أجل من أن يرسل رسولا من البشر فرد الله عليهم بان هذه عادته وسنته ان لا يرسل (الارجالا) من البشر (نوحى اليهم) وزعم أبو علي الجبائي ان معنى الآية ان الله سبحانه لم يرسل الى الانبياء بوحية الا من هو على صورة الرجال من الملائكة ويرد عليه ان جبريل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صور مختلفة ولما كان كفار مكة معتزين بان اليهود والنصارى هم أهل العلم بما أنزل الله في التوراة والانجيل صرف الخطاب اليهم وأمرهم ان يرجعوا الى أهل الكتاب فقال (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون) أي فاسألوا أيها المشركون ان شككنكم فيما ذكر مؤمنى أهل الكتاب فانهم سيخبرونكم بان جميع الانبياء كانوا بشرا أو أسألو أهل الكتاب من غير تمييز بمؤمنينهم كما يشهد اظاهر فانهم كانوا يعترفون بذلك ولا يكتونه وقيل المعنى فاسألوا أهل القرآن عن سعيد بن جبيرة قال نزلت في عبد الله بن سلام ونفر من أهل التوراة وقد استدل بحجوز والتقليد بهذه الآية وقالوا أمر سبحانه من لا علم له ان يسأل من له علم والجواب ان هذه الآية الشريفة راردة في سؤال خاص خارج عن مثل النزاع كما يفيد السياق المذكور قبل هذا اللفظ الذي استدلوا به وبعده وبه قال ابن جرير والبعوى وأكثر المفسرين واستوفاه السيوطي في الدر المنثور وهذا هو المعنى الذي يفيد السياق والسباق وعلى فرض ان المراد السؤال العام فالمأمور بسؤالهم هم أهل الذکر والذکر هو كتاب الله وسنة رسوله لا غيرهما ولا أظن مخالفنا يخالف في هذا لان هذه الشريعة المطهرة هي امامنا من الله عز وجل وذلك هو القرآن الكريم ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك هو السنة المطهرة ولا ثالث لذلك واذا كان المأمور بسؤالهم هم أهل القرآن والحديث فالآية الكريمة حجة على المتلذذة لالهم لان المراد انهم يسألون أهل الذکر

(٣٠ فتح البيان خامس) الضحى عن مسروق عن عبد الله انه قرأ حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا خفيته قال عبد الله هو الذي تكره وهذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ما رواه آخره عن ابن عباس فروى عنه حدثنا الاعشى عن مسلم عن ابن عباس في قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك فنجي من نشاء وكذا روى عن سعيد بن جبيرة وعمران بن الحرث السلمي وعبد الرحمن بن معاوية وعلى بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس عنه وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا عمار أبو النعمان

حدثنا جاد بن زيد حدثنا شعيب حدثنا ابراهيم بن أبي حمزة الجزري قال سأل فتى من قريش سعيد بن جبيرة قال أخبرنا بأب عبد الله كيف هذا الحرف فاني اذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة حتى اذا استبأس الرسل من قومهم أن يصد قوهم وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوا فقال الضحالة بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى الى علم فينكحوا لورحلت الى اليمن في هذه كان قليلا ثم روى ابن جرير ايضا من وجه آخر ان مسلما بن يسار سأل سعيد بن جبيرة عن ذلك فاجابه بهذا الجواب فقام الى سعيد (٢٣٤) فاعتنقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عني وهكذا روى من غير

وجه عن سعيد بن جبيرة فانه فسرهما كذلك وكذا فسرهما مجاهد بن جبر وغير واحد من السلف حتى ان مجاهدا قرأها وظنوا انهم قد كذبوا بفتح الذال رواه ابن جرير الا ان بعض من فسرهما كذلك يعيد الضمير في قوله وظنوا انهم قد كذبوا الى اتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من يعيده الى الكافرين منهم أي وظن الكفار ان الرسل قد كذبوا بخدعة فيما وعدوا به من النصر وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن ابي وصيل عن محش بن زياد الضبي عن عتيق بن حزم قال سمعت عبيد الله بن مسعود يقول في هذه الآية حتى اذا استبأس الرسل من ايمان قومهم ان يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الامر انهم كذبوا بالتحريف فهما تان روايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرهما بذلك وانتصر لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكسبية ورده وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم (لقد كان في قصصهم عبرة

فيخبرونهم به فالجواب من المسؤولين ان يقولوا قال الله كذا وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كذا فيعمل السائلون بذلك وهذا هو غير ما يريد المقلد المستدل بما فانه انما استدلل به على جواز ما هو فيه من الاخذ بقول الرجال من دون سؤال عن الدليل فان هذا هو التقليد ولهذا هو مباهنة قبول قول الغير من دون مطالبة بحجة خفاصل التقليد ان المقلد لا يسأل عن كتاب الله ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل يسأل عن مذهب امامه فقط فاذا جاوز ذلك الى السؤال عن الكتاب والسنة فليس بمقلد وهذا يسلمه كل مقلد ولا ينكره واذا تقرر ان المقلد اذا سأل أهل الذكرك عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مقلدا علمت أن هذه الآية الشريفة على تسليم ان السؤال ليس عن الشيء الخاص الذي يدل عليه السياق بل عن كل شيء من الشريعة كما يزعمه المقلد تدفع في وجهه وترغم أنه وتكسر ظهره فان معنى هذا السؤال الذي شرعه الله تعالى هو السؤال عن الحجة الشرعية وطالبها من العالم فيكون هو راويا وهذا السائل مستورا والمقلد يقر على نفسه بأنه يقبل قول العالم ولا يطالبه بالحجة فالآية هي دليل الاتباع لا دليل التقليد وبهذا ظهر لك ان هذه الحجة التي احتج بها المقلد هي حجة داحضة على فرض ان المراد المعنى الخاص وهي عليه لاله على فرض ان المراد المعنى العام (بالبينات والزبر) فيه ستة أوجه أحدها ما تقديره أي رجالا متلبسين بالبينات وهو وجه حسن ذكره الزمخشري ولا محذور فيه الثاني (١) تقديره وما أرسلناهم بم ما ذكره الحوفي والزمخشري وغيرهما وبه بدأ في الكشف الثالث تقديره ما أرسلناهم ما لا رجلا حكاها ابن عطية الرابع انه متعلق بنوحى كما تقول أوحى اليه بحق ذكره الزمخشري وأبو البقاء الخامس أنه منصوب بتقدير أعنى والباء زائدة السادس انه متعلق بمحذوف كأنه قيل قبلهم أرسلوا فاقبل أرسلوا بهم كما كذا قدره الزمخشري قال السمين وهو أحسن من تقدير أبي البقاء يعنى لموافقته للدال عليه فلنظروا معنى والبيانات الحجج الواضحة والبراهين الساطعة والزبر الكتب والصحف وقد تقدم الكلام على هذا في آل عمران (وأزانا اليك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الذكر) أي القرآن وسماه ذكر الان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين ثم بين الغاية المدالة من الانزال فقال (لتبين للناس) جميعا (ما نزل اليهم) في هذا الذكرك من الاحكام الشرعية والوعد والوعيد وبيان الكتاب بطب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول

صلى لاولى الابواب ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يقول تعالى لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين عبرة لاولى الابواب وهي العقول ما كان حديثا يفتري أي وما كان لهذا القرآن ان يفتري من دون الله أي يكذب ويختلق ولكن تصديق الذي بين يديه أي من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق فيها من الصحيح ونفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالتسخير والتقرير وتفصيل كل شيء (١) قوله تقديره الخ كذا بالاصل الذي بأيدينا وعبارة الزمخشري اما ان يتعلق بما أرسلنا داخل تحت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا الا رجلا بالبينات الخ فتأمل اه معجمه

من تحليل ونحرى ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الامر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وماشا كلها من المكروهات والاخبار عن الامور الجلية وعن الغيوب المستقبلة المجمل والتفصيلية والاخبار عن الرب تبارك وتعالى بالاسماء والصفات وتزهره عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان هدى ورحمة لقوم يؤمنون تهتدى به قلوبهم من الغي الى الرشاد ومن الضلالة الى السداد ويتغون به الرحمة من رب العباد في الدنيا ويوم المعاد فنسأل الله العظيم ان يجعلنا منهم في الدنيا والاخرة يوم يفوز بالرحمة المبيضة وجوههم ويرجع المسودة وجوههم بالصفة الخامسة (٢٣٥) * آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام والله

الحمد والمنة وبه المستعان

* (تفسير سورة الرعد وهي مكية) *
 * (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 (المرتل آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة وقد مرنا ان كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الاتصاف بالقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لاشن فيه ولا مريبة ولا ريب ولهذا قال تلك آيات الكتاب أي هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والانجيل قاله مجاهد وقتاد وفيه نظير بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صنفات فقال والذي أنزل اليك أي يا محمد من ربك الحق خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله والذي أنزل اليك من ربك الحق هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة واختار ابن جرير ان تكون الواو زائدة أو عاطفة صنف على صنف كما قدمنا واستشهد بقول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام

وليت الكتبية في المزدحم

وقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين أي مع هذا البيان والجلال والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وحضر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بالمقار بكم توقنون) يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظم سلطانه أنه الذي ياذنه وأمره رفع السموات بغير عمد بل ياذنه وأمره وتسخره رفعها عن الارض بعد الاتساع والاندك مداهافا السماء الدنيا سطحاً بجمع الارض وما

صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قيل متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لان القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين مقدم على المجمل وقيل المحكم مبين والمتشابه مجمل يطلب بيانه من السنة فهذه الآية محمولة على ما أجمل فيه دون المحكم المبين المفسر (ولعلمهم يتفكرون) أي ارادة ان يتأملوا ويعملوا افكارهم فيستظوا ويعملوا به (أفأمن الذين ذكرنا الاستفهام للتوبيخ والثناء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم (السيات) أي المكرات السيات ولم يذكر الزمخشري غيره أو المعنى عملوا أو فعلوا السيات أو أمن الماكرون العقوبات السيات أو مكر والسيات قال مجاهد يعني غرورهم وكتمانهم وقومه وعن قتادة قال مكرهم الشرك وقال الضحاک تكذيبهم الرسل وعملهم بالمعاصي أو هو سعيهم في أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأذى أصحابه على وجه الخفية واحتياهم في ابطال الاسلام وكيد أهل في دار الندوة من تقييده أو قتله أو اخراجه كما ذكر في الانتقال (أن) أي أفأمنوا من أن (يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون وقرون من قبلهم يقال خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الارض وخسف الله به الارض خسوفاً أي غاب به فيها ومنه قوله نخسف نخباً وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) به أي في حال غفلتهم عنه ومن جهة لا يتخطر بها لهم كما فعل بقوم لوط وغيرهم وقيل يريد يوم يدر فأنهم أهلكوا في ذلك اليوم ولم يكن في حسابهم (أو يأخذهم في ثقلهم) ذكر المفسرون فيه وجوها فقتل المراد في أسفارهم ومتاجرهم فانه سبحانه قادر على ان يهلكهم في السفر كما يهلكهم في الحضر وهم لا يقوتونه بسبب ضربهم في الارض وبعدهم عن الاوطان والتقلب الحركة اقبالاً وادباراً وقيل المراد في حال ثقلهم في قضاء أوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم وقيل في حال ثقلهم في الليل على فرشهم وقيل في اختلافهم وقيل في حال اقبالهم وادبارهم ودهابهم ومجيئهم بالليل والنهار والتقلب بالمعنى الاول مأخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبأن معنى الثاني مأخوذ من قوله وقلوبك الامور (فأهشهم عجزين) أي بناتين ولا تمتنعين ولا سابقين (أو يأخذهم على) حال (تخوف) وتوقع للبلايا بان يكونوا متوقعين للعذاب حذرين منه غير غافلين عنه فهو خلاف ما تقدم من قوله أو يأتيهم العذاب من

حوالها من الماء والهواء من جميع نواحيها واجهاتها وأرجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بيننا وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسلكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت وبينهما من بعد المسيرة خمسمائة عام وسلكها خمسمائة عام وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن الآية وفي الحديث ما السموات السبع وما بينهن وما بينهن في الكرسي إلا حلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش كمثل الحلقة (٢٣٦) في تلك الفلاة وفي رواية والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل وجاء

عن بعض السلف أن بعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة وهو من ياقوته جراء وقوله بغير عمد ترونها روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا لها عمد ولكن لا ترى وقال إياس بن معاوية السماء على الأرض مثل القبة يعني بلا عمد وكذا روى عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى ويسلك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنه فعلى هذا يكون قوله ترونها تأكيذا لنفي ذلك أي هي مرفوعة بغير عمد ترونها وهذا هو الأكمل في القدرة وفي شعراية بن أبي الصلت الذي آثر شعره وكثر قلبه كما ورد في الحديث ويروى يزيد بن عمرو بن نضيل رضى الله عنه

وأنت الذي من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا ناديا فقلت له ياذهب وهرق فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا وقول له هل أنت سويت هذه بلا عمد وأفوق ذلك ياينا

حيث لا يشعرون وقال ابن الأعرابي على تنقص من الأموال والنفوس والثمرات حتى يهلكهم كلهم قال الواحدى قال عامة المفسرين معنى على تخوف على تنقص ما يقتل أو يموت يعني ينقص من أطرافهم ونواحيهم يأخذهم الأول فالأول حتى يأتي الأخر على جميعهم قال والتخوف التنقص يقال هو يتخوف المال أي يتنقصه ويأخذ من أطرافه انتهى يقال تخوف الدهر وتخوفه النساء والنون تنقصه قال الهيثم بن عدي التخوف بالقاء التنقص لغة لازدشونة وقال ابن قتيبة هذه لغة هذيل وقيل على تخوف على عجل قاله الليث بن سعد وقيل على تفرع عما قدموه من ذنوبهم روى ذلك عن ابن عباس وقيل على تخوف أن يعاقب ويتجاوز قال قتادة وعن ابن عباس على أثمرت صاحبه وعنه أيضا وتنقص من أعمالهم وعن عرائسهم عن هذه الآية فقالوا ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردوه من الآيات فقال عمر ما أرى إلا أنه على ما يتنقصون من معاصي الله فخرج رجل من كان عند عمر فلقى أعرابيا فقال يا فلان ما فعل ربك قال قد تخيفته يعني تنقصته فراجع إلى عمر فأكبره فقال قد رأيت ذلك وعبارة البيضاوى روى أن عمر قال على المنبر ما تقولون فيها فكتبوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها فقال نعم قال شاعرنا أبو بكر (١) يصف ناقته

تخوف الرجل منها تامكافدا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم يدوانكم لا تضلوا قالوا وما ديو لنا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم انتهى قال الشهاب الرجل رجل الناقة والتام السنام المشرف والقرده هو المرتفع أو المتراكم والنبع شجر يتخذ منه القسي والسفن هنا المبرد والقدم يصف ناقته بانها أثر الرجل في سنامها فأكله واتنقصه كما ينقص المبرد العود انتهى وعن مجاهد قال على تخوف يأخذهم ينقص بعضهم بعضا وقال الضحاك والكبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيخوف الآخرين أن يصيبهم ما أصابهم والحاصل أنه سبحانه خوفهم بخوف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو بأفات تحدث دفعة أو بأفات تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم أنه سبحانه ختم الآية بقوله (فان ربكم لرؤوف رحيم) لا يعاجل بالعذاب بل يعمل رأفة بكم ورحمة لكم مع استحقا فكم للعتوبة ثم لما خوف سبحانه الماكرين بما خوف أتبعه ذكر ما يدل على كمال

قدرته

منهيرا إذا ماجت الليل هاديا * وقول له من أثبت الحب في الثرى * فيسبح منه العشب ينثر رايا * ويخرج منه حبه في رؤسه * ففي ذلك آيات لمن كان واعيا

(١) هكذا في الجمل وفي نسخة من البيضاوى أبو كبير وحكى الشهاب عن الكشاف نسبة البيت لزهير وقال مع أنه ليس له هـ وفي نسخة من البيضاوى أبو كثر والله أعلم هـ من هامش الأصل

وقوله تعالى ثم استوى على العرش تقدم تفسيره في سورة الاعراف وانه يمر كما جاء من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل
تعالى الله علوا كبيرا وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى قيل المراد انهما يجريان الى انقطاعهما بقيام الساعة
نقوله تعالى والشمس تجري مسرعة ليهما وقيل المراد الى مستقرهما وهو تحت العرش مما يلي بطن الارض من الجانب الآخر فانهما
وسائر الكواكب اذا وصلوا هناك يكونون ابعدا ما يكون عن العرش لانه على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة فتمت مما يلي العالم من
هذا الوجه وليس يحيط كسائر الافلاك لان له قوائم وحلته يحملونه ولا يتصور (٢٤٧) هذا في الفلك المستدير وهذا واضح

لمن تدبر ماوردت به الآيات
والاحاديث الصحيحة والله الحمد
والمنة وذكر الشمس والقمر لانهما
أظهر الكواكب السيارة السبعة
التي هي أشرف وأعظم من الثوابت
فاذا كان قد سخر هذه فلا بد ان يدخل
في التسخير سائر الكواكب بطريق
الاولى والاخرى كما به بقوله تعالى
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
واجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم
ايه تعبدون مع انه قد صرح بذلك
بقوله والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره لاله الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين وقوله يفصل
الآيات لعلكم يلتفتوا بكم توقنون
أي يبينهم الآيات والدلالات الدالة
على انه لاله الاله وان يعبد الخلق
اذا شاء كما بدأه (وهو الذي مد
الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين
اثنين يغشي الليل النهار في ذلك
آيات لقوم يتفكرون وفي الارض
قطع متجاورات وجنات من أعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان يسقى بماء واحد ونضل
بعضها على بعض في الاكل ان في

قدرته في تدبير العالم العلوي والسفلي ومكانه ما صدر بالاسـتفهام الانكارى فقال
(أولم يروا) بالتحية بارجاع الضمير الى ما كرى السيات وقرئ بالفوقية على انه خطاب
لجميع الناس وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار
والاعتبار لا يكون الابتناس الرؤية التي يكون معها النظر الى الشيء ليتأمل أحواله
ويتفكر فيه ويعتبر به (الى ما خلق الله) ما بهمة مفسرة بقوله (من شئ) له نطل وهي
الاجسام فهو عام أريد به الخاص وخارج به الملك والجن (يتنميا ظلالة) اي عميل وتدور
وتنتقل من جانب الى جانب وتكون أول النهار على حال وتتقلص ثم تعود في آخر النهار
على حالة أخرى قال الازهرى تنميا والظلال رجوعها بعد ان تصاف النهار فالتنميا لا يكون
الا بالعمى وما انصرف عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة هو الظل وهو ما لم تنله
وقال نعلب أخبرت عن أبي عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزال عنه
فهو في ما لم تكن عليه الشمس فهو ظل وفي السمين التقي وتفعّل من فاء يفي اذا رجع
وفاء فاصر فاذا أريد تعديته عدى بالهمزة كقوله ما أفاء الله على رسوله أو بالتضعيف نحو
فيا الله الظل فتنيا وتنيا طواع فيا فهو لازم واختلف في النفي فتبيل هو مطلق الظل
سواء كان قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية ههنا وقيل ما كان قبل الزوال
فهو ظل فقط وما كان بعده فهو ظل وفي ما قلنا أعم وقيل بل يخص الظل بما قبل
الزوال والنفي بما بعده والظلال جمع ظل وهو مضاف الى مفرد لانه واحد يراد به الكثرة
(عن اليمين والشمال) أي عن جهة أيمانها وعن شمالها أي عن جانبي كل واحد منها
استعارة أو مجاز من اطلاق المقيد على المطلق قال أبو السعود استعير لهما ذلك من عين
الانسان وشماله وقيل المراد باليمين عين الفلك وهو جهة المشرق لان الكواكب منه
تظهر آخذة في الارتشاع والسطوع ومن الشمال شماله وهي جهات المغرب المقابل
له فان الظلال في أول النهار تبتدى من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند
الزوال تبتدى من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها قال الفراء وحده اليمين لانه أراد
واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمال لانه أراد كاهل الان ما خلق الله لفظ مفرد ومعناه
جمع وقال الواحدى وحده اليمين والمراد به الجمع ايجازا في اللفظ كقوله ويولون الدبر وبه
قال الزمخشري ودلت الشمال على ان المراد بها الجمع وقيل ان العرب اذا ذكرت

ذلك لا يات لقوم يعقلون) لما ذكر تعالى العالم العلوي شرع في ذكر قدرته وحكمته واحكامه للعالم السفلي فقال وهو الذي مد
الارض أي جعلها متسعة تمتد في الطول والعرض وأرساها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الانهار والحدادول والعيون
ليسقى ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الالوان والاشكال والطعوم والروائح من كل زوجين اثنين أي من كل شكل صنفان يغشى
الليل النهار أي جعل كلامهم ما يطلب الاخر طلبا حثيثا فاذا ذهب هذا غشيه هذا واذا انقضى هذا جاء الاخر فيصرف أيساني
الزمان كما تصرف في المكان والسكان ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون أي في آلاء الله وحكمته ودلائله وقوله وفي الارض

قطع متجاورات أي اراض يجاور بعضها بعضا من ان هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس وهذه سجة مالحة لا تنبت شيئا هذا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والفضال وغير واحد ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض فهذه تربة جراء وهذه يضا وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه محجرة وهذه سمله وهذه مرمله وهذه سمكة وهذه رقيقة والكل متجاورات فهذه نصفها وهذه نصفها الآخر فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا اله الا هو ولا رب سواه وقوله وجنت من أعناب وزرع ونخيل يحتمل ان تكون عاتمة على جنت فيكون (٢٣٨) وزرع ونخيل مرفوعين ويحتمل أن يكون معطوفا على أعناب فيكون مجرورا ولهذا قرأ بـكل منها طائفة

من الأئمة وقوله صنوان وغير صنوان الصنوان هو الاصول المجتعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الاشجار وسنه سمى عم الرجل صنوايه كما جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر أما شعرت ان عم الرجل صنوايه وقال الثوري وشعبة عن أبي اسحق عن البراء رضى الله عنه الصنوان هي التخلات في أصل واحد وغير الصنوان المنترقات وقاله ابن عباس ومجاهد والفضال وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقوله تسقى بماء واحد وتنزل بعضها على بعض في الاكل قال الاعشى عن ابي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وتنزل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض رواه الترمذي وقال حسن غريب أي هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع في أشكالها وألوانها وطعمها وروائحها وأوراقها

صغرى جمع عبرت عن أحدهما بلاظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقططة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل عبارة عن الانحراف في تلك الأظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة قبل اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا استوت الشمس في وسط السماء كان ظلك في خلفك فاذا مالت الى المغرب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة والفضال أما اليمين فأقول النهار وأما الشمال فأقول النهار دائما وانما عبر عن المشرق باليمين لان أقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية والشمائل جمع شمال على غير قياس والقياس أشمل كذراع وأذرع (سجدا) جمع ساجد كشاهد وشهد وراكع وركع أي حال كون الظلال ساجدة (لله) قال الزجاج يعني ان هذه الاشياء مجبولة على الطاعة وقال أيضا بجود الجسم انقياده وما يرى فيه من أثر الصنعة قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله وقيل ان الظلال ملتصقة بالأرض كالساجد عليها فلما كانت يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ (وهم) أي والحال ان الظلال (داخرون) أي خاضعون صاغرون والدخور الصغار والذل يقال دخر الرجل فهو دأخر وأدخره الله ولما وصفها بالطاعة والانقياد لاهله وذلك صفة من يعقل عبر عنها بالنظر من يعقل (ولله) وحده لا لغيره (يسجد) أي يخضع وينقاد والسجود على نوعين سجود طاعة وعبادة وسجود انقياد وخضوع كسجود الانسان وسجود الظلال والآية تحتمل النوعين (ما في السموات) جميعا (وما في الأرض من دابة) أي حيوان جسماني ونسمة تدب وتحرك على الأرض والمراد به كل دابة قال الاخفش هو كقولك ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله وقد دخل في عموم ما فيهم ما جميع الاشياء الموجودة فيهم ما قال قتادة لم يدع شيئا من خلقه الا عبده له طائعا أو كرها وعن الحسن قال يسجد من في السموات وطوعا ومن في الأرض طوعا وكرها وانما خص الدابة بالذكر لانه قد علم من قوله أولم يروا الى ما خلق الله من شيء انقياد الجمادات ومن بيانية بيان ما في الشقين أو بيان ما الثانية فقط (وعطف) (الملائكة) على ما قبلهم عطف خاص على عام تشرية الهم وتعظيم الدخولهم في المعطوف عليه وقيل أفرد الملائكة لانهم أولوا جنحة يطهرون بها أو تكون في السماء خلق يدبون (وهم) أي والحال انهم (لا يستكبرون) عن عبادة ربهم

وأزهارها فهذا في غاية الحلاوة وذات في غاية المروعة وذات في غاية المرارة وذات عذب وهذا جمع والمراد هذا وهذا يستحيل الى طعم آخر باذن الله تعالى وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق وكذلك الزهورات مع ان كلها تسقدم من طبيعة واحدة وهو الماس مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضب في ذلك آيات لمن كان اعياء وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته قاوت بين الاشياء وخلقها على ما يريد ولهذا قال تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون (وان تعجب فاعجب قواهم أنذا كثر أبائنا في خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم

وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يقول تعالى (رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وان تعجب من تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلائله في خلقه على انه القادر على ما يشاء ومع ما يعترفون به من انه ابتداء خلق الاشياء فكأنهم بعد ان لم تكن شيئا مذكورا ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في انه سيعيد العالم خلقا جديدا وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به فالعجب من قولهم ان هذا كثر اياتنا في خلق جديد وقد علم كل عالم وعافل ان خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وان من بدأ الخلق فالاعادة عليه أسهل كما قال تعالى أولم يروا ان الله (٢٣٩) الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن

بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ثم نعت المكذبين بهذا فقال أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي ما كئون فيها أبدا لا يحولون عنها ولا يزولون (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب) يقول تعالى ويستعجلونك أي هؤلاء المكذبون بالسيئة قبل الحسنة أي بالعقوبة كما أخبر عنهم في قوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوماتنا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وقال تعالى ويستعجلونك بالعذاب الايتين وقال سأل سائل بعذاب واقع وقال يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنهم الحق وقالوا ربنا عمل لنا قطننا الآية أي عقابنا وحسابنا كما قال مخبر عنهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فكانوا من شدة تكذيبهم وعنادهم

والمراد بالملائكة ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وفي هذا رد على قريش حيث زعموا أن الملائكة بنات الله والمعنى يسجد لله ما في السموات وما في الارض والملائكة وهم جميعا لا يستكبرون عن السجود (يخافون) أي حال كونهم خائفين (ربهم من فوقهم) أو جملة مستأنفة لبيان نفي استكبارهم ومن آثار الخوف عدم الاستكبار أي يخافون عذاب ربهم كأنهم من فوقهم أو يخافون ربهم لكونه من فوقهم عالما عليهم علو الرتبة والمكانة والقسرة بانعائهم بالاستواء على العرش وقيل معناه يخافون الملائكة فيكون على حذف المضاف أي يخافون ملائكة ربهم **==** اثنين من فوقهم وهو تكلف لا حاجة اليه وانما اقتضى مثل هذه التأويلات البعيدة المحاجة على مذاعب قدر سخت في الازدهان وتقرر في القلوب قبل وهذه المخافة هي مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف مجلدين ويدل على صحة هذا المعنى قوله وهو القاهر فوق عباده وقوله اخبارا عن فرعون وانا فوقهم قاهرون (ويفعلون ما يؤمرون) به من طاعة الله يعني الملائكة أو جميع من تقدم ذكره وحمل هذه الجملة على الملائكة أولى لان في مخلوقات الله من يستكبر عن عبادته ولا يخافه ولا يفعل ما يؤمر به كالكفار والعصاة الذين لا يتصفون بهذه الصفات وابليس وجنوده وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها وسماها وما بين سبحانه ان مخلوقاته السماوية والارضية منتادة له خاضعة لجلاله أتبع ذلك بالنهي عن الشرك بقوله (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) فنهى سبحانه عن اتخاذ الهين ثم أثبت ان الالهية منحصر في اله واحد وهو الله سبحانه وقد قيل ان التثنية في الالهين قد دلت على الاثنية والافراد في اله قد دل على الوحدة فواجب وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد فقيس في الجواب ان في الكلام تقدير ما وناخير والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين وفيه بعد وقال أبو البقاء هو منفعل ثان وهذا كالمعنى لذل البتة وقيل ان التكرير لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك وقيل انه تأكيد كيد لالهين وعلميه أكثر الناس وكلام الرخصى هنا يفهم منه انه ليس بتأكيد وقيل ان فائدة زيادة اثنين هي ان يعلم أن النهي راجع الى التعدد لا الى الجنس ففائدة زيادة واحد دفع توهم ان المراد اثبات الالهية دون الواحدية مع ان الالهية له سبحانه مسلمة في نفسه وانما خلاف المنكر كين في الواحدية ثم نقل الكلام

وكفرهم بطلبون ان ياتهم بعذاب الله قال الله تعالى وقد خلت من قبلهم المثلثات أي قد أوقعتنا من بالامم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اتعظ بهم ثم أخبر تعالى أنه لو لاولاهم وعنده لعاجلهم بالعقوبة كما قال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال تعالى في هذه الآية الكريمة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم أي ظلمهم مع انهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بانه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين وقال ان ربك لرسيع العقاب وانه لغفور رحيم وقال نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم

وان عذابي هو العذاب الاليم الى امثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجا والخوف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جاد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية وان ربك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزلوا عفو الله وتجاوز ما هنأ أحد العيش ولولا وعيد الله وعقابه لامت كل واحد وروى الحفاظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن عثمان أبي حسان الرمادي أنه رأى رب العزة في النوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمتة فقال له ألم يكنك أني (٢٤٠) أنزلت عليك في سورة الردوان ربك لذوم مغفرة للناس على ظلمهم

قال ثم انتهت (ويقول الدين كثر) ولولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد) يقول تعالى اخبارا عن المشر كين انهم يقولون كفرا وعنادا لولا آية بالآية من ربه كما أرسل الاولون كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهابا وأن يزيح عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجا وأنهم أرا قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون الآية انما أنت منذر أي انما عليك ان تبلغ رسالة الله التي أمرك الله و ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ولكل قوم هاد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لكل قوم داع وقال العوفي عن ابن عباس في الآية يقول الله تعالى أنت يا محمد منذر وأنا هادي كل قوم وكذا قال محمد وسعيد ابن جبير والضحاك ومجاهد وغير واحد وعن مجاهد ولكل قوم هاد أي نبي كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وبه قال قتادة وعبد الرحمن ابن زيد وقال أبو صالح ويحيى بن رافع ولكل قوم هاد أي قائد وقال أبو العالية الهادي القائد والقائد الامام والامام العمل وعن عكرمة

سبحانه من الغيبة الى التكلم على طريقه الالتفات لزيادة الترهيب فقال (فأياي فارهبون) أي ان كنتم راهبين شيئا فأياي فارهبون لا غيري فالتركيب أفاد الحصر وقيل التقدير اياي ارهبوا فارهبون وقدره ابن عطية ارهبوا اياي فارهبون قال الشيخ وهر زهول عن الناعمة الخويصة وقد يجاب عنه والرهب مخافة مع حزن واضطراب وقد مر هذا في أول البقرة ثم لما قرر سبحانه وحدانيته وأنه الذي يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر أن الكل في ملكه وتحت تصرفه فقال (وله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا والجملة مقررة لما تقدم في قوله والله يسجد ما في السموات وما في الارض الخ وتقديم الخبر لافادة الاختصاص والتفت فيه من التكلم الى الغيبة والجملة معطوفة على قوله اعما هو له واحد أو على الخبر أو مستأنف (وله الدين واصبا) أي ثابتا واجباتا لا يزول والدين هو الطاعة والاخلاص قال الفرأ واصبا بمعناه دائما وروى عنه أيضا الواصب الخالص والأول أولى ومنه قوله سبحانه وله هم عذاب واصب أي دائم وقال الزجاج أي طاعته واجبة أبدا ففسر الواصب بالواجب وقال ابن قتيبة في تفسير الواصب أي ليس أحد يطاع الا انقطع ذلك بزوال أو بهلكة غير الله تعالى فان الطاعة تدوم له ففسر الواصب بالدائم واذا دام الشيء دواما لا ينقطع فقد وجب وثبت يقال وصب الشيء بصب وصبوا فقهوا وواصب اذا دام وصب الرجل على الامر اذا واطب عليه وقيل الوصب التعب والاعياء أي يجب طاعة الله سبحانه وان تعب العبد فيها وهو غير مناسب لما في الآية فاز مجاهد الدين الاخلاص وواصب دائما وقال أبو صالح يعني لا اله الا الله وعن ابن عباس دائما واجبا وفي البيضاوي واصبا لازما وقال الشهاب الوصب ورد في كلامهم معنى الزوم والدوام وفي التاموس وصب يصب داما وثبت كواصب وعلى الامر واطب وأحسن القيام عليه وفي المصباح وصب الشيء وصبوا داما وصب الدين وجب والاستنها في قوله (أفغير الله تتقون) للتقرب والتوابع والتعجب والانكار والقاء للتعجب والمعنى اذا كان الدين أي الطاعة واجبا دائما لا ينقطع كان المناسب لذلك تخصيص التقوى به وعدم ايقاعها لغيره فكيف يعقل ان يكون للانسان رغبة او رهبة في غير الله ثم امن سبحانه عليهم بان جميع ما هم متقلبون فيه من النعم هو منه لا من غيره فقال (وما بكم من نعمتي ان الله) أي ما يلبسكم من النعم على اختلاف أنواعها فهي

وأي الضحي ولكل قوم هاد قال هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال مالك ولكل قوم هاد من يدعوهم الى الله عز وجل وقال أبو جعفر ابن جرير حدثني أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا الحسن بن الحسين الانصاري حدثنا معاذ بن مسلم حدثنا الهروي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال رضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال أنا المنذر ولكل قوم هاد وأبو أيده على منكبه على فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدى المهتدون من بعدي وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عثمان بن أبي شيبة

حدثنا المطلب بن زياد عن السدي عن عبد خبير عن علي وابن بكير عن هاد قال الهادي رجل من بني هاشم قال الجنيدهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس في إحدى الروايات وعن أبي جعفر محمد بن علي تنحو ذلك وأورد ابن جرير الحديث الذي فيه أنت الهادي يا علي بك يهتدى المهتدون من بعدى وفيه نكارة شديدة (الله يعلم ما تحمّل كل أثنى وما نفيض الأرحام وما زداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وأنه محيط بما تحمّله الخواصل من كل أئمة الحيوانات كقوله ويعلم ما في الأرحام (٢٤١) أي ما حلت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح

منه سبحانه والنعمة امدادية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما
ذنبية نفسانية او بدنية او خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحدة من هذه
جنس تحتها انواع لاحصر لها والكل من الله سبحانه فلي العاقل ان لا يشكر الاياه وما
موصولة متضمنة لعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول والنماء زائدة او شرطية
واليه نحو الشراء وتبعه الخوف وابواب البقاء ثم بين تلون الانسان بعد اداسه تغرقه في بحر النعم
فقال (ثم اذا مسكم الضر) أى الشدة والامراض والاستقام او أى ضر كان والضر
المرض والبلاء والحاجة والقعوط وكل ما يضر ربه الانسان (فاليه) سبحانه لالى غيره
(تجأرون) تضرعون وتسبغون وتضجون في كنفه فلا تأسف له الا هو يقال جأر
يجأرجو اذا رفع صوته بالدعاء في تضرع قال مجاهد تضرعون بالدعاء وقال الهدي
تضجون بالدعاء وفي القاموس جأر جأرا وجأرا ابوزن غراب رفع صوته بالدعاء وتضرع
واستغاث والبقرة والثور صاحما والنبات طال والارض طال نباتها (ثم اذا كشف الضر
عنكم) أى اذا رفع عنكم ما نزل بكم من الضر (اذا فريق) أى جماعة (منكم)
برجم) الذى رفع الضر عنهم (بشركون) فيعملون معه الها آخر من صنم أو نحوه
اذا الاولى شرطية والثانية جائية جوابها وفي الآية دليل على ان اذا الشرطية لا تكون
معمولة لجوابها لان ما بعد اذا النجائية لا يعمل فيما قبلها والآية مسوقة للتعجب من
فعل هؤلاء حيث يضعون الاشرار بالله الذى أنعم عليهم بكشف ما نزل بهم من الضر
مكان الشكر له وهذا المعنى قد تقدم في الانعام ويونس وبأنى ان شاء الله تعالى في سبحان
قال الزجاج هذا خاص بمن كفر وقابل كشف الضر عنه بالحدود والكفر وعلى هذا فيكون
من في منكم للتبعض حيث كان الخطاب للناس جميعا والفريق هم الكفرة وان كان
الخطاب موجها الى الكفار فن للبيان وبه قال الزمخشري كانه قيل اذا فريق كافروهم
أنتم قاله السمين واللام في (ليكفروا) لام كى أى لى يكفروا يعنى اشركهم بسبب
كفرهم وقيل انها لام العميورة أى صار أمرهم الى ذلك وقيل انها لام الامر واليه نحا
الزمخشري وقيل انها لام العاقبة أى فعاقبة اشراكهم بالله غير كفرهم (بما آتيناهم) من
من نعمة وهي كشف الضر عنهم حتى كأن هذا الكفر منهم الواقع في موضع الشكر
الواجب عليهم غرض لهم ومقصد من مقاصدهم وهذا غاية في العتو والعدا ليس وراءها

(٣١ فتح البيان خامس) حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم ما نغيض الا ارحام الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر الا الله ولا تدري نفس بأي ارض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله وقال العوفي عن ابن عباس وما نغيض الا ارحام يعني السقط وما تزداد يقول ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدته تمام وذلك ان من النساء من تحمل عشرة أشهر ومن تحمل تسعة أشهر ومنهن من تزيد في الحمل ومنهن من تنقص فذلك الغيض والزيادة التي ذكر الله تعالى

وحي ذلك بعلمه تعالى وقال الصالح عن ابن عباس في قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال ما نقصت من تسعة وما زاد عليها وقال الصالح وضعتني أمي وقد جئتني في بطنها ستمين وولدتني وقد نمت ثبتي وقال ابن جريج عن جيله بنت سعد عن عائشة قالت لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحرك ظل مغزل وقال مجاهد وما تغيض الارحام وما تزداد قال ماترى من الدم في جملها وما تزداد على تسعة أشهر وبه قال عطاء بن العوف والحسن البصري وقادة والصالح وقال مجاهد أيضا إذا رأت المرأة الدم دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض وقال عكرمة (٢٤٢) وسعيد بن جبيرة وابن زيد وقال مجاهد أيضا وما تغيض الارحام اراقة

غاية ثم قال سبحانه على سبيل التهديد والترهيب ملتذ من الغيبة الى الخطاب (فتمتعوا) بما أنتم فيه من ذلك (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما يحل بكم في هذه الدار وما تصيرون اليه في الدار الآخرة قال الحسن هذا وعيد ثم حكى سبحانه نوعا آخر من قبائح أعمالهم فقال (ويجعلون ما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) أي يقع منهم هذا الجعل بعد ما وقع منهم - الجوار الى الله سبحانه في كشف الضر عنهم وما تعقب كشفه عنهم من الكفر منهم بالله والانحراف به ومع ذلك يجعلون ما لا يعلمون حقيقة من الجادات والسايطين نصيبا من أموالهم يتقربون به اليه وقيل المعنى أنهم أي الكفار يجعلون للأصنام وهم لا يعلمون شيئا لكونهم - جادات وأجراها تجري العقلاء جرياً على اعتقاد الكفار فيها وحاصل المعنى ويجعل هؤلاء الكفار للأصنام التي لا تعقل شيئا نصيبا من أموالهم التي رزقهم - الله إياها قال مجاهد يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون ما لا يعلمون أنه يضرهم وينفعهم نصيبا مما رزقناهم وقال قتادة هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم وشياطينهم مما رزقهم الله وجزوا من أموالهم جزأ فجعلوه لهم وعن السدي قال هو قولهم - ذلك الله يزعمهم وهذا الشركاء (نالله لمن) أقسم بنفسه على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة وهذا رجوع من الغيبة الى الخطاب وهو من بدع الكلام وبلغه وهذا السؤال سؤال تقرير وتوبيخ (عما كنتم تفكرون) أي تحتلقونه من الكذب على الله سبحانه في الدنيا (ويجعلون الله البهائم) هذا نوع آخر من فضائحهم وقبائحهم وقد تأت خرافة وتكاذب تقول الملائكة بنات الله فنزه (سبحانه) نفسه عما نسب إليه هؤلاء الجفافة الذين لا عقول لهم - صحيحة ولا أفهام مستقيمة قال ابن عباس يقول تبعوا لهن البنات ترقدن ونهن لي ولا ترضونهن لأنفسكم وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا ولد للرجل منهم جارية أمسكها على هوان وأودسها في التراب وهي حية إنهم إلا كالأفاعيل هم أضل وفي هذا التنزيه تعييب من حالهم (ولهم ما يشتهون) أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهونه من البنين والبنات - ما تشتهون في محل النصب على الحال من الواو في يجعلون هذا ثم ذكر سبحانه كراهتهم للأنثى التي جعلها الله سبحانه فقال (وإذا بشر أحدكم - بالأنثى) أي إذا أخبر أحدكم بولادة بنت له (ظن) صار (وجهه مسودا) أي متغيرا وليس المراد لسواد الذي هو ضد البياض بل المراد به الكناية عن الانكسار والتغير بما يحصل

الدم حتى يمس من الولد وما تزداد ان لم يهرق الدم ثم الولد ونظم وقال مكحول الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يجزن ولا يغتم وانما ياتيه رزقه في بطن أمه من دم حيث - تافن ثم لا تخيض الحامل فاذا رجع الى الارض استهل واستهل له استنكاره مكانه فاذا قطعت سربه حول الله رزقه الى ثدي أمه - حتى لا يجزن ولا يطالب ولا يغتم ثم يصير طفلا يتناول الثدي بكفه فيأكله فاذا هو بلغ قال هو الموت أو القتل أي لي بالرزق فيقول مكحول يا ويحك غذاك وأنت في بطن أمك وأنت طفل صغير حتى إذا الشئ مدت وعقلت قلت هو الموت أو القتل أي لي بالرزق ثم قرأ مكحول الله يعلم ما تحمل كل أنثى الآية وقول قتادة وكل شيء عنده بقدر أراه بأجل - حفظ أرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلا معلوما وفي الحديث الصحيح ان احدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم بعثت اليه أن ابنا لها في الموت وانما يحب ان تحضره فبعث اليها يقول الله ما أخذ له ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فزورها

فله صبر ولتعتب الحديث بتمامه وقوله عالم الغيب والشهادة أي يعلم كل شيء مما يشاء هذه العباد وما يغيب عنهم من رايخني عليه منه شيء الكبير الذي هو أكبر من كل شيء المنال أي على كل شيء قد أحاط بكل شيء علما وقهر كل شيء تخضعت له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) يخبر تعالى عن احاطة علمه بجميع خلقه وسواء منهم من أسر قوله أو جهر به فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كقوله وان

تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى وقال ويعلم ما تخفون وما تعلمون وقالت عائشة رضي الله عنها سبحان الذي وسع السعوات والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جنب البيت وانه ليخفي على بعض كلامها فانزل الله قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير وقوله ومن هو مستخف بالليل أي مخنف في قعر بيته في ظلام الليل وسارب بالنهار أي ظاهر ما شفي بياض النهار وضياؤه فان كلاما في علم الله على السواء كتوبه تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم الآية وقوله تعالى وما تكون في شأن (٢٤٣) وما تتلومنه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا

عليكم شهود اذ تنبضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي للعبادة ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الاعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فائشان عن اليمين والشمال يكتب الاعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدامه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصلعونهم الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون أتيانهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وفي الحديث الآخر ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستقيهمهم وأكرمهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا له ملائكة وكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شيء يأتيه يريد الا قال له الملك والاني اذن الله فيه فيصبيه وقال النوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه

من الغم والحزن والغيظ والكراهة والعرب تقول لكل من اقي مكروها قد اسود وجهه غما وحرنا قاله الزجاج وقال الماوردي بل المراد سود اللون حقيقة قال وهو قول الجمهور والاقول أولى فان المعلوم بالوجدان أن من غضب وحزن واغتم لا يحصل في لونه الا مجرد التغير وظهور السكابة ولا انكسار لاسوداد الحقيقة (وهو كظيم) أي عظمي من الغم غظا وحنقا يقال كظمت الغيظ كظما وكظوما أمسكت على ما في نفسك منه على صفيح أو غيظ ورعما قيل كظمت على الغيظ وكظمت في الغيظ فانما كظيم وكظوم وكظم البعير كظوما لم يجترأ الا خنش هو الذي يكظم غيظه ولا يظهره و قيل انه المغموم الذي يطبق فاه من الغم مأخوذ من الكظامة وهو سد فم البئر قاله علي بن عيسى وقد تقدم في سورة يوسف (يتوارى) أي يتغيب ويختفي (من القوم من سوء ما شر به) أي من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب حدوث البنت له تعلق هذا جارا ان يلفظ واحدا لاختلاف معناه ما فان الاولى للابتداء والثانية للعله أي من أجل سوء وسوؤها من حيث كونها يخاف عليها الزنا ومن حيث كونها لا تكتسب ومن حيث غير ذلك (أي مسكة على هون) قال اليزيدي الهون الهوان بلغة قریش وكذا حكى عن الكسائي وحكى عنه أيضا انه البلاء والمشقة وقال الفراء الهون التليل بلغة تميم وعن الاعمش انه قرأ أي مسكة على سوء (أم يدسه في التراب) أي يخفيه فيه بالو أد كما كانت تفعله العرب والدس اخفاء الشيء في الشيء فلا يزال الذي بشر بحدوث الاثني مترددا بين هذين الأمرين والتذكير في مسكه ويدسه مع كونه عبارة عن الاثني لرعاية اللفظ وقرأ الجحدري أم يدسهما ويلزمه ان يقرأ أي مسكهما وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كاليدسوس لاختفائه عن الابصار (الاساء ما يحكمون) حيث أضافوا البنات التي يكرهونها الى الله سبحانه وأضافوا البنين المحبوبين عندهم الى أنفسهم ومثله قوله تعالى ألكم الذكرو له الاثني تلك اذا قسمه ضيزى قال السدي بفسح حكمه وابتول شيء لا يرضونه لانفسهم فكيف يرضونه لي (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أي لهؤلاء الذين وصفهم الله سبحانه بهذا انبعاث الفطنة صفة السوء من الجهل والسكر بالله وقيل هو وعنه الله سبحانه بالصاحبة والولد وقيل هو حاجتهم الى الولد ليقوم مقامهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق وقيل العذاب والنار (ولله المثل الاعلى) هي أضداد صفة الخلقين من الغنى

يصلون وفي الحديث الآخر ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستقيهمهم وأكرمهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هي الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا له ملائكة وكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شيء يأتيه يريد الا قال له الملك والاني اذن الله فيه فيصبيه وقال النوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله له معقبات من بين يديه

ومن خلفه قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس وقال العوفي عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني ولي السلطان يكون عاينه الحرس وقال عكرمة في نفسه - يرعاه هؤلاء الامراء الموكب من بين يديه ومن خلفه وقال الخالك في الآيته هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك والظاهر والله أعلم ان مراد ابن عباس وعكرمة والخالك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء الملوكهم وأمرهم رقد روى الامام أبو جعفر بن جرير ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثني المثنى - حدثنا ابراهيم بن عبد السلام بن صالح (٢٤٤) انقش - يرى بن عبد الرحمن - حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن

عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن العبد كم ملك معه فتال ملك عن يمينك للعبادة فكانت وهو أمير على الذي على الشمال فاذا علمت حسنة كتبت عشر اواذ علمت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتبها قال لا لاريثوب أو يستغفر فيه تأذنه ثلاث مرات فاذا قال ثلاثا قال اكتب اراحنا الله منه فبئس القرين ما اقل مرافقته لله واستحقاقنا من يقول الله ما يلائم من قول الالديه رقيب عنيد وملاكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه الآية وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله قصمك وملك كان على شئتك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع ان تدخل الحمية في فمك وملك كان على عينيك فهو هؤلاء عشرة أملاك على كل بني آدم

الكامل والجلود الشامل والعلم الواسع أو التوحيد والخلص العباد أو أنه خالق رازق قادر مجاز منزه عن الولد وقيل شهادة أن لا اله الا الله قاله قتادة وقيل الله نور السموات والارض مثل نوره الآية وقيل ليس كمثله شيء قاله ابن عباس (وهو العزيز) الذي لا يغالب فلا يضرونه نسبتهم اليه ما لا يليق به (الحكيم) في أقواله وأفعاله ثم لما حكى سبحانه عن القوم عظم كفرهم بين سعة كرمه وحلمه حيث لم يعاجلهم بالعقوبة فقال (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) المراد بالناس هنا الكفار أو جميع العصاة والباء للسببية (ما ترك عليها) أي على الارض وان لم تذكر فقد دل عليها ذكر الناس أو الدابة (من دابة) قط بل أهلكتها بالمرءة شؤم ظلم الظالمين فان الجميع مستقرون على الارض والمراد بالدابة الكافر وقيل كل ما دب وقد قيل على هذا كيف يعم بالهلال وفيهم من لا ذنب له وأجيب بان اهلاك الظالم اتقائهم واهلاك غيره ان كان من أهل التكليف فلا جمل توفير أجره وان كان من غيرهم فبشؤم ظلم الظالمين والله الحكمة البالغة لا يستل عما يفعل وهم يستلون ومثل هذا قوله وانتوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وفي معنى هذه الآية أحاديث منها ما عند مسلم وغيره من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم وكذلك حديث الجديش الذي يخسف بهم في البداء وفي آخره انهم يبعثون على نياتهم وقد قدمنا عند تفسير قوله سبحانه وانتوا فتنة الآية تحققة تامة حقيقة بالمرجعة له قال سعيد بن جبيرة ما ترك عليهم امن دابة ما سقاهاهم المطار وعن السدي نحوه أي عسك المطر بسبب ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء وذلك يستلزم ان لا يبقى في العالم أحد من الناس وقال قتادة قد فعل ذلك في زمن نوح أهلك الله ما على الارض من دابة الا ما جل في سفينته وهذا ايدان بان ما تؤمنه من القبائح فقد تناعى الى أملا غاية وراءه وعن ابن مسعود قال ذنوب ابن آدم قتلت الجمل في حجره ثم قال اي والله زمن غرق قوم نوح وعنه قال كذا الجمل ان يعذب في حجره بذنوب ابن آدم ثم قرأ هذه الآية وعن أنس نحوه وعن أبي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضمر لنفسه قال أبو هريرة بلى والله ان الحباري لتتوت هز الا في وكرها من ظلم الظالم (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) معلوم معين عنده تعالى وهو منتهى حياتهم وانقضاء أعمارهم وأجل

ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهو هؤلاء عشرون ملكا على كل بني آدم وابليس بالنهار وولده الليل وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير انظر دباخر اجمه مسلم وقوله يحفظونه من أمر الله قبل المراد حفظهم له من أمر الله رواه على بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس واليه مذهب مجاهد وسعيد بن جبيرة وابراهيم التميمي وغيرهم

وقال قتادة يحفظونه من أمر الله قال وفي بعض القراءات يحفظونه بأمر الله وقال كعب الاحبار لو تجلّى لابن آدم كل مهمل وكل حرف (٢) لأرى كل شيء من ذلك شيئاً نفسه لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشر بكم وعوراتكم اذ الخطيئة تم وقال أبو أمامة ما من آدمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له وقال أبو مجلز جاء رجل من مراد الى على رضي الله عنه وهو يصلي فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملائكة يحفظونه مما لم يتدركوا اذا جاء الله فدخلوا بينه وبينه ان الاجل جنة حصينة وقال بعضهم يحفظونه من أمر الله بأمر (٢٤٥) الله كما جاء في الحديث انهم قالوا يا رسول الله

أرايت رقبانا ستترقى بهما هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حنص بن غياث عن أشعث عن جهم عن ابراهيم أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل أن قل لقومك انه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها الى معصية الله الاحول الله عنهم ما يحبون الى ما يكرهون ثم قال ان تصديق ذلك في كتاب الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقد ورد هذا في حديث مرفوع فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه صفة العرش حدثنا الحسن ابن علي حدثنا الهيثم بن الاشعث السلمي حدثنا أبو حنيفة الباقى الانصارى عن عمر بن عبد الملك قال خطبنا على بن أبي طالب على منبر الكوفة قال كنت اذا أمسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأتني واذا سألته عن الخبر أنبأني وانه حدثني عن ربه عز وجل قال قال الرب وعزتي وجلالى وارتفاعى فوق عرشى ما من قرية ولا أهل

عذابهم وفي هذا التأخير حكمة بالغة منها الا عذاب الله هم وارخاء العنان معهم ومنها حصول من سبق في علمه من أولادهم (فاذا جاء أجلهم) الذى سماه لهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) اى حقت عليهم كلمة الله سبحانه في ذلك الوقت من دون تقدم عليه ولا تأخر عنه والساعة المدة القليلة وقد تقدم تنفسه بعد اذ وتحققته ثم ذكر نوعا آخر من جهلهم وحقه بهم فقال (ويجعلون لله ما يكرهون) اى ينسبون اليه سبحانه ما يكرهون نسبة الى انفسهم من البنات والشريك فى الرياسة واهانة الرسل وهو تكرر لما تقدم لتصد التاكيد والتقرير أولا زيادة التوبيخ والتقريع قال الخليل اى يجعلون لى البنات ويكرهون ذلك لانفسهم ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من قبائحهم فقال (واصف ألسنتهم الكذب) والذى تصفه ألسنتهم من الكذب هو قولهم (أن لهم) الخصلة أو العاقبة (الحسنى) قال الزجاج يصنفون ان لهم مع قبح قولهم من الله الجزاء الحسن اى الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسى وقرئ الكذب بضم تين على انه صفة لالسن وهو جمع كذب فيكون المفعول على هذا ان لهم الحسنى قال مجاهد قول كنفار قریش لنا البنون وله البنات وعن قتادة نحوه ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (لا حرم) تركيب مزجى من لفظ لا ولفظ حرم ومعناه النعل اى ثبت أو المصدر اى حقا (أن لهم) مكان ما جعلوه لانفسهم من الحسنى (النار) الموقدة والعذاب الدائم (وأنتهم مفرطون) بفتح الراء تخفيفا أى مقدمون الى النار قال ابن الاعرابى وأبو عبيدة أى متروكون منسيون فى النار وبه قال مجاهد وعن سعيد بن جبيرة نحوه وبه قال الكسائى والفراء فيكون مستقاما ففرطت فلانا خلقى اذا خلفته ونسيتى وقال قتادة والحسن معجلون اليها مقدمون فى دخولها من أفرطته اى قدمته فى طلب الماء والنار هو الذى يتقدم الى الماء والفراط المتقدمون فى طلبه والوارد المتأخرون ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم أنا فراطكم على الحوض اى متقدمكم وقرئ مفرطون بكسر الراء وتخفيفها وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس ومعناه مسرفون فى الذنوب والمعاصى يقال أفرط فلان على فلان اذا فرى عليه وقال له أكثر مما قال من الشر وقرئ مفرطون بكسر الراء وتشديد هاى مضيعون أمر الله فهو من التفریط فى الواجب ثم بين سبحانه ان مثل صنيع قریش قد وقع من سائر الامم فقال مسليا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما كان يناله من الغم بسببه

بيت كانوا على ما كرهت من معصيتى ثم تحولوا عنها الى ما أحببت من طاعة الا تحوات لهم عما يكرهون من عذابى الى ما يحبون من رحمتى وهذا غريب وفى اسناده من لا أعرفه (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) يخبر تعالى انه هو الذى يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلال السحاب وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب الى أبي الجهم يسأله عن البرق فقال البرق الماء وقوله خوفا وطمعا قال قتادة خوفا لا بأسا فريخا اذا هومت فتنه وطمعا لانه قيم يرجو ركنه ومنفعة وبطمع فى رزق (٣) قوله لأرى كل شيء من ذلك الخ هكذا فيما يابى من النسم وفيه تحريف وسقط وحرر الرواية اه معجمه

الله وينشئ السحاب الثقيل أى ويخلقها من مشاة جديدة وهى لكثرة ما تم ائقيها قربة الى الارض قال مجاهد والسحاب الثقيل الذى فيه الماء قال ويسج الرعد بجمده كنهوله وان من شئ الا يسج بجمده وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا ابراهيم بن سعد أخبرني أبى قال كنت جالسا الى جنب جدي بن عبد الرحمن فى المسجد فترشح من بنى غفار فارس اليه جدي فلما أقبل قال يا ابن أخى وسع الله فيما بيني وبينك فإنه قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه فتسال جدي بالحديث الذى حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤٦) فقال له الشيخ سمعت عن شيخ من بنى غفار انه سمع النبي صلى الله عليه

وسلم يقول ان الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضجك أحسن الضجك والمراد والله أعلم ان نطقها الرعد وضجكها البرق وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن ابراهيم قال يبعث الله الغيث فلا أحسن منه منحه كما ولا أنس منه منطقا فنضجك البرق ومنطقه الرعد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله الرازى عن محمد بن مسلم قال بلغنا ان البرق مثل له أربعة وجوه وجه انسان وجه ثور وجه نسر وجه أسد فاذا مصع بذنبه فذلك البرق وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقبلنا بغضبك ولا تهلك كتابنا بدينك وعافنا قبل ذلك ورواه الترمذى والبخارى فى كتاب الادب والنسائى فى اليوم والليلة والحاكم فى مستدركه من حديث الحجاج بن أرقط عن أبى مطر ولم يسره وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا اسراييل عن أبيه عن رجل عن الأرض

ابى هريرة رفعه انه كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسج الرعد بجمده وروى عن علي بن رضى الله عنه انه كان اذا سمع صوت الرعد يقول سبحان من سمع له وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والاسود بن يزيد انهم كانوا يقولون كذلك وقال الارزاعى كان ابن أبى زكريا يقول من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبجمده لم يصبه صاعقة وعن عبد الله بن الزبير انه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان الذى يسج الرعد بجمده والملائكة من خيفة وبقول ان هذا الوعد شديد لاهل

الأرض

أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو أحمد حدثنا اسراييل عن أبيه عن رجل عن الأرض

ابى هريرة رفعه انه كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسج الرعد بجمده وروى عن علي بن رضى الله عنه انه كان اذا سمع صوت الرعد يقول سبحان من سمع له وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والاسود بن يزيد انهم كانوا يقولون كذلك وقال الارزاعى كان ابن أبى زكريا يقول من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبجمده لم يصبه صاعقة وعن عبد الله بن الزبير انه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان الذى يسج الرعد بجمده والملائكة من خيفة وبقول ان هذا الوعد شديد لاهل

الأرض رواء مالك في موطنه والبخاري في كتاب الأدب وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى
حدثنا محمد بن واسع عن معمر بن نهشل عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي
أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أجمعتم صوت الرد وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى
الساجي حدثنا أبو كامل المحدثي حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذا كرا (٢٤٧) وقوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من

يشاء أي يرسلها انقمة ينتقم بها من
يشاء ولهذا ذكر في آخر الزمان
كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد
ابن مصعب حدثنا عمارة عن
أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال تكثر الصواعق
عند اقتراب الساعة حتى يأتي
الرجل القوم فيقول من صعق
قبلكم الغداة فيقولون صعق فلان
وفلان وفلان وقد روى في سبب
نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى
الموصلي حدثنا الحق حدثنا علي
ابن أبي يسار الشيباني حدثنا ثابت
عن أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث رجلا امرأة إلى
رجل من قراء العرب فقال
اذهب فادعه لي قال فذهب إليه
فقال يدعوك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له من رسول الله
وما الله أم من ذهب هو أم من فنة
هو أم من نحاس هو قال فرجع إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبره فقال يا رسول الله قد أخذه منك
انداغني من ذلك قال لي كذا
وكذا فقال لي ارجع إليه الثانية

الأرض بعد موتها) أي أحيائها بالنبات والزرع بعد أن كانت يابسة لا حياة بها (ان
في ذلك) الانزال والاحياء (الآية) أي علامة دلالة واضحة على وحدانيته وعلى بعثه
المخلوق ومجازاتهم (لقوم يسمعون) كلام الله سمع تدبروا ناصف ويفهمون ما يتضمنه من
العبر ويتذكرون في خلق السموات والأرض فالمراد سمع القلوب لا سمع الأذان لأن من لم
يسمع بقلبه فكأنه لم يسمع وكأنه أصم (وان لكم في الانعام عبرة) الانعام هي الأبل
والبقرة والغنم ويدخل في الغنم المعز والعبرة أصلها تشبيل الشيء بالشيء ليعرف حقيقة
بطريق المشاكلة ومنه فاعتبروا يا أولى الأبصار والظاهر أن في سبيبة أي بسبب الانعام
وقال أبو بكر الوراق العبرة في الانعام تحذير عا لا رباهم وأطاعتهم لهم والظاهر أن العبرة
هي قوله (نستقيمكم محافي بطونه) فتكون الجملة متأنفة لبيان العبرة قرئ من سقى يسقى
ومن أسقى يسقى قيل هم الغنم وقرئ بالتاء على أن الضمير راجع إلى الانعام وبالضم
على ارجاع الضمير إلى الله سبحانه وهما أضعفان وجميع القراء على القراءتين الأوليين
والفتح لغة قريش والضم لغة حمير وقيل أن بين سقى وأسقى فرق فإذا كان الشراب من
يد الساقى إلى فم المسقى فيقال سقىته وان كان مجرد عرضه عليه وتهيئته له قيل أسقاه
ومن تبعيضية أو ابتدائية والضمير في بطون راجع إلى الانعام قال سيديون العرب يخبر عن
الانعام بخبر الواحد وقال الزجاج لما كان لفظ الجمع يذكرو يؤث فيقال هو الانعام وهي
الانعام جازعود الضمير بالتذكير وقال الكسائي معناه محافي بطون ما ذكرناه هو على هذا
عائد إلى المذكور قال القراء وهو صواب وقال المبردة هذا فاش في القرآن كثير من قوله
للشمس هذا ربي يعني هذا الشيء الطالع وكذلك في رسالة الهيم هيمية ثم قال فلما جاء
سليمان ولم يقل جاءت لان المعنى جاء الشيء الذي ذكرناه انتهى ومن ذلك قوله ان هذه تذكرة
فمن شاء ذكره وحكي الكسائي ان المعنى محافي بطون بعينه وهي الاناث لان الذكور
لا ائبان لها وبه قول أبو عبيدة وحكي عن القراء انه قال النعم والانعام واحد يذكرو يؤث
ولهذا تقول العرب هذه نعم وارجع الضمير إلى لفظ النعم الذي هو بمعنى الانعام وهو
كقوله الزجاج ورجعه ابن العربي فقال انما يرجع التذكير إلى معنى الجمع والتأنيث إلى
معنى الجماعة فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع وأنه في سورة المؤمنين باعتبار لفظ الجماعة
(من بين فرث ودم) الثرث الذي ينزل إلى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا بل يسمي

أراه فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد أخبرتني انداغني من ذلك فقال ارجع
إليه فادعه فرجع إليه الثالثة قال فاعاد عليه ذلك الكلام فيمنها هو يكلمه اذ بعث الله عز وجل حياة حيا له رأسه فرعدت
فوقعت منها صاعقة فذهبت بقعر رأسه فانزل الله عز وجل ويرسل الصواعق الآية ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي
يسار به ورواه الحافظ أبو بكر البرزعي عن عبدة بن عبد الله بن يزيد بن هرون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذكر نحوه وقال
حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا أيان بن يزيد حدثنا عمران الجوني عن أبي عبد الرحمن بن حجار العبدي انه بلغه ان النبي

صلى الله عليه وسلم بعنه الى جبار يدعوه فقال اراي سلم ربك اذهب هو ام فضه هو ام لولو هو قال فيمما هو يجادلهم ادبعت الله صحابة فرعدت فارس على صاعقة فذهبت بقعر رأسه ونزلت هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال جاءهم ودى فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من نخاس هو أم من أولو أو يا قوت قال لجأت صاعقة فاخذته وأنزل الله ويرسل الصواعق الآية وقال قتادة ذكرنا ان رجلا أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فإرسل الله صاعقة فاهلكته وأنزل الله ويرسل الصواعق الآية (٢٤٨) وذكروا في باب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة لما

قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فسالوا ان يجعل لهم ما نصف الامر فأبى عليهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله أما والله لا نلانا عليك خيلا مجردا ورجالا مردا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني الله علمك ذلك وأبناء قبيلة يعني الانصار ثم انهم ما هم بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يخاطبه والاخر يستل سيفه ليقوله من ورائه فحماه الله تعالى منهم ما وعصمه وخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يحجمه عن الناس لحربه عليه الصلاة والسلام فإرسل الله على أربد صحابة فيهم صاعقة فأحرقتهم وأما عامر بن الطفيل فإرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلوية حتى ماتا لعنه الله وأنزل الله في مثل ذلك ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أربد برثيه

روثا وهو ثفل الكرش يقال أفرثت الكرش اذا أخرجت ما فيها وفي البيضاوي الثرث الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانضمام في الكرش والمعنى ان الشيء الذي تأكله يكون منه ما في الكرش وهو الثرث ويكون منه الدم فيكون أسفله فرثا وأعله دما وأوسطه (لبن) فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الثرث في الكرش كما هو فسيحان من هذه بعض حكمته (خالصا) من حرة الدم وقذارة الثرث بعد أن جمعها وعاء واحد وذلك ان الحيوان اذا أكل العلف طبخه الكرش ثم انقسم الى أقسام ثلاثة ثفل وفوقه اللبن وفوقه الدم ثم تسلط الكبد عليها فترسل الدم الى العروق واللبن الى الضروع ويبقى الثفل في الكرش حتى ينزل الى الخارج والحاصل ان الله تعالى خلق اللبن في مكان وسط بين الثرث والدم (سألت لشاربين) أي لذيذا هنيئا لا يغص به من شر به يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا أي سهل مدخله في الحلق وفي ذلك عبرة لمن اعتبر (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا) قال ابن جرير التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون في حذف ما ودل على حذفه قوله منه وقيل التقدير وان لكم من ثمرات النخيل والاعناب لعبرة وقيل نسقيكم مما في بطونه ومن ثمرات النخيل وقيل نسقيكم من ثمرات النخيل قدره الرخصى ويكون على هذا تتخذون منه سكرا يبالا لسقاوا وكشفوا عن حقيقة وقيل تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ويكون تكرير منه للتأكيد وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور أو الى المضاف المحذوف وهو العصير كانه قال من عصير ثمرات تتخذون منه السكر بفحتمين ما يسكر من الخمر وقيل انه من أسماء الخمر وقيل انه في الاصل مصدر سعى به الخمر (ورزقا حسنا) هو جميع ما يؤكل من هاتين الشجرتين كالتمر والزبيب والخل والدبس قال ابن عباس السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل وعنه قال السكر الحرام والرزق زيبه وخله وعنبه وما نفعه وأيضا قال السكر النبيذ والرزق الزبيب فنسختم آية انما الخمر والميسر وعنه قال فحرم الله بعد ذلك السكر مع تحريم الخمر لا منه ثم قال ورزقا حسنا فهو الخل من الخل والزبيب والنبيذ أو أشباه ذلك فآقره الله وجعله حلالا للمسلمين وعن ابن عمر أنه سئل عن السكر فقال الخمر بعينها وعن ابن مسعود قال السكر الخمر وبالجملة فقد كان نزول هذه الآية قبل تحريم الخمر به جزم السوطي اعتمادا على قولهم في السورة انهم مكية الا ثلاث آيات من

أخشي على أربد الخوف ولا أرب نوء السجال والاسد فحتم الرعد والصواعق بالسيف يوم الكربة النجد آخرها وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن سعيد الطاهر حدثنا ابراهيم بن المنذر الخزازي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهم معاذ بن عطاء بن يسار عن ابن عباس ان أربد بن تيمس بن حزن بن جليد بن جعفر ابن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتتهما اليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل يا محمد ما تجعل لي ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال عامر بن الطفيل

أَتَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ أَنْ أُسَلِّمَ مِنْ بَعْدِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْ ذَلِكُ لَكَ وَلَا تَقُومُ وَلَكِنْ لَكَ أَعْنَةُ الْخَيْلِ قَالَ أَنَا لَا أَنْ
 فِي أَعْنَةِ خَيْلٍ نَجِدَا جَعَلَ لِي الْوَبْرُ وَلَكِ الْمَدْرُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَا فَلَمَّا قَامْنَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَامِرٌ أَمَا وَاللَّهِ لَا مَلَأْنَاهُمْ أَعْيُنَ خَيْلًا وَرَجُلًا فَقَالَ
 لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْعَكَ اللَّهُ فَلَمَّا خَرَجَ أُرَيْدُ وَعَامِرٌ قَالَ أُرِيدُ بَدَا عَامِرٌ أَنَا أَشْغَلُ عَنْكَ مُحَمَّدٌ بِالْحَدِيثِ فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ فَإِنْ
 النَّاسُ إِذَا قَاتَلَتْ مُحَمَّدٌ لَمْ يَزِيدُوا عَلَيَّ أَنْ يَرْضُوا بِالِدِيَّةِ وَيَكْرَهُوا الْحَرْبَ قَالَ أُرِيدُ فَاذْغَلِجْ رَاغِبِينَ إِلَيْهِ فَقَالَ عَامِرٌ يَا مُحَمَّدُ قَدْ مَعِيَ
 أَ كُلُّكَ فَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجُلُوسًا إِلَى الْخَدَارِ وَوَقَفَ مَعَهُ (٢٤٩) رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ

وَسَلَّ أُرَيْدُ السَّيْفَ فَلَمَّا وَضَعَ يَدَهُ
 عَلَى السَّيْفِ بَسَّتْ يَدُهُ عَلَى قَائِمِ
 السَّيْفِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ سَلَّ السَّيْفِ
 فَأَبْطَأَ أُرَيْدُ عَلَى عَامِرٍ بِالضَّرْبِ
 فَالْتَمَتِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَرَأَى أُرَيْدُ مَا يَصْنَعُ فَانْصَرَفَ
 عَنْهُ مَا فَلَمَّا خَرَجَ عَامِرٌ وَأُرَيْدُ مِنْ
 عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 حَتَّى إِذَا كَانَا بِالْحَرَّةِ رَاقِمًا نَزَلَا
 فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ
 حَضِرٍ فَقَالَا لِنَحْضُمَا عَدُوَّ اللَّهِ
 لَعَنَهُمَا اللَّهُ فَقَالَ عَامِرٌ مَنْ هَذَا
 يَا سَعْدُ قَالَ هَذَا أُسَيْدُ بْنُ حَضِرٍ
 الْعَاقِبُ خَرَجَا حَتَّى إِذَا كَانَا بِالرَّقَمِ
 أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى أُرَيْدُ صَاعَةً فَقَتَلَتْهُ
 وَخَرَجَ عَامِرٌ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْجَرِيمِ
 أَرْسَلَ اللَّهُ قُرْحَةً فَأَخَذَتْهُ فَأَدْرَكَهُ
 اللَّيْلُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سُلُولٍ
 فَجَعَلَ عَسَ قُرْحَتُهُ فِي حَلْقِهِ وَيَقُولُ
 غَدَةً كَغَدَةِ الْجُلِّ فِي بَيْتِ سُلُولِيَّةٍ
 يَرْغَبُ أَنْ يَمُوتَ فِي بَيْتِهَا ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ
 فَاحْضَرَهُ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ رَاجِعًا
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ
 أَمْرٍ إِلَى قَوْلِهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَال
 الْمُعْتَبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يُحْفَظُونَ
 ثُمَّ دَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ذَكَرَ

آخِرُهَا وَالْمَائِدَةُ مَدِينَةٌ وَتَحْرِمُ الْخَرْفِيَّ وَهِيَ آخِرُ الْقُرْآنِ نَزُولًا كَمَا نَبَتْ فِي الْحَدِيثِ
 وَقِيلَ إِنَّ السَّكْرَ الْخَلَّ بِلُغَةِ الْحَبَشَةِ وَالرِّزْقُ الطَّعَامُ مِنَ الشَّجَرَتَيْنِ وَقِيلَ السَّكْرُ
 الْعَصِيرُ الْخَلُّ وَالْخَلَّالُ وَهِيَ سَكْرًا لَا تَقْدِيرُ بِمَسْكِرٍ إِذَا بَقِيَ قَدْ ابْلَغَ الْأَسْكَارَ حَرَمَ
 وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوَّلَى وَعَلَيْهِ الْجَهْلُورُ وَقَدْ صَرَّحَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنَّ السَّكْرَ اسْمٌ لِلْعَمْرِ وَلَمْ يَخَافْ
 فِي ذَلِكَ إِلَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنَّهُ قَالَ السَّكْرُ الطَّعَامُ وَرَجَّحَ هَذَا ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ إِنَّ السَّكْرَ مَا يَطْعَمُ مِنَ
 الطَّعَامِ وَيَحْمَلُ شَرِبَهُ مِنْ ثَمَارِ الْخَيْلِ وَالْأَعْنَابِ وَهُوَ الرِّزْقُ الْحَسَنُ فَاللُّغَةُ مُخْتَلَفٌ وَالْمَعْنَى
 وَاحِدٌ مِثْلُ أَنْ شَاكَوْ بَنِي وَحَرْنِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الزَّجَّاجُ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ هَذَا لَا يَعْرِفُ وَأَهْلُ
 التَّفْسِيرِ عَلَى خِلَافِهِ وَقَدْ جَلَّ السَّكْرُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَفِيَّةِ عَلَى مَا لَا يَسْكُرُ مِنَ الْأَنْبُذَةِ وَعَلَى
 مَا ذَهَبَ ثَلَاثًا بِالطَّبَخِ قَالُوا وَأَنْعَمَ ابْنُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا أَحْلَاهُ لَابِخَارِهِمْ عَلَيْهِمْ وَهَذَا مَرْدُودٌ
 بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَلَى فَرْضِ تَأْخُرِهِ عَنْ آيَةِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ (إِنْ فِي ذَلِكَ) الْمَذْكُورُ
 مِنْ اخْرَاجِ اللَّبَنِ وَاتِّخَاذِ السَّكْرِ وَالرِّزْقِ مِنَ الثَّمَرَاتِ (لَا يَهْدِيهِمْ لِقَافُكُمْ يَعْنُونَ) أَيْ لِدَلَالَةِ مَنْ
 يَسْتَعْمِلُ الْعَقْلَ وَيَعْمَلُ بِمَا يَقْتَضِيهِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي آيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
 النَّحْلِ) قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الْوَحْيِ وَانْهَ يَكُونُ بِمَعْنَى الْإِلْهَامِ وَهُوَ مَا يَخْلُقُهُ فِي الْقَلْبِ ابْتِدَاءً
 مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُ سَجَّانَهُ وَنَفْسُ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا الْخَوْرَ وَتَوَّاهَا وَبَنَى ذَلِكَ
 الْإِلْهَامُ الْإِلْهَامُ لِمَا نَعْلَمُ مَا يَنْتَعِها وَأَوْرَثَ مَا يَضُرُّهَا وَالْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 أَوَّلُ كُلِّ فِرْدَةٍ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَتَفَكُّرٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَانْه
 الْخَالِقُ لَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُدَبِّرُ لَهَا بِالطَّبِيفِ حِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقُرْئِ النَّحْلِ يَنْفُخُ الْخَلَاءُ قَالَ
 الزَّجَّاجُ وَهِيَ تَحْتَ الْأَنْثَى وَالنَّحْلُ الْعَسَلُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ وَالنَّحْلُ
 وَالنَّحْلَةُ الدَّبَرِيَّةُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى وَقِيلَ اسْمُ جَنَسٍ يَفْرُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِمُ الْإِنَاءِ وَيَذْكُرُ
 وَيُؤْنِثُ وَالنَّحْلُ بِالْفَتْحِ مَصْدَرُ قَوْلِهِ تَحْلَمْتُهُ مِنَ الْعَطِيَّةِ أَنْ تَحْلُوَ وَتَحْلُوَ الْخَلِّي الْعَطِيَّةُ عَلَى فَعْلٍ
 (أَنْ تَحْذَى مِنَ الْجِبَالِ بَيُوتًا) أَيْ بَانَ تَحْذَى عَلَى أَنْ أَنْ هِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ
 تَفْسِيرِيَّةً لِأَنَّ فِي الْإِيحَاءِ مَعْنَى الْقَوْلِ وَهَذَا قَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ مِنْ مَنْعٍ وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ اللَّهُ
 الرَّازِيُّ قَالَ لَا نَسْلَمُ أَنْهَامُ مَسْرُةٌ كَيْفَ وَقَدْ اتَّبَعْنَا تَفْسِيرَ بَانَ الْمُرَادُ مِنَ الْإِيحَاءِ هُوَ
 الْإِلْهَامُ انْفَاقًا وَلَيْسَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ وَحِينَئِذْ هِيَ مَصْدَرِيَّةٌ كَأَنَّهُ قِيلَ أَوْحَى رَبُّكَ بِاتِّخَاذِ
 بَعْضِ الْجِبَالِ بَيُوتًا وَرَدَّهُ فِي الْمَغْنَى بِأَنَّ الْإِلْهَامَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى
 وَأَنْتَ الضَّمِيرُ فِي تَحْذَى لِكُونِهِ أَحَدَ الْجَائِزِينَ كَمَا تَقْدُمُ أَوَّلَ الْعَمَلِ عَلَى الْمَعْنَى أَوَّلُ كَوْنِ النَّحْلِ

(٣٢ فتح البيان خامس) أُرَيْدُ وَمَا قَتَلَهُ فَقَالَ وَيَسَلُّ الصَّوَاعِقُ الْآيَةَ وَقَوْلُهُ وَهُمْ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ أَيْ يَشْكُونَ فِي عَظَمَتِهِ
 وَانْه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ شَدِيدَةٌ مَحَلَّتُهُ فِي عَقُوبَةٍ مِنْ طَعْنٍ عَلَيْهِ وَعَتَى وَتَمَادَى فِي كُفْرِهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ
 شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهَمْ لَا يَتَسَعَّرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَادِمُوا هُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْعَلِينَ وَعَنْ عَلَى
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ أَيْ شَدِيدُ الْإِخْذِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ شَدِيدُ الْقُوَّةِ (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ
 بَنِي الْأَبَاسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَالِغِهِ وَمَادَعَا الْكَافِرِينَ الْإِنْفِ ضَلَالٍ) قَالَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ دَعْوَةُ

الحق قال التوحيد رواه ابن جرير وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنذر له دعوة الحق لا اله الا الله والذين يدعون من دونه الاية أى ومن مثل الذين يعبدون آلهة غير الله بكاسط كنيه الى الماء ليبلغ فاه قال علي بن أبي طالب كمل الذى يتناول الماء من طرف البئر يدوهو لا يناله أبداً كيف يبلغ فاه وقال مجاهد بكاسط كنيه يدع الماء بلسانه ويشبه اليه فلا يأتيه أبداً وقيل المراد كفاض يده على الماء فانه لا يحكم منه لى شئ كما قال الشاعر
فانى واياكم وسوقا اليكم كقباض ما لم تسقه أدام (٢٥٠) وقال الآخر فاصبت ما قد كان بينى وبينها من الود مثل القباض الماء باليد

ومعنى الكلام ان هذا الذى يسط يده الى الماء اما قابضا واما تساولا له من بعد كما انه لا ينفع بالماء الذى لم يصل الى فيه الذى جعله محلا للشرب فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله اله غير لا ينفعون بهم أبداً فى الدنيا ولا فى الآخرة ولهذا قال ومادعاء الكافرين الا فى ضلال (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدق والآصال) يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذى قهر كل شئ ودان له كل شئ ولهذا يسجد له كل شئ طوعا من المؤمنين وكرها من الكافرين وظلالهم بالغدق أى البكر والآصال وهو جمع أصيل وهو آخر النهار كقوله تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيق وظلاله الاية (قل من رب السموات والارض قل الله قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضررا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار)

جمعوا وأهل الجاز يوثقون النخل والمعنى - خضرها لما خلقها له وألهمها ارشدها وقدر فى نفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقل من البشر وذلك ان النخل تبني بيوتها على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجر طبعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال لكان فيها فرج خالية ضائعة ولما حصل المقصود فألهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذى لا يحصل فيه خلل ولا فرجة خالية وألهمها أيضا ان يجعلوا عليهم أميرا كبيرا نافذا لحكم فيهم وهم بطيعونه ويتشاورون أسرهم ويكون هذا الامير أكبرهم جنة وأعظمهم خلقة ويسمى بعسوب النخل يعنى ملكهم كذا حكماء الجوهرى وألهمها أيضا ان جعلوا على باب كل خلية نوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهمها أيضا ان يخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الكرامة والنظنة دل ذلك على الالهام الالهى ومن فى من الجبال (و) كذا فى (من الشجر) (كذا فى (مما يعرشون) للتبعيض أى مساكن توافقها وتلقبهم فى كوى الجبال وتجويف الشجر وفى العروش التى يعرشها بنو آدم من الاجباح (١) والحيطان وغيرها وأكثرا يستعمل فيما يكون من الخشب يقال عرش يعرش بكسر الراء وضمة هاء ماسبعين وبابه نصر وضرب كما فى المختار والظاهر أن من فى مما يعنى فى اذلا معنى لكونها تبني من بناء الناس بل الظاهر رانها تبني فى بناء ثم ويكون المراد من بناءهم الكوارة ومن بنائها بيتها الذى تمج فيه العسل فان من المشاهد انها تبني لى ايتاد اخل الخلية من الشمع ثم تمج فيه العسل شيافشيا والظاهر أن من فى الموضوعين الاوانى معنى فى أيضا كما صرح به الشهاب ويكون المراد بيوتهم ما تبنيه من الشمع كما تقدم فالشمع تارة تبنيه فى الجبال وتارة فى الاشجار وهذا فى النحل الوحشى وتارة تبنيه فى الخلايا وهذه فى النحل الاهلى فان النحل قسمان كما ذكره الخازن (ثم كل من كل الثمرات) من للتبعيض لانها تأكل النور من الاشجار فاذا أكلتها (فأسلكى) أى فدخل (سبل ربك) أى الطرق التى فهمت الله وعلما وأضافها الى الرب لانه خالقها وملهم النحل ان تسلكها أى ادخلها للطلب الرزق فى الجبال وخلال الشجر أو اسلكى مأكلت فى سبل ربك أى فى مسالكه التى يستحيل فيها بقدرته النور المترع لا من أجواف أو اذا أكلت الثمار فى الامكنة البعيدة فأسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك

لا يقرر تعالى انه لا اله الا هو بانهم معترفون بانه هو الذى خلق السموات والارض ودورهم او مدبرها وهم مع هذا اقتدوا من دونه أولياء يعبدونهم وأولئك الآلهة لا تملك لانفسها ولا لعابديها بطريق الاولى نفعها ولا ضرر أى لا تحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوى من عبده هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له وهو على نور من ربه ولهذا قال قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم أى اجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تماثل الرب وعائلته فى الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون انهم المخلوق من مخلوق غيره (١) الجمع وينت خلية العسل الجمع أجمع وأجباح ١١ قاموس

أى ليس الامر كذلك فانه لا يشابهه شئ ولا يعائنه ولا ندله ولا عدله ولا وزيره ولا ولد ولا صاحبه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما عبدوا هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعرفون انهم مخلوقه لعباده كما كانوا يقولون فى تلييتهم لبيك لاشريك لك الا شريكاه ولك ملكه وما مملك وكما أخبر تعالى عنهم فى قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زافى فانكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده الا بذنه ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وكمن ملك فى السموات الآية وقال ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبد القدا حصاهم وعدهم عداوكلهم (٢٥١) آتية يوم القيامة فردا فاذا كان الجميع عبيدا

فلم يعبد بعضهم بعضا بلادليل ولا
 برهان بل عجزدالرأى والاختراع
 والابتداع ثم قد أرسل رسلا من
 أولهم الى آخرهم تنجزهم عن ذلك
 وتنهاهم عن عبادة من سوى الله
 فيكذبوهم وخالفوهم فخت عليهم
 كلمة العذاب لا محالة ولا يظلم ربك
 أحدا (أنزل من السماء ماء فسالت
 أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا
 رابيا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء
 حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب
 الله الحق والباطل فأما الزبد
 فيذهب جثا وأما ما ينعف الناس
 فيمكث في الارض كذلك يضرب
 الله الامثال) اشتملت هذه الآية
 الكريمة على مثلين مضروبين للحق
 في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله
 وفنائته فقال تعالى أنزل من السماء
 ماء أى مطرا فسالت أودية بقدرها
 أى أخذ كل واحد بحسبه فهذا كبير
 وسع كثير من الماء وهذا صغير
 وسع بقدره وهو اشارة الى القلوب
 وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا
 ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم
 بل يضيق عنها فاحتمل السيل زبدا
 رابيا أى جفا على وجه الماء الذى

لا نصلي فيها (ذلالا) حال من السبل وهي جمع ذلول أي مدلل غير متوعدة واختاره هذا
الزجاج وابن جرير وفيه دلالة على حال من النحل يعني مطيعة للتسخير وإخراج العسل من بطونها
م واختاره ابن قتيبة قال مجاهد طرقالا يتوعر عليها مكان سلكته وعن قتادة قال مطيعة
قال السدي ذليلته (يخرج من بطونها) مستأنفة عدل به عن خطاب النحل تعدد اللزج
وتعجيب الكل سامع وتنبها على العبر وإرشاد إلى الآيات العظيمة الحاصلة من هذا الحيوان
الضعيف الشبيه بالذباب (شراب) المراد به في الآية هو العسل قاله ابن عباس (مختلف
ألوانه) يعني أن بعضه أبيض وبعضه أحمر وبعضه أزرق وبعضه أصفر باختلاف ذرات
النحل وألوانها وما كولاتها وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار ويستحيل في بطونها
عسلا وفي هذا دليل على قدرته وفي البياض مختلف ألوانه بسبب اختلاف سن النحل أو
النسل قال الشهاب فالأبيض لفتيمه والأصفر لكهلهما والأحمر لمسنها ولا يخفى أنه مما لا دليل
عليه انتهى وجهه والمفسرين على أن العسل يخرج من أفواه النحل ويسيل كاللعاب
وقيل من أسفلها وقيل لا يدري من أين يخرج منها (فيه) أي في الشراب الخارج من
بطون النحل وهو العسل وإلى هذا ذهب الجمهور (شفاء للناس) قال مجاهد العسل فيه
الشفاء وفي القرآن وقال أنفراء وابن كيسان وجاعة من السلف إن الضمير راجع إلى
القرآن ويكون التقدير فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاء للناس ولا وجه
للعُدول عن الظاهر ومخالفة المرجع الواضح والسياق البين وعن ابن مسعود قال إن
العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وعنه مرفوعا قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عليكم بالشفاء من العسل والقرآن وقد وردت أحاديث في كون العسل شفاء
منها ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الشفاء
في ثلاثة في شربة محجم أو شربة عسل أو كمية بنار أو أنا أنهي أمتي عن الكي وأخرج البخاري
ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
يا رسول الله إن أخي استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فشقاه عسلا ثم جاء فشقاه عسلا
فما زال الاستطلاق قال انذهب فاسقه عسلا فذهب فشقاه عسلا ثم جاء فشقاه عسلا
استطلقا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك انذهب
فاسقه عسلا فذهب فشقاه فبرأ وقد اختلف أهل العلم هل هذا الشفاء الذي جعله الله في

سأل في هذه الاودية زبدا عال عايه هذا مثل وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع الآية هذا هو المثل الثاني وهو ما يسمك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية أي يجعل حلية أو فخما سا أو حديد ا فيجعل متاعا فانه يعلم زبدا منه كما يعلم ذلك زبدا منه كذلك يضرب الله الحق والباطل أي اذا اجتمع الالباب للباطل ولادوام كما ان الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والنضة ونحوهما مما يسمك في النار بل يذهب ويضعف ولهذا قال فاما الزبد فيذهب جفا أي لا يتنفع به بل يتفريق ويتزق ويذهب في جاني الوادي ويلقى بالشجر وتنفسه الرياح وكذلك تخبث الذهب والنضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى الا الماء وذلك

نضربهم للناس وما يعقلها الا العالمون وقال بعض السلف كنت اذا قرأت مثلاً من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لان الله تعالى يقول وما يعقلها الا العالمون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية هذا مثل ضرب به الله احتلت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله فاما الزبد وهو الشك فيذهب جهنم (٢٥٢) وأما ما ينفع الناس فيك في الارض وهو اليقين وكما يجعل الحلي في

النار فيؤخذ منه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وقال العوفي عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول احتمال السيل ما في الوادي من عود وما يوقدون عليه في النار فهو الذهب والنضة والحلية والمتاع والخماس والحديد فللخماس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فاما ما ينفع الناس فالذهب والنضة وأما ما ينفع الارض فخسرت من الماء فأنبتت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيئ يضيء عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك الهدى والحق جا آمن عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الارض وكذلك الحديد لا يستطيع ان يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه ويخرج جوده فينتفع به فكذلك يضيء الباطل فاذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الاعمال فيرفع الباطل ويهلك وينفع أهل الحق بالحق وهكذا روي في تفسيرها عن

العسل عام لكل داء أو خاص ببعض الامراض فقالت طائفة هو على العموم في كل حال ولكل أحد وقالت طائفة ان ذلك خاص ببعض الامراض ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل انسان وليس هـذا باقول انظر خصص فالقرآن مملوء منه ولغة العرب يأتي في العام كثيرا بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام وما يدل على هذا ان العسل نكرة في سياق الاثبات فلا يكون عاما بانفاق أهل اللسان ومحقق أهل الاصول وتنكيره ان أريد به التعظيم لا يدل الا على ان فيه شفاء عظيم للمرض أو أمراض لا لكل مرض فان تنكير التعظيم لا ينفي العموم والظاهر المستفاد من التجربة ومن قوانين علم الطب انه اذا استعمل منفردا كان دواء لا أمراض خاصة وان خلط مع غيره كالعاجين ونحوها كان مع ما خلط به دواء لكثير من الامراض قلت وحديث البخاري ان أخى استطلق بطنه الحديث أو وضع دليل على ما ذهبت اليه طائفة من تعميم الشفاء لان قوله صلى الله عليه وآله وسلم صدق الله أي انه شفاء فلو كان لبعض دون بعض لم يكرر الامر بالسقيما وقد اعترض على هذا الحديث بعض المحدثين ومن في قلبه مرض بكونه خلاف ما أجمع عليه الاطباء من ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال وأجاب عنه الخازن على الطريق الجارى على صناعة الطب وأورده الشيخ سليمان الجبل ثم قال ولست انا قصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفرتناهم بذلك انتهى وعن ابن عمر انه كان لا يشك كوقرحة ولا شياً الا جعل عليه عسلاً حتى الدمل اذا خرج طلى عليه العسل وعن أبي جرة انه كان يكتحل بالعسل ويستنشق ويتداوى به ذكره القرطبي وفي الباب آثار عن جماعة من السلف وقال البيضاوي شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه وقيل ان هذا القول خرج مخرج الاغلب وانه في الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في الجملة دواء وان نفعه أكثر من مضرته ومنافعه كثيرة جداً قال السدي شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه وبالجملة فهو من أعظم الاغذية وأنفع الادوية وقيل لا ما يجمع هذان الامران في غيره (ان في ذلك) المذكور من أمر النحل (لاية لقوم يتفكروا) ون) اي يعملون افكارهم عند النظر في صنيع الله سبحانه وبجانب مخلوقاته فان أمر النحل من أعجبها وأغربها وأدقها وأحكمها ومن تدبر اختصاص النحل بتلك العلم الدقيقة

شجاهد والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف وقد ضرب سبحانه وتعالى في أول سورة والافعال البقرة لانه منافق من نارى وماى وهو قوله مثل الذى استوقد ناراً فلما أضاف ما حوله الآية ثم قال أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق الآية وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور من مثلين أحدهما قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب الآهة والسراب انما يكون في شدة الحر ولهذا جاء في الصحيحين فيقال لليهود يوم القيامة فما تريدون فيقولون اي ربنا عطشنا فأسقنا فقال ألا تردون فيردون النار فاذا هي كسراب يحطم بعضها ببعض انهم قال تعالى في المثل الآخرة أو كظلمات في بحر لحي الآية وفي الصحيحين

بصدق بعضه بعضا لا يضاد شيئا منه شيئا آخر فإخباره كالحق وأوامره ونواهيهم عدل كما قال تعالى وقتك كلمة ربك صدقا وعدلا
أي صدقا في الاخبار وعدلا في الطلب فلا يستوى من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى لا يهتدى الى خير لا يفهمه ولو
فهمه ما انتقاده ولا صدقه ولا اتبعه كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال في
الآية الكريمة أفن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى أي أفهذا كهذا الاستواء وقوله انما يذكركم أولوالباب أي
يتعلموا ويعتبروا ولو العقول السليمة الصحيحة (٢٥٤) جعلنا الله منهم الذين يؤفون بعهدهم ولا يفتنون الميثاق والذين يصلون

ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلاية ويدرون بالحسنة السيئة وأملك لهم عقي الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار يقول تعالى مخبرا عن أنصف هذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة الذين يؤفون بعهدهم ولا يفتنون الميثاق وليسوا كالمناقضين الذين إذا دعاهم أحداهم غدروا وإذا خاصم فجر وإذا حدث كذب وإذا اتفق خان والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من صلة الأرحام والأحسان إليهم وإلى الشكراء والمحاويج وبذل المعروف ويخشون ربهم أي فيما يأتون وما يذرون من الأعمال يراقبون الله في ذلك ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم

طرفا من أحوالهم لعلهم يذكرون ذلك فقال (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فنسكم غنى وفقير ومالك ومملوك أي جعلناكم متفاضلين فيه فوسع على بعض عباده وبسط حتى جعل له من الرزق ما يكفي ألفا مؤلفا من بني آدم ووضعه على بعض عباده وقتر حتى صار لا يجسد القوت إلا بسؤال الناس والتكفف لهم وكثرتوا واحد وقلل على واحد وذلك الحكمة بالغة تنصير عقول العباد عن تعقلها والاطلاع على حقيقة أسبابها وكما جعل التفاوت بين عباده في المال جعله بينهم في العقل والعلم والفهم والخلق والجهل وقوة البدن وضعفه والحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك من الأحوال وعن ابن عباس في الآية قال لم يكونوا يشركوا عبدا في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبدا في سلطانني وعن مجاهد قال هذا مثل لآلهة الباطل مع الله وقيل معنى الآية أن الله سبحانه أعطى الموالى أفضل مما أعطى ممالكهم بدليل قوله (فما الذين فضلوا) أي فما الذين فضلهم الله بسعة الرزق على غيرهم كالموالى والسادة (برادى رزقهم) الذى رزقهم الله إياه (على ما ملكت أيمانهم) من الممالك (فهم) أى الممالك والممالك (فيه) أى فى الرزق (سواء) أى لا يردونه عليهم بحيث يساؤونهم فالقاء على هذا الدلالة على أن التساوى مترتب على الترادى لا يردونه عليهم ردا مستقبا للتساوى وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا وهذا مثل ضرب به الله سبحانه لعباده الأصنام كما تقدم والمعنى اذالم يكونوا عبداكم معكم سواء ولا ترضون بذلك فكيف تتبعون عبداكم معى سواء والحال ان عبداكم مساوون لكم فى البشرية والخلقية فلما لم تتبعوا عبداكم مشاركين لكم فى أموالكم فكيف تتبعون بعض عباده الله سبحانه شر كاله فتعبدونهم معه أو كيف تتبعون بعض مخلوقاته كالأصنام شر كاله فى العبادة ذكر معنى هذا ابن جرير ومثل هذه الآية قوله سبحانه ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم وفى هذه الجملة أوجه أحدها تقديره أفهم فيه سواء ومعناه النبى اى ليسوا مستوين فيه والثانى انها اخبار بالتساوى أى انما هو رزقى أجزأته على أيديهم فهم فيه سواء قال أبو البقاء انها واقعة موقع فعل تقديره يستووا وقيل ان القاء فى فهم معنى حتى (أفبنعمة الله يجحدون) حيث يفعلون ما يفعلون من الشرك والنعمة هى كونه سبحانه جعل المالكين مفضلين على الممالك وقراءة الغيبة أولى لقرب الخبر عنه ولأنه لو كان خطابا لكان ظاهرا للامتنان

القاصرة والمنعذية والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم أى عن المحارم والمآثم فطمعوا أنفسهم عنها الله عز وجل والاستفهام ابتغاء مرضاته وحزبيل ثوابه وأما الصلاة بحمد دورها ومواقبها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضي وأنفقوا مما رزقناهم أى على الذين يجب عليهم الاتفاق لهم من زوجات وقربات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين سرا وعلاية أى فى السر والنجوى لم ينفعهم من ذلك حال من الأحوال أناء الليل وأطراف النهار ويذرون بالحسنة السيئة أى يدفعون القبيح بالحسن فإذا آذاهم أحدا فابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحوا وعفوا كقوله تعالى ادفع التى هى أحسن فإذا الذى منك ومنه عداوة

كأنه ولي جيم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ولهذا قال مخبر عن هؤلاء السعداء المتصفين بهؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عقبي الدار ثم فسر ذلك بقوله جنات عدن والعدن الإقامة أي جنات إقامة يخلدون فيها وعن عبد الله بن عمرو أنه قال ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خسة آلاف باب على كل باب خسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد وقال الضحاك في قوله جنات عدن مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعدوا والجنات حولها رواها ابن جرير وقوله ومن صلح من آبائهم (٢٥٥) وأزواجههم وذرياتهم أي يجمع بينهم وبين أحبائهم

فيها من الآباء والأهلين والابناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى انه ترفع درجة الأدنى الى درجة الأعلى امتنانا من الله واحسانا من غير تنقيص للآعلى كقوله تعالى والذين آمنوا واتبعوهم ذرياتهم بايمان الحسناتهم ذرياتهم الآية وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم عاصبرتم فتم عتي الدارأي وتدخل عليهم الملائكة من ههنا وههنا للتمنيته بدخول الجنة فعند دخولهم اياها تدخل عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والانبياء والرسل الكرام وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثني سعيد بن أبي أيوب حدثنا معمر بن سويد الخرياني عن أبي عسانة الغافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تدرؤن أول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله القراء

والاستفهام للأنبياء والروايات والتوبيخ والتقريع والفاء للعطف على مقدر أي أي بشر يكون به فيجدون نعمته ويكون المعنى على قراءة الخطاب ان المالكين ليسوا برادى رزقهم على مما يليكهم بل أنا الذي أرزقهم واياهم فلا تظنوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي أجريه على أيديهم جميعا وهم في ذلك سواء لا منية لهم على مما يليكهم فيكون المعطوف عليه المقدر فعلا يناسب هذا المعنى كأن يقال ألا تفهمون ذلك فتجدون نعمة الله ثم ذكر سبحانه الحالة الاخرى من أحوال الانسان فقال (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) قال المفسرون يعني النساء فانه خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام قال قتادة خلق آدم ثم خلق زوجته منه أو المعنى خلق لكم من جنسكم أزواجا لتستأنسوا بها لان الجنس يأنس الى جنسه ويستوحش من غير جنسه وبسبب هذه الأنسة يقع بين الرجل والنساء ما هو سبب للنسل الذي هو المقصود بالزواج ولم يذكر البنات لكرهية تم لهم فلم يمتن عليهم الا بما يحبونه ولهذا قال (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد يقال حفدت حفدت حندا وحفودا اذا أسرع فكل من أسرع في الخدمة فهو حافد ومنه اليك نسعي ونحفد أي نسرع الى طاعتك قال أبو عبيد الحنفى العمل والخدمة وهذا أصله في اللغة قال الخليل ابن أحمد الحنفدة عند العرب الخدم والاعوان وبه قال الحسن وعكرمة والضحاك وقال الأزهرى قيل الحنفدة أولاد الأولاد وروى هذا عن ابن عباس والحفيدة ولد الابن ذكر اكان أو أنثى وولد البنت كذلك وتخصيصه بولد الذكور وتخصيص ولد الانثى بالسميط عرف طارئ على أصل اللغة وقيل الحنفدة الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وأبو النخعي وسعيد بن جبيرة وابراهيم النخعي وقيل الحنفدة الأصهار قال الأصمعي الحنف من كان من قبل المرأة كابنها وأخيها وما أشبهها والأصهار منهم ما يجتمع يقال أصهار فلان الى بقى فلان فهو صاهر وقيل هم أولاد امرأة الرجل من غيره وقيل أولاد الرجل الذين يخدمونه وقيل البنات الخاديات لا يبين وكل هذه الأقوال متقاربة لان اللفظ يمتل الكل بحسب المعنى المشترك وارجح كثير من العلماء انهم أولاد الاولاد لانه سبحانه امتن على عباده بان جعل لهم من الأزواج بنين وحفدة فالحنفدة في الظاهر معطوفون على البنين وان كان يجوز أن يكون المعنى جعل لكم من أزواجكم بنين وجعل لكم حفدة ولكن لا يمتنع على هذا المعنى الظاهر أن يراد بالبنين من لا يخدم وبالحنفدة من يخدم الاب منهم أو يراد بالحنفدة البنات فقط ولا ينفيد أنهم

المهاجرون الذين تستبهم الثغور وتبقى بهم المكاره وديوت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته انتوهم فخيروهم فتقول الملائكة نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا ان نأتى هؤلاء ونسلم عليهم فيقول انهم كانوا عبادا يعبدوننى لا يشركون بي شيئا وتستبهم الثغور وتبقى بهم المكاره وديوت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال قتائهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فلم يعقبى الدار ورواه ابو القاسم الطبراني عن احمد بن رشد عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحرث عن أبي عسانة سمع عبد الله بن عمرو عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ثلاثة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المكاره واذا هم واسمعوها وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى سلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبحك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة (٢٥٦) من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال عبد الله بن المبارك

عن بقيق بن الوليد حدثنا أرطاة بن المنذر سمعت رجلاً من مشيخة الجنة يقال له أبو الحجاج يقول جلست الى أبي امامة فقال ان المؤمن ليكون متكئاً على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سمطان من خدم وعند طرف السمطين باب محبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيقول أقربهم لهم ومن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواه ابن جرير ورواه ابن أبي عمير عن حديث اسمعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن أبي الحجاج يوسف الهمداني قال سمعت أبا امامة قد كرمه وقد جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

أولاد الاولاد اذا كان تقدير الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين ومن البنين حفدة (ورزقكم من الطيبات) التي تستطيبونها وتستلذونها من أنواع الاثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الخلال من ذلك كله ومن للتبعية لان الطيبات لا تكون مجتمعة الا في الجنة والمرزوق في الدنيا أعوزج منها ثم ختم سبحانه الآية بقوله (أفبالباطل يؤمنون) الاستفهام لانكار التوبيخ والفاء للعطف على مقدر رأى أي كفرون بالله فيؤمنون بالباطل وفي تقديم الباطل على الفعل دلالة على انه ليس لهم ايمان الا به والباطل هو اعتقادهم في أصنامهم انها تضر وتنفع وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم الحجرة والسابعة ونحوهما (وبنعمة الله) أي ما أنعم به عليهم مما لا يحيط به حصر (هم يكفرون) باضافته الى غيره وفي تقديم النعمة وتوسيط ضمير الفصل دليل على ان كفرهم مختص بذلك لا يتجاوزة لقصده المبالغة والتأكيده عن ابن جرير الباطل هو الشيطان ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله) داخل تحت الانكار التوبيخي انكاراً منه سبحانه عليهم حيث يعبدون الاصنام وهي لا تنفع ولا تضر ولهذا قال (ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً) المعنى ان هؤلاء الكفار يعبدون معبودات لا تملك لهم رزقاً أي رزقاً كافياً منهم ما عن قتادة قال هذه الاوثان التي تعبد من دون الله لا تملك لمن يعبد عار رزقاً من السموات والارض ولا خير ولا حيلة ولا نشور او في شيئاً ثلاثة أوجه أحدها انه منصوب على المصدر أي لا يملك لهم ملكاً أي شيئاً من الملك والثاني انه بدل من رزقاً وهو ذا غير مفيد اذ ليس فيه بيان ولا تأكيده الثالث انه منصوب برزقاً على انه اسم مصدر وهو يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك وبه قال النازعي ورد عليه ابن الطراوة بان الرزق اسم المرزوق كالرعي والطعن ورد عليه بان الرزق أيضاً مصدر (ولا يستطيعون) الضمير راجع الى ما وجع جمع العقلاء بناء على زعمهم الباطل والفتايدة في ذي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئاً قد يكون موصوفاً باستطاعة التملك بطريق من الطرق فبين سبحانه انه لا يملك ولا يستطيع وقيل الضمير للكفار والمعنى لا يستطيع هؤلاء الكفار مع كونهم أحياء متصرفين فكيف بالجمادات التي لا حياة لها ولا تستطيع التصرف ثم نهاهم سبحانه عن ان يشبهوه بخلقهم فقال (فلا تضر بوالله الامنان) انه أحد ستم لم يولد ولم يكن له كفواً أحد قاله قتادة فان ضارب المثل بشبهه حالاً

بحال

ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) هذا حال الاشقياء

وصفاتهم وذكراهم في الدار الآخرة ومصيرهم الى خلاف ما صار اليه المؤمنون كما انهم التصدوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فاولئك كانوا يوفون بعهد الله وبصلحون ما أمر الله به أن يوصل وهؤلاء ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض كما ثبت في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتهم خان وفي رواية واذا عاهد غدر واذا خصم فجر ولهذا قال أولئك لهم اللعنة وهي الابعاد عن الرحمة ولهم سوء الدار وهو سوء العاقبة والمآل

وما واهم جهنم وبئس المهاد وقال أبو العباس في قوله الذين ينقضون عهد الله الآية قال هي ست خصال في المنافقين إذا كان فيهم الظهيرة على الناس أظهروا هذه الخصال إذا حشدوا كذبوا وإذا وعدوا وأخلفوا وإذا اتفقوا وأخافوا فنفذوا عهد الله من بعدهم منافقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض وإذا كانت الظهيرة عليهم أظهروا الثلاث خصال إذا حشدوا كذبوا وإذا وعدوا وأخلفوا وإذا اتفقوا وأخافوا (الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) يذكركم الله أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتره على من يشاء (٢٥٧) لما في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء

الكفار بما أتوا من الحياة الدنيا استندراجاً بهم - وما هم إلا كما قال أيحسبون أنهم آمنوا وهم به من مال وبنين نساء ع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما دخر تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع كما قال قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فيها وقال بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن يحيى بن سعيد قال حدثنا اسمعيل بن أي خالده عن قيس عن المسعودي أن يحيى بن فهر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في السهم فينظر به ترجع وأشار بالسبابة ورواه مسلم في صحيحه وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسلم ميت والأسل الصغير الذين فقال والله لا دنيا أهون على الله من هذا علي أهله حين القوة (ويقول الذين كذبوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه

بجمال وقصة بقصة قال الزجاج لا تجعلوا الله مثلاً فانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون إن الله العالم أجل من أن يعبد الواحد منكم فكانوا يتوسلون إلى الأصنام والكواكب كما كان اصغار الناس يخدمون أكبر حضرة الملك وأولئك الكافرين يخدمون الملك فنهوا عن ذلك وعلى النهي بقوله (إن الله) عليم (يعلم) ما عليكم من العبادات (وانتم لا تعلمون) ما في عبادتهم من سوء العاقبة والتعرض لعذاب الله سبحانه وأنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الأمثال فانه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون وأنتم لا تعلمون بشئ من ذلك وفعلكم هذا هو عن توهم فاسد وخطا بطل وخيال محتمل وعن ابن عباس قال يعني اتخذهم الأصنام يقول لا تجعلوا معي الهاغرى فانه لا اله غيري ثم علمهم كيفية ضرب الأمثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلاً) أي ذكر شيئاً يتبدل به على تبين الحال بين جناب الخالق سبحانه وبين ما جعلوه شريكاً له من الأصنام والمثل في الحقيقة هي حالة للعبد عارضة له وهي المملوكية والعجز عن التصرف فقوله (عبد) نفسه للمثل وبدل منه ووصفه بكونه (مملوكاً) لأن العبد والحرم مشتركان في كون كل واحد منهما ماعبد الله سبحانه ووصفه بكونه (لا يقدر على شئ) لأن المكاتب والمأذون يقدران على بعض التصرفات فهذا الوصف لتمييزه عنهما واحتج النحاة به - ذاعلى أن العبد لا يملك شيئاً (ومن) أى الذى وقيل موصوفة واختاره الزمخشري كأنه قيل وحرام من الأحرار الذين يملكون الأموال ويتصرفون بها كيف شاؤوا (رزقناه) ليتابع عبدنا (مننا) أى من جهتنا (رزقنا حسناً) والمراد به أنه مما يحسن في عيون الناس لكونه رزقاً كثيراً مشتملاً على أشياء مستحسنة نفيسة تروق الناظرين إليها (فهو ينفق منه) في وجوه الخير ويصرف منه إلى أنواع البر والمعروف (سراجهم) أى في حال السرو والجلال والمراد بيان عموم الاتفاق للأوقات وتقديم السر على الجهر مشعر بفضيلته عليه وإن الثواب فيه أكثر (هل يستوون) أى الحرة والعبد الموصوفان بالصفات المتقدمة وجمع الضمير لكان من لأنه منهم مبهمة يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وقيل أنه يريد بالعبد والموصول الذى هو عبارة عن الحر الجنس أى من اتصف بتلك الأوصاف من الجنسين والاستفهام للانكار أى هل يستوى العبد والأحرار مع كون كلا الفريقين مخلوقين لله

(٣٣ - فتح البيان خامس) من أناب الذين آمنوا ونظم من قلوبهم بذكر الله لا يذكركم الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما أب) يخبر تعالى عن قيل المشركين لولا إله إلا أنزل عليه آية من ربه كقولهم فلما أنزلنا آية نكال أولون وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة وإن الله قادر على إجابة ما سألوا وفي الحديث أن الله أوحى إلى رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهباً وأن يحول لهم ينبوعاً وأن يريهم الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروجاً وبساتين أن شئت يا محمد أعطيتهم يا محمد ذلك فإن كفروا أعذبهم عذاباً إلا أعذبهم أحد من العالمين وإن شئت فمحت عابهم باب التوبة والرحمة فقال بل تنسخ لهم

باب التوبة والرحمة ولهذا قال رسوله قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب أي هو المذل والهادي سواء بعث الرسل بآية على وفق ما اقترحوا ولم يجيبهم الى سواء لهم فان الهداية والاضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه كما قال وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال ان الذي حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقال ولولا اننا نزلنا اليهم الملائكة و كلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله ولاكن أكثرهم يجهلون ولهذا قال قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا ب أي ويهدي من انا ب الى الله ورجع اليه واستعان به وتضرع عليه

الذين آمنوا ونطقت قلوبهم بما ذكر الله أي تطيب وتركن الى جانب الله وتسكن عند ذكره وترضى به مولى ونصيرا ولهذا قال لا بد كرا لله تطمئن القلوب أي هو حقيق بذلك وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم حسن ما ب قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فرح وقرعة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال الضحاك غبطة لهم وقال ابراهيم النخعي خير لهم وقال قتادة هي كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال في رواية طوبى لهم حسن لهم وحسن ما ب أي مرجع وهذه الاقوال شيء واحد لا منافاة بينها وقال سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس طوبى لهم قال هي أرض الجنة وقال سعيد ابن مسعود طوبى اسم الجنة بالهندية وكذا روى السدي عن عكرمة طوبى لهم هي الجنة وبه قال مجاهد وقال العوفي عن ابن عباس لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ما ب وذلك حين أعجبتهم وقال ابن جرير حدثنا ابن جهميد

حدثنا يعقوب عن جعفر عن شهر بن حوشب قال طوبى شجرة في الجنة كل شجرة الجنة منها أغصانها الكامل من وراء سور الجنة هكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وغيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال طوبى شجرة في الجنة في كل دار منها غصن منها وذكره ضمهم ان الرحمن تبارك وتعالى غرسها به من حبة لؤلؤة وامرها ان غمدقا متدف الى حيث يشاء الله تبارك وتعالى وخرجت من أصلها يتابع أنهار الجنة من عسل وخمر وماء ولبن وقد قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحرث ان دراجا أبا الهيثم حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا طوبى شجرة في الجنة مسير قمانه نسخة

ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمخ ان أبا القاسم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رأى وأمن بك قال طوبى لمن رأى وأمن بي وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني قال له رجل وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكامها وروى البخاري ومسلم جميعا عن اسحق بن راعويه عن مغيرة الخزومي عن وهيب عن أبي حازم عن مهمل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة (٢٥٩) يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها قال

حدثت به النعمان بن أبي عياش الزرق فقال حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المنهمل السريع مائة عام ما يقطعها وفي صحيح البخاري من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم في قول الله تعالى وظل عود قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة اقلوا ان شتم وظل عود أحرجاه في الصحيحين وفي لفظ لأحمد أيضا حدثنا شريح حدثنا جعفر بن حماد قال حدثنا شعبة سمعت أبا الضحالك يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد وقال محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله

الكامل (وهو كل) أي ثقيل (على مولاه) أي على وليه وقرابته وعيال على من يلي أمره ويعوله وبال على اخوانه وقد يسمى اليتيم كلا لثقله على من يكفله وفي هذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شئ مطاوعا ثم وصفه بصفة رابعة فقال (أيما وجهه) أي يرسله ويصرفه في طلب الحاجة أو كفاية المهم (لايات بخير) قط لانه عاجز آخرس لا يفهم ولا يعقل ما يقال له ولا يمكنه ان يقول (هل يستوى هو) في نفسه مع هذه الاوصاف التي اتصف بها (ومن يأمر) الناس (بالعدل) مع كونه في نفسه ينطق بما يريد النطق به وينهم ويقدر على التصرف في الاشياء وهو سليم الخواس نفاع ذو كفاية ورشد وديانة (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) أي على دين قويم وسيرة صالحة ليس فيه ميل الى أحد جانبي الافراط والتفريط وانما قابل الاوصاف الاول بهذين الوصفين المذكورين للآخر لأن حاصل اوصاف الاول عدم استحقاقه لشيء وحاصل وصفه هذا انه مستحق أن يكمل استحقاق والمقصود الاستدلال بعدم تساوي هذين الأمرين على امتناع التساوي بينهما وبين ما يجعلونه شريكا له قال ابن عباس يعني بالآبكم الكافرو بالآمر بالعدل المؤمن وهذا المثل في الاعمال وعلى هذا تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص والذي يأمر بالعدل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والآبكم هو أبو جهل وقيل الآبكم أبي بن خلف والآمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون وقال ابن عباس هذه الآية نزلت في عثمان ابن عفان ومولى له كافر وهو أسيد بن أبي العيص كان يكره الاسلام وكان عثمان يتفق عليه ويكفله ويكفيه المؤنة وكان الآخر يتناه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيه ما ولما فرغ سبحانه من ذكر المؤمنين مدح نفسه بقوله (ولله غيب السموات والارض) أي يختص ذلك به لا يشرك فيه غيره ولا يستقل به والمراد علم ما غاب عن العباد فيهما وأراد بغيرهم ما يوم القيامة لان علمه غاب عن العباد ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما والمراد التوحيب لشركتين والتبريع لهما أي ان العبادة انما يستحقها من كانت هذه صفته لامن كان جاهلا عاجزا لا يضر ولا ينفع ولا يعلم بشئ من أنواع العلم (وما أمر الساعة) التي هي أعظم ما وقعت فيه المماراة من الغيوب المختصة به سبحانه وهو امانة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان أجعين أو المعنى ما أمر قيام

ابن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر كرسية المنتهى فقال يسير في ظل القصر منها الراكب مائة سنة أو قال يسير تظل في الفتن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كان غيرها القلال رواه الترمذي وقال اسحق بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الاسود قال سمعت أبا امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم أحد يدخل الجنة الا انطلق به الى طوبى فتفتح له اكامها فيأخذ من أي ذلك شاء ان شاء ابيض وان شاء احمر وان شاء اصفر وان شاء اسود مثل شقائق النعمان وارق وأحسن وقال الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عبد الله

حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال طوي شجرة في الجنة يقول الله لها انتفتي لعبدى كما شاء فتفتق له عن الخيل بسروجها ولجها وعن الأبل بازمتها وأشامه من الكسوة وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ههنا أثر آخر يابغيبا قال وهب رحمه الله ان في الجنة شجرة يقال لها طوي يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ازهرها رياض وورقها برود وقضبانها عنبر وبطعها وهاياقوت وترايبها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهو مجلس لاهل الجنة فيمنعهم (٢٦٠) في مجلسهم اذا نتم ملائكة من ربهم يقولون نجبا مزومة بسلاسل

من ذهب رجوعها كأنها صابغ حسنا ووبرها كغز المرعزي من اينه عليهم ارحال الواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وشبابها من سندس واستبرق فيفتقونها يقولون ان ربنا ارسلنا اليكم لست ورويه وأسلموا عليه قال فيه كبون فافهى أسرع من الطائر وأوطأ من النمراس نجبا من غير مهنة يسير الرجل الى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا يصيب اذن راحله منها اذن الاخرى (١) ولا يزل راحله برك الاخرى حتى ان الشجرة لتنتهي عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه قال فيأتون الى الرحمن الرحيم فيسند لهم عن وجوه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا رآوه قالوا اللهم أنت السلام واليك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول تعالى أنا السلام ومعنى السلام وعليكم حق رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادى الذين خشوني بغيث وأطاعوا أمرى قال فيقولون ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا في السجود قدامك قال فيقول

الساعة في سرعتهم وسهولته (الكلح البصر) أى كرجع طرف من أعلى الحدقة الى أسفلها وانما ضرب به المثل لانه لا يعرف زمان أقل منه واللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان تتقلب فيه الحدقة نحو المرنى وكل زمان قابل للتجزئة ولذا قال (أوهو) أى بل أمرها (أقرب) منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذى تبدأ فيه فان الله تعالى يحى الخلق دفعة وما يوبى جدد دفعة كان في آن أى جزء غير منقسم وليس هذا من قبيل المبالغة بل هو كلام في غاية الصدق لأن مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الأبد غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى أو يقال ان الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت في القرب كلح البصر وقال الزجاج لم يرد أن الساعة تأتى في لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة على الايمان بها لانه يقول للشئ كن فيكون وقيل المعنى هى عند الله كذلك وان لم تكن عند الخلق بهذه الصفة ومثله قوله سبحانه انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا واقتضوا وليس للشك بل للتشبيه أو للتخصيص وقيل دخلت لشك الخطاب وقيل هى بمنزلة بل (ان الله على كل شئ قدير) ومحى الساعة بسرعة من جملة مقدوراته ثم انه سبحانه ذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال (والله أخر جكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) معطوف على قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا منتظم معه في سلك أدلة التوحيد أى أخر جكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا علم لكم بشئ ولا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق وقيل مما قضى به عليكم من السعادة والسعادة وقيل شيئا من منافعكم والاولى التعميم لتشمل الآية هذه الامور وغيرها اعتبارا بعموم اللفظ فان شيئا منكم واقعة في سياق النفي (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) أى ركب فيكم هذه الاشياء وليس فيه دلالة على تأخير هذا الجعل عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو مطلق الجمع والمعنى جعل لكم هذه الاشياء لتصلوا بها العلم الذى كان مسلوبا عنكم عند اخر اجكم من بطون أمهاتكم وتعملوا بموجب ذلك العلم من شكر النعم وعبادته والقيام بحقوقه ونكتة تأخيرها ان السمع ونحوه من آلات الادراك انما يعتد به اذا أحس وأدرك وذلك بعد الاخراج وقدم السمع على البصر لانه طريق تلقى الوحي أولان ادراكا أقدم من ادراك البصر والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب منزل منه بمنزلة القلب من الصدر وقد قدمنا الوجه في افراد السمع وجمع الابصار والافئدة وهو أن افراد

الله انهم ليست بدار نصب ولا عبادة ولكنهم اداراء للو تعيم وانى قدر فت عنكم نصب العبادة فسلونى ما شئتم فان الجمع لكل رجل منكم أمينة فبالونه حتى ان أقصرهم أمينة ليقول ربى تنافس اهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها رب فأتى مثل كل نبي كالواقية من يوم خلقتها الى ان انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك أميةن ولقد سألت دون منزلتك هذا لك منى لانه ليس فى عطائى نكد ولا قصر يد قال ثم يقول اعرضوا على عبادى ما لم يبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم (١) قوله ولا يزل راحله برك الاخرى هكذا بالاصل ويعبر بالحديث اه

حتى تقصر أمانهم التي في أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوته واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب منسقة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة في كل قبة منها جاريات من الحور العين على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس في الجنة لون الا وهو فيه ما ولا ربح طلبت الا قد عبت (٢) يعرض وجوهها مغلظ القبة حتى يظن من رآها انها مادون القبة ترى مخها من فوق سوقهما كالسالك الا يبص في ياقوته جرائرى أن له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجرة أو أفضل ويرى هو له ما مثل ذلك ويدخل اليهما (٢٦١) فيمسانه ويقتبلانه ويتعلقان به ويقولان له والله

ما ظننا ان الله يخلق مثلك ثم بأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صدا في الجنة حتى ينتهي بكل رجل منهم الى منزله التي أعدت له وقد روى هذا الانبأ ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا الى مو هو ب ربكم الذي وهب لىكم فاذا هو ب قباب في الرفيق الاعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان أبوابها من ذهب وسررها من ياقوت وفرشها من سندس واستبرق ومنابرها من نوريقور من أبوابها وعراشها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدرى في النهار المضي واذا ابتعدت وشاحنة في أعلى علمين من الياقوت يزهر نورها فلولوا انه مسخر اذا التمع الابصار فما كان من تلك القصور من الياقوت الاحمر فهو مفروش بالسندس الاخضر وما كان منها من الياقوت الاصفر فهو مفروش بالارجوان الاحمر (٣) منزله بالمرز الاخضر والذهب الاحمر والفضة البيضاء قوائها وأركانها من الجوهر ونورها قباب من لؤلؤ ووروجها غرف من المرجان فلما انصرفوا الى ما أعطاهم ربهم قربت لهم

السمع لكونه مه درافى الاصل يتناول القليل والكثير (لعلكم تشكرون) أى لىكى تصرفوا كل آله فيما خلقت له فعند ذلك تعرفون مقدر ما أنعم الله به عليكم فتشكرون أو أن هذا الصنف هو نفس الشكر ثم ذكر سبحانه دليلا آخر على كمال قدرته فقال (ألم يروا الى الطير مسخرات) أى ألم ينظروا اليها حال كونها مذللات للطيران بما خلق الله لها من الأجنحة وسائر الاسباب المؤاتية لذلك كرفة قوام الهواء والهوامها بسط الجناح وقبضه كما يفعل السابح في الماء (في جوار السماء) أى في الهواء المتباعد من الارض في سمع العلو واضافته الى السماء لكونه في جانبها قال كعب ان الطير ترتفع في الجوائن عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك (ما يسكنهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن في الجوار (الا الله) سبحانه بقدرته الباهرة فان ثقل أجسامها ورقة قوام الهواء بقضبان سقطها لانهم لم يتعلق بشئ من فوقها ولا اعتمدت على شئ تحتها (ان في ذلك) انتسخير على تلك الصفة (لايات) ظاهرة تدل على وحدانية الله سبحانه وقدرته الباهرة (القوم يؤمنون) بالله سبحانه وبما جاءت به رساله من الشرائع التي شرعها (والله جعل) أى صير أو خلق (لكم من بيوتكم) التي هي من الحجر والمدر وغيرهما ومن ابتدائية (سكا) مصدري وصف به الواحد والجمع واليه ذهب ابن عطية ومنعه الشيخ ولم يذكر وجه المنع وهو بمعنى مسكون أى تسكنون فيها وهم مدأجوار حكم من الحركة وهذا من جملة تعديد الله نعمه على الانسان فان الله سبحانه لو شاء خلق العبد مضطربا دائما كالفلان ولو شاء خلقه ساكنا أبدا كالارض (وجعل لىكم من جلود الانعام بيوتا) لما ذكر سبحانه بيوت المدن وهي التي للاقامة الطويلة عقبها بذكر بيوت البادية والرحله وهي الانطاع والادم جعلها بيوتا كالخيام والقباب والاشنية والفساطيط قال مجاهد وهي خيام العرب وقيل ذلك في بعض الناس كالهودان فانهم يتخذون خيامهم من الجلود ويجوز ان يتناول المتخذة من الصوف والوبر والشعر فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) أى يخف عليكم جلها في الأسفار وغيرها ولهذا قال (يوم ظعنكم) أى في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم والظعن بفتح العين وسكونها وهما لغتان قرئ بهما كالنهر والنهر وهو سير أهل البادية للالتجاع والتحول من موضع الى موضع والظعن الهودج أيضا قال ابن عباس بعض بيوت السيرة بنيانه في ساعة (ويوم)

براذين من ياقوت ابيض منفوخ فيها الروح تجنبها الولدان المخلدون بيد كل وليد منهم حكمة برذون من تلك البراذين ولجها وأعتما من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والاستبرق فانطلقت بهم تلك البراذين ترف بهم يظن رياض الجنة فلما انتهوا الى منازلهم وجدوا الملائكة قعودا على منابر من نور ينتظرونهم ليروهم ويصالحونهم ويهنئونهم كرامة ربهم فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تناول به عليهم وما سألوا وتمنوا واذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنات جنات ذوات افنان وجنتان مدهامتان وفيها الحينان فضاختان وفيهما من كل فاكهة زوجان وحور مقصورات في الخيام (٢) قوله يعرض وجوهها مغلظ القبة الخ كذا في النسخ وحرره (٣) وقوله منزله بالمرز هكذا في النسخ ولعله محرف وحرره

فلما تبينوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم هل وجدتم ما وعدناكم حقا قالوا نعم وبنوا قال هل رضىتم ثواب ربكم قالوا
ربنا رضىنا فارض عنا قال رضى عنكم **حلتهم داري ونظرتم الى وجهي وصاغتكم ملائكتي فهنيا هنيا لكم عطاء** غير مجدود
ليس فيه تنغيص ولا قصر بدفعه ذلك قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يسئنا فيها نصب ولا
يسئنا فيها الغوب ان ربنا الغفور شكور وهذا **ساق غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد في الصحيحين ان الله تعالى يقول لذلك**
الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة (٢٦٢) تمن فيتمنى حتى اذا انتهت به الاماني يقول الله تعالى عن من كذا وعن

من كذا يذكره ثم يقول ذلك لك
وعشرة أمثاله وفي صحيح مسلم عن
أبي ذر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الله عز وجل
يا عبادي لو ان أولكم وآخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسألوني فاعطيت كل انسان
منهم مسأله ما انتقص ذلك من
ملكى شيئا الا كما ينقص المحيط اذا
ادخل في البحر الحديث بطوله وقال
خالد بن معدان ان في الجنة شجرة
يقال لها طوى لها ضرع كلها
ترضع صبيان أهل الجنة وان سقط
المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة
يتقلب فيه حتى تقوم القيامة
فبعث ابن أربعين سنة رواه ابن
أبي حاتم **(كذلك أرسلناك**
في أمة قد خلت من قبلها أئمة
عليهم الذي أوحينا اليك وهم
يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت واليه متاب)
يقول تعالى وكما أرسلناك بالحق في
هذه الامه لتتلوا عليهم الذي أوحينا
اليك أي تبلغهم رسالات الله اليهم
كذلك أرسلنا في الامم الماضية
الكافر بماله وقد كذب الرسل من

اقامتكم) أي حضركم والمعنى لا ينقل عليكم حملها في الحالين (و) جعل لكم (من
أصوافها وأوبارها وأشعارها) والانعام تم الابل والبقر والغنم كما تقدم والاصواف للغنم
والاوبار للابل والاشعار للاربع ذوات من جملته الغنم فيكون ذكر هذه الثلاثة على وجه
التنويح كل واحد منهم حال واحد من الثلاثة أعنى الابل ونوعى الغنم ولم يذكر القطن
والكتان لانهم لم يكونا يلبسان العرب (اثانا) هو متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع
ومنه شعرا ثبت أي كثير مجتمعة يقال أث أي كثرة وتكاثر وقيل للمال اثنا اذا كثر قال
الخليل اثنا أي منضم ما بعضه الى بعض من أث اذا كثر قال الفراء لا واحد له (ومتاعا)
هو ما يتنوع به بأنواع التمتع قال الخليل الالاثا والمتاع واحد وجع بينه ما لا اختلاف
لتنظيم ما وعى قول أبي زيد الانصاري ان الالاثا المال أجمع الابل والغنم والعييد والمتاع
يكون عطف المتاع على الالاثا من عطف الخاص على العام وقيل ان الالاثا ما يكتسب
به الانسان ويستعمله من الغطاء والطعام والمتاع ما يفرش في المنازل من الفرش والاكسية
ويتزين به ومعنى (الى حين) الى ان تقضوا أوطاركم منه أو الى ان يلى ويفنى الى الموت
أو الى القيامة ثم لما كان الانسان قد لا يكون له خيام أو أبنية يستظل بها انقروا ولعارض
آخر فاحتاج الى ان يستظل بشجر أو جدار أو غمام ونحو ذلك منه سبحانه على ذلك فقال
(والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أي أشياء تستظلون بها من شدة الحر والبرد كالاشياء
المدكورة وهي ظلال الأبنية والجدران والاشجار والحاصل ان الظلال تم الاشياء
التي تظل ثم لما كان المسافر قد يحتاج الى كن يأوى اليه في نزوله والى ما يدفع به عن نفسه
آفات الحر والبرد منه سبحانه على ذلك فقال (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن
وهو ما يستكن به من المطر وشدة الحر والبرد وفي المختار الكن السترة والجمع أكنان
والاكنة الاغطية وقال الكسائي كن الشيء ستره وبابه رد وفي القاموس الكن بالكسر
وقاء كل شيء ستره كالكنة والكنان بكسرهما والكن البيت جعها كنان وأكنة وكنه كنان
وكنونا وأكنه وكنهه واكنهه ستره واستكن استكر ككن والكنة جناح يخرج من
حائط أو سقينة فوق باب الدار وظلة هنالك أو مخدع انتهى وهي هنا الغيران والانسراب
في الجبال ونحوها جعلها الله سبحانه عدة للغاي يا وون اليها ويحصنون بها ويعتزلون عن
الخلق فيها لان الانسان غنى أوفقر فالفنى يستعجب معه الخيام في سفره ليدكن فيها واليه

قبل ذلك فأنهم اسوة كما أوفعنا بأسنا ونتم متبايننا فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم فان تكذيبهم لك أشد **الاشارة**

من تكذيب غيرك من المرسلين قال الله تعالى تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك الآية وقال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا
على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين أي كيف نصرناهم وجعلنا العاقبة لهم
ولا تباعهم في الدنيا والاخرة وقوله وهم يكفرون بالرحمن أي هذه الامه التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن لا يقرنونه لانهم كانوا
يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم ولهذا أنفوا يوم الحديبية ان يكتبوا باسم الله الرحمن الرحيم وقالوا ما ندري ما الرحمن الرحيم

قوله قتادة والحديث في صحيح البخاري وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الاسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن قل هو ربي لا اله الا هو أي هذا الذي تكفرون به عليه توكلت في جميع اموري واليه متاب أي اليه ارجع وانيب فانه لا يستحق ذلك أحد سواه (ولو ان قرآناسيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كاه به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم يبين الذي آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة أو (٢٦٣) تحل قرييما من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله

لا يخلف الميعاد) يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ومنضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله ولو ان قرآناسيرت به الجبال أي لو كان في الكتب الماضية كتاب سير به الجبال عن أمم كنها وتقطع به الارض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره أو بطريق الاولى ان يكون كذلك لما فيه من الاعجاز الذي لا يستطيع الانسان والجن عن آخرهم اذا اجتمعوا ان يأتوا بمثله ولا بسورة من مثله ومع هذا فهو لا المشركون كافرون به جاحدون له فله الامر جميعا أي مرجع الامور كلها الى الله عز وجل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضل الله فلا هادي له ومن يهد الله فلا مضل وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة لانه مشتق من الجمع قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاشارة في الآية المتقدمة والفقير يسكن في ظلال الاشجار والحيطان والكهوف والى هذا الاشارة في هذه الآية وكانت بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدة الحر وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم بها لان النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سراييل) جمع سرايل وهي القهصان والنياب من الصوف والقطن والسكان وغيرها قال الزجاج كل ما لبسته فهو سرايل (تقاكم الحر) أي تدفع عنكم ضرر الحر والبرد وهو ما عليه أكثر المفسرين من انه من حذف المعطوف للعلم به قال الشهاب في الرحمة في الآية تكتنه لطيفة لم ينهوا عليها ودوا عنه انما اقتصر على الحر لانه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم ان ما بقي الحر يحصل به برودة في الهواء في الجنة فواقية الحر انما هي لتحصيل البرد وهذا فيه من اللطف ما هو أطف من التسميم فلهذا التنزيل فيكم فيه من أسرار لا تنتهي انتهى وتطهير بيدك الخير أي والخير مطلوب العباد من ربهم دون الشر وأول تقدم وقاية البرد في قوله لكم فيها دفء (وسرايل تقاكم بأسكم) وهي الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح تتقون بها الطعن والضرب والرمي والمعنى انها تقاكم البأس الذي يصل من بعضكم الى بعض في الحرب (كذلك) الاتمام البالغ (يتم نعمته عليكم) فانه سبحانه قد من على عباده بصنوف النعم المذكورة هنا وبغيرها وهو بفضل واحسانه سيتم نعمه الدين والدنيا (اعلمكم تسلمون) أي ارادة ان تسلموا فان من أمعن النظر في هذه النعم لم يسعه الا السلام والالتحاق بالحق وقرأ ابن عباس وعكرمة من السلامة من الجراح وقرأ الباقر من الاسلام قال أبو عبيد والاختيار قرارة العامة لان ما أنعم الله به علينا من الاسلام أفضل مما أنعم به من السلامة من الجراح وقيل الخطاب لأهل مكة أي لعلمكم بأهل مكة تخلصون لله الربوبية والجل على العموم أولى وأفرد النعمة هنا لان المراد بها المصداق (فان تولوا) أي أعرضوا عن الاسلام ولم يتقبلوا ما جئت به فقد تم عذرک وفيه التفات وجواب الشرط محذوف أي فلا لوم عليك وهذا نسبية له صلى الله عليه وآله وسلم والتعبير بالتولي اشارة الى ان الاسلام فطرته الاسلام وخلافها عارض متجدد والمعنى ان داموا على التولي انظر وتوابعهم (فانما عليك البلاغ) لما أرسلت به اليهم وقد فعلت ذلك بهم (المبين) أي الواضح وليس عليك غير ذلك وسرف

خفف على دوا القرآن فكان يا صريدا ته ان تسرج فكان يقرأ القرآن من قبل ان تسرج دابته وكان لا يبال كل الامن عمل يديه انفسر دابته البخاري والمراد بالقرآن هو الزبور وقوله أفلم يبين الذين آمنوا أي من ايمان جميع الخلق ويعلموا ويؤمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فانه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في العقول والنفوس من هذا القرآن الذي لو أنزله الله على جبل لرأيت حشاه امتصا دعاء من خشية الله ونبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا وقد أتى ما آمن على مثله البشر وانما كان الذين آمنوا وحيا أو حاء الله الى فارحوا ان يكون أكثرهم تابعيا يوم القيامة معناه ان معجزة كل نبي انقرضت

بموته وهذا القرآن حجة باقية على الأباد لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نجباب بن الحرث أنبأنا بشر ابن عمارة حدثنا عمر بن حسان عن عطية العوفي قال قال له ولوان قرأنا سيرت به الجبال الآية قالوا الحمد صلى الله عليه وسلم لو سيرت لنا جبال مكة حتى تنسع فنحتر فيها أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح أو أوحيت لنا الموني كما كان عيسى يحيي الموتي لقومه فانزل الله هذه الآية قال قلت هل (٢٦٤) تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

قال نعم عن أبي سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم وكذا روى عن ابن
عباس والشعبي وقتادة والثوري
وغير واحد في سبب نزول هذه
الآية والله أعلم وقال قتادة لو فعل
هذا بقرآن غير قرآنكم لافعل
بقرآنكم وقوله بل لله الامر
جميعاً أي لا يصنع من ذلك الا ما شاء
ولم يكن ليعمل بسنده عنه قاله ابن
عباس وقاله ابن جرير أيضاً وقال
غير واحد من السلف في قوله أفلم
يأس الذين آمنوا أفلم يعلم الذين
آمَنوا وقرأ آخرون أفلم يبين
الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعاً وقال أبو العالية قد
يفس الذين آمنوا ان يهدوا لو يشاء
الله لهدى الناس جميعاً وقوله ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم عاصفها
قارعة أو تحل قريباً من دارهم أي
بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع
تصيبهم في الدنيا أو تصيب من حوالمهم
ليقتلوا ويعتبروا كما قال تعالى
ولقد أضلناكم ما حولكم من الشرى
وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون
وقال أفلم يروا اننا أنشأنا الارض
تنقصهم أطرافها انهم الغالون

الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليمه وهذا قبل الامر بالقتال فكون
الآية منسوخة لحكمهم وهو لا يظهر الا لو قدر جواب الشرط فاعرض عنهم ولا تنقلهم مع
ان أكثر المنسرين قدروه بقولهم فلا عتب عليك ولا مؤاخذة في عدم إيمانهم لانك بلغته
مأمرت بتبليغه وهذا إيتهم من الله لا إليك وهذا لا ينافي ان يكون مأمورا بقتالهم ثم
ستأنف إيمان توليهم فقال (يعرفون نعمة الله) التي عددها في هذه السورة وبعترفون
بانهم امن عند الله سبحانه (ثم يذكرونها) بما يقع عنهم من أفعالهم -م القبيحة من عبادة
غير الله وبأقوالهم -م الباطلة حيث يقولون هي من الله ولكنها بشفاعه الأصنام وحيث
يقولون انهم ورثوا تلك النعم من آبائهم وأيضا كونهم لا يستعملون هذه النعم في مرضاة
الرب سبحانه وفي وجه الخير التي أمرهم -م الله بصرفها فيها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى
الله عليه وآله وسلم كانوا يعرفونه صلى الله عليه وآله وسلم ثم ينكرون نبوته وقيل هي
الاسلام وحي بنم للدلالة على ان انكارهم -م أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن من
عرف النعمة حقه ان يعترف لان ينكر (وأكثرهم الكافرون) بالله أو الجاحدون انعم
الله وعبر هذا بالاكثر عن الكل لانه قديد كرا لا كثير اذ به الجميع واليه أشار في التقرير
أو أراد بالاكثر المعتلادون الاطمان ونحوهم -م أو أراد كثيرا لحدود لم يكن كفر كلهم كذلك
بل كان كفر بعضهم كفر جهل وكفر بعضهم بسبب تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم مع اعترافهم بالله وعدم الجحدر بوبيته ومثل هذه الآية قوله تعالى وجمدوا بها
واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولما بين سبحانه من
حال هؤلاء انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وان أكثرهم كافرون اتبعه بأصناف وعيد
يوم القيامة فقال (و) اذكر (يوم نبعث) أي نحجي ونخرج (من كل امة شهيدا) أو المعنى
يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيد كل امة ينهيا يشهد لهم بالايمان والتصديق وعليهم
بالكفر والجحود والتكذيب قال ابن عباس -م شهيدان ينهيا على ان قد بلغ رسالات ربه قال
الله وبنيناك على هؤلاء شهيدا قال ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قرأ
هذه الآية فاضت عيناه وذلك اليوم هو يوم القيامة (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في
الا عذار الا لاجلهم -م ولا عذر كقوله سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون أو في كثرة الكلام
وفي الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف أو في حالة شهادة الشهود بل يسكت اهل الجمع

قال قتادة عن الحسن أو تحل قرييما من دارهم أي الشارعة وهذا الظاهر من السياق وقال أبو داود الطيالسي
حدثنا المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله ولا يزال الذين كفروا نصيبهم عاصنوا وأقارعة قال سرية
أو تحل قرييما من دارهم قال محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد في
رواية وقال العوفي عن ابن عباس نصيبهم عاصنوا وأقارعة قال عذاب من السماء تنزل عليهم أو تحل قرييما من دارهم يعني نزول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقناله إياهم وكذا قال مجاهد وقتادة وقال عكرمة في رواية عنه عن ابن عباس فأرعة أي نكبة

وكلهم قال حتى يأتي وعد الله يعني فتح مكة وقال الحسن البصري حتى يأتي وعد الله يوم القيامة وقوله ان الله لا يخلص الميعاد أي لا ينقض وعده لرساله بالسرعة لهم ولا يتبعهم في الدنيا والآخرة ولا تحسب ان الله يخاف وعده رساله ان الله عزيز ذو انتقام (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) يقول تعالى مسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ولقد استهزئ برسل من قبلك أي فلاك فيهم أسوة فامليت للذين كفروا أي أنظرتهم وأجلتهم ثم أخذتهم أخذت رابية فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم كقوله تعالى وكأين من قرية (٢٦٥) أمليت لها وهي ظالمة الآية وفي الصحاح ان الله

ليلى لظالم حتى اذا أخذهم لم ينالته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم البيم شديد (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجهه لوجه الله شركاء قل سموهم أم تنبؤونه بما لا يعلم في الارض أم ينظرون من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد) يقول تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي حفيظ عليهم رقيب على كل نفس منقوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية وما تكون في شأن وما تلومونه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تقيمون فيه وقال تعالى وما نستطع من ورقة الا يعلمها وقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقال وهو معكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالهار وقال يعلم السر وأخفى وقال وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير أفمن هو كذلك كالأصنام التي

كلهم يشهد الشهود أو لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بالقاء معذرة أو ادلاء بحجة بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك ويراد أنهم هائل الدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقنات الكلبي أشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء (ولاهم يستعجبون) أي لا يطلب منهم العتب أي الرجوع الى ما يرضى الله من العبادات لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضاء فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب والمعنى انهم لا يسترضون أي لا يكتفون ان يرضوا بهم لان الآخرة ليست بدار عمل ولا تكيف ولا يتركون الى رجوع الدنيا فيمتدحون وأصل الحكمة من العتب وهو الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه وبابه ضرب ونصر فاذا أقاض عليه ما عاتب فيه عليه قيل عاتبه فاذا رجع الى مسرته قل أعتب به والاسم العتبي وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى العاتب قاله الهروي فالاستعتاب التعرض لطلب الرضاء وهذا باب منسـد على الكفار في الآخرة وفي الخطيب أي لا تزال عتابهم وهي ما يعتبون عليهم أو يلامون يقال استعبت فلانا أي أزلت عتابه انتهى واستعمل بمعنى أفعـل غير مستنكر قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموحدة وعاتبه معاتبه وعتابا وأعتب به سره بعد ما ساء واستعتب وأعتب بمعنى واستعتب أي بطلب ان يعتب أي استرضاه فارضاه (واذا رأى) أي أبصر (الذين ظلموا) أي أشركوا وكفروا (العذاب) الذي يستحقونه بشرهم وهو عذاب جهنم (فلا يخفف) ذلك العذاب (عنهم ولا هم ينظرون) أي لا يلهون ولا يؤخرون ليتوبوا لاذلوبة هنالك (واذا رأى الذين أشركوا) يوم القيامة (شركاءهم) منعول به والاضافة لادنى ملازمة باعتبار ادعائهم شركتهم الله أي أصنامهم وأوثانهم التي عبدوها في الدنيا لما تقرر من انهم يعنون مع المشركين يقال لهم من كان يعبد شيئاً فليتبعه كآيت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (فالزواربنا هؤلاء مشركاونا الذين كان يدعو) أي نعبدهم ونخذهم آلهة (من دونك) ونطيعهم ولعلمهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم قال أبوهم لم الاصنها في مقصود المشركين بهذا القول احالة الذنب على تلك الاصنام لتعلا بذلك واسترواحا مع كونهم يعلمون ان العذاب واقع بهم لاحالة ولكن الغريب يتعلق بكل ما تقع يده عليه (فالتوا اليهم) أي ألقى أولئك الشركاء من الاصنام والوثان والشياطين ونحوهم الى المشركين

(٢٤ فتح البيان خامس) يعبدونها لاسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تلك نفعها لانفسها ولا له ابديها ولا كشف ضرعها ولا عن عابديها وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه وهو قوله وجعلوا لله شركاء أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان قل سموهم أي أعلو نائموا كشفوا عنهم حتى يعرفوا فانهم لا حقيقة لهم ولهذا قال أم تنبؤونه بما لا يعلم في الارض أي لا وجود له لانه لو كان لها وجود في الارض لعلمها لانه لا تخفى عليه خافية أم ينظرون من القول قال مجاهد بن نضر من القول وقال النجاشي وقتادة يباطل من القول أي انما عبدتم هذه الاصنام بظن منكم انها تنفع وتضر وسميتوها آلهة ان هي الا أسماء سميتوها وأنتم

وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ أَنْ تَتَّبِعُونَ الْأَلْقَانَ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ
 قَالَ مُجَاهِدٌ قَوْلُهُمْ أَيْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالِدَعْوَةُ إِلَيْهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَرَسُوا لَهُمُ الْآيَةَ
 وَصَدُّوا عَنْ السَّبِيلِ مَنْ قَرَأَهَا بَنَعَ الصَّادِمُ عَنْهُ أَنْ يَلْمَازِينَ لَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ وَهُوَ حَقٌّ دَعَا إِلَيْهِ وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ اتِّبَاعِ طَرِيقِ حَقِّ الرِّسْلِ
 وَمَنْ قَرَأَهَا بِالْغَضَمِ أَيْ بِمَازِينَ لَهُمْ مِنْ صِحَّةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ صَدَّوْهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلِهَذَا قَالَ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَعَالَهُ مِنْ هَادٍ كَمَا قَالَ وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ
 فَتَنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقَالَ أَنْ تَحْرَصَ (٢٦٦) عَلَىٰ هَذَا هُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (لَهُمْ عَذَابٌ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ مِثْلُ
 الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَالْهَادِئِمْ وَظِلُّهَا تِلْكَ
 عَقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقْبَى الْكَافِرِينَ
 النَّارُ) ذَكَرَ عَلَى عَقَابِ الْكَفَّارِ
 وَثَوَابِ الْإِبْرَارِ فَقَالَ بَعْدَ إِخْبَارِهِ عَنْ
 حَالِ الْمُشْرِكِينَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ
 الْكَفْرِ وَالشِّرْكِ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَيْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ قَتْلًا
 وَأَسْرًا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَيْ الْمَذْخَرِ
 مَعَ هَذَا الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا أَشَقُّ أَيْ
 مِنْ هَذَا بِكَثِيرٍ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُتَلَاعِنِينَ أَنْ
 عَذَابُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ
 الْآخِرَةِ وَهُوَ كَمَا قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا لَهُ
 انْقِضَاءٌ وَذَلِكَ دَائِمٌ أَبَدًا فِي نَارِهِ
 بِالنَّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ سَبْعُونَ ضِعْفًا
 وَوَثَاقٌ لَا يَتَوَرَّكُونَ نَاقَتَهُ وَشِدَّتُهُ كَمَا
 قَالَ تَعَالَى فِيَوْمَئِذٍ لَعَذَابُ عَذَابِهِ
 أَحَدٌ وَلَا يُؤْنَقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ وَقَالَ
 تَعَالَى وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِالسَّاعَةِ
 سَعِيرًا إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
 سَمِعُوا لَهَا تَغِيغًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا
 مِنْهَا مَكَانًا ضِعْفًا مَقَرَّتَيْنِ دَعَا هُنَالِكَ

وَالْكَذَّارِ (الْقَوْلُ) وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ حَدَّثُونَهُمْ وَقَالُوا لَهُمْ (أَنْتُمْ) أَيْهَا الْمُشْرِكُونَ
 (الْكَافِرُونَ) فِيمَا تَزْعُمُونَ مِنْ أَحَالَةِ الذَّنْبِ عَلَيْنَا الَّذِي هُوَ مُتَصَوِّدٌ كَمْ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَوْ فِي
 تَسْمِينِنَا آلِهَةً وَمَادَعُونَا كَمْ إِلَى عِبَادَتِنَا بِلِ عِبَدَتِهِمْ أَهْوَاءُ كَمْ فَإِنْ قِيلَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَشَارُوا
 إِلَى الْأَصْنَامِ وَنَحْوِهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ كَانُوا صَادِقِينَ فِي ذَلِكَ فَكَيْفَ كَذَّبَتْهُمُ الْأَصْنَامُ
 وَنَحْوُهَا فَالْجَوَابُ بَأَنَّ مَرَادَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ هَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ كَانُوا هَؤُلَاءِ مُشْرِكًا اللَّهُ فِي الْمَعْبُودِيَّةِ
 فَكَذَّبَتْهُمْ الْأَصْنَامُ فِي دَعْوَى هَذِهِ الشِّرْكِ وَالْأَصْنَامُ وَالْإِثْنَانُ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَقْدِرُ عَلَى
 النُّطْقِ فَإِنَّ اللَّهَ سَجَّاهُ يَنْطِقُ فِي تِلْكَ الْحَالِ اخْتِصِيلَ الْمُشْرِكِينَ وَتَوْبِيخَهُمْ وَهَذَا كَمَا قَالَتْ
 الْمَلَائِكَةُ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ يَعْتَوُونَ أَنَّ الْجِنَّ هُمْ الَّذِينَ كَانُوا رَاضِينَ بِعِبَادَتِهِمْ لَهُمْ قَالَ
 الْكَرْخِيُّ أَنَّ الْمُنْبِتَ لَهُمْ هَذَا النُّطْقُ بِتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ فِي دَعْوَى عِبَادَتِهِمْ لَهَا وَالْمُنْفَى عَنْهُمْ
 فِي الْكَهْفِ النُّطْقُ بِالْإِجَابَةِ إِلَى الشَّفَاعَةِ لَهُمْ وَدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ فَلَا تَنَاقُ (وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ
 يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ) أَيْ أَلْقَى الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّلَامَ وَالْإِنْقِيَادَ لِعَذَابِ اللَّهِ وَالْخُضُوعَ
 لِعِزَّتِهِ وَبِهِ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَعَنْ قَتَادَةَ نَحْوَهُ وَقِيلَ الْمَعْنَى اسْتَغْلَمَ الْعَابِدُ الْمَعْبُودَ وَانْقَادَا
 لِحُكْمِهِ فِيهِمْ لَكِنْ الْإِنْقِيَادُ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُهُمْ لَا نَقْطَاعَ لِلتَّكْلِيفِ فِيهِ (وَضَلَّ عَنْهُمْ
 مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) أَيْ ضَاعَ وَبُطِلَ وَزَالَ مَا افْتَرَوْا مِنْ أَنَّ اللَّهَ سَجَّاهُ مُشْرِكًا وَمَا كَانُوا يَزْعُمُونَ
 مِنْ شِدَائِهِمْ لَهُمْ وَأَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَهُمْ تَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ سَجَّاهُ (الَّذِينَ كَفَرُوا) فِي أَنْفُسِهِمْ
 (وَصَدُّوا) غَيْرُهُمْ (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أَيْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَهُوَ طَرِيقُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
 بِأَنَّ مَنْعَهُمْ مِنْ سَلُوكِهَا وَحُلُولِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الصَّدْعُ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَالْعُمُومُ أَوَّلَى (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا) لِأَجْلِ الْأَضْلَالِ لَغَيْرِهِمْ (فَوْقَ الْعَذَابِ) الَّذِي اسْتَحَقُّوه
 لِأَجْلِ ضَلَالَتِهِمْ وَقِيلَ الْمَعْنَى زِدْنَا الْقَادَةَ عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِ اتِّبَاعِهِمْ أَيْ أَشَدَّ مِنْهُ وَقِيلَ أَنَّ
 هَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ آخِرُ أَجْزَائِهِمْ مِنْ حَرِّ النَّارِ إِلَى بَرْدِ الزَّمْهِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ
 زِيدُوا عِقَابُهَا أَيْ أَبْكَتُ الطُّوَالَ يَنْهَشُونَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَرَوَى مِنْهُ عَنْ الْبَرَاءِ مَرْفُوعًا
 أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ حَيَاتٌ كَالْبَحْتِ وَعِقَابُهَا أَمْثَالُ الْبَغَالِ تَلْسَعُ
 أَحْدَاثُ السَّعَةِ فَيَجِدُ صَاحِبَهَا أَلْمَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَمْسَةٌ أَنْهَا مِنْ
 نَارِ صَبَّهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَعْذِبُونَ بِعِضِّهَا بِاللَّيْلِ وَبِعِضِّهَا بِالنَّهَارِ وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَرْدُودٍ عَنْ جَابِرٍ
 عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ الزِّيَادَةُ خَمْسَةٌ أَنْهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ عَلَى

ثُبُورٍ لَا تَدْعُو الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ حِرَاءُ رُؤُوسِ
 وَمَصِيرٌ أُولَئِكَ قَرْنٌ هَذَا بِقَوْلِهِ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ أَيْ صَفَتُهَا وَنَعْمَتُهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَيْ سَارِحَةٌ فِي أَرْجَائِهَا وَجَوَانِبِهَا
 وَحَيْثُ شَاءَ أَهْلُهَا يَنْجَرُونَ وَنَحْوُهَا تَغْيِيرُ أَيْ بِصُرْفِهَا كَيْفَ شَاءُوا أَوْ بِنِ شَاؤُا كَقَوْلِهِ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ
 وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ أَكَلُهَا
 دَائِمٌ وَظِلُّهَا أَيْ فِيهَا الشُّوَاكِدُ وَالطَّاعِمُ وَالْمَشَارِبُ لَا انْقِطَاعَ وَلَا فَنَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَفِيهِ

قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تتكلمت فقال اني رأيت الجنة أو اريت الجنة فتناولت منها عنقودا ولواخذته لا كلمت منه ما بقيت الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خزيمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال بينما نحن في صلاة الظهر اذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا ثم تناول شيئا يأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما رأيناك كنت تصنع فقال اني عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفًا من عنب لا يتكلم به وحيل بيني وبينه (٢٦٧) ولو أنيتكم به لا كل منه من بين السماء

والارض لا ينقصونه وروى مسلم من حديث ابي الزبير عن جابر شاهد البعثة وعن عتبة بن عبد السلمي ان اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة فقال فيها عنب قال نعم قال فما عظم العنقود قال مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفسر رواه الامام أحمد وقال الطبراني حدثنا معاذ بن المشني حدثنا علي بن المديني حدثنا ربحان بن معبد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا نزع ثمره من الجنة عادت مكانها أخرى وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كل أهل الجنة وبشرون ولا يخطون ولا يفتغطون ولا يبولون طعامهم جشاء كريم المسك ويلهمون التسبيح والتفديس كما يلهمون النفس رواه مسلم وروى الامام أحمد والنسائي من حديث الأعمش عن تمام بن عتبة سمعت زيد بن أرقم قال جاء رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم ترع من أهل الجنة يا كلون

رؤس أهل النار ثلاثة أنهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار فذلك قوله زناهم عذابا فوق العذاب (بما كانوا يفعلون) بصدهم الناس عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا) أي نبيا يشهد (عليهم من أنفسهم) أي من جنسهم اتعالم العجوة وقدمنا المدة وغوا عدل شاهد عليها وهذا تكرير لما سبق لقصد التأكيد والتهديد وقال الخطيب كرر سبحانه التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمه الآية السابقة وهوان الشهادة تقع على الأمم لآلهم وتكون بحضرتهم (وجنابك) يا محمد واثار لفظ المجيء على البعث لكل العناية بشأنه عليه الصلاة والسلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع (شهيدا) تشهد (على هؤلاء) أي على هذه الأمم وقيل على أممك وقومك هكذا قال الجلال وسنده قوله سابقا يوم نبعث من كل أمة شهيدا الخ ومثله في البيضاوي وفي الشهاب عليه وقيل الآية مسوقة لشهادته على الأنبياء فخلو عن التكرار ورد بان المراد بشهادته على أمته تركيته وتعديله لهم وقد شهدوا على تبليغ الأنبياء وهذا لم يعلم مما مر وهو الوارد في الحديث وقد تقدم مثل هذا في البقرة والنساء (ونزلنا عليك) في الدنيا (الكتاب) أي القرآن والجملة مستأنفة (تبيانا لكل شيء) أي بيانا لله والتاء للمبالغة فالتبيان أخص من مطلق البيان على قاعدة ان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ونظيره من المصادر التلذذ ولم يأت غيرهما في الاسماء كثير فحو التمساح والتمثال ومثل هذه الآية قوله سبحانه ما فرطنا في الكتاب من شيء ومعنى كونه تبيانا لكل شيء ان فيه البيان البليغ لكثير من الاحكام والاحالة فيما بقي منها على السنة وأمرهم باتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأتي به من الاحكام وطاعته كما في الآيات القرآنية الدالة على ذلك وقد صرح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اني أوتيت القرآن ومثله معه وعن ابن مسعود قال تبيانا لكل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن وعنه قال من أراد العلم فليشور القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين قال الكرخي اما بتبيينه في نفس الكتاب أو باحاطته على السنة لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وباحاطته على الاجماع كما قال تعالى ويتبع غير سييل المؤمنين الآية أو على القياس كما قال فاعتبروا بأولي الابصار والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها وكلها مذكورة في القرآن فكان

وبشرون قال نعم والذي نفس محمد بيده ان الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع والشهوة قال ان الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال تكون حاجة أحدهم رشها فينض من جلودهم كرشح المسك فيضمه رطنه رواه الامام أحمد والنسائي وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الاعرج عن عبيد الله بن الحرث عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فيخرب بين يديك مشوبا وجاء في بعض الاحاديث انه اذا فرغ منه عاد طائر اياذن الله تعالى وقد قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ودانية عليهم

ظلالها وذات قطوفها تذيلا وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلالا ظليلا وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضى السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ثم قرأ وظل محدود وكثيرا ما يقرب الله بين صفة الجنة وصفة النار لا يرغب في الجنة ويحذر من النار وهذا المأذ كصفة الجنة بما ذكره قال بعده تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار كما قال تعالى لا يستوى أصحاب الجنة أصحاب النار (٢٦٨) وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال بلال بن سعد

خطيب دمشق في بعض خطبه
عباد الله هل جاءكم مخبر يخبركم أن
شيئا من عبادتكم تقبلت منكم
أو أن شيئا من خطاياكم غفرت لكم
أخسبتم أمنا خلقناكم عبداً وأزكم
البنات لترجعون والله لو جعل لكم
الثواب في الدنيا لاستلتم كلكم
ما افترض عليكم أو ترغبون في طاعة
الله لتجمل دنياكم ولا تنافسون
في الجنة كلها دائم الآيات رواه ابن
أبي حاتم (والذين آتيناكم الكتاب
يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب
من ينكر بعضه قل إنما أمرت
أن أعبد الله ولا أشرك به إليه
أدعو وإلى ما أب وكذلك أنزلناه
حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم
بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله
من ولي ولا واق) يقول تعالى والذين
آتيناهم الكتاب وهم فاعلون
بمقتضاه يفرحون بما أنزل اليك أي
من القرآن لما في كتبهم من الشواهد
على صدقه والبشارة به كما قال تعالى
الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق
تلاوته الآية وقال تعالى قل آتونا
به أولاً تؤمنوا إلى قوله إن كان
وعدا ربنا لنفعولا أي إن كان

تبييناً لكل شيء فاندفع ما قيل كيف قال الله ذلك ونحن نجد كثيراً من أحكام الشريعة
لم يعلم من القرآن نصاً كعدد ركعات الصلاة ومدة المسح والحيض ومقدار حد الشرب
ونصاب السرقة وغير ذلك ومن ثم اختلفت الأمة في كثير من الأحكام انتهى وفي هذا
التقرير بحث ونظر ذكري محله فليراجعوه ولذلك قال الشهاب على قول البيضاوي بالحالة
إلى السنة أو القياس وفيه تأمل انتهى وقد احتج بهم هذه الآية بجمع من أهل العلم على منع
التأيد (وهدي) للعباد من الضلالة (ورحة) لهم (وبشري للمؤمنين) خاصة دون غيرهم
أو يكون الهدى والرحمة والبشرى خاصة لهم لأنهم المستمعون بذلك ثم لما ذكر سبحانه
أن في القرآن تبيان كل شيء ذكر عقبه آية جامعة لأصول التكليف كلها تصديقاً لذلك
فقال (إن الله يأمر) أي فيما نزل به تبياناً لكل شيء وهدي وبشري (بالعدل والاحسان)
وأيضا صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لأفادة التجدد والاستمرار وقد اختلف أهل العلم
في تفسير العدل والاحسان فقيل العدل شهادة أن لا إله إلا الله والاحسان أداء الفرائض
وقيل العدل النرض والاحسان النافلة وقيل العدل استواء العلانية والسريرة
والاحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية وقيل العدل التوحيد والاحسان
التفضل وقيل العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقيل العدل
التوحيد والاحسان الاخلاص وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال
فلا يفعل إلا ما وعد ولا يقول إلا ما هو حسن وقيل غير ذلك مما لا حاجة إلى ذكره والعدل
هو المساراة في كل شيء من غير شطط ولا وكس والاولى تفسير العدل بالمعنى اللغوي وهو
التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن تكون عبادته في الدين
على حالة متوسطة ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المدموم في الدين ولا إلى جانب
التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو من أمر الدين اعتقاداً كاللغو في التوحيد المتوسط بين
التمعيط والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعمل كالتعبد
بإداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير
وأما الاحسان فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب كصدقة التطوع ومن
الاحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجب الله عليه في العبادات وغيرها ولم يذكر
تعلقات العدل والاحسان والبعي ليم جميع ما يعدل فيه ويحسن به وإلى ما ينبغي فيه

ما وعدنا الله به في كتابنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم حقا صدقاً فاعولاً لا محالة وكأنا فسبحانه ما صدق وقد

وعده فله الحمد وحده ويحزرون للآذان يكون ويريدهم خشوعاً وقوله ومن الأحزاب من ينكر بعضه أي ومن الطوائف من
يكذب ببعض ما أنزل اليك وقال مجاهد ومن الأحزاب أي اليه ودوا النصارى من ينكر بعضه أي بعض ما جاءك من الحق وكذا
قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كما قال تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الآية قل إنما أمرت أن أعبد الله
ولا أشرك به أي إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما أرسل الأنبياء من قبلي إليه أدعوا إلى سبيله أدعوا الناس إليه ما أب

أى مرجعى ومصرى وقوله وكذلك أنزلناه حكما عربيا أى وكما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا عليهم الكتب من السماء كذلك أنزلنا عليك القرآن محكمه ربنا شرفنا النبوة وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم خبير وقوله ولئن اتبعت أهواءهم أى آراءهم بعد ما جالك من العلم أى من الله سبحانه مالك من الله من ولى ولا واق وهذا وعيد لأهل العلم ان يتبعوا سبل أهل الضلالة بعدما صاروا اليه من سلك السنة النبوية والحجة المحمدية على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم أزواجا (٢٦٩) وذرية وما كان لرسول أن يأتي بأية الا باذن الله

لكل أجل كتاب يعمها الله ما يشاء
و يثبت وعنده أم الكتاب) يقول
تعالى وكما أرسلناك يا محمد رسولا
بشريا كذلك قد بعنا المرسلين قبلك
بشريا كاون الطعام ويمشون
فى الأسواق ويأتون الزوجات
ويولد لهم وجعلناهم أزواجا وذرية
وقد قال تعالى لا شرف الرسل
وخاتمهم قل انما أنا بشر مثلكم
يوحى الى وفى الصبيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أما أنا
فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل
اللعيم وأتزوج النساء من رغب عن
سنتى فليس منى وقال الامام أحمد
حدثنا يزيد أنبأنا الحجاج بن أرطاة عن
مكحول قال قال أبو أيوب قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أربع من سنن
المرسلين التعطر واللباس والسواك
والخاء وقد رواه أبو عيسى الترمذى
عن سليمان بن كبيع عن حنص
ابن غيثان عن الحجاج عن مكحول
عن أبي السمال عن أبي أيوب فذكره
ثم قال وهذا أصح من الحديث
الذى لم يذكر فيه أبو السمال وقوله
وما كان لرسول أن يأتي بأية الا
باذن الله أى لم يكن يأتي قومه بخارق
الا اذا أذن له فيه ليس ذلك الله بل

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه فسر الاحسان بان يعبد الله العبد حتى كأنه
يراه فقال فى حديث ابن عمر فى الصبيح والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه
فانه يرأه وهذا هو المعنى بالاحسان شرعا (وايتا هذى القربى) ماتدعوا اليه حاجتهم وفى
الآية ارشاد الى صلة الأقارب والارحام وترغب فى التصديق عليهم وهو من باب عطف
الخاص على العام ان كان اعطاء الأقارب قد دخل تحت العدل والاحسان وقيل من باب
عطف المندوب على الواجب ومثل هذه الآية قوله وآت ذا القربى حقه وانما خص ذوى
القربى لان حقهم آكد فان الرحم قد اشتق الله اسمها من اسمه الشريف وجعل صلتها
من صلاته وقطيعتها من قطيعته فيستحب أن يصلهم من فضل ما رزق الله فان لم يكن له فضل
فدعاه حسن ويؤدد (وينهى عن الفحشاء) هى الخصلة المتزايدة فى القبح من قول أو فعل
وقيل هى الزنا وقيل البخل (والمنكر) وهو ما أنكره الشرع بالهوى وهو يوم جميع
المعاصى على اختلاف أنواعها وقيل هو الشرك (والبغى) قيل هو الكبر وقيل هو الظلم
وقيل الخقد وقيل التعدى وحقيقته تجاوز الحد فيشمل هذه المذكورة ويندرج بجميع
أقسامه تحت المنكر وانما خص بالذكرا هتما مابه لشدة ضرره وبالعاقبته وهو من الذنوب
التي ترجع على فاعلها لقوله سبحانه انما بغىكم على أنفسكم وهذه الآية من الآيات الدالة
على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن عبد الملك بن عيران هذه الآية لما
بلغت أكنم بن صبيح حكيم العرب قال انى أراه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملامتها
ثم قال انتم كونه فى هذه الامر رؤساء ولا تكونوا فيه اذنايا وكونوا فيه أولاد ولا تكونوا
فيه آخر او عن ابن عباس قال أعظم آية فى كتاب الله لا اله الا هو الحى القيوم وأجمع آية
فى كتاب الله للغير والشرا التي فى النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأكثر آية فى كتاب
الله تنويضا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأشد آية فى كتاب الله
رجاء يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وعن عكرمة ان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة هذه الآية فقال له يا ابن أخي أعد
على فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له خلاوة وان عليه اطلاوة وان أعلاه منى وان
أسفله لغدق وما هو بقول البشر وعن الحسن انه قرأ هذه الآية الى آخرها ثم قال ان الله
عز وجل جمع لكم الخير كله والشرك كله فى آية واحدة فوالله ما ترك العدل والاحسان من

الى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم به يبدل لكل أجل كتاب أى لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شئ عند الله تعالى يعلم
ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير وكان الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله لكل أجل
كتاب أى لكل كتاب أى لكل كتاب أنزل من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين فلهذا يجمع الله ما يشاء منها ويثبت
يعنى حتى نسخت كلها بالقرآن الذى أنزل الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه وقوله يعمها الله ما يشاء ويثبت لاختلاف
المفسرون فى ذلك فقال الثورى وو كيعم وهشيم عن ابن أبى ليسى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يدبر أمر

السنة فيمعو الله ما يشاء الا الشقاء والسعادة والحياة والموت وفي رواية يمعو الله ما يشاء ويثبت الموت والحياة والشقاء والسعادة فانهم ما قدر غنمهم ما وقال مجاهد يمعو الله ويثبت الا الحياة والموت والشقاء والسعادة فانهم لا يتغيران وقال منصور سألت مجاهد اقلت رأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمي في السعداء فأنبته فيهم وان كان في الاشقياء فامحه عنهم واجعله في السعداء فقال حسن ثم لقيت بعد ذلك بجول أو أكثر فقلت له عن ذلك فقال انما أنزلناه في ليلة مباركة الآيتين قال يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة (٢٧٠) ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء فاما كتاب السعادة والشقاوة فهو

ثابت لا يغير وقال الاعمش عن أبي وائل شقيق بن ميمونة انه كان كثيرا يدعو بهذا الدعاء اللهم ان كنت كتبنا أشقياء فامحه وكتبنا سعداء وان كنت كتبنا سعداء فأنبتنا فانك تعلم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب رواه ابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا عمرو بن حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن أبي حنيفة عمة عن أبي عثمان النهدي ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يطوف بالبيت وهو يكي وهو يقول اللهم ان كنت كتبنا أشقياء فامحه فأنبتنا ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة وقال حماد عن خالد الخذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يدعو بهذا الدعاء أيضا ورواه شريك عن هلال بن جيد عن عبد الله بن عليم عن ابن مسعود بن له وقال ابن جرير حدثني حجاج حدثنا خفاف عن أبي حمزة عن ابراهيم ان كعبا قال له عمر بن الخطاب قال يا ابا البر المؤمنين لولا آية في كتاب الله

طاعة الله شيئا الا جمعه وأمر به ولا ترك الفعشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئا الا جمعه وزجر عنه وفي المستدرک عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للغير والشر قال البيضاوي وبسببها أسلم عثمان بن مظعون ولولم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه يمان لكل شيء وهدى ورحمة ولعل ايرادها عتب قوله وزلنا عليك الكتاب لتنبه عليه ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله (يعظكم) بما ذكره في هذه الآية مما أمركم به ونهاكم عنه (لعلكم تذكرون) أى ارادة ان تذكروا ما ينبغي تذكركم فتنعظوا بما وعظكم الله به فانه كاف في باب الوعظ والتذكير (وأوفوا بعهدهم الله اذا عاهدتم) خص الله سبحانه الايمان من جملة الماءورات التي تضمنها قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وظاهره العموم في كل عهد يقع من الانسان من غير فرق بين عهد البيعة وغيره وخص هذا العهد المذكور في الآية بعض المفسرين بالعهد الكائن في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وهو خلاف ما يفيد العهد المنضاف الى اسم الله سبحانه من العموم الشامل لجميع عهود الله ولو فرض ان السبب الخاص بعهد من العهود لم يكن ذلك وجبا لقصره على السبب فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفسره بعضهم باليمين وهو مدفوع بذكر الوفاء بالايمان بعده حيث قال سبحانه (ولا تنقضوا الايمان بعدتوا كيدها) أى بعدت شديداتها وتغليظها وتوثيقها بزيادة الاسماء والصفات وقيل ان تأكيد اليمين هو حلف الانسان على الشيء الواحد مرارا وحكى القرطبي عن ابن عمر ان التوكيد هو ان يحلف مرتين فان حلف واحدة فلا كفارة عليه وليس المراد اختصاس النهي عن النقض بالايمان المؤكدة لا بغيرها مما لا تأكيد فيه فان تحريم النقض يتناول الجميع ولكن في نقض اليمين المؤكدة من الاثم فوق الاثم الذى في نقض ما لم يؤكدها يقال وكذبا وكذبا وكذبا وتاكيدا وهما لغتان وقال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل منها وقيل ليست الهمزة بدلا من الواو كما زعمه أبو اسحق لان الاستعمالين في المادتين متساويان فليس ادعاء كون أحدهما أصلا أولى من الآخر وتبع مكي الزجاج في ذلك ثم قال ولا يحسن ان يقال الواو بدل من الهمزة ولذلك تبعه الزمخشري أيضا وهذا العموم مخصوص بما ثبت في الآيات النبوية من قوله صلى الله عليه وآله وسلم من حلف على عين فرأى غير ما خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه حتى بالغ في ذلك صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله لأحلف

لأنك بما هو كائن الى يوم القيامة قال وما هي قال قول الله تعالى يمعو الله ما يشاء الآية ومعنى هذه على

الاقوال ان الاقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يجرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر رواه الدارقطني وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به وثبت في الصحيح ان صلة الرحم تزيد في العمر وفي حديث آخر ان الدعاء والقضاء ليعتجان بين السماء والارض وقال ابن جرير حدثني محمد

ابن سهل بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أن أبا ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال إن الله عز وجل لو لم يخلق نظام سيرة سماعة عام من درة يضاء لها دفنان من ياقوت والدفنان لو كان الله عز وجل ثلاث وستون لمحة يجمعها الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتح الذر في ثلاث ساعات يقين من الليل في الساعة الأولى منها يتطرق في الذر الذي لا يتطرق فيه أحد غيره فيجمعها ما يشاء ويثبت وذكر تمام الحديث رواه ابن جرير وقال الكلبى رحمه الله ما يشاء (٢٧١) ويثبت قال يعقوب الرزق ويريد فيه ويعقوب

من الاجل ويريد فيه فقبل له من حدثك هذا فقال أبو صالح عن جابر ابن عبد الله بن رباب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم سئل بعد ذلك عن هذه الآية فقال يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك أكلت وشربت دخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب وقال عكرمة عن ابن عباس الكتاب كتابان فكتاب يعقوب الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس في الآية في قوله يعقوب الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يقول هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يعقوب والذي يثبت الرجل يعمل بعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت وروى عن سعيد ابن جبيرة أنها بمعنى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعقوب الله ما يشاء ويثبت يقول يبدل ما يشاء فيمنه ويثبت

على عين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وكثرت عن عيني وهذه اللفاظ ثابتة في الصحاحين وغيرهما ويخص أيضا من هذا العموم بين اللغو لقوله سبحانه لا يؤخذكم بالغلو في أيمانكم ويكن أن يكون التقييد بالتوكيد هذا لخراج إيمان اللغو وقد تقدم بسط الكلام على الإيمان في البقرة (وقد جعلتم الله عليكم كنيلا) أي شهيدها على تشبيهه فهو استعارة أو باستعماله في لازم معناه فهو مجاز مرسل وقيل حافظا وقيل ضامنا وقيل رقيقا لأن الكنيلا يراد به حال المكذوب له (إن الله يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه فيجازيكم بحسب ذلك أن خيرا خيرا وإن شراف شر وفيه ترغيب وترهيب ثم أكد وجوب الوفاء وتحريم النقض فقال (ولا تكونوا) فيما تصنعون من النقض بعد التوكيد (كأنني نقضت غزاهما) أي ما غزاه (من بعد قوة) أي إبرام الغزل واحكامه عن ابن عباس أن سعيدة الاسدية كانت تجمع الشعرو الليف فنزلت فيها هذه الآية وعن أبي بكر بن حفص مثله وفي الروايتين جميعا أنها كانت مجنونة وعن السدي في سبب نزولها قال كانت امرأة بمكة تسمى خرقاء مكة كانت تغزل فإذا أبرمت غزلها انقضته وعن عبد الله بن كثير معناه وقيل هي امرأة حمقاء - همار يطة بنت سعد بن تيم قرشية فالمنسب به معين على هذا وفي الكرخي المراد به تشبيهه الناقض عن هذا شأنه من غير تعيين لأن التصدي بالامثال صرف المكلف عن الفعل إذا كان قبيحا والدعاء إليه إذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين إذ لا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به موجودا في الخارج (انكاثا) جمع نكث بكسر النون ما ينكث قتله ليعزل ثانيا بمعنى منكوث أي منقوض يقال نكث الرجل العهد نكثا من باب قتل نقضه وبذلك نكث قال ابن قتيبة هذه الآية متعلقة بما قبلها والتقدير وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الإيمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا وأحكمته ثم جعلته أنكاثا أي اقطاعا وأجزاء (تخذون أيمانكم دخلا بينكم) قال الجوهرى الدخول المكروا الخديعة وقال أبو عبيدة كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخل وقيل الدخول ما أدخل في الشيء على فساد له وقال الزجاج غشا وغلا وقيل أصل الدخول العيب والعيب ليس من الشيء الذي يدخل فيه (أن تكون أمة) أي بأن تكون جماعة أو لاجل وجدانكم أمة (هي أربى من أمة) جماعة أي أكثر عددا منها أو أوفر مالا يقال ربى الشيء يربو إذا كثر قال الفراء المعنى لا تغدروا بقوم لقلتمهم وكثرتكم أو قللتكم وكثرتهم

ما يشاء فلا يبدله وعنده أم الكتاب ووجه ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب وقال قتادة في قوله يعقوب الله ما يشاء ويثبت كقوله ما تنسخ من آية أو ننسها الآية وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يعقوب الله ما يشاء ويثبت قال قالت كفار قريش لما نزلت وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله ما نرى محمد أياك شيئا وقد فرغ من الأمر فانزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم إنا أن سنأخذ مثاله من أمرنا ما شئنا ونحدث في كل رمضان فيجمع ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصابهم وما يعطيهم وما يقسم لهم وقال الحسن البصري يعقوب الله ما يشاء ويثبت قال من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي

يجرى الى أجله وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله وقوله وعنده أم الكتاب قال الحلال والحرام وقال قتادة أي جملة الكتاب وأصله وقال الضحاك وعنده أم الكتاب قال كتاب عند رب العالمين وقال سديد بن داود حدثني معمر عن أبيه عن يسار عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ثم قال لعلمه كن كتاباً وكان كتاباً وقال ابن جريج عن ابن عباس وعنده أم الكتاب قال الذر (واما زينت بعض الذي نعدهم أو توفيتك فانه عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا أناتى الأرض تنقصها من أطرافها والله يحكم (٢٧٢) لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) يقول تعالى لرسوله

واما زينتك يا محمد بعض الذي نعد أعداؤك من الحزن والنكال في الدنيا أو توفيتك قبل ذلك فانه عليك البلاغ أي انما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعات ما أمرت به وعلينا الحساب أي حسابهم وجزاؤهم كتدوله تعالى فذكر انما أنت مذكر است عليهم عيسى طر الامن تولى وكفر في عذبه الله العذاب الا كبر ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم - م وقوله أولم يروا أنا أناتى الأرض تنقصها من أطرافها قال ابن عباس أولم يروا أنا نفتح للمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض وقال في رواية أولم يروا الى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية وقال مجاهد وعكرمة تنقصها من أطرافها قال خرابها وقال الحسن والضحاك هو ظهور المسلمين على المشركين وقال العوفي عن ابن عباس نقصان أهلها وبركتها وقال مجاهد نقصان الانفس والثمار وخراب الأرض وقال الشعبي لو كانت الأرض تنقص انفاق عليك حشك ولكن تنقص الانفس والثمار وكذا قال عكرمة

وقد عزروهم بالايان قيل وقد كانت قريش اذا راوا شوكة في أعادي حلفائهم - م نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم قاله مجاهد وقيل هو تحذير للمؤمنين ان يغتروا بكثرة قريش وسعة أموالهم فينقضوا بيعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يلوكم الله به) أي يختبركم بكونكم أكثر أو أقل لينظر هل تتكفون بحبل الوفاء أم تنقضون اغتراراً بالكثرة فالضمير في بدراجع الى مضمون الجملة المتقدمة أي انما يلوكم الله به تلك الكثرة ليعلم ما تصنعون أو انما يلوكم الله بما يأمركم وينهاكم (وليدين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيوضح الحق والحقين ويرفع درجاتهم ويبين الباطل والمبطل فينزل بهم من العذاب ما يستحقونه أو يبين لكم ما كنتم تختلفون فيه من البعث والخنة والنار وفي هذا انذار وتحذير من مخالفة الحق والحق الى الباطل ثم بين سبحانه انه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء أو على الايمان فقال (ولو شاء الله لجمع لكم أمة واحدة) متفقة على الحق (ولكن) بحكم الالهية (يضل من يشاء) بخذلان اياهم عدلانهم فيهم (ويهدى من يشاء) بتوفيقه اياهم فضلانهم عليهم لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولهذا قال (ولتستأن) يوم القيامة سؤال تكبيل لسؤال استفسار وتفهم وهو المنق في غير هذه الآية (عما كنتم تعملون) من الاعمال في الدنيا التجاروا عليها واللام في استئان وفي استئان هي الموطئة للتقسيم ثم لما نهاهم سبحانه عن نقض مطلق الايمان نهاهم عن نقض أيمان مخصوصة فقال (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) قال الشهاب وغيره ولما كان اتخاذ الايمان دخلاً قيد للمنهى عنه كان منهياً عنه ضمناً فصرح به هنا كيداً ومبالغة في قبح المنهى عنه قال في الجمل وعلى هذا فهو تأسيس لاتاً كيداً ولا تكرير قال أبو حيان لم يتكرر النهى وانما الذي سبق اخبار بانهم اتخذوا أيمانهم دخلاً مع لا بشئ خاص هو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهى بقوله هذا استئناً فالنهي عن اتخاذ الايمان دخلاً على العموم أي في كل حال فيشمل جميع الصور من الخديعة في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك قال الواحدي قال المفسرون وهذا في نهى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نقض العهد على الاسلام ونصرة الدين واستدلوا على هذا التخصيص بما في قوله قتل قدم بعد دثبوتهم من المبالغة وبما في قوله وتذوقوا السوء بما صدقتم لانهم - م اذا نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصدوا غيرهم - م عن الدخول

لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تعده فيه ولكن هو الموت وقال ابن عباس في رواية حراجه موت علمائها في الاسلام وفقهائهم وأهل الخير منها وكذا قال مجاهد أيضاً هو موت العلماء وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز أبي القاسم المصري الواعظ سكن اصبهان حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المري بدمشق أنشدنا أبو بكر الأجرى بحكمة قال أنشدنا أحمد بن نزال لنفسه الأرض تحيا اذا ما عاش علمها متى عت عالم منها يموت طرف كالارض تحيا اذا ما الغيث حل بها وان أبي عادي كافها التلف والقول الاول أولى وهو ظهور الاسلام

على الشرك قرية بعد قرية كقوله ولقد أهلكم ما حوكم من القرى الآية وهذا اختيار ابن جرير (وقدم ذكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا يعلم ما تكذب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقى الدار) يقول تعالى وقدم ذكر الذين من قبلهم برسولهم وأرادوا الخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم وجعل العاقبة للمتقين كفوارا ذمكربك الذين كفروا والشيء لولا أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله تعالى ومكروا مكروا مكروا مكروا هم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمي ناهم وتوهمهم أجهين فتلكت بيوتهم خاوية بما ظلموا الآيتين وقوله يعلم ما تكسب (٢٧٣) كل نفس أي اندفع على عالم بجميع السرائر والضمائر

وسيجزي كل عامل بعمله وسيعلم الكافر والشرارة الأخرى الكفار لمن عقى الدار أي لمن تكون الدائرة والعاقبة اليهم ولا تباع الرسل كالأدليل هي لا تباع الرسل في الدنيا والآخرة وتلا الحمد والمنة (ويقول الذين كفروا لست مرسلات قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) يقول تعالى يكذب هؤلاء الكفار ويقولون لست مرسلات أي ما أرسلناك الله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم أي حسي الله هو الشاهد على وعليكم شاهد على فيما بلغت عنه من الرسالة وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تشبهونه من البهتان وقوله ومن عنده علم الكتاب قيل نزلت في عبد الله بن سلام قاله مجاهد وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما لم يأت في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر في هذا ما قاله العوفي عن ابن عباس قال هم من اليهود والنصارى وقال قتادة منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري وقال مجاهد في رواية عنه هو والله تعالى وكان سعيد بن جبير يكر أن يكون المراد به عبد الله بن سلام ويقول هي

في الاسلام وعلى تسليم ان هذه الايمان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي سبب نزول هذه الآية فالاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب (فقر قدم) أي قهم من اتخذ عينه دخلا عن محبة الحق (بعد ثبوتها) عليها وورسوخها فيها قبل وافراد القدم وتنكيرها للإيدان بأن زال قدم واحدة آية قدم كانت عزت وعزات محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وهذا استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه لان التقدم اذا زلت نقلت الانسان من حال خير الى حال شر ويقال لمن أخطأ في شيء زلت به قدمه (وتدوقوا السوء) أي العذاب السيئ في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما (بما صدتم) أي بسبب امتناعكم وصدودكم (عن سبيل الله) وهو الاسلام أو بسبب صدكم لغيركم عن الاسلام فان من نقض البيعة وارتد اقدرى به غيره في ذلك فكان فعله سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها وهذا قال (ولكم عذاب عظيم) أي تتبالغ في العظم وهو عذاب الآخرة ان كان المراد بما قبله عذاب الدنيا ثم نهاهم سبحانه عن الميل الى عرض الدنيا والرجوع عن العهد لاجله فقال (ولا تشربوا بعهد الله) الذي تركتموه (عنا قليلا) أي لا تأخذوا في مقابلته عهدكم عوضا يسيرا حقيرا وكل عرض دينوي وان كان في الصورة كثيرا فهو لكونه ذاهبا زائلا يسيرا وهذا ذكر سبحانه بعد تقليل عرض الدنيا خيرية ما عند الله فقال (انما عند الله) وفي رسم ان هذه اختلاف بين المصاحف العثمانية ففي بعضها واصلها بما وفي بعضها فاصلمها عنها كما ذكره ابن الجزري أي ما عنده من النصر في الدنيا والغنائم والرزق الواسع وما عنده في الآخرة من نعيم الجنة الذي لا يزول ولا ينقطع (عو خير لكم) ثم علم النبي عن ان يشترىوا بعهد الله عنا قليلا بقوله (ان كنتم تعلمون) وتبينون بين الاشياء ثم ذكر دليله لا فاطعا على حقارة عرض الدنيا وخيرية ما عند الله فقال (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) والنفاد القضاء والذهاب يقال نفد بكسر العين ينفد بفتحها نفادا ونفودا أو ما نفد بالمعجمة فنفذه نفذا ففتح ينفذ بالضم ويقال أنفد القوم اذا نفى زادهم وبقى بنبوت الباق وحذفها مع سكون القاف وهماسبعيتان ومعلوم لكل عاقل ان ما ينفد يزول وان بلغ في الكثرة الى أي مبلغ فهو حق بمرسب واما كان يبقى ولا يزول فهو كثير جليل امانع في الآخرة فظاهر وأمانع الدنيا الذي أنعم الله به على المؤمنين فهو وان كان زائلا لكنه لما كان متصلا بنعيم الآخرة كان من هذه الجنة في حكم الباقي الذي

(٣٥ فتح البيان خامس) مكية وكان يقرؤا ومن عنده علم الكتاب ويقول من عند الله وكذا قرأها مجاهد والحسن البصري وقدرى ابن جرير من حديث هرون الأعور عن الزهري عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ومن عنده علم الكتاب ثم قال لأصل له من حديث الزهري عند الثقات قلت وقدرى الحافظ أبو يعلى في مسنده من طريق هرون بن موسى هذا عن سليمان بن أرقم وهو ضعيف عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا كذلك ولا يثبت والله اعلم والصحيح في هذا أن ومن عنده علم الكتاب اسم جنس يشمل علم أهل الكتاب الذين يجادلون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته في كتبهم المتقدمة من بشارات الانبياء كما قال

تعالى ورجل وسعت كل شيء فسما كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل والآية وقال تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل الآية وأمثال ذلك مجاميع الأخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المتصلة وقد ورد في حديث الأخبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة قال الحافظ أبو نعيم الإصمعي في كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل - مدني - أسلم بن أحمد الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد - مدني - حدثنا (٢٧٤) الوليد بن مسلم عن محمد بن جرير بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده

عبد الله بن سلام قال لأخبار اليهود اني أردت أن أحدث بمكة فأتينا إبراهيم واسماعيل عبد الله فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس حوله فقام مع الناس فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنت عبد الله بن سلام قال قلت نعم قال ادن قال فدنوت منه قال أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام أمأتجبدني في التوراة رسول الله فقلت له أنت ربنا قال جاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قل هو الله أحد الله الصمد إلى آخرها فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام أنهم ان لا اله الا الله وأنت رسول الله ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فمكث أسلامه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأنا فوق نخلة لي أجدناها فالتقت نفسي فقالت أمي أنت لو كان موسى بن عمران ما كان لك أن تلتقي نفسك من نفس النخلة فقالت والله لا نأثر بقدوم

لا ينقطع ثم قال (والنجزين) بالنون ففيه التفات وقرئ بالياء واللام هي الموطنة للقسمة أي والله تجزى (الذين صبروا) بسبب صبرهم على ما نالهم من مشاق التكليف والفاقة وجهاد الكافرين والصبر على ما نالهم منهم من الأذى (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من الطاعات قيل وإنما خص أحسن أعمالهم لأن ما عداه وهو الحسن مباح والجزاء إنما يكون على الطاعة وقيل المعنى ولنجزى عنهم بجزاء أشرف وأوفر من أعمالهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقيل أحسن هذا ليس للتفضيل بل بمعنى الحسن أولنجزى عنهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم - م على معنى لتعظيمهم - بمقابلته الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما تعظيمهم بمقابلته الفرد الأعلى منها من الجزاء الجزيل لا أن يعطى الجرح بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن تجزى الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن كذا قيل وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باعتقار ما عسى يعترهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع وتظلمة في سلك الصبر الجميل (من عمل صالحا) هذا شروع في ترغيب كل مؤمن في كل عمل صالح ونوعه - ميم - لا وعد والمعنى من عمل عملا صالحا أي عمل كان (من ذكر أو أنسى) زيادة التبيين كروا حتى مع كون لفظ من شاملا له - مالت - كيد والمداغمة في تقرير الوعد وقيل ان لفظ من ظاهر في الذكور فكان في النصيب على الذكور والآن في بيان لشهولة النوعين (وهو مؤمن) جعل سبحانه الإيمان قيد في الجزاء المذكور لأن عمل الكافر لا اعتداده بقوله سبحانه وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم ذكر سبحانه الجزاء لمن عمل ذلك العمل الصالح فقال (فلنجزيه حياة طيبة) وقد وقع الخلاف في الحياة الطيبة بما ذاتكون فقيل بالرزق الحلال في هذه الحياة الدنيا وإذا صار إلى ربه جزاءه بأحسن ما كان يعمل روى ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك وقيل بالقناعة قاله الحسن البصري وزيد بن وهب ووهب بن منبه وروى أيضا عن علي وابن عباس قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو اللهم قن عني عمار زقتني وبارك لي فيه واخف علي كل غائبة لي بخير وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وفعنه الله بما آناه وأخرج الترمذي والنسائي من حديث فضالة بن عبيدانه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قد أفلح من هدى إلى الإسلام وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران أذيعت وهذا غريب جدا آخر تفسير سورة الرعد والله الحمد والمنة عيشه
* (تفسير سورة إبراهيم عليه السلام وهي مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم - بسم الر - كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بأذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنياء على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد) وقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور كتاب أنزلناه إليك أي هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتب أنزل الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الأرض

الى جميع أهلها عر بهم وعجمهم تخرج الناس من الظلمات الى النور أى انما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس عما هم فيه من الضلال والنقى الى الهدى والرشد كما قال تعالى وفى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات الآية وقال تعالى هو الذى ينزل على عبده آيات بيّنات ليضربكم من الظلمات الى النور الآية وقوله باذن ربهم أى هو الهادى لمن قدر له الهداية على يدى رسوله المبعوث عن أمره يهديهم الى سراط العزيز الحميد أى العزيز الذى لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ما سواه الحميد (٢٧٥) أى الخود فى جميع أفعاله وأقواله وشريعته

وأمره ونهييه الصادق فى خبره وقوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض قرأ بعضهم مستأنفا مرفوعا وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض الآية وقوله وويل للكافرين من عذاب شديد أى ويل لهم يوم القيامة اذ دخلوا النار كدخولهم النار ثم وصفهم بانهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أى يقدمونها ويؤثرونها عليهم اوبعدهم عن الدنيا ونسوا الآخرة وتركوها وراء ظهورهم ويصدون عن سبيل الله وهى اتباع الرسل ويغفونها عوجا أى ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة وعائلة وهى مستقيمة فى نفسها لا يضربها من خالفها ولا من خالفها فهم فى ابتغائهم ذلك فى جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح (وما أرسلنا من رسول الا بالسان قومه لينبئهم فى فضل الله من يشاء ويهدى من يشاء الى الحق وهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى أفعاله فيضل من يشاء على وجه الهدى ويهدى من يشاء الى الحق فى خلقه انه ما بعث نبيا فى أمة الا ان يكون بلغتهم فاخص كل نبي بالبلاغ رسالته الى أمته دون غيرهم واخص محمد بن عبد الله

عيسى كفا فوقع به وقيل بالكسب الطيب والعمل الصالح قاله ابن عباس وقيل بالتوفيق الى الطاعة قاله الضحاك وقيل هى حياة الجنة روى هذا عن مجاهد وقتادة وغيرهما وحكى عن الحسن انه قال له تطيب الحياة لاحد الا فى الجنة وقيل الحياة الطيبة هى السعادة روى ذلك عن ابن عباس وقيل هى المعرفة بالله حكى ذلك عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه وقال أبو بكر الوراق هى حلاوة الطاعة وقال مقاتل هى العيش فى الطاعة وقيل رزق يوم يوم وقال السدى انما هى تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال سهل بن عبد الله تسترى هى أن ينزع عن العبد تدبير نفسه ويرد تدبيره الى الحق وقيل هى الاستغناء عن الخلق والافتقار الى الحق وأكثر المفسرين على ان الحياة الطيبة هى فى الدنيا لا فى الآخرة لان حياة الآخرة قد ذكرت بقوله (وتجزئهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقد قدمنا قريبا تفسير الجزاء بالاحسن ووجد الضمير فى تخيينه وجمعه فى تجزيهم جملا على لفظ من وعلى معناه ثم لما ذكر سبحانه العمل الصالح والجزاء عليه أتبعه بذكر الاستعانة التى تخص بها الاعمال الصالحة عن الوسواس الشيطانية فقال (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) الفاء لترتيب الاستعانة على العمل الصالح وقيل هذه الآية متصلة بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ والتقدير فاذا أخذت فى قرأته فاستعذ بالله قال الزجاج وغيره من أئمة اللغة معناه اذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ وهذا على مذهب الاكثرين من انفقها والمحدثين من أن الاستعانة تطلب قبل القراءة وليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن ومثله اذا كانت قبل بسم الله قال الواحدي وهذا اجماع النحاة ان الاستعانة قبل القراءة الاماروى عن أبي هريرة وابن سيرين ومالك وحزرة من القراء فانهم قالوا الاستعانة بعد القراءة ذهبوا الى ظاهر الآية والبعض ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وداود الظاهري وامام مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الامصار انهم قبل القراءة كما تقدم ومعنى فاستعذ بالله اسأله سبحانه ان يعينك (من الشيطان الرجيم) أى من وسوسه لئلا يوسوسك فى القراءة وفيه دليل على ان المصلى يستعذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرطية تكرره كقوله قبا سأ وتعقبه لذكر العمل الصالح والوعده عليه ايدان بان الاستعانة عند القراءة من هذا القبيل وتخصيص

لطفه تعالى بخلته انه يرسل اليهم ملائكتهم بلغاتهم فيفهمون ما يريدون وما أرسلوا اليهم كما روى الامام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال قال مجاهد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله عز وجل نبيا ابلاغة قومه وقوله فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء الى الحق وهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى أفعاله فيضل من يشاء على وجه الهدى ويهدى من يشاء الى الحق فى خلقه انه ما بعث نبيا فى أمة الا ان يكون بلغتهم فاخص كل نبي بالبلاغ رسالته الى أمته دون غيرهم واخص محمد بن عبد الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم به موم الرسالة الى سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أعطيت خصالاً يعطون أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم
 تحل لي أحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعثني إلى الناس عامة وله شواهد من وجوه كثيرة وقال تعالى قل
 يا أيها الناس افرسول الله اليكم جميعاً (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله أن
 في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يقول تعالى (٢٧٦) كما أرسلناك بالهدى وازاً عليك الكتاب لتخرج الناس كلهم بدعوتهم

قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعانة عند ارادتها للتنبيه على انها سائر
 الأعمال الصالحة عند ارادتها هم لانها اذا وقع الامر بها عند قراءة القرآن الذي لا ياتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه كانت عند ارادة غيره أولى كذا قيل وتوجه الخطاب الى
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للاشعار بان غيره أولى منه بفعل الاستعانة لانه صلى الله
 عليه وآله وسلم اذا أمرهم بالدفع وسأوس الشيطان مع عصمة فكيف بسائر أمته قال
 السيوطي في الآية أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتهى وهذا بيان للفضل
 والافاضل السنة يحصل بأي صيغة كانت من صيغ الاستعانة وقد ذهب الجمهور الى ان
 الامر في الآية للندب وروى عن عطاء الوجوب أخذاً بظاهر الامر والضمير في (انه)
 للشأن أول للشيطان (ليس له سلطان) أي تسلط تعديل لمخدوف هو جواب الامر بتقديره
 فان استعذت كقيت شره (على) اغواء (الذين آمنوا) وحكى الواحدى عن جميع
 المفسرين انهم مفسر والسلطان بالحجة وقالوا المعنى ليس له حجة على المؤمنين في اغوائهم
 ودعائهم الى الضلالة (وعلى ربهم يتوكلون) أي يتوضون أمورهم اليه في كل قول وفعل
 فان الايمان بالله والتوكل عليه يمنعهان الشيطان من وسوسته لهم وان وسوس لاحد منهم
 لا تؤثر فيه وسوسته وهؤلاء الجماعة بين الايمان والتوكل هم الذين قال فيهم ابليس
 الاعدادك منهم المخلصين وقال الله فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
 من الغاوين ثم حصر سبحانه سلطان الشيطان فقال (انما سلطانه) أي تسلطه (على)
 اغواء (الذين يولونه) أي يتخذونه ولياً ويطيعونه في وسوسه يقال تولىته اذا أطعته
 وتوليت عنه اذا عرضت عنه وهذا مقابل لقوله وعلى ربهم يتوكلون (والذين هم به) أي
 بالله والباء للتعدي (مشركون) وقيل الضمير يرجع الى الشيطان والباء للسببية أي
 والذين هم من أجله وبسبب وسوسته مشركون بالله وهذا مقابل لقوله على الذين آمنوا
 (واذ ابداً لآية مكان آية) هذا شروع منه سبحانه في حكاية شبهة كثرية ودفعها ومعنى
 التبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه وتبديل الآية رفعها باخرى غيرها وهو نهضها
 بآية صواها قال مجاهد هو كنهه ما تنسخ من آية أو تنسخها الخ وقد تقدم الكلام على النسخ
 في البقرة (والله أعلم بما ينزل) اعتراض دخل في الكلام أي انه أعلم بما ينزل من النسخ
 وبما هو أصح لخلافه وبما يغير وما يدل من أحكامه وهذا نوع توبيخ وتقريع للكنار وقيل

الى الخروج من الظلمات الى النور
 كذلك أرسلنا موسى الى بني اسرائيل
 بآياتنا قال مجاهد في التسع الآيات
 ان أخرج قومك من الظلمات أي
 أمرناه فانلن له أخرج قومك من
 الظلمات الى النور أي ادعهم الى
 الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا
 فيه من الجهل والضلال الى نور
 الهدى ونصرا الايمان وذكرهم بأيام
 الله أي بآياته ونعمه عليهم م في
 اخر اجه اياهم من أفر فرعون وقهره
 وظلم وحشمة وانجائه اياهم من
 عدوه م وفلقه لهم البحر وتظليله
 اياهم الغمام وانزاله عليهم م المن
 والسوى الى غير ذلك من النعم قال
 ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد وقد ورد
 في الحديث المرفوع الذي رواه عبد
 الله ابن الامام أحمد بن حنبل في
 مسند أبيه حيث قال حدثني
 يحيى بن عبد الله مولى بنى هاشم
 حدثنا محمد بن أبان الجهم في عن أبي
 اسحق عن سعيد بن جبيرة وابن أبي
 حاتم من حديث محمد بن أبان به
 ورواه عبد الله ابنه أيضا عن ابى
 ابن كعب رفعه في قوله وذكرهم بأيام
 الله قال بنم الله ورواه ابن جرير

الجملة

موقوفاً هو أشبه وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة نعم

أنقذناهم من يد فرعون وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار أي في الضراء شكور أي في السراء كما قال قتادة نعم
 العبد عبد اذا ابتلى صبروا اذا أعطى شكر كذا جاء وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أمر المؤمن كله عجب
 لا يقضى الله له قضاء الا كان خيراً له ان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وان أصابته سراء شكر كان خيراً له (واذا قال موسى لقومه
 اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء

من ربكم عظيم واذا تأذن ربكم ان شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) يقول تعالى مخبرا عن موسى حين ذكر قومه بايام الله عندهم ونعمه عليهم اذا نجاهم من آل فرعون وما كانوا يسومونهم به من العذاب والاذلال حيث كانوا يذبحون من انفسهم ويتركون انانهم فانتدبهم الله من ذلك وهذه نعمة عظيمة ولهذا قال وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم أي نعمة عظيمة منهم عليكم في ذلك انتم عاجزون عن انصام بشكرها وقيل وفيها كان يصنعه بكم قوم فرعون من تلك الافاعيل بلا أي اختبار عظيم ويحتمل ان يكون (٢٧٧) المراد هذا وهذا والله أعلم كقوله تعالى

وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون وقوله واذا تأذن ربكم أي آذنكم وأعلمكم بوعده لكم ويحتمل ان يكون المعنى واذا أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه كقوله تعالى واذا تأذن ربك لبعثن عليهم الى يوم القيامة وقوله لازيدنكم أي ان شكرتم نعمتي عليكم لازيدنكم منها ولئن كفرتم أي كفرتم النعم واسترعوها وحدثنا وهان عذابي لشديد وذلك بسلبها عنهم وعقابه اياهم على كفرها وحدثنا في الحديث ان العبد يحرم الرزق بالذنوب يصيبه وفي المسند ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبه سائل فاعطاه ثمرة فسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر فاعطاه اياها فقبلها وقال ثمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر له بربعين درهما أو كما قال قال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا حمارة الصديقي عن ثابت عن أنس قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم سائل فامر له بقرعة فلم يأخذها أو وحش بها قال وأناه آخر فامر له بقرعة فقال سبحان الله ثمرة من رسول الله صلى

الجللة حالية وليس بظاهر وجواب اذا قوله (قالوا) أي كفار قريش الجاهلون للحكمة في النسخ (انما أتت) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (منه) أي كاذب مخلق على الله فتقول عليه السلام يتل حيث تزعم انه أمرك بشئ ثم تزعم انه أمرك بخلافه فرد الله سبحانه عليهم بما يفيد جهالهم فقال (بل أكرههم لا يعلمون) شيء من العلم أصلا ولا يعلمون حقيقة القرآن وهوانه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا لعجز بسورة منه المتعبد بتلاوته أو لا يعلمون بالحكمة في النسخ فانه سبى على المصالح التي لا يعلمها الا الله سبحانه فقد تكون في شرع هذا الشيء مصلحة موقوتة بوقت ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شرع غيره وفيه التخفيف على العباد ولولا انكشف الغطاء لهؤلاء الكفرة لعرفوا ان ذلك وجه الصواب ومنهج العدل والرفق واللطيف ثم بين سبحانه لهؤلاء المعتضين على حكمة النسخ الزاعمين ان ذلك لم يكن من عند الله وان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم افتراء فقال (قل نزله) أي القرآن المدلول عليه بذكر الآية (روح القدس) بضم الدال وسكونها سبعين والقدس التطهير والطهارة والمعنى نزله الروح المطهر من ادناس البشرية وهو جبريل عليه السلام فهو من اضافة الموصوف الى الصفة كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير (من ربك) أي ابتداء تنزيله من عنده سبحانه (بالحق) أي متلبسا بكونه حقا ثابتا بالحكمة بالغة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان فيقولون كل من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا ولا نهم أيضا اذا عرفوا ما في النسخ من المصالح ثبتت أقدامهم على الايمان ورسخت عقائدهم وقرئ من الاثبات (وهدي وبشرى للمؤمنين) معطوفان على محل لينت أي تنبيها لهم وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصائل لغبرهم ثم ذكر سبحانه شبهة اخرى من شبههم فقال (ولقد نعلم) علمنا سمعنا (انهم يقولون انما يعلمه بشر) وليس هو من عند الله كما هو يزعم واللام هي الموطئة أي والله لقد نعلم ان هؤلاء الكفار يقولون انما يعلم محمد القرآن بشر من بني آدم غير ملك وقد اختلف أهل العلم في تعيين هذا البشر الذي زعموا عليه ما زعموا اذ قيل هو غلام الناقة بن المغيرة واسمه جبر وكان نصرانيا احد ادميين فاسلم وكان قريش اذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبار القرون الاولى مع كونه أميا قالوا انما يعلم جبر وقيل اسمه عايش أو بعيش عبدلبن الحضرمي وكان يقرأ الكتب الانجيلية قبل غلام لبنى عامر بن لؤي وقيل عنوا سلمان

الله عليه وسلم فقال للجارية اذهبي الى ام سلمة فاعطيه الاربعين درهما التي عندها تشرده الامام أحمد وحمارة بن زاذان وثقة ابن حبان واحد ويعقوب بن عثمان وقال ابن معين صالح وقال ابو زرعة لا بأس به وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين وقال البخاري ربما يضرب في حديثه وعن أحمد ايضا انه قال روى عنه احاديث منكروة وقال ابوداود ايس بذلك رضعه الدارقطني وقال ابن عدي لا بأس به ممن يكتب حديثه وقوله تعالى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد أي هو غني عن شكر عباده وهو الحميد المحمود وان كفر من كفره كقوله ان تكفروا فان الله غني عنكم الآية وقوله فكفروا وتولوا واستغنى الله

والله غنى جهاد في صحيح مسلم (١) عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ربه عز وجل انه قال يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما نقص ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما تفضل ذلك مما عندى إلا بما نقص المحيط إذا دخل البحر فبحانه وتعالى الغنى الحميد (ألم يأتكم نبي أن الذين من قبلكم قوم نوح (٢٧٨) وعاد وثور والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا

الفارسي وقيل عن أنصاري بمكة اسمه بلعام وكان يقرأ التوراة وقيل عن وارجل أنصاري أن كان اسمه أبا ميسرة يتكلم بالرومية وفي رواية اسمه عداس وقيل أرادوا بالبشر غلامين اسم أحدهما يسار واسم الآخر جبر وكانا صيقلين يعملان السيوف بمكة وكانا يقرآن كتابا لهما وقيل كان يقرآن التوراة والإنجيل وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع عليهما ويسمع ما يقرآن فقال المشركون انما يتعلم منهما ما قاله عبد الله بن مسلم الحضرمي قال النحاس وهذه الأقوال غير متناقضة لانه يجوز انهم زعموا انهم جميعا يعلمونه ولكن لا يمكن الجمع باعتبار قول من قال انه سلمان لان هذه الآية مكية وهو انما أتى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال (لسان الذي يحدون اليه) أي لغته وكلامه (أعجمي) والاحاد المثل يقال لحدو الحد أي مال عن القصد ومنه لحد القبر لانه حفرة مائه عن وسطه وقد تقدم في الاعراف والمعنى لسان الذي يعملون اليه ويشيرون ويرغمون أنه يعلمك أعجمي يقال رجل أعجم وامرأة أعجم أي لا يفهمان والجمعة الاخفاء وهي ضد البيان والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بها أعجميا قال النراء والرأغب الأعجم الذي في لسانه جمعة وان كان من العرب والأعجمي هو الذي أصله من العجم وقال أبو علي الفارسي العجمي المنسوب الى العجم الذي لا يفصح سواء كان من العرب أو من العجم وكذلك الأعجم والأعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحاً بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب (وهذا) أي القرآن (لسان) أي كلام (عربي مبين) وسماه لسانا لان العرب تقول للقاصيدة والبيت لسانا وأراد باللسان البلاغة فكانه قال وهذا قرآن ذو بلاغة عربية وبيان واضح فكيف تزعمون ان بشر اعلمه من العجم وأين فصاحة هذا القرآن من جمعة هذا الذي تشيرون اليه وقد عجزتم أنتم عن معارضة سورة منه وأنتم أهل اللسان العربي ورجال النصيحة وقادة البلاغة فثبت بهذا ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحى أو حاه الله اليه وليس هو من تعليم البشر الذي تشيرون اليه ولا هو آت به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل وهاتان الجملتان مستأنفتان بـ يقول لا يبطال طعنهم ودفع كذبهم ولما ذكر سبحانه جوابهم وبخهم وهددهم فقال (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أن لا يصدقون بها في علم الله (لا يهديهم الله) الى الحق الذي هو سبيل النجاة هداية

أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرناحما أرسلتم به وانا انى شيئا مما تدعونا اليه مريب) قال ابن جرير هذا من تمام قول موسى لقومه يعني وتذكارة اياه بأيام الله بانتقامه من الامم المكذبة بالرسول وفيما قال ابن جرير نظروا وظاهروا انه خبر مستأنف من الله تعالى له هذه الامة فانه قد قيل ان قصة عاد وثمود ليست في التوراة فلو كان هذا من كلام موسى لقومه لقصة عليهم رلا شك أن تكون هاتان القصتان في التوراة والله أعلم وبالجملة قاله تعالى قد قصر عينا خبر قوم نوح وعاد وثور وغيرهم من الامم المكذبة بالرسول مما لا يحصى عدده الا الله عز وجل أنتم رسلهم بالبينات أي بالجميع والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات وقال ابن ابي حنيفة عن عمرو بن ميمون عن عبد الله انه قال في قوله لا يعلمهم الا الله كذب النسابون وقال عروة ابن الزبير ما وجدنا أحدا يعرف ما بعد معدن عدنان وقوله فردوا أيديهم في أفواههم اختلف المنسرون في معناه قيل معناه انهم أشاروا الى أفواه الرسل بأمر ونهم بالسكرت عنهم لما دعواهم الى الله

عز وجل وقيل بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيبا لهم وقيل بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وقال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة معناه انهم كذبوهم وردوا عليهم قولهم يا فواهم قال ابن جرير وتوجه ان في هنا معنى الباء قال وقد سمع من العرب أدخل الله بالجنة يعنون في الجنة وقال الشاعر وأرغب فيما عن لقيط ورهطه ولكنني عن سفيس لست أرغب يريد أرغب بها قالت بؤيد قول مجاهد تنسيره بتمام الكلام قالوا انا كفرناحما أرسلتم به وانا انى شيئا مما تدعونا اليه مريب فكان هذا تنسيرا بمعنى فردوا أيديهم في أفواههم وقال مقيان النوري واسرأيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله (١) قوله وفي صحيح مسلم الخ المله حود هنا بعض الحديث

فردوا أيديهم في أقواهم قال عضو اعلموا غيظا وقال شعبة عن أبي إسحق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله أنه قال ذلك أيضا وقد اختاره عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فوجه ابن جرير مختار له بقوله تعالى عن المنافقين وإذا دخلوا عضاوا عليكم إلا نامل من الغيظ وقال العوفي عن ابن عباس سمعوا كلام الله عجبوا ورجعوا بأيديهم - م إلى أقواهم - وقالوا أنا كفرنا بعلما أرسلتم به الآية يقولون لا نصدقكم فيما جئتم به فان عندنا فيه شك اقويا (قالت رسلهم في الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا ان أنتم إلا بشر مثلنا (٢٨٩) تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا

فأتوا بسلطان مبين فأتاهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله عين على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليست وكل المؤمنين وما لنا ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبر على ما آذيتونا وعلى الله فليست وكل المتوكلون) يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم في الجحالة وذلك ان أهمهم لما واجهوه - م بالثبوت فيما جاؤا به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل في الله شك وه - م ذا يحتمل شيئين أحدهما في وجوده شك فان النظر شاعده بوجوده وشجبولة على الاقرار به فان الاعتراف به ضروري في النظر السليمة ولكن قد يعرض لبعض النظر شك واضطراب فيحتاج الى النظر في الدليل الموصل الى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل ترشدكم الى طريق معرفته بانه فاطر السموات والارض الذي خلقهما وابتهدعهما على غير مثال سبق فان شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهم فلا بد لهم من صانع وهو الله لا اله الا هو خالق كل شيء والله ومليك والمعنى الثاني في

موصلة الى المطلوب لما علم من شقاوتهم (ولهم في الآخرة عذاب أليم) بسبب ما هم عليه من الكفر والتكذيب بآيات الله ثم لما وقع منهم نسبة الافتراء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم رد عليهم - م بقوله (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) فكيف يقع الافتراء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو رأس المؤمنين بها والداعين الى الايمان بها وهؤلاء الكفار هم الذين لا يؤمنون بها فهم المقترون للكذب قال الزجاج المعنى انما يفتري الكذب الذين اذاروا والآيات التي لا يقدر عليهم الا الله كذبوا بها هؤلاء كذب الكذبة ثم سماهم الكاذبين فقال (وأولئك) المتصفون بذلك (هم الكاذبون) أي ان الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم - م فهم الكاملون في الكذب اذ لا كذب أعظم من تكذيبهم بآيات الله وقولهم انما يعلمه بشر والتأكيده بالتكرار وان وغيرهما رد القولهم انما أنت مفتري (من كفر بالله من بعد ايمانه) أي تلفظ وتكلم بالكفر أو فعل فعل كفر سواء كان مختارا في ذلك أو مكرها عليه فالاستثناء في قوله (الامن) كره وقلبه مطمئن بالايمان متصل وقال القرطبي أجمع المفسرون وأهل العلم على ان من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل انه لا اثم عليه ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان ولا تبين منه زوجه ولا يحكم عليه بحكم الكفر وحكي عن محمد بن الحسن انه اذا ظهر الكفر كان مرتدا في الظاهر وفيما بينه وبين الله على الاسلام وتبين منه امراته ولا يصلي عليه ان مات ولا يرث أباه ان مات مسلما وه - م هذا القول مردود على قائله مدفوع بالكتاب والسنة وذهب الحسن البصري والاوزاعي والشافعي وسحنون الى ان هذه الرخصة انما جاءت في القول واماني الفعل فلا رخصة مثل ان يكره على السجود لغير الله ويدفعه ظاهر الآية فانها عامة فيمن أكره من غير فرق بين القول والفعل كما تقدم والمعنى الامن كفر باكره والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته أخرج ابن المنذروا بن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال لما أدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يهاجر الى المدينة قال لاصحابه تفرقوا عني فمن كانت به قوة فليمتأخر الى آخر الليل ومن لم تكن به قوة فليذهب أول الليل فاذا سمعتمني قد استقرت لي الارض فالحقوا بي فاصبح بلال المؤذن وخباب وعمار وجارية من قريش كانت أسلمت فاخذهم المشركون وأبوجهل فعرضوا على بلال أن يكفرا بأي شيء لو اضعون درعاً من حديد في الشهر ثم

قولهم في الله شك أي في الهيئته وتفرده بوجود العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة الا هو وحده لا شريك له فان غاب الامم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونهم تنفعهم أو تضرهم من الله زلني وقالت لهم رسلهم الرسل تدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي في الدار الآخرة ويؤخركم الى أجل مسمى يتحكم متاعا حينا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله الآية فقالت لهم الامم محاجين في مقام الرسالة بعد تقدير تسليمهم المقام الاول وحاصل ما قالوه ان أنتم إلا بشر مثلنا أي كيف تنبئكم عجم رد قولكم ولما ترى منكم معجزة فأتوا بسلطان مبين أي خارق نفترحه عليكم قالت لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم أي صميم أنا بشر مثلكم في البرية ولكن الله عين على من يشاء من عباده أي بالرسالة والنسوة وما كان لنا ان نأتكم

بسلطان على وفق ما سألتم الاباذن الله اى بعد سؤالنا اياه واذنه انافى ذلك وعلى الله فليستوكل المؤمنون اى فى جميع أمورهم ثم قالت الرسل وما لنا ان لا نتوكل على اى وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدا لنا اقوم الطرق وأصحها وأبينها ولنصبين على ما أذيتونا اى من الكلام السيئ والافعال السخيفة وعلى الله فليستوكل المتوكلون (وقال الذين كفروا لرسولهم اخرجكم من ارضنا أولتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم انهم لم يكن الظالمين ولست كنسكنكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف متاعى وخاف وعيد واستفحقوا وخاب كل جبار عنيد من ورأته جهنم ويسقى من ماء (٢٨٠) صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتية الموت من كل مكان وما هو

يحيى ومن ورأته عذاب غليظ) يخبر تعالى عما وعدت به الامم الكافرة رسلكم من الارض والنفى من بين أظهرهم كما قال قوم شعيب له ولئن آمن به لخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا الآية وكما قال قوم لوط اخرجوا آل لوط من قريتك الآية وقال تعالى اخبراعن مشركى قريش وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذ لا يلبثون خلافت الا قليلا وقال تعالى واذ يكرهون الذين كفروا ليتوكلوا أو يقتلوا أو يخرجوا ويتكبرون ويكبر الله والله خير ما كرين وكان من صنعه تعالى انه أظهر رسوله وأنصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارا وأعداء ووجدنا يقاتلون فى سبيل الله تعالى ولم يزرزيرقيه تعالى من شئ الى شئ حتى فتح له مكة التى أخرجه ومكن له فيها وأرغم أنوف أعدائه منهم ومن سائر أهل الارض حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الاديان فى مشارق الارض ومغاربها

يلبسونها اياه فاذا ألبسوها اياه فلول أحد أحد وأما خباب فجعلوا يجرؤن فى الشوك وأما عمار فقال اهتم كلمة بحجة ثم تقية وأما الجارية فوئدت لها أبوجهل أربعة وأتاد ثم مدها فادخل الحربة فى قلبها حتى قتلتها ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبروا بما همهم واشتد على عمار الذى كان تكلم به فقه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان قلبك حين قلت أكان منشر حابا لى قلت أم لا قال لا فانزل الله الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان وقيل نزلت فى أناس من أهل مكة وقيل نزلت فى جبرمولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيد على الكثر والاول اولى والحق ان الآية عامة فى كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا وفيه دليل على ان محل الايمان هو القلب (ولكن) الاستدراك واضح لان قوله الامن أكره قد يوجب الوهم الى الاستثناء مطلقا فاستدرك هذا وقوله مطمئن لا يثنى ذلك الوهم (من) موصولة أو شرطية والاول اولى (شرح بالكسر صدرا) أى اختاره ورضى به وطابت به نفسه (فعليهم) فيه مراعاة معنى من ولوراعى لفظها لا أفرد وقال فعليه (غضب من الله) ولهم عذاب عظيم) فى الآخرة عن ابن عباس قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكروا آلهتهم بخير فتركوه فلما أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما وراءك قال شرماتركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان قال ان عادوا فعد فنزلت الامن أكره الخ قال فذلك عمار بن ياسر ولكن من شرح بالكسر صدرا عبد الله بن أبى سرح أخرجه البيهقي والحاكم وصححه وفى الباب روايات مصرية بانها نزلت فيه وعن محمد بن سيرين قال نزلت هذه الآية فى عياش بن أبى ربيعة وعن ابن عباس قال هو عبد الله بن أبى سرح الذى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآله الشيطان فالحق بالكفار فمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقتل يوم فتح مكة فاستجاره عثمان بن عفان فاجاره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الحسن وعكرمة مثله ليرأس بعد هذا الوعيد العظيم وهو الجمع للمرتدين بين غضب الله وعظيم عذابه وعيد (ذلك) اى الكثر بعد الايمان أو الوعيد بالغضب والعذاب (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) اى ذلك بسبب تأخيرهم للحياة الدنيا الفانية (سورة الاحرة) الباقية الدائمة (وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) فى علمه الى الايمان به

ولا

فى أيسر زمان ولهذا قال تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولست كنسكنكم الارض من بعدهم وكما

قال ولقد سبقتم كلتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز وقال تعالى واتدك كتبنا فى الزبور من بعد الذكرا الآية وقال موسى اقوم ما أوصيتك به واصبر وان الارض لله يومئذ مان يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يبتغون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وقت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بعد ما ورد مرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقوله ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد أى وعدى لمن خاف مقامى بين يدي يوم انقسامه وخاف من وعيدى وهو تخويفى وعذابى كما قال تعالى

فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الخليم هي المأوى وقال لمن خاف مقام ربه جنتان وقوله واستفتحوا أى استنصرت الرسل ربها على قومها قاله ابن عباس ومجاهد وقادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم استفتحت الامم على انفسها كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ويحتمل ان يكون هذا امراد او هذا امراد انما انهم استفتحوا على انفسهم يوم بدر واستفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنصر وقال الله تعالى للمؤمنين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنهوا فيه وخير لكم الآية والله اعلم وخاب كل جبار عنيد أى متجبر في نفسه عنيد (٢٨١) معاند للحق كقوله تعالى القيا في جهنم كل كفار

عنيد مناع للتغير عند مريب الذي جعل مع الله الهة آخر فالتمناه في العذاب الشديد وفي الحديث انه يؤتى بجهنم يوم القيامة فتنادى الخلائق فتقول انى وكنت بكل جبار عنيد الحديث خاب وخسر حين اجتهد الاتيافي الابتغال الى ربه العزيز المقدر وقوله من ورأه جهنم ورأه هنا يعنى امام كتوله تعالى وكان ورأه هم ملك يأخذ كل سفينة غصمها وكان ابن عباس يقرؤها وكان امامهم من أى من ورأه الجبار العنيد دجهنم أى هو له بالمرصاد يسكنهم اشدا يوم المعاد ويعرض عليها غدو وعشيا الى يوم الساد ويسقى من ماء صديد أى في النار ليس له شراب الا من حميم وغساق فهذا في غاية الحرارة وهذا في غاية البرد والتمن كما قال هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكا أزواج وقال مجاهد وعكرمة الصديد من القيح والدم وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده وفي رواية عنه الصديد ما يخرج من جوف الكافر قد ساط القيح والدم وفي حديث شهر بن حوشب عن اسماء بنت زيد بن السكن قالت قلت

ولا يصحهم من الزيف ثم وصفهم بقوله (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فلم يفهموا المواعظ ولا سمعوها ولا أبصروا الآيات التي يستدل بها على الحق وقد سبق تحقيق الطبع في أول البقرة ثم أثبت لهم صفة نقص غير الصفة المتقدمة فقال (وأولئك هم الغافلون) عاير ادبهم من العذاب في الآخرة وضمير الفصل يفيد انهم متناهون في الغفلة اذ لا غفلة أعظم من غفلتهم هذه (لا جرم) قد تقدم تحقيق الكلام في معناها أى حقا (انهم في الآخرة هم الخاسرون) أى الكاملون في الخسران البالغون الى غاية منه ليس فوقها غاية ما صيرهم الى النار المؤبدة عليهم والموجب لخسرانهم ان الله وصفهم بست صفات تقدمت الاولى انهم استوجبوا غضب الله الثانية انهم استحقوا عذابه العظيم الثالثة انهم استحبوا الحياة الدنيا الرابعة انهم حرّمهم الله من الهداية الخامسة انه طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة انه جعلهم من الغافلين (ثم ان ربك للذين هاجروا) من دار الكفر الى دار الاسلام وخبر ان محذوف أى لغفور رحيم وقيل الخبر هو الذين هاجروا أى ان ربك لهم بالولاية والنصرة لا عليهم وفيه بعد قال في الكشف ثم ههنا للدلالة على تباعد حال هؤلاء الذين نزلت الآية فيهم عن حال أولئك وهم عمار وأصحابه ويدل على ذلك ما روى انه نزلت في ابن أبي السرح قال ابن عباس كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا بذلك اليهم ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فادركهم المشركون فقاتلوهم ففني من نجي وقتل من قتل (من بعد ما قتلوا) أى قتلهم الكفار بتعذيبهم لهم لم يربحوا في الكفر وقرئ فتسوا على البناء للفاعل وهي سبعة أيضا أى للذين قتلوا المؤمنين وعذبوهم على الاسلام (ثم جاهدوا) في سبيل الله (وصبروا) على ما أصابهم من الكفار وعلى ما يلحقونه من مشاق التكليف (ان ربك من بعدها) أى من بعد الفتنة التي قتلوها أو بعد المهاجرة أو الجهاد أو الصبر أو جميع ذلك (لغفور رحيم) أى كثير الغفران والرحمة لهم ومعنى الآية على قراءة البناء للفاعل واضح ظاهرا أى ان ربك لهؤلاء الكفار الذين قتلوا من أسلم وعذبوهم ثم جاهدوا وصبروا لغفور رحيم وأما على قراءة البناء للمفعول وهي قراءة الجمهور فالعنى ان هؤلاء المستوفين الذين تكلموا بالكلمة الكفر مكرهين وصدورهم غير منسححة

(٢٦ فتح البيان خامس) يارسول الله ما طينة الخبال قال صديد أهل النار وفي رواية عمارة أهل النار وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق انبا ناعما عبد الله انبا ناصفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بشر عن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيسكره فاذا ذاق ناسه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه الآية وهكذا رواه ابن جرير عن حديث عبد الله بن المبارك بن عمرو وهو ابن ابي حاتم من حديث بقة بن الوليد عن صفوان بن عمرو

وقوله بتجرعه أي يتغصصه ويتكرهه أي يشربه قهرا لا يضعه في فمه حتى يضربه الملك ببطراق من حديد كما قال تعالى ولهم مقامع من حديد ولا يكاد يسيغه أي يردده لوطعمه ولونه ورجه وحرارته أو برده الذي لا يستطاع وبأية الموت من كل مكان أي والم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه قال عمرو بن ميمون من كل عظم وعصب وعرق وقال عكرمة حتى من أطراف شعره وقال إبراهيم التيمي من موضع كل شعرة أي من جسده حتى من أطراف شعره وقال ابن جرير وبأية الموت من كل مكان أي من أمامه وخلفه وفي رواية وعن عيسى وشماله ومن فوقهم ومن (٢٨٢) تحت أرجلهم ومن سائر أعضائه وقال الضحاك عن ابن عباس وبأية

الموت من كل مكان قال أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منهم ولو كان يموت ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ومعنى كلام ابن عباس رضي الله عنه أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لا يموت ليجلد في دوام العذاب والنكال ولهذا قال وبأية الموت من كل مكان وما هو عيت وقوله ومن ورأه عذاب غليظ أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمر وهذا كما قال تعالى عن شجرة الرقوم أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لا تاكلون منها فإنا لنؤنمها البطون ثم إن لهم عليها الشوابين حيم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم فأخبر أنهم تارة يكونون في أصل الرقوم وتارة في شرب حيم وتارة يردون إلى حيم عباد الله من ذلك وهكذا قال تعالى هذه جهنم التي يكذب

للكثر إذا صلحت أعمالهم وجاهدوا في الله وصبروا على المكاره لغفور لهم رحيم بهم وأما إذا كان سبب الآية هو هذا عبد الله بن أبي سرح الذي ارتد عن الإسلام ثم رجع بعد ذلك إليه فالتعنى أن هذا المقتول في دينه بالردة إذا أسلم وجاهد وصبر فأنه غفور له رحيم به (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) أي تخاسم وتسمى في خلاصها وقد استشكل إضافة صير النفس إلى النفس ولا بد من التغير بين المضاف والمضاف إليه وهو واجب بان المراد بالنفس الأولى جلد بدن الإنسان وبالنفس الثانية الذات فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يمه غيره هابل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار بما لا يقبل منه كتأويلهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من المعاذير الكاذبة فهو مجادل وتخاسم عن نفسه لا يتفرغ لغيرها يوم القيامة (وتوفي كل نفس) جزاء (ما عملت) في الدنيا من خير أو شر (وهم لا يعلمون) من جزاء أعمالهم بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة أو نقصان (وضرب الله مثلا قرية) قد قدمنا أن ضرب مضمين معنى جعل ولذا عدى إلى مفعولين قد اختلف المفسرون هل المراد بهذه القرية قرية معينة أو المراد قرية غير معينة قال الزمخشري بل كل قوم أنعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نعمته وفخروا في البضاوى قال القرطبي أنه مثل مضر وبلاى قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى فيجوز أن تاد قرية مقدرة على هذه الصفة ويجوز أن تكون في قرى الأولى قرية كانت هذه حالها فضر بهم الله مثلا لمكة لأنها من مثل عاقبتها وذهب إلا كثرون إلى الأولى وصريحوا بانهم أمكة وذلك لما دعاهم رسول الله صلى الله وآله وسلم وقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلوا بالقحط حتى أكلوا العظام والثاني أرجح لأن تنكير قرية يفيد ذلك ومكة تدخل في هذا العموم البدلي دخولا أو يساويا ويكون الوعيد أبلغ والمثل أكل وغير مكة مثلها وعلى فرض إرادتها في المثل اندار لغيرها من مثل عاقبتها وعن ابن عباس قال يعني مكة وعن عيسى بن مثلة وزاد فقال الأثرى أنه قال واقدا جاءهم رسول منهم فكذبوه قال الواقدي ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند الخطابين والآية عند عامة المنسرين بازلة في أهل مكة وما امتنعوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد دبر الآية لضرب الله مثلا لقرية تكلم أي بين الله لها شيئا ثم وصف القرية بانها

بها الجحيمون يطوفون بينها وبين حميم آن وقال تعالى إن شجرة الرقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم (كانت خذوها فاعملوها إلى سواء الجحيم ثم صواب فوق رأسه من عذاب الجحيم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون وقال أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في حموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وقال تعالى هذا وان للطاغين لشر ما آب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا أفليذوقوه حيم وغساق وآخر من شكله أزواج إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم وتكراره وأنواعه وأشكاله مما لا يحصىه إلا الله عز وجل جزاءه فافا وما ربك بظلام للعبيد (مثل الذين كفروا برحيمهم أعمالهم كرماد اشتدت به

الريح في يوم عاصف لا يتقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار الذين عبدوا معه غيره وكذبوا رسله وبنوا أعمالهم على غير أساس صحيح فانهارت وعدموها أحوج ما كانوا إليها وقال تعالى مثل الذين كفروا ببرهم أعمالهم أي مثل أعمالهم يوم القيامة اذا طامبوا ثوابها من الله تعالى لانهم كانوا يحسبون انهم على شيء فلم يجدوا شيئا ولا القوا حاصلا الا كما يتحصل من الرماد اذا اشتدت به الريح العاصفة في يوم عاصف أي ذي ريح عاصفة قوية فلم يقدر واعي شيء من أعمالهم التي كسبوا في الدنيا الا كما يقدر واعي جمع هذا الرماد في هذا اليوم كقوله (٢٨٣) تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه

هباء منثورا وقوله تعالى مثل ما ينذر قون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرأصات حرت قوم ظلموا أنفسهم فاهلكتهم وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تطغوا صدقاتكم بالمال والاذى كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فنفقه كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يتدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين وقوله في هذه الآية ذلك هو الضلال البعيد أي سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما كانوا إليه ذلك هو الضلال البعيد (الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) يقول تعالى مخبرا عن قدرته على معاد الابدان يوم القيامة بانه خلق السموات والارض التي هي أكبر من خلق الناس أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب والنواب والسبارات

(كانت آمنة) غير خائفة (مطمئنة) غيرة من عجة أي لا يخاف أهلها ولا ينزعجون وعن ابن شهاب قال القرية التي كانت آمنة مطمئنة هي يثرب قلت ولا أدري أي دليل على هذا التعيين ولا أي قرية قامت له على ذلك ومتى كفرت دار الهجرة ومسكن الانصار بانعم الله وأي وقت أذاقها الله لباس الجوع والخوف وهي التي تنفي خبيثها كما ينفي الكبر خبيث الحسد كما صح ذلك عن الصادق المصدوق وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (يا أيها رزقها) أي ما يرتزق به أهلها (رغدا) أي واسعا يقال رغدا العيش بالضم رغادة اتسع ولان فهو رغدا ورغدا ورغدا ورغدا من باب تعب لغة فهو راغدا وهو في رغد من العيش أي رزق واسع وأرغد القوم بالالف أخصبوا والرغد الزبد (من كل مكان) من الامكنة التي يجلب ما فيها إليها أي من نواحيها من البر والبحر (فكفرت) أي كفر أهلها (بانعم الله) التي أنعم بها عليهم وهي جمع نعمة كالاشد جمع شدة وقيل كالادرع جمع درع على ترك الاعتدال بالثاء وقيل جمع نعم مثل بؤس وبؤس ويحتمل انه جمع نعماء بفتح النون والمد وهي بمعنى النعمة وهذه الكثر منهم هو كفرهم بالله سبحانه وتكذيب رسله (فاذاقها الله) أي أهلها (لباس الجوع والخوف) أي أثرهما فتعطاوا سبع سنين وسمى ذلك لباسا لانه يظهر به عليهم من الهزال وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الاذاقة وأصلها الذوق بالقلم ثم استعيرت لطلق الايصال مع انبائها بشدة الاصابة لما فيها من اجتماع الادراكين ادراك اللمس والذوق روى ان ابن الراوندي الزنديق قال لابن الاعرابي امام اللغة والادب هل يدرك اللباس فقال له ابن الاعرابي لا بأس أيها الناس هب ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كان نبيا أما كان عربيا كأنه طعن في الآية بان المناسبات يقال فكساها الله لباس الجوع أو فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي وقد أعجاب علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللباس ثم ذكر الوصف ملائمة للتعامل وهو الجوع والخوف لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضرب وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قل فكساها كانت مرشحة قبل وترشيع الاستعارة وان كان

والحركات المختلفة والآيات الباعرات وهذه الارض بما فيها من مهاو وهاد وأوتاد وبراري وصحاري وقفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومناقعها واشكالها وألوانها أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقها بقادر على ان يحوي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تعالى أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ونسب لنا مثلا ونسب خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا

وفاجر هاتئذ الواحد القهار رأى
 اجتمعوا له في براز من الارض وهو
 المكان الذي ايس فيه شئ يستراحدا
 فقال الضعفاء وهم الاتباع لنقادهم
 وساداتهم وكبرائهم الذين استكبروا
 عن عبادة الله وحده لا شريك له
 وعن موافقة الرسل فقالوا لهم انا
 نكالكم بعمائهم ما امرتمونا ان نفرنا
 وفعلنا فهل انتم مغنون عنا من
 عذاب الله من شئ اى فهل تدفعون
 عنا شيئا من عذاب الله كما كنتم
 تعدون واتقونا فقات القادة لهم
 لو عهدنا الله لهديناكم ولا يكن حق
 علينا قول ربنا وسبق فينا وفيكم
 قدر الله وحقت كلمة العذاب على
 الكافرين سواء علينا ائجر عنا ام
 صبرنا ما لنا من محيص اى ليس لنا
 خلاص مما نحن فيه ان صبرنا عليه
 او جزعنا منه قال عبد الرحمن بن زيد
 ابن اسلم ان اهل النار قال بعضهم
 لبعض تعالوا فانا ادرلك اهل الجنة
 الجنة يكتاهم ونضرعهم الى الله عز
 وجل تعالوا اليك وتضرع الى الله
 ففعلوا فلم يروا انه لا ينفعهم قالوا
 اتنا ادرلك اهل الجنة الجنة بالصبر
 تعالوا حتى نصبر فصبروا وصبر المبر
 منهم ففعلهم ذلك فعند ذلك قالوا

أو يحمل اللبس على المأسة أى فاذا قها لله أساس الجوع (عما كانوا يصنعون) أى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين أظهرهم ولم يقتل صنعت لانه أراد أهل القرية قال الفراء كل الصفات أجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيه على ان المراد فى الحقيقة أهلها (واقعد جاءهم) يعنى أهل مكة (رسول منهم) أى من جنسهم يعرفونوه ويعرفون نسبة فامرهم عافية نفعهم ونهاهم عما فيه ضررهم (فكذبوه) فيما جاء به (فاخذهم العذاب) النازل بهم من الله سبحانه (وهم) أى والحال انهم فى حال أخذهم العذاب لهم (ظالمون) لانفسهم بايقاعها فى العذاب الابدى وغيرهم بالانصرار لهم وعدهم عن سبيل الله وهذا الكلام من تمام المثل المضروب وقيل ان المراد بالعذاب هنا هو الجوع لذى أصابهم وقيل القتل يوم بدر والاول أولى ثم لا وعظهم الله سبحانه بما ذكرهم من حال أهل القرية المذكرة أمرهم بان يأكلوا مما رزقهم الله من الغنائم ونحوها وقال (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) جاء بالفاء للشعار بان ذلك متسبب عن ترك الكفر والمعنى انكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب وهو الغنائم واتركو الخبائث وعنى الميتة والدم قيل الخطاب للمؤمنين وبه قال جمهور المنسرين وقيل للمشر كين من أهل مكة حكاه الواحدي وغيره والاول أولى وقيل ان الفاء فى فكلوا داخلة على الامر بالشكر وانما دخلت على الامر بلاكل لان الاكل ذريعة الى الشكر (واشكروا نعمة الله) التى أنعم بها عليكم واعرفوا حقها (ان كنتم اياه تعبدون) ولا تعبدون غيره وان صرح بركم انكم تهم دون عبادة الالهة عبادة الله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) حرم الله (ما هـل) أى ما رفع الصوت (لغير الله به) سواء كان صنما أو وثنا أو نصبا

سواء علينا أجزنا أم صبرنا الآية قلت والطاهر ان هذه المراجعة في النار بعد دخولهم اليها كما قال تعالى واذا تصاحجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاء هل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا ناكل فيما ان
الله قد حكم بين العباد وقال تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امم لعنت اختها حتى
اذا داركوا فيها جميعا قالت اخر اهل اولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت
اولاهم اخر اهلهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون وقال تعالى ربنا انا اطعنا مآدتنا وكبرانا فاضلونا

السبلار بنا آثم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا أو ما تختصهم في المحشر فقال تعالى ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا والذين استضعفوا ان نحن نصددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا ان نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون (وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق (٢٨٥) ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من

أورو حاضيتنا من جن أو روحا طيبا من انس كالنبي والولي والصالح حيا كان أو ميتا فهو حرام وقد ورد في الحديث ما عاون من ذبح غير الله أي سوا اسمي الله عند ذبحه أو لم يسم لان ما اشهر لغيره سبحانه وتعالى ورفع به الصوت باسم الفلاني لا يتقنع بعد ذلك ذكر اسمه تعالى عند ذبحه لان هذا الحيوان قد انتسب الى ذلك الغير وحدث فيه من الخبث ما زاد على خبث الميتة فانهم يذبحون عليه اسم الله وهذا الحيوان قد عين روحه لغير خالقه ثم ذبح له وهو اشرك بعينه وحين سري هذا الخبث وأثر فيه لا يحل بحال وان ذكر اسم الله عليه كالأذبح الكباب او الخنزير على اسمه سبحانه وتعالى لا يحل والسر في ذلك ان نذر الروح لغير خالق الروح لا يجوز وان كان حكم جميع الماء كولات والمنسوبات والاموال المندورة للتقرب الى غير الله سبحانه هكذا فانهم اشركوا وحرام ولكن ثوابها الذي كان يعود الى الناذر جاز جعله للغير كما جاز لانسان ان يعطى ماله من شاء بخلاف روح الحيوان فانه ليس بمالك للانسان حتى يعطيه لاحد غير الله وانما وجب الاجر في اتفاق المال لان المال شيء ينفع به في الحال ولما كان الموقى لا ينتفعون بعين المال جعل طريق ابدال النفع اليهم ان يجعل الاموال المعطاة لاهل الاساقفة فيعقدون ثوابها اليهم واما روح الحيوان فلا يصلح للاتفاق في حياة الانسان فكيف بعد مماته ومعنى الازمان وأما الاضحية عن الميت التي ورد بها الحديث فعناها ان الاجر الذي كاد يثبت في ازهاق الروح لله سبحانه وتعالى يعطى لذلك الميت لانه يذبح لاجله ويرفع به الصوت للتقرب اليه وهذه الآية الكريمة جاءت في أربعة مواضع من التنزيل ومعناها ما رفع به الصوت لغير الله لا ما ذبح باسم غير الله فمن رفع الصوت بحيوان لغيره تعالى ثم ذكر اسم الله عند ذبحه لا ينفع له هذا الذكربشيا ولا ياتي بفائدة ولا يعود بعائدة ولا يحل أكله بهذا الذكربعند الذبح وانما الاهلال في لغة العرب بمعنى رفع الصوت لاجل معنى الذبح كيف لم يرد به عرف ولا وقع في شيء مرقط هذه كتب اللسان العربي ودقات اللغات على وجه البسيطة ليس في احد منها الاهلال بمعنى الذبح وانما يبال الاهلال لرؤية الهلال ولبكاء الطفل وللتمية بالبحر لا للذبح فليس معنى أهلات الله ذبحت له في القاموس استهل الصبي رفع صوته بالبكاء كاهل وكذا اكل منكم رفع صوته أو خنضر وأهل نظر الى الهلال والملي رفع صوته بالناسية وقال ابوهرى استهل الصبي أي صاح عند الولادة وأهل المعمر اذا رفع صوته

سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بصرخكم وما انا بصرخي اني كشرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحية لهم فيها سلام) يخبر تعالى عما خاطب به ابليس اتباعه بعد ما قضى الله بين عباده فادخل المؤمن الجنة وأسكن الكافرين الدركات فقام فيهم ابليس لعنه الله يومئذ خطيبا ليزيدهم حزنا الى حزنهم وغمنا الى غمهم وحسرة الى حسرتهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق أي على السنة رسوله ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعدا حقا وخبرا صدقا وأما أنا فوعدتكم فاخلفتكم كما قال الله تعالى بعدكم وعينهم وما بعدهم الشيطان الاغروا ثم قال وما كان لي عليكم من سلطان أي ما كان لي دليل فيما دعوتكم اليه ولا حجة فيما وعدتكم الا ان دعوتكم فاستجبتم لي بمجرد ذلك هذا وقد قامت عليكم الرسل

الحج والادلة الصحيحة على صدق ما جازكم به فخالفتموهم فصرتم الله ما أنتم فيه فلا تلوموني اليوم ولوموا انفسكم فان الذنب لكم لكونكم خالفتم الحج واتبعتوني بمجرد ما دعوتكم الى الباطل ما انا بصرخكم أي بنافعتكم ومنفذكم ومخلصكم مما أنتم فيه وما أنتم بصرخي أي بنافعي بانقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال اني كشرت بما اشركتمون من قبل قال قتادة أي بسبب ما اشركتمون من قبل وقال ابن جرير يقول اني جحدت ان أكون شر بكالته عز وجل وهذا الذي قاله هو الرابع كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم

كافرين وقال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا وقوله ان الظالمين أي في اعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل لهم عذاب أليم والظاهر من سياق الآية ان هذه الخطبة تكون من ابليس بعد دخوله النار كما قد مناوولكن قد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وهذا النفل وابن جرير من رواية عبد الرحمن بن زياد حدثني دحيان الجحري عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا جع الله الاولين والآخرين فقتل بينهم ففرغ من القضاء قال المؤمنون قد قضى بيننا ربنا فاشفع لنا فيقولون انطلقوا بنا الى آدم واذكرونا ابراهيم وموسى وعيسى (٢٨٦) فيقول عيسى أدلكم على النبي الاي فيأتوني فيأذن الله لي ان أقوم اليه

فيثور من مجلسي من أطيب ريش
شبهها أحد قط حتى أتى ربي فيشفعني
ويجعله لي نوراً من شعري رأسي الى
نظري قد يثني ثم يقول الكافرون هذا
قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فن
يشفع انما هو الا ابليس هو الذي
أضلنا فيأتون ابليس فيقولون قد
وجد المؤمنون من يشفع لهم فثم
أنت فاشفع لنا فانك انت أضللتنا
فيقوم فيثور من مجلسه من أثن
ريش شبهها أحد قط ثم يعظم تحييمهم
وقال الشيطان لما قضى الامر ان
الله وعدكم وعدا الحق ووعدكم
فأخلفتمكم وما كان لي عليكم من
سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تخلموني ولو موأ أنفسكم وهذا
سياق ابن أبي حاتم ورواه ابن المبارك
عن رشدين سعد عن عبد الرحمن
ابن زياد بن أهنم عن دحيان عن عقبة
به مرفوعاً وقال شحدين كعب
القرظي رحمه الله لما قال أهل النار
سواء علينا أخرجنا أم صبرنا ما لنا
من محيص قال لهم ابليس ان الله
وعدكم وعدا الحق الآية فلما سمعوا
مقاتلته مقتوا أنفسهم فتودوا المنت
الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ
تدعون الى الايمان فتكفرون وقال

بالتلبية وأهل بالتسمية على الذبيحة وقوله تعالى وما أهل لغير الله به أي نوري عليه بغير
اسم الله وأصله رفع الصوت انتهى ولو سلم ان معناه ذبح لغير الله فابن هذا من معنى ذبح
باسم غير الله حتى تنقض به الحجة فالقول بان الاهلال في هذه الآية ونظائرهما يعني الذبح
وغير الله يعني اسم غير الله يقرب بتحرير كلامه سبحانه وتعالى حاشاه عن ذلك وقد حكى
النظام النيسابوري في تفسيره اجماع أهل العلم على ان ذبيحة المسلم التي قصد بذبحها
التقرب الى غير الله ذبيحة مرتدة وقد صار هو مرتد أيضاً وكان الكفار في الجاهلية اذا
خرجوا من ديارهم رفعوا الاصوات باسماء الاصنام في الطارق والشوارع واذا وصلوا الى
مكانة المكربة طافوا الكعبة مع ان طوافهم هذا لم يكن يقبل عند الله ولهذا نزل قوله تعالى
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فكذلك فيما نحن فيه اذ رفع أحد الصوت
بحيوان انه لئلا نأول واجله أويذبح له ثم ذكر عليه اسم الله عند الذبح فهو هنا لا تقرب
عليه الحلية أصلاً نعم ان بغير النية ويبدل الامنية ويزيل قصد التقرب به الى غير الله
ويرفع به الصوت خلاف ما رفع به أولاً ويقول ثبت عنه ثم يذبح ويذكر عليه اسم الله
تعالى يحل أكله واذا تقررت ان الاهلال بمعنى رفع الصوت في اللغة لا بمعنى الذبح علمت
ان الذي فسره بالذبح قد غلط غلطاً بيناً وتجوز ولا يصار الى الجواز الا عند تعدد الحقيقة
أو تأول رفع الصوت بالذبح بناء على سبب النزول وانما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وقد فسرنا الاهلال في البقرة والمائدة والانعام بما فسر به جمهور المفسرين
وهو تسامح سبق به القلم وانما الحق في المقام تفسيره برفع الصوت والغايقيد الذبح ليتناول
النظم الكريه كل حيوان رفع به الصوت لغير الله سبحانه وتعالى سواء ذبح باسم الله
أو باسم غيره وعليه تدل اللغة العربية وهي الاصل المتقدم في تفسير كلام الله العزيز على
الجميع ما لم يعارضه نص مقدم أو نازل مرجح أو دليل مساو والذي فسرنا به الآية هنا قد
فسرها به الشيخ عبد العزيز المحمدي الدهلوي رحمه الله في تفسيره وهو الصواب وبالله
التوفيق ثم ذكر الله سبحانه الرخصة في تناول شيء مما ذكر فقال (فن اضطر) أي دعت
ضرورة المخصصة الى تناول شيء من ذلك حال كونه (غير باغ) على مضطر آخر (ولا عاد)
متعد قدر الضرورة وسنذكر الرق (فان الله غفور رحيم) لا يؤاخذكم بذلك وقبل معناه غير
باغ على الوالي ولا مستعد على الناس بالخروج لطريق فعلى هذا الايضاح تناول شيء من

عامر الشعبي يقوم خطيباً يوم القيامة على رؤس الناس يقول الله تعالى لعيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني
وأخي الهين من دون الله الى قوله قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال ويقوم ابليس لعنه الله فيقول ما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الآية ثم لما ذكر تعالى ما آل الاشقياء وما صاروا اليه من الخزي والنكال وان خطيبهم ابليس عطف بما آل
السعداء فقال وأدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار سارحة فيها حيث ساروا وابن ساروا خالد بن فيما
ما كنين أبدأ لا يحولون ولا يزولون تحييمهم فيها سلام كما قال تعالى حتى اذا جازوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم وقال

تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى ويلقون فيها الحية وسلاما وقال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأحد دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومثل كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن أصلها ثابت يقول لا إله إلا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء (٢٨٧) يقول يرفع به عمل المؤمن إلى السماء وهكذا قال

الغضائلي وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد وغير واحد أن ذلك عمل المؤمن وقوله الطيب وعمله الصالح وأن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء وهكذا رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود قال هي النخلة وشعبة عن معاوية بن قرة عن أنس هي النخلة وحاجز بن سلمة عن شعيب بن الحباب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقمنا بسرفقاً ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة وروى من هذا الوجه ومن غيره عن أنس موقوفاً وكذا نص عليه مسروق ومجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبيرة والبخاري وقادة وغيرهم وقال البخاري حدثنا عبيد بن عمير عن أبي اسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة تشبهه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها صيفاً ولا شتاء تؤتي أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم

المحرمات في سفر المعصية ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالجيرة والسائبة وفي النقضان عنها كتحليل الميتة والدم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) قال الكسائي والزجاج ما مصدرية والكذب منتصب بلا تقولوا أي لا تقولوا الكذب لأجل وصف ألسنتكم ومعناه لا تتحلوا ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم من غير حجة وقيل ما موصولة والكذب مستصحب بتصف أي لا تقولوا الذي تصف ألسنتكم الكذب فيه حذف لفظ فيه لكونه معلوماً فيكون هذا حلال وهذا حرام بدلا من الكذب قال مجاهد في الجيرة والسائبة وقيل يعني قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي قيل في الكلام حذف بتقدير القول أي فتقول هذا حلال وهذا حرام أو قائله هذا حلال وهذا حرام وقيل لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب وقرئ كذب بضم الثلاثة على أنه نعت لللسنة وقرئ ككف نعتاً لما أو بدلا منها ومعناه لا تقولوا الكذب الذي تصفه ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام عن أبي نضرة قال قرأت هذه الآية في سورة النحل فلم أزل أخاف النسيان إلى يومى هذا قلت صدق رحمه الله فإن هذه الآية تتناول بعموم لفظها ألسنة من أفتى بخلاف ما في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يقع كثير من المؤثرين للرأي المتقدمين له على الرواية أو الجاهلين لعلم الكتاب والسنة كالمقلدة وانهم لم يتيقنوا بأن مجال بينهم وبين قتالهم ويمنعوا من جهالاتهم فأنهم أفتوا بغير علم من الله ولا هدى ولا كتاب منير فضللوا وأضلوا فهم ومن يستفتيهم كما قال القائل

كبهيمة عياله قاذر ما لها * أعمى على عوج الطريق الحائر

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال عسى رجل يقول إن الله أمر بكذا أو نهي عن كذا فيقول الله عز وجل كذبت أو يقول إن الله حرم كذا أو أحل كذا فيقول الله له كذبت (لتفتروا) اللام هي لام العاقبة لا لام الغرض أي فينتعقب ذلك افتراءكم (على الله الكذب) بالتحليل والتحريم واستناد ذلك إليه من غير أن يكون منه (أن الذين يفترون على الله الكذب) أي افتراء كان (لا يفعلون) بنوع من أنواع الفلاح والنور بالمطلوب لافي الدنيا ولا في الآخرة بدليل ما بعده (متاع قليل) قال الزجاج متاعهم متاع قليل

فلما يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قلنا قلت لعمر يا أسامة والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة قال ما منعك أن تكلم قال لم أركم تكلمون فكرهت أن تكلم أو أقول شيئا قال عمر لأن تكون قلتما أحب إلى من كذا وكذا وقال أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي شيبة عن مجاهد صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمع به يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثنا واحداً قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم فأردت أن أقول هي النخلة فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة أخرجه وقال مالك وعبد العزيز عن عبد الله بن

دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم لا يصحبه ان من الشجر شجرة لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبهم انها النخلة أخرجاه أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا أبان يعني ابن زيد العطار حدثنا قتادة ان رجلا قال يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور فقال أرايت لو عمد الى متاع الدنيا فركب بعضه على بعض أكان يبلغ السماء أفلا أخبرك بعمل أصلي في الأرض وفرع في السماء قال ما هو يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر (٢٨٨) مرات في دبر كل صلاة فذاك أصلي في الأرض وفرع في السماء وعن ابن عباس كشجرة طيبة قال هي شجرة

وقيل لهم متاع قليل (ولهم عذاب أليم) يرون اليه في الآخرة ثم خص محرقات اليهود بالذكور قال (وعلى الذين هادوا) أي على اليهود خاصة دون غيرهم (حرمنا ما قصصنا عليهم) بتولنا حرمنا عليهم كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الآية (من قبل) متعاقب بقصصنا أو بحرمنا قال الحسن يعني في سورة الانعام وعن قتادة مثله وقال حيث يقول وعلى الذين هادوا الى قوله واننا لصادقون وتحريم الشيء اما لضرر فيه واما لبعثي المحرم عليهم فقوله انما حرم عليكم الخ اشارة للقسم الاول وهذا اشارة للقسم الثاني (وما علمناهم) بذلك التحريم بل جزيناهم بغيرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا أسباب ذلك حرمنا عليهم تلك الاشياء عقوبة لهم ثم بين سبحانه ان الافتراء على الله سبحانه ومخالفته أمره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة فقال (ثم ان ربك للذين عملوا السوء مجتاهلة) أي متلبين بجهالة أي جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أي غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم وعن السلف كل من عصي الله فهو جاهل ولا يصدر العمل السوء الا من الجاهل بالعاقبة لان العاقل لا يرضى بفعل التبع وفيه بيان سعة مغفرته ورحمته لان السوء انما يقع لجهالة كل فاعل قبيح فيدخل تحته الكفر والسوء المعاصي وقدم تقديم تفسير هذه الآية في سورة النساء (ثم تابوا من بعد ذلك) أي من بعد عملهم للسوء وفيه تأكيد فان ثم قد دلت على البعدية فاكدها بزيادة ذكر البعدية (وأعملوا) أعمالهم التي كان فيها فساد بالسوء الذي عملوه ثم كر ذلك تأكيداً كيداً وتقريراً فقال (ان ربك من بعدها) أي من بعد التوبة (لغفور) كثير الغفران (رحيم) أي واسع الرحمة ولما فرغ سبحانه من دفع شبه المشركين وابطال مطاعنهم وكان ابراهيم عليه السلام من الموحدين وهو قدوة كثير ممن ذكره الله في آخر هذه السورة قال (ان ابراهيم كان أمة) قال ابن الاعرابي يقال للرجل العالم أمة والامة الرجل الجامع للخير قال الواحدي قال أكثر المفسرين معنى الامة المعلم للخير وبه قال ابن مسعود وعلى هذا فمضى كون ابراهيم أمة انه كان معلماً للخير أو جامعاً لخصال الخير أو جامعاً لعلمه الله من الشرائع وقيل انه كان مؤمناً وحده والناس كلهم كنسار فهذا المعنى كان أمة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعث الله أمة وحده لانه كان فارق الجاهلية فله مجاهد قيل معنى مأموم أي الذي يؤمنه الناس لياخذوا منه الخير كما قال تعالى اني جاءك للناس اماما وحكي ابن الجوزي عن

عباس كشجرة طيبة قال هي شجرة في الجنة وقوله تؤتي اكلها كل حين قال غدوة وعشية وقيل كل شهر وقيل كل شهرين وقيل كل ستة أشهر وقيل كل سبعة أشهر وقيل كل سنة والظاهر من السياق ان المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجدها غمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاه الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين باذن ربها أي كاملاً حسناً كثير اطيبا وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هذا مثل الكافر لا أصل له ولا ثبات مشبهه بشجرة الخنظل ويقال لها الشريان وقال أبو بكر البرار الحافظ حدثنا يحيى بن محمد الـكن حدثنا يزيد سعيد بن الربيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قررة عن أنس أحسبه رفعه قال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هي الشريان ثم روى عن محمد بن المنـنى عن

غندر عن شعبة عن معاوية عن أنس موقوفاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد هو ابن ابي سلمة عن شعيب بن الخصب عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة هي الخنظلة فاخبرت بذلك أبا العلاء فقال هكذا كنا نسمع ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة ورواه أبو يعلى في مسند ما يابط من هذا فقال حدثنا عن حماد عن شعيب عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقنا عليه بسر فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها فقال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

اجتنت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الخنظل قال شعيب فاخبرت بذلك أبا العالية فضال كذلك كنا نسمع وقوله اجتنت أى استوصت من فوق الارض ما لها من قرار أى لأصل لها ولا ثبات كذلك الكفر لأصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شيء ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويعمل الله ما يشاء قال البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ثبت

الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبة وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم في جنازة رجل من الأنصار فأتينا إلى القبر ولما لم يجد الخلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال أستمعوا لله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عنده رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسبل كأنسيل القطرة من في السماء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعها

ابن الانباري انه قال ان هذا مثل قول العرب فلان رجة وعلامة ونسابة يقصدون بهذا التأييد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله فناده الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم امة لانه اجتمع فيه من صفات الفضل وسمات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ايس على الله بمستهكر * ان يجمع العالم في واحد

(قالت الله) اي مطيعه عال قائماً بأوامره قال ابن مسعود هو الذي يطيع الله ورسوله وعن ابن عباس قال كان على الاسلام ولم يكن في زمانه من قومه أحد على الاسلام غيره فذلك ما قال الله كان أمة قالت الله وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد تشبه له أمة الا قبل الله شهادتهم والامة الرجل فافوقه ان الله يقول ان ابراهيم كان أمة أخرجه ابن مردويه وقد تقدم معنى القنوت في البقرة (حنيفاً) الحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى دين الحق أى مسلم مقيماً على دين الاسلام وقد تقدم بيان الانعام (ولم يكن من المشركين) بالله كما تزعمه كفار قریش انه كان على دينهم لم الباطل بل كان من الموحدين الخالصين لله تعالى من صفته الى كبره (شاكراً لانعمه) التي أنعم الله بها عليه وان كانت قليلة كجديل عليه جمع الفة فهو شاكر لما كثر منها بالاولى (اجتباها) أى اختارها للنسب واختصها بها (وهدها الى سراط مستقيم) وهو مله الاسلام ودين الحق (وآتيناه في الدنيا حسنة) أى خصلة حسنة أو حلة حسنة قيل هى الولد الصالح وقيل النماء الجليل وقيل النبوة وقيل الصلاة منا عليه في التشهد وقيل لسان الصدق وقيل القبول العام في جميع الأمم فانه يتولاه جميع أهل الاديان ويشنون عليه ولا يكثر به أحد ورزقه أولاداً طيبة وعمر أطول ولا في العفة والطاعة ولا مانع أن يكون ما ناله الله شاملاً لذلك كله ولما عاده من خصال الخير وفيه التثبات عن الغيبة ونسبته الى التثبات زيادة الاعتناء بشأنه عليه السلام (وان في الآخرة لمن الصالحين) أى في أعلى مقاماتهم في الجنة وقيل من بمعنى مع وهذا محتمل مع السؤال لربه حيث قال وألحيتنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعاني من ورثة جنة النعيم اللهم انى أسألك ان تجعلانى ممن يصدق عليه هذا الدعاء وانى من ذرية خليلك ابراهيم وما ذلك عليك بعزير وان فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنى عذاب النار انك انت التواب الرحيم وحاصل ما ذكر

(٢٧ فتح البيان خامس) في يده طرفة عين حتى يأخذها ويجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفقة مسك وجودت على وجه الارض فصعدون بها فلا يمر بها ابعنى على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان باحسن أسمائه الى كذا يسعون بها في الدنيا حتى ينفثوا به الى السماء الدنيا فيستنشقون له فيه نفخ له من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينفثوا بها الى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كذا عبدى في عشرين وأعيدوه الى الارض فانى منها اخلقهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتهاد روحه في جسده فبات به ما كان فيجلى انه فيقولان

له من ربك فيقول ربني الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة واقصوه بالباب الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدبباً ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهه كالوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة (٢٩٠) رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وان العبد

الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المروح فجلسوا منه مد البصر ثم يحيى ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى محط من الله وغضب اخرجي الى محط من الله وغضب قال فتنزع في جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يحبه لوجهها في تلك المروح فيخرج منها كأن نري ريح جنة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان باقى أماته التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله اكثبوا كتابه في صحين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحة ثم قرأ ومن ابشرك بالله فكأنما خسر من السماء فتخطفه الشياطين وهم يريه الريح

الصفات ثمانية بل عشرة اذ قوله سبحانه (ثم أوحينا اليك) يا محمد مع علمك ودرجتك وسمو منزلة وكونك سيد ولد آدم يرجع لوصف ابراهيم وتعظيمه بان محمداً امر بتابعه (أن) منسرة أو مصدرية (اتبع مله ابراهيم) أى دينه وأصل الله اسم لما شرعه الله لعباده على ان نبي من أنبيائه من أممات الكتاب اذا أُمليته وهو الذين بعينه امكن باعتبار الطاعة له وتحقيق ذلك ان الوضع الالهى مهمان سب الى من يؤدبه عن الله تعالى يسمى مله ومهما نسب الى من يقيم ويعمل به يسمى ديناً قال الراغب الفرق بينهم ان الله لا تضاف الا الى النبي ولا تكاد توجده مضافة الى الله ولا الى آحاد الامم ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بعلمه الاسلام الذى عبر عنه آتينا بانصراف المستقيم قيل والمراد اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم لم يلته عليه السلام في التوحيد والدعوة اليه وقال ابن جرير في التبرى من الاوثان والتدين بدين الاسلام وقيل في مناسك الحج وقيل في الاصول دون الفروع وقال أبو السعود في الاصول والعقائد وأكثر الفروع دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار انتهى وقيل في جميع شريعاته الامانة من هذه هو الظاهر وفي الكرخي انما جاز اتباع الافضل المنقول لسبقه الى القول والعمل به قال القرطبي وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع الافضل للمنفذ فيما يؤدى الى الصواب ولا يدرك على الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم افضل الانبياء عليهم السلام وقد أمر بالافتداء بالانبياء مع كونه سيدهم فقال تعالى فيهداهم اقتده (حنيفاً) حال من ابراهيم وبارئى حاله لان الله كالجزم منه وقد تقرر في علم النحو ان الحال من المضاف اليه جائز اذا كان يقتضى المضاف العمل في المضاف اليه أو كان جزءاً أو كالجزم من حيث صحة الاستغناء لما لاني عن الاول اذ يصح ان يقال ان اتبع ابراهيم حنيفاً (وما كان من المشركين) تكرير لما سبق للنعكة التي ذكرناها اى كرر دأ على زعم المشركين انهم على دينه (انما جعل السبت) اى وبال السبت وهو المصحف في زمن داود عليه السلام أو فرض تعظيم السبت وترك الصيد فيه (على الذين اختلفوا فيه) وهم اليهود لا على غيرهم من الامم وقد اختلف العلماء في كيفية الاختلاف الكان بينهم في السبت فقات طائفة ان موسى أمرهم يوم الجمعة وعينه لهم وأخبرهم بفضيلته على غيره فخالفوه وقالوا ان السبت افضل فقال الله دعهم وما اختاروا لا ننسهم وقيل ان الله سبحانه أمرهم بتعظيم يوم

في مكان صحيح فتعادر روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاهاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاهاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدى فافرشوه من النار واقصوه بالباب الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهه كمنى بالشرف فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة ورواه أبو داود من حديث الاعمش والنسائي وابن ماجه من

حديث المنهال بن عمرو به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يونس بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة فذكر نحوه وفيه فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء ليس من أهل باب الا وهـم يدعون الله عز وجل ان يعرج بروحه من قبلهـم وفي آخره ثم يقبض له أعمى أصم أبكم وفي يده مرزبة لو ضرب بها جبل لكان ترابا فيه ضربة ضربة فيصير ترابا ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة (٢٩١) يسمعها كل شيء الا النقلين قال البراء ثم يفتح له باب

الى النار ويعيده له من قرش النار وقال سفيان الثوري عن أبيه عن خزيمة عن البراء في قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالنول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال عذاب القبر وقال المسعودي عن عبد الله ابن مخارق عن أبيه عن عبد الله قال ان المؤمن اذا مات اجلس في قبره فيقال له ما ربك ما دينك من نبيك فينبته الله فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عبد الله يثبت الله الذين آمنوا بالنول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الامام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان ابن عبد الرحمن بن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهـم فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل قال قالوا المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله قال فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أدركك الله به

في الاسبوع فاختلف اجتهدهم فيه فعينت اليهود السبت لان الله سبحانه فرغ فيه من الخلق وعينت النصارى يوم الاحد لان الله بدأ فيه الخلق فالزم الله كلامهـم ما أدى اليه ما اجتهدوه وعين لهذه الامة الجمعة من غير أن يكلمهـم الى اجتهدهم فضلامه ونعمة ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان اليهود كانوا يزعمون ان السبت من شرائع ابراهيم عليه السلام فاخبر الله سبحانه انه انما جعل السبت على الذين اخذوا فيه ولم يجعله على ابراهيم ولا على غيره وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة قال الواحدى هذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان بعضهم قال هو أعظم الايام حرمة وقال آخرون الاحد أفضل وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فرقين في السبت وانما اختاروا الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل وعن مجاهد في الآية قال أراد الجمعة فأخذوا السبت مكانها وعن أبي مالك وسعيد بن جبيرة في الآية قالوا لا يستعملها اياه رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل خطبا يوم السبت فضرب عنقه وفي الصحيحين وغيرهـم ما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيدائهم أو قوا الكتاب من قبلنا أو أوتينا من بعدهم ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم يعنى الجمعة فاخذوا فيه فهذا الله له فالتاس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وأخرج مسلم وغيره من حديث حذيفة بن حنيفة (وان ربك ليحكم بينهم) اى بين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيجازى فيه كلا بما يستحقه ثوابا وعقابا كما وقع منه سبحانه من المسخ لطائفة منهم والتنجية لآخرى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يدعو أمته الى الاسلام فقال (ادع الى سبيل ربك) وحذف المفعول للتعميم لكونه بعث الى الناس كافة أو المعنى افعلى الدعاء والاول أولى وكان المعنى وخطب الناس فى دعائكم لهم وسبيل الله هو الاسلام (بالحكمة) اى بالمقالة المحكمة الصحيحة الموضحة للعق المزالة للشبهة والاشك قبل رهى الحج القطعية المنبذة للبقين وقيل القرآن وقيل النبوة (والموعظة الحسنة) وهى المقالة المشقة على الموعظة الحسنة التى يستحسنها السامع وتكون فى نفسه ماحنة باعتبار اتضاع السامع بها قيل وهى الحج الظنية الاقناعية الموجهة للتصديق عند مات متبولة قيل وليس للدعوة الا هاتان الطريقتان ولكن الداعى قد يحتاج مع الخصم الاذ الى استعمال المعارضة

مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فبراهما جميعا قال قتادة قودا كرنا انه يفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويلا عليه خضرا الى يوم القيامة رواه مسلم عن عبد بن حميد به وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدب به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى ابن سعيد عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سأل جابر بن عبد الله عن فتاى القبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذه الامة تنبلى فى قبورها فاذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانه ارفيقول له ما كنت تقول فى هذا الرجل قالوا المؤمن فيقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله فيقول له الملك انظر الى مقعدك الذى كان لك فى النار قد أنجاه الله منه وأبدلك

بمعدك الذي ترى من النار معدك الذي ترى من الجنة فيراه ما كليم ما يقول المؤمن دعوني أبشر أهلي فيقال له اسكن وأما المنافق فيقعد اذا أتى عنه أهله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس فيقال له لا دريت هذا معدك الذي كان لك في الجنة قد أبدت مكانه معدك من النار قال جابر فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد في القبر على ما مات المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه اسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد بن راشد عن داود بن أبي هند (٢٩٢) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال شهدنا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم جمازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتنت رق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فاقرعه فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أنتم تدان لاله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت ثم يفتح له بابا الى النار فيقول كان هذا منزلك لو كفرت بربك فاما اذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له بابا الى الجنة فيريد أن ينفض اليه فيقول له اسكن وينسج له في قبره وان كان كافرا أو منافقا فيقول له ما تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فيقول لا دريت ولا قلت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا الى الجنة فيقول له هذا منزلك لو آمنت بربك فاما اذا كفرت به فان الله عز وجل أبدلك به هذا فيفتح له بابا الى النار ثم يثمه معه قعة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين فقال بعض القوم يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده

والمناقضة ونحو ذلك من الجدل ولهذا قال سبحانه (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير قسوة ولا تعنيف وإينار الوجه الأيسر والمقدمات التي هو أشهر فان ذلك أنفع في تسكين شرهم وهو ردة على من يأبى المناظرة في الدين وانما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة ليكون الداعي محقا وغرضه تحقيقا وكان خصمه مبطلا وغرضه قاسدا قيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام الاول هم العلماء وهم المشار إليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والنظر السليم والخلقة الاصلية وهم غالب الناس وهم المشار إليهم بقوله والموعظة الحسنة والثالث هم أصحاب جدال وخصام ومعاينة وهم المشار إليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن في الآية اعرض عن أذاهم اياك ولا تقصر في تبليغ الرسالة وعلى هذا فالآية منسوخة بآية السيف قال بعضهم لم لاحاجة الى دعوى النسخ اذا الامر بالمجادلة ليس فيه تعريض للنهي عن المقاتلة (ان ربك هو أعلم عن سبيله) لما حث سبحانه على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما ذلك الى الله تعالى وهو أعلم عن بضل (وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن يصبر الحق فيقصده غير متعنت وانما شرع لك الدعوة وأمر لنبيهم لقطع اللامعة وتقيما للجمعة وزاحة للشبهة وليس عليك غير ذلك وفي ائثارنا العلمية في الضالين والاسمية في مقابلتهم إشارة الى أنهم غير الضالين وبطلانها بحدوث الضلال ومقابلتهم استمروا عليها وتقديسهم أرباب الضلال لان الكلام وارد فيهم ثم لما كانت الدعوة تتضمن تكليف المدعويين بالرجوع الى الحق فان أبوا قوتلوا أمر الداعي بان يعدل في العقوبة فقال (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) أي بمثل ما فعل بكم لا تجاوزوا ذلك قال ابن جرير نزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلامة ان لا ينال من ظالمه اذا تمكن الا بمثل ظلامته لا يتعداها الى غيرها ونحوه في البيضاوي وهذا صواب لان الآية وان قيل ان لها سببا خاصا كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ وعمومه بؤدى هذا المعنى الذي ذكره وسمى سبحانه الفعل الاول الذي هو فعل البادئ بالشر عقوبة مع ان العتوبة ليست الافعل الثاني وهو التجازي للمشاكلة وهي باب معروف وقع في كثير من الكتاب العزيز ثم حث سبحانه على العفو فقال (ولئن صبرتم) عن المعاقبة بالمثل وعن الانتقام بتركها بالكلية (الهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعينان

مطراق الأهيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت وهذا أيضا اسناد لا بأس به فان عباد بن راشد القيجي روى له البخاري مقرنا ولكن ضعفه بعضهم وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي أيتها النفس المطمئنة كانت في الجنة الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا يزال يقال له اذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقولون مرحبا

بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخل في حيدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى يفتنى بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قال اخرجي أيها النفس الخبيثة كانت في الجسد الحديث اخرجي ذهبة وابشرى بحميم وغساق واخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الحديث ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء بصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له (٢٩٣) مثل ما قيل في الحديث الاول ويجلس الرجل

السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الاول ورواه النسائي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب بنحوه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها الملاك يصعدان به قال حماد بن زمرن طيب ريحها وذكرك المسك قال ويقول أهل السما روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسدك كنت تعميرينه فينطلق به الى ربه عز وجل فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل وان الكافر اذا خرجت روحه قال حماد بن زمرن تنهاؤك كرمقتا ويقول أهل السما روح خبيثة جاءت من قبل الارض فيقال انطلقوا به الى آخر الاجل قال أبو هريرة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربطة كانت عليه على أنه هكذا وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن اخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا قبض أتمه

أي فالصبر (خير للصابرين) من الاتصاف ووضع الصابرين موضع الضمير من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد وقد ذهب الجمهور الى ان هذه الآية محكمة لانها وارادة في الصبر عن المعاقبة والثناء على الصابرين على العموم وفي تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة ولا تتعلق لها بالنسخ وقيل هي منسوخة بآيات القتل وبه قال ابن عباس والشافعي ولا وجه لذلك اخرج الترمذي وحده عنه والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حزة فقتلوا بهم فقاتل الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لثربن عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى وان عاقبتهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصبر ولا نعاقب كفوا عن القوم الأربعة وأخرج الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقف على حزة حيث استشهد فتنظر الى منظر لم يتظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه وانظر اليه قدم مثل به فقال رحمة الله عليك فانك كنت ما علمت وصولا للرحم فقول لا للغير ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى أما والله لا مثلن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم واقف بخواتيم سورة النحل وان عاقبتهم الآية فكفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه وأمسك عن الذي أراد وصبر وعن ابن عباس مرفوعا نحوه أخرجه الطبراني وابن المنذر وغيرهما وهذا القول من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنه كان باجتهاد منه وعليه فليتنظر هل قوله تعالى ولئن صبرتم تحببنا لنسخ له هذا الاجتهاد أو تنبيهه على خطئه تأمل وعنه قال هذا حين أمر الله نبيه أن يقاتل من قاتله ثم نزات برأه وانسلاخ الاشهر الحرم فهذا منسوخ ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال (واصبر) على ما أصابك من صنوف الاذى (وما صبرك الا بالله) أي بتوفيقه وتبليته والاستثناء من أعظم الاشياء أي وما صبرك بمعصية وبأشئ من الاشياء الا بتوفيقه لك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهاه عن الحزن فقال (ولا تحزن عليهم) أي على الكافرين في اعراضهم عنك واستغفارهم للعذاب الدائم أولا تحزن على قتلى أحد فانهم قد أقضوا الى رحمة الله (ولانك في ضيق) أي ضيق صدر

ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي الى روح الله فتخرج كالطير ربيع مسك حتى انه يأكله بعضهم بعضا يسمنونه حتى يأثوابه باب السماء فيقولون ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من قبل الارض ولا يأتون سما الا قالوا مثل ذلك حتى يأثوابه أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاه من أهل الغائب بغائهم فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان في غم فيقول قد مات أما أنما كم فيقولون ذهب به الى أمه الهاوية وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب يسمع فيقولون اخرجي الى غضب الله فتخرج كأنك قد خرجت جيفة فيذهب به الى باب الارض وقد روى أيضا من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة عن

النبى صلى الله عليه وسلم نحوه قال فيسأل ما فعل فلان ما فعل فلان ما فعلت فلانة قال وأما الكافر فاذا قبضت نفسه وذهب بها الى باب الارض يقول خزنة الارض ما وجدنا رجلاً أنتن من هذه فيبلغنهم الارض السفلى قال قتادة وحدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال أرواح المؤمنين تجتمع بالجابيين وأرواح الكفار تجتمع ببرهوت سبعة بجحيم موت ثم يضيق عليه قبره وقال الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا بشر بن الفضل عن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٩٤) اذا قبر الميت أو قال أحدكم أنامه ملكان أسودان أزرقان يقال

لأحدهما منكسر والآخر نكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله رسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ويورله فيه ثم يقال ثم فيقول أرجع الى أهلي فأخبرهم فيقولان ثم يوم العروس الذي لا يقطعه الا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون فقالت مناهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا فيقال للارض التمتي عليه فلتنثني عليه حتى تختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال ذلك اذا قيل له في القبر من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربني الله ودينى الاسلام

قرئ بشخ الضاد وكسر هاو هما سبعيتان قال ابن السكيت هما سواء وقال الفراء الضيق بالفتح ماضاق عنه صدرك وبالكسر ما يكون في الذي يتسع كالدار والنوب وكذا قال الاخفش وهو من الكلام المقطوب لان الضيق وصف للانسان يكون فيه ولا يكون الانسان فيه وكأنه أراد وصف الضيق بالعظم حتى صار كاشي المحيط بالانسان من جميع جوانبه وقال هناك بجذف النون ليكون ذلك مبالغة في التسلية وأثبتتم في التمل على القياس ولان الحزن ثم دون الحزن هنا الى ذلك أشار في التقرير (مما يكرون) اى من مكرهم بك فيما يستقبل من الزمان وما مصدرية أو بمعنى الذي ثم ختم هذه السورة بقاية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى على اختلاف أنواعها وقيل اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي والعموم أولى وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة (والذين هم محسنون) بتأدية الطاعات والقيام بما أمروا به منها أو بالعفو عن الجاني وقيل المعنى محسنون فى أصل الانتقام فيكون الاول اشارة الى قوله فعاقبوا بمنل ما عوقبتم به والثاني اشارة الى قوله ولئن صبرتم له وخير للصابرين وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على عباد الله تعالى وعن الحسن قال اتقوا فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما افترض عليهم والعموم أولى وقيل لهم من حيان عند الموت أو ص فقال انما الوصية فى المال ولا مال الى ولا كنى أو صيكت بنحو آتيم سورة النحل

• (سورة بنى اسرائيل) •

وتسمى سورة سجدة بحان وسورة الاسراء مائة واحدى عشرة آية وهى مكية وبه قال ابن عباس وعن ابن الزبير مثله الا ثلاث آيات قوله وان كادوا اليك تنفرونك نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد نقيف وحين قالت اليهود ليست هذا مبارض الانبياء وقوله رب أدخلنى مدخل صدق وقوله ان ربك أخطأ بالناس وزاد مقاتل قوله ان الذين آمنوا العلم من قبله وقيل الايات الثمان وعن ابن مسعود قال فى هذه والكهف ومريم انهن من العنات الاول وهن من ثلاثى وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

ونبى محمد بن بابا بنات من عند الله فآمنت به وصدقته فيقال له صدقت على هذا عشت وعاميت وعليه تبعث (بسم الله وقال ابن جرير حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد فالأحد حدثنا يزيد بن أبينا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال والذي نفسي بيده ان الميت ايسمع خفق نعالكم حين توفون عنه مدبر بن فان كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيوفى من قبل رأسه فيقول الصلاة ما قبل مدخل فيوفى عن يمينه فيقول الزكاة ما قبل مدخل فيوفى عن يساره فيقول

الصيام ما قبل مدخل يومئذ من عند رجليه فيقول فعل الخيرات ما قبل مدخل فيقال له اجلس فيجلس قدمته له الشمس قد دنت للغروب فيقال له اخبرنا عما نالك فيقول دعني حتى أصلي فيقال انك ستفعل فاخبرنا عما نالك فيقول وعم تسألوني فيقال أرايت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه فيقول أمحمد فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حيت وعلى ذلك مت وعليه تبعث ان شاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويؤور له فيه ويفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة (٢٩٥) وسرورا ثم يجعل نسمة في النسم الطيب وهي طير أخضر يعلق مشجور الجنة

• (بسم الله الرحمن الرحيم) •

(سبحان) هو مصدر سماعي لسبح المشددا واسم مصدر يقال سبج يسبح تسبيحا وسبحانا أو مصدر قياسي لسبح المنخف فانه يقال سبج في الماء ومعناه التنزيه والبعد والبراءة لله سبحانه من كل نقص وسوء وعلى كل فهو - لم جنس للتنزيه والتعديس وقال سبيويه العامل فيه فعل لامن للنظرة والتقدير أنزه الله تنزيها فوق سبحان مكان تنزيها فهو وعلى هذا مثل فعد انقرفصاء واشتمل الصماء وقيل هو علم للتسبيح كعثمان للرجل أي أسبح الله سبحان ثم نزل منزلة الفعل وسد مسدده ودل على التسبيح البليغ والتنزيه الكامل ولذا لا يستعمل الا فيه تعالى (الذي أسرى بعبد) الاسراء قيل هو سير الليل يقال سري وأسرى كسقي وأسقي لغتان بمعنى سار في الليل وهما لازمان لكن مصدر الاول الاسراء ومصدر الثاني سري بضم السين كهدي فالهزيمة ليست للتعدي الى المنفعل وانما جاءت التعديته هنا من الباء ومعنى أسرى به صبره ساريا في الليل وقيل هو سير أول الليل خاصة واذا كان الاسراء لا يكون الا في الليل فلا بد للتصريح بذلك الليل بعده من فائدة فقيل اراد بقوله (ليلا) تقليل مدة الاسراء وانه أسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسافة أربعين ليلة ووجه دلالة ليلا على تقليل المدة ما فيه من التذكير الدال على البعوضة بخلاف ما اذا قلت سريت الليل فانه يتمد استيعاب السيرة جميعا وقد استدلل صاحب الكشف على افادة ليلا للبعوضة بقراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي في جز قليل من الليل قيل قدر أربع ساعات وقيل ثلاث وقيل أقل من ذلك والتقليل والتبعيض متقاربان فاستعمل في التبعيض ما هو للتقليل وقال الزجاج معنى الآية سير بعبد يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ليلا وعلى هذا معنى أسرى سير فيكون للتقيد بالليل فائدة وقد أجمع المفسرون والعلماء والمتكلمون على ان المراد بالبعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ليلا وعلى هذا معنى أسرى سير فيكون للتقيد بالليل فائدة وقد أجمع المفسرون والامة في ذلك وقال بعده ولم يقل بنبيه أو برسوله أو بمحمد تشريفا له صلى الله عليه وآله وسلم قال أهل العلم لو كان غير هذا الاسم أشرف منه لسماه الله سبحانه به في هذا المقام العظيم والحالة العلية

أصم اذا نوديت باسمي وانبي • اذا قيل لي يا عبد هال السميع

وبعاد الجسد الى ما بدى من التراب وذلك قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عروذ كرجواب الكافر وعذابه وقال البراء حدثنا سعد بن بحر القراطيسي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال ان المؤمن ينزل به الموت وبعين ما يعاين فيود لو خرجت يعني نفسه والله يحب لقاءه وان المؤمن يصعد بروحه الى السماء فتأتمه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الارض فاذا قال تركت فلانا في الارض أعجبهم ذلك واذا قال ان فلانا قد مات قالوا ما جئ به النساوان المؤمن يجلس في قبره فيسئل من ربه فيقول ربي الله فيقول من نبيك فيقول محمد نبي فيقول ماذا ديت قال ديتي الاسلام فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال انظر الى مجلسك ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة واذا كان عدو الله نزل به الموت وعين ما عاين فانه

لا يجب ان تخرج روحه أبدا والله يغيض لقاءه فاذا جلس في قبره أو جلس فقال له من ربك فيقول لا أدري فيقال لا ديت فيفتح له باب الى جهنم ثم يضرب ضربة تلمع كل دابة الا الثقلين ثم يقال له ثم كذا ينام المنهوش قلت لابي هريرة ما المنهوش قال الذي تنهشه الدواب والحيات ثم يضيق عليه قبره ثم قال لا تعلم رواه الوليد بن مسلم وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن المنثي حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال كانت أسماء يعني بنت السديق رضي الله عنها تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال اذا دخل الانسان مؤمنا حفر به عمله الصلاة والصيام قال فأتته الملائكة من نحو الصلاة فترده ومن نحو الصيام فيرده

قال فيناديه اجلس فيجلس فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال محمد قال اشهد انه رسول الله قال وما يدريك ادر كته قال اشهد انه رسول الله قال يقول على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث وان كان فاجرا او كافرا جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرد فاجلس فيقول له ماذا تقول في هذا الرجل قال اي رجل قال محمد قال يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته قال له الملك على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث قال ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط غرة بجرة مثل عرق البعير تضربه ماشاء الله (٢٩٦) صماء لا تسمع صوته فترجعه وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما

في هذه الآية قال ان المؤمن اذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروا بالجنة فاذا مات مشوا مع جنازته ثم صلوا عليه مع الناس فاذا دفن اجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول ربى الله فيقال له ماشه ادلك فيقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيوسع له في قبره مد بصره وأما الكافر فتنزله عليه الملائكة فيسطلون أيديهم والبسط هو الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت فاذا أدخل قبره أقعد فقتيل له من ربك فلم يرجع اليهم شيئا وأنساه الله كذا ذلك واذا قيل من الرسول الذي بعث اليكم لم يمش له ولم يرجع اليه شيئا كذلك يضل الله الظالمين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأزدي حدثنا شريح بن مسلم حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحق عن عامر بن سعد الجعفي عن أبي قتادة الأنصاري في قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة الآية قال ان المؤمن اذا

(غيره) لا تدعى الا بعبادها * فانه أشرف اسمائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وعن ابن شهاب قال أسرى به الى بيت المقدس قبل خروجه الى المدينة بسنة وعن عروة بن خويلد وقال السدي قبل مهاجره بسنة عشر شهرا (من المسجد الحرام) قال الحسن وقتادة يعني المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن وقال عامة المفسرين أسرى به صلى الله عليه وآله وسلم من دار أم هانئ فحملوا المسجد الحرام على مكة أو الحرم لاحاطة كل واحد منهم ما بالمسجد الحرام أولان الحرم كله مسجد وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بينا أنا بالمسجد الحرام في الحجر وذ كرحديث المعراج بكلمة ومن ابتدائية ثم ذكر سبحانه الغاية التي أسرى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليها فقال (الى المسجد الأقصى) وعوييت المقدس وسمى الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام فهو أبعد بالنسبة الى من بالجواز وفي تاريخ القدس انه سمي به لانه أبعد المساجد التي تزار من المسجد وقيل لبعده عن الآثار والخبائث وقيل لانه لم يكن حينئذ ذروا مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى وأول من بناه آدم بعد أن بنى الكعبة باربعة سنين كما في المواهب فهو أول مسجد بنى في الارض بعد الكعبة وغمام حاله في كتابنا القطة العجولان فماتت الى معرفته حاجة الانسان وكان الاسراء به بيده في القطة وكان قبله في المنام كما أنه رأى فتح مكة سنة ست وتحقق منه سنة ثمان والحكمة في أسرائه الى بيت المقدس دون العروج به من مكة لانه محشر الخلائق فيطوفه بتقديمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدمه أولانه مجمع أرواح الانبياء فاراد الله أن يشرفهم بزيارته صلى الله عليه وآله وسلم وألخص الناس به مناته فيصدقوه في الباقي فانه الكرخي والوجه الاخبار أظهر والله أعلم ثم وصف المسجد الأقصى بقوله (الذي بارز حوله) بركة دنوية وهي ليست الاحول الأقصى وأما في الداخل فالبركة في كل من المسجد دين بل هي في الحرم أتم وهي كثرة الثواب بالعبادة فيها وعبارة الخازن يعني بالثمار والانهار والاشجار وأبوالانبياء والصالحين لانه قبلتهم قبل نبينا الى الله عليه وآله وسلم وسماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى واليه تخشع الخلق يوم القيامة فقد بارك الله سبحانه حول المسجد الأقصى ببركات الدنيا والآخرة قال السدي

مات اجلس في قبره فيقال له من ربك فيقول الله فيقال له من نبيك فيقول محمد بن عبد الله فيقال له ذلك مرات ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلتك في النار لو زغت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى منزلتك (١) لو ثبت ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر الى منزلتك اذ زغت وذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا قال لا اله الا الله وفي الآخرة المسئلة في الفبر وقال قتادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وفي الآخرة في القبر وكذا روى عن غير واحد من السلف (١) ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له الخ ههنا مقط وانظر الرواية اه معجمه

وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتاب نوادر الأصول حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجايباً رأيت رجلاً من أمي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلاً من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه صلواته فاستنقذه من أيديهم ورأيت رجلاً من أمي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً (٢٩٧) منع منه فجاءه صيامه فسداه وأرواه ورأيت رجلاً من أمي والنبيون فعودوا حقاً حلقاً كما دنا

المعنى أنبتنا حوله الشجر وجعل الاسراء اليه كالتوطئة لعرجاه الى السماء ثم ذكر الآية التي أسرى به لاجلها فقال (ليريه من آياتنا) أي ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة من العجايب التي من جلته ما قطع هذه المسافة الطويلة في جزء من الليل ومن تبعيضية وانما أتى بها تعظيماً لآيات الله فان الذي رآه صلى الله عليه وآله وسلم وان كان جليلاً عظيماً فهو بعض بالنسبة الى آيات الله تعالى وعجايب قدرته وجليل حكمته قاله أبو شامة والرواية هنا بصرية وقبل قلبية واليه شأنا بن عطية (الله سبحانه) (هو السميع) بكل مسموع ومن جله ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (البصير) بكل مبصور ومن جله ذلك ذات رسوله وأفعاله قيل في هذه الآية أربعة التناينات وذلك انه التفت أولاً من الغيبة في قوله الذي أسرى به بعده الى التكلم في قوله باركاً حوله ثم التفت ثانياً من التكلم في باركاً الى الغيبة في ليريه على قراءة الحسن بالياء ثم التفت ثالثاً من هذه الغيبة الى التكلم في آياتنا ثم التفت رابعاً من هذا التكلم الى الغيبة في قوله انه هو على الصحيح في الضمير انه الله تعالى وأما على قول نقول له أبو البقاء ان الضمير في انه هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يجي ذلك ويكون في قراءة العامة التفتات واحدة وفي قراءة الحسن ثلاثة وهذا موضع غريب وأكثر ما ورد الالتفات ثلاث مرات على ما قال الزمخشري في قول امرئ القيس تطاول ليلك بالاعتدال آيات وقيل فيها خمس التفتات والخامس الالتفات من قوله انه هو الى التكلم في قوله الاثنى وآتيناه موسى وقد اختلف أهل العلم هل كان الاسراء بجسده صلى الله عليه وآله وسلم أم مع روحه أو بروحه فقط فذهب معظم السلف والخلف الى الاول وذهب الى الثاني طائفة من أهل العلم منهم عائشة ومعاوية والحسن وابن اسحق وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان وذهبت طائفة الى التفصيل فقالوا كان الاسراء بجسده بقنطة الى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واستدلوا على هذا التفصيل بقوله الى المسجد الأقصى فجعله غاية للاسراء بذاته صلى الله عليه وآله وسلم فلما كان الاسراء من بيت المقدس الى السماء وقع بذاته ذكره والذي دلت عليه الاحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب اليه معظم السلف والخلف من الاسراء بجسده وروحه بقنطة الى بيت المقدس ثم الى السموات ولا حاجة الى التأويل وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الاحاديث الى ما يخالف الحقيقة ولا مقتضى لذلك الاجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول الناسبة

والنبيون فعودوا حقاً حلقاً كما دنا
لحلقه طرده فجاءه اغتساله من الجنابة
وأخذ يده فأقعدته الى جنبي ورأيت
رجلاً من أمي بين يديه ظلمة ومن
خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن
شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته
ظلمة وهو متعير فيها فجاءه نجته
وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه
النور ورأيت رجلاً من أمي يكلم
المؤمنين فلا يكلمونه فجاءه صلاته
الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلوه
فكلموه ورأيت رجلاً من أمي
يتقى وهج النار وأشررها يسده عن
وجهه فجاءه صدقة فصارت سقراً
على وجهه وظلال على رأسه ورأيت
رجلاً من أمي قد أخذته الزبانية
من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف
ونهيها عن المنكر فاستنقذه من
أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة
ورأيت رجلاً من أمي جائعاً على
ركبته بينه وبين الله حجاب فجاءه
حسن خلقه فأخذه فادخله على
الله عز وجل ورأيت رجلاً من
أمي قد هوت صحيفته من قبل شماله
فجاءه خوفه من الله فأخذه صحيفته
فجعلها في عينه ورأيت رجلاً من
أمي قائماً على شرجيه فجاءه
وجهه من الله فاستنقذه من ذلك

(٣٨ فتح البيان خامس) ومضى ورأيت رجلاً من أمي هو في النار فجاءه دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلاً من أمي على الصراط يزحف احبانا ويحبوا احبانا فجاءه صلواته على فأخذت يده فقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلاً من أمي انتهى الى باب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءه شهاده بأن لا اله الا الله فتفتحت له الابواب وأدخلته الجنة قال القرطبي بعد ايراد هذا الحديث من هذا الوجه هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمال الخاصة فني من أهوال خاصة وأورده هكذا في كتابه التذكرة وقدرى الحافظ أبو يعلى الموصلي في هذا حديثاً غريباً مطولاً فقال حدثنا أبو عبد الرحمن

أحمد بن إبراهيم المكري حدثنا محمد بن بكر البرساني أبو عثمان حدثنا أبو عاصم الحبطي وكان من أخبار أهل البصرة وكان من أصحاب
 حزم وسلام بن أبي مطيع حدثنا بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن عيم الداري عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل ملك الموت انطلق إلى ولي فأتني به فأتني قد ضربته بالسراة والضراة فوجدته حيث أحب أتني
 به فلا ريمحنه فينطلق إليه ملك الموت ومنعه جسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضباط الریحان أصل
 الریحان واحد وفي رأسهم أعشرون لونا (٢٩٨) لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك

الأذقر فيجلس ملك الموت عند رأسه
 ويحضون بالملائكة ويضع كل ملك
 منهم مامعه على عضوم أعضائه
 ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك
 الأذقر تحت ذقنه وينفتح له باب إلى
 الجنة فإن نفسه لم تعمل عند ذلك
 بطرف الجنة تارة بازواجه ومرة
 بكسوتها ومرة بثمارها كما يعمل
 الصبي أهله إذا بكى قال وإن أزواجه
 ليبتحن عند ذلك ابتهاجا قال وتبرز
 الروح قال البرساني يريد أن يخرج
 من العجل إلى ما يحب قال ويقول
 ملك الموت أخرجي يا أيتها الروح
 الطيبة إلى سدر مخضود وطلح
 منضود وظل مدود وما مسكوب
 قال وملك الموت أشده لطنان
 الولادة لولدها يعرف أن ذلك الروح
 حبيب لربه فهو يلتمس بلطفه تحببا
 لديه رضا للرب عنه فتسل روحه كما
 تسل الشعرة من العجين قال وقال
 الله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة
 طيبين وقال فاما إن كان من
 المقربين فروح وريحان وجنة
 نعيم قال روح من جهة الموت
 وريحان تلتقي به وجنة نعيم مقابلة
 قال فاذا قبض ملك الموت روحه

عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء ولو كان ذلك مجرّد روبا كما يقوله من
 زعم أن الأسراء كان بل روح فقط وأن روبا الأنبياء حق لم يقع التكذيب من الكفرة للنبي
 صلى الله عليه وآله وسلم عند أخباره لهم بذلك حتى ارتد من ارتد عن لم يشرح بالإيمان
 صدرافان الإنسان قد يرى في نومه ما هو مستبعد بل هو محال ولا ينكر ذلك أحد وما
 التمسك لمن قال بأن هذا الأسراء إنما كان بالروح على سبيل الرواية بقوله وما جعلنا الرؤيا
 التي أريناك إلا فتنة للناس فعلى تسليم أن المراد بهذه الرواية هو هذا الأسراء فالتصريح
 الواقع هنا بقوله سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا والتصريح في الأحاديث الصحيحة
 الكثيرة بأنه أسرى به لا يقصر عن الاستدلال به على تأويل هذه الرواية الواقعة في الآية
 برؤية العين فإنه قد يقال لرؤية العين رؤيا وكيف يصح حمل هذا الأسراء على الرؤيا مع
 تصريح الأحاديث الصحيحة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ركب البراق وكيف يصح
 وصف الروح بالركوب وهكذا كيف يصح حمل الأسراء على الرؤيا مع تصريح بحمد صلى الله
 عليه وآله وسلم بأنه كان عند أن أسرى به بين النائم واليقظان فالأولى ما ذهب إليه الجمهور
 إذ لا فضيلة للعالم ولا منزلة للنائم وقد اختلف أيضا في تاريخ الأسراء فروى أن ذلك كان قبل
 الهجرة إلى المدينة بسنة وروى أن الأسراء كان قبل الهجرة بأعوام ووجه ذلك أن
 خديجة صلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين وقبل
 بثلاث وقيل بأربع ولم ترض الصلاة إلا ليلة الأسراء وقد استدلل بهذا ابن عبد البر على
 ذلك وقد اختلفت الرواية عن الزهري وعن قال بأن الأسراء كان قبل الهجرة بسنة
 الزهري في رواية عنه وكذلك الحري فإنه قال أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة
 سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة وقال ابن القاسم في تاريخه كان
 الأسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابن عبد البر لا أعلم أحدا من أهل السير قال بعزل
 هذا وروى عن الزهري أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام وروى عنه أنه قال كان قبل
 مبعثه بخمس سنين وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت توفيت خديجة قبل أن
 ترض الصلاة وأعلم أنه قد أطل كثير من المنسرين كابن كثير والسيوطي وغيرهم في هذا
 الموضوع بذكر الأحاديث الواردة في الأسراء على اختلاف المناظر وما يتعلق بها من
 الأحكام وما قال أهل العلم فيسه وما ظهر بعد العراج من الآيات الدالة على صدقه وليس

قالت الروح الجسد جزا الله عن خير أفعد كنت سر يعا إلى صاعقة الله بطيأ عن معصية الله فقد نجيت
 وأنجيت قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك قال وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله فيها وكل باب من السما يصعد منه عمله
 وينزل منه رزقه أربعين ليلة قال فاذا قبض ملك الموت روحه أقامت الجسمائة من الملائكة عند جسده فلا يقابه بنو آدم لشق
 الألقاب الملائكة قبلهم وغسلته وكنته با كذا أن قبل أكفان بن آدم وحنوط قبل - نوط بن آدم ويقوم من باب يتسه إلى قبره
 صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار فيصيح عند ذلك إبليس صيحة يتصدع منها عظام جسده قال ويقول لجنوده الويل لكم

كيف خلص هذا العبد منكم فيقولون ان هذا كان عبدا معصوما قال فاذا اصعد ملك الموت بروحه يستقبله جبريل في سبعين ألفا من الملائكة كل يأتيه بشارة من ربه سوى بشارة صاحبه قال فاذا انتهى ملك الموت بروحه الى العرش خروا الروح ساجدا قال يقول الله عز وجل الملك الموت انطلق بروح عبدي فضمه في صدره مخضود وطلم منضود ونظلم مدود وماسكوب قال فاذا وضع في قبره جاءته الصلاة فكانت عن يمينه وجاءه الصيام فكان عن يساره وجاءه القرآن فكان عند رأسه وجاءه مشيئة الى الصلاة فكان عند رجليه وجاءه الصبر فكان ناحية القبر قال فبيعت الله عز وجل (٢٩٩) عنه من العذاب قال فيأتيه عن يمينه قال فتقول

الصلاة وراهل والله ما زال دائنا عمره كله وانما اسألت ان حين وضع في قبره قال فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند ربه فيقول مشيئة الى الصلاة مثل ذلك قال ثم يأتيه من عند رجليه فيقول مشيئة الى الصلاة مثل ذلك فلا يأتيه العذاب من ناحية هل يلتمس هل يجد اليه مساعا الا وجدولى الله قد أخذ ناحيته قال فينتقم العذاب عند ذلك فيخرج قال ويقول الصبر اسائر الاعمال اما ان لم ينعني أن أبائس أنا بنسبي الا اني نظرت ما عندكم فان عجزتم كنت أنا صاحبه فاما اذا أخرجتم عنه قال له ذخر عند الصراط والميزان قال ويغت ملكين أيضا وهما كالسارق الخاطف وأصواتهما كالرعد الناصف وأنيابهما كالصامسي وأنفاهما كاللهب يطان في أشعارهما بين منكب كل واحد مسيرة كذا وكذا وقد نزعتم من الرأفة والرحمة يقال له ما منكر ونكير في يد كل واحد منهم مطرقة لواجتمع عليهم اربعة ومضرم يقولوها قال فيقولان له

في ذلك كنية فائدة فهي معروفة في مواضعها من كتب الحديث وهكذا أطا زابد كرفاضايل المسجد الحرام والمسجد الاقصى وهو بحث آخر والمقصود في كتب التنسيير ما يتعلق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز وكأساب التزول وبيان ما يؤخذ منه من المسائل الشرعية وما عد ذلك فهو فضل لا تدعو اليه حاجة (وآتيناموسى الكتاب) أى التوراة قيل والمعنى كرمنا محمدا بالمعراج وأكرمنا موسى بالكتاب قال الشهاب عقب آية الاسراء به انه استطرد اجماع ان موسى أعطي التوراة بسيرة الى الطور وهو منزلة معراج له منع ثمة التكليم وشرف باسم الكليم والواو استنافية أو عاطفة على جملة سبحان الذى أسرى لا على أسرى بعبدته وتكلمه (وجعلناه) أى ذلك الكتاب وقيل موسى (هدى لبني اسرائيل) يهتدون به (أن لا تتخذوا) قرى بالتخمية ولا نافية وان مصدريه ولام التعليل مقدرة وبالوقية ولا نافية وان زائدة والمعنى على الاولى آتيناها الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا وعلى الثانية قلنا لهم لا تتخذوا والاولى ان تكون ان مفسرة لان هدايس من مواضع زيادة بل ذلك في نحو ولما ان جاءت رسلنا (من دونى وكيلا) أى كفيلا بامورهم قاله السراء وروى عنه انه قال كافيًا وقيل معناه متوكلون عليه في امورهم وقيل شريكوا معنى الوكيل في اللغة من توكل اليه الامور (ذرية من جلتنا مع نوح) نصب على الاختصاص وبهذا الرمنشوى والنداء اى يذرية من جلتنا مع نوح كونوا كما كان نوح في العبودية والانتقياد وفي كثرة الشكر لله تعالى بفعله الطاعات ذكرهم سبحانه انعامه عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الفرق وقيل المعنى ولا تتخذوا ذرية من جلتنا مع نوح من دونى وكيلا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة واليبين أربابا والمراد بالذرية هنا جميع من في الارض لانهم من ذرية من كان في الدنيا وقيل موسى وقومه وهذا هو المناسب لقراءة النص على النداء والنصب على الاختصاص والرفع على البدل من فاعل لا تتخذوا وعلى الخبر فانها كلها راجعة الى بنى اسرائيل المذكورين وأما على جعل النص على ان ذرية هي المنعول الاول لقوله لا تتخذوا فالاولى نفس الذرية بجميع من في الارض من بنى آدم أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن زيد الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذرية من جلتنا مع نوح قال ما كان مع نوح الا اربعة اولاد حام وسام ويافث وكوش فذلك اربعة اولاد اتسلوا هذا الخلف (انه) اى ان

اجلس قال فيجلس فيه توى جال قال ويقع كنهه في حذويه قال فيقولان له من ربك وما ذيك ومن نبيك قال قالوا يا رسول الله ومن يطبق الكلام عند ذلك وأنت نصف من الملكين ما نصف قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء قال فيقول ربى الله وحده لا شريك له ودينى الاسلام الذى دانت به الملائكة ونبي محمد خاتم النبيين قال فيقولان له صدقت قال فيدفعان القبر فيوسعان من بين يديه اربعين ذراعا وعن يمينه اربعين ذراعا وعن شماله اربعين ذراعا ومن خلفه اربعين ذراعا ومن عند رأسه اربعين ذراعا ومن عند رجليه اربعين ذراعا قال

يسوعان له مائتي ذراع قال البرساني فاحسبه واربعين دراعا يحاط به قال ثم يقولان له انظر فوقك فاذا باب مفتوح الى الجنة قال يقولان له ولي الله هذا منزلك اذ اطعت الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده انه يصل الى قلبه عند ذلك رحمة لا ترد ابدا ثم يقال له انظر الى تحتك قال فينظر تحتة فاذا باب مفتوح الى النار قال فيقولان ولي الله نجوت آخر ما عليك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترد ابدا قال فتعال عائشة ينفع له سبعة وسبعون بابا الى الجنة يا تيمر يحيا ويردها حتى يعنه الله عز (٣٠٠) وجل وبالا سناد المتقدم الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ويقول الله

على ملك الموت انطلق الى عدوى حتى به فاني قد بسطت له رزقي ويسرت له نعمتي فاني الامم صيتي فأتني به لا تقم قال فانطلق اليه ملك الموت في أكره صورة رآها أحسن من الناس فطاله اثنا عشر عينا وبعده سدود من النار كثير الشول وبعده خمسمائة من الملائكة معهم نخماس وحرمن جرحهم وبعدهم سياط من نار انهم ابين السباط وهي نار تاج قال فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق وطفق قال ثم بلو به لياشديد اقال فيزع روحه من أطراف قدميه قال فيلقيا في ركبتيه ثم يكسر عند ذلك عدو الله سكرة فيرقعه ملك الموت عنه قال واضرب الملائكة وجهه ودبره بالسباط قال ثم يكسر ملك الموت نثرة فيزع روحه من عقبه فيلقيا في ركبتيه فيلقيا في حقويه قال فيكسر عدو الله عند ذلك سكرة فيرقعه ملك الموت عنه قال وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السباط قال كذلك الى صدره ثم كذلك الى خلفه قال ثم تبسط الملائكة ذلك

نوحا (كان عبدا شكورا) وصنه الله بكثرة الشكر في السر والضر والعلانية كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد وجعله كاله لما قبله ايدانا يكون الشكر من أعظم أسباب الخير ومن أفضل الطاعات وحال الذيته على شكر الله سبحانه (وتبيننا) اي أعلنا وأخبرنا قاله ابن عباس أو حكمه أو أتممنا وأصل القضاء الاحكام للشيء والفراغ منه وقيل أو حينما ويدل عليه قوله (الى بنى اسرائيل) ولو كان بمعنى الاعلام والاخبار لقال قضينا بنى اسرائيل ولو كان بمعنى حكمنا لقال على بنى اسرائيل ولو كان بمعنى أتممنا لقال لبنى اسرائيل (في الكتاب) أي التوراة ويكون انزالها على نبيهم موسى كازلها عليهم لكونهم قومه وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لتفسدن) اي والله لتفسدن (في الارض) قرئ بنسخ التوقية ومعناها قريب من معنى قراءة الجمهور لانهم اذا أفسدوا أفسدوا في نفوسهم والمراد بالفساد مخالفة ما شرعه الله لهم في التوراة والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس وقيل أرض مصر واللام جواب قسم محذوف قال النبي ابوري أو أجرى القضاء الميتوت مجرى القسم كانه فيل وأقسمنا لتفسدن (مرتين) ثنية مرة وهي الواحدة من المرأى المروعة على حدونه لمرارة بكلمة وفي القاسوس مرمر او مرورا جزو ذهب كاستمر ومرمره به جاز عليه والمرارة الفعلة الواحدة والجمع مر بالضم ومرار بالكسر ومرر كعذب ولتبه ذات مرة لا يستعمل الا ظرفا وذات المرار أي مرارا كثيرة وجنته مرار ومرين أي مرة أو مرتين انتهى والمرارة الاولى قتل شعيا وجس أرميا ومخالفة أحكام التوراة والثانية قتل يحيى بن زكريا وانعزم على قتل عيسى وقيل الاولى قتل زكريا والثانية قتل يحيى وذكر ابن ابي حنيفة ان بعض العلماء أخبره ان زكريا مات موتا ولم يقتل قال ابن مسعود أول الفداء قتل زكريا بعث الله عليهم ملك النبط ثم ان بنى اسرائيل تجهزوا وافتروا النبط فاصابوا منهم فذلك قوله ثم ردنا لكم الكفرة عليهم وعن ابن عباس قال بعث الله في الاولى جالوت وبعث عليهم في المرة الاخرى بجحش نصر فعادوا فاط الله عليهم المؤمنين (ولتعلن علوا كبيرا) هذه اللام كاللام التي قبلها أي لتستكبرن عن اطاعة الله ولتعلن عل الناس بالظلم والبغي مجاوزين للحد ذلك وتبغون بغيا عظيما (فذا جاء وعد) أي وقت وعد (أوليهم) أولى المرتين المذكورتين والمراد بالوعد الوعد والمراد بالوعيد المتوعدة أي حان وقت حلول العقاب الموعودة

التي اس وجرحهم تحت ذقنه قال ويقول ملك الموت اخرج أيها الروح للعينة الملعونة الى سموم وجحيم وظل (بعثنا) من سموم لا بارد ولا كريم قال فاذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للبدن جزا الله عنى شر افقدت سر بعاني الى معصية الله بطياني عن طاعة الله فقد هلك وأهلك قال ويقول الجسد للروح مثل ذلك وتلعنه بقاع الارض التي كان يعصى الله عليها وتنطق جنودا ليس اليه فيبشرونه بانهم قد أوردوا عبدان ولد آدم النار قال فاذا وضع في قبره ضيق عليه قبره حتى يختلف أضلاعه حتى تدخل العيني في اليسرى واليسرى في اليمنى قال ويبعث الله اليه أطعمي دهما كاعناق البخت يأخذون باذنيه وابها حتى قدميه

فيقرضونه حتى يلتقي في وسطه قال ويعث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنسابهما كالصياح وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما ما بين منكبى كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعتهما الرأفة والرحمة يقال لهما منكرونيك في يد كل واحد منهما مطرقة لواجتمع عليهما بيعة ومضرم يقلوها قال فيقولان له اجلس فيستوى جالسا قال وتقع كفافه في حقويه قال فيقولان له من ربك وما يدريك فيقول لا أدري فيقولان لا دريت ولا تهليت فيضربانه ضربة ينطير شرارها في قبره ثم يعودان قال فيقولان انظر فوقك (٣٠١) فينظر فإذا باب مفتوح فيقولان والله منزلك

لواطعت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا قال ويقولان له انظر تحتك فينظر تحتها فإذا باب مفتوح الى النار فيقولان عدوا لله هذا منزلك اذ عصيت الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا قال وقالت عائشة وفتح له سبعة وسبعون بابا الى النار يا تبه حرها وسومها حتى يعنه الله اليها هذا حديث غريب جدا وسباق عجيب ويريد الرقاشي راويه عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف الرواية عند الأئمة والله أعلم ولهذا قال ابو داود حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن جبير عن هاني مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا للاخيةكم واسألوا الله التثبيت فانه الا تيسئل تدرى ابو داود وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه

(بعثنا عليكم عبدنا أولي بأس شديد) أي قوة في الحروب وبطش عند اللقاء قبل هو بختنصر وجموده وقيل جالوت وقيل جند من فارس وقيل جند من بابل وقيل هو شجاريب من أهل نينوى فقتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا (فخاسوا خلل الديار) أي نوا وترددوا يقال جاسوا وهاجسوا وهاجسوا بمعنى ذكره ابن عزيز والقتبي قال الزجاج معناه طافوا هل بقي أحد لم يقتلوه قال والجوس طلب الشيء باستقصاء قال الجوهري الجوس مصدر قولك جاسوا خلل الديار أي تخللوها كما يجوس الرجل للخبر أي يطلوها وكذا قال أبو عبيدة وقال ابن جرير معنى جاسوا طافوا بين الديار يطلونها ويتلونها ذاهبين ورجائين وقال الفراء معناه قتلوهم بين يوتهم وقال قطرب معناه نزلوا وقرأ ابن عباس فحاسوا بالحاء المهملة قال أبو زيد الجوس والجوس والعوس والهوس الطوف بالليل وقيل الطوف بالليل هو الجوسان محركا كذا قال أبو عبيدة وقال ابن عباس جاسوا مشوا ومعنى خلل الديار وسط الديار فهو على هذا اسم مفرد بمعنى الوسط وبؤيده قراءة الحسن خلل الديار والثاني جمع خلل ينتهين كجمل وجبال وجل وجبال قاله السمين (وكان) ذلك (وعدا مفعولا) أي كانوا لا محالة لازما لخلف فيه (ثم ردنا لكم الكثرة) أي الدولة والغلبة والرجعة (عليهم) وذلك عند قتلهم قيل وذلك حين قتل داود جالوت وقيل حين قتل بختنصر ووضع ردنا موضع نزلنا لم يتبع وقت الاخبار لكن لتحقيقه عبر بالمعنى والكثرة في الاصل مصدر كركب كركب أي رجع ثم يعبر بها عن الدولة والقهر (وأمدناكم بأموال وبني) بعد نهب أموالكم وسبي أنباكم حتى عادكم أمركم كما كان (وجعلناكم أكثر نفيرا) قال أبو عبيدة النفير العتد من الرجال فالمعنى أكثر رجلا من عدوكم والنفير من يتفرع الرجل من عشيرته يقال نفير ونافر مثل قدير وفادرو ويجوز أن يكون النفير جمع نفر وهم انجتمعون للذهاب الى العدو (ان أحسنتم) أفعالكم وأقوالكم على الوجه المطلوب منكم (أحسنتم لأنفسكم) لأن ثواب ذلك عندكم (وان أسأتم) أعمالكم فأرغموها على الوجه المطلوب منكم (فلها) أي فعلها أسأتمها وانما عبر بالاسئلة فله الكرماني قال ابن جرير اللام بمعنى الى أي قال لها ترجع الاساءة كقوله تعالى بأن ربك أوحى لها أي اليها وقبل المعنى فلها الجزاء والعقاب وقال

عند قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسماهم أيديهم الآية حديثا مطولا لاجد من طرق غريبة عن الضعفاء عن ابن عباس مرثعا وفيه غرائب أيضا (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليبتلوا عن سبيله قل تتعوا فان مصيركم الى النار) قال البخاري قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ألم تعلم كقوله ألم تر كيف ألم تر الى الذين خرجوا من البوار الى النار بارئون بورا قوم ابورا هالكين حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء مع ابن عباس ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار أهل مكة وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو

جبله بن الاعمى والذين اتبعوه من العرب فلهتوا بالروم والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الاول وان كان المعنى بعم
جميع الكفار فان الله تعالى بعث محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ونعمة للناس فمن قبلها اوقام بشكر ما دخل الجنة ومن ردها
وكفرها دخل النار وقد روى عن علي بن ابي طالب قول ابن عباس الاول وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا شعبة عن
القاسم بن ابي بزة عن ابي الطفيل ان ابن الكواسال عليا عن الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار
قريش يوم بدر حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا (٣٠٢) يعلى بن عبيد حدثنا بسام هو الصيرفي عن ابي الطفيل قال جاء رجل الى

الحسين بن الفضل فلما رآه بغضه لاساءة وقال الكرخي أجرى اللام على باهم فقال ابو
البقاء وهو الصحيح لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزء عمله حسنه وسينه انتهي
وهذا الخطاب قيل هو لبني اسرائيل الملائكة لما ذكر في هذه الآيات وقيل لبني اسرائيل
الكنانيين في زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه اعلامهم ما حل بسلفهم فليرقبوا
مثل ذلك وقيل هو خطاب لمشركي قريش (فذا جاء وعد الآخرة) أي حضروا وقت
ما وعدوا من عقوبة المرة الآخرة والمرة الآخرة هي قتلهم يحيى بن زكريا كما سبق وقصة قتله
مستوفاة في الانجيل واسمه فيه يوحنا قتله ملك من ملوكهم بسبب امرأة حلت على قتله
واسم الملك لاخت قاله ابن قتيبة وقال ابن جرير هيردوس فسلط عليهم الفرس والروم
فسبواهم وقتلواهم وقيل هو قصدهم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعهم اليه وجواب اذا
محدوف لدلالة جواب اذا الاولى تقديره بعثناهم (ليسوا وجوهكم) أي ليقبلوا بكم
ما يسو وجوهكم حتى تظهر عليكم آثار المساءة وتبين في وجوهكم الكآبة وقيل المراد
بالوجوه السادة منهم وقرئ ليسوا بالنون على ان الضمير لله سبحانه وقرئ ليسوا بنون
التأكيد وقرئ ليسوا بالتخية وافراد الضمير لله أولوعد وقرئ ليسوا على ان الساعل
عبادنا وفي عود الواو على العباد نوع استخدام اذا المراد بهم أولا جالوت وجنوده والمراد
بهم في ضمن الضمير مختصر وجنوده (وايدخلوا المسجد) أي بيت المقدس ونواحيه
فخربوها (كادخلوا أول مرة) أي وقت افسادهم الاول (وايتبروا) أي يد مروا وليمسكوا
قانه ابن عباس وقال قطرب يهدم وقال الزجاج كل شيء كسرته وقتلته فهدمته
(ما علوا) ما غلبوا عليه من بلادكم ومدة علوهم (تقيرا) أي تدمير اذ كرم المصدر ازالة
للسكن وتحقيقا للغير (عسى ربكم) أي اسرائيل (ان يرحمكم) بعد انتقامه منكم في المرة
الثانية فيرد دولة اليكم قال الفخار كانت الرحمة التي وعدهم بهت محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم (وان عدتم) الى المعصية ثالثا (عدنا) الى عقوبتكم قال اهل السير ثم انهم
عادوا الى ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتان ما ورد من نعمته في
النوراة والانجيل فاد الله الى عقوبتهم على أيدي العرب فجري على بني قريظة والنضير
وبني قينقاع وخيبر ما جرى من القتل والسبي والاجلاء وضرب الجزية على من بقي منهم

على فقال يا أمير المؤمنين من الذين
بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
دار البوار قال منافق قريش وقال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم
نقيل قال قرأت على معقل عن ابن ابي
حسين قال قام علي بن ابي طالب رضى
الله عنه فقال لأحد بني أئني عن
القرآن فوالله لو علم اليوم أحد أعلم
بديني وان كان من وراء البحار لاتبته
فنام عبد الله بن الكواسال من الذين
بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم
دار البوار قال مشركو قريش أنهم
نعم الله الايمان فبدلوا نعمة الله كفرا
احلوا قومهم دار البوار وقال السدي
قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا الآية ذكره مسلم المستوفى عن
علي أنه قال هم الاخران من قريش
بنو أمية وبنو المغيرة فاما بنو المغيرة
فاحلوا قومهم دار البوار يوم بدر وأما
بنو أمية فاحلوا قومهم دار البوار
يوم أحد وكان أبو جهل يوم بدر وأبو
سفیان يوم أحد وأما دار البوار
لهي جهنم وقال ابن ابي حاتم رحمه
الله حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحرث
ابو منصور عن اسرائيل عن أبي
صحق عن عمرو بن مرة قال سمعت

لما قرأ هذه الآية وأحلوا قومهم دار البوار قال هم الاخران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فاما بنو المغيرة وضرب
أهل كوا يوم بدر وأما بنو أمية فقتلوا الى حين ورواه أبو صحق عن عمرو بن مرة عن علي بن خنوة وروى من غير وجه عنه وقال سفیان
لشورى عن علي بن زبد عن يوسف بن سعد عن عمرو بن الخطاب في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم الاخران من
ريش بنو المغيرة وبنو أمية فاما بنو المغيرة فكفروا يوم بدر وأما بنو أمية فقتلوا الى حين وكذا رواه حمزة الزيات عن عمرو بن مرة
ال قال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قال هم

الاجران من قريش أخوالى وأعمامك فاما أخوالى فاستأصلهم الله يوم بدر وأما أعمامك فاملى الله لهم الى حين وقال مجاهد وسعيد ابن جبير والضحاك وتادة وابن زيدهم كفار قريش الذى قتلوا يوم بدر وكذا رواه مالك في تفسيره عن نافع عن ابن عمر وقوله وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله أى جعلوا له شركاء عبودهم معه ودعوا الناس الى ذلك ثم قال تعالى مهذبهم ومتوعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قل تتعوا فان مصيركم الى النار أى مهما قدرتم عليه في الدنيا فانه لولا انهم ما يكن من شئ فان مصيركم الى النار أى مرجعكم وموتكم اليها كما قال تعالى تتعهم قليلا ثم نظروهم (٣٠٣) الى عذاب غليظ وقال تعالى متاع في الدنيا ثم ينامر جمعهم ثم يذيقهم العذاب

الشديد كما كانوا يكفرون (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا يبيع فيه ولا خلا) يقول تعالى أمر اعباده بطاعته والقيام بحقه والاحسان الى خلقه بان يقيموا الصلاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وان ينفقوا مما رزقهم الله باء الزكوات والنفقة على القرابات والاحسان الى الاجانب والمراد بان قامتها هو الحافظة على وقتها وحدها وركوعها وخشوعها وسجودها وأمر تعالى بالانفاق مما رزق في السراى في الخفية والعلانية وهى الجهر واليسار والى ذلك خلاص أنفسهم من قبل أن يأتى يوم وهو يوم القيامة لا يبيع فيه ولا خلاى أى ولا يقبل من أحد فدية بان تباع نفسه كما قال تعالى فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وقوله ولا خلا قال ابن جرير يقول ليس هناك محالة خليل فيمنع عن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالفة بل

وضرب الذلة والمسكنة وقال قتادة نعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فهم يعطون الجزية عن يديهم صاغرون وقد اختلفت الروايات في تعيين الواقع منهم في المرتبة وفي تعيين من سلطه الله عليهم وفي كيفية الانتقام منهم ولا يتعلق بذلك كثير فائدة (وجعلنا جهنم للكافرين) منهم ومن غيرهم (حصيرا) أى سجن ومحبسا جعل الله مأواهم فيها قاله ابن عباس والحصير هو المحبس فهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول والمعنى انهم محبوسون في جهنم لا يتخلصون عنها أبدا قال الجوهري حصيره حصيره حصيراه حصيراه أى عليه وأحاط بهو يقال للسجن محصور وحصير وقيل فراسا ومهادا قاله الحسن وأراد على هذا بالحصير الحصير الذى يفرسه الناس (ان هذا القرآن يهدى) الناس (الى) أى للطريقة التى (هى أقوم) وأصوب من غيرها من الطرق وهى ملة الاسلام وقال الزجاج للعال التى هى أقوم الحالات وهى توحيد الله والايان برسوله وكذا قال الزراء وقيل للكلمة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله فبعثهم بمصير هدايته وهم المؤمنون وبعضهم لا وهم الكافرون (و يبشر المؤمنين) بما اشغل عليه من الوعد بالخير آجلا وعاجلا (لدين يعملون الصالحات) التى أرشد الى عملها القرآن (أن لهم) أى بان لهم (أجرا كبيرا) وهو الجنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحكامها المبينة في القرآن (أعذنا لهم عذابا أليما) وهو عذاب النار فلا يكون ذلك دخلا في حيز البشارة وعليه جرى السناقى والبضاوى والسيوطى والجملة عطف على جملة يبشر بتقدير يخبر وقيل عطف على قوله ان لهم أجرا كبيرا ويراد بالتبني مطلق الاخبار سواء كان بخيرا أو شرا أو معناه الختفى ويكون الكلام مشتقلا على تبشير المؤمنين ببشارتين الاولى ما لهم من الثواب والثانية ما لا عدائهم من العقاب ولا شك ان ما يصيب عدوهم سرور لهم (ويذع) القياس ان تثبت وايدع لانه مرفوع الاندما وبسقوطها النفاذ جمة مع الساكنين سقطت في الخط أيضا على خلاف القياس وتغيره سندع الزبانية (لأنسان بالشرا) المراد بالانسان هو الجنس لونه وهذا الدعاء من بعض افراد دعاء لرجل على نفسه وماله وولده عند الضجرب لا يجب ان يستجاب له نحو اللهم اهلك اللهم امه ونحو ذلك (دعاء بالخير) أى مثل دعائه له بالخير نفسه ولا اله كطلب العافية والرزق ونحوه ما فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشرا لهلك لكنه لم يستجب بفضل نفسه ورحمة ومثل ذلك

هناك العدل والقسط والخلل معد من قول القائل خالت فلانا فانا خاله محالة وخرالا ومنه قول امرئ القيس

سرفت الهوى عنهن من خيبة الردا • ولست بمثل للخلل ولا فى

وقال قتادة ان الله قد علم ان في الدنيا يبيعوا وخرالا لا يتخلون بها في الدنيا فينظر الرجل من يخلل وعلام يصاب بان كان لله فليدوم وان كان لغير الله فسيقطع عنه قلت والمراد من هـ ذاك انه يخبر تعالى انه لا يتبع أحد بايع ولا فدية ولو افتدى بملأ الارض ذهب الو وبعده ولا تنفع صداقه أحد ولا شفاعه أحد اذ الى الله كافر اقال الله تعالى وان تقوا يوما ما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها

يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه فيقول الله تعالى لا تصغر نعمة أحسبها قال في ديوان النعم خذني ثمنك من عملك الصالح فتستوعب عملك الصالح كله ثم تعصى وتنول وعزتك ما استوفيت وتفي الذنوب والنعم فإذا أراد الله أن يرجعه قال يا عبدى قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت لك عن سيئاتك أحسبها قال ووهبت لك نعمى غريب وسند ضعيف وقد روى في الأثر أن داود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة مننك على فقال الله تعالى الآن شكرتني يا داود حين اعترفت بالثقة بربك عن أدائك (٣٠٥) شكر النعم وقال الامام الشافعي رحمه الله الحمد لله

الذي لا نؤدى شكر نعمة من نعمه
الانعمه بانه توجب على مؤديها
نعمة وبإدائها نعمة حادثة توجب
عليه شكره بها وقال القائل في ذلك
لو كل جراحة منى لها لغة

تثنى عليك بما أوديت من حسن
لكان ما زاد شكركى أذكركت به

اليدك أبلغ في الاحسان والممن

(واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا

البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد

الاصنام رب انهم أضلن كثير امن

الناس فمن تبعني فانه منى ومن عصاني

فانك غفور رحيم) يذكر تعالى في هذا

المقام محبة على مشركى العرب بان

البلد الحرام مكة انما وضعت أول

ما وضعت على عبادة الله وحده

لا شريك له وان ابراهيم الذى كانت

عامرة بسببه أهله تبرأ من عبادة غير

الله وانه دعا مكة بالامن وقال رب

اجعل هذا البلد آمنا وقد استجاب

الله له فقال تعالى أولم يروا أنا جعلنا

حرمنا آمنا الآية وقال تعالى ان أول

بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك

وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام

ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال

في هذه القصة رب اجعل هذا

فالسواد الذى رأيت هو الخو وعن ابن عباس مرفوعا نحو بطول منه أخرجه ابن
مردويه قال السبيوطى واسنادهواه (وجعلنا آية النهار مبصرة) أى بصرفها قال
المكسائى وغيره هو من قول العرب أبصر النهار اذا صار بحاله يصبر بها وأشار بهذا الى ان
في الكلام مجازا عقلا ان النهار لا يصبر بل يصبر فيه فهو من اسناد الحدث الى زمانه وقيل
مبصرة للناس من قولهم لم أبصره فبصره فالاول وصفها بحال أهلها والثاني وصفها
بحال نفسها وازداده الى آية النهار بيانية أى فمعونا الآية التى هى النهار مبصرة كقولهم
نفس النبى وذاته وقيل آية النهار الشمس كما ان آية الليل القمر فعنى وجعلنا آية النهار
مبصرة أى جعلنا شمس النهار ضيئة تبصر بها الاشياء رؤية بينة (لتبغوا فضلا من ربكم)
أى لتوصلوا بياض النهار الى التصرف في وجوه المعاش والمعنى جعلناها لتبغوا وتطلبوا
فضلا أى رزقا فاذا غالب تحصيل الارزاق وقضاء الحوائج يكون بانهار اوله يذكر هذا السكون
في الليل اكتماء بما قاله في موضع آخر وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ثم ذكر مصلحة اخرى في ذلك الجعل فقال (ولتعلموا عدد السنين والحساب) وهذا متعلق
بالفعلين جميعا أعنى محونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا الخ لا بأحد هما فقط
كلاول اذ لا يكون علم عدد السنين والحساب الا بالاختلاف الجديدين معرفة الايام
والشم وروا السنين والشرق بين العدد والحساب ان العدد احصاء ماله كية بتكرير أمثاله من
غير أن يتحصل منه شئ والحساب احصاء ماله كية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة
معينة منها حدم معين منه له اسم خاص فالسنة مثلا ان وقع النظر اليها من حيث عدد
ايامها فذلك هو العدد وان وقع النظر اليها من حيث تحققاتها وفحصها من عدة أشهر قد
تحصل كل شهر من عدة أيام قد تحصل كل يوم من عدة ساعات قد تحتل كل ساعة من
عدة دقائق فذلك هو الحساب ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراس
المكتسبين والتجار وتعطلت الامور ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج واليوم
والليلة ولا وقت الزراعة ولا وقت حلول الديون المؤجلة وقال الكرخى لا تكرار اذ
العدد موضوع الحساب (وكل شئ فصلناه تفصيلا) أى كل ما تفتقرون اليه فى أمر
دينكم وديناكم يبينه ببيانا وانما الابله يس فهو كقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ
وقوله ونزانا عليك الكتاب قبيانا لكل شئ وانما ذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيدهم

(٣٩ فتح البيان خامس) البلد آمنا فعرفه لانه دعا به بعد بنائها ولهذا قال الحمد لله الذى وهب لى على العكبر اسمعيل

واسحق ومعلوم ان اسمعيل أكبر من اسحق بثلاث عشرة سنة فأما حين ذهب باسمعيل وأمه وهو رضيع الى مكان مكة فانه دعا

أيضا فقال رب اجعل هذا بلدا آمنا كما ذكرناه هناك في سورة البقرة مستقصى مطلقا وقوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ينهى

لكل داع أن يدعوا نفسه ولوالديه ولذريته ثم ذكر انه افترق بالاصنام خلافت من الناس وانه تبرأ من عبدها ورد أمرهم الى الله

ان شاء عذبهم وان شاء عافهم ثم كقول عيسى عليه السلام ان نعذبهم فأنه عبدنا وان نعفلهم فأنك انت العزيز الحكيم

ليس فيه أكثر من الرد إلى المشيئة لا تجوز وقوع ذلك قال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن بكر بن سواد حدثه عن
 بسد الرحمن بن جرير عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم عليه السلام رب أنهن أمهات كثير من
 الناس الآية وقول عيسى عليه السلام أن تعذبهم فانهم عبادك الآية ثم قال اللهم أمي اللهم أمي وبكى فقال
 لله اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما يكيد فأنا جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فقال الله اذهب
 لي محمد فقل له أنا سرضيك في أمك ولا (٣٠٦) نسوك (ربنا أنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم

الكلام ونقرر به فكأنه قال فصلناه حقاً على الوجه الذي لا مزيد عليه وعند ذلك تنزاح
 العمل وتزول الأعذار ليلك من هلك عن بينة ولهذا قال (وكل إنسان أزمانه طائر في
 عنقه) قال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ ويقال له البخت فالطائر ما وقع للشخص في
 الأزل بما هو نصيبه من العقل والفهم والعمل والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كان
 طائر يطير إليه من وكزالأزل وظلمات عالم الغيب طيراً نالاً لنهاية له ولا غاية إلى أن انتهى
 إلى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وقال الأزهري الأصل في هذا
 أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علم منهم أجعين
 وقضى بسعادة من علمه مطيعاً وشقاوة من علمه عاصياً فطار لكل منهم ما هو صائر إليه عند
 خلقه وأنشأه وذلك قوله وكل إنسان أزمانه طائر في عنقه أي ما طار له في علم الله وقيل
 إن العرب كانوا إذا أرادوا الأقدام على عمل من الأعمال وأرادوا أن يعرفوا أن ذلك العمل
 يسوقهم إلى خير أو شر اعتبروا أحوال الطير فلما كثرت ذلك منهم سموا أنفس الخير والشر
 بالطائر نسبة إلى شيء يأسرهم لازمه وفي عنقه عبارة عن شدة اللزوم وكال الارتباط قال الزجاج
 ذكر العنق عبارة عن اللزوم كالزوم القلادة العنق من بين ما يلبس قال مجاهد ما من مولود
 يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد أخرج أحمد وعبد بن جبر وابن جرير
 بسند حسن عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول طائر كل إنسان
 في عنقه وقال ابن عباس طائر سعادته وشقاوته وما قدر الله له وعليه فهو لازمه أي بما كان
 وعن أنس قال طائر كآبة فالطائر له نفس سيران الأول العمل وما قدر له والثاني الكتاب
 الحقيقي (وتخرج) بنون التعظيم (له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) وقرئ يخرج بالتصنية
 وبالراء المنهومة على معنى ويخرج له الطائر فيصير كتاباً وقرئ يخرج والفاعل هو الله
 سبحانه وقرئ على البناء للمفعول أي يخرج له الطائر كتاباً والمعنى مكتوب بأفئده أعماله
 لا يعاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال الحسن بسطت لك صحيفة وكل بك ملكان
 فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك
 فيحفظ عليك سيئاتك حتى إذا امت طويت صحيفة وجعلت معك في قبرك حتى تخرج
 لك يوم القيامة وإنما قال سبحانه يلقاه منشوراً تجميعاً للبشرى بالحسنة والتوبيخ على
 السيئة قال ابن عباس هو عمه الذي أحصى عليه ما أخرج له يوم القيامة ما كتب له من

بنايته ووالصلاة فاجعل أفئدة
 من الناس تهوى إليهم وارزقهم من
 ثمرات لعلمهم يشكرون وهذا يدل
 على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول
 لذى دعا به عند ما ولى عن هاجر
 رولها وذلك قبل بناء البيت وهذا
 كان بعد بناءه تأكيداً ورغبة إلى الله
 عز وجل ولهذا قال عند بيتك المحرم
 بقوله ربنا ليتيموا الصلاة قال ابن
 جرير هو متعلق بقوله انحرم أي
 غاصبته محرماً لئلا يتمكن أهل من
 إقامة الصلاة عنده فاجعل أفئدة
 من الناس تهوى إليهم قال ابن
 عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وغيره
 وقال أفئدة الناس لازدحام عليه
 فارس والروم واليهود والنصارى
 والناس كافة ثم ولكن قال من
 الناس فاختص به المسلمون وقوله
 وارزقهم من الثمرات أي ليكون
 ذلك عوناً لهم على طاعتك وبكأنه واد
 غير ذي زرع فاجعل لهم غمراً
 يأكلونها وقد استجاب الله ذلك كما
 قال أولم تمكن لهم حرماً آمناً يجي
 إليه غمرات كل شيء رزقاً من لدنا
 هذا من لطفه تعالى وكرمه وبرحمته
 وبركته أنه ليس في البلد الحرام مكة

شجرة مثمرة وهي تجي إليهم ثمرات ما حولها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن العمل
 وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسعيل واسحة إن ربى لسميع الدعاء رب اجعلني
 مقبلاً للصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) قال ابن جرير يدل تعالى مخبراً عن
 إبراهيم خليله أنه قال ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن أي أنت تعلم قصدي في دعائي وما أردت بدعائي لأهل هذا البلد وإنما هو القصد
 إلى رضائك والاختصاص لك فأنك تعلم الأشياء كلها ظاهراً وباطناً لا يخفى عليك منها شيء في الأرض ولا في السماء ثم حمده عز وجل

على ما رزقه من الولد بعد الكبر فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسما عيلا واسحق ان ربي اسمع الدعاء أي انه يستجيب لمن
دعاه وقد استجاب لي فيما سألته من الولد ثم قال رب اجعلني مقيم الصلاة أي محافظا عليها مقيما الحدودها ومن ذريتي أي واجعلهم
كذلك مقيمين لها ربنا وتقبل دعاء أي فيما سألتك فيه كله ربنا اغفر لي ولوالدي قرأ بعضهم ولوالدي بالافراد وكان هذا قبل ان يتبرأ من
أمي لم تنزل عداوته لله عز وجل وللمؤمنين أي كلهم يوم يقوم الحساب أي يوم تحاسب عبادك فتجازيهم بأعمالهم ان خيرا خيرا
وان شرا شرا (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم (٣٠٧) ليوم تشخص فيه الابصار مهبط عين مقنعي رؤسهم

لا يرتد اليهم طرفهم وأنت سدتمهم
هواء) يقول تعالى ولا تحسبن الله
يا محمدا غافلا عما يعمل الظالمون أي
لا تحسبنه اذا أنظرهم وأجلهم
انه غافل عنهم سيمهلهم لاي عاقبتهم
على صنعهم بل هو يحصى ذلك عليهم
ويعده عليهم عدا التايؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار أي من
شدة الاهوال يوم القيامة ثم ذكر
تعالى كيفية قيامهم من قبورهم
وعجلتهم الى قيام الخشعر فقال
مهطعين أي مسرعين كقوله
مهطعين الى الداع الآتية وقال
تعالى يومئذ يتبعون الداعي لا عوج
له الى قوله وعنت الوجوه للحي
القيوم وقال تعالى يوم يخرجون من
الاجداث سراعا الآتية وقوله
مقنعي رؤسهم قال ابن عباس
ومجاهد وغيروا حدرا في رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم أي ابصارهم
طائرة شاحسة مدعون النظر
لا يطفون لحظة لكثرة ما هم فيه
من الهول والذكر والخافة لما
يجعلهم عياذ بالله العظيم من ذلك
ولهذا قال وأفندتهم هواء أي
ونلويهم خالية ليس فيها شيء لكثرة

العمل فقرأ منشورا والمعنى يلقي الانسان أو يلقي الانسان (اقرأ كتابك) أي يقال له أو
قائلين له اقرأ قيل يقرأ في ذلك اليوم الكتاب من كان قارئاً ومن لم يكن قارئاً قاله قتادة (كفى
بنفسك) أي بشخصك (اليوم عليكم حسيباً) أي حاسباً وكافياً والحسب بمعنى الحساب
كالتسريح والجلبس والخليط قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حبيب نفسك
(من اهتمدى فانما يهتدى لنفسه) بين سبحانه ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده يختصان
بفعله لا يتعديان منه الى غيره فمن اهتمدى بفعله ما أمره الله به وترك ما نهاه الله عنه
وعمل بما في انصاعه من الاحكام فانما تعود منه ذلك الى نفسه لا تتخطاه الى غيره من لم
يهتد (ومن ضل) عن طريق الحق فلم يفعل ما أمر به ولم يترك ما نهى عنه (فانما يصل
عليها) أي فان وبال ضلاله واقع على نفسه لا يجاوزها فكل أحد محاسب عن نفسه مجزى
بطاعته ومعاقب بعصيته وهذا حاصل ما تقدم من بيان كون القرآن هادياً لا قوم الطريق
ولزوم الاعمال اصحابها كما هذا الكلام بالبلغ تأكيده فقال (ولا تزر وازرة وزر اخرى)
الوزر الاتم يقال وزر وزرا وزرة أي انما والجمع أوزار والوزر الثقل ومنه يحملون
أوزارهم على ظهورهم أي أنثال ذنوبهم ومعنى الآية لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس
أخرى حتى تخلص الاخرى عن وزرها وتؤخذ به الاولى وقد تقدم مثل هذا في الانعام
قال الزجاج في تفسير هذه الآية ان الاتم والمذنب لا يؤخذ بذنب غيره وهذا تحقيق معنى
قوله وكل انسان الزمان طأثره في عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشنع شناعة حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشنع شناعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم
كل يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حل الغدير وزر الغير وانما
بحسنة وتضرره بسنيته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسنيته فان جزاء
الحسنة والسنة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشنع جزاء
شفاعته لاجزاء أصل الحسنة والسنة وكذلك جزاء الضلال مقصور عن الضالين وما
يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال وانما يخص التأكيده بالجملة الثانية قطع الاطماع
الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالشناعة على أسلافهم
الذين قلدوهم أخرج ابن عبد البر في التمهيد عن عائشة قالت سألت خديجة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين فقال هم من آباءهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله

الوجل والخوف ولهذا قال قتادة وجماعة ان امكنة أفندتهم خالية لان القلوب لدى الخناجر قد خرجت من أمانتها من شدة الخوف
وقال بعضهم هي خراب لا تبي شيئا لشدتها أخبر به تعالى عنهم ثم قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (وأند الناس يوم يأتهم العذاب
فيقول الذين ظلّموا ربنا أخرجنا الى أجل قريب فنجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في
مساكن الذين ظلّموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقدمكم وامكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم
لتنزل من الجبال) يقول تعالى مخبرا عن قبل الذين ظلّموا أنفسهم عند معاناة العذاب ربنا أخرجنا الى أجل قريب فنجب دعوتك

منه الجبال ونقل ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها تنزل منه الجبال بفتح اللام الأولى وضم الثانية وروى العوفي عن ابن عباس في قوله وان كان مكرهم اتزول منه الجبال يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وكذا قال الحسن البصري ووجهه ابن جريبان هذا الذي فعلوه بأنفسهم من تركهم بالله وكفرهم ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها وانما عادوا وبال ذلك عليهم قلت وبشبه هذا قول الله تعالى ولأش في الأرض مرجا فلكل تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا والقول الثاني في نفسه غيرها ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان كان مكرهم اتزول منه الجبال يقول تركهم كقوله تكاد (٣٠٩) السموات تنفطرن منه الآية وهكذا قال الضحاك

وقناة (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) يقول تعالى مقرر ان وعدة مؤكدا فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله

أي من نصرهم في الحياة الدنيا يوم يقوم الاشهاد ثم أخبر تعالى انه ذو عزة لا يتنزع عليه شيء أرادته ولا يغالبه وانه انتقام من كثير به ووجه

فويل يومئذ للمكذبين ولهذا قال يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات أي وعده هذا ماضٍ يوم تبدل الأرض غير الأرض وفي هذه على

غير العفة المألوفة المعروفة كما بهاء في الحديثين من حديث أبي حازم عن سم بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس

يوم القيامة على أرض بيضاء عسراء كدرصة النقي ليس فيها معالم الاحد وقال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة انها قالت اما

أول الناس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قالت

الا أمرنا بالمدح في الصحاح وقال أبو الحسن أمرناه بالكسر أي كثروا أمر القوم أي كثروا وقرأ الجمهور أمرنا من الأمر ومعناه مقدمنا في القول الاول وقد قيل في تأويل أمرنا بانه جازع الأمر الخاسل لهم على الفقه وهو ادراك النعم عليهم وقيل المراد قرب اهلاك قرية وهو عدول عن الظاهر بدون ملجئ اليه والمراد بالمترفين المنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش والفسرون يقولون في نفسه المترفين انهم الجبارون المتسلطون والملوك الجائرون قالوا وانما اخصوا بالذكر لان من عداهم أتباع لهم وفي القاموس الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والشيء انظر في تخصص بصاحبك وترف كفرح نعم وأترفه النعمة أطفه أو نعمة كترفه ترفينا والمترف ككرم المتروك يفعل ما يشاء ولا يمنع والمتنعم لا يمنع من تنعمه وتترف نعم (لحق عاين القول) أي ثبت وتحقق ووجب عليهم العذاب والعقاب بعد نظره وفسقهم وعتردهم في كفرهم (فدمرناها تدميرا) عظيم لا يوقف على كنهه الله وعظيم موقعه وأهلكناها هلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب ثم ذكر سبحانه ان هذه عادة الجارية مع القرون الخالية فقال (وكم أهلكنا من القرون) أي كثيرا ما أهلكنا منهم فكلم منقول أهلكنا أي من قوم كفروا (من بعد نوح) كعادته ونحو غيره من الأمم الخالية فحل بهم البوار ونزل بهم سوط العذاب وفيه تخويف لكفرهم كما وانما قال ذلك لانه أول من كذبه قومه ومن ثم لم يقل من بعد آدم ومن الثانية لابتداء الغاية والاولى للبيان فلذلك اتحدت علقتهما وقال الحوفي الثانية بدل من الاولى وليس كذلك لاختلاف معنيهما ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما وردع للناس كافة فقال (وكفى بربك بدوي عبادة خيرا بابه) قال القراء انما يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يدح به صاحبه أو يذم كقولك كذا بك به أو كرم به رجلا وطاب به عامر طعا ما ولا يقال قام باخيك وأنت تريد قام أخوك وانما أراد بكونه سبحانه خير الله محيط بجميع الاشياء ظاهرا وباطنا عالم بجميع المعلومات راء الجميع المرئيات لا تخفى عليه خافية من أحوال الخلق وفي الآية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وتخويف شديد لاهل المعصية لان العلم التام والخبرة الكاملة والبصيرة لما فذة يقتضي اتصال الجزاء الى ممتحنه بحسب استحقاقه ولا ينافيه مزيد التنفيس على من هو اعمل لذلك (من كان يريد اعاجلة) هذا ما كيد المسافر من جهلة كل انسان الزم

قالت ابن الناس يومئذ يا رسول الله قال على الصراط رواد مسلم مفتردا به دون البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث داود بن أبو هند بن وهب وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أحمد أيضا عن عثمان بن وهيب عن ابن أبي عمير عن الحسن بن بلال المزني عن عائشة رضي الله عنها انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال قالت يا رسول الله فإين الناس يومئذ قال الله تعالى اني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمتي ذاك أن الناس على جسرهم وروى الامام أحمد من حديث حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد عن ابن عباس حدثني عائشة انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله

يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ابن الخلق عند ذلك فقال اضيف الله فلن يجهزهم ماله ورواه ابن
 أبي حاتم من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي هريرة وقال شعبة اخذنا أبو اسحق سمعت عمرو بن ميمون وروى قال قال عبد
 الله وروى ما لم يقل فقلت له عن عبد الله فقال سمعت عمرو بن ميمون يقول يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض كالنفس البسيطة
 تنفس لم يسئل فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة ينسئهم البصر ويسمعهم الداعي حنة عارة كما خلعتوا قال أراه قال قيا ما حتى
 يلجمهم العرق وروى من وجه آخر عن شعبة عن إسرائيل عن أبي اسحق (٣١١) عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود بنحوه

وكذا رواه عاصم عن زر عن ابن مسعود

به وقال سفيان الثوري عن أبي
 اسحق عن عمرو بن ميمون لم يخبر به
 أو رد ذلك كله ابن جرير وقد قال
 الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن
 عبد الله بن عيسى بن عتيق حدثنا
 محمد بن جندب أبو غياث حدثنا
 جرير بن أيوب عن أبي اسحق عن
 عمرو بن ميمون عن عبد الله عن
 النبي صلى الله عليه وسلم في قول
 الله عز وجل يوم تبدل الارض غير
 الارض قال أرض بيضاء لم يسقط
 عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ثم
 قال لا نعلم رفعه الا جرير بن أيوب
 وليس بالقوي ثم قال ابن جرير حدثنا
 أبو كريب عن معاوية بن هشام عن
 سنان عن جابر الجعفي عن أبي جيمرة
 عن زيد قال أرسل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى اليهود فقال هل
 تدرون لم أرسل اليهم قالوا الله
 ورسوله أعلم قال أرسل اليهم أسألهم
 عن قول الله يوم تبدل الارض غير
 الارض انهم تكون يومئذ بيضاء
 مثل النفضة فلما جاؤا أسألهم فقالوا
 تكون بيضاء مثل النقي وهكذا روى

يتقبل الله من المتقين والواو للعال (فأولئك) أي المريدون للآخرة الساعون لها سعيها
 وفيه مراعاة معنى من بعده مراعاة لفظها وهو مبتدأ وخبره (كان سعيهم مشكورا) عند
 الله أي مقبولا غير مردود وقيل مضاعفا الىضاعاف كثيرة فقد اعتبر سبحانه في كون
 السعي مشكورا أمور ثلاثة الاول ارادة الآخرة الثاني ان يسعى لها السعي الذي يحق
 لها والثالث ان يكون مؤمنا وفي الخطيب قال بغض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث
 لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب ولا هذه الآية ثم بين سبحانه كمال رأفته
 وشمول رحمته فقال (كلا) أي كل واحد من الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة
 (عند) أي نزله من عطاءنا على تلاحق من غير انقطاع (هؤلاء وهؤلاء) بدل من المنعول
 وهو كلاف كما أنه قيل غده هؤلاء وهؤلاء الاول للاول والثاني للثاني فهو لف ونشر مرتب
 أي نرزق الكفار والمؤمنين وأهل المعصية وأهل الطاعة لا تؤثر معية العاصي في قطع
 رزقه وماباه الامداد هو ما عجز له لمن يريد الدنيا وما أنعم به في الاولى والاخرى على من يريد
 الآخرة وفي قوله (من عطاء ربك) اشارة الى ان ذلك بعض التفضل وهو متعلق بـ (عند
 وما كان عطاء ربك محظورا) أي ممنوعا عن أحد قاله الفصحاء يقال حظره يحظره حظرا
 منعه وكل ما حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك والمراد بانعطاء العطاء في الدنيا تكثر رزق
 والجاء اذ لا حظ للكافر في الآخرة قال الزجاج علم الله سبحانه انه يعطي المسلم والكافر والله
 يرزقهم جميعا وقال الحسن كل يرزقه الله في الدنيا لبر والناسج وقال ابن عباس يرزق الله
 من أراد الدنيا ويرزق من أراد الآخرة (انظر) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحتمل
 أن يكون الخطاب لكل من له أهلية النظر والاعتبار وهذه الجملة مقررة لما مر من
 الامداد وموضحة والمعنى انظر (كيف فضلنا) في العطايا العاجلة (بعضهم) أي بعض
 العباد (على بعض) فن غني وفقير وقوي وضعيف وصحيح ومرضى وعاقول وأحق وذلك
 لحكمة بالغة تنصير العقول عن ادراكها (وللآخرة) اللام لام ابتداء أو قسم (أكبر
 درجات وأكبر تنفضيلا) من الدنيا وذلك لان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى
 التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وليس للدنيا بالنسبة الى الآخرة مقدار
 فلهذا كانت الآخرة أكبر درجات وأكبر تنفضيلا وقبل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة
 والكافر ين يدخلون النار فظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وحاصل المعنى ان

عن علي وابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر انهم تبدل يوم القيامة بأرض من فنة وعن علي رضي الله عنه انه قال تصير الارض
 فضة والسموات ذهبا وقال الربيع عن أبي العافية عن أبي بن كعب قال تصير السموات جنانا وقال أبو معشر عن محمد بن كعب
 القرظي عن محمد بن قيس في الآية في قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال خيرة بأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم
 وكذا روى وكيع عن عمر بن بشر الهمداني عن سعيد بن جبير في قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل الارض خيرة
 بيضاء بأكل المؤمن من تحت قدميه وقال الأعمش عن خنيس قال قال عبد الله بن مسعود الارض يوم القيامة كلها نار والجنة من

وزاها ترى كواكبها واوليها ويلمع النام العرق ويبلغ نهم العرق ولم يبلغوا الحساب وقال الاعشى أيضا عن المنهال بن عمرو عن
 قيس بن السكن قال قال عبد الله الارض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى كواكبها واوليها واوليها نفس عبد الله بيده ان
 الرجل ليفيض عرقا حتى ترشح في الارض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ومما سمع الحساب قالوا م ذلك يا ابا عبد الرحمن قال مما يرى
 الناس ويأتون وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن كعب في قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال نصير
 السموات جنانا ويبدل مكان الجحيم ناراً (٣١٢) وتبدل الارض غيرها الحديث الذي رواه ابو داود ولا يركب البحر الا غاراً و

ساج أو معترفان تحت البحر ناراً أو
 تحت النار بجوار في حديث الصور
 المشهور المروي عن أبي هريرة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تبدل
 الله الارض غير الارض والسموات
 فيبدلها ويدهمها في الايام العكافى
 لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ثم يرى الله
 الخلق زجرة فاذا هم في هذه
 المبدلة وقوله ويرزق الله أى خرجت
 الخلاق لا ترقبها من قبورهم لله
 الواحد القهار أى الذى هو ركن كل شئ
 وغايه ودانت للمراقب وخضعت
 له الابواب (وترى المجرمين يومئذ
 مقرنين فى الاصفاد سراً يلمهم من
 أعان وقضى وجوههم النار
 اجزى الله كل نفس ما كسبت ان
 الله سبحانه يقول تعالى
 يوم تبدل الارض غير الارض
 والسموات وتبرز الخلاق لداها ترى
 يا محمد يومئذ المجرمين وهم الذين
 أجروا وبكفرهم وفسادهم مقرنين
 أى بعضهم إلى بعض قد جمع بين
 الظن والاشكال منهم كل صف
 الى صف كما قال تعالى الى احشروا
 الذين ظلموا وازواجههم وقال واذا
 الذنوس زوجت وقال واذا التوا

التفاضل في الآخرة ودرجاتهم فوق التفاضل في الدنيا ومرتبات أهلها فيها من بسط وقبض
 ونحوهما ونبت في الصحيحين ان أهل الدرجات العلى ليرى أهلها عاين كما ترون الكواكب
 القابرة في أفق السماء ثم تأمل أجل سبحانه أعمال البر في قوله وسبح اسمها وهو ومن أخذ
 في تفسير ذلك مبتدأ باشرافها الذى هو التوحيد فقال (لا تجعل) الخطاب للنبي صلى الله
 عليه وآله وسلم والمراد به أمة تهيبوا لها بالأسلحة مكلف من أهل له صالح لتوجيه اليه
 وقيل التقدير قل لكل مكلف لا تجعل (مع الله الهة آخر فتعبد) النص على جواب النهى
 أى لا يكن مثله جعل فتعبد ومعنى تعبد نصير من قولهم شذوا الشفرة حتى قدمت كأنها
 حربة وبالله ذهب الذراء والزخشرى وليس المراد حقيقة القعود المقابل للقيام وقيل هو
 كناية عن عدم القدرة على تخصيص الخيرات فان السعي فيه انما يتأتى بالقيام والمجزع عنه
 يلزمه أن يكون قاعدا عن الطلب وقيل ان من شأن المذموم الخذلان ان يعقد نادما
 منكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة (مذموم ما خذولا) ونصهم ما على خبرية
 تعبدوا وعلى الحال أى من غير حمد وبغير ناسر فتصير جاء بين الامرين الذم لك من الله
 ومن ملائكته ومن صالحى عباده والخذلان لك منه سبحانه أو حل كونك جامعا بينهما
 وحاصل ما ذكر في هذه الآيات من أنواع التكليف خمسة وعشرون نوعا بعضها أصلية
 وبعضها فرعى وقد ابتدأ بالأصلية في قوله لا تجعل ثم ذكر عتبه سائر الاعمال التى يكون
 من عمل بها ساعيا في الآخرة فقال (وقضى ربك) أى أمر أمرا جزما وحكما قطعاً وحكما
 مبرما وعن ابن عباس انه قرأ أوصى ربك مكان وقضى وقال التزقت الخاوا والصادوان ثم
 نشرتهما وقضى ولوزات على القضاء ما أشرك به أحد وبه قرأ الضحالك أيضا أقول انما
 يلزم هذا لو كان القضاء بمعنى الفراغ من الامر وهو وان كان أحدهما مطلق القضاء كما
 في قوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقوله فاذا قضيت مناسككم وقوله فاذا قضيت
 الصلاة ولكنه هنا بمعنى الامر وهو أحدهما مطلق القضاء والامر لا يستلزم ذلك فانه سبحانه
 قد أمر عباده بجميع ما أوجبه ومن جملة ذلك افراده بالعبادة وتوحيده وذلك لا يستلزم
 أن لا يقع الشرك من المشركين ومن معاني مطلق القضاء معان أخر غير هذين المعنيين
 كالقضاء بمعنى الخلق ومنه فقضاء سبع سموات وبمعنى الارادة كقوله اذا قضى أمرا
 وبمعنى العهد كقوله اذا قضينا الى موسى الامر وقدرى عنه أيضا انه قال قضى أمر وقيل

منها ما كانا ضيقا متزينا دعوا هذا للثبور وقال والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد أوجب
 والاصفاد هى القيود قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة والاعشى وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور فى اللغة قال عمرو بن كلثوم
 فأبوا بالثياب وبالسياب * وأبوا بالملوك صفدينا

وقوله سراً بهم من قطران أى ثيابهم التى يلبسونها من قطران وهو الذى تهناه الابل أى تطلى قال قتادة وهو الصق
 نى بالدار ويقال فيه قطران بفتح القاف وسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم

كان فطرانا اذا اتلاها • ترمي به الريح الى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب ورجاء قرأها سراً يلهيهم من قطران أي من نحاس حارق دانت به حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وقوله وتغشى وجوههم النار كقوله تلتهج وجوههم النار وهم فيها كالخون وقال الامام أحمد رحمه الله حديثنا يحيى بن ابي حنيفة عن ابيان بن يزيد عن يحيى بن ابي كثير عن زيد عن ابي سلام عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع في أمتي (٣١٣) من أمر الجاهلية لا يتركوهن المنعبر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء

أوجب ربك وعن مجاهد قال عهد ربك قال الرازي هذا القول أي قول ابن عباس بعيد
جد لأنه ينتج باب التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولوجودنا ذلك لا يرتفع الأمان
على القرآن وذلك يخرج من كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين (أن لا) أي بان
(لا تعبدوا إلا إياه) قاله السيوطي وقال في الجمل قوله هذا غير سديد حيث أثبت النون
بين الهمزة ولا النافية بلم الحرة فيقتضي أنها من رسم القرآن مع أنه ليس كذلك وقد نص
في شرح الجزرية أن ما عدا النواضع العشرة يكتب موصولا أي لا تثبت فيه النون وقيل
أن مفسرة ولا تعبدوا هي وفيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق
ثم أردفه بالامرير الوالدين فقال (وبالوالدين) أي وقضى بأن تحسنوا بهما وأحسنوا
بهما (أحسانا) وتبرهما قبل وجه ذكر الاحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله سبحانه هما
السبب الظاهر في وجود المتولد بينهما ما وفي جعل الاحسان إلى الأبوين قرينة لتوجيه الله
وعبادته من الاعلان بآ كدحتهما والعناية بشأنهما ما لا يخفى وهكذا جعل سبحانه في
آية أخرى شكرهما مقترنا بشكره فقال ان أشكر لي ولو الذي ثم خص سبحانه بحالة الكبر
بالذكر لكونها إلى البر من الولد أحوج من غيرهما فقال (أما يبلغن) ان شرطية وما زائدة
والفعل مبني على النسخ لاتصاله بنون التأكيده الثقيلة (عندك الكبير أحدهما أو كلاهما)
معنى عندك ان يكونا في كنفك وكذا التثنية وتوحيد الضمير في عندك ولا تنقل وما به دهما
للاشعار بان كل فرد من الافراد منهي بمغافيه النهي ومأمور بمغافيه الامر (فلا تنقل لهما)
أف) جواب الشرط قيل والتقييدهم بهذا الشرط خرج مخرج الغالب من ان الولد انما
يتناول بالديه عند الكبر والافلا يختص بالكبير والمعنى لا تنقل لواحد منهما في حالتي
الاجتماع والافتراق وليس المراد حالة الاجتماع فقط عن الحسن بن علي مرفوعا لعلم
الله سبحانه العتوق أدنى من أف لحرمه وقال مجاهد لا تنقل لهما أف لما عيط عنهما من
الاذى الخلا والبول كما كانا لا يقولانه فيما كانا يعطيان عندك من الخلا والبول وفي أف
أربعون لغة قاله السهين ثم قال وقد قرئ من هذه اللغات بسبع ثلاث في المتواتر وأربع
في الشواذ وقال الفرما تقول العرب فلان يتأفف من ريح وجهه أي يقول أف أف
وقال الاصمعي الأف وسخ الاذن والنف وسخ الاظفار يقال ذلك عند اسه متقدرا الشيء ثم
كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به وعن ابن الاعرابي ان الاف الضجر وقال التميمي

(٤٠ فتح البيان خامس) هوالة واحد وليد كراؤلو الالباب) يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله لا تدرككم به ومن بلغ أى هوالبلاغ لجميع الخلق من انس وجن كما قال فى أوله عالم كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور الآية ولينذروا أى ليتظاوا به وليعلموا انما هوالة واحد أى يد تدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على انه لا اله الا هو وليد كراؤلو الالباب أى ذروا العقول آخر نفس سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .
• (تفسير سورة الحجروهى مكية) •

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * (التي آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يؤذون الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور وقوله تعالى ربما يؤذون الذين كفروا الآية أخبار عنهم أنهم سيذمون على ما كانوا فيه من الكفر ويقتلون لو كانوا في الدنيا مسلمين ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار بدر لما عرضوا على النازغين أن يكونوا مسلمين وقيل المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنا وقيل هذا الخبر (٢١٤) عن يوم القيامة كقوله تعالى ولو ترى أذوقوا على النار فقلوا يا ليتنا

نزدوا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزاهرية عن عبد الله في قوله ربما يؤذون الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبي فروة العبدي أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية ربما يؤذون الذين كفروا لو كانوا مسلمين يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبسون في الدنيا قال فيغضب الله لهم فينزل رحمة فيخرجهم فذلك حين يقول ربما يؤذون الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد عن إبراهيم عن خفيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم إيمانكم فإذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان في قلبه منقلا ذرة من إيمان قال فعند ذلك قوله ربما يؤذون الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا روى عن

أصله أنه إذا سقط عليه تراب ونحوه فتنفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند ذلك النفخة هو قول القائل أف ثم توسعوا فذكروه عند كل ذكره بصل إليهم وقال الزجاج معناه التثنية وقال أبو عمرو بن العلاء ألف وخمسين اللفظان والنف قلامتها والحاصل أنه اسم فعل بني عن التنجيز والاستئصال أو صوت ينفي عن ذلك فنهى الولد عن أن يظهر منه ما يدل على التنجيز من أبويه أو الاستئصال لهما وقيل أف مصدر بمعنى تبا وقبحا وخسرا وأنا الأول أرجح وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهم ما يفعول الخطاب أو يلحنه كما هو مقرر في الأصول (ولا تنهرهما) أي لا تنهرهما عما يطيعانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات بمعنى الزجر والغلبة يقال نهره وانهره إذا استقبله بكلام يزرجه قال الزجاج معناه لا تكلمه ما ضجر أصاحها في وجوههما (وقل لهما) بدل التأنيف والنهر (قولا كريما) أي لينا لطيفا جليلا أحسن ما يمكن التعبير عنه من لطف القول وكرامته مع حسن التأديب والحياء والاحتشام قال محمد بن زبير يعني إذا دعوا لك فقل إنيكوا وسعديكما وقيل هو أن يقول يا أمهات يا بنات ولا يدعوهما بأسمائهم ما ولا يكنيها ما (واخفض لهما جناح الذل) قال سعد بن جبيرة أخضع لوالديك كما يخضع العبد لربه يد اللفظ الغليظ ذكر القتل في معنى الخس الجناح وجهين الأول أن الطائر إذا أراد ضم فراخه إليه للتمسك به خفض جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للولدا كنوا لوالديك بأن تضعهما إلى نفسك ليكنيهما وافتقارهما اليوم اليك كما فعل ذلك بك في حال صغررك وكنيت مفتقر إليهما والثاني أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية بليغة عن التواضع وترك الارتفاع وفي إضافة الجناح إلى الذل وجهان الأول أنها كإضافة حاتم إلى الجود في قولك حاتم الجود فالأصل فيه الجناح الذليل والثاني سلوك سبيل الاستعارة كأنه تخيل للذل جناحا ثم أثبت لذلك الجناح خفضا والذل من ذل يذل ذلا وذلة ومذلة فهو ذليل وفري بكسر الهمزة من قولهم ذابة ذلول يذلة الذل أي منقادة بهلة لاصعوبة فيها وقوله (من الرحمة) فيه معنى التعليل أي من أجل فرط الشفقة والعطف عليهم ما لكبرهما وافتقارهما اليوم لمن كان أوفر خلق الله إليهما بالأمس قال السمين وفي من ثلاثة أوجه أحدها التعليل والثاني أنها ابتداءية قال ابن عطية أي إن هذا الخفض يكون ناشئا

الضعف وقتادة وأبي العالية وغيرهم وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الآخر حدثنا محمد بن منصور الطوسي حدثنا صالح بن اسحق الجهدي وابن علي بن يحيى بن موسى حدثنا معروف ابن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الأعمى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل لاه الله يدخلون النار بنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقينهم في نهر الحياة فيبرؤون من حرهم كما يبرأ القمر من كسوفه ويدخلون الجنة ويسهون فيها

الجهنميون فقال رجل يا انس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ثم انما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا ثم قال الطبراني في تشرية الجهنمي الحديث الثاني قال الطبراني أيضا حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء على بن حسن الواسطي حدثنا الذين نافع الاشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكندار للمسلمين (٢١٥) ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا انما أغنى عنكم الاسلام فتدبرتم معنا في النار قالوا كانت

تأذنب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الرقعات من الكتاب وقرآن مبين ربما يؤد الذين كذروا لو كانوا مسلمين ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة الحديث الثالث قال الطبراني أيضا حدثنا موسى بن هرون حدثنا إسحق بن راهويه قال قلت لأبي أسامة أحدثكم أبوروق واسمه عطية بن الحرث حدثني صالح بن أبي شريف قال سألت أبا سعيد الخدري فحدثني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية ربما يؤد الذين كذروا لو كانوا مسلمين قال نعم سمعته يقول يخرج الله ناسا من المؤمنين في الجنة فيذهب النار بعد ما يأخذونهم منهم وقال لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون ترعون انكم أولياء الله في الدنيا فما بالكُم معنا

من الرحمة المستكنة في النفس الثالث انما نصب على الحال من جناح ثم كانه قال له سبحانه ولا تكتف برحمتي الى لادوام لها (و) لكن (قل رب ارحمهما) أى وادع الله لهما ولو لو خمس مرات في اليوم والليلة ان يرحمهما برحمته الباقية الدائمة وأراد به اذا كانا مسلمين (ما راياني صغيرا) أى رحمة مثل تربيتهم ما لى قدره الحوفي أو مثل رحمتهم ما لى قدره أبو البقاء وقيل ليس المراد رحمة مثل الرحمة بل الكفاي لا قترانهم ما لى الوجود أى فلتقع هذه كما وقعت تلك والتربية التسمية ويجوز ان تكون الكفاي للتعليل أى لاجل تربيتهم ما لى كقولهم واذا كروه كما هذا كم واقتد بالغ سبحانه فى التوصية بالبر الذين مبالغة نفسهم لهما جلود أهل العقوق وتنف عندها شعورهم حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعها بالاحسان اليهم ما ثم غيظ الامر فى مراعاتهم ما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفك من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها وان يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما وهذه خمسة أشياء كلف الانسان بها فى حق الوالدين وقد ورد فى البر والدين أحاديث كثيرة ثابتة فى الصحيحين وغيرهما وهى معروفة فى كتب الحديث (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) أى بما فى ضمائركم من الاخلاص وعدمه فى كل الطاعات ومن التوبة من الذنب الذى فرط منه ثم أو الاصرار عليه ويندرج تحت هذا العموم ما فى النفس من البر والعقوق اندراجا أوليا وقيل ان الآية خاصة بما يجب للوالدين من البر ويحرم على الأولاد من العقوق والاولى أولى اعتبارا بعموم اللفظ فلا تخصه دلالة السياق ولا تنميده (ان تكونوا صالحين) أى ابراراً مطيعين قاصدين الصلاح والبر والتوبة من الذنب والاخلاص للطاعة (فانه كان للواوين) أى الرجاعين عن الذنوب الى التوبة ومن السيئات الى الحسنات ومن العقوق الى البر ومن عدم الاخلاص الى شح الاخلاص (غفورا) لما فرط منكم من قول أو فعل أو اعتقاد فلا يضركم ما وقع من الذنب الذى تبت عنكم فغن تاب تاب الله عليه ومن رجع الى الله رجع الله اليه وقال سعيد بن جبيرة يعنى البادرة من الولد الى الوالد أى ان تكن النية صادقة فانه كان غفورا للبادرة التى بدت منه كالغفلة والزلة تكون من الرجل الى أبويه أو احدهما وهو لا يضر عقوقا ولا يربى بذلك بأسا قال سعيد بن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب وقيل الاواب الذى اذا ذكر خطايا ما استغفر منها

في النار فاذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم فيشفع لهم الملائكة والنبون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا بانق الله فاذا رأى المشركون ذلك قالوا يا ليتنا كنا مثلهم فندركنا الشفاعة فنخرج معهم قال فذلك قول الله ربما يؤد الذين كذروا لو كانوا مسلمين فيسود فى الجنة الجهنمية من أجل سواد فى وجوههم فيقولون يا رب اذهب عنا هذا الاسم فقامرهم فيقتلهم فى النار فى الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم فأقر به أبو أسامة وقال نعم الحديث الرابع قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرقي حدثنا مكي أبو فاطمة حدثني الجهاد بن يزيد عن محمد بن جبير عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم منهم من تأخذه النار الى ركبته ومنهم من تأخذه الى حيزته ومنهم من تأخذه النار الى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ومنهم من ينكت فيها ثم يخرج منها أو أطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت الى ان تثنى فاذا أباد الله ان يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله فحق وأنتم اليوم في النار سواء في غضب الله لهم غضبا لم يذهب لشيء فيمضى فيخرجهم الى عين في الجنة وهو قوله رب عباد الذين كنتموا لو كانوا مسلمين وقوله ذرهم يا كلوا ويمتعوا (٢١٦) ثم يدشد يد لهم ووعدا كيد كقولته تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار

وقوله كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ولهذا قال ويلهم الامل أى عن التوبة والابانة فسوف تعلمون أى عاقبة أمرهم (وما أهل كل من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة أجلها وما يستأخرون) يخبر تعالى انه ما أهلك قرية الا بعد قيام الحجمة عليها وانتهأ أجلها وانه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم وهذا تنبيه لاهل مكة وارشادهم الى الاقلاع عما هم عليه من الشرك والعناد والاحاد الذى يستحقون به الهلاك (وقالوا يا أيهم الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لولا ما نالنا باللائكة ان كنت من الصادقين ما نزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين اننا نحن نزلنا الذكر وما له حافظون) يخبر تعالى عن كثرة هم وعتوهم وعنادهم فى قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر أى الذى تدعى ذلك انك لمجنون أى فى دعائك يا ابا الى اساءت وترك ما وجدنا عليه آياتنا لوماى هلا تاتينا بالملائكة اى يشهدون لك بصحة ما جئت به كما قال فرعون لولا انى عليه سورة من ذهب أو جاءه الملائكة مقترنين وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وكذا قال فى الآية ما نزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وقال مجاهد فى قوله ما نزل الملائكة الا بالحق رسالة والعذاب ثم قرر تعالى انه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظة من التفسير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير فى قوله تعالى له حافظون على النبي صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من

وقال عبد بن عمرهم الذين يذكرون ذنوبهم فى الخلا ثم يستغفرون الله وهذه الاقوال متقاربة قال ابن عباس الاوابين المطيعين المحسنين التوابين وقيل المسبحين وقيل المصلين قال عون العقيلي هم الذين يحلون صلاة الصلوة وقيل من يصلى بين المغرب والعشاء والاول اول ثم ذكر سبحانه التوسعة بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهم ما فقال (وأت ذا القربى حقه) الخطاب بالرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهيبا والهابا لغيره من الامة أو لكل من هو صالح لذلك من المكاتبين كفى قوله وقضى ربك والا امر للوجوب عند أى حنيفة فعند يجب على المؤمن مواصلة اقاربه اذا كانوا محارم كالاخ والاخت وعند غيره للندب فلا يجب عند غيره الا ذقة الاصول والنزوع دون غيرهم من الاقارب أقول المراد بدوى القربى أو لوالا اقربا وحقتهم هو صلة الرحم التى أمر الله بها والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمواثقة على السراء والنساء وكر الوصية فيها والخلاف بين أهل العلم فى وجوب النفقة للشرابة أو لبعضهم كالوالدين على الاولاد والاولاد على الوالدين معروف والذى ينبغي الاعتماد عليه وجوب صلتهم بما تبلغ اليه القدرة وحسب مقتضيه الحال قال ابن عباس أمر بباحق الحق وعلمه كيف يصنع اذا كان عنده وكيف يصنع اذا لم يكن عنده (و) آت (المسكين وابن السبيل) حقهما من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوى القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وعن صفيان فى الآية قال هو ان يصل ذى القربا وبطعم المسكين ويحسن الى ابن السبيل وعن السدى قال القربى قري بنى عبد المطلب وقربا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقول ليس فى السياق ما يفيد هذا التفسير ولادل عليه دليل ومعنى النظم القرآنى واضح ان كان الخطاب مع كل من يصلح له من الامة لان معناه أمر كل مكلف منهم من صلة قرابته بان يعطيهم حقهم وهو الصلة التى أمر الله بها وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فان كان على وجه التعريض لآفته فالأمر فيه كالأول وان كان خطابه له من دون تعريض فآفته اسوته فالأمر له صلى الله عليه وآله وسلم بآياته ذى القربى حقه أمر لكل فرد من افراد امته والتظاهر ان هذا الخطاب ليس خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بدليل ما قبل الآية وهى قوله وقضى ربك وما بعد ها وهى قوله (ولا تذر تذيرا) هو طريق المال كما يترك البذر كذا ما كان من غيره مدلوله وهو انصراف الذموم تجاوزا للعالمية تحسن نزعافى

الانفاق

ما جئت به كما قال فرعون لولا انى عليه سورة من ذهب أو جاءه الملائكة مقترنين وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وكذا قال فى الآية ما نزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين وقال مجاهد فى قوله ما نزل الملائكة الا بالحق رسالة والعذاب ثم قرر تعالى انه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظة من التفسير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير فى قوله تعالى له حافظون على النبي صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من

الناس والمعنى الاول وهو ظاهر السياق (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين وماياتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذا في ذلك في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين) يقول تعالى عليه السلام صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفار قریش انه ارسل من قبله من الامم الماضية وانه ما اتى امة رسول الا كذبوه واستهزؤا به ثم اخبر انه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال انس والحسن البصري كذلك في قلوب المجرمين يعني الشرك وقوله وقد خلت سنة الاولين أى قد علم ما فعل تعالى من كذب (٣١٧) رسلا من الهلاك والدمار وكيف انجي الله الانبياء

واتباعهم في الدنيا والآخرة (ولو فحسنا عليهم يا با من السماء فقط لو ا فيه يعرجون انما لو انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم وكبرتهم للعق انه لو فتح لهم يا با من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك بل قالوا انما سكرت ابصارنا قال مجاهد وابن كثير والنخعي سدت ابصارنا وقال قتادة عن ابن عباس اخذت ابصارنا وقال العوفي عن ابن عباس شبهه علينا وانما سكرنا وقال الكلبي عيت ابصارنا وقال ابن زيد سكرت ابصارنا السكران الذي لا يعقل (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الامن استترق السمع فاتبعه من ابمين والارض مددناها والقيتنا فيها راسي وانبتنا فيها من كل شئ موزون وجهلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها ومازيناها من الكواكب النواير والسيارات لمن تأمل وكرر النظر

الاتفاق او هو الاتفاق في غير الحق وان كان بسبب اقال الشافعي التبذير اتفاق المال في غير حقه ولا تبذير في عمل الخير قال القرطبي وهذا قول الجمهور قال انهم عن مالك التبذير هو اخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه وهو الاسراف وهو حرام لقوله (ان المبدزين كانوا اخوان الشياطين) فان هذه الجملة تعليل للنهي عن التبذير والمراد بالاخوة المماثلة التامة وتجنب مماثلة الشيطان ولو في خصلة واحدة من خصاله واجب فكيف فيما هو اعم من ذلك كما يدل عليه اطلاق المماثلة والاسراف في الاتفاق من عمل الشيطان فاذا فعله احد من بني آدم فقد اطاع الشيطان واقتدى به وهذا غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخ وهم قال ابن مسعود التبذير اتفاق المال في غير حقه وعنه كأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحدث ان التبذير النفقة في غير حقه وعن ابن عباس قال هم الذين ينفقون المال في غير حقه وعن علي قال ما انفق على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت فذلك وما انفقته رياء ومهمة فذلك حظ الشيطان وقيل هو اتفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبدرا ولو انفق درهمه أو مدا في باطل كان مبدرا قيل ان بعضهم انفق نفقة في خيرا فكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ولا مانع من حمل الآية على الجميع والعموم أولى (وكان الشيطان لربه) أى نعم ربه (كنورا) أى كثير الكثران بحود النعمة عظيمة التردد عن الحق لاندفع كثره لايه حمل الاشرا ولا يامر الابعاد الشر ولا يؤسس الاعمال الخيرية وفي هذه الآية تسجيل على المبدزين بمماثلة الشياطين ثم التسجيل على جنس الشيطان بأنه كنور فاقضى ذلك ان المبدز مماثل للشيطان وكل مماثل للشيطان له حكم الشيطان وكل شيطان كنور فالمبدز كذلك قال الكرخي وكذلك من رزقه الله جاهداً وما لا يقصره الى غير مرضاة الله كان كنورا للنعمة الله لانه وافق للشيطان في الصفة والعمل (واما تعرض عنهم) أى ان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل لاهم اضطررك الى ذلك الاعراض استغارة (أى لقد رزق (من ربه) ولكنه أقام المسبب الذى هو ابتغاء رحمة الله مقام السبب الذى هو فقد الرزق لان فائد الرزق مبنية له (ترجوها) أى ترجوا ان يفتح الله به عليكم (فقل لهم قولا ميسورا) أى قولا سهلا ليسا كالوعد الجليل أو الاعتذار

فما يرى من الجبابرة والآيات الباسرات ما يحارظونه فيه ولهذا فاز مجاهد وقتادة البروج ههنا فى الكواكب قلت وهذا كقوله تبارك وتعالى الذى جعل فى السماء بروجا والآية ومنهم من قال البروج فى منازل الشمس والقمر وقال عطية العوفي البروج ههنا فى قصور فيها الخس وجعل الشهب حرمها لها من مردة الشياطين انسابهم عن الى الملا الاهل فمن تقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب فابلقه فربما يكون قد أتى الكلمة التى سمعها قبل أن يدركه الشهاب الى الذى هو دونه فباخذها الآخر وبأى به الى قوله كما جاءه مصرح به فى الصحيح كما قال البصاري فى تفسير هذه الآية حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن

عرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا بالقوله كالسلسلة على صفوان قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فاذا فرغ عن قلوبهم قال اما اذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف صفوان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نفسها بعضها فوق بعض فرمى أدرك الشهاب المسقع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فجعله ور بما لم يدركه حتى يرمى بها الى الذي يليه الى الذي هو أسفل منه حتى يلتقوها (٣١٨) الى الارض وربما قال سنيان حتى تنتهي الى الارض فتلقى على فم

المقبول قيل هو ان يقول رزقنا الله واياكم من فضله قال الكسائي يسرت له القول أي
لينته قال القرامه معنى الآية أن تعرض عن السائل إضافة واعسار افعدهم عدة حسنة
ويجوز أن يكون المعنى وان تعرض عنهم ولم تنفعهم اهدم اسطاعتك فقل لهم قولاً ميسوراً
وايس المراد هنا الاعراض بالوجه وفي هذه الآية تأديب من الله سبحانه لعباده اذا سألهم
سائل ما ليس عندهم كيف يقولون وبما يردون واتدأ حسن من قال
ان لا يكن ورق بما أجود بها • للسائلين فاني لئن العود
لا يعدم السائلون الخير من خلقي • اما نوال واما حسن مردود

ولما ذكر الله سبحانه أدب المنع بعد النهي عن التبذير بين أدب الاتفاق فقال (ولا تجعل
يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) هـ هذا النهي يتناول كل مكاف سواء كان
الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تعريضا لامته وتعليلهم أو الخطاب لكل من يصلح له
من المكلفين والمراد النهي للإنسان بأن يعتد بما كايصير بدمية يتعالى نفسه وعلى أهله
ولا يوسع في الانفاق توسيعا لا حاجة إليه بحيث يكون به مسرفا فهو نهى عن جانبي
الافراط والتفريط ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط وهو العدل الذي ندب الله إليه
ولذلك فهم امفرط أو مفرط أو كلا طرفي قصد الامور ذميمة

وقد مثل الله سبحانه في هذه الآية حال الشيخ بحال من كانت يده مغلولة الى عنقه
مضجومة اليه مجموعة معه في الغل بحيث لا يستطيع التصرف بها ومثل حال من يجاوز
الحد في التصرف بحال من يبسط يده بسطاً لا يتعاقب سببه فيها بما يقبض الايدي عليه ولا
يتقي شيئاً في هذه التصوير مبالغة عظيمة بليغة ثم بين سبحانه غاية الطرفين المنهي
عنهما فقال (فتعد) تصير (ملوماً) مذموماً عند الناس بسبب ما انت عليه من الشح
أو عند الله سبحانه لان الشح غير مرضي لديه أو عند نفسه وأصحابك أو بلومك سائلوك اذا
لم تعطهم (محسوراً) بسبب ما فعلته من الاسراف أي منقطعاً عن المقاصد بسبب الفقر
والمحسور في الاصل المنقطع عن السير من حسره السفر اذا بلغ منه أي أثر فيه والبعير
الحسير هو الذي ذهبت قوته فلا يبعث به ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو
حسير أي كليل منقطع وقيل معناه نادماً على ما سلف فجعله هذا القائل من الحسرة التي هي
الندامة وفيه نظر لان الفاعل من الحسرة حسران ولا يقال محسور الا للعلوم وفي المختار

هم من الدواب التي يركبونها والانعام التي ياكلونها والعبيد والاماء الحسرة
لا عليهم فاهم هم المنفعة والرزق على الله تعالى (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
من السماء ماء فاقمينا كوهه وما ننزله بجزائرين وانالحن نضيي ونغيثون نحن الوارثون واقد
رنا ما كنا نعلم ان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) يخبر تعالى انه مالك كل شيء وان كل
شيء الاشياء من جميع الصنوف وما ننزله الا بقدر معلوم أي كما يشاء وكما يريد والله في ذلك من

الساحر أو السكاهن في كذب معها
مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا
يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا
فوجدناه حقاً للكلمة التي سمعت
من السماء ثم ذكر تعالى خلقه
الأرض وماءها ونباتها
وبسطها وما جعل فيها من الجمال
الروابي والأودية والآبار
والرمال وما أنبت فيها من الزروع
والثمار المناسبة وقال ابن عباس
من كل شيء موزون أي معلوم وكذا
قال سعيد بن جبيرة وعكرمة وأبو
الملك ومجاهد والحكم بن عيينة
والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة
ومنه من يقول بمقدر بقدر وقال
ابن زيد من كل شيء يوزن وبمقدر
بقدر وقال ابن زيد ما يرزقه أهل
الأسواق وقوله وجعلنا لكم فيها
معاشين ذكر تعالى أنه سرفهم
في الأرض في صنوف الأصناف
والمعاش وهي جمع معيشة وقوله
ومن آياته برازقين قال مجاهد
الدواب والأنعام وقال ابن جرير
العبيد والاماء والدواب والأنعام
والقصد أنه تعالى يبين عليهم عياسر
لهم من أسباب المكاسب ووجوه

الاسباب وصنوف المعاش وبما ضرر
التي به قد سونهم اورزقهم على خالقهم
معلوم وأرسلنا الرياح لوائح فأنزلناهم
علما ان المستقدمين منكم ولقد علمنا
شيء بهل عليه به يراد به وان عنده خزائن

الحكمة البالغة والرحمة لعباده لا على وجه الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جيفة عن عبد الله مامن عام بامطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاماهنا ثم قرأ وان من شيء الا عندنا خزائنه الاية رواه ابن جرير وقال أيضا حدثنا القاسم حدثنا هشيم أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة في قوله وما تنزل الا بقدر معلوم قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولكنه يطر قوم ويحرم آخرون عما كان في البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت وقال البراء حدثنا داود هو ابن (٣١٩) بكبر حدثنا حيان بن أغلب بن ثميم حدثني أبي

عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش الله الكلام فإذا أراد شيئا قال له كن فكان ثم قال لا يرويه إلا أغلب وإس بالقوى وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه وقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح أى تلقح السحاب فتدري ما وتلقح الشجر فتنتج عن أوراقها وأكمامها وذكريها بصيغة الجمع ليكون منها الانتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ووصفها بالعقم وهو عدم الانتاج لأنه لا يكون إلا بين شيئين فصاعدا وقال الأعشى عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله وأرسلنا الرياح لواقح قال ترسل الريح فتعمل الماء من السماء تمرر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة وكذا قال ابن عباس وأبراهيم النخعي وقسادة وقال الفضال يعمها الله على السحاب فتلقح فيه إلى ما وقال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله

الحسرة شدة الداهية على الشيء الفاتت تقول حسره على الشيء من باب طرب وحسره أيضا فهو وحسره وحسره غير تحسيرا وعن مسيار أبي الحكم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزم من العراق وكان معه طاهر كرميا فقصه بين الناس فبلغ ذلك قوما من العرب فقالوا انا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجدوه قد فرغ منه فأنزل الله ولا تجعل يدك الاية أخرجه سعيد بن منصور ورواها المذخر وأقول ولا أدري كيف هذا فالاية ممكنة ولم يكن اذ ذلك العرب يقصدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحمل اليه شيء من العراق ولا مما هو أقرب منه عن ان فتح العراق لم يكن الا بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم ثم سلى رسوله والمؤمنين بان الذي يرهقهم من الاضاقه ليس له وانهم على الله سبحانه ولكن المشيئة الخالق الرازق فقال (ان ربك يسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع له على بعض ويضيقه على بعض لحكمة بالغة لا يكون من وسع له رزقه مكرما عنه ومن ضيقه عليه هيئته ويقدروا يقترب من اذنان قيل ويجوز ان يراد أن البسط والقبض انما هما من أمر الله الذي لا تنفى خرائنه فاما عباده فعليهم ان يقتصدوا وعن الحسن في الاية قال ينظر له فان كان الغنى خيرا له أغناه وان كان الفقر خيرا له أفقره ثم علل ما ذكره من البسط للبعض والتضييق على البعض بقوله (انه كان بعباده خيرا بصيرا) أى يعلم ما يسرون وما يعلنون لا تخفى عليه خافية من ذلك فهو الخبير باحوالهم البصير بكيفية تدبيرهم في ارزاقهم وفي هذه الاية دليل على انه المتكامل بارزاق عباده فذلك قال بعدها (ولا تقتلوا اولادكم) خطاب للموسرين بدليل قوله (خشية املاق) أى فاقة وفقر يقع بكم يقال أملك الرجل اذا لم يبق له الا المقات وعى الحجارة العظام الملس يقال أملك اذا اقتدر وسلب الدهر ما بيدهم الله سبحانه عن ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وقد كانوا يفتلون ذلك وقد تقدم في سورة الانعام نهى المعسر من قوله ولا تقتلوا اولادكم من املاق وفي الكرخي حاصله ان قتل الاولاد ان كان الخوف الفقر فهو من سوء الظن بالله وان كان لاجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم فالاول ضد التظيم لامر الله والثاني ضد التنفقة على خلق الله وكلاهما مذموم ثم بين ان خوفهم من الفقر حتى يلغوا بسبب ذلك الى قتل الاولاد لا وجه له فان الله سبحانه هو الرازق لعباده يرزق الابناء كما يرزق الآباء فقال (نحن نرزقهم واياءكم) واستتم لهم رزاقين حتى تصنعوا بهم هذا الصنع ثم علل

المبشرة فتقم الارض قما ثم يبعث الله المنيرة فتشير السحاب ثم يبعث الله الموافقة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا وأرسلنا الرياح لواقح وقدره ابن جرير من حديث عيسى بن ميمون عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الريح اجنوب من الجنة وهى التى ذكر الله فى كتابه وفيها منافع للناس وهذا السناد ضعيف وقال الامام أبو بكر عبد الله ابن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني يزيد بن جعدة الليثي انه سمع عبد الرحمن بن مخراق يحدث عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق فى الجنة رجا بعد الريح سبع سنين وان من دونها بابا هلقا

وانما ياتكم الریح من ذلك الباب ولو فتح لا ذرت ما بين السماء والارض من شيء وهى عند الله الاذیب وهى فيكم الجنوب وقوله فاستيقنا كوه أى أنزلناه لكم عندنا يمكنكم ان تشرىوا منه ولو شاء جعلناه أجاجا كما به على ذلك فى الآية الأخرى فى سورة الواقعة وهى قوله تعالى أفرايت الماء الذى تشرىون أنتم أنزلناه من المزن أم نحن المنزلون لو شاء جعلناه أجاجا فلو لا تشكرون وفى قوله وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرة فيه تسجود وقوله وما أنتم له بخازنين قال سفیان النورى بماهين ويحتمل ان المراد وما أنتم له بخازنين بل (٢٢٠) نحن ننزله فنحفظه عليكم ونجعل له معيناً ولا يسع فى الارض ولو شاء تعالى

لأعاره رذهب به ولكن من رحمته أنزله وجهه له عذبا وحفظه فى العيون والآبار والأنهار وغير ذلك لیسقى لهم فى طول السنة يشرىون ويبتون أنعامهم ووزر وعهم وثمارهم وقوله وأنا الحسن نجى ونجت اخبار عن قدرته تعالى على يده الخلق واعادته وأنه هو الذى أحى الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يحييهم كلهم ليوم الجمع وأخبرانه تعالى يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون ثم أخبر تعالى عن تمام علمهم أولهم وآخرهم فقال ولقد علمنا المستقدمين منكم الآية قال ابن عباس رضى الله عنهم المستقدمون كل من هلك من نسل آدم عليه السلام والمستأخرون من موسى ومن سبأ إلى يوم القيامة وروى شعوب عن عكرمة ومجاهد والنخاع وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون فى

سجانه النهى عن قتل الاولاد لذلك بقوله (ان قتلهم كان خطأ كبيرا) قرأ الجهم وبكسر الخاء وسكون الطاء وقرئ بفتح الخاء والطاء يقال خطى فى دينه خطأ اذا أنتم وخطأ اذا سلك سبيل خطأ عامدا أو غير عامد قول الأزهري خطى بخطأ خطأ من ل انتم يا نهم انما اذا تعمده الخطأ أو أخطأ اذا لم يتعمد خطأ أو الخطأ انتم يقوم مقام الاخطاء وفيه لغتان انقصر وهو الجيد والمد وهو قليل وقرأ ابن كثير خطه بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهاء مرة قال النحاس ليس لهذه القراءة وجه وكذلك جعلها أبو حاتم غلطا ولما نسي سجانه عن قتل الاولاد المستدعى لأفناء النسل ذكر الهى عن الزنا المنفصى الى ذلك لما فيه من اختلاط الانساب فقال (ولا تقرى الزنا) قربت الامر أقرب من باب تعب وفى لغة من باب قتل قربا بابا لكسر فعلته أو دانيته ومن الاول هذه الآية ومن الثانى لا تقرب الحى أى لا تدن منه وفى النهى عن قربانه بما شرة قد دماته نهى عنه بالاولى فان الوسيلة الى الشئ اذا كان حراما كان المتوسل اليه حراما بشعوى الخطاب والزنا فيه لغتان المد والتقصير ثم علل النهى عن الزنا بقوله (انه كان فاحشة) أى قبيحا متبعا لغاى القبح مجاوزا للحد شرعا وعقلا (وساء سبيلا) أى بنس طريقا طريقته وذلك لانه يؤدى الى النار ولا خلاف فى كونه من كبار الذنوب وقد ورد فى تبيحه والتفسير عنه من الأدلة ما هو معلوم وهو يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية واجباب الحد على نفسه ومنم الاختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم أحد بترتيبه وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم وعن السدى فى الآية قال يوم نزلت هذه لم تكن حدود فجاءت بعد ذلك الحدود فى سورة النور وعن أبي بن كعب قال ساء سبيلا الامن تاب فان الله كان غفورا رحاما فذكر لعمر قاتاة فسأله فقال أخذتها من فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس لك عمل الا الصنق بالقبض ولما فرغ سبحانه من ذكر النهى عن القتل لخصوص الاولاد وعن النهى عن الزنا الذى ينفضى الى ما ينفضى اليه قتل الاولاد من اختلاط الانساب وعدم استقرارها نهى عن قتل الانفس المعصومة على العموم فقال (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله) أى التى جعلها الله معصومة بعد معة الدين أو عصمة العهد والاصل فى القتل هو الحرمة الغلظة وحل القتل انما يثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الأصل ثم استثنى الحالة التى يحصل فيها حل القتل وهى الامسباب العارضة فقال

الصنف من أجل النساء فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وقد ورد فيه حديث (الا

غريب جـ) قال ابن جرير حدثني محمد بن موسى الجبرني حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمر بن قيس حدثنا عمر بن مالك عن ابى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنه ما قال كانت نصى خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلهما قط وكان بعض المسلمين اذا صلوا استقدموا بعني لثلا براها وبعض يستأخرون فاذا جددوا نظر والى من تحت أيديهم فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم الآية وهذا فيه نكارة شديدة وكذا رواه أحمد وابن أبي حاتم فى تفسيرهم ورواه الترمذى والنسائي فى كتاب

التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما وحكى عن ابن معين تضعفه
وأخرجه مسلم وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقد رواه عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو السكري
انه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله وقد علمنا المتقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين والظاهر انه من كلام أبي
الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر وقد قال الترمذي هذا أشبهه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن
محمد بن أبي معشر عن أبيه انه سمع عون بن عبد الله يذكر محمد بن كعب في (٢٢١) قوله وقد علمنا المتقدمين منكم والله أعلمنا

المستأخرين انما في صفوف
الصلاة يقال محمد بن كعب ليس
هكذا والله أعلمنا المتقدمين منكم
الميت والمفتول والمستأخرين من
يخلق بعدوان ربك هو يحشرهم
انه حكيم عليهم فقال عون بن عبد
الله وقد ثبت انه وجزا الخيرا (واقعد
خلقنا لانسان من صلسال من
حامس-نون والجان خلقناه من
قبل من نار السهوم) قال ابن
عباس ومجاهد وقادة المراد
بالصلصال ههنا السراب اليابس
والظاهر انه كقوله تعالى خلق
الانسان من صلصال كالفخار وخلق
الجان من نار من نار وعن مجاهد
أيضا الصلصال المني وتفسير الآية
بالآية أولى وقوله من حامس-نون
أي الصلصال من حماء هو الطين
والمسنون الاملس كما قال الشاعر
ثم خاضعتهما الى القبة الخفة

مراه تمشي في ممر مسنون
أي املس صقيل ولهذا روى
عن ابن عباس انه قال هو التراب
الرطب وعن ابن عباس ومجاهد
أيضا والصلصال ان الحماء المسنون
هو المني وقيل المراد بالصلصال ههنا

(الابالحق) كالأدلة والزمان المحصن وكالتصاص من القاتل عمداء وانا وما يتحقق بذلك
والاستثناء مفرغ أي لا تقتلوا باب من الاسباب الاسباب متلبس بالحق أو الامتلاء بين
بالحق وقد تقدم الكلام في هذا في الانعام وعن الفضال قال نزل هذا بمكة ونبي الله صلى الله
عليه وآله وسلم به او هو أول شيء نزل من القرآن في شأن القتل كان المشركون من أهل مكة
يفتألون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الله من قتلكم من المشركين فلا
يحملكم قتله اياكم على ان تقتلوا له أباً وأخاً أو واحداً من عشيرته وان كانوا مشركين
فلا تقتلوا الا قاتلكم وهذا قبل ان تنزل براءه وقبل ان يؤمر بقتل المشركين فذلك قوله فلا
يسرف في القتل انه كان منصوباً يقول لا تقتل غير قاتلك وهي اليوم على ذلك الموضع من
المسلمين لا يحل لهم ان يقتلوا الا قاتلهم ثم بين حكم بعض المقتولين بغير حق فقال (ومن قتل
مظلوماً) أي لا بسبب من الاسباب المسوغة لقتله شرعاً وهو أحد ثلاث كفر بعد ايمان وزنا
بعد احصان وتقتل مؤمن معصوم عمداً كما في الحديث (فقد جعلنا وليه) أي لمن يلى أمره
من ورثته ان كانوا موجودين أو لمن له سلطان ان لم يكونوا موجودين (سلطاناً) أي سلطاناً
على القاتل ان شاء قتل وان شاء عفا وان شاء أخذ الدية قال ابن عباس سلطاناً بآية من الله
أنزلها بطلبها ولي المقتول القود أو له قتل ثم لما بين اباحة القصاص لمن هو مقتول لم
المقتول أو ما هو عوض عن القصاص نهى عن مجاوزة الحد فقال (فلا يسرف) أي
لا يجاوز إلى اباحة الله له (في القتل) فيقتل بالواحد الاثنان أو جماعة أو يذبح بالقاتل
أو يعذبه وقرأ الجمهور بالتحية وقرئ بالنوقية فهو خطاب للقاتل الأول ونهى له عن القتل
أي فلا تسرف أيها القاتل المتعدي بالقتل بغير الحق فان عين القصاص مع ما عليك من
عقوبة الله ومخطئه وعنته وقال ابن جرير الحداب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللأمة من
بعده أي لا تقتل يا محمد غير القاتل ولا تفعل ذلك الا بحدك وفي قراءة أبي لا تسرفوا قال
مجاهد معني لا يسرف لا يكثر ولا يقتل الا قاتل رجمه وعن زيد بن أسلم ان الناس في
الجاهلية كانوا اذا قتل الرجل من القوم رجلاً لم يرضوا بقتل قاتله حتى يقتلوا به رجلاً
شريراً واذا كان قتلهم شريفاً لم يقتلوا قاتله وحده بل قتلوا معه غيره فوعظوا في ذلك
بقول الله سبحانه فلا يسرف في القتل ثم عمل النبي عن السرف فقال (انه) يعني ولي
المقتول (كان منصوراً) أي مؤيداً معاً فان الله سبحانه قد نصره باثبات القصاص له

(٤١ فتح البيان خامس) • المصوب وقوله والجان خلقناه من قبل أي من قبل الانسان من نار السهوم قال ابن عباس هي
السهوم التي تقتل وقال بعضهم السهوم بالليل والنهار ومنهم من يقول السهوم بالليل والحروب بالنهار وقال أبو داود الطيالسي حدثنا
شعبة عن أبي اسحق قال دخلت على عمر الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثاً سمعته من عبد الله بن مسعود يقول هذه السهوم جزء
من سبعين جزءاً من السهوم التي خلق منها الجان ثم قرأ الجان خلقناه من قبل من نار السهوم وعن ابن عباس ان الجان خلق من أهب
النار في رواية من أحسن النار وعن عمرو بن دينار من نار الشمس وقد ورد في الحديث خلق الملائكة من نور وخلق الجان من نار

من نار وخلق آدم مما وصف لكم والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارته محتدته (واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماسنور فاذا سوتته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس ابي ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك ان لا تكون مع الساجدين قال لم اكن لا جد لبشر خلقته من صلصال من حماسنون) يد كرتعالى تنويه به كرا دم في ملائكتهم قبل خلقه وتشريره اياه بأمر الملائكة بالسجود له وبذ كرتخلف ابليس عدوه عن السجود له من بين سائر (٢٢٢) الملائكة حسدا وكفرا وعنادا واستكبارا واقتضارا بالباطل ولهذا قال لم اكن

لا جد لبشر خلقته من صلصال من حماسنون كقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله ارايت هذا الذي كرمت على الآية وقد روى ابن جرير ههنا اثر ا غريبا عجيبا من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال اني خالق بشر من طين فاذا سوتته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين قالوا لا نفعل فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال لهم من ذلك قالوا اسمعنا وأطعنا الا ابليس كان من الكافرين الاولين وفي ثبوت هذا عنه بعدوا الظاهرا اسرائيل والله أعلم (قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يد كرتعالى انه أمر ابليس أمرا كونيا لا يخاف ولا يمانع بالروح من المنزلة التي كان فيها من الملا الاعلى وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد اتبعه لعنة لا تزال متصلة به لاحقة

أو الدية عما أبرزه من الخلق وأودعه من الادلة وأمر أهل الولايات بجموعته والقيام بحقه حتى يستوفيه ويجوز أن يكون الضمير راجعا الى المقتول ظمنا أي ان الله نصره بولييه يعني منصورا في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطايه واجباب النار لقائه قيل وهذه الآية من أول ما نزل من القرآن في شأن القتل لانهم امكية كما تقدم ولما ذكر سبحانه النهي عن اتلاف النفوس أتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال وكان أهمها بالحفظ والزعاية مال اليتيم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) الخطاب لا ولياء اليتيم والنهي عن قربانه مبالغة في النهي عن المباينة واتلافه قال قتادة كانوا لا يخاطبونهم في مال ولا ما كل ولا مركب حتى نزلت وان تخاطبوا هم فاخوانكم ثم بين سبحانه ان النهي عن قربانه ليس المراد منه النهي عن مباشرة فيما يصلحه ويفيده بل يجوز لولي اليتيم ان يفعل في مال اليتيم ما يصلحه وذلك يستلزم مباشرة فقال (الا بالتي) أي الابا لخصلة التي (هي أحسن) من جميع الخصال وهي حفظه وطلب الربح فيه والسعي فيما يزيد به والاتفاق عليه بالمعروف ثم ذكر غاية النهي عن قربان مال اليتيم فقال (حتى يبلغ) أي لا تقربوه حتى يبلغ اليتيم (أشده) فاذا بلغ أشده كان لكم ان تدفعوه اليه أو تصرفوا فيه باذنه لان التصرف له حينئذ والاشد مفرد يعني القوة وقيل جمع لا واحده من لفظه وقيل جمع شدة بكسر الشين وقيل جمع شد كذلك وقيل جمع بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة وكال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بحاله والام بشفه عنه الحجر وان كان الاشد في الاصل عبارة عن بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وقيل هي ثمان عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في الانعام (وأوفوا بالعهد) قد تقدم الكلام فيه في غير موضع قال الزجاج كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد فدخل في ذلك ما بين العبد وربهم وما بين العباد بعضهم لبعض والوفاء بالعهد هو القيام بحفظه على الوجه الشرعي والقانون المرئى الا اذا دل دليل خاص على جواز النقص (ان العهد كان مسؤلا) عنه فالمسؤل هنا هو صاحبه وقيل ان العهد يستل تكبيل الناقض فيقال فيم نقض كالموودة تستل فيم قتل وان كان سؤال العهد تخيلا وتمثيلا وسؤال الموودة تحقيقا قال سعيد بن جبيرة ان الله يسأل ناقض العهد عن عهده وعن ابن جرير قال يسأل عهده من أعطاه اياه (وأوفوا الكيل) أي أتموه ولا تخسروا وخطاب للبايعين (اذا كنتم) أي وقت كيدكم للناس وأخذ

له متواترة عليه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبيرة انه قال لعن الله ابليس تغيرت صورته عن صورة من الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا الى يوم القيامة منها رواه ابن أبي حاتم وأنه لما تحقق الغضب الذي لامرله سأل من تمام حده لا آدم وذريته النظر الى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه اجيب الى ذلك استدراجا له وامهالا فلما تحقق الثارة فبهم الله (قال رب بما أغويتني لا زين لهم في الارض ولا غوينهم أجمعين الاعباد منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لم وعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) يقول تعالى محيرا

عن ابليس وقمره وعنه انه قال لا رب بما أغويتني قال بعضهم اقسام باغوا الله فقلت ويحتمل انه بسبب ما أغويتني وأضللتني لا زين
لهم أي لذرية آدم عليه السلام في الارض أي أحب اليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأوهم اليها وأزعجهم اليها ازعاجا ولا أغويتهم أجمعين
أي كما أغويتني وقدرت على ذلك الاعداد منهم المخلصين كقوله رأيت هذا الذي كرمت علي لئن أحرقتني الى يوم القيامة لا تحسكن
ذريته الا قليلا قال الله تعالى له منتهد ومتوعدا هذا صراط علي مستقيم أي مرجعكم كلكم الي فاجازيكم بما عملتم ان خيرا خيرا وان
شرافا شر كقوله تعالى ان ربك ابله المرصاد وقيل طريق مرجعها الى الله تعالى (٢٢٣) واليه تنتهي قالة مجاهد والحسن وقتادة كقوله

وعلى الله قصد السبيل وقرا قيس
ابن عباد ومحمد بن سيرين وقتادة
وهذا صراط علي مستقيم كقوله
وانه في أم الكتاب لدينا على حكم
أي رفيع والمثا وورثا الاولي
وقوله ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان أي الذي تدرت لهم الهداية
فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك
اليهم الامن اتبعك من الغاوين
استثناء منقطع وقد ورد ابن جرير
ههنا من حديث عبد الله بن المبارك
عن عبد الله بن موهب حدثنا
يزيد بن قيس قال كانت الانبياء
يكون لهم مساجد خارجة من
قراهم فاذ أراد النبي ان يستقني
ربه عن شيء خرج الى مسجده
فصلى ما كتب الله ثم سأل ما بدله
فيمضي في مسجده اذ جاء عدو
الله يعني ابليس حتى جلس بينه
وبين القبلة فقال النبي أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك
ثلاث مرات فقال عدو الله
أخبرني بأي شيء تنجو وأني فقال
النبي بل أخبرني بأي شيء تغيب ابن
آدم مرتين فأخذ كل واحد على
صاحبه فقال النبي ان الله تعالى يقول
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان

من هذا بعضهم ان أجرة الكيل على البائع لانهم من تمام التسليم وكذلك عليه اجرة النفاذ
للمن وهو كذلك كما هو مقرر في الفروع (وزنوا بالقسطاس المستقيم) قال الزجاج هو ميزان
العدل أي ميزان كان صغيرا أو كبيرا من موازين الدراهم وغيرها وفيه لغتان ضم القاف
وكسرها وقيل هو القبان المسمى بالقرسطون قاله الضحاك وقيل هو العدل نفسه قاله
مجاهد وهي لغة الروم قاله ابن جبير وقيل لغة سريانية ثم عربت ولا يقدح ذلك في عربية
القرآن لأن الجعبي اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا والاصح انه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل والتفاوت
الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب
الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع
والشراء فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعيا في ابقاء الاموال على اربابها
بذلك أي ابقاء الكيل والوزن بالميزان المستوي (خير) لكم عند الله وعند الناس يتأثر
عنه حسن الذكرو ترغيب الناس في معاملته من كان كذلك (وأحسن تأويلا) أي عاقبة
من آل اذا رجع ثم أمر سبحانه بإصلاح اللسان والقلب فقال (ولا تنف ما ليس لك به علم)
أي لا تتبع ما لا تعلم وهو مأخوذ من قولك قفوت فلانا اذا اتبعته أثره ومنه قافية الشعر
لأنها تنفوك كل بيت ومنه القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثارا أقدم الناس وحكي
ابن جرير عن فرقة انها قالت قفي وقاف مثل عني وعاث وقال منذر بن سعيد البلوطي قفي
وقاف مثل جذب وجذب وقيل مجزوم بحذف الواو من باي عدا وما أي لا تنقل رأيت
ولم ترو سمعت ولم تسمع وعلت ولم تعلم ومعنى الآية النهي عن أن يقول الانسان ما لا يعلم
أو يعمل بما لا علم له وهذه قضية كلية وقد جعلها جماعة من المفسرين خاصة بأمور فقال
ابن عباس لا تدم أحد بما ليس لك به علم وقيل هي في شهادة لزور قاله محمد بن الحنفية
وقيل هي في القذف وقال القتيبي معنى الآية لا تتبع الحدس والظنون وهذا صواب
فان ما عدا ذلك هو العلم وقيل المراد بالعلم هنا هو الاعتقاد الراجح المستند مستند
قطعا كن أو ظاهريا قال أبو السعود في تفسيره واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه
وأقول ان هذه الآية قد دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم ولكنها عامة مخصصة
بالادلة الواردة بجواز العمل بالظن كالم عمل بالعام وبخبر الواحد والعمل بالشهادة

الامن اتبعك من الغاوين قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي ويقول واما ينزعك من الشيطان نزع فاستعذ بالله
انه سميع علم وان الله ما أحسنت بك قط الا استعذت بالله منك قال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي أخبرني بأي شيء
تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب والهوى وقوله وان جهنم لموعدهم أجمعين أي جهنم موعدهم جميع من اتبع ابليس كما قال ابن
الفرآن ومن يكفر بمن الاحزاب فالتار موعده ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم أي قد كتب لكل باب منها
جزء من اتباع ابليس يدخلونه لاجلهم عنهم اجاز الله ذلك بحسب عمله ويستقر في دركة بقدر عمله قال اسمعيل

ابن عليه وشعبة كلاهما عن أبي هرون الغنوي عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخاطب قال إن أبواب جهنم هكذا قال أبو هرون أطباء وبعضها فوق بعض وقال إسرائيل عن أبي إسحق عن هبيرة بن مريم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيم تلى الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى غفلت كلها وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق وقال ابن جرير سبعة أبواب أولها جهنم ثم لقي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الحميم ثم الهاوية وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه وهكذا روى عن الأعمش نحوه أيضا وقال قتادة (٣٢٤) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم هي والله منازل بأعمالهم

رواه ابن جرير وقال جوير عن الضحاك لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين آمنوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لأهل التوحيد يرجي لهم ولا يرجي لأولئك أبدا وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة سبعة أبواب باب منها من سل السف على أمي أو قال على أمة محمد ثم قال لأنه رفقه الأمن حديث مالك ابن مغول وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الخلال حدثنا زيد يعني ابن يحيى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي أنسرة عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم لم في قوله لكل باب منهم جزء مقسوم قال أن أسل النار منهم من تأخذه النار إلى كعبه وإن منهم من تأخذه النار إلى هجرته ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه منازلهم بأعمالهم فذلك قوله لكل باب منهم جزء مقسوم

والاجتهاد في القبلة وفي جزاء الصيد ومحو ذلك فلا يخرج من عمومها ومن عموم أن الظن لا يغني من الحق شيئا إلا ما قام دليل جواز العمل به فالعمل بالرأي في مسائل الشرع إن كان لعدم وجود الدليل في الكتاب والسنة فقد رخص فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل في قوله لما دنا بعنه فاضيا ثم قضى قال بكتاب الله قال فإن لم تجد قال فبسن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فإن لم تجد قال أجتهد رأيي وهو حديث صالح للاحتجاج به كما أوضح الشوكاني ذلك في بحث مفرد وأما التوثيق على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب والسنة ولكنه قصر صاحب الرأي عن البحث فإبرأه فهو داخل تحت هذا النهي دخولا أوليا لأنه محض رأي في شرع الله وللناس عنه غنى بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تدع إليه حاجة على أن الترخيص في الرأي عند عدم وجود الدليل انما هو رخصة للمجتهد يجوز له أن يعمل به ولم يدل دليل على أنه يجوز تأخير العمل به وينزله منزلة مسائل الشرع وبهذا يتضح لنا أن امتناعه ويظهر لنا كمال ظهور أن هذه الآراء المدونة في الكتب الفروعية ليست من الشرع في شيء والعمل بها على شنا جرف هار فالجهد المستكثر من الرأي قد قلنا ما ليس له به علم والمقلد المسكين العامل برأي ذلك المجتهد قد عمل بما ليس له به علم ولا لمن قلده ظلمات بعضها فوق بعض وقد قيل إن هذه الآية خاصة بالعقائد والأدب على ذلك أصلا ثم علل سبحانه النهي عن العمل بما ليس بعلم بقوله (إن السمع والبصر والفؤاد) أي القلب (كل أولئك) أي كل واحد من الحواس الثلاثة وأجريت مجرى العقل لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها وقال الزجاج إن العرب تعبر عما لا يعقل وعما يعقل بأولئك والضعيف (كان) يرجع إلى كل وكذا الضمير في (عنه) وقيل الضمير في كان يعود إلى الثاني المدلول عليه بقوله لا تنف وقوله عنه في محل رفع لاسناد (مسؤولا) إليه ورد بما حكاه النحاس من الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جارا ومجرورا وقيل الأولى أن يقال إنه فاعل مؤول المحذوف والمذكور منسره ومعنى سؤال هذه الجوارح أنه يسأل صاحبها عما استعملها فيه لأنها آلات والمستعمل لها هو الروح الإنساني فإن استعملها في الخير استحق الثواب وإن استعملها في الشر استحق العقاب وهو اختيار الزمخشري وقيل إن الله سبحانه ينطق الأعضاء هذه عند سؤالها فتصبر عما فعله صاحبها وعليه جرى القاضي فتشمل أيضا

(إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين وزعمنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لأصحابها لا يعمهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبي عبادي أني أما الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) لماذا ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأنهم في جنات وعيون وقوله ادخلوها بسلام أي سالمين من الآفات سلم عليهم آمنين من كل خوف وفزع ولا تخشوا من انقطاع ولا إخراج ولا فناء وقوله وزعمنا ما في صدورهم الآية روى القاسم عن أبي امامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدين من الصفا والصفاء حتى إذا تكافؤوا وقابلوا أزع الله ما في صدورهم في الدين من غل ثم قرأ

وزعمنا ما في صدورهم من غل هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي امامة ضعيف وقد روى سفيان في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي امامة قال لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكّل الناجي أن أباسعيد الخدري حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيطبخون على قنطرة بين الجنة والنار فيقذف من بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن حماد بن عمار عن محمد بن سيرين

قال استأذن لا شق على علي رضي الله عنه وعنده ابن طلحة نفسه ثم أذن له فلما دخل قال اني لا أزال انما حبتني لهذا قال أجل قال اني لا أرى لو كان عندك ابن عثمان لحبستني قال أجل اني لا رجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى وزعمنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سررمته قبايلين وقال أيضا حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضمير حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد حدثنا أبو مالك الأنجمي حدثنا أبو حبيبة مولى طلحة قال دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجبل فحرب به وقال اني لا رجو أن يجعلني الله وأباك من الذين ينزع الله ما في صدورهم من غل ويجعلنا اخوانا على سررمته قبايلين وحدثنا الحسن بن علي بن فضال حدثنا أبو معاوية الضمير حدثنا أبو مالك الأنجمي عن أبي حبيبة مولى طلحة قال دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجبل فحرب به وقال اني لا رجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله وزعمنا

لأصحابها وهذا بلغ عما قبله وفي الآية دليل على أن العبد مؤاخذه بعزمه على المعصية (ولا تمس في الأرض مرجا) قيل هو شدة الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل تجاوز الانسان قدره وقيل الخيلاء في المشي وقيل البطور والاشرو وقيل النشاط والظاهر أن المراد به الخيلاء والفخر قال الزجاج في تفسير الآية لا تمس في الأرض محتالا تخفوا وذكرا الأرض مع أن المشي لا يكون الا عليها أو على ما هو معتد عليها أنا كيد أو تقرير أو لقد أحسن من قال ولا تمس فوق الأرض الا تواضعا * فكم تحتها قوم هم منذ أرفع وان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم مات من قوم هم منك أضع والمرح مصدر وقع حالا أي ذامر ح أي مارح بالكب والخيلاء وفي وضع المصدر موضع الصفه نوع تاكيد وقرئ مر جابنخ الراوي مر جابنكسرها على انه اسم فاعل ثم علل سبحانه هذا النهي فقال (انك ان تخرق الأرض) يقال خرق الثوب أي شقه وخرق الأرض قطعها والخرق الواسع من الأرض والمعنى انك ان تخرق الأرض بعثبك عليها تكبرا حتى تبلغ آخرها وفيه تمكيد بالاختلال المتكبر وقيل المراد بخرق الأرض نهبها لا قطعها بالمسافة وقال الأزهري خرقها قطعها قال النحاس وهذا بين كله مأخوذ من الخرق وهو القصة الواسعة ويقال فلان أخرق من فلان أي أكثر سفرا (وان تبلغ الجبال طولا) أي وان تبلغ قدرتك الى ان تطاول الجبال حتى يكون عظم جنتك حاملا لك على الكبر والاختيال فلا قوة لك حتى تخرق الأرض بالمشي عليها ولا عظم في يدك حتى تطاول الجبال وتساويها بكبرك فما الخامل لك على ما أنت فيه وأنت أحقر وأصغر من كل واحد من الجبابرة فكيف يليق بك الكبر (كل ذلك) أي جميع ما تقدم ذكره من الاوامر والنواهي الخمس والعشرين أو ما نهى عنه فقط من قوله ولا تنف ولا تمس (كان سيئه عند ربك) على اضافة سيئه الى الضمير ويؤيد هذا القراءة قوله (مكروها) فان السيء هو المكروه ويؤيد هذا أيضا قراءة أي كان سيئاته وقراءات نافع وغيره سيئه على انها واحدة السيئات واتصافها على خبرية كان ومكروها خبر ثان لكان أو بدل من سيئه ورجح أبو علي انقضى البدل وقد قيل في توجيهه بغير هذا مما فيه تعسف لا يخفى قال الزجاج والاضافة أحسن لأن ما تقدم من الآيات فيه ماسي وحسن فسيئه المكروه ويتبوى ذلك التدكير في

في صدورهم من غل اخوانا على سررمته قبايلين قال ورجلان جالسان على ناحية الدساط فقالا لا الله أعذل من ذلك تقتلهم بالاس وتكونون اخوانا فقال علي رضي الله عنه قوما بعد أرض وأنصتها فمأثم أذا لم أكن أنا وطلحة وذ كرأبومعاوية الحديث بطوله وروى وكيع عن أبان بن عبد الله الجبلي عن نعيم بن أبي هند عن ربي بن خراش عن علي بن نعيم وقال فيه لاقام رجل من همدان فقال الله أعذل من ذلك يا أمير المؤمنين قال فصاح به على صيحة فظننت ان القصر تدهده لها ثم قال اذالم نكن نحن فنهم وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة وذ كره وفيه فقال الحدث الاعده ذلك فقام اليه علي رضي الله عنه فضر به بشي كان في يده في رأسه وقال فنهم

يا عوراذ المذنبين نحن وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي رضي الله عنه
فحبه طويلا ثم اذن له فقاتل له اهل البيت لا مقتضوهم فقال علي بشيك التراب اني لارجو ان اكون انا وطبعة والزبير عن قال الله
وزرعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن حصوه وقال سفيان
ابن عيينة عن اسرائيل عن ابي موسى سمع الحسن البصري يقول قال علي فبينا والله اهل بدر نزلت هذه الآية وزرعنا ما في صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين وقال (٣٢٦) كثير البر ادخلت على ابي جعفر محمد بن علي فقلت ولي وليكم وسلي سلمكم

وعسوى عدوكم وحرى حر بكم
أنا سألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر
فقال قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين
تو له ما كنسرفا أدركك فهو في
رقبتي هذه ثم تلا هذه الآية اخوانا
على سرر متقابلين قال أبو بكر وعمر
وعلى رضى الله عنهم أجمعين وقال
النورى عن رجل عن أبي صالح في
قوله اخوانا على سرر متقابلين قال
هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطهمة والزبير وعبد الرحمن بن
عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد
ابن زيد وعبد الله بن مسعود رضى
الله عنهم أجمعين وقوله متقابلين
قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفا
بعض وفيه حديث مرفوع قال
ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك
القزويني حدثنا حسان بن حسان
حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى
ابن مهن عن ابراهيم القومسي عن
سعيد بن بشر جليل عن زيد بن أبي
أوفى قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فثلا هذه الآية
اخوانا على سرر متقابلين في الله
ينظر بعضهم الى بعض وقوله لا يعصم
فيها نصب يعنى المشقة والاذى كما
جاء في الصحاح ان الله أمرني أن

المكروه ومن قرأ بالتورين جعل كل ذلك اسماطة بالمنهى عنه بدون الحسن والمعنى كل ما نهى الله عنه كان سيئة وكان مكروها والمكروه على هذا بدل من السيئة وليس بنعت والمراد بالمكروه عند الله هو الذي يبغضه ولا يرضاه لانه غير مراد مطلقا اقيام الادلة القاطعة على ان الاشياء واقعة بارادته سبحانه وذ كر مطلق الكراهة مع ان في الاشياء المتقدمة ما هو من البكائر اشعار بان مجرد الكراهة عنده تعالى يوجب انزجار السامع واجتنابه لذلك والحاصل ان في الحصول المتقدمة ما هو حسن وهو المأمور به وما هو مكروه وهو المنهى عنه فعلى قراءة الاضافة تكون الاشارة بقوله كل ذلك الى جميع الحصول حسننا ومكروها ثم الاخبار بان ما هو سيئ من هذه الاشياء هو المنهى عنه عند الله وعلى قراءة الافراد تكون الاشارة الى المنهيات ثم الاخبار عن هذه المنهيات بانها سيئة مكروهة عند الله (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله لا تجعل مع الله الى هذه الغاية (مما أوصى اليك ربك) أى من جنسه أو بعض منه وذ كر هنا في ثمان عشرة آية أولها لا تجعل وذ كر في التوراة في عشر آيات (من الحكمة) سمى حكمة لانه كلام محكم وهو ما علمه من الشرائع أو من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والنساق وعند الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به قاله البيضاوى فالتوحيد من القسم الاول وباقى التكاليف من القسم الثانى (ولا تجعل مع الله الها آخر) كر سبحانه النهى عن الشرك لنا كيدا وقرير او تنبيها على أنه رأس خصال الدين وعمده ومبدأ الامر ومنتهاه وعلى أنه ملاك الحكمة وأساسها قيل وقد راعى سبحانه في هذا لنا كيدا دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال الشرك في الدنيا ورتب على الثانى ما هو نتيجة في العقبي فقال (فلنقى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله مطرودا وفي القعود هناك والالامة هنا اشارة الى أن للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة (أفانصفا كم) أى خصكم قاله أبو عبيدة وقال الفضل أخلصكم (ربكم بالبين واتخذ من الملائكة اناما) أى بنات والخطاب للكفار القائلين بان الملائكة بنات الله وفيه توبيخ شديد وتقريع بالغ لما كان يقوله هؤلاء الذين هم كالانعام بل هم أضل وانشاء للعطف على مقدر كنظاره محافذ كراه (انكم تتقونون قولنا عظيما) بالغافى العظيم الجرد على الله الى مكان لا يقادر قدره

أبشركم بحجة بيت في الجنة من قصب لا صلب فيه ولا نصب وقوله وما هم منها بمخرجين كما جاء في الحديث يقال يا أهل الجنة ان لكم أن تعبدوا فلا تمضوا أبدا وان لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدا وقال الله تعالى خالدين فيها لا يفتنون عنها حولا وقوله نبي عبادي أي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم أي أخبر بآحاد عبادي أي ذورجة وذو عقاب الأليم وقد تقدم ذكر طية هذه الآية الكريمة وهي دالة على مقام الرجاء والخوف وذكر في سبب نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه بضعة يكون

فقال اذكروا الجنة واذكروا النار فقلت نبي عبادي انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم رواه ابن ابي حاتم وهو مرسل
وقال ابن جرير حدثني المثني حدثنا محقق اخبرنا ابن المكي اخبرنا ابن المبارك اخبرنا معصب عن ثابت حدثنا عاصم بن عبيد الله
عن ابن ابي رباح عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل
منه بنو نضلة فقال لا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى اذا كان عند الحجر رجع اليها القهقري فقال اني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام
فقال يا محمد ان الله يقول لك تقطع عبادي نبي عبادي انا الغفور الرحيم (٢٢٧) وان عذابي هو العذاب الاليم وقال سعيد

عن قتادة في قوله نبي عبادي انا الغفور الرحيم قال بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم
العبد قدر عذابي لكانت له من
حرام ولو يعلم العبد قدر عذاب
الله لخنق نفسه (ونبئهم عن ضيف
ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال انا نبيكم وجلون قالوا لا نوجل
انا نبشركم بغلام عليهم قال
ابشروني على ان مسني الكبر فم
تبشرون قالوا ابشركنا بالحق فبلا
فكن من القانطين قال ومن ينقط
من رحمة ربه الا اضلون) يقول
تعالى وخبرهم يا محمد عن نصيصة
ابراهيم والنبي يطلق على
الواحد والجمع كالزور والبشر
وكف دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
انا نبيكم وجلون اي خائفون وقد
ذكر سبب خوفهم منهم لما راى ايديهم
لا تصل الى ما قرب لهم من الضيافة
وهو العجل السمين الخبيث قالوا
لا توجل اي لا تخف وبشروه بغلام
عليه اي احمق عليه السلام كما قال
في سورة هود ثم قال متعجبين من كبره
وصبره ووجهه متحفظا لا وعد
ابشروني على ان مسني الكبر فم
تبشرون فاجابوه وكسدين لما

بإضافة الاولاد اليه وهي خاصة ببعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه
حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم اشرف الخلق اذونهم (ولقد
صرفنا في هذا القرآن) اي بينا وكررنا ضرب القول فيه من الامثال والعبر والحكم
والحجج والمواعظ والقصاص والاخبار والاوامر والنواهي وغيرها وقيل في زائدة
والتقدير ولقد صرنا هذا القرآن والتصريف في الاصل صرف الشيء من جهة الى جهة
والتشديد فيه للتكثير والتكرير وقيل معنى التصريف المغايرة اي غيرنا بين المواضع
علل سبحانه ذلك فقال (ليذكروا) اي ليتعظوا ويعتبروا ويتدبروا بعقولهم ويتذكروا فيه
حتى يقشروا على بطلان ما يقولونه (و) الحال ان هذا التصريف والتذكير (ما يريدكم
الانفورا) اي تساعدكم الحق وغفلة عن النظر في الصواب لانهم قد اعتقدوا في القرآن
انه حيلة ومحرر وكهانة وشعر وهم لا ينزعون عن هذه الغواية ولا وازع لهم يزعمهم الى
الهداية وكان النوري اذا قرأها يقول زادني للخصومة ما زاد أعداءكم نفورا (قل) لهم في
شأن الاستدلال على ابطال التعدد الذي زعموه واثبات الوحدة (لو كان مع الله الهة كما
اي كونا مشاهيما (يقولون) والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة فري بالتصية
وبالنسوبة على الخطاب للقائلين بان مع الله الهة أخرى (اذا) قال الزمخشري هي دالة على
ان ما بهداهو هو (لا تتقوا) جواب لمقالة المشركين وجزاءه (الى ذي العرش) هو الله
سبحانه (سبيلا) طريقا لا مغالبة والمقاتلة والممانعة ليزيلوا ملكه كما يفعل الملوك بعضهم
مع بعض من المقاتلة والمصالاة عند تعددهم وقيل معناه اذا لا تبغى الا كلمة الى الله
القربة والرفقة عنده لانهم دونوه للمشركون انما اعتقدوا انها تقرهم الى الله والظاهر
المعنى الاول ومثله معنى قوله تعالى لو كان فيهم ما الهة الا الله افسدنا وحاصل الدليل انه
قياس استثنائي يستثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم وحذف منه كل من
الاستثنائية والنتيجة والتقدير انكم لم يطلبوا طريقا لقتاله فلم يكن هناك تعدد ثم نزه
تعالى نفسه فقال (سبحانه) والتسبيح التزنيه وقد تقدم مرارا (وتعالى) اي تباعد (عما
يقولون) من الاقوال الشفعية والقرية العظيمة (علوا) اي تعالوا ولكنه وضع العلوم موضع
التعالى كقوله والله ائتكم من الارض نباتا (كبرا) وصف الملوك الكبار بالغة في

بشروهم بتحقيقا وبشارة بعد بشارة قالوا ابشركنا بالحق فلا تكن من القانطين وقسرا بعضهم القنطين فاجابهم بانه ليس
يقطع ولكن يرجو من الله الولد وان كان قد كبروا سنن امراته فانه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو ابلغ من ذلك (قال فما خطبكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين من الآل لوط انا المنجوههم اجمعين الامر انه قدرنا انهم المن الغابرين) يقول تعالى اخبارا
عن ابراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروح وجاءته البشري انه شرع يسألهم عما جاؤا به فقالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون
فري لوط واخبروه انهم سينجون آل لوط من بينهم الامر انه فأنهم من الهالكين ولهذا قالوا الامر انه قدرنا انهم المن الغابرين اي

الباقين المهلكين) فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا اصادقون يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعنيون بهذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم واتيناك بالحق كقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وقوله وانا الصادقون تأكيدهم لغيرهم اياه بما أخبروه به من نجاته واهلاك قومه (فأنسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت (٣٢٨) منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دبرهؤلاء مقطوع مصحين)

بذكر تعالى عن الملائكة انهم أمروهم أن يسري بأهلك بعد مضى جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يشي وراءهم ليكون أحفظ ا لهم وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشي في الغزوات كما يكون ساقية يرحى الضعيف ويحمل المنقطع وقوله ولا يلتفت منكم أحد أي اذا مضى الصلابة بالقوم فلا يلتفتوا اليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والشكل وامضوا حيث تؤمرون كأنه كان معهم من يهديهم السبيل وقضينا اليه ذلك الامر أي تقدمنا اليه في هذا ان دبر هؤلاء مقطوع صـ جبر أي وقت الصباح كقوله في الآية الأخرى ان موعدهم الصبح أي الصبح بقرية (وجاء أهل المدينة يستنشقون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تنفضون واتقوا الله ولا تحزنوا قولا أولم ننزل عن العالمين قال هؤلاء بنيان ان كنتم فاعلموا لعمر الله انهم لن يسكرتمهم يعمهون) يخبر تعالى عن مجي قوم لوط لما علوا باضافه وصباحة وجوههم وانهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين قال

التراحم ونسبها على ان بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين الغنى المطلق والفقير المطلق مباينة لا يعقل الزيادة عليها ثم بين سبحانه جلالة ملكه وعظمته سلطانه فقال (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) قال فيمن بضمير العقلاء لا سنده اليها التسبيح الذي هو فعل العقلاء وقد أخبر سبحانه عن السموات والارض بانها تسبح وكذلك من فيها من مخلوقاته الذين لهم عقول وهم الملائكة والانس والجن وغيرهم من الاشياء التي لا تعقل ففيه دلالة على ان الاكوان بأسرها دالة شاهدة بتلك التراحم ولكن المشركين لا يفهمون تسبيحها فالتقدم من هذا نوعيهم وتقريرهم على اتباعهم الشركاء مع ان كل شيء ممن عداهم ينزهه عن كل نقص أخرج معيد بن منصور وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء والصفات عن عبد الرحمن بن قزطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسرى به الى المسجد الأقصى كان جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطاراه حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير سمعت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحانه العلى الاعلى سبحانه وتعالى وأخرج ابن مردويه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو جالس مع أصحابه اذ سمع هذه فقال أطت السماء ويحفظها أن تنط والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر الا فيه جهة ملك ساجد يسبح الله بحمده ثم زاد ذلك نعيم ماوتا كيدا فقال (وان من شيء الا يسبح) متبعا (بحمده) فيشمل كل ما يسمى شيئا كائنا ما كان حتى سرير الباب ونقيض السقف وتسبيحها سبحانه الله وبحمده وقيل انه يحمل قوله ومن فيهن على الملائكة والنفيلين ويحمل قوله وان من شيء على ماء عدا ذلك من المخلوقات وقد اختلف أهل العلم في هذا العموم هل هو مخصوص أم لا نقالت طائفة ليس بخصوص وحلوا التسبيح على تسبيح الدلالة لان كل مخلوق يشهد على نفسه ويدل غيره بان الله خالق قادر وقالت طائفة هذا التسبيح على حقيقته والعموم على ظاهره والمراد ان كل المخلوقات تسبح لله هذا التسبيح الذي معناه التنزيه وان كان البشر لا يسمعون ذلك لكونهم مجعوبين عن سماعه ولا يفهمونه لكونه بغير لغاتهم وهذا يقتضي ان تسبيح الجاد بلسان المقال وهو الذي اختاره الخازن وأثبتته بأحاديث متعددة قال في الجمل وهو قريب جدا ويؤيد هذا قوله سبحانه (ولكن لا تفقهون) بالناس والبالا (تسبيحهم) فانه لو كان المراد تسبيح الدلالة

لكن

ان هؤلاء ضيفي فلا تنفضون واتقوا الله ولا تحزنوا وهذا انما قاله لهم قبل ان يعلم بانهم رسل الله كما قال

في سورة هود وأما هنا فقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بكريه قومه ومحتاجته لهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما اذا دل دليل على خلافه فالواله مجيبين أولم ننزل عن العالمين أي أو مانعيناك ان نضيف أحدا فأرشدتهم الى ناسائهم وما خلق لهم من من من الفروج المباحة وقد تقدم ابضاح القول في ذلك بما أغنى عن اعادته هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا أصبحهم من العذاب المستقر ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لعمر الله انهم لن يسكرتمهم يعمهون أقسم

تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا نشر يف عظيم ومقام رفيع وجاء عريض قال عمرو بن مالك البكري عن ابي الجوزاء عن ابن عباس انه قال ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما معت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى لعمر ك انهم لقي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير وقال قتادة في سكرتهم أي في ضلالتهم يعمهون أي يلعبون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لعمر ك لعيشك انهم لقي سكرتهم يعمهون قال يترددون (فأخذتهم الصيحة مشرطين فجعلنا عالم اسفلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات (٣٢٩) للمتوسمين وانها بسبيل متسيم ان في ذلك لآية

للمؤمنين) يقول تعالى فأخذتهم الصيحة وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو ضلوعها وذلك مع رفع بلادهم الى غنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وأرسل حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية وقوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين أي ان آثار هذه النعم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته كما قال مجاهد في قوله للمتوسمين قال المتوسمين وعن ابن عباس والنعماء للناظرين وقال قتادة للمتوسمين وقال مالك عن بعض أهل المدينة للمتوسمين للمتأملين وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ان في ذلك لآيات للمتوسمين رواه الترمذى وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملاقي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذى لا تعرفه

لكن امرام فهو مال كل أحد واجب بان المراد بقوله لا تفقهون الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار وقالت طائفة هذا العموم مخصوص باللائكة والثققلين دون الجمادات وقيل خاص بالاجسام النامية فيدخل النباتات كما روى هذا القول عن عكرمة والحسن وخص تسبيح النباتات بوقت غوها لا بعد قطعها وقد استدلل لذلك بحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر على قبرين وفيه ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين وقال انه يخفف عنهم ما لم ينبسأ ويؤيد حل الآية على العموم قوله انما نخففنا الجبال معه بسجن بالعشى والاشراق وقوله وان منها ما يهبط من خشية الله وقوله وتحتز الجبال هذا ونحو ذلك من الآيات وثبت في الصحيح انهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهم يأكلون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا حديث حنين الجذع وحديث ان حجر ايمكة كان يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلها في الصحيح ومن ذلك تسبيح الحصى كنه صلى الله عليه وآله وسلم ومدافعة عموم هذه الآية بمجرد الاستبعدادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده قال السدى ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير الا بما يفسح من تسبيح الله تعالى (انه كان حليماً غفوراً) فن حله الامهال لكم وعدم انزال عقوبته عليكم على غفلتكم وسوء تفكركم وجهلكم بالتسبيح ومن مغفرتكم انكم ان لا يؤاخذ من تاب منكم أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ان نوحاً قال لا بئس ما بيني وأمرنا أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلائق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق قال الله تعالى وان من شيء الا يسجد بحمده وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرصت غلة نبياسم الانبياء فاهرب بقرية النمل فاحرق فأوحى الله اليه من أجل غلة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبح وأخرج النسائي وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر وقال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل النمل فندع وقال نقيبها تسبيح وأخرج أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس قال الزرع يسجد وأجره لصاحبه والنوب يسجد ويقول الوسخ ان كنت مؤمناً فاغسلنى اذن وعنه قال كل شيء يسجد الا الكلب والحمار أخرجه أبو الشيخ وعن الحسن قال هذه الآية في التوراة كقدر آية وان من شيء الا يسجد بحمده قال في التوراة تسجد له الجبال وتسجد له الشجر

(٤٢ فتح البيان خامس) الامن هذا الوجه ولا بن جرير من حديث عمرو أيضاً حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحسن ابن محمد حدثنا الفرث بن السائب حدثنا ميمون بن مهران عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله وقال ابن جرير حدثني أبو شريحيل الجصى حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن شعيب بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجدوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وتوفيق الله وقال أيضاً حدثنا عبد الاعلى بن واصل حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا

وبالليل أفلا تعقلون وان يؤمن
من المرسلين وقال مجاهد والضعاف
وانهم البسبيل مقيم قال معلم وقال
قتادة بطريق واضح وقال قتادة
أي بكتاب مبين يعني كقوله
وكل شيء أحصيناه في امام مبين
ولكن ليس المعنى على ما قال ههنا
والله أعلم وقوله ان في ذلك لآية
للمؤمنين أي ان الذي صنعنا بقوم
لوط من الهلاك والدمار وانحنا
لوطا وأهل له دلالة واضحة جليلة
للمؤمنين بالله ورسوله (وان كان
أصحاب الأيكة لظالمين فاتقنا منهم
وانهم بالامام مبين) أصحاب الأيكة
هم قوم شعيب قال الضحاك وقتادة
وغرهما الأيكة الشجر الممتف
وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم
الطريق ونقصهم المكيال والميزان
فاتقنا الله منهم بالصحة والرجفة
وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريسا
من قوم لوط بعد دهم في الزمان
وسميتين لهم في المكان ولهذا
قال تعالى وانهم بالامام مبين أي
طريق مبين قال ابن عباس ومجاهد
والضحاك وغيره طريق ظاهر وهذا
ما نذر شعب قومهم قال في نذارته

ويسجله كذا وكذا وفي الباب أحاديث وروايات عن السلف فيها تصريح بتسبيح جميع
الخلوقات ولما فرغ سبحانه من الالهيات شرع في ذكر بعض من آيات القرآن وما يقع من
سامعيه فقال (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم
المنكرون للبعث (حجاب مستورا) يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به أي أنهم لا عراضهم
عن قراءتك وتغافلهم عنك كمن بينك وبينه حجاب يعرون بك ولا يرونك ذكر معناه الزجاج
وغيره ومعنى مستور اساترا قال الاخفش والنساء ليدكون في لفظ المنعول كما تقول
انك لمشوم وميمون وانما هو شام ويامن وقيل معناه ذاسرة كقولهم سيل مغم أي ذو افعام
وقيل هو حجاب لاتراه العين فهو مستور عنها وقيل حجاب من دونه حجاب فهو مستور
بغيره وقيل المراد بالحجاب المستور الطبع والطمع قال السموطي نزل فيمن أراد الفتنة
صلى الله عليه وآله وسلم انتهى كأي جهل وأتم جميل زوجة أي لهب والمراد بما في الآية
مطلق القرآن أو ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والحائية وهي في سورة النحل
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم الآية وفي سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه الآية وفي حم الحائية أفرأيت من اتخذ الله هواه وأضله الله على علم
الآية فكان الله تعالى يحجبه بركة هذه الآيات عن عبود المشركين ذكره الخطيب وفي
القرطبي قلت ويراد إلى هذه الآيات أول سورة يس إلى قوله فهم لا يبصرون فان في السيرة
في هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقام على في فراشه قال وخرج رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فاخذ حنطة من تراب في يده وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل يثر
ذلك التراب على رؤسهم وهونوا هو لا الآيات من يس حتى فرغ ولم يبق منهم رجل الا وقد
وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد ان ينصرف (وجعلنا على قلوبهم أكنة) جمع
كأن وهي الاغطية وقد تقدم تنبيهه في الانعام وقيل هو حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم
قلوبنا غلف وفي آياتنا وروم يتنادوا بينك حجاب (ان يفقهوه) أي كراهة ان يفقهوه
أولئك يفقهوه أي يفهموا ما فيه من الاوامر والنواهي والحكم والمعاني (و) جعلنا
في آذانهم وفرا) أي صما رقلا كراهة ان يسمعه وأولئك يسمعه ومن قبائح المشركين
انهم كانوا يحبون ان يذ كآلهتهم كما يذ كآله سبحانه فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر آلهتهم
نشر وامن المجلس كما قال تعالى (واذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يقال وحده وحده وحده

ايهم وما قوم لوط منكم بهيد) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآياتناهم آياتنا فكانوا عنها مرئين وكانوا وحدة
يقتربون من الجبال بيننا آمنين فاخذناهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) لأصحاب الحجر هم عمود الذين كذبوا
صالحا نبيهم عليه السلام ومن كذب برسل الله فكذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين وقد كرتعالى انه أناهم
من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة سماوية كانت تسرح في بلادهم
لها شرب ولهم شرب يوم معلوم فلما عتوا وعشروها قال غشوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعدا عنه مكذوب وقال تعالى وأما نود فقد سناههم

فاستصبروا العصى على الهدى وذ كرتعالى انهم كانوا ينجحون من الجبال يرون آمنين أى من غير خوف ولا احتياج اليها بل أشرا وبطرا
وعينا كما هو المشاهد من صنعهم في بيوتهم يوادى الحجر الذى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى تبوك فتنزع رأسه
وأبصر عدائته وقال لا صحابة لا تدخلوا بيوت القوم المعذنين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا تبكوا تبكوا كوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم
وقوله فاخذتهم الصيحة مصحين أى وقت الصباح من اليوم الرابع فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أى ما كانوا يستغلونهم من زرعهم
ونغارهم التى ضنوا بما شاع عن الناقة حتى عقروها لئلا تضيق عليهم فى المياه (٣٣١) فادفعت عنهم تلك الاموال ولا تنفعهم لما جاءهم أمر
ربك (وما خلقنا السموات والارض

وحدة نفخ ووعده بعد وعدا وعدة فهو مصدر مدح مدح بالخال أصله يحدو وحده بمعنى واحد
وقال يونس منصوب على الظرف (ولو اعالى ديارهم نفورا) هو مصدر بمعنى التولية
والمتقدير هربوا نفورا أو نثروا نفورا وقيل جمع نافر كقاعد وقعود قاله البيضاوى والشهاب
والاول أولى وقيل المصدر فى موضع الحال والمعنى ولوا نافرين قال ابن عباس ولوا نفور
الشياطين (نحن أعلم بما) أى بالخال الذى (يستمعون) القرآن (به) أى مطلبين به من
اللعو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن وقيل البلاء السبيبة أو بمعنى اللام وعبارة
الكواشى بما يستمعون به هازئين وقال الزمخشري يستمعون بالهزة (اديعهون اليك)
ظرف لا علم وفيه تأكيد للوعيد (واذهبهم نجوى) أى ونحر أعلم بما يتناجون به فيما بينهم
وقت تناجيهم وقد كانوا يتناجون بينهم بالكذب والاستهزاء (اذ) بدل من اذ قبله
(يقول الظالمون) أى الوليد بن المغيرة وأصحابه (ان تتبعون) أى يقول كل منهم للآخرين
عند تناجيهم ما تتبعون (الارجلا مسحورا) أى مسحور به فاخذت عقله وزال عن حد
الاعتدال قال ابن الاعرابى المسحور الذى اذهب العقل الذى أفسد من قولهم طعام مسحور
اذا أفسد عقله وأرض مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فافسدها وقيل هو
الخذوع لان السحرة الحيلة والخديعة وذلك لانهم زعموا ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
كان يعلم من بعض الناس وكانوا يخذعون بذلك التعاليم وقال أبو عبيدة معنى مسحورا
ان له مسحرا أى رقة فهو لا يستغنى عن الطعام والشراب فهو مثلكم وتقول العرب للعبان
قد انتفخ مسحور وكل من كان يأكل من آدمى أو غيره مسحور قال ابن قتيبة لا أدري ما حله
على هذا التفسير المستكره مع ان السلف فسروه بالوجود الواضحة (انظر كيف نشر بوالك
الامثال) أى قالوا تارة أنك كاهن وتارة ساحر وتارة مجنون (فصلوا) عن
طريق الصواب فى جميع ذلك وحادوا (فلا يستطيعون سبيلا) الى الهدى أو الحق
أو الطعن الذى تقبله العقول السليمة ويقع التصديق له لأصل الطعن فتدفعه لو آمنه
ما قدر واعلمه وقيل لا يستطيعون مخزجا لتناقض كلامهم كقولهم ساحر كاهن مجنون
شاعر وما فرغ سبحانه من حكاية شبهة القوم فى السموات كى شبهتهم فى أمر المعاد فقال
(وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا) الاستهزام للاستعكار والاستبعاد لما بين رطوبة الحي
ويجودة الميم من المبادعة والمفاة وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت عظامه

أوليس الذى خلق السموات والارض بتاد على ان يخلق مثلهم بل هو الخلاق العليم انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون
فصان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تعبدن عينيك الى ما مئعنابه
أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كما آتيناك القرآن العظيم فلا تظن
الى الدنيا وزينتها وما مئعنابه أهلها من الزهرة الفايدة لتنتهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم
فى تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين أى أن أهم جانبك كقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم

عزير عليه ما عنتم حريص عليهم بالمؤمنين روف رحيم وقد اختلف في السبع المثاني ما هي فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة والفعال وغيرهم هي السبع الطوال يعنون البقرة وآل عمران والتساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس وبه نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقال شعبة بين فبين الفرائض والحدود والقصاص والاحكام وقال ابن عباس بين الامثال والخبر والعبر وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن أبي عمر قال قال سفيان المثاني البقرة وآل عمران والتساء والمائدة والانعام والاعراف والافات والبراءة (٢٣٢) سورة واحدة قال ابن عباس ولم يعطهن أحد الا النبي صلى الله عليه وسلم

وأعطى موسى منهن ثنتين رواه هشيم عن الجراح عن الوليد بن العذار عن سعيد بن جبيرة عنه وقال أوفى النبي صلى الله عليه وسلم سبعاً من المثاني الطوال وأوفى موسى عليه السلام ستاً فلما أتى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع وقال مجاهد هي السبع الطوال ويقال هي القرآن العظيم وقال خصيف عن زياد بن أبي مريم في قوله تعالى سبعاً من المثاني قال أعطيتك سبعاً أجرأ وأمرأه وبشر وألدر وأضراب الامثال واعدد الهم وأبديك نبيا القرآن رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والقول الثاني انها السابعة وهي سبع آيات روى ذلك عن علي وعروة ابن مسعود وابن عباس والبسملة هي الآية السابعة وقد خصكم الله بها وبه قال ابراهيم التيمي وعبد الله بن عبيد بن عمر وابن أبي مليكة وشهر ابن حوشب والحسن البصري ومجاهد قال قتادة ذكر لنا من فاتحة الكتاب وانهم يثنيون في كل ركعة مكنوبة أو تناويع واختاره ابن جرير واحتج بالاحاديث الواردة في ذلك وقد قدمنا في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير وثمة الحمد

وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت بساطها بامثالها من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عود الحياة الى ذلك المجموع فاجاب سبحانه عنهم كما سيأتي بان إعادة بدن الميت الى حال الحياة أمر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صاراً بعد شي من الحياة ومن رطوبة الحي كالخجارة والحديد فهو وكتول السائل أنطمع في وأنا ابن فلان فيقول كن ابن السلطان أو ابن من شئت فساأطلب منك حتى والرفات ماتكسر وبلى من كل شيء كائنات والحطام والراض قاله أبو عبيدة والكساني والفرأه والخنش يقول منه رففت الشيء رففتاً أي حطم فهو ومرفوت وقيل الرفات الغبار قاله ابن عباس وقيل التراب قاله مجاهد ويؤيده انه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً وقيل الرفات هو ما يولغ في دقه وتنميته وهو اسم لاجزاء ذلك الشيء المقتت أي اجزائه متفتتة (أنا لمبعوثون خلقاً جديداً) كرر الاستفهام الدال على الاستنكار والاستبعاد تأكيداً كيدا وتقريراً (قل كونوا حجارة أو حديداً) قال ابن جرير معناه ان عبيدكم من انشاء الله ليكم عظاماً ولحماً فكونوا أنتم حجارة في السدة أو حديداً في القوة ان قدرتم على ذلك وقال علي بن عيسى معناه انكم لو كنتم حجارة أو حديد لم تشقوا لله عز وجل اذا أرادكم الا أنه خرج مخرج الامر لانه أبلغ في الازام وقيل معناه لو كنتم حجارة وحديد الا عظامكم كجابهكم ولا ماتكم ثم أحياكم قال الخامس وهذا قول حسن لانهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة أو حديد وانما المعنى انهم قد أقروا بخلقهم وأنكروا البعث فقبل لهم استشعروا أن تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة أو حديد البعثكم كما خلقتم أول مرة فليس المراد الامر وانما عبر فيه بمادة الكون لتعبييرهم به في سؤالهم قلت وعلى هذا الوجه قررنا جواب الشبهة قبل هذا (أو خلقناكم بغير ف صدوركم) أي عظم عندكم مما شأوا كبر من الحجارة والحديد مبينة للعيادة فانكم لمبعوثون لا محالة وقيل المراد به السموات والارض والجبال لعظمها في النفوس وقال جماعة من الصحابة والتابعين المراد به الموت لانه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه والمعنى لو كنتم الموت لأماتكم الله ثم يعيدكم ولا يخفى ما في هذا من البعد لان معنى الآية الترقى من الحجارة الى الحديد ثم من الحديد الى ما سوا كبر في صدور القوم منه والموت نفسه ليس بشيء يعقل ويحس حتى يتبع الترقى من الحديد اليه (فبعثون من بعدنا) الى الحياة اذا كنعظما ورثنا أو حجارة أو حديد مع ما بين الحالتين من التناوت (قل) يعيدكم (الذي فطركم)

وقد أورد البخاري رحمه الله ههنا حديثين أحدهما قال حدثنا محمد بن بشر حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب خلقكم ابن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أصلي فدعاني فلم آتته حتى صليت فأتته فقال ما منعك أن تأتي فقلت كنت أصلي فقال ألم يقل الله يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لأعظم سورة في القرآن قل ان أخرج من المسجد فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت فقال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته الثاني قال حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا العبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم فهذا نص في ان الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطوال بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافي وصف القرآن بكامله بذلك أيضا كما قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مناني فهو مناني من وجه ومتشابه من وجه وهو القرآن العظيم أيضا كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فإشارا إلى مسجده والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي فان ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه اذا اشتركت في تلك الصفة والله أعلم وقوله لا تمدن عينيك (٢٣٢) الى ما متعناه أزواجهم أي استغن عما آتاك الله

من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة النائية ومن ههنا ذهب ابن عينة الى تفسير الحديث الصحيح ليس مناس من لم يغتن بالقرآن الى انه يستغنى به عما عداه وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير وقال ابن أبي حاتم ذكر عن وكيع بن الجراح حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله ابن قيس عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال ضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم أمر يسلحه فأرسل الى رجل من اليهود يقول لث محمد رسول الله أسلفني دقيقتا الى هلال رجب قال لا الابرش فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما والله اني لا أمين من في السماء وأمين من في الارض وان أسلفني أوباعني لأؤدين اليه فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية لا تمدن عينك الى ما متعناه أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى آخر الآية كأنه يعزبه عن الدنيا قال العوفي عن ابن عباس لا تمدن عينك قال نسي الرجل ان يتنى مال صاحبه وقال مجاهد الى ما متعناه أزواجهم هم

خلقكم واخترعكم (أول مرة) أي عند ابتداء خلقكم من غير مثال سابق ولا صورة متقدمة فمن قدر على البدن والانشاء قدر على الاعادة بل هي أهون (فستغضون اليك رؤسهم) أي يحركونها استهزاء يقال تغض رأسه يغض يغضون غضا اذا تحركوا وتغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء (ويقولون) استهزاء وسخرية (متى هو) أي البعث والاعادة (قل عسى أن يكون قريبا) أي هو قريب لان عسى في كلام الله واجب الوقوع ومثله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وكل ما هو آت قريب (يوم يدعوكم) الطرف منتصب بفعل مضمر أي اذ كراؤيدل من قريبا أو التقدير يوم يدعوكم كان ما كان والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسعه الخلاق وقيل هي الصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم الى الاجتماع في أرض المحشر وقيل ان المنادى جبريل وان النافخ اسرافيل وصورة الدعاء والنداء ان يقول أيتها العظام البالية والاولصال المنقطعة واللعمم المتفرقة والشعور المنفرقة ان الله يأمر كن أن تحتج معن الفصل القضاء قاله الجلال الحلي في سورة ق (فتستجيبون بحمده) متذاين له حامدين لمافعله بكم وقيل المعنى فتستجيبون والحمد لله أوله الحمد وتدرى ان الكفار عند خروجهم من قبورهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك قاله سعيد بن جبير وقيل المراد بالدعاء هنا البعث والاستجابة لهم - فيبعثون فالعني يوم تبعثكم فتيبعثون متقادين والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهي أو كد من الاجابة وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين قال ابن عباس معنى بحمد بأمره وقال قتادة بعرفته وطاعته (وتظنون) عند البعث (ان لنتم) ان نافية وهي معارضة للظن عن العمل وقيل من يذكر ان النافية في أدوات تعليق هذا الباب أي ما كنتم في الدنيا وفي قبوركم (الا زمنا قليلا) وقيل بين النفتين وذلك ان العذاب يكف عن المعذبين بين النفتين وذلك أن ربهم عامما ينامون فيها فلذلك قالوا من ههنا من هرقدنا وقيل ان الدنيا تحترق في أعينهم وقاتين رأوا يوم القيامة لهول ما يرون فقالوا هذه المقابلة قتادة (وقل) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (العبادي) المؤمنين (يسألوا) عند محاورتهم لهم شركين الكلمة (التي هي أحسن) من غيرها من الكلام الحسن كان يقولوا لهم انكم من أهل النار فانه يجهوم الى الشر مع ان عاقبتهم مغيبة عنا وهذا كقولهم صانه ولا تجدوا أهل الكتاب الا بالتي هي

الاغنياء (وقل اني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المفتشين الذين جاءوا القرآن عشرين فوريلا لتسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) يا من تعالى نبه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس اني أنا النذير المبين البين النذرة نذير للناس من عذاب ألهم ان يجعل بهم على تكذيبه كما حل عن تقدمهم - من الامم المكذبة لسلها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام وقوله المفتشين أي المخلصين أي تحالفوا على مخالفة الانبياء وتكذيبهم وأذا هم كقولهم تعالى اخبارا عن قوم صالح انهم قالوا اتقوا الله لبيدته وأهله الآية أي ننته لهم ليللا قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من دوت أولم تكونوا أنقسمتم من قبل الآية أهؤلاء الذين

أقسمت لا ينالهم الله برحمة فكأنهم كانوا لا يكذبون بشئ من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقتسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيته وأهله وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما منى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجاء النجاء فاطاعه طائفة من قومه فادخلوا وانطلقوا على مهلهم ففجروا وكذب طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من (٢٣٤) عصانى وكذب ما جئت به من الحق وقوله الذين جعلوا القرآن عضين

أحسن وقوله فقالوا لا قولنا لا انما الخاشنة لهم ربحا تنفرهم عن الاجابة أو تؤدى الى ما قال سبحانه ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وهذا كان قبل نزول آية السيف وقيل المعنى قل لهم يا امرؤا بما أمر الله به وينها عما نهى الله عنه وقيل هذه الآية للامؤمنين فيما بينهم خاصة والاولى كما يشهد له السبب قال ابن سيرين يعنى لا اله الا الله وعن ابن جرير فى الآية قال يعنفون عن السيئة وعن الحسن قال يقول له يرحمك الله يغدر الله لك (ان الشيطان يترغيبهم) بالفساد والتقاء العداوة والاغراء فلعل الخاشنة معهم تنفضى الى العناد وازدياد الفساد قال الزيدى نزع غيبتنا أى أفسد وقال غيره الترغ الاغراء قال قتادة نزع الشيطان تحريشه وفى القاموس نزع كنهه طعن فيه واغتابه وبينهم أفسد واغوى ووسوس (ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) أى متظاهرا بالعداوة ومكاشفها بها وهو تامل لما قبله وقد تقدم مثل هذا فى البقرة (ربكم أعلم بكم) أى بعاقبة أمركم كما يدل عليه قوله (ان يشأيرحكم أو ان يشأيعذبكم) قيل هذا خطاب للشركين والمعنى ان يشأيرحكم للاسلام فيرحمكم أو يعذبكم على الشرك فيعذبكم وقيل هو خطاب للمؤمنين أى ان يشأيرحكم بان يحفظكم من الكفار أو يرحمكم بالتوبة والايمان وان يشأيعذبكم بتسلطهم عليكم وقيل ان هذا تفسير للكلمة التى هى أحسن (وما أرسلناك عليهم وكيل) أى ما وكنائى في منعهم من الكفر وقسرهم على الايمان وقيل ما جعلناك كفيلا لهم تؤخذهم ثم قيل نسختها آية التمثيل (وربك أعلم عن فى السموات والارض) ذاتا وحالا واسمها قاف ختار منهم لنبوته وولايته من يشأ وهو رد لاسمته عاد قريش أن يكون يقيم أى طالب نبيا وأن يكون العراة الجوع أصحابه قاله البيضاوى اقول عبر بهذه العبارة حكايته عن الكفار والافلاحيين واطلاقها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه أفتى بعض المالكية بقتل قائمها كفاى الشفاء فكان ينبغي له تركها وفى هذه الباء قولان أشهرهما انها تعلق بالعلم ولا يلزم من ذلك تخصيص علمه بما فيهما فقط والثانى انها متعلقة بـ علم مقدر ا قاله النازى محض بيان يلزم من ذلك تخصيص علمه بما فيهما وهو وهم لانه لا يلزم من ذكر الشئ نفي الحكم عما عداه وهذا هو الذى يقول الاصوليون انه مفهوم اللقب ولم يقل به الا أبو بكر الدقاق فى طائفة قليلة والادع خلافه فالجمهور على ان اللقب لا يمتنع به قاله الكرخى وغام هذا البحث فى كتابنا

أى جزوا كتبهم المنزلة عليهم فأمنوا ببعض وكشروا بعض قال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم بن أبى ناسر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤهم أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه حدثنا عبد الله بن موسى عن الاعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس جعلوا القرآن عضين قال هم أهل الكتاب جزؤهم أجزاء فآمنوا ببعضه وكشروا بعضه حدثنا عبد الله بن موسى عن الاعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس قال كما أمرنا على المقتسمين قال آمنوا ببعض وكشروا بعض اليهود والصارى قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد دو الحسن والنعمان وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغيرهم نحو ذلك وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس جعلوا القرآن عضين قال السحر وقال عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقول السحرة انها الكهانة وقال مجاهد عضوه أعضاء قالوا اسحرو وقالوا كهانة وقالوا اساطير الاولين وقال عطاء قال بعضهم سحر وقالوا مجنون

وقالوا كاهن فذلك العضى وكذا روى عن السجدة وغيره وقال محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن

عكرمة أو سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش ان قد حضر هذا الموسم وان وفد العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجتمعوا اليه رأيا واحدا ولا يختلفوا في كذب بعضكم بعضا وردد قولكم بعضه بعضا فقالوا وانت يا أبا عبد شمس فتسل وأقم لنا رأيا فنقول به قال بل أنتم قولوا لا نسمع قالوا فنقول نأمن قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون قالوا فنقول ساعر قال ما هو بشاعر قالوا فنقول

ساحر قال ما هو ساحر قالوا هذا نقول قال والله ان لقوله لحلاوة فما أنتم بقائلين من هذا شيا الا عرف انه باطل وان أقرب القول أن نقول هو ساحر ففرق راعنه بذلك وأمر الله فيه من الذين جعلوا القرآن عصية أصنافا فور بك لفسانهم أجمعين عما كانوا يعملون دوينك النفر الذين قالوا الرسول الله وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله لفسانهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لاله الا الله وقال عبد الرزاق ثبانا الثوري عن ايثار هو ابن أبي سليم عن مجاهد في قوله لفسانهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن لاله الا الله وقد روى الترمذي وأبو يعلى الموصلي وابن جرير وابن أبي حاتم (٢٣٥) من حديث شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم

عن بشير بن أبي نهيك عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فور بك لفسانهم أجمعين عن لاله الا الله ورواه ابن ادريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفا وقال ابن جرير حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن حكيم قال ورواه الترمذي وغيره من حديث أنس مرفوعا وقال عبد الله هو ابن مسعود والنبي لاله غيره ما منكم من أحد الا سجد لله سجدة يوم القيامة كما سجدوا أحدكم بالتمر ليلة البدر فيقول ابن آدم ماذا عملت مني في ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله فور بك لفسانهم أجمعين عما كانوا يعملون قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعملون وماذا أجابوا المرسلين وقال ابن عيينة عن عمالك وعن مالك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا أنس الحداد عن أبي حنيفة الشيباني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ

حصول المأمول من علم الاصول فراجع هذه الآية أعظم من قوله بكم أعلم بكم لان هذا يشمل كل ما في السموات والارض من مخلوقاته وذلك خاص بيني آدم وأبيه عيسى وهذا كالتوطئة لقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أي ان هذا التفضيل عن علم منه بمن هو أعلى رتبة ومن هو دونه وعن هو يستحق مزيد الخصوصية بتكثير فضائله وفوائده أي فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم قيل يعني بالتفضيل النسبية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحى اليه من الكتاب كما يأتي لا بما أوتيته من الملك وقيل هو إشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تقدم هذا في البقرة وقد اتخذ الله إبراهيم خليلا وموسى كليما وجعل عيسى كلمته وروحوه وجعل سليمان علي نبينا وعليهم الصلوات والتسليمات ملكا عظيما وغفر لحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر وجعله سيد ولد آدم وفي هذه الآية دفع لما كان ينكره الكفار مما يحكيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ارتفاع درجته عند ربه عز وجل ثم ذكر ما فضل به داود فقال (وأتينا داود زبور) أي كتابا زبور قال الزجاج أي فلا تنكروا تفضيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعطاه القرآن فقد أعطى الله داود زبوراً وفيه دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الانبياء وان أمته خير الامم لان ذلك مكتوب في الزبور قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمه وانما خص كتاب داود بالذ كر لان اليه ودرعت انه لاني بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله هذا وتعرف الزبور تارة وتشكيره أخرى اما لانه في الاصل فعول بمعنى المنعول أو مصدر بمعنى كالمقبول واما لان المراد آيات داود زبوراً من الزبور فيذكره صلى الله عليه وآله وسلم قال قتادة كنا نحدث ان الزبور دعاء داود ونحمده ونعبد الله عز وجل ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام وعن الربيع بن أنس قال الزبور شاه على الله ودعاء وتسبيح قلت الامر كما قاله قتادة والربيع قانا وقتنا على الزبور فوجدناه خطبة بخط داود عليه السلام ويخاطب بها ربه عند دخوله الكنيسة وجلسته مائة وخمسون خطبة كل خطبة تسمى من مورا بفتح الميم الاولى وسكون الزاي وضم الميم الثانية وآخره راه في بعض هذه الخطب يشكود داود على ربه من أعدائه ويستنصره عليهم وفي بعضها يحمد الله ويعبده ويثني

ان المرء يستل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه فلا ألفيك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية في قوله فور بك لفسانهم أجمعين عما كانوا يعملون ثم قال فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان قال لا بل اللهم هل علمتم كذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم علمتم كذا لو كذا (فاصدع عما تورم وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله الها آخر فوف يعملون ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يقول تعالى أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم ببلاغ

ما بعثه به وانفاذه والصمد به وهو موأجهة المشرق كين به كما قال ابن عباس في قوله فاصدع بما تؤمر أي امضه وفي رواية افعل ما تؤمر وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستحقيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو وأصحابه وقوله وأعرض عن المشركين أنا كفيئنا المستهزئين أي بلغ ما أنزل اليك من ربك ولا تلتفت الى المشركين الذين يريدون ان يصدوك عن آيات الله وودوا لودهن فيدهنون ولا تحفهم فان الله كافيك ايهم وحافظك منهم كقوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك (٢٣٦) من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقال

الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى ابن حماد بن السكن حدثنا اسحق ابن ادريس حدثنا عون بن كهس عن يزيد بن درهم عن أنس قال سمعت أنس يقول في هذه الآية أنا كفيئنا المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر قال مژ رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمزه بعضهم فجاء جبريل قال أحسبه قال فغمزهم فوقع في أجسادهم كهية الطعنة فأتوا وقال محمد بن اسحق كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد ابن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصى الاسود بن المطلب أبو زمعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من اذام واستهزائه فقال اللهم اعم بصره وأشكاه ولده ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبيدة أف بن زهرة ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ومن بني هاشم بن عبد مناف بن كعب بن لؤي العاص بن وائل ابن هشام بن سعيد بن سعد ومن

عليه بسبب ما وقع له من الضر عليهم والغلبة لهم وكان عند الخطبة يضرب بالقيثار وهي آله من آلات الملاهي وقد ذكره يوطى في الدر المنثور ههنا روايات عن جماعة من السلف يذكرون النشاط وقتوا وعليها في الزبور ليس لها كثير فائدة فقد أغنى عنهم وعن غيرها ما اشتمل عليه القرآن من المواعظ والزواجر (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه هذارد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انهم اصورا الملائكة وعلى طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فامر الله سبحانه رسولا صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول لهم ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله وقيل أرا بالذين زعمتم نفران ابن عبد الله من ناس من العرب وانما خصصت الآية بمن ذكرنا لقول الآتي يتغنون الى ربهم الوسيلة فان هذا لا يليق بالمجادات روى معنى ذلك عن ابن مسعود وقال ابن عباس كان أهل الشرك يعبدون الملائكة والمسيح وعزير والشهم والقمر (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) أي لا يستطيعون ذلك والمعبود الحق هو الذي يتدبر على كشف الضر وعلى تحويله من حال الى حال ومن مكان الى مكان فوجب القطع بان هذه التي تزعمونها آلهة ليست بآلهة ثم انه سبحانه أكد عدم اقتداره ببيان غاية افتقارهم الى الله في جلب المصالح ودفع المضار فقال (أولئك الذين يدعون قري بالتحية على الخبر وقرأ ابن مسعود بالقوية على الخطاب ولا خلاف في (يتغنون انبا التحية والضمير في (الى ربهم) يعود الى العابدين أو المعبودين (الوسيلة) هي القربة بالطاعة والعبادة أي يتضرعون الى الله في طلب ما يشربهم الى ربهم أخرج الترمذي وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله بالوسيلة قالوا وما الوسيلة قال القربة من الله ثم قرأ هذه الآية (أيهم أقرب) بالوسيلة الى الله قاله الزجاج أي يتقرب اليه بالعمل الصالح أو يتقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه وقيل ان يتغنون منهم معنى يحرسون أي يحرسون أيهم أقرب اليه سبحانه بالطاعة والعبادة (ويرجون رحمته) كما يرجوها غيرهم (ويخافون عذابه) كما يخافه غيرهم فكيف يزعمون انهم آلهة لان الاله يكون غيبا بالفي المطلق ان عذاب ربك كان محذورا) تعليلا لقوله يخافون أي ان عذابه سبحانه حقيق بان يحذر عذابه العباد

خزاعة الحرث بن المظلة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان فلما عمداوا في الشروا كبروا برؤس الله الملائكة

صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين أنا كفيئنا المستهزئين أي قوله فسوف يعلمون قال ابن اسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ان جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فتر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى بطنه فقلت منه ومريا الوليد بن المغيرة فاشار الى أنزجح باستدل كعب رجلاه وكان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجترأ زده وذلك انه متر رجل من خزاعة

يربش نبلا فتعاقبهم من نبله بازاره فخذش رجله ذلك الخدش وليس بشئ فأتته فضر به فقتل ومربه العاص بن وائل فأشار إلى أخص
فأقدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شجرة فدخلت في أخص قدمه فقتلته ومربه الحرث بن الطلالة فأشار إلى رأسه
منخبط فحما فقتله قال محمد بن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم
وهكذا روى عن سعيد بن جبيرة وعكرمة بنحوه. قال محمد بن اسحق عن يزيد بن عروة باطوله إلا أن سعيدا يروى الحرث بن غبطة
وعكرمة يقول الحرث بن قيس قال الزهري وصداق هو الحرث بن قيس وأمه (٢٢٧) غبطة وكذا روى عن مجاهد ومقسم وقتادة

وغير واحد منهم كانوا خمسة وقال
الشعبي كانوا سبعة والمشهور
الأول وقوله الذين يجعلون مع الله
الها آخره وفي يعاون تهديد شديد
ووعيداً كيداً جعل مع الله
معبوداً آخر وقوله واتدغم أنك
يضيق صدرك بما يولون فسيح
بمحمد ربك وكن من الساجدين
أي وإننا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من
أذاهم للضيق صدوراً انقباض فلا
يهدئك ذلك ولا يشينك عن إبلاغك
رسالة الله وتوكل عليه فإنه كاذب
ونادرك عليهم فاشتغل بك رآه
وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي
الصلاة ولهذا قال فسيح بمحمد ربك
وكن من الساجدين كما جاء في
الحديث الذي رواه الإمام أحمد
حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا
معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية
عن كثير بن مرة عن هريم بن عمار أنه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز
عن أربع ركعات من أول النهار
أكند آخره ورواه أبو داود والبيهقي
من حديث مكحول عن كثير بن
مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله

الملائكة والانبيا وغيرهم ثم بين سبحانه مآل الدنيا وأهلها فقال (وان) نافية للاستغراق
(من) أي مامن (قربة) أي قربة كانت من قرى الكفار (الذين هم الكوفا) قال
الزجاج أي مامن أهل قرية الأسيرة الكون إما بفتح أو خراب وإما بعذاب يستأصلهم وإنما
قال (قبل يوم القيامة) لأن اهلاك يوم القيامة ليس بمختص بالقرى الكافرة بل يوم كل
قرية لانقضاء عمر الدنيا (أو معدنوها عذاباً شديداً) بالقتل وأنواع العذاب إذا كفرُوا
وعصوا وقيل الاهلاك للصالحين والعذاب للطائفة والأول أولى لقوله تعالى وما كنا
مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون قال ابن مسعود إذا ظهر الزنا والرافي قرية أذن الله في
هلاكها وقد ذكر في المدارك عن مقاتل في تفسير هذه الآية عن كتب الضعفاء خراب كل
قرية خاصة ومدينة معينة بنوع خاص من العذاب وقسم مخصوص من الهلاك وليس
بمرفوع حتى يعتمد عليه أو يصار إليه (كان ذلك) المذكور من الاهلاك والتعذيب (في
الكتاب) أي اللوح المحفوظ قاله إبراهيم التيمي (مطورا) أي مكروبا والسطر الخط
وهو في الأصل صدر والسطر بالتحريك مثله وجمع السطر أطر وجمع السطر بالكون
أطر عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن أول
ما خلق الله العلم فقال له اكتب اكتب قال اكتب أنتدروا وهو كائن إلى يوم
القيامة إلى الأبد أخرجه الترمذي (ومانعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها
الاولون) قال المنصورون أن أهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل
لهم الصفا ذهاباً وان ينعى عنهم م جبل مكة فأنه جبريل فقال إن شئت كان مأسأله قومك
ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يهلوا وإن شئت استأنبت بهم فأنزل الله هذه الآية روى عن هذا
أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عباس وأخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس
قال قال الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجئت بآية كما جاءهم الصالح والذبيون
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم فإن عصيتم
هلكتم فقالوا لا نريد هذا والمعنى ومانعنا من إرسال الآية التي سألوها الاتكذيب الأولين
فإن أرسلناها وكذب بها أولاء وجعلوا ولم يهلوا كما هو سنة الله سبحانه في عباده فالمنع
مستعار للترك والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء أي ما ترك إرساله الشئ من الأشياء

(٤٣) فتح البيان خامس صلى الله عليه وسلم إذا حربه أمر صلى وقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قال البخاري قال سالم
الموت وسالم هذا هو الم بن عبد الله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثني طارق بن عبد
الرحمن عن سالم بن عبد الله رابعه ربك حتى يأتيك اليقين قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم
وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى أخبارا عن أهل النار أنهم قالوا ألم نكن من المسلمين ولم نكن نطعم المسكين وكنا نفوض مع الخائفين وكنا
نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمته الله علياً أبا السائب فذهادني عليك لقد أكرمك الله فإل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمهم فقات بأبي وأمي بإرسول الله فبن فقال اما هو فقد جاءه اليقين وانى لا رجوله الخير ويستبدلهم هذه الآية الكريمة وهى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين على ان العباداة كالصلاة ونحوها واجبة على الانسان مادام علة ثابتة فى صلبه ب حاله كما ثبت فى صحيح البخارى عن عمار بن حصين رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صل قائماً فان لم تستطع فاعدا فان لم تستطع فعلى جنب ويستبدلهم على ثمة طنة من

ذهب من الملاحدة الى ان المراد باليقين المعرفة فنى وصل أحدهم الى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فان الانبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصديقه وما يصدق من التعظيم وكانوا مع هذا عبد الناس وأكث الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات الى حين الوفاة وانما المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه والله الحمد والمنة والحمد لله على الهداية وعلمه الاستعانة والتوكل وهو الموقول أن يتوفانا على أكل الاحوال وأحسنها فانه جواد كريم آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين

• (تفسير سورة النحل وهى مكية) •
• (بسم الله الرحمن الرحيم) •
(أنى أمر الله فلا تنهجهن) •
وتعالى عما يشركون) يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبرا بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كقوله اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون وقال اقتربت الساعة وانشق القمر وقوله فلا تنهجهن أى قرب ما تنهجهن فلا تنهجهن بلوهن

الاتكذيب الاولين فان كذب بها هؤلاء كما كذب بها أولئك لحيلهم - ما - حل - م - لا شئرا كهم فى الكفر والعناد والحاصل ان المانع من ارسال الآية التى اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى وهو الاستئصال وقد عزمنا على ان نؤخر أمر من بعث اليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم القيامة وقبل معنى الآية ان هؤلاء الكفار من قريش ونحوهم مقلدون لا بائهم فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمن أولئك فيكون ارسال الآيات ضائعا ثم انه سبحانه امتشده على ما ذكره بقصة صالح ونابته فانهم لما اقترحوا عليه ما اقترحوا من النفاق وصفتهما التى قد ثبتت فى محل آخر وأعطاهم الله ما اقترحوا فلم يؤمنوا - والاس - تنو صلو بالعباد وانما خص قوم صالح بالاستئصال لان آثار اهلا كهم فى بلاد العرب قريية من قريش وأمنالهم - بي - صر - ما صادرهم وواردهم - م - فقال (وآتينا نود الناقة) آية (مبصرة) أى ذات ابصار يدركها الناس بابصارهم كقوله وجعلنا آية النهار مبصرة أو استند اليها حال من يشاهدها مجازاً وانما - جلت - م - ذوى ابصار من أبصره فاجعل بصيرا (فطما واهبا) أى بتكذيبها أو بجدوا بها أو كفر واهبا (١) ظالمين ولم يكتفوا بعجز الكفر وألحق - بدفعه - اجاناهم - م - بالعقوبة (وما ترسل بالآيات) المقترحة (الانحويين) من نزول العذاب المستاصل فان لم يخفوا أنزل أو بغير المقترحة كالمجربات وآيات القرآن الانحويين بقاءه - ذاب - الآخرة فان أمر من بعث اليهم مؤخر الى يوم القيامة اختلف فى تفسير الآيات على وجوه الاول ان المراد به العبر والمجربات التى جعلها الله على أيدى الرسل من دلائل الانذار تخويفاً للمكذبين الثانى انها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصى الثالث تغلب الاحوال من صغر الى شباب ثم الى كهول ثم الى شيب ليعتبر الانسان بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره الرابع آيات القرآن الخامس الموت الذريع والمناسب للمقام نفسه - م - الآيات المذكورة بالآيات المقترحة كما تقدم ولما ذكر سبحانه الامتناع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم للصارف المذكور قوى قلبه بوعده النصر والغاية فقال (و) اذكر (اذ قلنا لا ان ربك أحاط بالسرى) يعنى انهم فى قبضته وتحت قدرته فلا سبيل لهم الى الخروج مما يريد بهم - م - لا - طمته - م - بعلمه وقدرته وقيل المراد بالناس أهل مكة وأهلهم اهلهم أى ان الله سبحانه يهلكهم ويبرئ الناسى تنبيه على نكته وقوعه وذلك كما وقع فى يوم بدر يوم الفتح وقبل المراد انه سبحانه

أن يعود الضمير على الله ويحتمل أن يعود على العذاب وكلاهما متلازم كما قال تعالى ويستهجلونك بالعذاب ولولا أجل - م - حى - لحاء - م - العذاب وإيمانهم بفته وهم لا يشعرون يستهجلونك بالعذاب وان جبرهم لمحيطة بالكافرين وقد ذهب الضحاك فى نفسه بهذه الآية الى قول عيب فقال فى قوله أنى أمر الله أى فرائضه وحدوده وقد رده ابن جرير فقال لا نعلم أحداً - م - بالفرائض والشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استهجلوه قبل كونه استبعاداً وتكذيباً قلت كما قال تعالى (١) هذا على تشديد تضمين ظلموا معنى جحدوا أو كفروا اه

ربك قدبر او يعبدون من دون الله مالا يشعرون ولا ينصرون وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي اناها اول مرة وهو بكل خلق عليم وفي الحديث الذي رواه الامام احمد وابو داود عن بشر بن جاش قال بعق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفه ثم قال يقول الله تعالى ابن آدم اى تجزئني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك فعد لك مشيت بين يديك وللارض منن وتندب عمت ومنعت حتى اذا بلغت الخلقة قوم قلت ان صدق (٣٤٠) وانى اوان الصدقة والانعام خلقها لكم فيها داف ومنافع ومنها

ما نأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلدكم تكونوا بالغيه الا بشئ في النفس ان ربكم لرؤف رحيم) يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما فصلها في سورة الانعام الى ثمانية ازوج وعاجل لهم فيها من المصالح والمنافع من اموالها واوبارها واشدها رها يابون ويفتشون ومن الباسهم ابشرون وبأكلون من اولادها واملهم فيها من الجمال وهو الزينة واهذا قال ولكم فيها جمال حين تريحون وهو وقت رجوعها عثا من الرعى فانها تكون امدده خواصر واعظمه ضررها واعلاها امدده رحين تسرحون اى غدوة حين تبعثونها الى المرعى وتحمل اثقالكم وهي الاحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها الى بلدكم تكونوا بالغيه الا بشئ في النفس وذلك في الحج والعمرة والفز والفجوة وما جرى مجرى ذلك بسنة ملونها في انواع الاستعمال من ركوب وشتميل كقوله وان لكم في الانعام لبرة تستقيكم عما في بطونهم ولكم فيها منافع كثيرة ومنها ما نأكلون وعليها وعلى الفلأ

تعملون وقال الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها اموالكم وتبذلوا عليها حاجتكم في صدوركم منصوب وعليها وعلى الفلأ ترحلون ويريدكم آياته فآيات الله تنكرون ونهـ اقال هـ نأيد بعد تعداد هذه النعم ان ربكم لرؤف رحيم اى ربكم الذي قضى لكم هذه الانعام وضرها لكم كقوله اولم يروا انا خلقناهم مما عملت ايدينا انعاما ففهم لها مال يكونون وذلانا ما لهم ففهم اركوبهم ومنها بياكلون وقال وجعل لكم من الفلأ والانعام ما تركبون لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي تضر لنا هذا وما كآله مقررنا وانا الى ربنا المنقلبون قال ابن عباس لكم فيها داف اى ثياب ومنافع ما تستفنون به من الاطعمة والاشربة وقال عبدالرزاق اخبرنا اسرائيل عن معاذ عن عكرمة عن ابن عباس داف ومنافع نسل كل دابة وقال مجاهد لكم

فيه ادفعه قال لباس يشج ومنافع مركب ولحم ولبن وقال قتادة دفعه ومنافع يقول لكم فيه لباس ومنفعة وبلغه وكذا قال غير واحد من المفسرين بالقاط متقاربة (والخيل والبغال والحمير لكم بهوازيته ويخلق ما لا تعلمون) هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده عتق به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة به وذلك أكبر المنافع منها ولما فضلها على الأنعام وأقردها بالذكرا استدل من استدل ممن ذهب من العلماء إلى تحريم لحوم الخيل بذلك على ما ذهب إليه فيها كالامام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من النحاة فإنه تعالى قرن بها البغال والحمير وهي حرام كما ثبتت (٣٤١) به السنة النبوية وذهب إليه أكثر العلماء وقد روى

منصوب على الحال أو التمييز وتبعه فيه ابن عطية ولا يظهر ذلك اذ لم يتقدم اسم ذات ولا نسبة (قال اريث) أي اخبرني عن (هذا الذي كرمته) أي فضله (على) بامرئ بالصبغة لم كرمته على وقد خلقته من نار ولم يخبه عن هذا السؤال اعماله لا وتحقيرا حيث اعتز على ولده وسأله بلم (التي آخرتني الى يوم القيامة) كلامه مستدا أو اللام موطنه للقسم وجوابه (لاحتسكن ذريته) أي لاستولين عليهم بالاغواء والاضلال قال الواحدى أصله من احتسك الجراد الزرع وهو ان تستأمله باحنا كهاوتة تسده وهذا هو الأصل ثم سمي الاستيلاء على الشيء وأخذه كله احتسكا وقيل معناه لاسوقهم وأقودهم حيث أردت من حذك الدابة اذا جعل الرسن في حنكها وفي اختار حنك النرس جعل في فيه الرسن وبابه نصر وذب والحنك المنقار يقال أسود مثل حنك الغراب وأسود حنك مثل حالك والحنك ما تحت الذقن من الانسان والمعنى الاول أنسب بمعنى هذه الآية وقال مجاهد المعنى لا تحتويهم وعن ابن زيد قال لا ضلهم وانما أقسم الله بهذا القسم على انه سيفعل بذرية آدم ما ذكره لعلم قد سبق اليه من مع استرقه أو انه استنقذ ذلك من قول الملائكة أن تجعل فيها من يفسد فيها وقيل علم ذلك من طبع البشر لما ركب فيهم من الشهوات وأظن ذلك لانه وسوس لا دم فتقبل منه ذلك ولم يجده عزمًا كما روى عن الحسن أرفاله لما ظنه من قوة نفوذ كيد في بني آدم وانه يجري منهم في مجاري الدم وانهم به حيث يروج عذرهم كيدهم وينتق لديهم وسوسه الامن عصم الله كالانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وهم المرادون بقوله (الاقبلا) قيل من كل ألف واحد وفي معنى هذا الاستثناء قوله تعالى سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وبؤيد ما ذكرناه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فانه يبيدانه قال ما فاته هنا اعتماد على الظن (قال) الله تعالى (اذهب) ليس من الذهب الذي هو ضد النجى وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذ لا ناوتخاياه بينه وبين ما سواته نفسه أمره او امر خسة القصد بهم التهديد والاستدراج لا التكليف لانها كلها معاص والله لا يأمر بها والمعنى اذهب منظر الى وقت النفخة الاولى مع ان غرضه الامهال والانتظار الى النفخة الثانية وغرضه بذلك طلب أن لا يموت اصلا لانه يعلم أنه لا يموت بعد النفخة الثانية ثم عقب الذهب بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فمن تبعك) وأطاعك (منهم) فان جهنم جزاؤكم أي ابليس رزق أطاعه والخطاب للتغليب لانه تقدم غائب

الامام أبو جعفر بن محمد بن عيسى بن يعقوب - حدثنا ابن عيينة أنبأنا هشام الدستوائي - حدثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس انه كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير وكان يقول قال الله تعالى والآنعام خلقها لكم فيها دفر ومنافع ومنافعنا تكون فهدى للاكل والخيل والبغال والحمير لتركبوها فهدى لتركوب وكذا روى من طريق سعيد بن جبيرة وغيره عن ابن عباس بمثله وقال مثل ذلك الحكم بن عتيبة رضي الله عنه أيضا واستأنسوا بحديث رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقيعة بن الوليد حدثنا زهير بن يزيد عن صالح ابن يحيى بن المقدم بن معديكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير وأخرجه أبو داود والبيهقي وابن ماجه من حديث صالح بن يحيى بن المقدم وفيه كلام ورواه أحمد أيضا من وجه آخر

باب من هذا وأدل منه فقال حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سالم عن صالح بن يحيى بن المقدم عن جده المقدم بن معديكرب قال غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة فقدم أصحابنا الى المعسكر فالتوى ركة فدفقته عليهم فلبسوا وقت مكانكم حتى أتوا خلافا سألناه فأنبته فأنه فقال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر فأسرع الناس في حظائهم وود فأمروني أن أنادي الصلاة جامعة ولا يدخل الامم ثم قال أيها الناس انكم قد اسرعتهم في حظائهم ودالا ليجل أموال المعاهدين الا يجفها وحرام عليكم لحوم الاثني الاهلية وخيلها وبغالها وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير والمكة هي الحجرة

وقوله حبواها أي أوثقوها في الحبيل ليدبحمها والحظائر البساتين النورية من العمران وكان هذا الصنيع وقع بعد إعطائهم العهد ومعاملتهم على الشطر والله أعلم فلو صح هذا الحديث لمكان نصافي تحريم الخيل ولكن لا يشاوم مائيت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خوم الجر الأهلية واذن في لحوم الخيل ورواه الإمام أحمد وأبو داود وباسنادين كل منهما على شرطه لم عن جابر قال ذبحناه يوم خيبر الخيل والبغال والحمير ففهمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وفي صحيح مسلم عن أبيه (٢٤٢) بنت أبي بكر رضى الله عنهم ما قالت شمرنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرسافا كلاء ونحن بالمدينة ففهمنا هذه أدل وأقوى وأثبت وإلى ذلك صار جمهور العلماء مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله أعلم وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشية فذلها الله لا يبيع من إبراهيم عليهم السلام وذكره ابن منبه في أمر إيلياه أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال وقد اهتديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فكان يركبها مع أنه قد نهى عن إزراء الجر على الخيل لن لا يقطع النسل قال الإمام أحمد حدثني محمد بن عبيد حدثنا عمر بن آل حذيفة عنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال قلت يا رسول الله ألا أحل لك حمارا على فرس فتنتج لك بغلا فتركبها قال نعم يا رسول الله ذلك الذين لا يعلمون (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاءه داكم أجمعين) لما ذكر تعالى من

ومخاطب في قوله فمن تبع منهم فغلب الخطاب أو يكون الخطاب مراد به من خاصة ويكون ذلك على سبيل الالتفات (جزء موفورا) أي وأفرامكم لا يقال وفرة أفره وفرا ووفر المال بنفسه يفر وفورا فهو وفور فهو ومعدن ثم كرر سبحانه الأمهال لبليس اللعين فقال (واستغفر) أي استعرج واستعمل واستحل واستخف (من استطعت) أن تستغفر (منهم) أي من بني آدم بقل أفزه واستغفره أي أزعجه واستغفره والمعنى استغفروهم (بصوتك) داعيهم إلى معصية الله وقيل هو الوسوسة والغناء واللهو واللعب والمزمار (وأجلب) قال الثراء وأبو عبيد من الجلبة والسباح أي دمع (عليهم) وقال الزجاج أي أجمع عليهم كما تقدم عليه من مكاييدك وحباثتك وأحتمهم على الأغواء فالأجلاب الجمع وقال ابن السكيت الأجلاب الأمانة أي استعن عليهم ونهرف فيهم بكل ما تندر والامر للتهديد كما يقال اجتهد جهلك فترى ما ينزل بك (بجملتك) أي بركان جندك والخيل يقع على الفرسان كقوله صلى الله عليه وآله وسلم يا خيل الله اركبي ويقع على الأفراس قاله ابن السكيت قيل الباء لام لا بسبة أي دمع وصوت عليهم حال كونك متلبسا ومعهوا بجندك قلت كون الباء لام لا بسبة بعد من حيث المعنى المراد كبدل عليه عبارة للغويين واللائق بها أن تكون زائدة وقد نص الشهاب على زيادتها وفي اختار جلب على فرسه يجلب جلبا صاحب به من خلفه واستغفره لاسبق وكذا أجلب عليه وهذا يقتضي زيادة الباء والمعنى حث وأمرع عليهم جندك خيلا وشاة تندرهم وتتمكن منهم فليست أم (ورجلك) أي مثانك يقال إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فكل من ركب أو مشى في معصية الله فهو من جند إبليس والرجل يسكون الجيم جمع راجل ككبر وتجر وصاحب وصعب وقال أبو زيد يقال رجل ورجل بمعنى راجل وقيل اسم راجل بمعنى الماشي وفريق في السبعة بكسر الجيم وهو من راء بمعنى الجمع فهو بمعنى المشاة فأنزل والرجل كناية عن جميع مكاييد الشيطان أو المراد ضرب المثل كما تقول للرجل أن يجد في الأمر جنة بجملتك ورجلك والحل على الظاهر أولى (وشاركهم في الأموال والأولاد) أما المشاركة في الأموال فهي كل تصرف فيها يتجالت وجه الشرع سواء كان أخصا من غير حق أو وضا في غير حق كالغصب والسرقعة والربا ومن ذلك تبيك آذان الأنعام وجعلها بحيرة رسائية والمشاركة في الأولاد دعوى الولد بغير سبب شرعي ونحوه بل بالزنا ونسبهم به بدلات والعزى والاساق في

ترتيبهم

الحيوانات ما يبار عليه في السبل الحسية تنبه على الطرق المعنوية الدينية وكثيرا ما

يقع في القصر أن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية لا أفعلة الدينية كقوله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير فلو لم يذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها التي يركبونها ويلعبون عليها حاجبة في صدورهم وتعمل أنقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والاشارة لثقة شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إلى الله فبين أن الحق منها موصد إليه فقال وعلى الله قصد السبيل كقوله وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال هذا صراطى مستقيما قال مجاهد في

قوله وعلى الله قصد السبيل قال ماربى الحق على الله وقال السدى وعلى الله قصد السبيل الاسلام وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله وعلى الله قصد السبيل يقول على الله البيان أى بين الهدى والضلالة وكذا روى على بن أبى طلحة عنه وكذا قال قتادة والصالح وقول مجاهد هنا أقوى من حيث السياق لانه تعالى أخبر ان ثم طرعا لك اليه فليس يدل اليه منها الا طريق الحق وهى الطريق التى شرعها ورخصها وما عداها - مدودة والاعمال فيها مردودة والهاذا قال تعالى ومنها جازأى - ثم ما لى زانغ عن الحق قال ابن عباس وغيره هى الطرق المختلفة والآراء المتفرقة كالمودبة والنصرانية والمجوسية (٢٤٢) وقرأ ابن مسعود ومنكم من جازأى ثم أخبر تعالى ان ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته

ان ذلك كله كائن عن قدرته ومشيئته فقال ولولوا لهذا كم أجمعين كما قال تعالى ولولوا ربك لا آمن من فى الارض كلهم جميعا وقال ولولوا ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسبيحون ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الانعام والهدايا شرع فى ذكر نعمته عليهم - فى انزال المطر من السماء وهو العلم عملهم فيه - بلغة ومناجاة لهم ولا نعمهم فقال لكم منه شراب أى جعل له عذبا زلالا يسوغ لكم شربه ولم يجعل له ملحا اجابا ومنه شجر فيه تسبيحون أى وأخرج لكم منه شجرات تعزون فيه أنعمكم كما قال ابن عباس وعكرمة والنسائي وقتادة وابن زيد فى قوله فيه تسبيحون أى تعزون ومنه الابل السائمة والسموم الرعى وروى ابن

تريثم على وجه يأفون فيه خصال الشر وافعاله ويدخل فيه ما قلوا من أولادهم خشية املاق ووأد البنات وتصيير أولادهم - على الملأ الكثرية التى هم عليهم من الاديان الزائفة والحرف المذمومة والافعال القبيحة ومن ذلك مشاركة الشيطان للعباد مع اذالم اسم وعن ابن عباس انه سأل رجلا فقال ان امرأتى اسقية ثقات وفى فريجها شاة له تارقال ذلك من وطء الجن ثم قال (وعندهم) بانهم لا يهتدون قالة الزجاج وقال الزهراوى قل لهم لاجنة ولا نار وقيل وعدهم - المواعيد الكاذبة الباطلة من المنفعة على من خالفهم وشفاعاة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة والاتبكال على كرامة الله وتأخير التوبة لطول الامل واينار العاجل على الاجل ونحو ذلك وهذا على طريق التهديد كقوله اعملوا ما كنتم (وما بعدهم الشيطان الاغرورا) أى باطلا اعترض ايمانهم واعيده فانه وقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشيطان وفيه اظهاري مقام الانذار والالتفات عن الخطاب الى الغيبة وكان مقتضى الظاهر ان يقال وما بعدهم الاغرورا وأصل الغرور ترزين الناطا بما يوهم الصواب (ان عبادى ليس لى عليهم - لمطمان) يعنى عباد المؤمنين كما فى غير هذا الموضع من الكتاب العزيز من ان اضافة العباد اليه يراد بهم المؤمنون لما فى الاضافة من التشريف وقيل المراد الانبياء وأهل الصلاح والفضل لانه لا يتقدر على اغوائهم وقيل المراد جميع العباد لابل الاستغناء بقوله فى غير هذا الموضع الامن اتبعك من الغاوين والمراد بالملطان التسلط (وكفى بربك) الباء زائدة فى الفعل (وكيلا) يتوكلون عليه فهو الذى يدفع عنهم كيدهم ويصدهم من اغوائك والهاذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعونه ولا قوة على طاعته الا بقوته (ربكم الذى يرزى) الازجاء الى وق والدفع والاجراء والتسبير ومنه قوله تعالى ألم تر أن الله يرزى - عبادا وهذا لتعليل لكتايته وبيان لقدرته على عهدة من توكل عليه فى أورد ونروع فى تذ كبر بعض النعم عليهم جلالهم - على الايمان حتى لا يعبدوا غير ولا يشركوا به - اداوا معنى ان الله سبحانه يسير (لكم الفلأ فى البحر) بالريح والفلأ هنا جمع بمعنى السفائن وقد تقدم والبحر هو الماء الكثير عذبا كان او ملحا وقد غلب هذا الاسم على المشهور (لتبغوا من فضله) أى من رزقه الذى تنصل به على عباده أو من الربح بالتجارة أو أنواع الامتعة التى لا تكون عندكم ومن زائدة للتبعض (انه كان بكم رحيمًا) تعاميل فان لما تقدم اى فهذا كم الى صالح دنياكم

ما جحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخفى عن السوم قبل طلوع الشمس وقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والأعناب ومن كل الثمرات أى يخرجها من الارض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفه وطهوه اراؤاها ررواها واشكالها ولهذا قال ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون أى دلالة وحجة على أنه لا اله الا الله كما قال تعالى أمن خاق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها (الله مع الله بل هم قوم بعدلون ثم قال تعالى (ومضركم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم محضرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ينبه تعالى عباده على آياته العظام ومنه الجسام فى تحريكه الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم

الذوات والسيارات في أرجاء السموات نوراً وضياءً لم يتبدى بهم في الظلمات وكل منهم ما يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص منها والجميع تحت قبور وسلطان وسخيرة وتقدير وقدره له كقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم اتى على العرش بغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والنجم والقمر والنجوم مسخرات بامره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين واهـ هذا قال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي له دلالات على قدرته الباهرة وسلطانه العظيم لتقوم بعقولهم عن الله وبفضه مؤيداً

هـ لم السموات انه عل ما خاف في

(٣٤٤)

هـ ر قوله وما ذرأ لكم في الارض مخاً اذا ألوانه ما ياتيه تعالى على

٥٠- لم السموات به على ما خلق في
 الارض من الامور المحيية والاشياء
 المختلفة من الحيوانات والمعادن
 والنباتات والمعادن على اختلاف
 ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع
 والخواص ان في ذلك لآية لقوم
 يذكرون أى آلاء الله ونعمه يشكرونها
 (وهو الذى حضرا بصرنا كلوا منه
 مما طربا و- تخرجوا منه خالية
 تلبسوها وترى الفلك مواخر فيه
 ولتبدعوا من فضله ولعلكم تذكرون
 وألقى في الارض روائى أن تعبدكم
 وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون
 وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن
 يمتاقي لا يخافق أفلا تذكرون وان
 تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله
 لغفور رحيم) يخبره الى عن تسخير
 البحر المختلط الامواج ويعتق على
 عباده بتدليله لهم وتيسيرهم للركوب
 فيه وجعله السمك والحيتان فيه
 واحدا لاله لعباده لمهاجروا وميبتها
 في الحل والاحرام وما يخلفه في من
 اللائى والجواهر النفيسة
 وتسهيله للعبادة تسخيره لهم من قراره
 حلية بسونها وتسخير البحر بحمل
 السفن التى تخمره أى تسهله وقدر

(وإذا مسكم الضر) بمعنى خوف الفرق (في البحر ضل من تدعون) من الآلهة وذهب عن خواطركم ولم يوجد لانقاذكم ما كنتم تدعون من دونه من صنم أو جن أو ملك أو بشر أو حجر في حوائجكم (الآية) وحده فانكم تعقدون رجاءكم برحمته وانما الله والانتقام متصل ان كان المراد بجمع الآلهة ونقطع ان كان المراد به اغيرة تعالى به عن الآلهة ان الكفار اغايبه قد دون في أصنامهم وسائرهم ودانهم انما نافعة لهم في غير هذه الحالة فاما في هذه الحالة فان كل واحد منهم يعلم بالغايرة علما لا يقدر على ما دأبته ان الاصنام ونحوها لا فعل لها (فلما نجاكم) من الفرق وأوصلاكم (الى البرأ عرضتم) عن الخلاص لله ونوحيدته ورجعتم الى دعاء أصنامكم والاستغاثة بها (وكان الانسان كفورا) أي كثيرا الكفران لنعمة الله وهو تعالى اقله أعرضتم والمعنى انهم عند الشدائد يتكفرون برحمة الله وفي الرخاء يعرضون عنه وترك فيه خطاياهم تلافيا لهم حيث لم يقل ولكنكم كفار انهم أنكروا عليهم سبحانه سوء ما علمتم قائلوا (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) الهزيمة للانكار والتوبيخ والتقريع والثناء عاطفة على مقدروا التقدير أنجوتم من الفرق فامنتم فخافكم ذلك على الاعراض فبين انهم انه قادر على اخلاصكم في البر وان سلوا من البحر لان الجهات كلها وفي قدرته برا كان أوجر اياهي ان كان الفرق في البحر ففي جانب البر هو منله وهو الخسف لانه يغيب تحت الثرى كما ان الفرق يغيب تحت الماء وأصل الخسف ان تنهار الارض بالشئ يثقله ليرخف اذا انهدم أصلها وعن خاف أي غائرة حدثتها في الرأس وخسفت عين الماء اذا غار ماؤها وخسفت الشمس اذا غابت عن الارض وجانب البر ناحية الارض وسماها جانب البر لانه يصير به الخسف جانباً وايضا فان البحر جانب من الارض والجانب وقيل انهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر فكانوا فيه آمنين من مخاوف البحر فحذرهم ما آمنوه من البر كاحذرهم ما خافوه من البحر وقال السمين المعنى جانب البر الذي أنتم فيه فيلزم من خفته هلاككم ولولا هذا التقدير لم يكن في التوعده فائدة انتهى وجهه هذه الآية ان خسة وكلاهما انقرا بالباء ولا التفتاح حيث نذروا بالنون التفتاحا عن الغيبة الى التكلم والقراءتان بيان (أؤير) لعل عليكم حاصبا قال أبو عبيدة والقشيري الحصب الرمي أي ريمحا شديدة حاصبة وهي التي ترمى بالحصى الصغار وقال الزجاج الحاصب التراب الذي فيه حصباء فالحاصب هو ذو الحصباء كاللابنة التامر

تتم الرياح وكلاهما صحيح وقيل فخره بصبره ووه صدرها المسنم الذي أرشد العباد إلى صفة تها وهداه
إلى ذلك أرماعن أبيهم نوح عليه السلام فانه أول من ركب السفن وله كان تلاميذ صنعتهم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وحبلا
بعد حبيل يسرون من قطي إلى قنطرو من بلدي إلى بلد من إقليم إلى إقليم بلحب ما هناك إلى ما هنا وما هنا إلى ما هناك لهذا قال تعالى
ولتنبذوا من فضله ولعلكم تذكرون أي نعمه واحد انه وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية
البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن مهمل حدثنا ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال الله هذا البحر الغربي وكلم

البحر الشرقي فقال للبحر الغربي اني حامل فيك عبادا من عبادي فكيف انت صانع فيهم هم قال اغرقهم فقال بأسك في نواحيهم
واجلهم على يدي وحرمت الخلية والصيد وكلام هذا البحر الشرقي فقال اني حامل فيك عبادا من عبادي فانت صانع فيهم فقال
أجلهم على يدي وأكون لهم كالولادة لولدها فأنابه الخلية والصيد ثم قال البزار لا تعلم من رواه عن سهل غير عبد الرحمن بن عبد الله
ان عمرو وهو منكر الحديث وقد روى سهل عن النعمان بن أبي عياش عن عبد الله بن أبي عمرو موقوفا ثم ذكر تعالى الارض
وما التي فيها من الروابي الشامخات والجبال الراسيات لتقرأ الارض (٢٤٥) ولا تغدأ تضطرب بما عليها من الحيوانات

فلا يلهيهم عيشهم بسبب ذلك
ولهذا قال والجبال أرساها وقال
عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة
سعدت الحسن بن يقول لما خلقت
الارض كانت تمده فتألوا ما هذه
بقرة على ظهرها أحد أفاصبها
وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة
م خلقت الجبال وقال سعيد عن
قتادة عن الحسن بن قيس بن
عبادة ان الله لما خلق الارض
جعلت نور فقالت الملائكة
ما هذه بقرة على ظهرها أحدا
فأصبحت صبحا وفيهم ارواسها وقال
ابن جرير حدثني المثنى حدثني
سجاج بن منال حدثنا حماد عن
عطاء بن السائب عن عبد الله بن
حبيب عن علي بن أبي طالب رضي
الله عنه قال لما خلق الله الارض
فشت وقالت اي رب تجعل على
بن آدم يعملون الطميا ويعملون
على الخبث قالت فاربى الله فيها من
الجبال ماترون ومالاترون فكان
اقرارها كاللحم يتبرج وقوله
وأنا راسبلا أي جعل فيهم النحر
تجسري من كل مكان الى مكان
آخر رزقا للعباد ينبع في موضع

وقيل الحاصب حجارة من السماء قاله قتادة تحصبهم كما فعل بقوم لوط ويقال للصحابة
التي ترمى بالبرد حاصب (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أي حافظا ونصيرا يمنعكم من بأس الله
(أم) متصلة أي أي الأمرين كائن أو منقطعة أي بل (أمنتهم ان يعبدكم فيه)
أي في البحر بأن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوبه وجاء بني ولم يقل الى البحر
للدلالة على استقرارهم فيه (تارة) أي مرة (أخرى) وهو مصدر ويجمع على تبة
ونارات وألفها واو أو يا (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) القاصف الريح الشديدة التي
تكسر بشدة من قصف الشيء يقصفه من باب ضرب أي كسره بشدة والنصف الكسر
أو هو الريح التي لها قصف أي صوت شديد من قولهم رعد قاصف أي شديد الصوت
وقال ابن عباس الريح التي تفرق وقال ابن عمرو القاصف والعاصف في البحر (فيغرقكم)
وقرى بالفوقية على ان فاعله الريح (بما كفرتم) أي بسبب كفركم أو بالسبب الذي
كفرتم به وما مصدرية أو بمعنى الذي (ثم لا تجدوا لكم علينا تبعة) أي نصيرا قاله ابن
عباس أو نائرا يظلمنا بفعلنا انتصارا لكم قال الزجاج لا تجدوا من يتبعنا بانكار ما نزل
بكم قال النحاس وهو من النار وكذا يقال لكل من طلب بنارا وغيره تبيع وتابع (ولقد
كرمنا) هذا الجلال لذكر النعمة التي أنعم الله على (بن آدم) أي كرمناهم جميعا وهذه
الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة المعتدلة والطهارة بعد الموت
وتخصيصهم بما خصهم به من الطعام والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لغيرهم أنواع
الحيوان مثله وحكي ابن جرير عن جماعة ان هذا التكريم هو انهم يأكلون بأيديهم وسائر
الحيوانات تأكل بالقدم وكذا حكاها النحاس وقيل ميزهم بالنطق والعقل والتمييز وقيل
باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن التشويم والتصوير وقيل أكرم الرجال باللعن
والنساء بالذواب وقال ابن جرير أكرمهم بتسليطهم على سائر الخلق وتسخير سائر الخلق
لهم وقيل بالكلام والخط والفهم وقيل بحسن تدبيرهم في أمر المعاش والمعاد وقيل بانهم
خبر أمة أخرجت للناس ولا مانع من حل التكريم على جميع هذه الاشياء وأعظم خصال
التكريم العدل فانهم به تسلطوا على جميع الحيوانات وميزوا بين الحسن والتبجح وتوسعوا
في الطعام والمشارب وكسبوا الاموال التي تسبوا بها الى تخصيص أمور لا يتدرعها
سائر الحيوان وبه قدروا على تحصيل الانبياء التي تمنعهم عما يخافون وعلى تحصيل

(٤٤ فتح البيان خامس) وهو رزق لاهل موضع آخر فيقطع البقاع والبحار والقفار ويحترق الجبال والالكام فيمثل الى البلد
الذي يحترق لاهله وهي سائرة في الارض بمنته وبسرة وجنوبا وشمالا وشرقا وغربا ما بين صغار وكبار وأودية تجري جبالا وتقطع في وقت
وما بين نبع وجمع وقوى السير بطنه بحسب ما أراد وقدر وخصرو بسره فلا اله الا هو ولا رب سواه وكذلك جعل فيها سبلا أي طرقا
يسلك فيها من بلاد الى بلاد حتى انه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممرا وسلكا كما قال تعالى وجعلنا فيها فججا سبلا
الآية وقوله وعلامات أي دلائل من حال كآروا كما غار ونحو ذلك يستدل بها المسافرين برا وبحرا اذا ضلوا الطرق وقوله

وبالنجم هم يهدون أى فى ظلام الليل طالة ابن عباس وعن مالك فى قوله وعلامات وبالنجم هم يهدون يقول الصوم وهى الجبال ثم نبه تعالى على عظمتها وأنه لا تنفى العبادة إلا له دون ماسواه من الاوثان التى لا تختلف شيئاً بل هم يخلقون ولهذا قال أفن يخلق كن لا يخلق أفلا تذكرون ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم واحسانه اليهم فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم أى يتجاوز عنكم ولو طالبتكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ولما أمركم به لضعفتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازى على (٢٤٦) اليسير وقال ابن جرير يقول ان الله له نور لما كان منكم من تقصير

فى شكر بعض ذلك اذا تبتم وانتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم لا يعذبكم بعد الانابة والتوبة (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون) يخبر تعالى انه يعلم الضمائر والسر امر كما يعلم الظواهر و- يجزى كل عامل بعمله يوم القيامة ان خيراً خيراً وان شراً شراً ثم أخبر ان الاصنام التى يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون كما قال الخليل ان عبدون ما تعبدون والله خلقكم وما نهون وقوله أموات غير احياء أى هى جمادات لا ارواح فيها فلا تسمع ولا تنصر ولانه قتل وما يشعرون ايان يبعثون أى لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتضى عنده هذه نفع أو نوب أو جزاء انما يرجى ذلك من الذى به - لم كل شئ وهو خالق كل شئ (الهكم الله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم منكبرون لا يجرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المنكبرين) يصبرته الى

الاكسية التى تقيم الحروا البرد وقيل تكريمهم هو ان جعل محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم وأخرج الطبرانى والبيهقى فى الشعب والخطيب فى تاريخه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من شئ أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة الملائكة محجورون بنزلة الشمس والقمر وأخرج الطبرانى عن ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الملائكة قالت يا رب أعطيت بنى آدم الدنيا باكون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكلما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لأجعل صلح ذرية من خلقت بيدي كمن قات كن فكان (وحملناهم) هذا تخصيص وتأكيده لبعض أنواع التكريم حملهم سبحانه (فى البر) على الدواب كالابل والخيول والبغال والحمر (و) فى (الجر) على السفن وقيل حملناهم فيها حيث لم تحض بهم ولم نفرقهم والمعنى جعلناهم قارين فيها بواسطة أو دونها كما فى السباحة فى الماء (ورزقناهم من الطيبات) أى لذىذ الطعام والمشارب وسائر ما يستلذونه وينتفعون به وقيل المراد الزبد والتمر والحلوى وجعل رزقهم مما لا يخبى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية كالثمار والحبوب واما حيوانية كاللحم والسمن واللبز ولا يفدى الانسان الا بالطيب القسمين بعد الطبخ الكامل والتفج التام ولا يحصل هذا الغير الانسان (وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) والاترب فى الشرق بين التكريم والتفضيل ان يقال ان الله كرم الانسان على سائر الحيوان بامور خلقية طبيعية ذاتية منسل العقل ثم عرفه بواسطته اكتساب العقائد العجيبة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثانى هو التفضيل أجل سبحانه هذا الكثير ولم يبين أنواعه فافاد ذلك ان بنى آدم فضلهم الله سبحانه على كثير من مخلوقاته لاهل الكل وقد شغل كثير من أهل العلم عما لم تكن اليه حاجة ولا تتعلق به فائدة وهو مثله تفضيل الملائكة على الانبياء والانبيا على الملائكة ومن جملة ما عرفت به مفضل الانبياء عليهم السلام على الملائكة هذه الآية ولا دلالة لها على المطلوب لما عرفت من اجمال الكثير وعدم تبينه والتعصب فى هذه المسئلة هو الذى جعل بعض الاشاعر على تفسير الكثير هنا بالجميع حتى يتم له التفضيل على الملائكة وهو تعسف لا حاجة اليه و- ذلك بعض المعتزلة بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الانبياء ولا دلالة لها على ذلك

انه لا اله الا هو الواحد الاحد الفرد الصمد وأخبر ان الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم جميعين من ذلك اجعل قاله الآلهة الها واحد ان هذا الشئ عجيب وقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقوله وهم منكبرون أى من عبادة الله مع انكار قلوبهم لتوحيده كما قال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ولهذا قال ههنا لا جرم أى حقان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون أى ويجزىهم على ذلك اتم الجزاء انه لا يحب المنكبرين (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين ايصلاوا وزراءهم كمنه يوم القيامة ومن أوزار الذين يصلونهم بغير

والطاعة والانقياد فأتين ما كنا نعلم من سوء كما يقولون يوم المعاد والله زينا ما كنا نعلم من سوء يوم يعنهم الله جميعا فيصطفون له كما يحلفون لكم قال الله مكذباً لهم في قلبهم ذلك بلى ان الله علم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اقل من منوى المتكبرين أى بدس المقيل والمقام والمكان من دار عوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسوله وهم يدخلون جهنم من يوم مما هم بارواهم ويأتى أجسادهم في قبورهم من حرها وسومها فاذا كان يوم القيامة سلمت أرواحهم في أجسادهم وخلصت في نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال الله تعالى (٢٤٩) النار برضون عليها غدا ومشيئاً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد

البصيرة وهو الذى يعطى كلبه بشماله بدلالة حال ما سبق من الشريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذى يستدعيه حسن المقابلة بما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايدان باله له الموجبة له كما في قوله تعالى وأما ان كان من المكذبين الضالين الخ بعد قوله وأما ان كان من أصحاب اليمين والرمز الى عمله حال الشريق الاول وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلاً على شهادة العقل كما في قوله وان عسى الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفسخه ذكره أبو السعود قال النيسابورى لا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب لا عمى البصر وأما قوله (فهو في الآخرة) التى لم تعين ولم تر (أعمى) فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم نحشرنى أعمى وقد كنت بصيراً وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد به عمى القلب وقيل المراد بالآخرة عمل الآخرة فهو في عمل الآخرة أو في أمرها أعمى وقيل المراد من عمى عن التعم الذى أنعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم الآخرة أعمى وقيل من كان في الدنيا عن حجج الله أعمى فهو في الآخرة أعمى وقد قيل ان قوله فهو في الآخرة أعمى أى أشد عمى وهذا مبني على انه من عمى القلب اذ لا يقال ذلك في عمى العين قال الخليل وسيبويه لانه خلطه بمنزلة البدو والرجل فلا يقال ما اعماه كما لا يقال ما أيداه وقال الاخفش لا يقال فيه ذلك لانه أكثر من ثلاثة أحرف وقد حكى الفراء عن بعض العرب انه معمه يقول ما أسود شعره والبحث مستوفى في النحو (وأصل سبب) من الاعمى لكونه لا يجد طريقاً الى الهداية بخلاف الاعمى فانه قد يهتدى في بعض الاحوال قال ابن عباس من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي من خلق السماء والارض والحيال والجمار والناس والدواب واشياء ذلك فهو عما وصفت له في الآخرة ولم يره أعمى وأبعد درجة ثم لما عُدسجهاته في الآية المتقدمة أقسام التعم على بنى آدم أردفه بما يجرى مجرى التحذير من الاعتزاز بوساوس الاشتيا فقال (وان كادوا ليفسونك) المعنى ان الشأن انهم قد قاربوا ان يخذعوك فأتين وأكمل النسبة الاختيار ومنه فتن الصانع الذهب ثم اشتمع مل في كل من أزال الشئ عن حده وجهته (عن الذى أوحينا اليك) من الاوامر والنواهي والوعود والوعيد (لنفترى عليهم عجزهم)

الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير لكم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين اتقوا وهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) هذا خبر عن السعداء بخلافه عن الاشقياء فان أولئك قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل شيئاً انما هذا أساطير الاولين وعوالات قالوا خيراً أى أنزل خيراً أى رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به ثم أخبر عما وعد الله عباده فيما أنزله على رسله فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة الآية كقوله تعالى من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حبة طيبة ولنجزيهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون أى من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله اليه عمله في الدنيا والآخرة ثم أخبر بأن دار الآخرة خير من الحياة الدنيا والخزائنها أتم من الخزائن في

الدنيا كقوله وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير الآية وقال تعالى وما عند الله خير للابرار وقال تعالى والآخرة خير وأبقى وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم وللا آخرة خير لكم من الأولى ثم وصف الدار الآخرة فقال وأنتم دار المتقين وقوله جنات عدن بدل دار المتقين أى لهم في الآخرة جنات عدن أى مقام يدخلونها تجري من تحتها الانهار أى بين أنهارها وقطورها لهم فيها ما يشاءون كقوله تعالى وفيها ما تشبه الانفس وتلذذ الاعين وأنتم فيها خالدون وفي الحديث ان الصحابة لقر بالملأ من أهل الجنة وهم جلوس على شراهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً الا أمطره عليه حتى ان منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أتراب فيكون ذلك كذلك يجزي الله

المتقين أي كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقوا وأحسن عمله ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وإن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة كقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تمزجهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتمون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقد قدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا (٢٥٠) وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (هل يتطرون

أي لا تنقل) وتكذب علينا غير الذي أوحينا اليك مما اقترحه علينا كذبا قريش ولم نقله وذلك لأن في إعطائهم ما سألوهم مخالفة لحكم القرآن وإفتراء على الله سبحانه من بدل الوعد بالوعيد وغير ذلك وعن ابن عباس قال إن أمية بن خلف وأباجيل بن هشام ورجالا من قريش أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا أعال فتمسح آلهتنا وندخل معك في دينك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشهد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم ففرقهم فأنزل الله هذه الآية وعن جابر بن عبد الله مثله وعن عبيد بن جبير قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستلم الحجر فقلعوا الأذن عن آلهتنا حتى تستلم بآلهتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما على لوفعلت والله يعلم مني خلافه فأنزل الله وإن كادوا ليفتنونك الآية وعن ابن شهاب نحوه وعن جبير بن نفير أن قريشا أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لتكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليهم هذه الآية وقال الجلال السيوطي وغيره ان تقبلا آلهته صلى الله عليه وآله وسلم ان يحرم وادبهم والمواعيل ففعلت هذه الآية (وذن لا تتخذوا خليلا) أي لو اتبعت أهواءهم لو أنك ووافوك وصافوك ما أخذ من الخلة بفتح الخاء (ولولا أن تبذل الحق وعصمتك من موافقتهم) (لتدكدت تركن إليهم) أي لقاربت أن تميل إليهم أدنى ميل والركون هو الميل اليسير ولهذا قال (شيأ قليلا) لكن أدركته صلى الله عليه وآله وسلم العدة ففعلت من أن يقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلا عن نفس الركون وهذا دليل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم ما عظم بأجابتهم ذكركم عنه القشيري وغيره والنظم صريح في أنه لم يركن أي باللائم ولا قارب أي بمنطوق التركيب وذلك لأن لولا حرف امتناع لوجود فالترتيب يدل على امتناع الترتيب من الركون وإذا امتنع القرب منه امتنع هو بالضرورة وقيل المعنى وإن كادوا يجربون عند ذلك ما ملأ إلى قولهم من ذنب فعلهم إليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت تقتل نفسك أي كاد الناس يقتلوك بسبب ما فعلت ذكركم عنه المهدوي ثم توعد سبحانه في ذلك أشد الوعد فقال (أذن) أي لو قاربت أن تركن إليهم (لأذنبك ضعف الحياة وضعف الممات) أي مني ما يعذب به غيرك ممن يفعل هذا الفعل في الدارين والمعنى عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في

الآخرة ما أتيتهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا يستزنون يقول تعالى مهتدون المشركين على عبادهم في الباطل واغترارهم بالدنيا هل ينظرون هؤلاء الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم قاله قتادة ويأتي أمر ربك أي يوم القيامة وما يعاينوه من الأحوال وقوله كذلك فعل الذين من قبلهم أي هكذا تتأدى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فيها هم فيه من العذاب والشكال وما ظلمهم الله لأنه تعالى أعذر إليهم وأقام حجة عليهم بما رساله وازال كنيه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي بخلافه الرسل والتكذيب بما جاؤا به فلهذا أصابهم عقوبة الله على ذلك وحاق بهم أي أحاط بهم من العذاب إلا أنهم ما كانوا يستزنون أي يستخفرون من الرسل إذا توعدوهم بعقاب الله فلهذا يقال لهم يوم القيامة هذا النار التي كنتم بها تكذبون وقال الذين أشركوا

لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الممات الرسل إلا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين إن تحرص على هدايتهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصر إن يخبروا تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الانسداد واعتذارهم بمحبيهم بالفاء تدبروا لهم لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء أي من البصائر والسوائب والوصائل وغير ذلك بما كانوا يتدعونه واخترعوه

من تلقاه أنفسهم ما لم ينزل الله به لمطائنا ومضمون كلامهم - م انه لو كان تعالى كاره لما فعلنا الا نكره علينا بالقوبة ولما مكنا مناه
قال الله تعالى راد اعليهم شبههم فهل على الرسل الا البلاغ المبين أى ليس الامر كما تزعمون انه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد
الإنكار وبها كم عنده كد النسي وبعث في كل امة أى في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكاهم يدعوا الى عبادة الله وينهى عن عبادة
ما سواه ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبرز تعالى يرسل الى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بنى آدم في قوم نوح الذين
أرسل اليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله الى أهل الارض الى ان ختمهم (٢٥١) بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى طبقت دعوته

الانس والجن في المشارق والمغرب
وكلهم كما قال الله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه
لا اله الا انا فاعبدون وقوله تعالى
واسئلكم من أرسلنا من قبلك من
رسلا اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون وقال تعالى في هذه الآيات
الكريمة ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فكيف يسوغ لاحد
من المشركين بعد هذا ان
يقول لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شئ فثبتته تعالى الشرعية
عنهم منتفية لانهما هم عن ذلك
على السنة رسوله وأما مشيئته
الكونية وهى تمكينهم من ذلك قدرا
فلا حجة لهم فيه لانه تعالى خلق النار
وأهلها من الشياطين والكفرة
وهو لا يرزى لعباده الكفر وله في
ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة
ثم انه تعالى قد أخبرنا انه أنكر
عليهم - م بالعقوبة في الدنيا بعد
الذار الرسل فلهذا حال فيهم - م
من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة فسيروا في الارض
فاتقوا كيف كان عاقبة المكذبين
أى اسألوا عما كان من أمر من

الأمم أى مضاعفنا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وأضيفت وذلك لان خطأ
العظيم عظيم **ك** ما قال سبحانه يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين وضعف الشئ منه لانه وقد يكون الضعف النصيب كقوله لكل ضعف
أى نصيب قال الرازى حاصل الكلام انك لو مكنت خواطرا الشيطان من قلبك وعدت
على الركون **هـ** لك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك
منلى عذاب المشرك في الدنيا ومنلى عذابه في الآخرة (ثم لا تجدك علينا نسيرا) ينسرك
فيدفع عنك ويمنع منك هذا العذاب قال النيسابورى اعلم ان القرب من الجنة لا يدل على
الوقوع فيها والله - م يدعى المعصية لا يدل على الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن
في العصية (وان كادوا ليس تنفروك من الارض ليخرجوك منها) الكلام في هذا
كالكلام في ان كادوا ليفتنوك أى وان الشأن انهم قاربوا ان يرجعوك بعد اوتهم ومكرهم
من أرض مكة لتخرج عنها **و** **ك** لم يقع ذلك منهم - م بل منعهم - م الله عنه حتى هاجر
بأمر ربه بعد ان هم وابوه الا استفزاز الارعاج وقبل انه أطلق الإخراج على ارادة الإخراج
تجوزا قال سعيد بن جبير قال المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت الانبياء
تسكن الشام فالك وللمدينة فهم ان يشخص فانزل الله وان **ك** كادوا الآية (واذن
لا يلبنون خيلا فلك) أى لا يقون بعد اخراجك (الا) لبناء وزمنا (فليلا) حتى
يهلكوا ثم يعاقبون عقوبة تستأصلهم جميعا قال ابن عباس يعنى بالليل يوم أخذهم يدر
فكان ذلك هو الليل الذى لبسوا بعده قال ابن الانبارى خلافت يعنى فخالفت وقال
قنادهم أهل مكة باخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها وقد فعلوا بعد ذلك فاهلكهم
الله يوم بدر ولم يلبسوا بعده الا قليلا وكذلك كانت سنة الله في الرسل اذ فعل بهم قومهم مثل
ذلك (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أى سن الله سنة قال النراء أى يعذبون كسنة
من قد أرسلنا وقيل المعنى سننا سنة من قد أرسلنا وقبل اتبع أنت سنة من وقال الزجاج
يقول ان سننا هذه السنة فمى أرسلنا قبلك اليهم انهم اذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم
أو قتلوه ان ينزل العذاب بهم (ولانج - دلستنا نحو يلا) أى ما أجرى الله به العادة لم
يتمكن أحد من تحويله ولا يقدر على تغييره ولما ذكر سبحانه الآلهيات والمعاد والجزاء
أردفها بذكر أشرف الطاعات وهى الصلاة فقال (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أجمع

خالف الرسل وكذب الحق كيف دمر الله عليهم ولا كفارين أمثالها فقال واقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان تكبير ثم أخبر الله
تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان حرصه على هدايتهم لا ينفعهم اذا كان الله قد أراد اضلالهم كقوله تعالى ومن يرد الله فتنه فلن يفلت
له من الله شيئا وال نوح لتوبه ولا ينفعكم نعمى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال في هذه الآية الكريمة ان
تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل كما قال الله من يضل الله فلا هادى له ويذرهم في طغيانهم يعمهون وقال تعالى ان الذين
حيقت عليهم - م كفار ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقوله فان الله أى شأنه وأمره انما شاء كان وما لم يشأ

لم يكن فلهذا قال لا يمضي من بطل أي من أهل فن الذي يمديه من بعد الله أي لأحد وماله من ناصرين أي ينفذونهم من عذابه
 ووثاقه ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (وأقسم وأبانت جهدي إيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر
 الناس لا يعلمون ليس إلههم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)
 يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم حملوهوا فاقسموا بالله جهدي إيمانهم أي اجتهدوا في الخلف وغلطوا الإيمان على أنه لا يبعث الله
 من يموت أي استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل (٢٥٢) في اخبارهم لهم بذلك وحملوهوا بذلك على نقيضه فقال تعالى مكذبا لهم وراود
 عليهم بلى أي بلى سيكون ذلك وعدا

عليه حقا أي لا بد منه ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون أي لم يعلمهم
 يخافون الرسل ويقعون في الكفر
 ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام
 الأجساد يوم التناد فقال ليس
 إلههم أي للناس الذي يختلفون فيه
 أي من كل شيء ويجزي الذين أسأوا
 بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا
 بالحسنى وليعلم الذين كفروا أنهم
 كانوا كاذبين أي في إيمانهم
 واقسامهم لا يبعث الله من يموت
 ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار
 جهنم دعاء ويقول لهم الزانية هذه
 النار التي كنتم بها تكذبون أقصر
 هذا أم أنتم لا تبصرون أصلوها
 فاصبروا أولاً وصابروا وسواء عليكم
 انما تعجزون ما كنتم تعلمون ثم
 أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء
 وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في
 السماء وانما أمره إذا أراد شيئاً أن
 يقول له كن فيكون كما يشاء والمعاد
 من ذلك كقوله وما أمرنا الا واحدة
 تكلم بالبصر وقال ما خلقكم ولا
 بعثكم الا كفيس واحدة وقال في
 هذه الآية الكريمة انما قولنا لشيء

المتسرون على ان المراد بها الصلوات المفروضة وقد اختلف العلماء في الدلالة على قولين
 أحدهما انه زوال الشمس عن كبد السماء قاله عروا بن وهب وأبو هريرة وابن عباس وجابر
 والحسن والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة والضحاك وأبو جعفر الباقر وأبو كثر التابعين
 واختاره ابن جرير والقول الثاني انه غروب الشمس قاله علي وابن مسعود وأبي بن كعب
 وروى عن ابن عباس وبه قال الشعبي ومقاتل والسدي قال القراء دلوك الشمس من لدن
 زوالها إلى غروبها قال الأزهرى معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس
 اذا زالت نصف النهار الدلك وقيل لها اذا أفلت دالكة لانها في الحالتين زائلة قال
 والقول عندي انه زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس وأصل هذه
 المادة أي ماطر كب من الدال واللام والكاف يدل على التحول والانتقال ومنه الدلك
 فان الدلالة لا تستقر يده ومنه دلوك الشمس في الزوال انتقال من وسط السماء إلى
 ما يليه وكذا كل ماطر كب من الدال واللام يقطع النظر عن آخره يدل على ذلك كدج بالجم
 من الدجوة وهي سيرة الليل والانتقال فيه من مكان إلى مكان آخر ودلج بالحاء المهملة اذا
 مشى مشياً متشافلاً ودلج بالعين المهملة اذا أخرج لسانه ودان بالفاء اذا مشى مشى المقيد
 أو بالالف لاخراج الماس من مقبره ودله اذا ذهب عقله فنبهه انتقال معنوى وقال أبو عبيد
 دلوكها غروبها ودلكت براح أي غابت وراح اسم من أسماء الشمس على وزن حذام
 وقطام وعن ابن عمر قال دلوك الشمس زياغها بعد نصف النهار وعن ابن عباس قال اذا فاه
 النبي وعن عقبه بن عمرو فروعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أناني جبريل
 لدلوك الشمس حين زالت فصلى في الظهر الحديث أخرجه ابن جرير وعن أبي برزة الأسلمي
 قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الظهر اذا زالت الشمس ثم تلا اقم الصلاة
 لدلوك الشمس والحاصل أن الله يجمعها لأن أصل الدلوك الميل والشمس غيب اذا زالت
 واذا غربت والحاصل على الزوال أولى التواين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت
 الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها كما ذكرنا وعلى الثاني يخرج الظهر والعصر وفي هذه
 اللام وجهان أحدهما انه بمعنى بعد ومثله قولهم كتبته لثلاث خلون والثاني انه على بابها
 أي لاجل دلوك قال الواحدى لانها انما تجب بزوال الشمس وفيه ثلاثة أقوال أشهرها
 انه الزوال وهو نصف النهار والثاني انه من الزوال إلى الغروب وانما ان الغروب إلى

إذا أردناه ان نقول له كن فيكون أي ان تأمر به مرة واحدة فاذا هو كائن كما قال الشاعر غنى

إذا ما أراد الله أمراً فاعلم بما يقول له كن قوله فيكون

أي انه تعالى لا يحتاج إلى تكذيبها بأمر به فانه تعالى لا يمانع ولا يخالف لانه الواحد القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته
 كل شيء فلا اله الا هو ولا رب سواه وقال ابن أبي حاتم ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني عطاء انه
 سمع ثابرة يقول قال الله تعالى شئني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك فاما تكديسه إياي فقال

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت قال قلت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون وأما شتمه إياي فقال ان الله ثالث ثلاثة وقلت قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هكذا ذكره موقوفا وهو في الصحبة من مرفوعا بلفظ آخر (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبأهم في الدنيا حسنة ولا جبر الآخرة كبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) يخبر تعالى عن جزائهم هاجرين في سبيله استقام مرضاته الذين فارقوا الدار والآخرة والخلان رجاء ثواب الله وجزائه ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين (٢٥٢) أشهد أذى قومهم لهم عكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ليتمكنوا

من عبادة ربهم ومن أشرفهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثهم إلى طاب ابن عم الرسول وأبوسلمة بن عبد الأسد في جماعة قريب من ثمانين مابين رجل وامرأة صديق وصديقة رضى الله عنهم وأرضاهم وقد فعل فوعدهم تعالى بالجازاة بالحسنة في الدنيا والآخرة فقال لنبوأنهم في الدنيا حسنة قال ابن عباس والشعبي وقادة المدينة وقيل الرزق الطيب قاله مجاهد ولا منافاة بين القواين فانهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعرضهم الله خيرا منها في الدنيا فان من ترك شيئا لله عوضه الله بغيره خيرا منه وكذلك وقع فانهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكماء وكل منهم للمتقين اماما وأخبر ان ثواب المهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال ولا جبر الآخرة كبر لى عما أعطيناهم في الدنيا لو كانوا يعلمون أى لو كان المتخلصون عن الهجرة معهم يعلمون ما دخر الله لمن أطاعه

غسق الليل أى اجتماع الظلمة قاله ابن عباس وقال الفراء والزجاج يقال غسق الليل رأى غسق إذا قبل بظلامه وقيل مغيب الشفق وهذا يتناول المغرب والعشاء والجار متعلق باقمل انتهاء غاية الإقامة وأقمل معدودة إليه قاله أبو البقاء وفيه نظر من حيث أنه قد رتب المتعلق كونا مقيدا إلا ان يريد تشييع المعنى لا الأعراب والغسق دخول أول الليل قاله ابن شميل وقيل هو سواد الليل وظلمته وأصله من السيلان يقال غسقت العين أى سال دمعها فكان الظلمة تنصب على العالم وتسيل عليهم ويقال غسق الجرح امتلا دما فكان الظلمة ملأت الوجود والمراد في قوله من شر غاسق التمر اذا كسف واسود وقيل الليل والغسق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار ويقال غسق الليل وأغسق وظلم وظلم ودجا وأدجى وغبش وغبش نقله الفراء قاله السمين وقد استدل بهذه الغاية من قال ان صلاة الظهر يتمادى وقتها من الزوال إلى الغروب روى ذلك عن الأوزاعي وأبي حنيفة وجوزهم مالك والشافعي في حال الضرورة وقد وردت الأحاديث الصحيحة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تعيين أوقات الصلوات فيجب حمل مجمل هذه الآية على ما بينته السنة فلا نظيل بذلك ومعنى الآية أقم الصلاة من وقت دلولك الشمس إلى غسق الليل فيدخل فيها الظهر والعصر وصلات غسق الليل وهما العشاء ثم قال (وقرآن الفجر) عطف على الصلاة أى أقمه قاله الفراء وقال الاخفش وتبعه أبو البقاء وعليك قرآن الفجر وأصول البصريين تأبى هذا لان أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة وقيل الزم قرآن الفجر قال المفسرون المراد به صلاة الصبح عبر عنها ببعض أركانها قال الزجاج وفي هذه فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون الا بقرأة حتى سميت الصلاة قرآنا وهو حجة على الأصم حيث زعم ان القرأة ليست بركن وقد دلت الأحاديث الصحيحة على انه لا صلاة الا بشأحة الكتاب وفي بعض الأحاديث الخارجة من مخرج حسن وقرآن معها وورد ما يدل على وجوب الشأحة في كل ركعة أو سميت صلاة الصبح قرآنا بالاول فراءها وقد حرره الشوكاني في مؤلفاته تحريرا مجودا ثم علل سبحانه ذلك بقوله (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهد به وتحضره ملائكة الليل ولائكة النهار كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الآتى وبذلك قال جمهور المفسرين فينزل هؤلاء بصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار وقال الشهاب أى الكاتبون والحفظة أو يشهد به

(٤٥ فتح البيان خامس) . . . واتبع رسوله ولهذا قال هشيم عن العوام عن حدثه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية لتبوءنهم في الدنيا حسنة ولا جبر الآخرة كبر لو كانوا يعلمون ثم وصفهم تعالى فقال الذين صبروا وهى ربهم يتوكلون أى صبروا على الاتى من قومهم متوكلين على الله الذى أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا انفسهم فاسلون هل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالنبأ كبر الزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) قال الفيض عن

ابن عباس لما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يروا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فأرسل الله أن كان للناس عجمان أو جينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس الآية وقال وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لاتعلمون يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل إليهم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا قال تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى لبسوا من أهل السماء كما قلتم وكذا روى (٣٥٤) عن مجاهد عن ابن عباس ان المراد بأهل الذکر أهل الكتاب وقاله

مجاهد والاعمش وقول عبد الرحمن ابن زيد الذکر القرآن واستشهد بقوله أنا نحن نزلنا الذکر وأنا له حافظون صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لان المخالف لا يرجع في إثباته بعد انكاره اليه وكذا قول أبي جعفر الباقر نحن أهل الذکر مراده ان هذه الامة أهل الذکر جميع فان هذه الامة أعلم من جميع الامم السالفة وعلماء أهل بيت رسول الله عليه السلام والرحمة من خير العلماء اذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابي على الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد ابن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم واضربهم وأشكالهم ممن هو منه لا يجبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل امرئ الذي أعطاه الله ورسوله واجمع عليه قلوب عباده المؤمنين والغرض ان هذه الآية الكريمة أخبرتنا بان الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا بشرا كما هو بشر كما قال

الكثير من المصلين في العادة والاول أولى وقد أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار تجتمع فيهما وهو في الصلوة عندهم مرفوعا بلفظ يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقروا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وفي الباب أحاديث قال الرازي وهذا دليل قاطع قوي على ان التغليس أفضل من التصوير لان الانسان اذا نزع فيها من أول الصبح في ذلك الوقت ظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر النور وحضرت ملائكة النهار أما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فنبت ان قوله يعني هذه الآية دليل على ان الصلاة في أول وقتها أفضل انتهى (ومن الليل فتعبدوا به) في من وجهان أحدهما انها متعلقة بهجدها أي تم بعد بالقرآن بعض الليل والثاني انها متعلقة بعذوف أي قم بعد نومك نومة من الليل أو اسهر من الليل ذكرهما الخوفي ومن للتبعض أي قم بعض الليل والضمير المحرور راجع الى القرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر ففي الكلام استخدام وقيل التقدير بذلك الوقت والباء بمعنى في قاله السمين ولو قال من بمعنى في لكان أوضح وما قيل من انه منتصب على الاغرام والتقدير وعليك بعض الليل فيعبد جدا والتهجد مأخوذ من الهجود وقال أبو عبيدة وابن الاعرابي هو من الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد اذا سهر وقال الازهرى الهجود في الاصل هو النوم باللام ولكن الفعل فيه لاجل التجنب ومنه تأم وتخرج أي تجنب الانم والخرج فالتهجد من تجنب الهجود فقام بالليل وروى عنه أيضا التهجد القائم الى الصلاة من الليل هكذا حكى عنه الواحدى فقيد التهجد بالقيام من النوم وهكذا قال مجاهد وعلقمة والاسود فقالوا التهجد بعد النوم قال الليث يقال تهجد اذا استيقظ للصلاة (نافله لك) معناها في اللغة الزيادة على الاصل فالمعنى انها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم نافله زائدة على الفرائض والامر بالتهجد وان كان ظاهره الوجوب لكن التصريح بكونه نافله قرينة صارفة للامر وقيل المراد بالنافله هنا انها فريضة زائدة على الفرائض الخمس في

تعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعت الله بشرا حقه رسولا وقال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لم يأتوا بالطعام ويمشون في الأسواق وقال تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين وقال قل ما كنت به عامن الرسل وقال تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرا الى سؤال أصحاب الكتب المنقذة عن الانبياء الذين سلفوا هل كان انبياء وهم بشرا أو ملائكة ثم ذكر تعالى انه أرسلهم بالبينات أي بالنجي والدلائل والبر وهي الكتب فانه ابن عباس ومجاهد والضمير

وغيرهم والزبرجع زبور تقول العرب زبريت الكتاب اذا كتيبه وقال تعالى وكل شيء فعلموه في الزبور وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك ان الارض يرثها عبادي الصالحون ثم قال تعالى وأرسلنا اليك الذكور يعني القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم أي من ربهم لمعلمهم أي ما نزل الله عليه وحرسك عليه واتباعك له لعل ما بانك أفضل الخ لا تقى وسيد ولد آدم فتوصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل واعلمهم ينكرون أي ينظرون لانفسهم فيهم يدون فيفوزون بالنعمة في الدارين (أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخطف الله بهم الارض أو يأتهم العذاب من حيث (٣٥٥) لا يشعرون أو يأخذهم في مقامهم فجاءهم فجزي

أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم) يخبره تعالى عن حلمه وانظاره العصاة الذين يعلمون السيئات ويدعون اليها ويذكرون بالناس في دعائهم ما لهم وحملهم عليه مع قدرته على ان يخطفهم من الارض أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون أي من حيث لا يعلمون يخبرهم الله تعالى انهم آمنتم من في السماء أن يخطف بكم الارض فاذا هي تمور أم آمنتم من في السماء أن يرسل عليكم ماصا فاستعلمون كيف ينذروكم أو يأخذهم في مقامهم أي في مقامهم في المعاش واشتغالهم بها من اسفار ونحوها من الاشغال الملهية قال قتادة والسدي تسلم أي اسفارههم وقال مجاهد والنضال وقتادة في مقامهم في الليل والنهار كقوله أفأمن أهل القرى ان يأتهم بأسا يأتواهم ناعثون أو آمن أهل القرى ان يأتهم بأسا نحى وهم يلعبون وقوله فاجم بعجزين أي لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه وقوله أو يأخذهم على تخوف أي أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذهم فانه يكون أباع

حقه صلى الله عليه وآله وسلم ويدفع ذلك التصريح بلفظ المأفلة وقيل كانت صلاة الليل فريضة في حقه صلى الله عليه وآله وسلم ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا وعلى هذا بجهل ما ورد في الحديث انها عليه فريضة ولا تمتة تطوع قال الواحدى ان صلاة الليل كانت زيادة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة لرفع الدرجات لالكفارات لانه قد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر وليس لنا بنا فله الكثرة ذنوبنا انما نعمل لكفارتها قال وهو قول جميع المفسرين والحاصل ان الخطاب في هذه الآية وان كان خاصا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله أقم الصلاة فالامر له أمر لا تمتة فهو شرع عام ومن ذلك الترغيب في صلاة الليل فانه يعم جميع الامم والتصريح بكونه نافله يدل على عدم الوجوب فالتعبد من الليل مندوب اليه ومشروع لكل مكلف وأخرج البيهقي في سننه والطبراني في الاوسط عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاث من علي فرائض وهن لكم سنة التوراة والسؤال والقيام الليل ثم وعد سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على اقامة الفرائض والنوافل فقال (عسى ان يعثرك ربك) قد ذكرنا في مواضع أن عسى من الكبريم اطماع واجب الوقوع (مقام محمود) نصب على الظرفية أي يعثرك فيميتك في الآخرة مقاما محمودا ويجوز أن يكون حالا بتقدير مضاف أي دام مقام محمود ومعنى كون المقام محمودا الله يحمد كل من علمه وقد اختلف في تعيين هذا المقام على أقوال الاول انه المقام الذي يشوم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشناعة يوم القيامة للناس ليرحمهم ربهم سبحانه محامهم فيه وهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية وحكاية ابن جرير عن أكثر أهل التأويل قال الواحدى واجماع المفسرين على ان المقام المحمود هو مقام الشناعة في فصل القضاء القول الثاني ان المقام المحمود اعطاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لواء الحمد يوم القيامة ويمكن ان يقال ان هذا الاثنى في القول الاول اذ لا منافاة بين كونه فاعما مقام الشناعة ويده لواء الحمد الثالث ان المقام المحمود هو ان الله سبحانه يجلس محمد صلى الله عليه وآله وسلم معه على كرسيه حكاية ابن جرير عن فرقة منهم مجاهد وقد ورد في ذلك حديث وحكي النقاش عن أبي داود السجستاني انه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا منهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث قال ابن عبد البر مجاهد وان كان أحد الأئمة بالتأويل فان له قولين مجاورين عند أهل العلم أحدهما هذا والثاني في تأويل وجوه

وأشدد فان حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال العوفي عن ابن عباس أو يأخذهم على أترعوت صاحبه ويخوف به لك وكذا روى عن مجاهد والنضال وقتادة وغيرهم ثم قال تعالى فان ربكم لرؤف رحيم أي حيث لم يعاجلكم بالعتوبة كما ثبت في الصحيح لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيههم وفيهم ما ان الله لم يلل للظالم حتى اذا أخذ لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم شديد وقال تعالى وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء فيؤطلاله عن العيق

والشعائل - جدد الله وهم داخرون والله يصعد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويضعون ما يؤمرون) يخبرنا الى عن عظمتهم وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الاشياء والمخلوقات بأسرها جماداتهم وحيواناتهم ما مكنوا من الانس والجن والملائكة فاخبرنا كل ما له ظل يتفيؤ ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشائفاه ساجد بظله الله تعالى قال مجاهد اذا زالت الشمس - جدد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والفضائل وغيرهم وقوله وهم داخرون أي صاغرون وقال مجاهد أيضا سجود كل شيء فيؤه (٢٥٦) وذكر الجبال قال سجودها فيؤها وقال ابو غالب الشيباني أمواج البحر

صلاته و: اللهم منزلة من يعقل اذا استند السجود اليهم فسأل الله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة كما قال الله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقوله والملائكة أي تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم أي يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ويضعون ما يؤمرون أي مثابرين على طاعته تعالى وانتقال أو امره وترك زواجه (وقال الله لا تقفوا لهيئت اثنين انما هو واحد قايى فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر قاله تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكنوا بما آتاهم فتمتعوا فسوف تعلمون) يخبرنا تعالى انه لا اله الا هو وانه لا ينبغي العبادة الا له وحده لا شريك له فانه مالك كل شيء وماله ورب له الدين واصبا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقتادة

يؤمنون ان الله الى ربه ناظرة قال معناه ينظر الثواب وليس من النظر انتم وعلى كل حال فهذا القول غير مناف للقول الاول لا مكان ان يقعه الله سبحانه هذا المقعد ويستفح تلك الشفاعة وأخرج الديلمي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجابني معه على السر يروى في الكشف عن اسناد هذا الحديث وقال ابن مسعود يقعه على العرش رواء أبو وائل وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي والاحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة الرابع انه مطلق في كل مقام يجاب الحمد من أنواع الكرامات ذكره صاحب الكشف والمقتدون به في التفسير ويجاب عنه بان الاحاديث الصحيحة الواردة في تعيين هذا المقام المحمود متواترة فالمصير اليها متعين وليس في الآية عموم في اللفظ حتى يقال الاعتبار به عموم اللفظ لا بخصوص السبب ومعنى قوله مطلق في كل ما يجلب الحمد انه عام في كل ما هو كذلك ولكنه يعبر عن العام باللفظ المطلق كما ذكره في ذبح البقرة ولهذا قال هنا وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناول بهي لفظ المقام والفرق بين العموم البدلي والعموم الشمولي معروف فلا تطيل بذكره وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسئل عنه يعني المقام فقال هو المقام المحمود الذي أشفع فيه لأمي وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يبعث الناس يوم القيامة قفا كون أنا وأمي على تل ويكفوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ماشاء الله ان أقول فذلك المقام المحمود والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا ثابتة في الصحيحين وغيرهم فلا تطيل بذكرها ومن رام الاستيفاء نظر في احاديث الشفاعة في الامهات وغيرها (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) قرئ بضم الميم وبفتحة ما وهما مصدران بمعنى الادخال والاخراج فهما كالتجري والمرسي والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة فتوهم ان الجواد أي ادخلا يستأهل أن يسمى ادخلا ولا يرى فيه ما يكره وقال الواحدى اضافته ما الى الصدق مدح له ما وكل شيء أضفته الى الصدق فهو مدح وقد اختلف المفسرون في معنى الآية فتقبل نزات حين أمر صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة يريد ادخل المدينة والاخراج من مكة واخبرنا ابن جرير وهذا يقتضي ان الآية منكبة

مع غير واحد اي داخا وعن ابن عباس أيضا اي واجبا وقال مجاهد اي خالصا الى له العبادة رجا من في السموات والارض كقوله أفغير دين الله يغفون وله اسم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون هـ ذاعلى قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر واما على قول مجاهد فانه يكون من باب الطلب اي ارهبوا ان تشر كواي شيئا واخلصوا الى الطاعة كتوبه تعالى الا له الدين الخالص ثم أخبرنا مالك النضر والضر وانما بالعبادة من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم واحسانه اليهم ثم اذا مسكم الضر قاله تجأرون اي للملك انه لا يقدر على ازالته الا هو فانكم عند الضرورات تلجئون اليه وتسالونه وتلجئون

في الرغبة مستغنين به كقوله تعالى واذا نسكتم الضرب في الجرح من تدعون الاياه فلننجيكم الى البزاعرضنكم وكان الانسان كفورا وقال ههنا ثم اذا كشف الضرب عنكم اذا فريق منكم بريم - م يشركون ليكفروا بما آتيناكم قيل الا لام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعديل بمعنى قضنا لهم ذلك ليكفروا أي يستروا ويحجودوا ثم الله عليهم وانه المسمى اليهم التسمي بالكشف عنهم التسمي ثم توعدهم قائلا فتمتعوا أي اعملوا ما شئتم وتتعوا بما آتتم فيه قليلا ففسوف تعلمون أي عاقبه ذلك (ويجعلون ما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم فالتسليق عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر (٢٥٧) أحدكم بالآثي ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتواري

من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم) يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الاصنام والاوثان والانداد بغير علم وجعلوا للآوثان نصيبا مما رزقهم الله فقالوا هذا الله برعهم - وهذا الشركاء انما كان شركا كانهم فلا يصح الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون أي جعلوا الاكهم - ثم نصيبا مع الله وفضلوا على بنائه فاقسم الله تعالى بنفسه الكريمة انهم عن ذلك الذي افتروه واستفكروه وليقابلهم عليه وليجازيهم أوفر الجزاء في نار جهنم فقال الله لتسليق عما كنتم تفترون ثم اخبر تعالى عنهم انهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وجعلوا للبنات الله فعبدوا معه فأخطوا خطا كبيرا في كل مقام من هذه المخالعات الثلاثة فتسبوا لله تعالى أن له ولدا ولدا ولدا ثم أعطوه أخس التسمين من الاولاد وهو البنات وهم لا يرضونهم -

مع انها آخر الثمان المدينات لكن البضاوى مشى على ان السورة كلها مكية وحكي (١) الاستثناء الذي ذكره الجلال بقيل وعليه فلا اشكال ومن المعلوم ان ادخاله المدينة بعد اخر اوجه من مكة وانما قدمه عليه اهتما بما يشانه ولانه هو المقصود وقيل المعنى أمتنى امانة صدق وابعثنى يوم القيامة مبعث صدق وقيل المعنى أدخلنى فيما أمرتني به وأخرجنى مما نهيتني عنه وقيل ادخاله - وضع الامن واخر اوجه من بين المشركين وهو كالقول الاول وقيل المراد ادخال عز وخراج نصر وقيل أدخلنى في الامر الذي كرمتهنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى منه اذا أمتنى مخرج صدق وقيل أدخلنى القبر عند الموت مدخل صدق وأخرجنى منه عند البعث مخرج صدق وقيل أدخلنى حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجنى بالصدق وقيل الآية عامة في كل ما تناوله من الامور فهي دعاء ومعناها رب أصلنى وردي فى كل الامور وصدري عنها (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى حجة ظاهرة فاهرة تنصرتني بها على جميع من خالفنى وقيل اجعل لى من لدنك ملكا وعزاقوا يا أقيم به دينك وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم علم انه لا طاقة له بهذا الامر الا بالسلطان فسال سلطانا نصيرا وبه قال الحسن وقنادة واختاره ابن جرير وقال ابن كثير هو الاربع لانه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناواه وله هذا يقول تعالى لقد أرسلنا سلطنا بالبنات وأمرناهم الكتاب والميزان اي تقوم الناس بالقبض وأمرنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ولهم الله من ينصره ورسوله بالغيب وفي الاثر ان الله ابرع بالسلطان ما لا يبرع بالقرآن أى لا يمنع بالسلطان عن ارتكاب النواحيش والاثام ما لا يمنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الشديد والتهديد الا كيد وهذا هو الواقع انتهى وقيل وعده الله لينزع ملك فارس والروم وغيرهما فيجعل له وأجب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الارض الآية وقد كان كما وعد الله الحد (وقل) عند دخول مكة يوم الفتح (بجاه الحق وزهق الباطل) المراد باحق الاسلام وقيل القرآن وقيل الجهاد ولا مانع من حمل الآية على جميع ذلك وعلى ما هو حق كاشاما كان والمراد بالباطل الشرك وقيل الشيطان ولا يبعد أن يحمل على كل ما يقابل الحق من غير فرق بين باطل وباطل ومعنى زهق بطل واضمحل ومنه زهوت النفس وهو بطلانها وخرابها ومنه قوله تعالى وترهق أنفسهم وهم يكفرون

لانفسهم كما قال أنكم الله كقول الاثني تلك اذا قسمه خيري وقوله ههنا ويجعلون لله البنات سبحانه أى عن قولهم وافكمهم ألاثم من افكمهم ليقولون ولدا لله ولهم - لكاذبون أصنافى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون وقوله ولهم ما يشتهون أى يحتارون لانفسهم الذكور يأنفون لانفسهم من البنات التي تسبوا الى الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فانه اذا بشر أحدكم بالآثي ظل وجهه مسودا أى كتيب من الهم وهو كظيم سهكت من شدتها هو فيه من الحزن يتواري من القوم أى يكره ان يراه الناس من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب أى ان أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يبعث في بها وفضل أولاده الذكور على أمهات

(١) حيث قال سورة بن اسرائيل مكية وقيل الاقوله وان كادوا ليفتنونك الى آخره ثمان آيات اه منه

في التراب أي يثدّها وهو ان يثدّها فيه حجة كما كانوا يصنعون في الجاهلية أن يكرهونه بئس الكراهة ويألفون لا تقسمهم عنه يجعلون الله ألساناً يحكمون أي بئس ما قالوا وبئس ما قسموا وبئس ما نسبوه اليه كقوله تعالى وإذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن من لظلم وجهه مسوداً وهو كظيم وقوله ههنا الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي النقص انما ينسب اليهم والله المثل الاعلى أي الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب اليه وهو العزيز الحكيم (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة ولكن يُوخّرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) (٣٥٨) ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتم الكذب ان

لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار وانهم مفترطون) يخبر تعالى عن حله بخلقهم مع ظلمهم وانه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الارض من دابة اي لا هلك جميع دواب الارض تبعا لاهلاك بني آدم ولكن الرب جل جلاله يعلم ويستتر ويتستر الى أجل مسمى أي لا يعاجلهم بالثبوتية اذ لو فعل ذلك بهم لما بقي أحد قال سفيان الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص انه قال كاد الجعل ان يعذب بذنوب بني آدم وقرأ الآية ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهما من دابة وكذا روى الاعشى عن أبي اسحق عن أبي عبيدة قال قال عبد الله كاد الجعل ان يهلك في حجره بخلق بني آدم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المنني حدثنا اسمعيل بن حكيم الطراعي حدثنا محمد بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سمع أبو هريرة رجلاً وهو يقول ان الظالم لا يضر الانفسه قال فاشتقت اليه فقال بل والله حدث ان الجباري لقوت في وكرها بظلم الظالم وقال ابن أبي عمير حدثنا علي بن الحسين أنما

قال الشاعر

المث غيبت ثم قامت فودعت * فلما تولت كادت النفس تهتق

(ان الباطل كان زهوقاً) أي مضملاً لا يبغي ان هذا شأنه فهو يطل ولا يثبت والحق ثابت دائماً وذلك ان الباطل وان كان له دولة ومولة في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنهم بعور في يده ويقول جاء الحق وزفق الباطل ان الباطل كان زهوقاً وجاء الحق وما يدعي الباطل وما بعيد حتى سقطت وفي الباب أحاث (ونزل من القرآن ما هو شفاء) من لبدء الغاية قاله أبو حيان وبصح أن تكون لبيان الجنس قاله الزمخشري وابن عطية وأبو البقاء فان جميع القرآن شفاء وقدم على المبين للاعتناء وأبو حيان ينكر جواز ذلك لان التي للبيان لا بد أن يتقدمها ما بينه لان تقدم هي عليه فاختار هو الاول وقيل للتبعية وأنكره بعض المتأخرين لاستلزامه ان بعضه لاشفاء فيه ورده ابن عطية بان البعض هو انزاله واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قواين الاول أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الامور الدالة على الله سبحانه الثاني انه شفاء عن الامراض الناجمة بالرق والتعوذ ونحو ذلك والتبرك بقراءته يدفع كثير من الادواء والاسقام يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انهار قيمة ولا مانع من حمل الشفاء على معنيين من باب عموم الخوازم من باب حمل المشترك على معنييه (وراحة للمؤمنين) لما فيه من العلوم الدائمة المشتهلة على ما فيه صلاح الدنيا والدين ولما في تلاوته وتدبره من الاجر العظيم الذي يكون سبباً لرحمة الله سبحانه ومغفرته ورضوانه ومثل هذه الآية قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم سم وقروا عليهم سم عى والحاصل ان القرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق وابطال المذاهب الفاسدة فهو شفاء لأمراض القلوب وتكفير للذنوب وتزكية للكروب وظهر للعرب وفي الحديث من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء له ثم لما ذكر سبحانه ما في القرآن من المنفعة لعباده المؤمنين كرفاهية لمن عداهم من المضرة عليهم فقال (ولا يزيد) القرآن كلمة أو لا بعض منه (الظالمين) الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك

الوليد بن عبد الملك حدثنا عبيد الله بن شريك حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمار بن مشجع والارباب ابن ربيعي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لا يؤخر شيئاً اذا جاء أجله وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعو له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر وقوله ويجعلون لله ما يكرهون اي من البنات ومن الشراك الذين هم عبيدهم يألفون ان يكون عند أحدهم شريك له في ماله وقوله وتصف السنتم الكذب ان لهم الحسنى انكار عليهم في دعواهم مع ذلك ان لهم الحسنى في الدنيا وان كان ثم معاد ففيه أيضاً لهم الحسنى واخبار عن قبل من

قال منهم كقوله ولئن أذقناه رجعة نامن بعد شرا منسنة ليقولن هذا لى وما ظن الساعة قائمه ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للعسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وقوله أفرأيت الذى كثر باياتنا وقال لا تين ما لاولدا وقال اخبارا عن أحد الرجلين انه دخل جنة وهو ظالم لنفسه فقال ما ظن أن تبيد هذه ابدا وما ظن الساعة قائمه ولئن رددت الى ربى لأجدن خيبر منها مطلقا فجمع هؤلاء بين عمل السوء ونفى الباطل بان يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل كما ذكر ابن ابي حنيفة وجد حجر فى أساس الكعبة حين نقضوها ليجددوها (٢٥٩) مكتوب عليه حكم ومواعظ فى ذلك تعملون لسيئات

وتجزون الحسنات أجل كما يجتنى من الشوك العنب وقال مجاهد وقتادة ونصف السنتم الكذب ان لهم الحسنى اى العلمان وقال ابن جرير انهم الحسنى اى يوم القيامة كما قدمنا بيانه وهو الصواب والله الحمد ولهذا قال تعالى رآنا عليهم فى غيبهم لاجرم شىء لا بد منه ان لهم النار اى يوم القيامة وانهم من مطرون قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم منسبون فيهم مضيعون وهذا كدولة تعالى فاليوم نساهم كما نسوا لئلا يومهم هذا وعن قتادة ايضا من مطرون اى مجهولون الى النار من القسط وهو السابق الى الورد ولا منافاة لانهم يعمل بهم يوم القيامة الى النار وينسبون فيها أى يخلدون (تالله لقد أرسلنا الى امم من قبلك فزينا لهم الشيطان أعمالهم ففروا بهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أرسلناك الا بالبين لهم الذى اختلفوا فيه وفدى ورجة انوم يؤمنون والله أنزل من السماء ما فاداه الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) يذكر تعالى

والا تريب موضع اليقين والاطمئنان (الآخسار) اى هلا كالان سماع القرآن بغيتهم ويحفظهم ويدعوهم الى زيادة ارتكاب القبائح عزد او عنادا فعند ذلك يهلكون وقيل الخسار النقص كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد الا قام عنه بزيادة ونقصان ثم شبه سبحانه على قيم بعض ما جبل عليه الانسان من الطبايع المنمومة فقال (واذا أنعمنا على جنس الانسان) بالنعم التى توجب الشكر كالصحة والسعة والغنى والنراغ (أعرض) عن الشكر لله والذكر له (ونأى بجانبه) أى نأى عطفه متبجرا والنأى البعد والباء للتعديبة أو لانه صاحبة وهو تأ كيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ هو ان يولى عرض وجهه أى ناحيته والنأى بالجانب ان يولى عطفه ويولى ظهره ولا يبعد ان يراد بالاعراض هنا الاعراض عن الدعاء والابتغال الذى كان يفعل عند نزول البلوى والخنة به ويراد بالنأى بجانبه التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم وقرئ تأ مثل باع على القلب قال مجاهد نأى تباعد (واذامسه الشر) من شدة أو مرض أو فقر أو نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد اليأس فنوطا من رحمة الله هذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده من هو على هذه الصفة والمعنى انه ان فاز بالمسلوب الدينى وظنر بالمقصود نسي المعبود وانفاته شئ من ذلك وتأخرت الاجابة استولى عليه الاسف وغلب عليه التمنوط ونس وكذا الخصلتين فيجعة مذمومة ولا ينافى ما فى هذه الآية قوله تعالى واذا مسه الشر فذود دعاء عرض ونظائره فان ذلك شأن بعض آخر منهم غير البعض المذكور فى هذه الآية ولا يبعد أن يقال لا منافاة بين الآيتين فند يكون مع شدة يأسه وكثرة قنوطه كثير الدعاء بل انه (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) التى جبل عليها قال القراء الشاكلة الطريقة وقيل الناحية قاله ابن عباس وقيل البسطة وقيل الدين وقيل النية قاله الحسن وبه فسرهما لخارى فى كتاب التفسير وقيل الجلبة وأحسن ما قيل فيها ما قاله الزمخشري انها مذهب الذى يشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذوشوا كل وهى الطرق التى تشعبت منه وهى مأخوذة من الشكل وهو الممثل والنظير يقال لست على شكل ولا على شاكلتى وأما الشكل بالكسر فهو الهيئة يقال جارية حسنة الشكل أو الشاكلة الروح والمعنى ان كل انسان يعمل على ما يشاكل أخلاقه التى ألفها أو على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صهت

انه ارسل الى الامم الخالية رسلا فكذب الرسل فلما يات محمد فى اخوانك من المرسلين اسوة فلا يهدى بك تكذيب قومك لك واما المشركون الذين كذبوا الرسل فانما جعلهم على تلك تزيين الشيطان لهم فهو وليهم اليوم أى هم تحت العقوبة والشكال والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصا ولا بصيرى لهم ولهم عذاب أليم ثم قال تعالى لرسوله انه انما أنزل عليه الكتاب لبيح للناس الذى يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس فى كل ما ينزعون فيه وهدى اى للقلوب ورجة اى لمن تمسك به لقوم يؤمنون وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكنفها كذلك يحيى الارض بعد موتها بما أنزل عليها من السماء من ماء ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون اى يشهدون الكلام

ومعناه (وان لكم في الانعام لعلبة فليس في بطونهم من بين فرث ودم لبنا خالصا متاعا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون) يقول تعالى وان لكم ايها الناس في الانعام وهو الابل والبقر والغنم لعلبة اي لآية ودلالة على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه بكم في بطونهم افرده ههنا عودا على معنى النعم والضمير عائدا على الحيوان فان الانعام حيوانات اي نسائكم في بطن هذا الحيوان وفي الآية الاخرى مما في بطونهم ويجوز هذا وهذا كما في قوله تعالى كلا انهم انذرتهم في شاذ كره وفي قوله (٢٦٠) تعالى واني مرسل اليهم بهدي فناظرهم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان اي

المال وقوله من بين فرث ودم لبنا خالصا اي يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في بطن الحيوان فيسرى كل الى موطنه اذا نضج الغذاء في معدته فمدحرف منها دم الى العروق وابتلى الى الفروع ويول الى المثانة وروث الى الخارج وكل منها لا يشوب الاخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به وقوله لبنا خالصا متاعا للشاربين اي لا يغص به احد ولما ذكر اللين وانه تعالى جعله شربا للناس سائغا ثانيا بذكر ما يتخذونه الناس من الاثربة من ثمرات النخيل والاعناب وما كانوا يصنعونه من التبيذ المسكر قبل تحريمه ولهذا امتن به عليهم فقال ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا رد على اباحتهم شربا قبل تحريمه ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من الفحل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي واحمد وجهور العلماء وكذا حكم سائر الاثربة المتخذة من الخنطة والشعير والذرة والحبس كما جاءت السنة بتفصيل ذلك وليس هذا موضع بسط ذلك كما قال ابن عباس في قوله سكرا ورزقا حسنا قال السكر ما حرم من

عنه افعال جيلة واخلاق زكية وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خبيثة فاسدة رديئة وهذا تم للكافر ومذم للمؤمن (فر بكم اعلم عن هواهدي) لانه الخالق لكم العالم بما جبلتم عليه من الطباع وما تباينتم فيه من الطرائق فهو الذي يميز بين المؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا يياس عند الخيبة وبين الكافر الذي شأنه البطر للنعم والقنوط عند النقم واهدي من اعتدى على حذف الزوائد ومن هدى المتعدي او من هدى القاسر يعني اهتدى و (سبيلا) تميز اي اوضح طريقا واحسن مذهبا واشد اتباعا للحق ثم لما انفجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل عليه ذكر سبحانه سؤال السائلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح فقال (ويستلوه عن الروح) قد اختلف الناس في الروح المستول عنه فقيل هو الروح المدبر للبدن الذي يكون به حياته وبهذا قال اكثر المتأخرين قال القراء الروح الذي يعيش به الانسان لم يخبر الله به سبحانه احدا من خلقه ولم يعط علمه احدا من عباده وقيل الروح المستول عنه جبريل وقيل عيسى وقيل القرآن وقيل ملك من الملائكة عظيم الخلق وقيل خلق كخلق نبي آدم وقال بعضهم هو الدم الا ترى الانسان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف يحيا به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء والظاهر هو القول الاول وسأخذ كرسب نزول هذه الآية وبيان السائلين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح ثم الظاهر ان السؤال عن حقيقة الروح لان معرفة حقيقة الشيء اهم وقدم من معرفة حال من احواله ثم امره سبحانه ان يجيب عن السائلين له عن الروح فقال (قل الروح) اظهر في مقام الاضمار اظهاه الالكال الاعتناء بشأنه (من امر ربي) من بيانية والامر بمعنى الشأن والاضافة للاختصاص العلي لا الابدائي لا اشتراك الكل فيه وفيها من تشریف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشریف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله بعلمه من الاشياء التي لم يعلم بها عباده واهم امر الروح وهو مبهم في التوراة ايضا وقيل المعنى من وحيه وكلامه لامن كلام البشر وفي هذه الآية ما يبرز الخائضين في شأن الروح المتكافئين لبيان ما هيته وايضا حقيقة ابلغ جزو ويردعهم اعظم بدع وقد اطالوا المقال في هذا البحث بما لا يتسع له المقام وغالبه بل كاه من الفسول

ثمرتهم او الرزق الحسن ما اهل يعنى ما ليس منهم ما من ثمر رزيب وما عمل منهم ما من طلاله وهو الدبس والخل ونبيذ الذي حلال يشرب قبل ان يشتد كما وردت السنة بذلك ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ناسب ذكر العقل ههنا فانه اشرف ما في الانسان ولهذا حرم الله على هذه الامة الاثربة المسكرة صيانة لعقولها قال الله تعالى وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب ونجرنا فيها من العيون لئلا كوا من ثمره وما علمته ايديهم اقلاب يشكرون سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم وما لا يعلمون (واوص ربك الى الفحل ان اتخذ من الجبال ميونا ومن النهر موعيا ورسون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبيل

ربك فلا يخرج من بطونهم ان محبة ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) المراد بالوحى هنا الالهام والهداية والارشاد لانهم ان اتخذوا الجبال بيوتا لأوى اليها ومن الشجر وعما يعرفون ثم هي محكمة في غاية الاتقان في تدبيرها ورصها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى اذنا قدر يا نصير يا ناكل من كل الثمرات وان تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذكلة لها أى مسهلة عليها حيث شئت من هذا الجو العظيم والبرارى الشاسعة والاهوية والجبال الشاهقة ثم يعود كل واحدة منها الى بيتها لا تحيد عنه عينة ولا بسرعة بل الى بيتها ومالها فيه من فرح وعسل (٣٦١) فتنبى الشعب من أجناسها وتنى العسل من فيها

وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح الى مراعيها وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فأسلم فأسلم سبل ربك فلا أى مطبعة فجعله حالا من السالكه قال ابن زيد وهو كقول الله تعالى وذلكما عالمهم فيها ركبهم ومنها ما يكون قال ألا ترى أنهم يملكون النحل بيوتهم من بلد الى بلد وهو يحسبهم والقول الاول هو الاظهر وهو انه حال من الطريق أى فأسلمكم ام مذلة لك نص عليه مجاهد وقال ابن جرير كلا التولين صحيح وقد قال أبو يعلى الموصلى حديث شاذيان بن فروخ حديثا مسكين بن عبد العزيز عن أبيه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الذباب أربعون يوما والذباب كله فى النار الا النحل وقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ما بين أبيض وأسود وأحمر وغير ذلك من الألوان الحشنة على اختلاف مراعيها وما جعلها منها وقوله فيه شفاء للناس أى فى العسل شفاء للناس أى من أدواء نعرس لهم قال بعض من تكلم

الذي لا يأتى بنفع فى دين ولا دنيا وقد ذكر بعض المحققين ان أقوال المختلفين فى الروح باغت الى ثمانية عشر مائة قول فاقتر الى هذا النضول الفارغ والتعب العاقل عن النفع بعد ان علموا ان الله سبحانه قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا اذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث على حقيقةه فضلا عن أهمهم المتقدمين به ثم فبالله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول والقائمين بالعقول من المنقول الى هذا الحد الذى لم تبلغه ولا بعضه فى غير هذه المسئلة مما أذن الله بالكلام فيه ولم يستأثر بعلمه وقد عجزت الاوائل عن ادراك ماهيته بعد اتفاق الاعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على انه عن ادراك خالقه أعجز وله اذ ما قيل فى حده قديما وحديثا ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الخطاب عام لجميع الخلق ومن جملتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو خطاب للهم وخصا والاول أولى ويدخل فيه اليه وودخولا ولما والمعنى ان علمكم الذى علمكم الله ليس الا المقدار القليل بالنسبة الى علم الخالق سبحانه وان أوتيتم خطاب من العلم واقراب علم الانبياء عليهم السلام ليس هو بالنسبة الى علم الله سبحانه الا كما يأخذ الطائر فى منقاره من البحر كما فى حديث موسى والخضر عليهم السلام وعبرة الخازن ان التلة والكثرة تدوران مع الاضافة فوصف الشئ بالقلة بالنسبة الى ما فوقه وبالكثرة الى ما تحته انتهى اخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت أمتشى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى خرب المدينة وهو متكئ على عيب فمر بشوم من اليه ودفنوا بعضهم لبعض اسأله عن الروح فقال بعضهم لا تسألوا فقالوا يا محمد ما الروح فقال متكئا على العيب فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قال الروح من أمر ربي الآية وأخرج أحمد والترمذى وصححه النسائى وابن المنذر وابن حبان فى العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس قال قالت قريش للهم وداعظونا شيئا نأله هذا الرجل قالوا سألوه عن الروح فنزلت هذه الآية قالوا أوتينا علما كثيرا وأوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا فانزل الله قل لو كان البحر مدا دال كما مات ربي لبشره البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي الا يتوفى الباب أحاديث وآثار ولما بين سبحانه انه ما آتاهم من العلم الا قليلا بين انه لو شاء ان يأخذ منهم هذا القليل لقل فقال (وانى) اللام هى الموطنة الدالة على القيمة

(٤٦ فتح البيان خامس) على الطب النبوى لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء للناس أى يصلح لكل أحد من أدواء باردة فانه جاروا الشئ يداوى بشفائه لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء وهذا قول صحيح فى نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية فان الآية انما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا وانما الذى قاله ذكره فى قوله تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقوله تعالى يا أيها الناس قد جاءكم من مولى ربكم وشفاء لما فى الصدور ورحمة لله ومبين والدليل على ان المراد بقوله تعالى فيه شفاء للناس هو العسل

حدثنا علي بن سلمة هو الثعلبي حدثنا زكريا بن حبيب حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالشقاء من العسل والقرآن وهذا السقاء جدي تنفرد بأخراجه ابن ماجه مر فوعا وقد رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان هو الثوري به موقوف وله شبهه وروى عن أبيه عن المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال اذا أراد أحدكم الشقاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليعطيها لبعاء السماء وليأخذ من امرأته درهم ما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه كذلك فانه (٣٦٣) شفاء من وجوه قال الله تعالى وقزل من القرآن

ما هو شفاء ورجع لاه ومنين وقال
وترانا من السماء ماء مباركا وقال
فان طيب لكم عن شيء منه نفسا
فكاهه غيثا مريشا وقال في العسل
فيه شفاء للناس وقال ابن ماجه
أيضا حدثنا محمود بن خالد
حدثنا سعيد بن زكريا المقرئ
حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي عن
عبد الحميد بن سالم عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لعق العسل ثلاث غدوات
في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء
الزبير بن سعيد يروى وقال ابن ماجه
أيضا حدثنا ابراهيم بن محمد بن
يوسف بن سرح القرابي حدثنا عمرو
ابن بكر السكسكي حدثنا ابراهيم
ابن أبي غنبله سمعت أبي بن أم
حرام وكان قد صلى القبلة يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوات
فان فيها شفاء من كل داء الا السام
قيل يا رسول الله وما السام قال
الموت قال عمرو قال ابن أبي عمير
السنوات الشيت وقال آخرون بل
هو العسل الذي في زقاق السمن
وهو قول الشاعر

بعظهم لبعض ظهيرا) أي عونا ونصيرا في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمنزلة فثبت لهم
لا يأتون بمنزلة على كل حال من روض ولو في هذه الحال المتنافسة لعدم الاتيان به فضلا عن
غيرها وفيه حسم لا طماعهم النار غنة في روم تبديل بعض آياته بعض وقد تقدم وجه
الاعجاز في أوائل سورة البقرة وفي هذه الآية رد لما قاله الكفار لو نشاء لقائنا منسل هذا
واكذاب لهم عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمود بن ثعلبان
ونعيمان بن آصى وبحري بن عمرو وسلام بن مشكم فقالوا أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به
أحق من عند الله فاننا لانرا متشاكسا كما تناسق التوراة فقال لهم والله انكم لتعرفونه انه
من عند الله قالوا فانجيح ذلك بمنزل ما أتى به فانزل الله تعالى هذه الآية فالقرآن كلام الله في
اعلى طبقات البلاغة والفصاحة لا يشبهه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو غير مخلوق
ولو كان مخلوقا لوانعده وهو معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب ثم بين سبحانه
ان الكفار مع عجزهم عن المعارضة استمروا على كفرهم وعدم ايمانهم فقال (ونقدس رقنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي ردنا القول فيه بوجوه مختلفة زيادة في التقرير
والبيان وكرنا بكل مثل يجب الاعتبار من الآيات والعبر والترغيب والترهيب
والاوامر والنواهي وأقاصيص الاولين والجنه والنار والقيامة وقيل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته وحسنه ووقوعه وموقعه في الانفس والاول اولي (فأيا كثر الناس)
يعني من أهل مكة (الا كثرنا) فانهم جحدوا وأكثروا كون القرآن كلام الله بعد
قيام الحجة عليهم واقترحوا من الآيات ما ليس لهم وأظهر في مقام الاسمار حيث قال فأي
أكثر الناس تأصيلا وتوضيحا ولما كان أي مؤولا بالذي أي ما قبل أول مرضح
الاستثناء منه (وقالوا) أي قال رؤساء مكة كعنته وشيعة ابني ربيعة وأبي سفيان
والنضر بن الحرث قول المبهوت المحجوج المتعبر ولما بين اعجاز القرآن وانتمت
اليه معجزات اخرى بينات ولزمهم الحجة وغلبوا أخذوا يعللون بافتراح الآيات وقالوا
(لن نؤمن لك) ثم علقوا في ايمانهم بغاية طلبها فقالوا (- في تعجزنا من الارض)
أي مكة (بنبوعا) عينا غزيرة من شأنها أن تتبع بالما يرى تنجر نحننا وشدا وها
سبعينان ولم يختلفوا في تعجز الانهار انهم شدة باتفاق السبعة ووجه ذلك أبو حاتم بان
الاولى بعد ما ينبوع وهو واحد والثانية بعدها الانهار وهي جمع وأجيب عنه بأن

هم السمن بالسنوات لألس فيهم • وهم ينعون جارهم ان يقردا كذا رواه ابن ماجه
وقوله لألس فيهم أي لا خاط وقوله ينعون جارهم ان يقردا أي يدل وقوله ان في خلا لاية لقوم يتذكرون أي ان في الهام الله
لهذه الدواب الضعيفة الخالقة الى السلوك في هذه المهامه والاجتناس من مائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الاشياء
لاية لقوم يتذكرون في عظم خالقها ومقدرها ومسخرها فيسرها فيسندون بذلك على انه القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم
(وايه خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا ان الله عليم قدير) بخبر تعالى عن تصرفه

في عباده وانه الذي انشأهم من العدم ثم بعد ذلك بنو قاهم ومنهم من يترك حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الخلقة كما قال الله تعالى الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة الاية وقد روى عن علي رضي الله عنه اوردل العمر خمس وسبعون سنة وفي هذا السن يحصل له ضعف القوة والحرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال لكيلا يعلم بعد علم شيء أي بعدما كان عالما أصبح لا يدري شيئا من الحرف ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا هرون بن موسى أبو عبد الله الاور عن شعيب عن أنس بن مالك أن (٢٦٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو أو عوذ بك من البخل والكسل

والهرم وأردل العمر وعذاب القبر وفئة الدجال وفئة النجاة والامات وقال زهير بن أبي سلمة في معلقته المشهورة

سمت تكاليف الحياة ومن يعيش
ثمانين عاما لا أبالك يسام
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
نعمته ومن تخطى بهم رفيرم
(والله فضل بعضكم على بعض في
الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم
على ما ملكت أيمانهم فهم فيه
سواء أفبعممة الله يحمدون) بين
تعالى لا مشركين جهلهم وكفرهم
فيما زعموه الله من الشركاء وهم
يعترفون انما عبيده كما
كانوا يقولون في تليبتهم في جهنم
ليسك لا شريك لك الا شريك هولاء
تلكه وما ذلك فقال تعالى منكرا
عليهم انتم لا ترضون ان تـاواوا
عبيدكم فيما رزقناكم فكيف
يرضى هو تعالى بما اواة عبيده
في الالهية والتعظيم كما قال في
الآية الاخرى ضرب لكم مثلا
من انفسكم هل لكم مما ملكت
أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء يخافونهم بغيتكم
انفسكم الآية قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا يذكروا عبيدهم في أموالهم ونسائهم المريض

النبوع وان كان واحدا في اللفظ فالمراد به الجمع فان النبوع العيون التي لا ينضب ماؤها
ويرد بان النبوع عين الماء والجمع يابسع وانما يقال للعين ينبوع اذا كانت غزيرة من شأنها
النبوع من غير انقطاع وهو يفعل من نبع الماء والياء زائدة كيعوب من عب الماء قال
شجاهد نبوعا عيوننا وعن السدي النبوع هو النهر الذي يجري من العين (أو تكون لك
جنة) أي بستان تستر أشجاره أرضه وقال ابن عباس جنة ضيقة والمعنى هب انك لا تنجبر
الانم الا جنة فتجبرها من أجلك بان تكون لك جنة (من تخيل وعذب فتجبر الانهار)
أي تجبرها بقوة (خلالها) أي وسط الجنة (تنجيرا) كثيرا وتثقيقا (أو تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا) أي قطعا قاله ابن عباس قرأ مجاهدا وتسقط مسندا الى السماء
وقرأ من عداه وتسقط على الخطاب أي أو تسقط أنت يا محمد السماء والكسف بفتح السين
جمع كسفة والكسفة القطعة من الشيء قاله الجوهري يقال اعطى كسفة من ثوبك والجمع
كسف وكسف أي اسقاطا مماثلة كما زعمت يعنون بذلك قول الله سبحانه ان نشأخففهم
الارض أو تسقط عليهم م كسفا من السماء قال أبو علي الكسف بالسكون الشيء المقطوع
كالطنح للمطعون واشتقاقه على ما قال من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج
من كسفت الشيء اذا غطيته كأنه قيل أو تسقطها طبقات طبقات عينا (أو تأتي بالله والملائكة
قبلا) أي حال كونهم ما مقابلين بفتح الباء ومرئيين لنا فالقبيل بمعنى المقابل كالعشير بمعنى
المعاشر اختلف المفسرون في معنى قبيلة فقيل معناه معاينة فانه قنادة وابن جريح
واختاره أبو علي الفارسي فقال اذا جلته على المعاينة كان القبيل مصدرا كالنكير والنذير
وقيل معناه كنيلا عما تدعيه فانه الضمك وقيل شهيدا فانه مقاتل وقيل هو جمع القبيلة أي
تأتي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة فانه مجاهد وعطاء (أو يكون لك بيت من زخرف)
أي من ذهب قاله ابن عباس وبه قرأ ابن مـعود وأصله الزينة والزخرف المزين وزخارف
الماء طرائفه وقال الزجاج هو الزينة فرجع الى أصل معنى الزخرف وهو بعيد لانه بصير
المعنى أو يكون لك بيت من زينة (أو ترقى في السماء) أي حتى تصعد في معارجها والرقى
الصعود يقال رقى في السلم اذا صعدت من باب نعب وارتقيت منه له ويقال رقى بكسر
القاف يرقى بالفتح رقبيا على فـول والاصل رقوى وبالكسرى المحسوسات كما هو أو أمانى
المنافى فهو من باب سـمى يقال رقى في الخير والشر يرقى في الماضي والمضارع وأما رقى

فكف بشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله أفبعممة الله يحمدون وقال في الرواية الاخرى فكيف ترضون لي
ما لا ترضون لانفسكم وقال مجاهد في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة وقال قنادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد
شاركه في زوجته وفي فراشه فيعدلون بالله خلقه وعبادته فان لم ترض نفسك زاف الله أحق ان يرض منكم وقوله أفبعممة الله
يحمدون أي انهم جعلوا الله محمدا من الخمر والانعام نصيبا لخدمته وانعمته وأشركوا معه غيره وعن الحسن البصري قال كتب عمر

ابن الخطيب رضي الله عنه هذه الرسالة الى ابي موسى الاسعري واقنع برزقك من الدنيا فان الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق بلاه يتبلى به كلافية لي من بسطه كيف شكره الله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله ورواه ابن ابي حاتم (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) يذكركم على نعمه على عبيد بن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ولكن من رحمته خلق من بني آدم (٢٦٥) ذكورا وإنا أناسا وجعل الاناث أزواجا للذكور

ثم ذكر تعالى انه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والنخعي وابن زيد قال شعيب عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنين وحفدة هم الولد وولد الولد وقال سعيد حدثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال بنو لحيث يخدمونك ويرفونك ويعينونك ويخدمونك قال جيد

حفدة الولد حواهن وأسلمت بأكنهن ازمة الاجال وقال مجاهد بن جبر بنين وحفدة ابنه وشادمه وقال في رواية الحنفية الانصار والاعوان والخدام وقال طارس وغير واحد الحفدة الخدم وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة انه قال الحفدة من خدمت من ولدك وولد ولدك قال النخعي انما كانت العرب يخدمونها بنوها وقال العوفي عن ابن عباس قوله وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة يقول بنو امرأة الرجل

المرضى بمعنى عودته فهو من باب رعى يقال رعاه يرعاه اذا عودته وتلا عليه شيئا من القرآن (ولن تؤمن لرقيده) أي لاجل رقيه أو به فاللام للتعليل أو بمعنى الباء وهو مصدر نحو مضى مضى مضى بيا وهوى وهوى هوى (حتى تنزل علينا كتابا) يصدق ويبدل على نبوتك (نقروه) جميعا أو يقرؤه كل واحد منا وقبل معناه كتابا من الله الى كل واحد منا كما في قوله بل يريد كل أمرئ منهم ان يؤتي صفته فاشترى بها نفسه فاحش ما يفترون كذا من رب العالمين الى فلان بن فلان تصبغ عند كل رجل صبغة عنده رأسه وضوغة يقرؤها فامر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأتي بما يشيد التعجب من قواهم واتنزه به للرب سبحانه عن اقتراحاتهم القبيحة فقال (قل) وفي قراءة سبعية قال (سبحان ربى) تعجب عما تقدم أو عن ان يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة (هل كنت الا بشرا) من البشر لا ملكا حتى أصعد السماء (رسولا) كذا الراسل ما مور من الله سبحانه بأبلاغكم فهل سمعتم أيها المقترحون له هذه الامور ان بشر اقدر على شئ منها وان أردتم اني أطلب ذلك من الله سبحانه حتى يظهرها على يدي فالرسول اذا أتى بمجزة واحدة كناه ذلك لان بها يتبين صدقه ولا ضرورة الى طلب الزيادة وأما عبد مامور ليس لي ان أتحكم على ربي بما ليس بضروري ولا دعت اليه حاجة ولولزم تني الاجابة لكل متعنت لا تفرح كل معاند في كل وقت اقتراحات وطلب لنفسه اظهار آيات فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتنزه عن نعماتهم وتقدس عن اقتراحاتهم وقد أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات والمجيزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونسج الماس بين أصابعه وما أشبهها وليست بدون ما اقترحوه بل أعظم منه ولكن لم يكن قصدهم طلب الدليل بل كانوا متعنتين ثم حكى سبحانه شبهة أخرى قد تكرر في الكتاب العزيز التعرض لايرادها وورد في غير موضع فقال (وما منع الناس ان يؤمنوا) المراد الناس على العموم وقيل أهل مكة على الخصوص أي مامنهم الايمان بالقرآن ونسج محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اذ جاءهم الهدى) أي الوحي من الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبين ذلك لهم وأرشدهم اليه أي مامنهم وقت مجي الهدى ان يؤمنوا بالقرآن والنبوة (الا ان قالوا) أي مامنهم الاقوالهم (أبعث الله بشرا رسولا) الهمة للانكار منهم ان يكون الرسول من جنس البشر والمعنى ان هذا الاعتقاد الشامل لهم هو الذي منعهم

له وامنه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل يقال فلان يعمل لانا قال يزعم رجال ان الحفدة اخذان الرجل وهذا الاخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن عمر ومسرور بن ابوالضحى وابراهيم التيمي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرطبي ورواه عكرمة عن ابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الانهار قال ابن جرير وهذه الاقوال كلها داخلة في معنى الحفدة وهو الخدمة الذي منه قوله في الفتوت والذبحي ونحوه لما كانت الخدمة قد تكون من الاولاد والخدم والانهار فالنعمه حاصلة بهذا كله ولهذا قال وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة فقلت فن جعل وحفدة متعلقا بأزواجكم فلا بد ان يكون المراد الاولاد

وأولاد الأولاد والاصهار لانهم أزواج البنات وأولاد الزوجة وكذا قال الشعبي والفعال فانهم يكونون غالباً تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث نصرة بن أكنم والولد عبدك رواه أبو داود وأما من جعل الحفدة الخدم فعندهم انه معطوف على قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي جعل لكم الأزواج والأولاد خدما وقوله ورزقكم من الطيبات أي من المطاعم والمشارب ثم قال تعالى منكر أعلى من أشرك في عبادة المنعم غيره أقبل الباطل يؤمنون وهم الانداد والاصنام وينعمة الله هم يكفرون (٢٦٦) أي يسترون نعم الله عليهم وبضية نونها الى غيره وفي الحديث الصحيح ان الله

يقول للعبد يوم القيامة تمتاعا عليه ألم أزوجا ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل واذ لك ترأس وتربع (ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول تعالى اخبارا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع انه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الاصنام والانداد والوثان مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا أي لا يقدر على انزال مطر ولا انبات زرع ولا نصبر ولا يملكون ذلك أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى فلا تضربوا الله الامثال أي تجعلون له اندادا وشبهاها وأمثالا ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون أي انه يعلم ويشهد انه لا اله الا هو وأنتم تجهلونكم نشر كون به غيره (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو يفتق منه سرا وجها راعل يستون الحمد لله بل أكرمهم لا يعلمون) قال العوفي

عن الايمان بالكتاب وبالرسول وعبر عنه بالقول للاشهاد بانه ليس الا مجرد قول فلهو باقواهم ثم أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عن شبهتهم هذه فقال (قل لو كان أي لو وجد وثبت في الارض) بدل من فيها من البشر (ملائكة يمشون) على الاقدام كما يشي الانس (مطمئين) مستترين فيها ساكنين بها قال الزجاج مستوطنين في الارض أي لا يفلتون عنهم الى السماء ومعنى الطمأنينة السكون فالمراد ههنا المقام والاستيطان فانه يشال سكن البلدة فلان اذا أقام فيها وان كان ماشيا يامتها قلبا في حاجاته (لنزلنا عليهم من السماء ماء فكارسولا) حتى يكون من جنسهم ويمكنهم مخاطبته والنهم عنه وفيه اعلام من الله سبحانه بأن الرسل ينبغي ان يكونوا من جنس المرسل اليهم فكانت اعتبار في تنزيل الرسول من جنس الملائكة أمرين الاول كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك اطاروا اليها ومعها من أهلها ما يجب معرفته ومعايشه فلا تكون في بعثة الملائكة اليهم فائدة ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال (قل) لهم يا محمد من جهنم (كني بانه) وحده (شهيذا) على البلاغى اليكم ما أمرني به من أمور الرسالة وقال (يبي ويحكم) ولم يقل يفننا تحقيقا لله مفارقة الكلمة وقيل ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله له على الصدق ثم علل كونه سبحانه شهيدا كافيا بقوله (انه كان بعباده خبيرا) أي عالما بجميع أحوالهم محيطا بطواهرها وبواطنها (بصيرا) بما كان منها وما يكون وفيه تهديد لهم ونسبية صلى الله عليه وآله وسلم بين سبحانه ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته فقال (ومن يهد الله) أي من يرد الله هدايته (فهو المهتد) الى الحق أو الى كل مطلوب وافرد الضمير جلا على لفظ من (ومن يضل) أي يرد اضلاله (قلن يجد) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له (اهم) جمع الضمير جلا على معنى من (أولياء) ينصرونهم ويمدونهم الى الحق الذي أضلهم الله عنه أو الى طريق النجاة (من دونه) أي من دون الله سبحانه (ومحشرهم يوم القيامة) ماشين (على وجوههم) هذا الحشر فيه وجهان للمفسرين الاول انه عبارة عن الامراع بهم الى جهنم من قول العرب قد مر القوم على وجوههم اذا أسرعوا الثاني انهم يصحسون يوم

عن ابن عباس هذا مثل ضرب به الله للكافرين والمؤمنين وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك الذي لا يقدر على القيامه شيء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو يتفق منه سرا وجها راعل يستون الحمد لله والحق تعالى فهل يستوى هذا وهذا ولما كان الفرق بينهما ظاهرا واضحا بينا لا يجهله الا كل غبي قال الحنفية بل أكرمهم لا يعلمون (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أي غلبه لآيات بحجره بل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال مجاهد وهذا أيضا المراد به الوثن والحق تعالى بعبادة الوثن أنكم لا تملك ولا تملك ولا تملك ولا تملك

ولا يقدر على شيء بالكعبة فلا مقال ولا فة ال وهو مع هذا كل أي عيال وكافة على مولا ما ينما يوجهه أي يبعثه لا يات بخير ولا ينصح
 مساعاهل يستوى من هذه صفاته ومن يأمر بالعدل أي بالقسط فقال له حق وفعاله مستقيمة وهو على صراط مستقيم وقيل الا بكم
 مولى لعثمان وجم هذا قال السدي وقادة وعطاء الخراساني واختار هذا القول ابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس هو مثل للكافر
 المؤمن أيضا كما تقدم وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن الصباح البزاز حدثنا يحيى بن اسحق السكيتي (٣) حدثنا جاد حدثنا عبد الله
 ابن عثمان بن خيثم عن ابراهيم عن عكرمة عن يعلى بن امية عن ابن عباس (٣٦٧) في قوله شرب الله مثلاً عبداً لم لو كالا يقدر على

شيء قال نزلت في رجل من قريش
 وعبدته يعني قوله عبداً لم لو كالا الآية
 وفي قوله وشرب الله مثلاً رجلاً
 أحدهما أيكم إلى قوله وهو على
 صراط مستقيم قال هو عثمان بن
 عفان قال والأيكم الذي أيضاً
 بوجهه لا يات بخير قال هو مولى
 لعثمان بن عفان كان عثمان ينفق
 عليه ويكافئه ويكنيه المؤنة وكان
 الآخر يكره الاسلام ويأباه وينهاه
 عن الصدقة والمعروف فترات فيها ما
 (ولله غيب السموات والارض وما
 أمر الساعة الا كلم بالبصر) وهو
 أقرب ان الله على كل شيء قدير
 والله أخرجكم من بطون أمماتكم
 لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع
 والابصار والافئدة لعلكم تشكرون
 ألم يروا إلى الطير - سخفات في جو
 السماء ما يَكهن الا الله ان في ذلك
 لايات لقوم يؤمنون) يخبر تعالى
 عن كمال علمه وقدرته على الاشياء
 في علمه غيب السموات والارض
 واختصاصه بعلم الغيب فلما طالع
 لاحد على ذلك الا ان يطلعه تعالى
 على ما يشاء وفي قدرته التامة التي
 لا تخالف ولا تمنع وانها اذا اراد

القيامة على وجوههم - حقيقة كما يفعل في الدنيا بين بالغ في اهانتهم وتعذيبهم وهذا هو
 الصحيح لقوله تعالى يوم يحسبون في النار على وجوههم - ولما نسخ في السنة فقد أخرج
 البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قيل يا رسول الله كيف يحسب الناس على وجوههم
 قال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يحسبهم على وجوههم وأخرج أبو داود والترمذي
 وحسنه والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسب الناس
 يوم القيامة على ثلاثة أصناف - صنف مشاقص صنف ركبنا وصف على وجوههم قيل
 يا رسول الله كيف يشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على ان
 يحسبهم على وجوههم أما انهم - م يتقون بوجوههم كل حذب وشوك والحذب ما ارتفع من
 الارض وفي الباب أحاديث (عما وبكم وصمما) التصب على الحال والأيكم الذي
 لا ينطق والاسم الذي لا يسمع أي لا يصرون ولا ينطقون ولا يسمعون وهذه هيمنة
 يعمنون عليها في أقبح صورة وأشنع منظر تدجع الله لهم بين عني البصر وعدم النطق وعدم
 السمع مع كونهم مسخو بن علي وجوههم وقد أثبت الله تعالى لهم الرؤية والكلام والسمع
 في قوله ورأى المجرمون النار وقوله دعوا هذا لا تبوروا وقوله سمعوا لها تعظا وزيافا المعنى
 هنا عايبا لا يصرون ما يسرهم بك لا ينطقون بحجة سمعوا لا يسمعون ما يذمهم سمعهم وقيل
 هذا حين يقال لهم اخذوا في سوا لا تكلمون وقيل يحسرون على ما وصفتهم الله ثم تعاد
 اليهم هذه الاشياء بعد ذلك ثم من وراء ذلك (ما واهم) أي المكان الذي يأوون اليه
 (جهنم) مستأنفة أو حال من الضمير قال ابن عباس يعني انهم - وقودها (كلمات خبيث)
 أي سكن لهم ابان أ كات جلودهم ولحومهم يقال خبت النار تخبوا خبوا اذا خدت وسكن
 لهم ازاد السمين فاذا ضعف جرها خدت فاذا طشت بالجملة قيل همدت وكلاهما من باب
 فعد قال ابن قتيبة - معنى (زدناهم سعيراً) نهر او هو التالهب والتوقد أي فتعود ملتجة
 ومتسعة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بأن لا ير الواعلى الاعادة والافناء
 وقد قيل ان في خبوا النار تخفيفا له ذاب أهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم
 العذاب وأجيب بان المراد بعدم التخفيف انه لا يخلل زمان محسوس بين الحبو والتسعر
 وقيل ضعفت وهذات من غير ان يوجد نقصان في ايلامهم لان الله تعالى قال لا يتر عنهم
 وقيل معناه ارادت ان تخبوا وقيل معناه كلما نضجت جلودهم واحترقت أعبدوا إلى ما كانوا

شياً فانما يقول له كن فيكون كما قال وما أمرنا الا اواحدة كلم بالبصر أي فيكون ما يريد كطرف العين وهكذا قل ههنا وما أمر
 الساعة الا كلم بالبصر وهو أقرب ان الله على كل شيء قدير كما قال ما خلقكم ولا بدمكم الا كنفس واحدة ثم ذكر تعالى ههنا على
 عباده في اخرجهم من بطون أمماتهم لا يعلمون شيئاً ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الاصوات والابصار التي بها
 يحسون المرآت والافئدة وهي العقول التي موجب كزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الاشياء مضارها
 ونافعا وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج فلا قليلا كمالا كبر في ذى - وبصره وعقله حتى يبلغ أشده وانما
 (٣) قوله ابن اسحق السكيتي هكذا في الاصل وحرر اهـ

جعل تعالى هذه في الانسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جراحة وضوء ورة على طاعة مولاه كما جاني صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب ومات مرتب الى عبدى بشئ افضل من ادا ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن دعاني لأجيبه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شئ أنا فاعله تردى في قبض نفس عبدى المؤمن يذكر الموت وأكره (٣٦٨) مساهته ولا بد له منه فعنى الحديث ان العبد اذا أخلص الطاعة

عليه وزيد في سائر النار لتصرفهم (ذلك) العذاب المذكور (جزاؤهم) الذي أوجبه الله لهم واستعدوه عنده (بأنهم كفروا بآياتنا) أي بسبب كفرهم بها فزاد في عذابهم بالآيات التنزيلية ولا تنسكروا في الآيات التكوينية (وقالوا ان هذا ككذبنا وماورقاءنا) الهـ مزة للانكار وقد تقدم نفسه في هذه الآية في هذه السورة (أنا المبعوثون) أي مخلوقون (خلقنا جديدا) مصدر من غير انظمة أو حال أي مخلوقين مستأنسين فجاء سبحانه بجملة تدفعهم عن الانكار وترددهم عن الخلود فقال (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) أي من هو قادر على خلقها في عظمها وشدها فهو على إعادة ما هو أدون منه في الصغر والضعف أقدر وقيل المراد انه قادر على افنائهم وابعادهم عنهم من الانس قال الكرخي أراد بخلقهم اياهم فعبّر عن خلقهم بلفظ المثل كقول المتكلمين بالاعادة مثل الاتداء وذلك ان مثل الشئ مـ ساوله في حله بخازان يعبر عن الشئ نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا أي أنت لا تفعله أو انه تعالى قادر على ان يخلق عبداً يوحدهم ويقرنهم بكل حكمته وقدرته ويترك هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا فهو كقوله يات بخلق جديد وبـ تبدل قوماً غيركم وعلى القول الاول يكون الخلق بمعنى الاعادة وعلى هذا القول هو على حقيقة والمعنى قد علموا بآيات العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق أمثالهم مـ لانهم ليسوا بأشياء خلقها منها كما قال أنتم أشـ د خلقاً أم السماء قال الواحدى والاول أشبهه (وجعل لهم) أي لبعثهم (اجلاً) أي وقتاً محققاً لعذابهم (لأريب) أي غير مرتاب (فيه) وهو الموت والقيامة ويحتمل ان يكون الواو للاستئناف وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض وجعل لهم أجلاً لأريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم (فأبى الظالمون المنـ نوراً) أي أبى المشركون الاجود للاجل وعنادهم وضوح الدليل وفيه وضع اظهروا موضع المضمر للعكم عليهم بالنظم ومجاوزة الحد ثم لما وقع من هؤلاء الكفار طلب اجراء العبيون والانس ارفى اراضيهم لتتسع معايشهم بين الله سبحانه انهم لا يشعرون بل يقولون على بخلهم وشبههم فقال (قل) لهم مـ شرحا لهم التي يدعون خلافها (لو أنتم تعلمون) قد يدبرون لعلكم تكون أنتم لان لو تداخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من قول بعد هذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب وأما ما يقتضيه

صارت أفعاله كلها لله عز وجل فلا يسمع الله ولا يبر الله أي ما شرعه الله ولا يبطش ولا يمشي الا في طاعة الله عز وجل مستعيناً بالله في ذلك كله ولهذا جاء في رواية بعض الحديث في غير الصحيح بعد قوله ورجله التي يمشي بها في سمع وبى يصروى يبطش وبى يمشي ولهذا قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون كقوله في الآية الاخرى قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون ثم نبه تعالى على عباده الى النظر الى المسير المستعربين السماء والارض كيف جعله بطير يجتاح بين السماء والارض في جو السماء ما يمسك هناك الا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك وحضر الهواء يحملها وسبح الله كذلك كما قال تعالى في سورة المائدة أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير وقال هونا

ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا علم تسخفونها يوم ظهركم ويوم اقامتكم ومن أصواتها وأوبارها وأشعارها ما ناومنا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أنحاً وجعل لكم سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فاعلموا ان البلاغ المبين يعرفون نعمه الله ثم يشكرونها وأكثروا الكافرون) بذ كر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يارون اليها ويستترون بها وينفخون بها بأساً وروى هذه الاتفايع وجعل لهم ألباس من جلود

الانعام بيوتنا أي من الأدم يستحقون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في أقاسمهم في السفر ولهذا قال تستحقونهم أي يوم ظعنكم
 ويوم أقامتكم ومن أوصافها أي الغنم وأوبارها أي الأبل وأشعارها أي المعز ولله عائد على الانعام أنا أي تقضون منه
 أنا أي هو المال وقيل المتاع وقيل الثياب والصحيح أعسم من هذا كله فانه يقض من الأثاث البسيط والثياب وغیر ذلك
 ويخذلوا وتجارة وقال ابن عباس الأثاث المتاع وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وعطية العوفي وعطاء
 الخراساني والضحاك وقادة وقوله إلى حين أي إلى أجل (٣٦٩) مسمى وقوله والله جعل لكم مما خلق

ظلالا قال قتادة يعني الشجر
 وجعل لكم من الجبال كنانا أي
 حصونا ومعاقل كما جعل لكم
 سراييل تنقيكم الحرو هو الثياب
 من القطن والكتان والصفوف
 وسراييل تنقيكم أي يخلصكم
 من الحديد المصنوع والزرذ وغیر
 ذلك كذلك يتم نعمته عليكم أي
 هكذا يجعل لكم ما تنقيتكم به
 على أمركم وما تحتاجون إليه
 ليكون عوناً لكم على طاعته
 وعبادته لعلكم تسلمون هكذا
 فسره الجمهور ورووه بكسر اللام من
 تسلمون أي من الاسلام وقال قتادة
 في قوله كذلك يتم نعمته عليكم هذه
 السورة تسمى سورة النجم وقال عبد
 الله بن المبارك وعباد بن العوام
 عن حنظلة السدوسي عن شهر بن
 حوشب عن ابن عباس انه كان
 يقرأه ان لم يفتح اللام يعني من
 الجراح رواه أبو عبيد بن القاسم بن
 سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير
 من وجهين يورود هذه القراءة وقال
 عطاء الخراساني انما أنزل القرآن على
 قدره معرفة العرب الا ترى الى قوله
 تعالى والله جعل لكم مما خلق

علم البيان فهو ان في حذف الفعل الذي ارتفع به أنتم وبرزاز الكلام في صورة المبتدأ والخبر
 دلالة على أنهم هم المختصون بالشئ المتبالغ فلا يشافي قوله تعالى لو ان لهم ما في الارض
 جميعا الآية لان ذلك في الآخرة (خزائن رحمة ربى) هي خزائن الارزاق (اذا الامسكنم)
 أي اجتنتهم وجبتهم في دار الدنيا قال الزجاج أعلاه هم الله انهم لوملكوا خزائن الارزاق
 والزم لامسكوا شصا وبجلا (خشية الانفاق) أي خشية ان يفتنوا فيفتنوا
 قال أهل اللغة أنفق وأصرم وأقترع أي قل ماله فيكون المعنى لا تسكنم خشية قلته
 المال وخوف فناداهم بالانفاق (وكان الانسان فتورا) أي بجحلامه كما ضيقا عليه
 يقال فتر على عياله يفتقر فتورا ضيق عليه من الذنقة وقيل معنى فتورا لئيل المال
 والظاهر ان المراد بالمبالغة في وصفه بالشئ لان الانسان ليس بقليل المال على العموم بل
 بعضهم كثير المال الان يراد ان جميع النوع الانساني قليل المال بالنسبة الى خزائن
 الله وما عنده وقد اختلف في هذه الآية على قولين أحدهما انها نزلت في المشركين خاصة
 وبه قال الحسن والثعالبي انها عامة وهو قول الجمهور وحكاها الماوردي (ولقد آتينا موسى
 تسع آيات بينات) أي علامات وانصت دالة على نبوته قيل ووجه اتصال هذه الآية بما
 قبلها ان المعجزات المذكورة كانتهم ما اوتيت لئلا الامور التي اقترحها كقصة قريش بل
 أقوى منها فليس عدم الاستجابة لما طابوا من الآيات الا لعدم المصلحة في استئصالهم لان
 لم يؤمنوا بها قال أكثر المفسرين الآيات التسع هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع
 والدم والعصا والبدن والسنين ونقص الثمرات وجعل الحزن مكان السنين ونقص الثمرات
 الجراد والجبل وقال محمد بن كعب القرظي هي الخمس التي في الإعراف والبحر والعصا والجراد
 والطمس على أموالهم وقد تقدم الكلام على هذه الآيات مسمى توفي وعن ابن عباس في
 تسع آيات مثل ما ذكرناه عن أكثر المفسرين وعنه قال يده وعصاه ولسانه والبحر
 والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وعن صفوان بن عسال انهم ودين قال
 أحدهما صاحبنا انطلق بنا الى هذا النبي نأله فأتاه فسلأه عن هذه الآية فقال
 لا تسرعوا بالله شأيا ولا تزنا ولا تسرعوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرفوا
 ولا تسهروا ولا تمشوا بغيري الى السلطان في قتله ولا تأكلوا الربوا ولا تقذفوا محصنة أو قال
 لا تسرفوا من الزحف شك شعبة عليكم يا أيها ود خاصة ان لا تعبدوا في السبت فقبلا يديه

(٤٧ فتح البيان خلمه) ظلالا وجعل لكم من الجبال كنانا وما جعل من السهل أعظم وأكبر وانكم كنوا أصحاب
 جبال الا ترى الى قوله ومن أوصافها وأوبارها وأشعارها أنا أي تقضون منه وانكم كنتم
 كنوا أصحاب وبر وشعر الا ترى الى قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فجعلهم من ذلك وما أنزل من النجى أعظم وأكبر وانكم كنتم
 كنوا لا يعرفونه الا ترى الى قوله تعالى سراييل تنقيكم الحرو وما بقي من البرد أعظم وأكبر وانكم كنوا أصحاب حر وقوله فان تولوا
 أي بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليكم منهم فاعلموا ان البلاغ المبين وقد أدبته اليهم يعرفون نعمته الله ثم يشكرونها أي

يعرفون ان الله تعالى هو المسدي اليهم ذلك وهو المنضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويبعدون النصر
والرزق الى غيره واكثرهم الكافرون كما قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد
ابن جابر عن شهاب عن اعرابي ان النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا فقال الاعرابي نعم قال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية قال الاعرابي نعم ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الاعرابي نعم حتى
بلغ كذلك يتم نعمته عليكم اهكم ثم لمون (٢٧٠) فولى الاعرابي فانزل الله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها الآية (ويوم تبعث

ورجله وقال ان شهدنا انك نبي الله قال فبايعناكم ان تـ لما قال ان داود دعا الله ان لا يرال في
ذريته نبي وانما يخاف ان اسلمنا نقتلنا اليهود أخرجه أحد والقرمذي وصححه والنسائي وابن
ماجه والطبراني وابن قانع والبيهقي وغيرهم وعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة الثابتة
في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يعطى متعلقاتها في الآخرة من
السعادة والشقاوة وقوله عليكم يا مود الخ كلام متأنف زائد على الجواب ولذلك غير
فيه سياق الكلام (فاسأل) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بنى اسرائيل اذ جاءهم) أى
حين جاءهم موسى وقرئ نسال أى سأل موسى فرعون ان يخلى بنى اسرائيل ويطلق
سبيلهم ويرسلهم معه وعلى الاول الـ وال سوال استهزاء لمزيد الظما نيسة والايقان
لان الادلة اذا انفطرت كان ذلك أقوى والمسلولون مؤمنون بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام
وأصحابه (فقال له فرعون) الفاهى الفبيحة أى فاطهر موسى عند فرعون ما آتيناك من
الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون (انى لا ظنك بموسى مسحورا)
المسحور هو الذى يخرج فواط عقله وقيل هو الخدوع وقيل هو المطلوب وقال أبو
عبيدة والقرمذي عنى الـ اخر فوضع المفعول موضع الفاعل (قال) موسى (انقد علمت)
يا فرعون (ما أنزل) أى أوجد (هؤلاء) يعنى الآيات التسع التى أظهرها وقرئ علمت بضم
الهاء أى ضاع على انه موسى ووجه الاول ان فرعون كان عالما بذلك كما قال سبحانه وتعالى
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم فلما رآوا آيات الله قالوا هذا سحر مبين والظاهر ان
الاسم للمعنى لان موسى لا يقول علمت انا وهو الذى روى نحوه هذا عن الزجاج ووجه
الثانية ان فرعون لم يعلم ذلك وانما علمه موسى (الارب السموات والارض بصائر) أى
بينات يصريح اودلالا بتدليل على قدرته وحدانيته (وانى لا ظنك يا فرعون
منسورا) الظن هنا يعنى اليقين والشور الهال لئلا تحس ان أى محسورا وقبله مسحورا
وقيل مطبوعا على الشر وقيل المنسور الملعون وقيل ناقص العقل وقيل هو الممنوع
المصروف من الخير يقال مائيل عن كذا أى مامنعك منه حكاه أهل اللغة (فأراد)
فرعون (ان يستفزه من الارض) أى يخرج بنى اسرائيل رموسى ويرجمهم من أرض
مصر بامادهم عنها وقيل أراد ان يقتلهم وببئصالهم وعلى هذا يراد بالارض مطلق
الارض وفى القاموس فرعى عدل وفرقلا با عن موضعه أزعجه واستفزه استغفنه

من كل أمة شهيد انهم لا يؤذن للذين
كفروا ولا هم يستعتبون واذارأى
الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون واذارأى الذين
أشركوا أشركا بهم قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
فالتقوا اليهم القول انكم لكاذبون
والقوا الى الله يومئذ الـ لم وصل
عنهم ما كانوا يشفرون الذين كفروا
وسدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفصدون
يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم
معادهم فى الدار الآخرة انه يبعث
من كل أمة شهيدا وهو نبي ما شهد
عليها بما أجبانه فيما بلغها عن الله
تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا أى فى
الآخرة اذ لا نسهم يعلمون بطلانه
وكذبه كقولهم هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون فلماذا قال
ولا هم يستعتبون واذارأى الذين
ظلموا أى الذين أشركوا العذاب فلا
يخفف عنهم أى لا يفتقر عنهم ساعة
واحدة ولا هم ينظرون أى لا يؤخر
عنهم بل يأخذهم بربهم من الموقف
بالاحساب فانه اذا جى بهم يوم تقاد
بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون

ألف ملك فيشرف عنق منها على الخلائق وترفرز فرقة لا يبقى أحد الا جندل كتيه فتقول انى وكلت بكل جبار عند الذى وأخرجه
جعل مع الله الها آخر وكذا ذكره اوتدكر أصنافا من الناس كما جاء فى الحديث ثم تطوى عليهم وثقت طيهم من الموقف كما يلتقط الطائر
الحب قال الله تعالى اذ ارأهم من مكان بعيد دعوا الى انقيطار زفير او اذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرن يزدهقوا هنالك ثبور لا تدعوا
اليوم ثبوروا واحد او ادعوا ثجورا كثيرا وقال تعالى ورأى الجحرون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا وقال تعالى لو
يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن جوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة وهم لا يستطعمون ردها ولا هم

ينظرون ثم أخبر تعالى عن تبرى آياتهم منهم أخرج ما يكونون اليها فقال واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم أى الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم دونك فالتقوا اليهم القبول انكم لكاذبون أى قالت لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمهرناكم بعد ادتننا كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلاس يكفون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًا وقال الخليل عليه الصلاة والسلام ثم يوم القيامة (٢٧١) يكذب بعضكم بعض الآيات وقال تعالى

وقيل ادعوا شركاءكم الآيات واليات في هذا كثيرة وقوله والتوا الى الله يمشي السالم قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا يومئذ أى استسلموا لله جهمهم فلا أحد إلا سامع مطيع كقوله تعالى أجمعهم وأبصر يوم يأتوننا أى ما شاءهم وما أبصرهم يومئذ وقال رب لوترى اذ المجرمون ناكس رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا ولاستكاث وآيات وعنت الوجوه للنار اليوم أى خضعت وذات واستكاث وآيات واستلمت وقوله والتوا الى الله يومئذ السالم وصل عنهم ما كانوا يشركون أى ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير ثم قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الآيات أى عذابا على كفرهم وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى وهم ينهون عنه ويتأولون عنه أى ينهون عن اتباعه ويتبعونهم منه أيضا وانهم لم يكون الا أناسهم وما يشعرون وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة

وأخرجهم من داره وافززه أفزعه (فأغرقناه ومن معه جميعا) أى فمكنا عليه فمكروه فوقع عليه وعليهم الهلاك بالغرق ولم يبق منهم أحد ونجى موسى وقومه (وقننا من بعده) أى من بعد اغرقه ومن معه جميعا (لبى اسرائيل اسكنوا الارض) أى أرض الشام ومصر التي أراد ان يستنزلهم منها (فأذا جاء وعد) الدار (الآخرة) هى القيامة أو الآخرة الآخرة والساعة الآخرة وهى النفقة الثانية الموعود به وقبل أراد بوعده الآخرة نزول عيسى من السماء (جئنا بكم افيعنا) أى جميعا الى موقف القيامة قال الجوهرى اللغيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى يقال جاء اليوم بانهم ونفيتهم أى باخلاطهم ثم قال أراد هنا جئنا بكم من قبوركم تحت اطناب من كل موضع قد اختلط المؤمن بالكافر والسعيد بالشقي قال الاصمعي اللغيف جمع وليس له واحد وهو من ل الجمع (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) الضمير يرجع الى القرآن والمعنى وأوحينا متبسا بالحق وانزل وفيه الحق وقبل المعنى ومع الحق أنزلناه كقولهم ركب الأمير بسيفه أى مع سيفه وبالحق نزل أى بعهد صلى الله عليه وآله وسلم كما تقول نزلت يزيد وقال أبو على الفارسي الباء في الموضعين بمعنى مع وقيل المعنى وبالحق قدرنا ان ينزل وكذلك نزل أو ما أنزلناه من السماء المحفوظا بالرسد من الملائكة وما نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الم المحفوظا من تخليط الشياطين والتقديم في الموضعين للتخصيص وفي الشهاب الحق فيه ما ضد الباطل لكن المراد بالاول الحكمة الالهية المفترضة لانزاله والثاني ما يشتمل عليه من العقائد والاحكام ونحوها (وما ارسلناك الا بشرا لمن اطاع بالجنة) (ونذيرا) مخوفان عصي بالنار والقصر اضافى أى لا هاديا فان الهدى هدى الله (وقرآنا) منصوب بفعل مقدرا أى وآتيناك قرآنا وقيل نصب بفعل مضمر يفسره قوله (فرقناه) بالتخفيف على قراءة الجهر ورأى بيناه وأوضحناه أو فرقناه بين الحق والباطل وقال الزجاج فرقنا الله في التنزيل لفهمه الناس قال أبو عبيد التخفيف أعجب الى لان تفسيره بيناه وليس للتشديد معنى الا انه نزل منفرقا وبؤيده ما رواه ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال فرقت مخففا بين الكلام وفرقت مشددا بين الاجسام عن ابن عباس فرقناه منقلا وقال نزل القرآن الى السماء فى ليلة القدر من رمضان ليلة واحدة فكان المشركون اذا أحدوا شأنا بأحدث الله لهم جوايا ففرقه الله فى ثلاث وعشرين سنة وقد روى نحو هذا عن بطريق وعنه فرقناه فدلنا على مكث بآء

ودرجاتهم كما قال تعالى اكل ضعف ولكن لا تعلمون وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعشى عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن قنول الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال زيدوا عقارب أنهارها كاتفل الطوال وحدثنا شريح بن يونس حدثنا ابراهيم بن سليمان حدثنا الاعشى عن الحسن عن ابن عباس فى الآية انه قال زدناهم عذابا فوق العذاب قال هى خمسة انهار تحت العرش يعذبون بغيرها فى الليل ويضعها فى النهار (ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) يقول تعالى مخاطبا عبده

ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويوم نبعثني كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجنتنا لك شهيدا على هؤلاء يعني أمة أي ادرك ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر النساء فلما وصل إلى قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وبجنتنا لك على هؤلاء شهيدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك فقال ابن مسعود رضي الله عنه فالتفت فاذا عينا تذرذان وقوله وزلنا عليك الكتاب تبينا لك كل شيء قال ابن مسعود (٢٧٢) قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء وقال مجاهد كل حلال وكل حرام

وقول ابن مسعود أنهم وأشمع فان القرآن أشمل إلى كل علم نافع من خبر ماسبق وعلم ماسيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دينهم ودنياهم ومعاشرهم ومعادهم وهدي أي للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين وقال الأوزاعي وزلنا عليك الكتاب تبينا لك كل شيء أي بالآية ووجه اقتراح قوله وزلنا عليك الكتاب مع قوله وجنتنا لك شهيدا على هؤلاء أن المراد والله أعلم أن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك سألناك عن ذلك يوم القيامة فلنساءل الذين أرسل إليهم ولنساءل المرسلين فوريك لنساءلهم أجمعين عما كانوا يعملون يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وقال تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك الياء معيدك يوم القيامة وسألتك عن إدامه فرض عليك هذا أحد الأقوال وهو مقبوه من (أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاؤذي

قال في الجمل وبالله تبيد قرأ على وجاعة من الصحابة وغيرهم وفيه وجهان أحدهما أن الضعيف لا تكثير أي فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار ماضية ومستقبله والثاني أنه دال على التفريق والتجسيم انتهى ثم ذكر سبحانه العلة لقوله فرقناه فقال (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تطاول في المدة شيئا بعد شيء على القراءة الثانية أو أنزلناه آية آية وسورة سورة وعناه على القراءة الأولى على ترسل وتعمل وتؤد في التلاوة فان ذلك أقرب إلى التهم وسهل للعفظ وقد اتفق القراء على ضم الميم في مكث إلا ابن محيص فانه قرأ بفتح الميم (ورنائه تنزيلا) لتأكيده بالمصدر للمبالغة والمعنى أنزلناه منجما مفترقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الحوادث لما في ذلك من المصلحة ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا (قل) يا محمد للكافرين المقترحين للآيات (آمنوا به) أي بالقرآن (ولا تؤمنوا) ذموا إيمانكم به وامتناعكم عنه لا يزيد ذلك كمالا ولا ينقصه نقصا وفي هذا وعد شديد لأمرة صلى الله عليه وآله وسلم بالأعراض عنهم واحتقارهم ثم عمل ذلك بقوله (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أي إن العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة قبل أنزال القرآن وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وعكسوا من التمييز بين الحق والمبطل ورأوا نعمة وصحة ما أنزل اليك في تلك الكتب كزبد ينزوي ابن قنبل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي ذر وقيل الغيرة في قوله من قبله راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن لدلالة السياق على ذلك (أذابت عليهم) القرآن (يجثون للأذقان - جدا) أي يسقطون على وجوههم - ساجدين لله - سبحانه ونماق - بالخروج وهو السقوط بكونه للأذقان أي عليهما لأن الذقن وهو مجتمع اللعابين وكما يدعى الإنسان بالخروج وللصعود فأول ما يجاذى الأرض قال الزجاج لأن الذقن وجهه الذقن وقيل المراد تعفير اللعينة بالتراب فان ذلك غاية الخضوع وإظهار اللام في للأذقان على على لا دلالة على الاختصاص فكأنهم - مخصصوا أذقانهم بالخروج وفي هذا نسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاصلها أنه إن لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا بآياته فلا تبال بذلك فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له وخضعوا له عند تلاوته عليهم - مخصصوا عاظم أثره البالغ بكونهم - يجثون على

أذقانهم
أنه يري وينهي عن النعش والمنكر والبغى فيظلمكم بعدكم تذكرون) يجتهد تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة وينسب إلى الإحسان كقوله تعالى وإن عاتبتم فعاقبوا بمثل ما عوبتم به ولئن صبرتم لهو خير لصابرين وقوله وجزا سبعة سبعة مثاهفن عشا واصلح فاجره على الله وقال واخرجوا من نصابهم فعدوا عاصوا وكفارته إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والعدل إلى الفضل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إن الله يأمر بالعدل قال شهادة أن لا إله إلا الله وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضع هو استواء البررة والعالين من كل عامل لله علا والاحسان أن تكون سريره أحسن من علانيته والنعش أو المنكر أن تكون علانيته أحسن من سريره وقوله وإيتاؤذي القربى

أى يأمر بصله الارحام كما قال وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذروا ثيوباكم وقوله وينهى عن الفحشاء والمنكر
فالفواحش المحترقات والمنكرات ما ظهر منها من فاعلهما ولهذا قال فى الموضع الآخر قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وأما البغى فهو العدوان على الناس وقد جاء فى الحديث ما من ذنب أجدرا أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصابغه
فى الآخرة من البغى وقطعة الرحم وقوله يعظكم أى يأمركم بما أمركم به من الخير وينهاكم عما نهاكم عنه من الشر لعلكم تذكرون
وقال الشعبي عن بشير بن نهشل سمعت ابن مسعود يقول ان أجمع آية فى القرآن فى سورة النحل ان الله يأمر بالعدل

والاحسان الآية رواه ابن جرير
وقال سعيد عن قتادة قوله ان الله
بأمر بالعدل والاحسان الآية ليس
من خلق حسن كان أهل الجاهلية
يعلمون به ويستحسنونه الا أمر
الله به وايس من خلق سيئ كانوا
يعلمونه (٣) بينهم الا نهى الله عنه
وقدم فيه وانما نهى عن سفاسف
الاخلاق ومذامها قلت ولهذا جاء
في الحديث ان الله يحب معالي
الاخلاق ويكره سفاهها وافان
الحافظ أبو يعلى في كتاب معرفة
الصحابة حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح
الجبلي حدثنا يحيى بن محمد
مولي بني هاشم حدثنا الحسين بن
داود المنكدرى حدثنا عمر بن علي
المتدي عن علي بن عبد الملك بن
عمر عن أبيه قال بلغ أكنم بن صيفي
مخرج النبي صلى الله عليه وسلم
فأراد أن يأتمه فأبى قومه أن يدعوه
وقالوا أنت كبير نالم تكن لتخف اليه
قال فلما نه من يلقه عني ويلقى
عنه فاتدب رجالنا فأتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فوالا نحن رجال
أكنم بن صيفي وهو ذاك من
أنفق وما أنت فقال النبي صلى الله

انظر انهم سجدوا لله (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) أي تنزيها ربنا
 عما يقول الجاهلون من التكذيب أو تنزيها له عن خلق وعده (ان كان وعد ربنا
 لم ينص) هؤلاء ان هذه هي الخففة من النقيضة واللام هي الفارقة (ويجرون للادقان
 يكون) كذلك الخو والادقان لاختلاف السبب فان الاول له عظم الله سبحانه وتنزيهه
 وللجود والثاني للبكاء بتأثير مواضع القرآن في قلوبهم ومن يذخروهم وله هذا قال
 (ويزيدهم) أي - سمع القرآن أو القرآن بسماعهم له أو البكاء أو السجود أو المتولد لالة
 قوله اذ ابتلى (خشوعا) أي لين قلب ورطوبة عين فالبكاء - تحب عند قراءة القرآن عن أبي
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى
 يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد عذاب في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي
 والنسائي وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عيانا
 لا تمس ما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي
 ثم أراد سبحانه ان يعلم عباده كيفية الدعاء والخشوع فقال (قل ادعوا الله اودعوا الرحمن)
 ومعناه انهم مستويان في جوار الاطلاق وحسن الدعاء بهم اوله هذا قال (أي ابادعوا)
 أصل الكلام ابادعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله (فله الاسماء الحسنى) للمبالغة
 وللدلالة على انه اذا حنت أسماءه كلها حسن هذا ان الاسماء ومعنى حسن الاسماء
 استقلالها بنوع الحلال والا كرام ذكر معني هذا النيسابوري وتبعه أبو الودود فقال
 الزجاج أعلمهم الله ان دعاءهم الله ودعاهم الرحمن يرجعان الى قول واحد وسبب ذكر
 سبب نزول الآية وبه يتضح المراد منها والحسنى مؤنث الاحسن الذي هو اؤفله نفسه - يل
 لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة - سناء كما في القاموس عن ابن عباس قال صلى رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ذات يوم فقال في دعائه يا الله يا الرحمن فقال المشركون انظروا
 الى هذا الصابي ينهانا ان ندعو الهين وهو يدعوا الهين فأنزل الله هذه الآية وعن ابراهيم
 النخعي قال ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرحمن وكان لهم كاهن
 باليمامة يدعون الله الرحمن فأنزلت الآية وهو مرسل وعن مكحول ان النبي صلى الله عليه وآله
 وآله وسلم كان يتبع بمكة ذات ليلة يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من
 المشركين فلما أمسح قال لاصحابه ان ابن أبي كبشة يدعوا الرحمن الذي باليمن وكان رجل

عليه وسلم أماناً أنا فانا محمد بن عبد الله واماماً أنا فانا عبد الله ورسوله قال ثم تلا عليهم هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية فالوارد علينا هذا القول فردد عليه عليهم حتى حفظوه فأتينا أكنتم فتتالوا أي ان يرفع نسبه فوالساعن نسبه فوجدنا ما زكى
النسب وطلاني فضر أي شر يفوقه بدرى السابكلمات قدسها فاعلمناهم أن كنتم قال فاني أراه يأمر بمكارم الاخلاق
وربهي عن ملائمتها فكونوا في هذا الامر رؤساء ولا تكونوا فيه أذنانا وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الامام أحمد حدثنا
أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر بن عبد الله بن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقفنا بيته جالس اذ صر
(٢) قوله يتفاضرون بينهم الخ فكذا هو في الاصل وحرره اه

الله عرضة لايمانكم الآية وبين قوله تعالى ذلك كفاية ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم أي لاتتركوها بلا كفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام قال اني والله ان شاء الله الاحلف على بين فارى غير هاتين الايتين الذي هو خير وتقبلتهما وفي رواية وكفرت عن يميني لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة بهما وهي قوله ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها لان هذه الايمان المراد بهما الداخلة في العهد والمواثيق لا الايمان التي هي واردة على حث أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها يعني الحلف أي حلف الجاهلية (٣٧٥) ويؤيده ما رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله

ابن محمد هو ابن أبي شيبة حدثنا ابن عمر وابو أسامة عن زكريا هو ابن أبي زائدة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايمان حلف كان في الجاهلية فانه لا يزيد الاسلام الا شدة وذكره رواه مسلم عن ابن أبي شيبة ومعه ان الاسلام لا يحتاج معه الى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه فان في الله كمالا بالاسلام كناية عما كانوا فيه وأما ما ورد في الصحيحين عن عاصم الاحول عن أنس رضي الله عنه انه قال حلف رسول الله

لانه اتاد على الايمان وافاضة النعم لكون الولد مجتنبه بخله ولانه أيضا يتلزم حدوث الاب لانه متولد من جز من أجزائه والمحدث غير قادر على كمال الانعام والشركة في الملك فمما يتصور ان لا يقدر على الاستقلال به ومن لا يقدر على الاستقلال عاجز فضلا عن تمام ما هو له فضلا عن نظام ما هو عليه وأيضا الشكر موجبة للتنازع بين الشريكين وقد ينعه الشريك من افاضة الخير الى أوليائه ويؤديه الى الفساد كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والمحتاج الى ولي ينعه من الذل وينصره على من أراد اذلاله ضعيف لا يقدر على ما يقدر عليه من هو مستغن بنفسه (وكبره تكبيرا) أي عظمه تعظيما تاما وصفه بأنه أعظم من كل شئ وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أهل هذه الآية الحمد لله الخ الصغير من أهله والكبير أخرجه ابن جرير وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن عبد الكريم بن أبي أمية قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الغلام من بني هاشم اذا أفصح سبع مرات الحمد لله الذي الى آخر السورة وروى الامام أحمد في مسنده عن معاذ الجهمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقول آية العز الحمد لله الذي الخ

• (سورة الكهف مائة وحدى عشرة آية) •

قال القرطبي وهي مكية في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وابن الزبير وروى عن فرقة ان أول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وقد ورد في فضلها أحاديث منها ما أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وأخرج مسلم والبخاري وغيرهما عن البراء قال قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضيابة أو ضيابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقرأ فلان فان السكينة زالت للقرآن وهذا الذي كان يقرأ هو أسيد بن حضير كما بينه الطبراني وفي قراءة العشر الآيات من أولها أو من آخرها أحاديث وأخرج الطبراني في الاوسط والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكهف كانت له نور من مقامه الى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله

الاسلام له تنقضوا الايمان بعدتوكيدها السبعة لا يحملنكم فله محمد وكثرة المذكرين أن تنقضوا البيعة التي باعتم على الاسلام وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا حزين جوهرية عن نافع قال لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنه وأهله ثم شهد ثم قال أما بعد فانا نبأ ببيعة هذا الرجل على بيعة الله ورسوله واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القادر ينصبه لواء يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان وان من أعظم الغدر الا ان يكون الاشرار بالله ان يابيع رجل رجلا على بيعة الله ورسوله ثم نكت بيعة فلا يخلع أحد منكم بدولا يسرفن أحد منكم في هذا الامر فيكون فصل بيني وبينه المرفوع منه في الصحيحين

صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى
عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعةين وعن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بـسورة ملاءمة ما بين السماء والارض وسكانها
من الاجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام
ومن قرأ الخس الاواخر منها عند نومه بعنه الله من أى الليل شاء قالوا بلى يا رسول الله قال
سورة احجاب الكهف أخرجه ابن مردويه وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مغفل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيت الذى تقرأ فيه سورة الكهف لا يدخله شيطان
تلك الاله وفي الباب احاديث وآثار وفوائد وردناه كضامة مفيدة

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) هل المراد الاعلام بذلك
للايمان به وتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى أو الثناء به أي انشاء الثناء بنبوت الحمد لله وتكون
الجملة انشائية لفظا ومعنى بمعنى انها انقلت في العرف للانشاء أو الاعلام والثناء كلاهما
والجملة مستعملة في الخبر والانشاء على طريق الجمع بين الحقيقة والخيال احتمالات أفيد لها
الثالث وقال الشوكاني رحمه الله علم عباده كيف يحمدونه على افاضته نعمه عليهم ووصفه
بالموصول بانه ربانية ما هو في حيز الصلة لما قبله ووجه كون انزال الكتاب وهو القرآن نعمة
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكونه اطلع بواسطته على أسرار التوحيد وأحوال
الملائكة والانبيا وعلى كيفية الاحكام الشرعية التي نعمة الله وتعبداً منهم او كذلك
العباد كان انزال الكتاب على نبيهم نعمة لهم لمثل ما ذكرناه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم
(ولم يجعل له) أي فيه (عوجاً) أي شيئاً من العوج بنوع من أنواع الاختلال في اللفظ
والمعنى والعوج بالكسر في المعاني أي فيما لا يدرك بالبصر بل بالبصيرة وبالفتح في الاعيان
أي فيما يدرك به كذا قيل ويرد عليه قوله - صانه لا ترى فيها عوجاً ولا انما بهي الجبال وهي
من الاعيان قال الزجاج المعنى لم يجعل فيه اختلافاً كما قال ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً والمراد في الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل لم يجعله
مخلوقاً والجملة معطوفة على الصلة قبلها أو اعتراضية أو حالية (رقباً) القم المستقيم الذي
لا ميل ولا انحراف فيه ولا انحراف أو القم صالح العباد الدينية والدنيوية أو القم على ما قبله
من الكتب السماوية معاً علم ايتمد بها على الاول يكون تأكيد كيد الماثل عليه نفي
العوج ورببه مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة أي جعله قميلاً لا قيل

فجحدون أكرمهم وأعز فية مؤمن حلف ولا يؤيد الحنون أركل الذين هم أكثر وأعز فهو أعز ذاك وقال النصارى في
وقاية ابن زيد نحو. وقوله انما يسالوكم الله به قال سعيد بن جبيرة يعني بالكثرة رواء ابن أبي حاتم وقال ابن جرير أي بأمره اليكم
بالوفاء بالعهد. وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجاري كل عامل بعمله من خير وشر (ولو شاء الله بلعلكم أمة واحدة
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تقضوا أي ندمكم دخلا ينكم فتل قدم بعد نبوتها وتذوقوا
الوه بما صددت عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تستروا بعد الله عما قلنا انما عذبه الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم

ينفذ وما عند الله باق ولتجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) يقول الله تعالى ولو شاء الله لجمع لكم أبنائكم الناس امة واحدة كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أي لو ائق بينكم ولما جعل اختلافوا ولا باغض ولا نهضوا ولو شاء ربك ليجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم وهكذا قال ههنا ولكن يفضل من يشاء ويهدي من يشاء ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على النسيب والنقيير ما التظيم ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الايمان دخلا أي خديعة ومكر التلازل قدم به دثبوتهم امثل لمن كان (٣٧٧) على الاستقامة فادعها وزل عن طويق الهدى بسبب الايمان الخائفة

المشتملة على الصدق عن سبيل الله لان الكافر اذا رأى ان المؤمن قد عاهدته ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصدب به عن الدخول في الاسلام واهذا قال وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ثم قال تعالى ولا تشتروا بجهنم الله ثمنا قليلا أي لا تعتاضوا عن الايمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فانها قليلة ولو حيزت لابن آدم الدنيا بجذا فيرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير من ربه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء مواعده ولهذا قال ان كنتم تعلمون ما عندكم بنفسكم أي بفرغ ديني فانه الى اجل معدود ثم حذر من ساءه وما عند الله باق أي وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا تشادله فانه دائم لا يحول ولا يزول ولتجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون قسم من الرب تعالى مؤكدا باللام انه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها (من عمل صالحا حسن ذكرا وانى وهو مؤمن

في الكلام تقديم وتأخير والتقدير أنزل على عبده الكتاب فيما لم يجعل له عوجا ثم فصل سبحانه ما أجل في قوله فيما فقال (لينذر) وحذف المنذر لانه لم يبع مع قصد التعميم والمعنى لينذر الكافرين (بأسا) أي عذابا (شديدا من الله) أي صادرا من عنده نازلا من لدنه (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات) قرئ يبدشهم شدا ومخففنا وأجرى الموصول على موصوفه المذكور لان ما دار قبول الاعمال هو الايمان (أن لهم أجرا حسنا) هو الجنة قاله السدي حال كونهم (ما كنتم فيه) أي في ذلك الاجر (أبدا) أي مكنادائما لا انقطاع له وتقدم الانذار على التبشير لاطهار كمال العناية بجزا الكفار ثم كرر الانذار وذكر المنذر بخصوصه وحذف المنذره وهو البأس الشديد لتقدم ذكره فقال (ويذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) وهم اليهود والنصارى قاله السدي وبعض كبار قريش القائلين بان الملائكة بنات الله فذكر سبحانه أولا قضية كلية وهي انذار عموم الكفار ثم عطف عليها قضية خاصة هي بعض جزئيات تلك الكلية تنبيهها على كونها أعظم جزئياتها فاذ ذلك ان نسبة الولد الى الله سبحانه أقبح أنواع الكفر (مالهم به) أي بالولد واتخاذ الله اياه (من علم) ومن مزيدة لتأكيدهم التفي والجلالة مستأنفة والمعنى مالهم لث علم أصلا ولا شفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصول اليه أولا وفي نفسه محال لا يستقيم تعاقب العلم به (ولالا بائهم) أي ولا لاحد من أسلافهم علم بذلك بل كانوا في زعمهم هذا على ضلالة وقلدهم أبناؤهم فنهضوا جميعا وهذا ما بالغه في كون تلك المقالة فاسدة باطلة (كبرت كلمة) قال السراء كبرت تلك الكلمة كلمة وقال الزجاج كبرت مقاديرهم كلمة والمراد بهذه الكلمة هي قولهم اتخذ الله ولدا ومعنى الكلام على التعجب أي ما أكبرها كلمة ثم وصف الكلمة بقوله (تخرج من أفواههم) وقائفة هذا الوصف استعظام اجترائهم على التفوق به او كذبهم بما يوسوس الشيطان في قلوب الناس من المنكرات ما لا يتم الكون أن يتذوهوا به بل يكلمون عليه فكيف يمثل هذا المنكر والخارج من الله وان كان مجرد الهواه لكن لما كانت الحروف والاصوات كنفات قائمة بالهواه استند الى الحال ما هو من شأن المحل أو المعنى هذا الذي يقولونه لا تحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ثم زاد في تقييد ما وقع منهم فقال (ان) أي ما يقولون الا قول (كتابا) لا مجال للصدق فيه بحال ثم حل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (فأعني

(٤٨ فتح البيان خامس) فاعني به حياة طيبة ولتجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) هذا وعد من الله تعالى ان عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ذكرا وانى من بنى آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وان هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بان يحياه الله حياة طيبة في الدنيا وان يجزيه بأحسن ما عمل في الله الاخرة والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت وقد روى عن ابن عباس وجماعة انهم فسروها بالرزق الحلال الطيب وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه فسرها بالقناعة وكذا قال ابن عباس وهكرمة ووهب من منبه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس انتهى السعادة وقال الحسن ومجاهد وقتادة لا يطيب لاحد حياة الا في الجنة وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا وقال الضحاك ايضا هي العمل بالطاعة والانسراح بها والصحيح ان الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أيوب حدثني شرحبيل بن أبي شريك عن عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه ورواه مسلم من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ به وروى الترمذي والنسائي (٢٧٨) من حديث ابي هاني عن أبي علي الجهني عن فضالة بن عبيد

بأجمع نفسه) قال الاخفش والفرام الجعجع الجهد وقال الكسائي بجعت الارض بالزراعة اذا جعلت اضعف بسبب متابعة الحرثة ويجع الرجل نفسه اذا نهكها وقال أبو عبيدة معناه مهلت نفسك فيكون المعنى على هذه الاقوال لعلك مجهد نفسك أو مضغفها أو مهلكها والمقصود من هذا الترجي النهي أي لا تجع نفسك من أجل غمك على عدم ايمانهم أي لا تنغم لئلا يهلك نفسك وفي السمين ولعل قيل للاشفاق على بابهم وقيل للاستفهام وهو رأي الكوفيين وقيل للنهي (على آثارهم) أي على فراقهم من بعد توليم عنك واعراضهم أو هلاكهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن (أسفا) أي غيظا وحرنا قاله قتادة وقال مجاهد جرعا ونصبه على المنعول له وجواب ان محذوف دل عليه الترجي تقديره فلا تجزن وهذا عند الجمهور وعند غيرهم هو جواب متقدم عن ابن عباس قال اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمة البختری في نفر من قريش وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه اياه وانكارهم ما جاء به من النصيحة فأحرز حرا شديدا فأنزل الله سبحانه فاعلك بأجمع نفسك الآية (انا جعلنا ما على الارض زينة لها) هذه الجملة تعاميل للنهي المقصود من الترجي والقصد منه تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم (وتسكين أسفه وغيفه على عدم ايمانهم لانه مختبر لا اعمال العباد يجازيهم فكأنه يقول له صلى الله عليه وآله وسلم لا تجزن فاني مستقيم منهم لك وقيل استئناف والمعنى انا جعلنا ما على ايمانهم ان يكون زينة لها ولا هلا لها من الحيوانات والنبات والشجر والانهار والجماد وغير ذلك من انهم كالذهب والفضة والمعادن كقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا قال ابن عباس يعني الرجال والعلماء زينة الارض وعن سعيد بن جبيرة مثله وقال الحسن هم الرجال العباد العمال لله بالطاعة (لتبلوهم أيهم أحسن عملا) اللام للغرض أو العاقبة والمراد بالاستلاء انه سبحانه يعاملهم معاملة لو كانت تلك المعاملة من غيره لكأن من قبيل الاستلاء والامتحان قال الزجاج أيهم رفع بالاستداء الا ان لفظة لفظ الاستثناء والمعنى لتعتزنا بهذا الحسن عملا أم ذلك قال الحسن أيهم أرهدوا أشد للدينار كما ومنه عن النوري وقال مقاتل أيهم أصح فيما اوتى من المال وقال قتادة أيهم أتم عقلا وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في التاريخ وابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقلت

انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد افلح من هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقع به وقال الترمذي حديث صحيح وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عمار عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطي بها في الدنيا ويمنعها من غير الله تعالى ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطي بها في الآخرة وأما الكافر فيظلم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها اخيرا انشرد يا خراجهم مسلم (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا قراءة القرآن ان يستعذوا بالله من الشيطان الرجيم وهذا أمر تدب ليس بواجب حكى الاجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الاثمة وقد قدمنا الاسانيد الواردة في الاستعاذة مبسطة في أول

التفسير ولله الحمد والمنة والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لتلايلس على القاري قرءه ويحفظ عليه ويمنعه من التدبر والتفكير وهذا ذهب الجمهور الى أن الاستعاذة انما تذكر قبل التلاوة وحكي من حمزة وأبي حاتم السجستاني انها تكون بعد التلاوة واحتجوا بهذه الآية ونقل النووي في شرح المهذب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضا ومحمد بن سيرين وإبراهيم التيمي والصحيح الاول لما تقدم من الاحاديث الدالة على تقدمها على التلاوة ووافقه أعلم وقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال النووي ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه وقال آخرون

معناه لا حجة عليهم وقال آخرون بكثرة الاعبادك منهم المخلصين انما سألناه على الذين يتولونه قال مجاهد يطيعونه وقال آخرون اتخذوه وليين دون الله وهم به مشركون أى أشركوه في عبادة الله تعالى ويحتمل أن تكون النباسة مكية أى صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى وقال آخرون معناه انه مشركهم في الاموال والاوالاد (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مقترب لأكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق لينبئ الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وابقائهم وانه لا يتصور (٢٧٩) منهم الايمان وقد كذب عليهم الشقاوة

وذلك انهم لم اذارا وتغيير الاحكام ناسخها بغير نسخها قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت منتهى أى كذاب وانما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مجاهد بلنا آية مكان آية أى رفعناها وثبتنا غيرها وقال قتادة هو كونه تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية فقال تعالى سبحانه لهم قل نزله روح القدس أى جبريل من ربك بالحق أى بالصدق والعادل لينبئ الذين آمنوا فيصدقوا بما أنزل أولا وثانيا وتحتل قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين أى وجهه هاديا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله (وانتدع علم انهم يقولون انما بعلمه بشر انسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا انسان عربى مبين) يقول تعالى يخبر عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهتان فخذ انما يعلمه هذا الذى يتلوه علينا من انقرآن بشرو وبشرونا الى رجل أعجمى كان بين أظهرهم غلام

ما معنى ذلك يا رسول الله قال ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسر عكم في طاعة الله ثم أعلم سبحانه انه مبيد ذلك كله ومفنيه فقال (وانا الجاعلون) أى مصرون (وما عليها) من هذه الزينة عمدتها هي عمر الدنيا (صعيدا) ترابا قال أبو عبيدة الصعيرة المستوى من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذى لا نبات فيه بعد ان كانت خضراء معشبة أى أرضا ملساء وقيل فتا ناوهو الذى يضمحل بالريح لا اليابس الذى يرسب ونظيره كل من عليه افان وقوله فيه ذرها فاعاصفها لا ترى فيها عوجا ولا أمنا والمعنى انه لا بد من المجازاة بعد افساء ما على الارض وتخصيص الاهلاك بما على الارض يوههم بقاء الارض الان سائر الآيات دلت أيضا على ان الارض لا تبقى وهو قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال قتادة الصعيد الجبال التى ليس فيها زرع (جرزا) بابا قال الفراء الجرزالارض التى لا نبات فيها من قولهم امرأة جروزا اذا كانت كولا وسيف جروزا اذا كان مستاصلا وجروزالجراد والشاة والابل الارض اذا أكلت ما عليها او يقبل سنة جروز وسنون اجرزالامطر فيها وأرض جروز وأرضون اجرزالنبات بهم او جروزانت لصعيدا فكانه ياز علاقته المجاورة وعن الحسن الجرزالخراب أى نعيدها بعد عمارتها خرابا بامانة الحيوان وتجفيف النبات والانهجار وغير ذلك ومعنى النظم القرآنى لا تحزن يا محمد بما وقع من هؤلاء من التكذيب فانما قد جعلنا ما على الارض زينة لا اختبار أعمالهم وانما لذهبون ذلك عند انقضاء عمر الدنيا فعازوهم ان خير الخيرة ان شرافتر (أم حسبت) أى بل أحييت أو بل حسبت ومعناها الاتهال من حديث الى حديث آخر لا لابطال الاول والانزاع عنه كما هو معنى بل فى الاصل (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) المعنى ان القوم لما تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الامتحان قال سبحانه بل أظننت يا محمد انهم كانوا عجباً من آياتنا فقط لا تحجب بذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على جعل ما على الارض زينة لها لا ابتلاء ثم جعل ما عليها صعيدا جرزا كان لم تقن بالامس لانست بعد قدرته ولا حفظه ورحمته بالنسبة الى طائفة مخصوصة وان كانت قصتهم خارقة للعادة فان آيات الله سبحانه كذلك وفوق ذلك ومعنى عجبا ذات عجب والكهف هو الغار الواسع فى الجبل فان كان صغيرا أى غارا والجمع كهوف فى الكثرة أى كهف فى القلة والرقيم قال كعب والاسدي

لبعض بطون تريش وكان بيها يبيع عند الصفا فرما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجلس اليه وبكلمة بعض النبي وذلك كان أعجمى اللسان لا يعرف بالعربية أو انه كان يعرف الشىء اليه بقدر ما يرد جواب الخطاب فما لا بد منه فلهذا قال الله تعالى راداعليم فى افتراءهم ذلك لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين أى بالقرآن أى فكيف يتعلم من جاه هذا القرآن فى فصاحتهم ولاغته ومعانيه التامة الشاملة للنى هى أكمل من معاني كل كتاب نزل على بنى اسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمى لا يتول هذا من له أدنى مسكة من العقل قال محمد بن اسحق بن يسار فى البقرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فيما بلغنى

كثيرا ما يجلس عند المروة الى سبعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لهض بن الحضري فانزل الله ولقد علم أنهم يقولون انما يعلم بشر لسان الذي يلهدون اليه أجمعى وهذا لسان عربي مبين وكذا قال عبد الله بن كثير وعن عكرمة وقيادة كان اسمه يعيش وقال ابن جرير حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملاقي عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة وكان اسمه بلعام وكان أجمعى اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده (٢٨٠) فقالوا انما يعلم بلعام فانزل الله هذه الآية ولقد علم أنهم يقولون انما

يعلم بشر لسان الذي يلهدون اليه أجمعى وهذا لسان عربي مبين وقال الفضائل بن مزاحم هو سلمان السارسي وهذا القول ضعيف لان هذه الآية مسكية وسلمان انما أسلم بالمدينة وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا عاملان روميان يقرآن كتابهما بالاسم ما فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسري ما فيه نوم فيسمع منهما فقال المشركون يتبعه لم منهما فانزل الله هذه الآية وقال الزهري عن سعيد بن المسيب الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد بعد ذلك عن الاسلام وافتري هذه المقالة فجاءه الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولا هم عذاب اليم انما يشترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) يخبر تعالى انه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتفاضل عما أمره على رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له قصد الى الايمان بما جاء من عند الله فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله الى الايمان بآياته وما ارسل به

انما اسم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقال سعيد بن جبيرة ومجاهد انه لو سمع من حجارة ورصاص رقت فيه اسماءهم جعل على باب الكهف فقيه فلان بن فلان من مدينة كذا خرج في وقت كذا من سنة كذا قال الفراء ويرى انه انما سمى رقيما لان اسماءهم كانت مرقومة والرقم الكتابة وعن قيادة ان الرقيم دراهمهم التي كانت معهم وقال ابن عباس الرقيم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تسمى كوا به من دين عيسى عليه السلام وقيل ان الرقيم اسم كلهم فانه أنس وقيل هو اسم الوادي الذي كانوا فيه وقيل اسم الجبل الذي فيه الغار قال الزجاج أعلم الله سبحانه ان قصة أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله لان خلق السموات والارض وما بينهما ما أعجب من قصتهم وقال ابن عباس يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم (اذ أوى الفتية الى الكهف) أي صاروا اليه وزلوه وسكنوه والتجوا اليه وجعلوه مأواهم يقال أوى الى منزله من باب شرب اذا نزل بنفسه وسكنه والمأوى لكل حيوان مسكنه والفتية هم أصحاب الكهف جمع فتى وهو الطرى من الشباب اظهاري مقام الانصار للتعجب على وصفهم ومنهم فكانوا في سن الشباب مردوا كانوا سبعة خرجوا من مدبنتهم خائفين على ايمانهم من قومهم الكفار حيث أمرهم بعبادة غير الله وكذلك ملك المدينة أمرهم عازروا منهم دقيانوس ومدبنتهم اسمها أفسوس عند أهل الروم لانها من مدائنهم واسمها عند العرب طرسوس فلما أمرهم بعبادة غير الله ذهب كل واحد منهم الى بيت أبيه وأخذ منه زادا ونفقة وخرجوا فارتين هارين حتى أووا الى كهف في جبل قريب من المدينة فاخذوا فيه وصاروا يعبدون الله ويأكلون ويشربون ويعيشون أحدا منهم خفية ليستري لهم الطعام من المدينة وهم خائفون من اطلاع أهل المدينة عليهم فبقوا لهم اهدم دخولهم في دينهم فخلوا وابتعدوا بعد الغروب يتعدون فأتى الله عليهم الزوم وذلك قوله تعالى فضرنا على آذانهم الخ كما سيأتي تفصيلا (وقالوا ربنا آتانا من لدنك أي من عندك رحمة) التنوين اما للتعظيم أو للتشويق وتقديم من لدنك للاختصاص أي رحمة مختصة بانهم من خزائن رحمتك وجلالك وهي المغفرة في الآخرة والأمن من الأعداء والرزق في الدنيا (وهي النامن امرنا رشدا) أي أسلم لنا من قولك هيات الامر فتيا والمراد بما أمرهم الامر الذي هم عليه وهو ما رقتهم من الكفار والرشد نقبض الضلال

رسوله في الدنيا ولهم عذاب اليم موجه في الآخرة ثم أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس يعترف ولا كذاب لانه انما يشترى الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم لم يشر انطلق الذين لا يؤمنون بآيات الله من الكفرة الملهدين المعروفين بالكذب عند الناس والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعلا وإيمانا وإيقانا معروفا بالصديق في قومه لا بشيء في ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم الا بالامن محمد ولهذا المسال هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سأها من مشقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فما قاله بل كنتم تسمونه بالكذب قبل ان يقول

ما قال قال لافعال هرقل فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل (من كفر بالله من بعد ايمانه الامن
أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدره فاعلمهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا
على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وبصارهم أولئك هم الغافلون لاجرم
انهم في الآخرة هم الخاسرون) أخبر تعالى عن كفره بعد الايمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمان به انه قد غضب عليه
لعلمهم بالايمان ثم عدوا لهم عنه وان لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة (٢٨١) لانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة
فأقدموا على ما أقدموا عليه من

ومن للابتداء ويجوز أن تكون للتبصير بكافي قولك رأيت منك أسدا وتقدم المجرورين
للاهتمام بهما أي اجعل أمرنا رشا أو يسر لنا طريق رضاك (فضر بنا على آذانهم) قال
المفسرون أغماهم والمعنى سدنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الاصوات أي ضربنا
على آذانهم الحجاب تشبيها للانامسة الثقيلة المانعة من وصول الاصوات الى الآذان
بضرب الحجاب عليها ففي الكلام تجوز بطريق الاستعارة التبعية وهذا النوم من
جمله الرحمة التي طلبوها فكانت قال فاستحيينا دعاءهم ومن جملة استجابته ان أغماهم
وقلبناهم في نومهم ذات اليمين وذات الشمال (في الكهف سنين عددا) أي ذوات
عدد على أنه مصدرا بمعنى معدودة على أنه بمعنى المفعول ويستفاد من وصف
السنين بالعدد الكثرة قال الزجاج ان الشيء اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتاج الى العدد وان
كثرا احتاج الى ان يعتد وقيل يستفاد منه التقليل لان الكثير قليل عند الله وان يوما
عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من تلك النومة (انعلم)
أي ليظهر معلومنا واللام للعاقبة وقيل للتعليل وقرى بالتخصية والشاعل هو الله تعالى
ففيه التفات عن التكلم الى الغيبة قيل والمراد بالعلم الذي جعل علة للبعث هو الاختبار
مجازا فيكون المعنى بعثناهم لنعامل معاملة من يختبرهم والاولى ما ذكرناه من ان
المراد به ظهور معلوم الله سبحانه لعباده (أي الحزبين) من قوم النسيه أهل الهدى وأهل
الضلالة فالمراد بالحزبين الفريقان من المؤمنين والكافرين المختلفين في مدة لبثهم وقيل
المراد بنفس اصحاب الكهف لأهل المدينة اختلفوا بعد انبثاهاهم كم لبثوا وقيل المراد
بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وأصحاب الكهف وقيل ان اصحاب
الكهف حزب وأصحابهم حزب وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب
الكهف اختلفوا في مدة لبثهم (أحصى) أي أضبط (لمالبثوا أمدا) وكانت وقعة بينهم
تنازع في مدة لبثهم في الكهف فبعثهم الله ليتبين لهم ذلك ويظهر من ضبط الحساب من لم
يضبطه قال ابن جرير انهم كتبوا اليوم الذي خرجوا فيه والشهر والسنة وما صدر به أي
أحصى لبثهم أو بمعنى الذي واللام زائدة وقيل على بابهم امن العله أي لاجل قاله أبو البقاء
وما بمعنى الذي والامد الغاية وقيل ان أحصى افعال تنصيل واختاره الزجاج والتبريزي
وربانه خلاف ما نرى في علم الاعراب وما ورد من الشاذ لا يقاس عليه كقولهم أفسس من

الردة لاجل الدنيا ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا
و يلبثهم على الدين الحق فطبع على
قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا فنعهم
وختم على سمعهم وبصارهم فلا
يتفكرون بها ولا أغنت عنهم شيئا
فهم غافلون عيار ادبهم لاجرم أي
لا بد ولا يجب ان من هذه صفته
انهم في الآخرة هم الخاسرون أي
الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم
يوم القيامة وأما قوله الامن أكره
وقليه مطمئن بالايمان فهو استثناء
عن كسر بلسانه ووافق المشركين
بلنظمه مكرها لما ناله من شرب وأذى
وقليه ما يقول وهو مطمئن بالايمان
بالله ورسوله وقدرى العوفى
عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في
عمار بن ياسر حين عذبه المشركون
حتى يكثروا مدحى الله عليه وسلم
فوافقهم على ذلك مكرها ووافقا معتذرا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فأزل
الله هذه الآية وهكذا قال الشعبي
وقتادة وأبو مالك وقال ابن جرير
حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا محمد بن
نور عن معمر عن عبد الكريم
الجزري عن أبي عبيدة محمد بن
عمار بن ياسر قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكلوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال لمطمئنا بالايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان عادوا فعد ورواه الميهني بأدب من ذلك
وفيه انه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آهاتهم بخير شكلوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما تركت حتى سببتك
وذكرت آهاتهم بخير قال كيف تجد قلبك قال مطمئنا بالايمان فقال ان عادوا فعد وفي ذلك أنزل الله الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان
ولهذا اتفق العلماء على ان المكروه على الكفر يجوز له ان يوا الى ابقاء لهجته ويجوز له ان يابى كما كان بلال رضي الله عنه يابى عليهم ذلك
وهم يفعلون به الا فاعيل حتى انهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر وبأمر منه بالشر بالله فيأبى عليهم وهو يقول أحد

أحد ويقول والله أعلم كلمة أعظم لكم من أن تقولوا أني رسول الله فيقول نعم فيقول أنت شهادتي رسول الله فيقول لا أسمع فلم يرل يقطعه أربابا وهو يابى على ذلك وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا أيوب عن عكرمة ان عليا رضي الله عنه حرق ناسا ارتدوا عن الاسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم كن لاحرقهم بالنار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تعذبوا بعباد الله وكنتم قائلهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه فبلغ ذلك عليا فقال ويح (٢٨٢) ام ابن عباس رواه البخاري وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق

أبنا معاوية عن أيوب عن حميد بن هلال العدوي عن أبي بردة قال قدم علي أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فاذا رجل عنده قال ما هذا قال رجل كان يهوديا فأسلم ثم هود ونحن نزيده على الاسلام منذ قال أحسبه شمر بن فقال والله لا أقتله حتى تضربوا عنقه فقال قضاء الله ورسوله ان من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال من بدل دينه وهذه القصة في الصحيحين باللفظ آخر والافضل والاولى ان يثبت المسلم على دينه ولو أذنى الى قتله كما قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة انه أسرته الروم فجاءوا به الى ملكهم فقال له تنصروا أنا أشركن في ملكي وازوجن ابنتي فقال له لو أعطيتني جميع ما أملك وجميع ما تملك العرب على ان أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفه عين ما فعات فقال اذا قتلت فقال أنت وذاك فأمر به فصب و أمر الرماة فرموه فريسا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فانزل ثم أمر بقدر وفي رواية يسرق من نخاس

ابن المدلق وأعدى من الحرب وقال أبو علي والزمخشري وابن عطية ان أحصى فعل ماض (لحن نقص عليك نبأهم) هذا شروع في تفصيل ما أجمل في قوله اذا وى القية والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر أى نحن نخبرك بخبرهم (بالحق) أى نقص قصصا متباعدة بالحق أو نقتصه متباعدة أو نقص نبأهم متباعدة أو نبأهم المتباعدة (انهم قية) أى أحداث وشبهان كان أحدهم وزير الملك دقيانوس وكان من اشرف تلك المدينة ومن عظماء أهلها والجملة ستانئة واقعة في جواب سؤال اقتضاء ما قبلها فكأنه قيل وما نبؤهم والقية جمع قلة (أموا برهم) فيه التثنية من التكلم الى القية اذ لوجاء على نسق الكلام لقيل أموا بنا (ورزناهم هدى) بالتنبيه والتوفيق وفيه التثنية من الغيبة الى التكلم قال الربيع بن أنس هدى اخلاصا وقيل ايتانا وبصيرة وقيل يقينا (وربطنا على قلوبهم) أى قوياتها بالصبر على هجر الالهل والاطان وفراق الاخلان والاخذان والفرار الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام حيث قالوا اللهم ربنا رب السموات الخ ولم يحصل لهم من رعب في الله قال قتادة ربطنا قلوبهم بالايان وشددنا عليها بالصبر والتنبيه وفيه استعارة تصريحية تبعية لان الربط هو الشد بالجل (اذ قاموا) اختلف أهل التفسير في هذا السيام على أقوال فقيل انهم اجتمعوا وازوا المدينة من غير معادة فقال رجل منهم هو كبر التوم انى لا جدي في نفسي شيأ ان ربي رب السموات والارض فقالوا ونحن كذلك مجدي في أنفسنا فقاموا جميعا (فقالوا ربنا رب السموات والارض) قاله مجاهد وقال أكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة العلو اغيت فثبت الله هؤلاء القية وعصمهم حتى قاموا بين يديه وقد أمرهم بالسجود للاصنام فقالوا ربنا رب السموات والارض أى قالوا جلستنا ثلاثة بين يدي ملكهم آخرها قوله شططا وثلاثة بعد انصرفهم عن مجلسه ذما لقومهم آخرها قوله كذبا وقال عطاه وقائل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم (ان ندعومن دونه الهيا) أى ان نعبد معبودا آخر غير الله لا شرا كاولا استتلا لا (لقد قلنا اذا شططا) أى قولنا اذا شطط أى افراط في الكفر ان دعونا الهيا غير الله فرضا أو قولنا هونفص الشطط لتقصيد المبالغة والشطط الغلو ومجاوزة الحد المنقدر في كل شئ يقال شططت الدار بعدت وشط فلان في حكمه شطوطا وشططا جارا رطلا وشط في القول أغلط وشط في السوم أفرط

فاحيت وباه بأسير من المسلمين فالقاء وهو يمد فاذ هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى فأمر به ان يلق في البحر ليلقى فيها فبكي فطمع فيه ودعا فقال انى انما بكيت لان نفسي انما هي نفس واحدة تلتنى في هذا القصر الساعة فاحيت أن يكون لي بعد كل سعة في جدي نفس تعذب هذا العذاب في الله وفي بعض الروايات انه حجه ومنعه الطعام والشراب أياما ثم أرسل اليه بنجر ولحم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك ان تأكل فقال ما هو فقد حل لي ولكن لم كن لا أشتك في فقال له الملك فقبل رأسى وانا أطلق وأطلق جميع أسارى المسلمين قال فقبل رأسه فاطلته وأطلق معه جميع أسارى المسلمين

على الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم أولاً ممن بعثه عليهم في قوله لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وقوله تعالى فاتقوا الله أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا وَلَا آيَةَ وَقَوْلُهُ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِلَى قَوْلِهِ وَلَا تَكْفُرُونَ وَكَأَنَّهُ انْعَكَسَ عَلَى الْكَافِرِينَ حَالَهُمْ خَافُوا بَعْدَ الْأَمْنِ وَجَاءُوا بَعْدَ الرِّغْدِ بِدَلِّ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا وَرَزَقَهُمْ بَعْدَ الْعَيْلَةِ وَجَعَلَهُمْ أَصْرَاءَ النَّاسِ وَحُكَّامَهُمْ وَسَادَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ وَأَتَمَّتْهُمْ وَهَذَا الَّذِي قُلْنَا مِنْ أَنَّ هَذَا الْمَثْلَ ضَرْبٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ (٣٨٤) قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَجَازٍ هَذَا مَثَلٌ لِقَادَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ

أَسْلَمَ وَحُكَّامًا لِكُلِّ عَمْرٍاءٍ مِنَ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيحٍ أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ الْحَضْرَمِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ مَشْرُوحَ ابْنِ عَاصِمٍ يَقُولُ سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ أَبِي يَتُولُ صَدْرًا مِّنَ الْحِجْزِ مَعَ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَحْصُورًا بِالْمَدِينَةِ فَكَانَتْ تَسْأَلُ عَنْهُ مَا فَعَلَ حَتَّى رَأَتْ رَاكِبِينَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِمَا تَسْأَلُهُمَا فَمَا لَاقَتْ فَتَنَالَتْ حَفْصَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِمَا الشَّرِيفَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ وَقَالَ ابْنُ شَرِيحٍ وَأَخْبَرَنِي عِيْدُ اللَّهِ بْنُ الْغُبَرَةِ عَنْ حَدَّثِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَنَّهَا الْمَدِينَةُ (فَكَوَاوَا أَمَّا رِزْقُكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لَهُ إِنَّهُمُ اللَّهُ أَنْ كُنْتُمْ آيَاهُ تَعْبُدُونَ انْعَامًا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَ وَالْأَخْزَرَ وَالْخَنزِيرَ وَمَا أَهْلُ الْغَيْرِ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادِي فَانِ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ

أَوْ أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَجَى عَصْرَهُمْ (وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ) شَرَعَ سَجْدَانِ فِي بَيَانِ حَالِهِمْ بَعْدَ أَنْ أَوَّاهُ إِلَى الْكَهْفِ (تَزَاوَر) مَا خُوِذَ مِنَ الزُّورِ بَنِيخِ الْوَاوِ وَهُوَ الْمِلُّ وَمِنْهُ زَارَهُ إِذَا مَالَ إِلَيْهِ وَقِيلَ زَوْرًا بِمَعْنَى تَنْقَبُصُ مِنْ أَوْ زَوْرًا بِمَعْنَى تَنْقَبُصُ وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَعْمِلُ وَتَعْدِلُ وَتَنْفُخُ (عَنْ كَهْنِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) أَيُّ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ وَهِيَ الْجِهَةُ الْمَغْسِيَّةُ بِالْيَمِينِ (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ) الْقُرْبُ الْقَطْعُ قَالَ الْكَسَاوِيُّ وَالْأَخْفَشُ وَالزَّجَّاجُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ تَعْدِلُ عَنْهُمْ وَتَقَرَّبُ مِنْهُمْ قَرَضَتْ الْمَكَانَ عَدَلَتْ عَنْهُ تَقُولُ لِأَصَاحِبِ الْمَكَانِ هَلْ وَرَدَتْ مَكَانَ كَذَا فَيَقُولُ إِنَّمَا قَرَضْتُهُ إِذَا مَرَّ بِهِ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ وَقَالَ النَّارِصِيُّ مَعْنَى تَقَرَّبُ مِنْهُمْ تَعْطِيهِمْ مِنْ ضَوْئِهِمْ أَشْيَاءَ يَزُولُ بِسَرْعَةٍ كَالْقُرْصِ بِسَرْعَةٍ وَتَقَرَّبُ مِنْهُمْ بِسَرْعَةٍ وَكَانَ يَنْسَبُ فِي أَنْ يَقْرَأَ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ بِضَمِّ التَّاءِ لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ مَالَتْ عَنْ كَهْنِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ أَيُّ يَمِينِ الدَّخْلِ لِلْكَهْفِ وَإِذَا غَرَبَتْ غَمَزَتْ (ذَاتَ الشَّمَالِ) أَيُّ جِهَةِ شِمَالِ الْكَهْفِ لَا تَصِيْبُهُ لَافِي ابْتِدَاءِ النَّهَارِ وَلَا فِي آخِرِ النَّهَارِ بَلْ تَعْدِلُ عَنْ سَمْتِهِ إِلَى الْجِهَتَيْنِ (وَهُمْ فِي خُفْوَةٍ مِنْهُ) الْخُفْوَةُ الْمَكَانُ الْمُنْعَمُ وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّةَ الْمَكَانَ الْوَاسِعَ قَوْلُ الشَّاعِرِ

أَلْبَسَتْ قَوْمًا كَحُزَانَةٍ وَمَنْعَصَةٍ • حَتَّى أَبْعَدُوا وَخَلُّوا خُفْوَةَ الدَّارِ

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ النَّبِيُّ الْخُلُوعُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَعْنِي بِالْخُلُوعِ النَّاحِيَّةَ مِنْهَا وَالْمُفْسِرُ فِي تَنْسِيْبِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ قَوْلَانِ الْأَوَّلُ أَنَّهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي مَكَانٍ مُنْفَتِحٍ انْفَتْحَ أَوَّاهُ فِي ظُلِّ جَمِيعِ نَهَارِهِمْ لَا تَصِيْبُهُمُ الشَّمْسُ فِي طُلُوعِهَا وَلَا فِي غُرُوبِهَا لِأَنَّ اللَّهَ سَجَّاهُ عَنْهُمْ كَرَامَةً وَالثَّانِي أَنَّ بَابَ ذَلِكَ الْكَهْفِ كَانَ مُفْتُوحًا إِلَى جَانِبِ الشَّمَالِ مَسْتَقْبِلًا لِبَنَاتِ النَّعْشِ فِي أَرْضِ الرُّومِ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ كَانَتْ عَنْ يَمِينِ الْكَهْفِ وَإِذَا غَرَبَتْ كَانَتْ عَنْ يَسَارِهِ وَلَا تَقَعُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الطُّلُوعِ وَلَا عِنْدَ الْغُرُوبِ وَلَا عِنْدَ الْاِسْتَوَاءِ قَدْ وَذِيَهُمْ بِحَرِّهَا وَتَغْيَرُ أَوَّاهُ عَنْهُمْ وَتَبْلِي نَبَاهِهِمْ وَلَكِنْ اخْتَارَ اللَّهُ لَهُمْ مَنَاجِيَهُمْ فِي مَسْجِدِهِمْ بِرَدِّ الرِّيحِ وَنَجِيَّتِهَا وَبَدَفَ عَنْهُمْ كَرَبِ الْغَارِ وَغَمِهِ وَيُؤَيِّدُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) فَإِنَّ صَرْفَ الشَّمْسِ عَنْهُمْ مَعَ تَوَجُّهِ النَّبِيَّةِ إِلَى مَكَانٍ نَصَلَ إِلَيْهِ عَادَةً أَنْسَبَ بِمَعْنَى كَوْنِهَا آيَةً وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا اِطْلَاقُ الْخُفْوَةِ وَعَدَمُ تَنْسِيْبِهَا بِكَوْنِهَا إِلَى جِهَةٍ كَذَا وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ شَأْنَهُمْ وَحْدَتَهُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْأَوَّلُ أَوَّلَى وَقَدْ قِيلَ أَنَّهُ كَانَ لِكَهْفِهِمْ حَاجِبٌ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَحَاجِبٌ مِنْ جِهَةِ الدُّبُورِ وَهُوَ فِي زَاوِيَتِهِ وَذَهَبَ الزَّجَّاجُ إِلَى أَنَّ فِعْلَ الشَّمْسِ كَانَ آيَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ

وَهَذَا حَرَامٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْعَلُونَ مَتَاعًا قَلِيلًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَقُولُ بَابُ تَعَالَى أَمْرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَكْلِ رِزْقِهِ حَلَالًا طَيِّبًا وَبِشُكْرِهِ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ الْمَنَعُ الْمُتَفَضِّلُ بِهِ ابْتِدَاءَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحَدَهُ لَا تَنْبِيْهُ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِمَّا فِي دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ مِنَ الْمَيْتَةِ وَالْأَخْزَرِ وَالْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ الْغَيْرِ أَقْبَهُهُ أَيُّ ذَبْحِ عَلَى اسْمِ غَيْرِ اللَّهِ وَمَعَ هَذَا فَمَنْ اضْطَرَّ إِلَى أَيْحَاجٍ مِنْ غَيْرِ بَغْيٍ وَلَا عُدْوَانٍ فَانِ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَثَلِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِمَا فِيهِ كِتَابَةٌ عَنْ عَادَتِهِ وَتَعَالَى الْحَدِيثُ نَهَى تَعَالَى عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الشَّرِّ تَبَيَّنَ الَّذِينَ حَلَّوْهُ حَرَمُوا بِعَمْرِ دَمًا وَصَنَوْهُ

باب الكهف الى جهة توجب ذلك وعلى الجملة فالآية في ذلك ان الله تعالى أوامهم الى كيف
 هذه صفة لا الى كهف آخر يأذون فيه باسقاط الشمس عليهم في معظم النهار وعلى هذا
 فيمكن أن يكون صرف الشمس عنهم باسقاط غمام أو سبب آخر والمقصود بيان حفظهم من
 تطرق البلاء وتغير الابدان والالوان اليهم والتأذي بحر أو برد ثم أننى سبحانه عليهم بقوله
 (من يهتد الله) الى الحق مثل أصحاب الكهف (فهو المهتد) الذي ظفر بالهدى وأصاب
 الرشد والفلاح (ومن يضل) أى بضله الله ولم يرشده كدقيانوس وأصحابه (فلن نجد له
 وليا مرشدا) أى ناسرا يهديه الى الحق ثم حكى سبحانه طرفا آخر من غرائب أحوالهم
 فقال (وتحسبهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل أحد (أيقاظا) جمع يقظ
 بكسر القاف وفتحها (وهم رقود) أى نيام وهو جمع راقدة كقعود في قاعد قيل وسبب هذا
 الحسبان ان عيونهم كانت مغطاة وهم نيام وقد الزجج لكثرة تغلبهم (وتعلمهم ذات)
 اليمين وذات الشمال) أى نقلهم في رقعة من اسم الى اسمين لئلا تاكل الارض أجسادهم
 ولحومهم قاله سعيد بن جبيرة وتجب منسب الامام الرازي وقال ان الله قادر على حفظهم من
 غير تغليب وإفانيل ان يقول لا ريب في قدرة الله تعالى ولكن جعل لكل شئ سببا في أغلب
 الاحوال قاله الكرخي قبل تقليب واحدة في كل سنة مرة في يوم عاشوراء وقال ابن عباس
 ستة أشهر على ذى الحجة اليمين وستة أشهر على ذى الحجة الشمال وعلى هذا كان لهم
 تقليبان في السنة وقيل كل تسع سنين وقالت فرقة انما قلبوا في التسع الا واثنا عشر
 في الثمانمائة فلا وناظر كلام المنسرين ان التقليب من فعل الله ويجوز ان يكون من ملك
 بأمر الله فيضاف الى الله تعالى قاله القرطبي والاول أولى (وكابهم باسقاط راعيهم) حكاية
 حال ما مضى لان اسم الناعل لا يعمل اذا كان بمعنى المنى كما تقرر في علم النحو أى ما دبره
 قال اكثر المفسرين عربوا من ملكهم لئلا يفر وابعاع معه كاب فتبعهم وقيل كان لواحد
 منهم قال به اهد اسم كابهم قطمورا وعن الحسن ابن عطاء بن رباح وقيل انهم ريان وقيل صهيان
 قيل كان كابا أغر وقيل فوق القاطي ودون الكرزي والقاطي كاب صيني وقيل كان أصفر
 وقيل كان أسمر اللون وقيل كان يضرب الى حمرة وقيل كان السماء وقيل ليس في الجنة
 دواب سوى كاب أصحاب الكهف وحمار بلهم ولا أدري أى تعلق لهذا التدقيق والتفتيق
 بتفسير الكتاب العزيز وما الذى جاء به على هذا القول الذى لا متمدله في السمع
 ولا في العقل (بالوصية) قال أبو عبيد وأبو عبيدة هو فناء الباب وكذا قال المنسرون
 وقيل العتبة وريان الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وإنما أراد ان الكاب موضع العتبة
 من البيت وقال ابن عباس بالوصية بالنساء وبالاباب وقيل بفناء الكهف وقيل الصعيد
 والتراب قال بعضهم كاب أحب قومنا فذكره الله معه فكيف بنا وعندها عقد الايمان
 وكلمة الاسلام وحسب النبي وآله وصحبه وقول الله تعالى ولقد كرمتنا بن آدم الآية وفي هذا
 نسبية وأنس لله يميني المقصرون عن درج الكمال الخبير لله بالحسين والانبيا والعلماء
 الخاطئين للولاياء والاصفياء (لواطلعت عليهم) أى لو نظرت اليهم وهم على تلك الحالة
 (لويت منهم فرارا) أى لفررت منهم هاربا (ولمبشتمهم رعبا) أى خوفوا فرعا عيلا

راضطلموا عليهم من السما بما رآهم
 من البعرة والسانية والوصيلة
 والحام وغير ذلك مما كان شرعا لهم
 ابتدعوه في جاهليتهم ففسال ولا
 تقولوا لما تصف السنتكم المكذب

الصدور ترى رعباً بسكون العيز وصعها وسبب الرعب الهيبة التي ألبسهم الله إياها وقيل
 طول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم ووحشة مكانهم ذكر المهدي والمحسن
 والزجاج والقشيري ويدفعه قوله تعالى لبنا يوماً وبعض يوم فان ذلك يدل على أنهم لم
 ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة وقيل
 لأن أعينهم كانت منفتحة كالنقطة وقيل إن الله منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد قال ابن
 عطية والصحيح في أمرهم إن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ما نوا عليها التكون لهم
 وأغيرهم فيهم آية فلم يزل لهم ثوب ولم يتغير لهم صفة ولم ينكروا الناحض إلى المدينة إلا عالم
 الأرض والسماء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليهم أنهم ذكره القرطبي
 (وكذلك) أي وكافعلناهم - ما فعلنا من الكرامات وأغناهم في الكهف تلك النومة
 وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان (ربعناهم) من نومهم وجعلنا بعينهم آية
 فانه الزجاج والخشيري وفيه تذكير بقدرته على الامانة والبعث جميعاً ثم ذكر الأمر
 الذي لأجله بعثهم فقال (لبنا أولواينهم) أي ليقتع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع
 في مدة اللبث لما يترتب على ذلك من النكس في الحال وظهور القدرة بالاعادة وقيل اللام
 للصيرورة لأن البعث لم يكن للتساؤل فانه ابن عطية والصحيح أنهم ألبسوا من الهيبة
 والاقتصار على الله التساؤل لا ينفي غيرها وإنما أفردوا لاستنباعه أسرار الآثار (قال
 فائل) أي واحد (منهم) وهو كبيرهم ورئيسهم مكملنا (كم لبستم) في النوم قالوا
 ذلك لأنهم رأوا في أنفسهم غير ما يعهدون في العادة والجملة مبنية لما قبلها من التساؤل
 (قالوا) أي قال بعضهم وقيل قال السبعة الباقيون جواباً عن سؤال من سأل منهم قال
 انفسروا أنهم - دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله سبحانه آخر النهار فلذلك قالوا (لبنا
 يوماً) أي لقضهم - إن الشمس قد غربت فلما رأوا الشمس لم تغرب قالوا (أو بعين يوم)
 وكان قد بقيت بقية من النهار وقد مر مثل هذا الجواب في قصة عزيز في البقرة وأول الشك
 وقيل للتفصيل أي قال بعضهم كذا أو بعضهم كذا وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
 بالظن الغالب (قالوا) متوقفين في قدر مدة لبسهم (ربكم أعلم بآمرنا) إما على طريق
 الاستدلال أو كان ذلك الها ماله - من الله سبحانه أي أنكم لا تعلمون مدة لبسكم وإنما
 بعثها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بما جعل ما يكون من مراعاة حسن الأدب وبه
 يتضح القهر إلى الخزيين المهودين في قوله سبحانه لعلم أي الخزيين وقيل استدلال ابن
 عباس على أن عددهم سبعة بهذه الآية أنه قد قال في الآية قول فائل منهم وهذا واحد
 وقالوا في جوابه لبنا وهو جمع وأقله ثلاثة ثم قالوا وقد قال في الآية قول فائل منهم وهذا واحد
 (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) كآته قال النائل منهم يعني يملأوا الرقوق
 ما أنتم عليه من المحاورة وخذوا في شيء آخر مما هم فيه وفيما اتفقوا به والغاية هيبة أي
 فاربوا واحدكم إلى البلاد ولورق الغضة مشروبة كانت أو غير مشروبة ويقال لها
 الرقة وفي الحديث وفي الرقة ربع العشر وجمع شذوذاً جمع المذكر السالم يقال عندي
 رقوق والبالله ما - به والملا بة وفي حلقهم لهذه الورق مهم دليل على أن أمثال بعض

هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على
 الله الكذب ويدخل في هذا كل من
 ابتدع بدعة ليس له فيها - تند
 شرعي أو حال شيء مما حرم الله أو
 حرم شيئاً مما أباح الله بغير درأيه

ما يحتاج اليه الانسان لا ينافي التوكل على الله والمدينة أفوسوس بضم الهـ مزة كما قاله
 النبي يابوري وهي مدينة قديمة التي كانوا فيها من مدائن الروم ويقال لها اليوم في الاساطير
 طرطوس كذا قال الواحد في الكشف ان المدينة التي خرجوا منها غير المدينة التي
 بعثوا اليها اشراء الطعام اذ أفوسوس من اعمال طرطوس وهي ناحية (فاينظر أياهم)
 أثر في طعاما) أي لينظر أيا أهلها أطيب طعاما أو أحل مكسبا أو أرخص سعرا أو أي
 استنهامية أو موصولة قال ابن عباس أحل وأطهر ذبيحة لأنهم كانوا يذبحون للطواغيت
 أو أكثر بركة وقيل يجوز ان يكون الضمير إلى الاطعمة المدلول عليها في المقام كما يقال زيد
 طبيب أباعني ان الأب هو زيد وفيه بعد (فليأتكم برزق مني) أي من الورق أي بدله
 أو من قوت وطعام تأكلونه واستدل بالآية على حل ذبائح أهل الكتاب لأن عامة أهل
 المدينة كانوا كفارا وفيه قوم يحنون إيمانهم ووجه الاستدلال ان الطعام يتناول اللحم كما
 يتناول غير مما يطاق عليه اسم الطعام (وليتطاف) أي يدق النظر حتى لا يعرف أو
 لا يغيب الأول أولى ويؤيده (ولا يشعرون بكم أحدا) من الناس أي لا ينعان ما يؤدى إلى
 الشعور ويؤيد ببله فهذا النهي يتضمن التأكيد لا المر بالتطاف ثم حمل ما سبق من
 الامر والنهي فقال (أنهم) أي أهل المدينة (ان يظهر وأعليكم) أي يطلعوا
 ويعلموا بمكانكم (يرجوكم) يتلوكم بالرجم وهذه القلة هي أخص قلة وكان ذلك
 كان عادة لهم ولهذا خصه من بين أنواع ما يقع به القتل وقيل يشتموكم ويؤذوكم بالتول
 والاول أولى (أو يعيدوكم في ملتهم) أي يردوكم إلى ملتهم التي كنتم عليها قبل ان يهديكم
 الله أو يصيروكم اليها كرها والمراد بالعود هنا الصيرورة على تقدير أنهم لم يكونوا على ملتهم
 وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستمرار (وان تملأوا إذا أبدا) في اذن معنى
 الشرط والجزم كأنه قال ان رجعت إلى دينهم فملأوا اذن أبدا في الدنيا والى
 الآخرة (وكذلك) أي وكما أغناهم وبمنأهم (أعترنا) أي أطلعنا الناس (عليهم)
 وأظهرناهم وصحى الاعلام اعشار الان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر إليه وعرفه
 فكان الاعشار حصول العلم (ليعلموا) أي ليعلم الذين أعزهم الله عليهم (أن وعد
 الله) بالبعث (حق) قيل وكان ملك زمانهم ممن ينكر البعث فإراه الله هذا الآية قبل
 وسبب الاعشار عليهم ان ذلك الرجل الذي بعثوه بالورق وكانت من شربة دقيانوس إلى
 السوق فلما اطلع عليه أهل السوق اتهموه بأنه وجد كذرا فذهبوا به إلى الملك فنال له من
 أين وجدت هذه الدراهم قال بعثتم أمس شيئا من التمر فخرجنا فراراً من الملك دقيانوس
 فمرف الملك صدقه ثم قص عليه القصة فركب الملك وركب أصحابه معه حتى وصلوا إلى
 الكهف (و) ليعلموا (ان الساعة) أي القيامة (لأريب فيها) أي لا شرف في
 حصولها فان من شاهد حال أهل الكهف علم حجة ما وعد الله به من بعث الارواح
 والاجساد جميعاً وحشرها (اذ ينزعون بينهم أمرهم) أي أعزنا عليهم ثم وقت
 التنازع والاختلاف بين أولئك الذين أعزهم الله في أمر البعث وقيل في أمر أصحاب
 الكهف في قدر كنهم وفي عددهم وفي ما فعلوه بعد ان اطلعوا عليهم وقيل قال المسلمون

ونظمه وما في قوله لما تصف
 مصدرية أي ولا تنزهوا الكذب
 لوصف ألسنتكم ثم نوءد على ذلك
 فقال ان الذين يستترن على الله
 الكذب لا يسلطون أي في الدنيا

بنى عليهم مسجدا يصل في فيه الناس لانهم على ديننا وقال المشركون بنى عليهم بيعة لانهم
من اهل ملتنا (فقالوا بنوا عليهم بيعة) اثلا تطرف الناس اليهم كما حفظت تربة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقطرة وذلك ان الملك وأصحابه لما وقفوا عليهم وهم احياء
أما الله النفسية فقال بهمهم بنوا عليهم بيعة استترعهم عن أعين الناس وقيل يتنازعون
متعللين بمذوف هو **ذ** ويريد ان لا يعتد رايه في زمن التنازع بل قبله ويمكن
ان يقال ان أولئك القوم ما زالوا متنازعين فيما بينهم قريبا بعد قرن منذ ووالى الكهف
الى وقت الاعتار ويؤيد ذلك ان خبرهم كان مكتوبا على باب لغار كتبه بعض المعاصرين
اهم من المؤمنين الذين كانوا يعنون ايساهم كما قاله المنسرون ثم قال سبحانه حاكما لقول
المتنازعين فيهم وفي عددهم وفي مدة لبعثهم وفي نحو ذلك مما عاينهم (ربهم أعلم بهم)
من هؤلاء المتنازعين فيهم قالوا ذلك تشويضا للعلم الى الله سبحانه وقيل حوم من كلام الله
سبحانه رد لقول المتنازعين فيهم أي دوا ما أقيم فيهم من التنازع فأتى أعلم بهم منكم
والأول هو الظاهر قاله الكرخي (قال الذين غلبوا على أمرهم) يعني بنو إسرائيل
وأصحابه قاله الخازن أي كانت الحكامة لهم وكان كلامهم هو المأفول لان ذلك الوقت كان
من جملةهم وحيث ان مؤمنوا أما الملك الذي خرجوا هاربين منه فقد ساءت في مدتهم
(انقذت عليهم مسجدا) يصل في فيه المؤمنون ويعتبرون بحالهم وكراتخاذ المسجدين
بان هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون وقيل هم أعداء السلطان والملوك من القوم
المدكورين فانهم الذين يغلبون على أمرهم والاول أولى قال الزبيح هذا يدل على
انه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد لهم ومؤمنين (سيعقولون)
هؤلاء القائلون بانهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة وهم المتنازعون في عددهم في زمن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والمسلمين وقيل هم أهل الكتاب خاصة قال السدي
هم اليهود ونحو كل تندير فليس المراد انهم جميعا قالوا جميع ذلك بل قال بعضهم بكذا
وبعضهم بكذا فبطل انما أتى بالسب في هذا لان في الكلام طبا وادما جات نقد بره فاذا أجبتهم
عن سؤالهم عن قصة أهل الكهف فسألهم عن عددهم فانهم سيعقولون ولم يأت بها في باقي
الافعال لانها معروفة على ما فيه السب فاعطيت حكمه من الاستقبال والمعنى يقولون
لاننا نحمد ويخبرونك على ثلاثة أقوال الاول ان للنصارى والثالث للمؤمنين (ثلاثة رابعهم
كلامهم) أي هم ثلاثة أشخاص حال كون كلامهم حائلا عليهم أربعة بالنفس اسم اليهم (ويقولون
خمس سادسهم كلامهم) الكلام فيهم كالكلام فيما قبله قال السدي هم النصارى وقيل
اليهود كما في البيضاوي قال أبو علي الفارسي قوله رابعهم كلامهم وسادسهم كلامهم
استغنى عن حرف العطف فيه ما بعد انتم من ذكر الجواز الاولى وهي قوله ثلاثة وان تقدير
هم ثلاثة هكذا ككلام الواحد (رجبا لغيب) أي راجحين أو يرجون رجاءا والرجم
بالغيب هو القول بالظن والخدس من غير يقين ودليل ولا برهان كما قاله الطيبي وغيره
والموصوفون بارجم بالغيب هم كالأدريين الثائلقين بانهم ثلاثة والثالثون بانهم خمسة
قال قتادة رجما قد ظانن ولم يقل هذا في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان

ولا في الاثنية أما في الدنيا فمنازع
قليل وأما في الآخرة فلهم عذاب
أليم كما قال غصتهم قليلا ثم نفع طرهم
الى عذاب غلبت وقال ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون

الحال في الباقي بخلافه والرجم معنى الرمي وهو استعارة للتكلم عالم يطالع عليه لخناؤه عنه
 تشبيهه بالرمي بالخجارة التي لا تصيب غرضها والبالغة للعددية على تشبيهه الظن بالحجر المرمي
 على طريق الكفاية (ويقولون) أي المؤمنون يعني قالوه باخبار الرسول لهم عن جبريل
 عليه السلام (سبعة وثلاثون منهم كلهم) وإن قول هذه الترجمة أقرب إلى الصواب بدليل
 عدم إخطاله في سلك الراجح بالغيب قيل وأظهر الواو في هذه الجملة يدل على أنه امرادة
 في الجملتين الأولى وعلى رأي الأخفش والكوفيين الواو زائدة لأن وجودها في الكلام
 مما عدم في عدم أفادة أصل معناها قاله الكرخي وقيل زائدة لتأكيده لصوق الصفة
 بالموصوف والدلالة على أن انصافهم أمر ثابت وهذا ما جنع إليه الرخشي وصرح به
 البضاوي واختاره ابن هشام وقيل إنه الواو العطف كأنه قيل هم سبعة وثلاثون منهم كلهم
 وقيل واو الحال فيقول المعنى إلى أنهم يتولون ذلك مع هذا الحال وهو كون ثلثهم كلهم
 واقعاً لا مثاله في الزم منه أن يكونوا سبعة قال ابن هشام وقول جماعة الأدباء كالحري
 ومن النحويين كابن خنويه ومن المفسرين كالزمخشري أن الواو التثنية لا يراد بها نحوى لأنه
 لا يتعلق به حكم اعتراف ولا معنى قال الكافعي هي في التعقيب واو العطف لكن
 لما اختص استعملها بمحل مخصوص فنسخت أمر اغريباً واعتباراً لطيفاً مناسباً أن تسمى
 باسم غير حذفت باسميت الواو التثنية مناسبة بينها وبين سبعة وذلك لأن السبعة
 عندهم عند تمام كعدد العشرات لاشتمالها على أكثر مراتب أصول الأعداد الثمانية
 عند مستأنف فكان ينتم ما اتصال من وجه وانتمال من وجه وهذا هو مقتضى للعطف
 وهذا المعنى ليس بوجود بين السبعة والستة انتهى ملخصاً من الكرخي ثم أمر الله نبيه
 صلى الله عليه وآله وسلم أن يجزي المختلفين في عددهم بما يتطوع السارع بينهم فقال (قل
 رب أعلم) أي أقوى علماً وأزيد في الكيفية (بعدهم) منكم أيها المختلفون فإن
 مراتب اليقين تتفاوت في القوة وهذا هو الحق لأن العلم يتفاضل العالم والكائنات فيه
 في الماضي والمستقبل لا يكون الله تعالى أو من أخبره الله سبحانه ثم أثبت العلم على
 ذلك لقليل من الناس فقال (ما يعلمهم) أي ما يعلم ذواتهم فضلاً عن عددهم أو ما يعلم
 عددهم على حذف المضاف (القليل) من الناس عن ابن عباس قال أنا من القليل
 كانوا سبعة وعن ابن عباس قال السبوطي بسند صحيح أنس أو أن القليل كانوا سبعة ثم
 ذكر أسماءهم وذكر بعض المفسرين لا سمى لهم خواص ومنافع ليست من التدبير في
 شيء منهم في الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الجدال مع أهل الكتاب في شأن
 أصحاب الكهف فقال (فلا تعارفهم) أي لا تجادل ولا تنقل في عددهم وشأنهم والمراد في
 اللغة الجدال يقال ماري بما رأي عماراً ثمراء أي جادل قال ابن عباس يقول سبحانه
 ما قصصت عليك ثم استثنى سبحانه من المرام كمن ظاهراً وأخفاً فقال (الاصراطاً ظاهراً)
 أي غير متهمة مق فيه وهو أن يقص عليهم ما أوحى الله إليه فثبت من غير تجهيل لهم ومن
 غير رد عليهم وقال الرازي هو أن لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين
 لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهى سبحانه عن الاستغناء في شأنهم فقال (ولا تستغنى)

متاع في الدنيا ثم البنا من جمعهم ثم
 يذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
 يتفرون (وعلى الذين هادوا
 حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما
 ظلماتهم ولكن كانوا أنفسهم

فيهم) أي في شأنهم (منهم) أي من الخائضين فيهم (أحد) منهم لأن المفتي يجب أن يكون
 أعلم من المسلم - انتهى وعنهنا الأمر بالعكس ولا سيما في واقعة أهل الكهف وفيما قص الله
 عليك في ذلك ما يغنيك عن سؤال من لا علم له قال ابن عباس يعني اليهود وقال القرطبي
 النصارى وهو الأولى قول البضاوى لا تسأل سؤال مستشدد ولا سؤال متعنت يريد
 فضيحة المسئول وتزييف ما عنده فانه يجمل بمكلام الاخلاق وفي الآية دليل على منع
 المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن
 يشاء الله) أي لا تقولن لأجل شيء أو في شأن شيء تعزم عليه فيما يستقبل من الزمان فعبء
 عنه بالغد ولم يرد الغد بعينه فمدخل فيه الغد دخولا وليا قال الواحدى قال المفسرون
 لما سألت اليهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خبر النسيئة فقال أخبركم غدا ولم يقل ان
 شاء الله فاحتمس الوحي عنه حتى شق عليه فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستئناس بمشيئة
 الله يقول اذا قلت لشيء إني فاعل ذلك غدا فقل ان شاء الله قيل وهذا الاستئناس مفترغ من
 أعم الأحوال أي لا تقولن ذلك في حال من الأحوال الا في حال ملازمة لمشيئة الله وهو ان
 تقول ان شاء الله أو في وقت من الاوقات الا وقت أن يشاء الله ان تقوله لا طلقا بل باذن
 الله خذف الوقت وهو مراد أو لا تقولن أفعل غدا الا قائلا ان شاء الله خذف القول
 ونقل شاء الى لفظ الاستقبال على المعنى قاله الخفش والمبرد والكسائي وقيل
 التقدير الا بان يشاء الله أي متابعا بقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكرك مشيئة الله فليس
 الا ان يشاء الله من القول الذي نهى عنه وقيل الاستئناس جار مجرى التأييد كما تذكير
 لا تقولنه أبدا كقوله وما يكون لنا ان نعود في ان شاء الله لان عودهم في ملتهم مما
 لا يشاء الله (واذ كر ربك اذا نسييت) الاستئناس بمشيئة الله أي فقل ان شاء الله سواء
 كانت المدة قبله أو كثيرة وقد اختلف أهل العلم في المدة التي يجوز الحاق الاستئناس فيها
 بعد المنة حتى منه على أقوال معروفة في مواضعها وقيل المعنى واذا كر ربك بالاستغفار اذا
 نسييت مبالغة في الخشوع عليه أو اذا كر ربك عذابه اذا تركت بعض ما أمرتك به ليعتذرك على
 التدارك أو اذا كرما اذا اعتزلت النسيان لتذكر المنة وعن ابن عباس انه كان يرى
 الاستئناس ولو بعد سنة ثم قرأ هذه الآية وعنه قال هي خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم وليس لاحد ان يستغفر الا في صلاة يميز وعن ابن عمر قال كل استئناس موصول فلا حث
 على صاحبه واذا كان غير موصول فهو حائث وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من
 حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سليمان بن داود لا طوفن
 الله على سبعين امرأة وفي رواية ثمة عین تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله
 فقال له الملائكة ان شاء الله فلم يقل قطاف فلم تلد منهن الا امرأة واحدة ثم قال ان شاء الله
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لم يحث ولكن دركا
 لحاجته وعن عكرمة قال عني اذا نسييت ذا غضبت وعن الحسن قال اذا نسييت اذا لم
 نقل ان شاء الله وقيل الآية في الصلاة ويدل حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فم الصلاة كرى متفق عليه والاول

يظلمون ثم ان ربك للذين عاينوا
 السوء بجهالة ثم تابوا منه بعد ذلك
 وأصلحو ان ربك من بعد الغفور
 رحيم لما ذكرته الى انه انما حرم
 علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما

أولى (وقل) يا محمد (عسى ان يدين) أي يوفقني ويدلني (ربي لأقرب) أي لنبي أقرب
 (من هذا) أي من خبر أهل الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي (رشد) أي
 هداية أو ارشادا للناس ولأنه على ذلك وعلى الأول هو منه قول مطلق وعنى الثاني تغيير
 لأقرب قال الزجاج عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلائل على النبوة ما يكون أقرب
 في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف وقد فعل الله به ذلك حيث آتاه من علم غيوب
 المرسلين وخبرهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة ما كان أوضح
 في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل عسى ان يدين ربي عنده هذا
 النسيان لنبي آخر يدل هذا المنسى وأقرب من ذلك رشد أو أدنى منه خبر أو منقعة والأول
 أولى (ولبنوا) أي أقاموا (في كهنتهم ثلثمائة سنين) عطف بأن لثلثمائة وهذه
 السنون عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرة عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت
 في قوله (وآزادوا) أي تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قرية وقرى في
 السبعة بالإضافة وعليه فسنين تغيير غير أنه قليل لأن تغيير المائة لكثير فيه الأفراد قال
 الثعالبي ومن العرب من يضع سنين وضع سنة قال أبو علي الفارسي هذه الأعداد التي تضاف
 في المشهور إلى الواحد نحو ثلثمائة رجل وثوب قد تضاف إلى المجموع وفي مصنف عبد الله
 ثلثمائة سنة وقال الأخفش لا تكاد العرب تقول مائة سنين قال ابن جرير ابن أبي عمير قيل
 اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الأعشار عليهم فقال بعضهم انهم لبنوا ثلثمائة سنة وقال
 بعضهم لبنوا ثلثمائة وتسع سنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن هذه المدة في
 كونهم نبيا ما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فأمر الله أن يرد علم ذلك إليه فقال (قل الله
 أعلم بلبنوا) أي بالزمان الذي لبنوا فيه وقيل بعد موتهم إلى نزول القرآن فيهم على قول
 مجاهد أو إلى أن ماتوا على قول الضحاك أو إلى وقت تغييرهم بالبي على قول بعضهم قال ابن
 عطية فقله على هذا لبنوا الأول يريد في نوم الكهف ولبنوا الثاني يريد بعد الأعشار عليهم
 إلى مدة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى أن ماتوا أو قال القرطبي أنه لما قال وآزادوا
 نعلم يدرك الناس أي ساعات أم أيام أم شهور أم أعوام فاختلف بنو إسرائيل
 بحسب ذلك فأمر الله برد العلم إليه في التسع فهي على هذا مائة والأول أولى لأن الظاهر
 من كلام العرب المذموم منه بحسب لغتهم أن التسع أعوام يدل أن العدد في هذا
 الكلام للسنين لا للشهور ولا للأيام ولا للساعات قال القتيبي يرى لا يفهم من التسع تسع
 لال ولا تسع ساعات لوجود لفظ السنين وعن الزجاج أن المراد بثلثمائة سنة شمسية
 وثلثمائة وتسع سنين قرية وهذا انما يكون من الزجاج على جهة التفريب وقال الضمالي
 وأما احتمال كون السنين شمسية أو قرية وكون التسع سنين أو شهورا أو أياما فليس بشيء
 قال الضحاك عن ابن عباس لما نزلت ولبنوا كنههم ثلثمائة قيل يا رسول الله أيام أم
 أشهر أم سنين فأرسل الله سنين وآزادوا نعلم حتى النقاش مائة مناهم لبنوا ثلثمائة
 سنة شمسية بحسب الأمم فلما كان الخبر هذا للنبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر
 التسع إذا المذموم عنده من السنين القدرة لهذه الزيادة هي ما بين الحسابين وخمسة

أهل لغير الله بما وأمر خص فيه عند
 الضرورة وفي ذلك توسعة لهذه
 الأمة التي يريد الله بها الهدى ولا
 يريد بها العسر إذ كرسبانه وتعالى
 ما كان حرمه على اليهود في شربهم

القنوني أي باختلاف سني الشمس والقمر لانه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلاث سنة
فيكون في ثمانمائة تسع سنين انتهى أقول هذا يعني على حساب الكبس والكبس عندهم
مختلف وقد حقه في كتابنا القطة العجلان فراجعه وعن ابن عباس قال ان الرجل ليفسر
الآية يرى انها كذلك فيهموي أبعدهما بين السماء والارض ثم تلاولبتوا في كهفهم - م الآية
ثم قال كم لبث القوم قالوا ثمانمائة وتسع سنين قال لو كانوا البشوا كذلك لم يقل الله قل الله
اعلم بما لبثوا وانكنه - كي مائة القوم فقال سيقولون ثلاثة الى قوله رجاء الغيب فاخبر
انهم لا يعلمون ثم قال سيقولون ولبتوا في كهفهم ثمانمائة سنين وازدادوا تسعا قال القرطبي
اختلف في أصحاب الكهف هل ماتوا أو فتوا وهم نيام وأجسادهم محفوظة فروى عن ابن
عباس انه قال أولئك قوم فتوا وعدموا منذ مدة طويلة ومشي الناس معه في بعض
غزوات الشام الى موضع الكهف فوجدوا عظام وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال ليعين عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فاهم لم يتجروا بعدد كره ابن عيينة
ونحوه في التوراة والانجيل وقد ذكرنا هذا الخبر بكلمة في التذكرة فعلى هذا هم نيام لم يموتوا
ولا يوتون الى يوم القيامة بل يموتون قبل الساعة انتهى والله أعلم ثم أكد سبحانه اختصاصه
بعلم ما لبثوا بقوله (له غيب السموات والارض) أي ما خفي فيهما وما غاب من أحوالها
ليس لغيره من ذلك شيء ثم زاد في المبالغة والتأكيدها بما يدل على التعجب من ادراكه
للمبصرات والمسموعات فقال (أبصر به وأسمع) فافاد هذا التعجب على ان شأنه سبحانه
في علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين وانه يستوي في علمه الغائب
والخافي والظاهر والصغير والكبير واللطيف والكثيف وكان أصله ما أبصره
وما أسمعته ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء على سبيل الجزاء والباء الزائدة عند سبويه
وخالفه الاخفش والبحر مقرر في علم النحوي والهاء لله تعالى رقيب هو أمر حقيقته لا تعجب
وان الهاء تعود على الهدى المنهوم من الكلام أي أبصر بوجيه وارشاده هذا هو الحق
والحق من الامور وأسمع به العالم والاول اولى وقرئ أبصر وأسمع فعلا ماضيا والفاعل
الله تعالى أي أبصر عباده وأسمعهم (مالهم) أي لاهل السموات والارض وقيل لاهل
الكهف وقيل لاهل مصرى محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار (من دونه من ولي)
أي من موال بوالهم أو يتولى أمورهم أو ينصرهم وفي هذا بيان لعناية قدرته وان الكل
تحت قهره (ولا يشرك في حكمه أحدا) قرأ الجوهري برفع الكاف على الخبر عن الله سبحانه
وقرئ بالثوقية وامكان الكاف على انه منى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل لله
شريكا في حكمه والمراد بحكم الله ما يقضيه به أو علم الغيب والاول اولى ويدخل علم الغيب
في ذلك دخولا أوليا فان علمه سبحانه من جلاله قضاؤه (وانل ما أوحى اليك) أمر الله
سبحانه ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه قبل يحتمل ان يكون معنى قوله وائل
واتبع أمر من التسلية من التلاوة أي اتبع ما فيه راعل به ولا تلتفه لقوله انت بقرآن
غير هذا أو به (من كتابك) بيان للذي أوحى اليه (لا تبدل لكلماته) أي
لا قادر على تبديلها وتغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده قال الزجاج أي ما أخبر الله به

قبل ان ينسخها وما كانوا فيه من
الابصار والتصديق والاغلال
والخرج فقال وعلى الذين هادوا
حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
اي في سورة الانعام في قوله وعلى

وما أمر به فلا مبدل له وعلى هذا يكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته (ولن يجد من
 ذونه متعبدا) أى ملتجأ وأصل اللحد الميل وقال أبو عبد الله الخلد الخاد جادل وما رى
 ولحد جار وظلم والحد فى الحرم استحل حرمة وانتهكها والمتعبد اسم الموضع وهو الملتجأ قال
 الزجاج لن يجد معدلا عن أمره ونهيه والمعنى انك ان لم تتبع القرآن وتسلوه وتعمل
 بأحكامه لن تجد معدلا تعدل اليه ومكانا ميل اليه وهذه الآية آخر قصة أهل الكهف
 ثم شرع سبحانه فى نوع آخر كما هو دأب الكتاب العزيز فقال (واصبر نفسك مع الذين
 يدعون ربهم) أى يعبدونه قد تقدم فى الانعام نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن طرد
 فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم وأمره سبحانه ههنا بان يجلس نفسه
 معهم فصر النفس هو حبسها عن الجزع وبابه ضرب وصبره حبسه وهذه الآية أبلغ من
 التى فى الانعام لان فى تلك نهى الرسول عن طردهم وفى هذه أمره بحبهم والمصاهرة
 معهم (بالغداة والعشي) ذكرهما كناية عن الاستمرار على الدعاء فى جميع الاوقات وقيل
 فى طرفى النهار وقيل المراد صلاة العصر والنجر وقرئ غداة وانكره النحاس وقال ولا تكاد
 العرب تقول الغداة ومعنى (يريدون وجهه) انهم يريدون بعبادتهم رضا الله سبحانه
 لا عرض الدنيا وعن سلمان قال جاءت المؤلفة قلوبهم عيينة بن بدر والافرع بن حابس فقالوا
 يا رسول الله لو جلست فى صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان
 وأبذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم حجاب الصوف بالسنالك وحادثك وأخذنا عذك
 فانزل الله واتل ما أوحى اليك الى قوله انا اعمدنا للظالمين ناراً أخرجه البيهقي وغيره وزاد
 أبو الشيخ عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام يلتمسهم حتى أصابهم فى
 مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى ان أصبر نفسي
 مع رجال من أمتي معكم الحميا والممات وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال زلت على
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى بعض ابيانه واصبر نفسك الآية فخرج يلتمسهم
 فوجد قوما يذكرون الله منهم نائر الرأس وحاف الجلود وذو الثوب الخلق فلما رآهم جلس
 معهم وقال الحمد لله الذى جعل فى أمتي من أمرنى ان أصبر نفسي معهم وعن أبي سعيد
 وأبي هريرة قال جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجل يقرأ سورة الحجر أو سورة
 الكهف فمكت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المجلس الذى أمرت ان أصبر
 نفسي معهم فى الباب روايات وعن ابن عمر قال انهم الذين يشهدون الصلوات الخمس وعن
 ابن عباس مثله وقيل نزلت فى صلاة الصبح وصلاة العصر ثم أمره سبحانه بالمراقبة لحوالهم
 فقال (ولا تعد عينك عنهم) أى لا تتجاوز الى غيرهم قال القراء معناه لا تنصرف عينك عنهم
 وقال الزجاج لا تنصرف بصرك الى غيرهم من ذوى الهيات والزينة واستعماله بغير
 تضمنينه معنى النبوة عن الكبر لى سرفته منه وقال معناه لا تحتقرهم عينك
 غيرهم ما عن صاحبها (تريد زينة الحياة الدنيا) أى جمالية أهل الترف والشرف والغنى
 ومحبة أهل الدنيا والمعنى بآله كونك تريد ذلك هذا اذا كان فاعل تريد هو النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم وان كان الفاعل شعبة ايعود الى العيينة فالتقدير مريدة زينة الحياة الدنيا

الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
 ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
 شحومهما الا ما حلت ظهورهما
 الى قوله اصادقون ولهذا قال ههنا

واسناد الارادة الى العنين مجاز وتوحيد الضمير للالتزام والاول اولى وهو نهي له صلى الله
 عليه وآله وسلم وان لم يردده وايس هو أكبر من قوله نزل أشركت ليحبطن عملك وان كان
 أعاده من الشرك وانما هو على فرض المحال (ولا تطع من أغفلنا قلبه) اى جعلنا غافلا
 (عن ذكرنا) بانختم عليه نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طاعة من جعل الله
 قلبه غافلا عن ذكره كآولئك الذين طلبوا منه ان ينهى الفقراء عن مجلسه فانهم طلبوا
 تنحية الذين يدعون ربهم بالغدا والعشئ يريدون وجهه وهم غافلون عن ذكر الله
 (و) مع هذا فافهم ممن (اتبع هواه) وآثره على الحق فاخترنا الشرك على التوحيد
 (وكان أمره فرطاً) أى متجاوزاً عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدماً
 على الخيل فهو على هذا من الافراط وقيل هو من التفریط وهو التقصير والتضييع
 والاول أظهر قال الزجاج ومن قدم العجز في أمره اضاعه وأهلكه عن ابن عباس قال نزلت
 في أمية بن خلف وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى أمر كرهه الله من طرد
 الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة فانزل الله هذه الآية به في من ختمنا على قلبه بعنى
 التوحيد واتبع هواه بعنى الشرك وكان أمره فرطاً يعنى فرطاً في أمر الله وجهالة به وعن
 ابن بريده قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم حار وعنده
 سلمان عليه جبة صوف فنار منه ريح العرق في الصوف فقال عيينة يا محمد اذا نحن أتيناك
 فأخرج هذا وضرباه من عندك لا يؤذينا فاذا خرجنا فانت وهم اعلم فانزل الله ولا تطع
 الآية وقد ثبت في صحيح مسلم في باب نزول الآية المتضمنة لعنى هذه الآية وهى قوله ولا
 تطرد الذين الآية عن سعد بن أبى وقاص قال كالمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة
 نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اطرد هؤلاء لا يجتروا علينا قال وكنت
 أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيتهما فوقع في نفس رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله ولا تطرد الذين الآية ثم
 بنى سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يقوله لا أولئك الغافلين فقال (وقل الحق من
 ربكم) أى قل لهم ان ما أوحى الى وأمرت بتلاوته هو الحق الكائن من جهة الله لا من جهة
 غيره حتى يمكن فيه التبديل والتغيير وقيل المراد بالحق الصبر مع الفقراء قال الزجاج أى
 الذى أتيتكم به هو الحق من ربكم يعنى لم أتكم به من قبل نفسي انما أتيتكم به من الله
 وعن قتادة قال الحق هو القرآن (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) قيل هو من تمام
 القول الذى أمر رسوله ان يقول والقاء لترتيب ما بعده على ما قبلها ويجوز ان يكون من
 كلام الله سبحانه لا من القول الذى أمر به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه تمديد شديد
 ونحوه وردع لا تخبروا بأحد وبكون المعنى قل لهم يا محمد لا الحق من ربكم وبعد أن
 تقول لهم هذا القول من شاء من يؤمن بالله بصدق فليؤمن ومن شاء ان يكفر به
 ويكذبك فليكفر وقال ابن عباس يقول من شاء الله الايمان آمن ومن شاء الكفر كفر
 وهو قوله وما نشأون الا ان يشاء الله رب العالمين ثم كذا الوعيد وشده فقال (انا اعتدنا)
 أى أعدنا وهاهنا (للفظتين) الذين اختاروا الكفر بالله والحمد لله والانتكار لانيابه

وما ظالمناهم اى فيما ضيقنا عليهم
 ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى
 فاستحقوا ذلك كقوله فقط لم من
 الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات

(نارا) عظيمة (أحاط بهم) أي اشتمل عليهم (سرادقها) واحد السرادقات قال
 الجوهري وهي التي تدفوق صحن الدار وكل بيت من كرسف أي قطن فهو سرادق وقيل
 للباطن المشتمل على شيء سرادق قاله الهروي وقال الراغب السرادق فارسي معرب وليس
 في كلامهم اسم مفرد ثالث حروفه ألف بعدها حرفان الألفا يقال بيت مسردق وقال ابن
 الأعرابي سرادقها سورها وقال القتيبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط
 والمعنى أنه أحاط بالكفار سرادق النار على تشبيه ما يحيط بهم من النار بالسرادق المحيط
 بهم فيه وعن ابن عباس قال حائط من نار وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه
 وغيرهم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سرادق النار أربعة
 جدر كثافة كل جدر منها مسيرة أربعين سنة وأخرج أحمد والبخاري والحاكم وصححه
 عن يعلى بن أمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن البصري هو من جهنم ثم تلا
 نارا أحاط بهم سرادقها (وان يسمعونوا) من النار أي يطلبوا الانتفاذ من شدة
 العطش (يفاقون) فيه مشاكلة لا إغاثة لهم بالماء إلا في ذكره بل اتيانهم به والجاؤهم
 بشربه غاية الأضرار والإغاثة هي الانتفاذ من الشدة فكأنه قال يضربوا ويذهبوا (بماء
 كالمهل) وهو الحديد المذاب قال الزجاج إنهم يفاقون بماء كالرصاص المذاب أو الصفر
 وقيل هو دردي الزيت أي ما بقي في أسفل الأناج ووجه المشابهة الخن والرداء في كل وقال
 أبو عبيدة مدة والاختش العكر وهو كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد وورصاص
 ونحاس وقيل هو شرب من القطران أخرج أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن
 حبان والبيهقي في المبعث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
 كهكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه عن ابن عباس قال أسود كهكر
 الزيت وعنه قال ماء غليظ كدردي الزيت وعن ابن مسعود أنه سئل عن المهمل فدعا
 بذهب أو فضة فاذا به فلما ذاب قال هذا أشبه شيء بالمهل الذي هو شراب أهل النار ولونه لون
 السماء غير أن شراب أهل النار أشد حرًا من هذا وعن ابن عمر هل تدرون ما المهمل المهمل
 مهمل الزيت يعني آخره ثم وصف هذا الماء الذي يفاقون به (بشوى الوجوه) إذا
 قدم عليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته والشيء الانضاج بالنار من غير احراق (بش
 الشراب) شرابهم هذا الذي يفاقون به (وساءت) النار (مرتفتا) متكئا يقال
 ارتفعت أي ارتكأت وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد ويقال ارتفق الرجل إذا
 نام على مرفقه وقال القتيبي هو المجلس والمثل وقيل للمجتمع وبه قال مجاهد وأما جاء
 كذلك لمشاكلة قوله وحنت مرتفتا والافأى ارتفاقا لا هي النار أو أي متكئا (أن
 الذين آمنوا) هذا شروع في وعد المؤمنين بعد الفراغ من وعد الكافرين والمعنى أن
 الذين آمنوا بالحق الذي أوحى إليكم (فأعملوا الصالحات) من الأعمال (أنا أنصبع
 أجر من أحسن) منهم (عملا) وفيها إقامة الظاهر مقام الضمير والمعنى أجرهم أي
 نعيمهم عما نصبتهم قوله (ثوئلكم لهم جنات عدن) أي إقامة مستأجرة لبيان الأجر
 والإشارة إلى من تقدم ذكره وقيل أولئك خير من الذين آمنوا وجاهلنا أنصبع اعترض

أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله
 كثير إنهم أخيرة ما لي تذكر ما واه تنانا
 في حق العصاة المؤمنين أن من
 تاب منهم إليه تاب عليه فقل ثم

وقيل غير ذلك (تجري من تحتهم الانهار) لان فضل الماء اكن ما كان يجري فيه الماء
وقد تقدم الكلام في كيفية جري الانهار من تحتها (يخجلون فيها من أساور من ذهب)
قال الزجاج أساور جمع اسورة وهي جمع سوار وهي زينة تلبس في الزند من اليد وهي من
زينة الملوك وظاهر الآية انها جميعها من ذهب وجاء في آية أخرى من فضة وفي أخرى من
ذهب وأولئك في لباسون الاساور الثلاثة فيكون في يد الواحد منهم سوار من ذهب وآخر من
فضة وآخر من لؤلؤ فعلم من هذا ان كلام هذه الآية ومن آية هل أتى على الانسان ومن آية
الحج ومن آية فاطر فيه الاخبار ببعض ما يحلون به ومن في من أساور للابناء وقيل زائدة
بدليل - فتوطها في سورة هل أتى وحلوا أساور من فضة ومن في من ذهب للبيان وحكي
الفرايمحلون بفتح الباء وسكون الحاء وفتح اللام يقال حليت المرأة تحلى فهي حالبة اذا
لبست الحلى أخرج البضاري وم - لم وغيرهما عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء (ويابسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق) عطف على يحلون وبني الفعل في التحلية لانه عول ايذا نابكر امتهم وان غيرهم
يفعل بهم ذلك ويزينهم به بخلاف الابس فان الانسان يتعاطاه بنفسه وقدم التحلى على
اللباس لانه انتهى للنفس وخص الاخضر لانه الموافق للبصر ولكونه أحسن الالوان
قال الكسائي السندس الرقيق واحده سندسة والاستبرق ما تخن واحده استبرقة وكذا
قال المفسرون وقيل ليسا جميعين وقيل الاستبرق هو الديباخ وقيل هو المنسوج بالذهب قال
القنبي وهو فارسي - عرب قال الجوهري وتصغيره أبيرق قال السمين وهل استبرق عربي
الاصل مشتق من البريق أو عرب أصله استبرم خلاف بين اللغويين قال مرتضى بن عبد
الله في الجنة شجرة تثبت السندس منه تكون ثياب أهل الجنة وعن عكرمة قال الاستبرق
الديباخ القلظ وعن مجاهد مثله وفي آية الرحمن بطائنها من استبرق أي الفرش فيقاس
عليها اللباس الذي الكلام فيه فظاهرة الكل من سندس وبطائنه من استبرق قال المحلى
في سورة هل أتى فالاستبرق بطانة ثيابهم والسندس ظاهرها (متكئين فيها على
الارائك) أصل اراكا أو نكا وأصل متكئين متوكئين والارائك التحامل على الشيء
أي يجلسون - تربعين ومضطجعين أخرج ابن أبي حاتم عن الهيثم بن مالك الطائي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل ليشكى - مقدار أربعين سنة لا يتحول منه
ولا يله يأتية ما اشتهت نفسه ولذت عينه فان الزجاج الارائك جمع أريكة وهي السرير في
الحجال وقيل هي اسرقة من ذهب مكللة بالحرير والياقوت وعن ابن عباس قال الارائك السرر
في جوف الحجال عليها الفرش منضود في السماء فرجوع عنه قال لا يكون أريكة حتى يكون
السرير في الحجلة وعن عكرمة الارائك هي الحجال على السرر وفي القاموس الار يكة
كسنة سرير في حجلة أو كل ما يشكاه عليه - سرير ومنه وفراش أو سرير متخذ من
قبة أو بيت فان لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع أرائك (ثم الثواب) ذلك الذي أنابهم
الله به وهو الجنة (وحسن) تلك الارائك في الجنات (مرة نقا) أي متكأ ومقرا
ومجلسا ومنفعلا ومكثا ومنزلا وقد تقدم فربا وقد اشتمل هذا القول على خمسة أنواع من

ان ربك للذين علموا السوء بجهالة
قال بعض السلف كل من عصى الله
فهو جاهل ثم تابوا من بعد ذلك
وأصلهوا أي أقلعوا عما كانوا فيه

التواب الاول لهم جنات عدن الثاني تجري من تحتهم الخ الثالث يحلون فيها الرابع
 ويلبسون الخامس متكئين (هو اضرب لهم مثلاً رجلين) هذا المثل ضربه الله سبحانه
 لمن تغرر بالديار ويستكشف عن مجالسة القراء فهو على هذا متصل بقوله واصبر نفسك
 وقد اختلف في الرجلين هل هما مقدران أو محتقان فقال بالاول بعض المفسرين وقال
 بالآخر بعض آخر واختلفوا في تعيينهما فقبل هما اخوان من بني اسرائيل أحدهما مؤمن
 واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل عليهما والآخر كافر واسمه قيطوس وهما اللذان
 وصفهما الله في سورة والصافات بقوله قال فأتل منهم اتي كان لي قرين وقيل هما اخوان
 مخزوميان من أهل مكة أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد البيل
 والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد وقيل هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه مع
 سلمان وأصحابه واتصاب مثلاً ورجلين على انهما منه ولا اضرب قيل والاول والثاني
 والثاني هو الاول (جعلنا الاحدهما) هو الكافر (جنتين) قال السدي الجنة البستان
 فكان له بستان واحد وجدار واحد وكان بينهما ما غير ذلك كالجنتين ولذلك سماه جنة
 من قبل الجدار الذي عليها وعن يحيى بن أبي عمرو والشيباني قال نهر أبي فرطس نهر الجنتين
 قال ابن أبي حاتم وهو نهر مشهور بالرملة (من أعقاب) بيان لما في الجنتين أي من كروم
 متنوعة جمع عنب والعنب الحبة (وحققناهما بخل) الحف الاحاطة ومنه حافين من
 حول العرش ويقال حف القوم بنفس لان يحفون حفاً أي أطافوا به فعني الآية وجهه
 الخل مطبقاً بالجنتين من جميع جوانبهما وهذا مما يورث الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
 موزرة بالاشجار المثمرة (وجعلنا بينهما) أي بين الجنتين وهو وسطهما (زرعاً) يقتات به
 ليكون كل واحد منهما ما جامعا للقوات والقوا كما متواصل العمارة على الشكل الحسن
 والتركيب الاتيق ثم أخبر الله سبحانه عن الجنتين بان كل واحدة منهما كانت تؤدى حملها
 وما فيها فقال (كلتا الجنتين آتت أكلها) أخبر عن كتابات لان لفظه من رد يدل على
 انتنية فراعى جانب اللفظ فذهب البصريون الى ان كلا وكلتا اسم مفرد غير مثنى وقال
 السراء هو مثنى وهو ما خوذ من كل تخفف الادم وزيدت الالف للثنية وروعت التننية
 المعنوية في قوله الآتي ونحونا خلاها ما نهر أو أكلها بضم الكاف وسكونها سبع مائة
(ولم تظلم منه شياً) أي لم تنقص من أكلها شيئاً في بعض السنين بل في كل سنة باقى ثمرها
 وافيا يقال ظلمه حقه أي أنقصه ووصف الجنتين بهذه الصفة للاشعار بانهما على خلاف
 ما يعتاد في سائر البساتين فانما في الغالب نكث في عام وثقل في عام قال ابن عباس لم ينقص
 كل شجر الجنة أطعمة (ونحونا) أي أجرنا ونأشفقنا (خلاهما) أي وسط الجنتين (نهر)
 يجري بينهما يسقيهما ما دناهما من غير انقطاع (وكان له) أي لاحدهما أو لصاحب الجنتين
(نهر) بفتح الناء والميم وكذا قرأ في قوله أحيط بثمره وقري في بضم الناء واسكان الميم
 في الموضعين وبه قرأ ابن عباس وقال هي أنواع المال قال الجوهرى النمرة واحدة النمر
 وجمع النمر تمر مثل جبل مويجالي قال السراء وجمع التمر تمر مثل كتاب وكتب وجمع النمر
 أثمار مثل عنق وأعناق انتهى والتمر مؤنث والجمع تمرات مثل قصبة وقصبات والتمر هو

من المعاصي وأقبحها وأعنى فعل
 الطاعات ان ربك من بعد ها أي
 تلك القصة والزلة لغفور رحيم
 (ان ابراهيم كان أمة فأتاه الله

المجل الذي تخرجه الشجرة سواء كل أولافيقال ثمر الاراك وثمر العوج وثمر الدوم وهو
المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب قال الازهرى ثمر الشجر أطلع ثمره أول ما يخرجه فهو
مثمر ومن هنا قيل لما لا تنفع فيه ليس له ثمره وقيل الثمر جميع المال من الذهب والفضة
والخيران وغير ذلك سمى ثمر لانه يثمر ويبد ما يؤخذ من ثمره بالتشديد اذا كثره وقيل
التمر هو الذهب والفضة خاصة قاله مجاهد (فقال) الكافر (صاحبه) المثر من (وهو
يحاوره) أى والكافر يحاور المؤمن والمعنى يراجع الكلام ويحاوره والمحاورة المراجعة
والتجاور التجاوب وحاصل ما قاله من القول السنيع ثلاث مقالات الاولى (أنا أكثر
منك مالا وأعز نفرا) النفر الرهط وهو مادون العشرة وأراد ههنا الاتباع والخدم والاولاد
والعشيرة (ودخل جنسه) أى دخل الكافر الجنة نفسه قال المفسرون أخذ يداخيه المسلم
فأدخله جنسه بطوف به فيها ويريه آثارها وبعثها وبعثها وأثمارها ويقاخر
بما ملك من المال دونه وأفراد الجنة هنا يحتمل ان وجهه كونه لم يدخل أخاه الا واحدة منهما
أو لكونهم - ما لما اتصافا كاتا كواحدة أو لانه أدخل في واحدة ثم واحدة أوله - دم تغلق
الغرض بذلك كرهما أو اواكتفاء بالواحدة وقال الحملى لم يقل جنتيه ارادة للروضه وعبارة
الشهاب أفرد الجنة مع ان له جنتين لكنته وهى ان الاضافة تأتي لما تأتي له اللام فالمراد
بهم العموم والاستغراق أى كل ما هو جنسه له ينتفع بها فيفيد ما أفادته التفتية مع زيادة
وهى الاشارة الى أنه لا الجنة له غيره - هذه انتهى وما تبعه ما قاله صاحب الكشاف أنه وحده
الجنة للدلالة على أنه لا نصيب له في الجنة التى وعد المؤمنين (وهو) أى ذلك الكافر
(طالم لثنته) بكفره وعجبه قال قتادة كنور لثمة ربه مستأنف بانى اسبب الظلم (قال)
أى الكافر لشرط غفلته وطول أملة (ما أظن ان تبعد) أى تفنى وتعدم (هذه) الجنة التى
تشاهدها (أبدا) وهذه هى الثانية من مقالاته والثالثة قوله (وما أظن الساعة قائمة)
أنكر البعث بعد انكاره لثمة جنسه قال الزجاج أخبر أخاه بكفره بفناء الدنيا وقيام
الساعة (ولتزدت الى ربى) اللام هى الموطنة للقسم والمعنى انه واقف ان يرد الى ربه
فرضا وتقديرا كما زعم صاحبه واللام فى (لا جدن) جواب القسم والشرط أى لا جدن
يومئذ (خير منها) على الافراد على ما فى مصاحف أهل البصرة والكوفة أى من هذه
الجنة وفى مصاحف مكة والمدينة والشام منهما (منقلبا) هو المرجع والعاقبة لانها فانية
وذلك باقية قال هذا اقسام الغائب على الحاضر وانه كما كان غنيا فى الدنيا سيكون غنيا فى
الآخرة أغتر ارامنه بما صار فيه من الغنى الذى هو الاستدراج له من الله (قاله) أى
للكافر (صاحبه) المؤمن وقد تعقبه فى الثلاثة على ميل اللب والفسر المشوش (وهو
يحاوره) أى مال محاورته له منكرا عليه ما قاله (أكرت) بقولك ما أظن الساعة قائمة
استفهام توهم وتقرير أى لا ينبغي ولا يليق ما - الكثر بالذى خلقك) أى جعل أصل
خلقك (من تراب) حيث خلق أباك آدم منه وهو أصلك وأصل مادة لبشر فلكل فرد
حظ من ذلك وقيل يحتمل انه كان كافرا بالله فأنكر عليه ما هو عليه من الكفر ولم يقصد ان
الكفر حدث له بسبب هذه المقالة (ثم من نطفة) وهى المادة القرية (ثم والرجلا)

حينئذ أوليك من المشركين شاكرا
لأنعمه اجتياده وهداه الى صراط
مستقيم وآتيناك فى الدنيا - نة
وانه فى الآخرة لمن الصالحين ثم

أى صبرك وجعلك انسانا ذكرا بالغ الرجال وعدل أعضائك وملكك وهو ظاهر كلام
الحقوقي وقيل انه حال ومن الجلة ثمان يسويه غير رجل وهو كقولهم خلق الله الزرافة يديها
أطول من رجلها والاول أولى وانما جعل ككفره بالبعث ككفر بالله لان منشأ الشك
في كمال قدرة الله فلذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب وفي هذا تلويح بالدليل
على البعث وان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (لذلك) أصله لكن أنا ونمير (هو)
للشأن والمعنى أنا أقول (الله ربى) قال أهل العربية اثبات ألف أنا فى الوصل ضعيف
وعن الكسائى الأصل لكن الله هو ربى أنا وقال الزجاج اثبات الالف فى ذلك فى الادراج
جيد لانها قد حذفت الالف من أنا فجاء بها عوضا قال وفى قراءة أبي لكن أنا هو الله ربى
ولا خلاف فى اثباتها فى الوقف وتكم فى الجمل على هذا الالف باطول من هذا ثم نفي عن
نفسه الشرك بالله تعالى فقال (ولا أشرك بربى أحدا) فيه إشارة الى ان أخاه كان مشركا
ثم أقبل عليه بعلومه على الثانية فقال (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) لولا للتخصيص أى هلا
قلت عندما دخلتها (ما شاء الله) قال الفراء والزجاج هلا قلت حين دخلتها الامر بعيشة الله
وما شاء الله كان وقيل كأن أى أى شئ شاء الله كان فقد أمر جنتك من الحسن والتفاحة
لخالقه ولا تنقصه لانه ليس من صنعك وقوله (لا قوة الا بالله) من جملة مقول القول أى
هلا قلت هاتين الجنتين تحضه بفضاله على الاعتراف بانها وما فيها بعيشة الله تعالى ان شاء
أبقاها وان شاء أفناها وعلى الاعتراف بالعجز وان ما تبسر له من عمارتها وحسنها ونصارتها
انما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته وهذا نصيح من المؤمن للكافرون بيجله على قوله
ما أظن ان تبدي هذه أبدا قال الزجاج لا يقوى احد على ما فى يده من ملك ونعمة الا بالله
ولا يكون الا ما شاء الله أخرج ابن أبى حاتم عن أسماء بنت عيسى قالت علمنى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كلمات أقولهن عند الكرب الله الله ربى لا أشرك به شيئا وأخرج أبو يعلى
وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما أنتم الله على عبد نعمة فى أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله الادفع الله
عنه كل آفة حتى تأتية منيته وقرأ هذه الآية وفى اسناد عيسى بن عون وروى عن أنس
نحوه موقوفا وأخرج أحمد من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش قلت نعم قال أن تقول لا حول
ولا قوة الا بالله وقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم
قال له ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقد وردت أحاديث وآثار
عن السلف فى فضل هذه الكلمة ثم لما علمه الايمان وتفرغوا الى الله سبحانه أجابه
عن افتقاره بالمال والنصر فقال (الإن زن) الرؤية علمية أو بصرية (أنا أقول) بك ما لا
يولد أى لاجل ذلك تكبر وتعتظم على ويجوز فى أوجهان أحدهما أن يكون
مؤكدا للالتكامل والثانى انه منه به الفصل بين المفعولين وأقل مفعول ثان أو حال
بحسب الوجهين فى الرؤية الا انك اذا جعلت بصرية تعين فى أنا أن يكون توصيفا
لافصلا لان شرطه ان يقع بين مبتدأ وخبر وما أصله المبتدأ والخبر وقرأ عيسى بن عمر أفل

أوحينا اليك أن اتبع له ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين
يدع تعالى عبده ورسوله وخليفه
ابراهيم امام الحنفاء ووالد الانبياء

بالرفع وتعين ان انا مبتدأ وأقل خبره والجملة اما في موضع المفعول الثاني واما في موضع الحال على ما تقدم في الرؤية وما لا ولد اتميزان وجواب الشرط قوله (فعسى ربي أن يؤتيني) أي ان ترى أفقر منك فاننا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة (خير من جنتك) في الدنيا أو في الآخرة وفيه ما وفي الاول يكون الكافر أشد غبطة وحرارة وهذا رجا من المؤمن وقرع على مقالة الكافر الاولى (ويرسل عليها) أي على جنتك (حسانا) هو صدر بمعنى الحساب كالغفران أي مقدره الله عليها او وقع في حسابها سبحانه وهو الحساب بتعريفها قال الزجاج الحساب من الحساب أي يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب ما كسبت يدك وهو حسن وقال الاخفش حسانا أي مراعى وقيل نارا (من السماء) واحدة حسانة وكذا قال أبو عبيدة والقتبي والكرخي وقال ابن الاعرابي الحسانة العصابة والوسادة والصاعقة وقال قتادة حسانا عذابا وقال الضر بن شميل الحساب هم ام يرمى بها الرجل في جوف قصبه تنزع في قوس ثم يرمى به شرين منها دفعة والمعنى يرسل عليها مراعى من عذابه ما يرد واما حجارة أو غيرها مما يشاء من أنواع العذاب (فتصبح صعيدا زلقا) مثل الحجر قاله ابن عباس أي فتصبح جنة الكافر بعد ارسال الله سبحانه عليها حسانا أرضا جردا ملسا لا نبات فيها ولا ثبات عليها قدم وقال قتادة أي قد صعدا فيها فلم يترك فيها شيء وفي اللغة من جلة معاني الصعيد وجه الارض وزلقا أي زل فيه الاقدام للملاسة يقال مكان زلق بالتحريك أي دحض وقيل رملاها نارا وهو في الاصل صعدا قولك زلقت رجلك زلقا وزلقا وزلقا غيرة والمزقة الموضع الذي لا تثبت عليه قدم وكذا الزلاقة وصف الصعيد بالمصدر مبالغة أو أريد به المفعول وصيرورتها كذلك لانه متصل بآياتها وأخبارها بالذهاب والاهلاك فلم يبق له أثر (أو يصبح ماؤها غورا) أي ذاهبا في الارض لانه لا يدى ولا دلاء ولا سبيل اليه والغور الغائر وصف الماء بالمصدر مبالغة والمعنى انها تصبح عادمة للماء بعد ان كانت واجدة له وكان خلاها ذلك النهر يسقيها دائما ويحيى الغور بمعنى الغروب والعطف على يرسل دون تصح لان غور الماء لا يتسبب عن الصواعق والمرامى قال أبو حيان الا ان عني بالحسان القضاء الالهى فيقتضى تسبب عنه اصباح الجنة صعيدا زلقا أو اصباح ماؤها غورا (فلن تستطيع له طلبا) أي لن تستطيع لطلب الماء الثقات فضلا عن وجوده وورده ولا تقدر عليه بميلة من الخيل تدركه بها وقيل المعنى فلن تستطيع طلب غيره عوضا عنه ثم أخبر بهانه عن وقوع ما رجا من ذلك المؤمن وتوقعه من اهلاك جنة الكافر فقال (وأحيط بثمره) أي أمواله كالنقد والواشي وهذا راجع لقوله وكان له نرا وصل الا حاطة من احاطة العدو بالشخص كما تقدم في قوله الا أن يحاط بكم وهي عبارة عن اهلاكه واقفائه ربه معطوف على مقدر كانه قيل فوقع ما توقعه المؤمن فهلكت جنتم بالصواعق وزر الماء وأحيط بثمره أي احاط العذاب واهلاك بثمره (فاصبح) أي صار صاحبها الكافر (يقطب كفيه) أي يضرب احدى يديه على الاخرى ويصق بـ كفف على كف وهو كناية عن الندم والتصر كانه قيل فاصبح ينسدم (على ما اتفق فيها) أي في عبارتها واصلاحها لمن الاموال وقيل

ويرثه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال ان ابراهيم كان كان أمة فانا لله حينئذ فاما الامة فهو الامام الذي يفقدى به والقائ

المعنى يقبل ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق لان الملك قد يبرعه بالادمن قوله -
 في يد ممال وهو بعيد جدا - قال قتادة يصنف على ما أنفق فيه ما مثله فما على ما فاته
 (وهي خاوية على عروشها) أى والخال ان تلك الجنة - ساقة على دعاها التي ته - مدبرها
 الكروم أو ساقة بهض تلك الجنة على بهض مأخوذ من خوت النجوم تخوى اذا سقطت
 ولم تطرف نونها ومنه قوله تعالى فلك يوتهم خاوية بما ظاوا قبل وتخصيص ماله عروش
 بالذ كردون الخيل والزرع لانه الاصل وايضا ذكر اهلا كما مضى عن ذكر اهلاك الباقي
 والعرش شبه بيت من حديد يجل فوقه الثمام والجمع عروش والعرش منه وجوه عرش
 بضمتين كبريد وبرد وعرش الكرم ما به - مل مرة نعايته - عليها الكرم والجمع عرائش
 أيضا وقال الشهاب جمع عرش وهو ما يصنع لوضع عليها الكرم فاذا سقط سقط ما عليه
 (ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا) - هذه الجملة معطوفة على جملة يقاب كنية أو حال
 من ضميره أى وهو يقول بهنى انه تذ كرم وعظمة أخيه المؤمن فعلم انه أى من جهة شركه
 وطفه انه فنى عند مشاهدته لهلاك الجنة بهانه لم يشرك بالله حتى تسلم الجنة من الهلاك
 أو كان هذا القول منه على حقيقته لما فاته من العرش الديوى بل القصد التوبة من
 الشرك والندم على ما فرط منه والاول هو الاقرب اذ يؤيده قوله (ولم تكن) بالالف والياء
 صهيان (له) خبر كان (فنة) - اوهما - (نصروني من دوث الله) صفة لثمة أى فنة نادرة
 يدفع الهلاك عنها أو برذا الهالك منها أو برذمه عليه وقيل هو الخبر ورشح الاول سيديه
 والثاني المبرد واحتج بقوله ولم يكن له كذا أو أحد والمعنى انهم لم تكن له فرقة وجماعة
 يلتجى اليها وينصير بها ولا تنفعه الشر الذين افتخروهم - فمما سبق (وما كان) فى نفسه
 (منتصرا) أى متمسقا بقوته عن اهلاك الله بجملة ما اتاها منه وقادر على واحد من هذه
 الامور (هنالك) أى فى ذلك المقام وقيل يوم القيامة (الولاية) بفتح الواو النصره وبكسرها
 الملك أى القهر والاطمنة (الله) وحده لا يقد - در عليها غيره (الحق) بالجر صفة الجلالة
 وبالرفع صفة الولاية وكل من - ما راجع لفتح الواو وكسرها فالترآت أربعة وكلها سبعية
 قال الزجاج ويجوز النصب على المص - در والتوكيد كما قول - ذلك - حق - وقيل هو على
 التقديم والتأخير أى الولاية لله الحق - هالك (هو) - سبحانه (خير نوابا) أى نابة لا وليمانه
 أى اعطاء للنواب فى الدنيا والآخرة من غيره لو كان ينيب (وخير عبا) أى عاقبة قرى
 عبا بسكون القاف وضهها وهما - عسان - معنى واحد أى هو خير عاقبة لمن رجاها وآمن به
 يقال هذا عاقبة امر فلان وعقباه أى آخره ثم ضرب - سبحانه مثلا آخر لجارية قرين فقال
 (واضرب) أى اذ كروقر (لهم) أى لقومك (مثل الحياة الدنيا) أى ما يشبه الحياة
 الدنيا فى - نهان رضارتها وسر عجزها والى اللار كنوا اليها وقد تقدم هذا المثل فى سورة يس
 ثم بين سبحانه هذا المثل فقال (كماء) أى كهيئة وحال وهيئة ما فالمشبه هيئة الدنيا بهيئة
 ماء (أزلفا من السماء فاخلفا) أى تكافؤا غلظ (به) أى بسبب نزول الماء (نبات
 الارض) حتى استوى ولتنب بعضه على بعض ثم مزج الماء بالنبات فردى وحسن
 وعلى هذا كمن حق التركيب أن يقال فاخلفا لنبات الارض لكن لما كان كل من

هو انما شاع المطيع والحنيف
 المتعرف قصدا عن الشرك الى
 التوحيد والى - دأ قال ولم يكن
 المشركين قال سبحانه النورى عن

المختلطين موصوفان بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرتهم (فاصح) أي صار الثبات
 عن قريب (هشيم) يابس والهشيم الكسير واحد هشيم وهو اليابس وهو من السبات
 ما تكسر بسبب انقطاع الماعز ونفقت ورجل هشيم ضعيف البدن وتهم عليه فلان
 اذا طافوا هشم ما في ذرع الناقة اذا احتلبه وهشم الثريد كسره وثرده قال ابن قتيبة
 كل ما كان رطبا فليس فهو وهشيم (تذروه) تفرقه وتثيرة قال أبو عبيدة وابن قتيبة تذروه
 تنفقه (الرياح) قال ابن كيسان أي تذهب به وتجي والمعنى متقارب وفري تذريه يقال
 ذرنه الرياح تذروه وأذرنه تذريه - وبكى الذراع أذريت الرجل عن فرسه أي قلبته (وكان)
 الله على كل شيء (مقتدرا) أي كمال القدرة يحويه وينفيه بقدرته لا يعجز
 عن شيء (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يعمل بهم ما فيه أو هذا رد على الرؤساء الذين
 كانوا يفتخرون بالمال والغنى والابناء فاخبرهم الله سبحانه أن ذلك مما يتزين به في الدنيا
 لا مما ينفع به في الآخرة كما قال في الآية الأخرى انما هو لكم زينة وتوفى الله
 من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال لا ينفع مال ولا بنون الآية وهذا إشارة
 إلى قياس - ذقت كبراً وتقيته وتعلمه هكذا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما هو
 زينة فهو هالك غير باق ينفع المال والبنون هالكان ثم يقال وكل ما هو هالك فلا يفخر به
 فالمال والبنون لا يفخر به - ما ولهذا عقب هذه الزينة الدنياوية بقوله (والباقيات
 الصالحات) أي أعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبداً وهي ما كان يفعلها فقراء
 المساكين من الطاعات (خير) أي فضل من هذه الزينة بالمال والبنين (عند ربك ثواباً)
 وأكثر عائدة ومنفعة لأهلها (وخيراً ملاً) يعني أن الأعمال الصالحة لأهلها من الأمل
 أفضل مما يؤمله أهل المال والبنين لأنهم يسألونهم في الآخرة أفضل مما كان يؤمله هؤلاء
 الأغنياء في الدنيا وليس في زينة الدنيا خير حتى تنفصل عنهم الآخرة ولكن هذا التفضيل
 خرج مخرج قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير من غيرهم - فقرا والظاهر أن الباقيات الصالحات
 كل عمل خير فلا وجه لقصرها على الصلاة كما قال بعض ولا تقصرها على نوع من أنواع
 الذكرك كما قال بعض آخر ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب لأن العبرة
 بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبهذا يعرف أن الباقيات الصالحات في
 الأحاديث بما ساق لا ينافي إطلاق هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرها عن علي قال
 المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد جمعها الله لقوام عن ابن
 عباس قال الباقيات الصالحات - جهن الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وأخرج
 عبد بن منصور وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي عمير وابن حبان والحاكم وصححه وابن
 مردويه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال استكثروا من
 الباقيات الصالحات قبل وما هن إلا رسول الله قال التكبير والتبليغ والتسبيح والحمد
 ولا حول ولا قوة الا بالله وأخرج الطبراني وغيره عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ سبحان الله
 والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله من الباقيات الصالحات وأخرج
 الترمذي والطبراني في المعجم والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً خذوا حجتكم قبل

سأله بن كهل عن مسلم البطين عن أبي
 العبيد بن انه سأل عبد الله بن - هود
 عن الامه السات فقال الامه لم
 الخير والقانت المطيع لله ورسوله

يا رسول الله من أي عدو قد حضر قال بل جنة. كم من النار قول سبحانه الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله أكبر فانهن يأتين يوم القيامة. قد ماتت معقبات ومجربات وهي
 الباقيات الصالحات وعن عائشة مرفوعا وزادت ولا حول ولا قوة الا بالله أخرجه ابن
 أبي شيبة وابن المنذر وكل هذه الاحاديث مصرحة بانها الباقيات الصالحات وأما ما ورد
 في فضل هذه الكلمات من غير تقييد بكونها المرادة في الآية فاحاديث كثيرة لا فائدة في
 ذكرها هنا وعن قتادة كل شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات فيندرج فيها
 ما فسرته من الصلوات الخمس وأعمال الحج والعمرة وصيام رمضان والكلام الطيب
 وغير ذلك اندراجا وليا (ويوم نسير الجبال) بالنون على ان فاعله هو الله سبحانه وقرئ
 بالتحية وبالنونية على ان الجبال فاعل ويناسب الاولى قوله تعالى واذا الجبال سيرت
 ويناسب الثانية قوله تعالى ونسير الجبال سيرا ومعنى نسير الجبال ازالتهن أما كنهن
 ونسيرا كما نسير السحاب ومنه قوله تعالى رهى نزع السحاب ثم نزع الى الارض بعد ان
 جعلها الله كما قال وبست الجبال بـافـافـاف هيا منبنا والمعنى تذهب بها عن وجه
 الارض ونجعلها هيا منثورا كما نسير السحاب والخطاب في قوله (وترى الارض بارزة)
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يصلح للرؤية والرؤية بصرية ومعنى بروزها
 ظهورها وزوال ما يستترها من الجبال والشجر والنبات وقيل المراد ببروزها بروز ما فيها
 من الكنوز والاموات كما قال سبحانه وثقلت ما فيها وتخلت وقال وأخرجت الارض
 أنثا لها فيكون المعنى ترى الارض بارزا ما في جوفها قال قتادة ليس عليها بناء ولا شجر
 ولا بحر ولا حيوان وعن مجاهد نحوه (وحشرناهم) أي الخلق ومعنى الحشر الجمع أي
 جمعناهم الى الموقف من كل مكان وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه ماض مراد به المستقبل
 أي ونحشرهم وكذلك وعرضوا ووضع الكتاب الاتيان والثاني ان الواو للعال اي ننزل
 التسيير في حال حشرهم ليساهدوا تلك الاحوال والثالث للدلالة على ان حشرهم قبل
 التسيير وقبل البروز اي بنوا تلك الاحوال قاله الزمخشري قال الشيخ والاولى ان تكون
 الواو للعال (فلم تغادر) فلم تترك (منهم أحدا) والمفاد انه هنا ليس فيها مشاركة يقال غادره
 وأغدره اذا تركه ومنه الغدر لان الغادر يترك الوفاء له غدور قالوا وانما سمى الغدير غدرا
 لان الماء ذهب وتركه والـيل غادره ومنه غدا ان المرأة لا تخم تجعلها خلفه او الغديرة الشعر
 الذي نزل حتى طال (وعرضوا على ربك صفنا) أي محدوفين كل أمة وزمرة صف وقيل
 عرضوا صفنا واحدا كما في قوله ثم انشوا صفنا أي جميعا وهو بلغ في القدرة وقيل قياما
 وفي الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذي يعرض على السلاطن ليقضي بينهم لا يعرفهم
 قوله الكرخي وخرج الحافظ أبو الفوارس عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاوية بن
 جبل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل ان الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير
 قاطع يا عبادي ان الله لا اله الا أنا ارحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين
 يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا اجتماعكم ويسر واجوابكم فانكم
 مسؤولون محاسبون يا ملائكتي اقيموا عبادي على أطراف أنامل أقدامهم للهساب قال

وعن مالك قال قال ابن عمر الامة
 الذي يعلم الناس دينهم وقال
 الاعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي
 العبيدين انه جاء الى عبد الله فقال

القرطبي هذا حديث غاية في البيان في تفسير الآية ولم يذكره كثير من المفسرين وقد كتبناه
 في كتاب التذكرة انتهى ويقال لهم على ميل التقرير والتوبيخ أولا لهم (لقد جئتمونا
 كما خلقناكم) أي جئنا كما سمعناكم عند أن خلقناكم (أول مرة) أو كائنكم كما
 خلقناكم أول مرة أي حنادة عرا غرلا لا مال ولا ولد كما ورد ذلك في الحديث قال الزجاج أي
 بعثناكم وأعدنا لكم كما خلقناكم لأن قوله لقد جئتمونا معناه بعثناكم وبه قال الزمخشري
 (بل رسمتم) هذا الضراب والتقليل من كلام إلى كلام للتقريب والتوبيخ وهو خطاب
 للمكرى البعث أي زعمتم في الدنيا (أن لن نجعل لكم وعدا) نجازيكم بأعمالكم ونجز
 ما وعدناكم به من البعث والذاب (ووضع) العامة عن بناءه لله ولزبدن على على
 بناءه للفاعل وهو الله أو الملك وقوله (الكتاب) مرفوع على الأول ومنصوب على الثاني
 والمراد به صحائف الأعمال وافراده يكون التعريف فيه للبعض والوضع ما حصى بان
 توضع صحيفة كل واحد في يده السعيد في عيشته والشقي في حاله أو في الميزان وأما على أي
 أنه عمل كل واحد من خير أو شر بالحساب الكائن في ذلك اليوم وقيل توضع بين يدي الله
 تعالى (فترى المجرمين مشفقين مما فيه) أي خائفين وجلين مما في الكتاب الموضوع من
 الأعمال السيئة لما يتعقب ذلك من القصاص في ذلك الجمع والنجار قبالة ذاب التيم
 (ويشولون) إذا رآوها (يا ويلنا) يدعون على أنفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك وهو
 مصدر لافعل له من لفظه ونادوا على تشبهها بشخص يطلب اقباله كأنه قيل يا عالا كذا
 أقبل فهذا وإنك فيه استعاره ممكنة وتخييلية وفيه تفرع لهم وإشارة إلى أنه
 لا صاحب لهم غير الهلاك وطلبوا هزهم التلاويح وأما ما قدم فيه وقد تقدم تحقيقه في المائدة
 (ما) أي أي شيء ثبت (لهذا الكتاب) حال كونه (لا يغادر) لا يترك معصية (صغيرة ولا)
 معصية (كبيرة إلا احصاه) أي عدها وحواسها وضبطها وأثبتها قال ابن عباس الصغيرة
 التيسر والكبيرة الضحك وفي لفظ عنه الصغيرة التيسر بالاستسراة بالمؤمنين والكبيرة
 القهقهة بذلك وقال سعيد بن جبيرة الصغرة الهمة والمس والقبلة والكبيرة الزنا وأقول
 صغيرة وكبيرة ذكرنا في سياق النفي فيدخل تحت ذلك كل ذنب يتصف بالصغر وكل ذنب
 يتصف بالكبر فلا يقي شيء من الذنوب إلا احصاه الله وما كان من الذنوب ما ليس بين كونه
 صغيرا أو كبيرا فذلك إنما هو بالنسبة إلى العباد لا بالنسبة إلى الله سبحانه وهذا لا ينافي قوله
 تعالى أن تجتنبوا كما أمرتمهم من هذه الآية إذ لا يلزم من عدم التكفير أن يجوز أن
 تكذب الكافر ليأشاهد ما العبد يوم القيامة ثم تكفر عنه فعلم قدر نعمة العفو عليه قاله
 الكرخي والاستغفار لهم للتعجب منه في ذلك (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من المعاصي الموجبة
 للعقوبة أو وجدوا جزاء ما عملوا (حاضرا) مكتوبا ثبتا في كتابهم (ولا ينظرون أحدًا)
 أي لا يعاقب أحد من عباده بغير ذنب ورم ولا ينظر فاعل الطاعة من أجرة النفي
 يستحقه وإنما سمى هذا الظلم بحسب عقولنا لو خلقت ونفسهم ولو فعله الله لم يكن ظالما في حقه
 لأنه لا يستل عما يفعل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض
 الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضة أن تجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة

من نسال اذا لم نسالك فكان
 ابن مسعود رفته فقال اخبرني
 عن الائمة فقال الذي يعلم
 الناس الخبر وقال النبي حدثني

فعنه ذلك تطير الصحف في الابدى فاتخذ بيمنه واتخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال
لا يصح من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى
ثم انه سبحانه عاد الى الرد على أرباب الخيلاء من قريش فذكر قصة آدم واستكبار ابليس
عليه فقال (واذ قلنا للملائكة) أى واذا كروا قولنا لهم (اسجدوا لآدم) فيجود
تحية وتكريم بالخروج منكم امر تحفة به (فسجدوا) طاعة لامر الله وامثالاً لطلبه
السجود (الابليس) فانه أبى واستكبر ولم يسجد (كان من الجن) مستأنفة
ليان سبب عصيانه وان لم يكن من الملائكة فلهذا عصى والاستثناء منقطع وابليس هو
أبو الجن وأصلهم كان آدم أصل الانس وله ذرية ذكرت معه بعد الملائكة لاذرية لهم
وقيل كان من جن من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وعلى هذا القول
فقد نقل عن ابن عباس أن هذا النوع يتوالد وليس معصوماً والاستثناء متصل وكونه من
الملائكة لا ينافى كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك أن
قريشاً قالت ان الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملائكة من جنات وتعضده اللغة لأن
الجن من الاجتنان وهو الارتفاع فدخل الملائكة فيه فكل ملائكة جن لاستجارهم وليس
كل جن ملائكة فوجه كونه من الملائكة ان الله سبحانه استثناء من الملائكة والاستثناء
يفيد اخراج ما لا يدخل أو يخرج دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال
أنه من الجن هذه الآية والجن جنس مخالف للملائكة واجيب عن الاستثناء بانه منقطع
كما تقدم وهو مشهور في كلام العرب قل تعالى واذا قال ابراهيم لا يبيد وقومه انى براهما
تعبدون الا الذى فطرنى وقال تعالى لا يسمعون فى القوا الاسلاما (فصدق عن امر ربه)
أى خرج عن طاعته بترك السجود لا آدم عليه السلام قال الذرارة تقول العرب فسقت
الرتبة عن قشرها لم يوجها منه قال النحاس اختلف فى معناه على قولين الاول مذهب
الخليل وصيبويه ان المعنى أنا الذى فسق لم امر فعصى فكان سبب فسق امر ربه كما تقول
أطعمه من جوع والقول الآخر قول قطرب ان المعنى على حذف المضاف أى فسق عن
ترك امره وعن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن فكان ابليس منهم
وكان يوسوس ما بين السماء والارض فعصى فخطب الله عليه فخطبه شيطانا رجيا وعنه
قال كل خازن الجنان فسمى بالجنان وعن الحسن قال قاتل الله أقواما زعوا ان ابليس كان
من الملائكة والله يقول كان من الجن وعنه قال ما كان من الملائكة طرفة عين انه لا يصل
الجن كان آدم أصل الانس ثم الله سبحانه عجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي
وخالف امر الله فقال (أفتصدونه) كأنه قال أعقبت ما وجدته من الايادى والفسق
تصدونه (و) تصدون (ذرية) أى أولاده وقبل اتباعه مجازا قال قتادة يتوالمون كما
يتوالد بنو آدم وقال مجاهد من ذرية ابليس لاقس وولها ن وهما باحبا الطهارة والصلاة
الاذان يوسوسان فيهما ومن ذرية مرة وبه يكتفى ولنسور وبنة والاعور ومطروس
وداسم (أوليا من دولي) فتطيعونهم بدل طاعتي وتقبلونهم بي (و) الحال ان (هم)
أى ابليس وذريته (لكم عدو) أى أعداء وأفرده ليكون اسم جنس أو تشبيه

فروة بن نوفل الانصبي قال قال
ابن مـ وردان معاذاً كلن أمة فأتنا
الله حنيفة فقلت في نفسي غلط ابو
عبدالرحمن وقال انما قال الله ان

بالمصادر كما في قوله فانهم عدوا لى الارب العالمين وقوله هم العدو أى كيف تصنعون هذا
 المصنوع وتستبدلون بين خالقكم وأنتم عليكم بجميع ما أنتم فيه من الذم عن لم يكن لكم
 منه منفعة قط بل هو عدوا لكم بترقب حصول ما يضركم فى كل وقت (بئس للظالمين)
 الواضعين للشيء فى غير موضعه المستبدان بطاعة طاعة الشيطان فبئس ذلك البديل
 الذى استبدلوه (بدلا) عن الله سبحانه والتقدير بئس البديل البليس وذريته (ما أشهدتهم
 خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) قال أكثر المفسرين الضمير للشركا والماعى
 انهم لو كانوا شركاء لى فى خلقهم ما وفى خلق أنفسهم لكانوا مشاهدين خلق ذلك مشاركين
 لى فيه ولكم لم يشاهدوا ذلك ولا شهدتهم اياه أنا ناليس والى شركاء وهذا السند لال
 بالافاء اللازم المساوى على انتفاء الملزوم وقيل الضمير لى الذين التمسوا طرد فقراء
 المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركاء لى فى تدبير العالم بديل انى ما شهدتهم خلق ذلك وقيل
 المعنى ان هؤلاء الظالمين جاهلون بما جرى به القلم فى الازل لانهم لم يكونوا مشاهدين خلق
 العالم فكيف ينكتم ان يحكموا راجح حالهم عند الله وقيل ما شهدت الملائكة فكيف
 يعبدونهم وقيل جميع الخلائق والاول من هذه الخيرة أولى ما يلزم فى الوجهين
 الآخر من تنكيت الضميرين وهذه الجملة متأنفة لبيان عدم احتجاجهم للاخذ
 المذكور وقرئ ما شهدناهم ويؤيد الاولى (وما كنت متخذ المضامين عضدا) أى
 ما اعتضدت بهم بل هم كسائر الخلق وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اذا المراد بالمضامين من
 اتقى عنهم اشهاد خلق السموات والارض والعصديت بعمل كثير فى معنى العون وذلك
 ان العضد قوام اليد ومنه قوله سنشد عضدك يا خيك أى سنعينك ونقويك به ويقال
 عضدت بفلان اذا استعنت به وذكر العضد على جهة المثل وأصله العضو الذى هو من
 المرفق الى الكتف فى الكلام استعانة وخص المضامين بالذ كر لزيادة الذم والتوبيخ والمعنى
 ما استعنت بهم على خلقهم ولا شاورتهم وما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانا
 ووجد العضد موافقة الفواصل وقرئ ما كنت على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله
 وسلم أى ما كنت يا محمد متخذهم عضدا ولاصح لك ذلك وفى عضدات أفصعها فتح العين
 وضم الضاد وبها قرأ الجمهور ثم عاد سبحانه الى ترهيبهم بأحوال القيامة فقال (و) اذكر يوم
 يقول الله عز وجل لى الكفار تو بيا لهم وتقر بها (نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم
 ينفعونكم ويشفعون لكم وأضافهم سبحانه الى نفسه جريا على ما يعتقده المشركون تعالى
 الله عن ذلك علوا كبيرا (فدعوهم) أى فعلوا ما أمرهم الله به من دعاء الشركاء واستعانوا
 بهم المعنى على الاستقبال كما هو ظاهر (فلم ينجيهم) ذلك ولم ينصروهم أى لم ينق
 منهم مجرد الاستجابة لهم فضلا عن ان ينفعوهم أو يدفعوا عنهم (وجعلنا بينهم) أى
 بين هؤلاء المشركين وبين من جعلوهم شركاءا وبين المؤمنين والكفار (مزبغا) ذكر
 جماعة من المفسرين انه اسم واحد عتيق فى جهة ثم فرق الله تعالى بينهم وبه قال أنس
 وزاد من قيصودم وقال ابن عمر فرق الله بينهم يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة
 وقيل هو نزل لى منه نار وعلى حافته مثل البغال المدهم وقيل الموبق البرزخ

ابراهيم كان امة فقال تدرى ما الامة
 وما القانت قلت الله أعلم فقال
 الامة الذى يعلم الخيروالقانت
 المطيع لله ورسوله وكذلك كان

البعيد لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان وعلى هذا فهو اسم مكان قال ابن الاعراب
 كل حاجر بين الشيئين فهو موبق وقال القراء الموبق المهلك ربه قال مجاهد وابن عباس
 والمعنى جعلنا نواصلهم في الدنيا مهلكهم في الآخرة يقال وبقي بوق فهو وبقي هكذا ذكره
 القراء في المصادر وحكى الكسائي وبقي وبوقا فهو وباق والمراد بالمهلك على هذا هو
 عذاب النار يستمر كون فيه والاول اولى لان من جملته من زعموا انهم نزلوا الله الملائكة
 وعزير والمسيح فالموبق هو المكن الخائل بينهم وقال أبو عبيدة الموبق هنا الموعد للهلاك
 وقد ثبت في اللغة وبتهم بمعنى أهلكهم ولم يكن المناسب للمعنى الآية هو المعنى الاول
 (ورأى المحرمون النار) أي عاينوها من مسيرة أربعين عاما وهو موضوع موضع الضمير
 للإشارة الى زيادة الذم لهم بهم هذا الوصف المسجل عليهم به (فقلوا) أي أيقنوا (انهم هم
 مواقعوها) أي داخلوها واقعون فيها والمواقعة الخاطئة الوقوع فيها وقيل ان الكفار
 يرون النار من مكان بعيد فيظنون ذلك ظنا (ولم يجدوا عندهم سرا) أي معديلا يعدلون
 اليه أو انصرفوا لان النار قد أحاطت بهم من كل جانب قال الواحدي المصروف الموضع
 الذي ينصرف اليه وقال القتيبي أي معديلا ينصرفون اليه وقيل لما لم يجدوا ان اليه والمعنى
 متقارب في الجميع ولما ذكر سبحانه افتخار الكثرة على فقر المؤمنين بأموالهم وعشائرهم
 وأجابه عن ذلك وضرب لهم الامثال الواضحة حكى بعض أهوال الآخرة فقال (ولقد
 صرفنا) أي كررنا ورددنا وبنينا (في هذا القرآن للناس) أي لأجلهم ولرعاية مصالحهم
 ومنفعتهم (من كل مثل) من الامثال التي من جملتها الامثال المذكورة في هذه السورة
 لينذروا ويتعظوا وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة بني اسرائيل وحين لم يترك الكفار
 ما هم فيه من الجدل بالباطل ختم الآية بقوله (وكان الانسان أكثر شقا جديلا) أي
 خدومة في الباطل قال الزجاج المراد بالانسان الكافروا استدلل عليه بقوله تعالى ويجادل
 الذين كفروا بالباطل وقيل المراد به في الآية النضر بن الحرث وقيل أراد النبي بن خلف
 والظاهر العموم وان هذا النوع أكثر شقا من الجدل جديلا وبؤيدا ذماما
 في الصحابين وغيرهما من حديث علي بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طارقه وفاطمة ليلة
 فقال ألا تصاب ان فقلت يا رسول الله ان أنفاسنا يد الله ان شاء ان يعذبنا به فأنصرف
 حين قلت ذلك ولم يرجع الى تشيبتهم معناه يضرب نخذهم يقول كان الانسان أكثر شقا
 جديلا (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) قد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة
 بني اسرائيل والناس هنا أهل مكة والهدى القرآن ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم
 (وبتغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين) المعنى على حذف حضاف أي ما منع الناس
 من الايمان والالتفات تغفروا الا طلب أو اخطار اني ان سنة الاولين وانما احتج الى حذو
 المضاف اذ لا يمكن جعل اثنين سنة الاولين مانعا عن ايمانهم فان المانع بقارن الممنوع
 وايمان العذاب ما أخر عن عدم ايمانهم مدة كثيرة وزاد الاعتذار في هذه السورة لانه
 قد ذكرنا ما فرط منهم من الذنوب التي من جملتها جحد الهم بالباطل وسنة الاولين هو أنهم
 اذا لم يؤمنوا عذبوا عذاب الاستئصال حال قتادة عفة به الآية لانه قال الا حاسر مستند

ما اذ قد روى من غير وجه عن ابن
 مسعود اخرج ابن جرير قال
 مجاهد أمة أي أمة وسد والقائات
 المعاصيع وقال مجاهد ايضا كان

قوله - ثم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية (أوبائهم العذاب) أي عذاب الآخرة (قبلا) جمع قبيل قاله الزمخشري أي متفرقا لئلا يلو بعضه بعضا وقيل عيانا وجهه اراقه الا عيش وقيل فجاءه قاله مجاهد ويناسب ما قاله القراء قراءة قبلا بصوتين فانه جمع قبيل نحو سبيل وسبيل والمراد أصناف العذاب ويناسب التفسير الثاني أي عيانا قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي مقابلة ومعاينة وقرئ بصوتين على معنى أوبائهم العذاب - مستقبلا فاصل معنى الآية انهم لا يؤمنون ولا يبست تغفرون الا عند نزول عذاب الدنيا المستأصل لهم أو عند اتیان أصناف عذاب الآخرة أو معاينته (وما ترسل المرسلين) من رسلنا إلى الأمم (الا) - كل كونهم (بشرين) لهم ومبين (ومندرين) للكافرين فالاستثناء مفرغ من أعم العام وقد تقدم تفسير هذا (وبجادل الذين كفروا بالباطل) - متأنف (لبدحضوا به) أي ليلجوا بالجدال الباطل (الحق) ويطلبوا أصل الدحض الرائق يقال دحضت رجلا أي رافقت تدحض دحضوا ودحضت الشمس عن كبد السماء أي زالت ودحضت حجته - وضابطات والدحض الطين لانه يراق فيه ومن مجادلة هؤلاء الكفار بالباطل قواهم للارسل ما أنتم الا بشر مثنا وقوله - ثم أبعث الله بشرا رسولا وشو ذلك (واتخذوا آياتي) أي القرآن (و) اتخذوا (ما أندروا) به من الوعيد والتمديد وما عني الذي أومص - مدبرة قاله أبو حيان (هزوا) أي لعبوا باطلا وقد تقدم هذا في البقرة (ومن) أي لأحد (أظلم) لنفسه (ومن ذكر) وعظ وقد روي لفظ من في خمسة ضمائر هذا أولها وورع معناها في خمسة أولها قوله على قلوبهم (بآيات ربه) التنزيلية أو التكوينية أو مجموعها (فأعرض عنها) أي عن قبولها فتهاون بها ولم يتهربوا حق التدبر ولم يتذكروا حق التذكير وكروا بها ولم يؤمن بها وأتوا بالفناء لذلك على التعقيب لان ما هنا في الآحاد من الكفار فانهم ذكروا فأعرضوا عقب ما ذكروا وقاله في السجدة يتم الدالة على التراخي لان ما هنا في الاموات من الكفار فانهم ذكروا مرة بعد أخرى ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا (ونسي ما قدمت يدها) من الكفر والمعاصي فليتب عنها وقال قتادة ما سلف من الذنوب الكثيرة قبل والنسيان هنا بمعنى التلذذ والتشاغل والتغافل عن كفره المتقدم وقيل هو على حقيقته (انا جاعل على قلوبهم أكنة) أي أغشية جمع كان وفي القاموس انه جمع كن أبضا ونصه والكن وقاه كل شيء وسيره كالكنة والكن بكسرهم أو الجمع أكنان وأكنة والجملة تعليل لاعراضهم ونسيانهم قال الزجاج أخبر الله سبحانه ان هؤلاء طبع على قلوبهم (أن يفقهوه) أي لتلاية قهوه (و) جعلنا (في آذانهم وقرا) أي نقلا وصمما يمنع من استماعه سمع انتفاع وقد تقدم تفسير هذا في الانعام (وان يدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) لان الله تعالى قد طبع على قلوبهم بسبب كفرهم ومما صمهم (وربك الغفور ذو الرحمة) أي كثير الرحمة بلغها وصاحب الرحمة التي وسعت كل شيء فلم يعاجلهم بالعقوبة ولهذا قال (لو يؤاخذهم) الله (بما كانوا) أي بسبب ما كانوا من المعاصي التي من جعلنا

ابراهيم امة اي مؤمنوا - ده
والناس كلهم اذ ذاك كفار وقال
قتادة كان امام هدى والقائت
المطيع لله وقوله شاكر الا انه

الكفرو المجادلة والأعراض وقال ابن عباس بما عملوا (أجل لهم العذاب) أي عذاب
 بالاستئصال في الدنيا لاستحقاقهم لذلك (بل) جعل (لهم موعد) مصدر أو مكان أو زمان
 أي أجل مقدر لعذابهم قيل هو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر وعن السدي يوم القيامة
 (إن يجدوا من دون) أي من دون الله أو العذاب والناس في أولي وأبلغ دلالة على أنهم
 لا يجدون لهم فإن من يكون ملجأ العذاب كـ فيرى وجه الخلاص (موثلاً) أي ملجأ
 يلجئون إليه ومرجعاً إليه قال ابن عباس وقال أبو عبيدة منجاً وبه قال ابن قتيبة وقيل
 محيصاً وعن مجاهد قال محرزاً (وثالث القري) أي قري عاد وغرد ولوط وأمثالها
 (أهل كاهن) هذا خبر اسم الإشارة والمعنى أهل القري أهل كاهن في الدنيا (لما طأوا) أي
 وقت وقوع الظلم منهم بالكفر والمأسي (وجعلنا المهلكهم) في الآخرة المهلك هو
 مصدريه ذلك وقال الزجاج اسم للزمان والتقدير لوقت هلكهم (موعداً) أي وقتاً
 معيناً وهو يوم القيامة فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم (و) اذكر (اذ قال
 موسى لنتاء) قيل ووجه ذكر هذه القصة في هذه السورة أن اليهود لما سألوا النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم عن قصة أصحاب الكهف وقالوا إن أخبركم فبه ونبي والافلاذ كراته
 قصة موسى والخضر تنبيهاً على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يلزمه أن يكون عالماً
 بجميع القصص والأخبار وقد اتفق أهل العلم على أن موسى المذكور ههنا هو موسى بن
 عمران من سبط لاوي بن يعقوب قال الكرخي هذا هو الأسع كما قاله ابن عباس وعليه
 الجمهور من العلماء وأهل التاريخ وأبس في القرآن. وبني غيرة وقالت فرقة منهم نوف
 البكالي أنه ليس موسى بن عمران وإنما هو موسى بن ميثي بن يوسف بن يعقوب وكان نبياً
 قبل موسى بن عمران وهذا باطل قدرده السلف الصالح من الصحابة في بعدهم منهم ابن
 عباس كافي صحيح البخاري وغيره كيف ولو أراد شخصاً آخر لوجب تعريضه بصفة توجب
 الامتياز بينهم ما وترى بل الشبهة فلم يميزه بصفة علمنا أنه موسى بن عمران والمراد بفتاه هو يوشع
 ابن نون بن افرايم بن يوسف وقيل أنه أخو يوشع وقيل أنه عبده بدل قوله صلى الله عليه
 وآله وسلم لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاى وقتاى والاول أولى وأصح وقد جاء الله
 بعد موسى قال الواحدى أجهو على أنه يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المسألة وفي آخر
 سورة يوسف ومن قال أن موسى هو ابن ميثي قال أن هذا الفتى لم يكن يوشع بن نون قال
 القرافي وإنما سمى فني موسى لأنه كان ملازمه يأخذ عنه العلم ويخدمه ويتبعه وهذا بيان
 وجه إضافته لموسى وكان ابن أخته ومعنى (لأبرح) لأزال ما أثره منه قوله إن نبح
 عليه أكفنب وبرح إذا كان بمعنى زال فهو من الأفعال الناقصة وخبره محذوف لظلاله
 ما بعده وهو (حتى أبلغ) أي أنتهى والابن زيد (تجمع البحرين) أي ملتأها ما قال
 الزجاج لأبرح؛ بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولأن قوله حتى أبلغ
 غاية مضمومة فلا بد لها من ذي غاية فالعنى لا أزال أسير إلى أن أبلغ ويجوز أن يراد لا يبرح
 مسيرى حتى أبلغ وقبل معناه لا أفرق حتى أبلغ وقيل يجوز أن يكون من برح التام بمعنى

أي فأنما يشكر نعم الله عليه كقوله
 تعالى وأبراهيم الذي وفى أي قام
 بجميع ما أمره الله تعالى به وقوله
 اجتنباه أي اختاره وأصله طناه

كقوله ولقد آتينا إبراهيم رشده
من قبل وكنا به عالمين ثم قال وهداه
إلى صراط مستقيم وهو عبادة
الله وحده لا شريك له على شريع

زال نزول فلا تستدعي خبرا بمعنى لا أنزل عما أتاه عليه من البر والطلب ولا افارقة قيل
المراد بالبحرين بحر فارس والروم وهما نحو المشرق والمغرب قاله قتادة وقيل بحر الأردن
وبحر القلزم وجمع البحرين عند طنجة قاله محمد بن كعب وقيل بآخر بقية قاله أبي بن كعب
وقيل إن ملتقا هما عند البحر المحيط وقالت طائفة المراد بالبحرين موسى والخضر وهما من
الضعف فكان وقد حكى عن ابن عباس ولا يصح (أو أمضى) أي أسير (حقا) أي زمانا
طويلا قال الجوهرى الحطب بالضم غانون سنة وقال مجاهد سبعون خريفا وقيل سنة
واحدة بلغة قريش وفي معناه الحقة بالكسر والضم وتجمع الأولى على حطب بكسر
الحاء كقربة وقرب والثانية على حطب بضم الحاء كغرفة وغرف وقال النحاس الذي يعرفه
أهل اللغة أن الحطب والحقة زمان من الدهر مهم غير محدود كما كان رهطا وقوماءهم - ما
غير محمد ودوين وجمعه أحزاب وسبب هذه العزمة على البر من موسى عليه السلام
- روى أنه سئل موسى من أعلم الناس فقال أنا فأوحى الله إليه أن عبد الله إلى مجمع البحرين
هو أعلم منك (فلما بلغا) أي موسى وقتاه (تجمع بينهما) أي بين البحرين وأضيف
تجمع إلى الطرفين توجها وقيل البين بمعنى الافتراق أي البحران المقتربان بجمعهما عن هناك
وقيل بالضم لموسى وخضر أي وصلا الموضع الذي يكون فيه اجتماع ثلثهما ويكون
البين على هذا بمعنى الوصل لأنه من الاضداد والاول أولى (نسب ما حوتها) قال
المفسرون أنهم - ما تزودا حوتا عظيما شقوق البطن في زينة بل وكأنا يصيبان منه عند
حاجتهم ما إلى الطعام وكان قد جعل الله فقد أنه أمانة له - ما على وجدان المطلوب والمعنى
أنهم ما نسب ما تشد أمره وقيل الذي نسب إنما هو قتي موسى لأنه وكل أمر الحوت إليه
وأمره أن يخبره إذا فنده وإنما أضاف النسيان إليهما لأنهما تزوداه - فتره - ما والثاني
أولى لقوله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا زادهم وإنما نسباه منه بعد الزاد فلما انتهى
إلى ساحل البحر وضع فتاء المكنل الذي فيه الحوت فأحياء الله فقصر رك واضطرب في
المكنل ثم انسرب في البحر واه - ما قال (فالتحذ ذسبيله في البحر مربا) أي اتخذ الحوت
سبيلا مربا وهو النقي الذي يكون في الأرض للضب ونحوه من الحيوانات قال - عيدين
جبراً ثم يابس في البحر كما في بحر وذلك أن الله - سبحانه - لا يجر به الماء على الموضع
الذي انسرب فيه الحوت فصار كالطاق فتسببه مسلك الحوت في البحر مع بقائه وانحباب
الماء عنه بالسرب الذي هو الكوة المحفورة في الأرض قال القراء - ما في الماء جسد
مذهبه في البحر فكان كالسرب فلما جاوز ذلك المكان الذي كان عند المحفورة وذهب
الحوت فيه انطلقا فاصابهما ما يصاب المسافر من التعب والكلال ولم يجدوا النصب حتى
جاوزا الموضع الذي فيه الخضر ولهذا قال - سبحانه - (فلما جاوزا) مجمع البحرين الذي جعل
موعد الله للاقاة (قال لفتاه آتاهما) - ما - ما يوجب بالقدرة وأراد موسى أن يأتيه
بالحوت الذي حملاه معه (لقد لقيت من - فترناه ذانصباً) أي تعباً واعيا وشارة
هذا إلى الله - فترنا كان منه - ما بعد تجاوز الموعود فامسح بالمجد النصب إلا في ذلك دون
ما قبله والنصب بفتح النون والصاد وبعضهم - ما - فترناه من لغات أربع في هذه اللفظة

قاله أبو الفضل الدارمي في لوائحه (قال) لموسى قتاه (أرأيت) معنى الاستفهام تنجييه
لموسى عما وقع له من التسيان هناك مع كون ذلك مما لا يكاد ينسى لانه قد شاهد أمرا
عظيما من قدرة الله الباهرة (أذا وينا الى الصخرة) وكانت عند مجمع البحرين الذي
هو الموضع وانما ذكرها دون ان يذكر مجمع البحرين لكونهم امتضه لزيادة تعيين المكان
ولاحظة ان يكون المجمع مكانا متعينا مأول مكان الصخرة وغيره (فاني نيت الحوت) أي
نيت ان أذكر لك أمرا وما شاهدت منه من الامور العجيبة وأوقع التسيان على الحوت
دون الغداء الذي تقدم ذكره لبيان ان ذلك الغداء المطلوب هو ذلك الحوت الذي جعله لاه
زاد الهما وأما قوله جدان مطلوبهم مائة ذكرا ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك
التسيان فقال (وما انسانيه الا الشيطان) بما يقع منه من الوسوسة (ان أذكره)
بدل اشمال من الضمير في انسانيه وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان أذكره الا الشيطان
(واخذ بيده في البحر عجايبا) يحتمل ان يكون هذا من كلام يوشع أخير موسى ان الحوت
اتخذ بيده عجايب الناس وموضع العجب ان يحيا حوت قد مات وأكل شدة ثم ينب الى البحر
ويبقى أثر جريته في الماء لا يعمو أثرها جريان الماء ويحتمل ان يكون من كلام الله سبحانه
ليبين طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين اعتراضا وقال أبو الشهاب
في كتاب الطبري أثبت بدفراية ما فاذا هو شدة حوت بعين واحدة وشق آخر ليس فيه شيء
من اللحم عليه قشرة رقيقة تحتها الشوك (قال) موسى لقتاه (ذلك) الذي ذكرت من
فقد الحوت في ذلك الموضع (ما كتبت) وطلبه فان الرجل الذي يريده هو هناك وما ينبغي
من يأت الزوائد فلا تثبت رسمنا وقنا لا واصلنا وابن كثير أثبتا في الحالين (فارتداعا)
آثارهما اقصا) أي رجعا على الطريق الذي جآمنها بقصان أثرهما لا يخطا طريقهما
أي قاصين أو مقتصين والقصص في اللغة اتباع الاثر قال قتادة عوده ما على يدهم ما
(فوجدنا عبدا من عبادنا) هو الخضر في قول جمهور المنسرين وعلى ذلك دلت الاحاديث
الصحيحة وخالف في ذلك من لا يعتد بقوله فقال ليس هو الخضر بل عالم آخر وقيل كان
ملك من الملائكة قيل سمى الخضر لانه كان اذا صلى الى الخضر ما حوله قاله شاهد قيل
واسمه بايا بن ملكان وهو من نسل نوح عن ابن عباس قال الخضر بن آدم اصله ونسبه
له في أجله حتى يكذب الدجال وفيه نظرو قيل كان من بني اسرائيل أو من أبناء الملوك ترهد
وترك الدنيا وأخرج البضاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تم تمزق خلفه خضراء والخضر بكسر
الخاء مع سكون الصاد وفتح الخاء مع سكون الصاد وكسر هاء فقه لغات ثلاثة وهذا
لقبه وكنيته أبو العباس ثم وصفه الله سبحانه فقال (آتيناه رحمة من عندنا) قيل الرحمة
هي النبوة والهداية قاله ابن عباس وقيل النعمة التي أنعم الله بها عليه وهي الولاية وعليه
الاكثر والجمهور من العلماء على انه صلى الى يوم اقامته لشربه من ماء الحياة والاصح
ما ذهب اليه أهل الجمهور من عدم حياته والله أعلم قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب

مرضى وقوله وآتيناه في الدنيا
- سنة أي جعلناه خير الدين من
جميع ما يحتاج المؤمن اليه في
أكمال حياته الطبيعية وأنه في

الرد على المتطهين ومن ملاحة المتصوفة من يزعم ان ارسل طوط كان هو الخضر خضر موسى
وقولهم هـ ذان اطهر الكذب البارد والخضر على الصواب. ان قبل ذلك زمان طوطيل
والذين يقولون انه حي كبعث العباد وبعض العامة وكثير من اليهود والنصارى غاطلون
في ذلك غاط لا ريب فيه. وبسبب غلطهم هم انهم يرون في الاماكن المنقطعة وغير هامن بطن
انه من الزهاد ويقول انه الخضر ويكون ذلك شيطانا قد تمثل بصورة آدمي وهذا مما علمناه
في وقائع كثيرة حتى في المكان الذي كذب فيه هـ ذان الربوة بدمشق رأى شخص بين
الجبال صورة رجل قدس. دما بين الجبال وبلغ رأسه رأس الجبل وقال أنا الخضر وأنا
نقيب الاولياء وقال للرجل اني انا رجل صالح وانت ولي الله ومتيده الى فاس كان
الرجل نسيه في مكان وهو ذاهب اليه فماراه اياه وكان بينه وبين ذلك المكان نحو ميل ومثل
هذه الحكاية كثيرة وكل من قال انه رأى الخضر وهو صادق فاما ان يتخيل له في نفسه انه رآه
ويظن ما في نفسه كان في الخارج كما يقع لكثير من أرباب الرياضات واما ان يكون جنيا
يتصوره بصورة انسان لعله وهذا كثير جدا قد علمنا منه ما يطول وصفه واما ان يكون رأى
انسانا ظن انه الخضر وهو غاط في ظنه فان قال له ذلك الجنى أو الانسى انه الخضر فيكون
قد كذب عليه لا يخرج الصدق في هذا الباب عن هذه الاقسام الثلاثة واما الاطاليت
فكثيرة ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة انه رأى الخضر ولا اجتمع به لانهم كانوا اكمل
علما وایمانا من غيرهم فلم يكن يكفر شيطان انتليس عليهم هم كالبس على كثير من العباد
ولهذا كثير من الكفار اليهود والنصارى يأتونهم من يظنون انه الخضر ويحضر في كائنه
وربما حدثهم بأشياء وانما هو شيطان جاء اليهم ينسبهم ولو كان الخضر حيا لوجب عليه
ان ياتي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيؤمن به ويجاهد معه كما اخذ الله الميثاق على
الانبياء واتباعهم بقوله واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما كنتم لتؤمنن به ولتنصرنه والخضر قد اصلح السفينة لقوم من عرض
الناس فكيف لا يكون بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وهو ان كان نبيا فسينا
أفضل منه وان لم يكن نبيا يابو بكر وعمر أفضل منه وهذا مبسوط في موضعه انتهى وصلى
الكلام على ذلك في آخره هذه القصة ان شاء الله تعالى (وعلمناه) من علم الغيب الذي
استأثر به وفي قوله (من لدنا علمنا) تنعيم لشأن ذلك العلم وتعليمه له قال الزجاج وفيما
فعل موسى وهو من أجله الانبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على انه لا ينبغي
لاحد ان يترك طلب العلم وان كان قد بلغ غايته وان يتواضع لمن هو أعلم منه ثم قص الله
سجده عليه ما دار بين موسى والخضر بعد اجتماعهما فقال (قال له موسى هل أتبعك
على ان تعلم مما علمت رشدا) في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في الادب والتواضع لانه
استجهر نفسه واستأذنه ان يكون تابعه على ان يعلمه الله من العلم والرشد بضم الراء
وسكون الشين هو الوقوف على الخير واصابة الصواب أي علما دارشدا ورشده وقرئ رشدا
بفتحين وهما لغتان كالجمل والجل وفي الآية دليل على ان المتعلم تبع للعالم وان
تفاوتت المراتب وليس في ذلك ما يدل على ان الخضر أفضل من موسى فقد يأخذ الفاضل

الاشرة ان الصالحين وقال مجاهد
في قوله وآتينا في الدنيا حسنة أي
اسان حدذ وقوله ثم أوحينا اليك
أن اتبع مله ابراهيم حنيفا أي

عن القاضى وقد أخذ الناضل عن المنضول اذا اختص أحدهما به لم لا يعلمه الاخر وقد
كان علم موسى علم الاحكام الشرعية والقضاء بظاهرها وكن علم الخضر علم بعض الغيب
ومعرفة البواطن وقد زل أقوام من الضلال في هذا المقام في تفضيل الولى على النبي
حيث قالوا أمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولى رهوكفر جلى والجواب ما ذكرناه
(قال) الخضر موسى (انك ان تسطيع معي صبرا) أى لا تطيق ان تصبر على ما تراهم من
على لان الظواهر التى هى علم لا توافق ذلك ثم كذا لك مشيرا الى علة عدم الاستطاعة
فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا) أى كيف تصبر على علم ظاهره منكروا أنت
لا تعلم ومثلك مع كونك صاحب شرع لا يسوغ له السكوت على منكر والاقرار عليه
والخبر العلم بالشئ والخبر بالامور هو العلم بخفاياها وما يحتاج الى الاختبار منها (قال)
موسى للخضر (سجدنى ان شاء الله صبرا) معك ملتزم طاعة وانما استثنى لانه لم ينفق
من نفسه بالصبر ولم يستثن الخضر لانه في مقام التعليم (ولا أعصى لك أمرا) أى لا أنا لك
فيما تأمر فيه والتقييد بقوله ان شاء الله شامل للصبر ونفى المعصية وقيل ان التقييد
بالشيئة مختص بالصبر لانه أمر مستقبل لا يدري كيف يكون حاله فيه ونفى المعصية معزوم
عليه في الحال ويحجب عنه بان الصبر ونفى المعصية متفقان في كون كل واحد منهما معزوما
عليه في الحال وفي كون كل واحد منهما لا يدري كيف حاله فيه في المستقبل (قال) الخضر
لموسى (فان اتبعنى فلا تسألنى عن شئ) مما شاهد من أفعالى الخالدة بما يقتضيه
ظاهر الشرع الذى به شئت الله به أى لا تنفخنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة
والاعتراض (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أكون انا المبتدئ للذبح كره وبيان
وجهه وما يؤول اليه وفيه ايدان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية جيدة البتة وهذا
من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وهذه الجمل المعنونة يقال وقال مستأنفات
لانها اجوابات عن سؤالات مقدرة كل واحدة فشا السؤال عنها عما قبلها واعلم انهم اقد
رويت في قصة موسى مع الخضر المذكورة في الكتاب العزيز احاديث كثيرة وأتمها وأكملها
ماروى عن ابن عباس ولكنها اختلفت في بعض الالفاظ وكلها امر بنية عن سعيد بن جبيرة
عنه وبعضها في التعجبين وغيرهما وبعضها في أحدهما وبعضها خارج عنهم وقد رويت
من طريق العوفى عنه كما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم ومن طرق أخرى فانفتحصر على
الرواية التى هى أتم الروايات الثابتة في التعجبين في ذلك ما يعنى عن غيره وهى قال سعيد
ابن جبيرة قلت لابن عباس ان نوحا البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى
صاحب بنى اسرائيل قال ابن عباس كذب عذو الله حدثنا أبو بن كعب انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان موسى قام خطيبا بنى اسرائيل فمثل أى الناس أعلم
فقال أرفع الله عليه اذ لم يرد العلم اليسر فادعى الله اليه انى عبد اعجم مع الجبرين هو
أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ ذمعتك حوتافجه له في مكمل فبشما
فقدت الخوت فهو ثم تأخذ ذمعتك في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون
حتى اذا تبا الهضرة وضعاؤهم وانما واضطرب الطوت في المكمل فخرج منه فقط في

ومن كماله وعظمته وصحة توحيده
وطريقته انا وحيدنا اليك يا خاتم
الرسول وسيد الانبياء ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من

البصر فالتخذ سبيله في البحر سرباً وأمره الله عن الخوف حربة الماء فصار عليه مثل الطاق
 فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالخوف فانطلقا بقبية يومهما وليتم ما حتى اذا كان من
 الغد قال موسى لفتاه اتناغدا فالتفتا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب
 حتى جاوز المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارايت اذا وينا الى الصخرة فاني نسييت
 الخوف وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال فكان للبحر
 سرباً وموسى وفتاه عجباً فقال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما مقصدا قال سليمان
 يزعم الناس ان تلك الصخرة عند هاء بين الحياة ولا يصب ماؤها ميتا الا عاش قال وكان
 الخوف قد اكل منه فلما قطر عليه الماء عاش قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا الى
 الصخرة فاذا راجل مسيحي بثوب فضة لم عليه موسى فقال الخضر واني بأرضك السلام
 قال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم اتيك لتعلمني سماعات رشدا قال انك لن
 تسمع تطيع معي صبراً يا موسى اني على علم من الله علمه لا تعلمه انت وانت على علم من الله
 علمه ان الله لا أعلمه قال موسى سجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لأمر افقال له الخضر
 فان اذعني فلا تنالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً فانطلقا يشيان على ساحل البحر
 فمرت بهم سفينة فكلما موهم ان يحملوهم فمروا بالخضر حمله لونه بغير نول فلما ركبا في السفينة
 لم يتبعوا الا والخضر قد فاع لوجاه من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم جلونا بغير
 نول فمادت الى السفينة ثم غرقتم التفرق أهلها القذحت شيئاً امراً قال ألم اقل انك لن
 تسمع تطيع معي صبراً قال لا نؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال وقال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت الاولى من موسى نسيها انا قال وجاءه مصور
 فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر رنقرة فقال له الخضر ما انتص على وعلمك من
 علم الله الا مثل ما انتص هذا العصفور الذي وقع على حرف السفينة من هذا البحر ثم خرجا
 من السفينة فيبهما ما يشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان
 فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتله بيده فقتله فقال موسى اقلبت نفساً اركية بغير نفس
 لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم اقل لك انك لن تسمع تطيع معي صبراً قال وهذا أشد من
 الاولى قال ان سألني عن شيء ردها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى
 اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا ان يضيئوهما فوجدافيهما جدارا يريد ان ينقض
 فاقامه قال ما تل فقال الخضر بيده فكدا فاقامه فقال موسى قوم أتياناهم فلم يطعمونا
 ولم يضيئونا فاشتت لا نتخذت عليه أبراً قال هذا افرأق بيني وبينك ما نبئت بأمر بل مالم
 تسمع عليه صبراً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وددنا ان موسى كان صبر
 حتى يقص الله علينا من خبرهما قال سعيد بن جبيرة وكان ابن عباس يقرأ وكان
 امامهم ملك يأخذ كل سفينة غصه وبها وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه
 مؤمنين وبقية روايات سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن سواقة هذه
 الرواية في المعنى ان تفاوتت الاضطاف في بعضها فلا فائدة في الاطالة بذلك كرها وكذلك
 روايات غير سعيد عنه (فانطلقا) اي موسى والخضر على ساحل البحر يطلبان السفينة

المشركين كقوله في الانعام قل
 اني هادي الى صراط مستقيم
 دينا قيسله ابراهيم حينما كان
 من المشركين ثم قال تعالى

ومعهما يوشع وانما لم يذكر في الآية لانه تابع لموسى فالمتصودد كرموسى والخضر يد فال
القبض يرى والاظهر ان موسى صرف فتاه لما لقي الخضر وقال ابو العباس اكنى يذكر
المتبوع عن التابع فرت بهم سبسية فكلهم وهم ان يحملوهم فكلهم بغير قول (حتى اذا ركبنا
في السفينة خرقها) قبل قاع لوحا من الواحها وقيل لوحين مما يلي الماء بفاس لما بلغت
البحر وقيل خرق جدار السفينة ليعيها ولا يتسارع الفرق اليها (قال) موسى (تخترقنا
تخترق اهلها لقد جئت شيئا امرا) اي عظيما يقال امر الامر اذا كبر وعظم
والامر الاسم منه وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وقال القتيبي الامر العجب وبه
قال قتادة وقال الاخفش امر امر بامر اذا شئد والاسم الامر وقال ابن عباس امر
نكر وعن مجاهد مدحوه روى ان الماء لم يدخلها (قال) الخضر (الم اقل لك ان
تستطيع معي صبرا) اذكره ما تقدم من قوله سابقا انك لاتستطيع معي صبرا (قال)
موسى (لا اتواخذني بما نسيت) ما صدرية اي لا اتواخذني بما سباني او موصولة اي
لا اتواخذني الذي نسيت به وهو قول الخضر فلا تسألني عن شيء حتى احداث منه ذكر
قاله بيان ما على حقيقة على تقدير ان موسى نسي ذلك او بمعنى الترتل على تقدير انه لم
ينس ما قاله واكنه تركه على ما به عن ابي بن كعب قال لم ينس ولكنهم من معار يض
الكلام اي اورده في مودة ذات على النسيان ولم يقدد نسيان الوصية بل نسيان شيء آخر
حتى لا يلزم الكذب قاله الكازروني قيل كانت الاولى من موسى نسيان او الشائبة نسيان
والثالثة عمدا (ولا ترهقني) اي لا تكلفني (من امرى عسرا) مشقة في صعبتي قال
ابوزيد ارهقته عسرا اذا كلفته ذلك والمعنى عاملني باليسر والعذول باليسر وقرئ عسرا
بضم عين (فانطلقا) بعد خروجهما من السفينة بمشيان (حتى اذا القيا غلاما) قيل
كان اسمه سمعون ذكره القرطبي وانظر الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير قيل
كان الغلام ياعب مع الصبيان (فقتله) اي فاقتلع الخضر رأسه أو ذبحه باليمين أو شرب
رأسه بالجدار أو قال وأنى هنا بالقول العاطفة لان القتل عقب الذي وجوب اذا (قال)
موسى (أقلت نفسا زكية) هي البرية من الذنوب أي الطاهرة قال ابو عمرو والراكية
التي لم تذب والزكية التي اذنت ثم تاب وقال الكسائي الزاكية والزاكية لغتان وقال
الفراء الزاكية والزاكية مثل القاسية والقاسية قال ابن عباس زاكية مسلمة وقال سعيد
ابن جبير لم يبلغ الخطايا عن الحسن بن محبوب (بغير) قتل (نفس) محرمة حتى يكون
قتل هذه قصاصا (لقد جئت) اي اعلمت (شيئا نكرا) اي عظيما منكر لا يعرف
في الشرع قرئ يسكون الكاف وضمها وهما بعينان قبل معناه أنكر من الامر الاول
لا يكون القتل لا يمكن تداركه بخلاف نزع اللوح من السفينة فانه يمكن تداركه بارجاءه
وقيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وعن
قتادة قال أنكر أنكر من العجب قيل استبه موسى ان يقتل في نفسه بغير نفس ولم يتأول
الخضر بانه يحل القتل باسباب أخر عن أبي العالية عند ابن المنذر وابن أبي حاتم قال كان
الخضر عبد الاتراء الأعين الامن أراد الله ان يريه اياه فلم يره من القوم الاموسى ولوراه

منكر على اليهود (انما جعل
البيت على الذين اختاروا فيه
وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة
فما كانوا فيه يختلفون) لاشد ان

القوم لحالوايته وبين خرق السفينة وبين قتل الغلام وأقول ينبغي ان ينظر من أين له هذا فان لم يكن مستنده الاقوله ولوراء القوم الخ فليس ذلك بموجب لما ذكره أمأولاً فان من الجائز ان يفعل ذلك من غير ان يراه أهل السفينة وأهل الغلام لا لكونه لا تراه الا عين بل لكونه فعل ذلك من غير اطلاعهم وأما ثانياً فيمكن ان أهل السفينة وأهل الغلام قد عرفوه ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتقدم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول وعرفوا انه لا يفعل ذلك الا بأمر من الله كما يفعل الانبياء فسلموا الامر لله وعن عطاء قال كذب نجدة الحروري الى ابن عباس بسأله عن قتل الصبيان فكتب اليه ان كنت الخضر تعرف الكافر من المؤمن فاقتلهم وفي انظر ولكنك لا تعلم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتلهم فاعتزاهم وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو أدرك لا زهق بأبويه طغيانا وكفرا (قال) الخضر (ألم أقل لك انك ان تستطيع معي صبرا) زاد هنا لفظ لك لان سبب العقاب اكثر وموجبه اقوى فقد انتقض العهد مرتين وقيل زاد لصدقنا كيد كما تقول لمن توخى لك اقول واياك أعنى وقيل زاد لعدم العذر هنا تحاملا في الخطاب وتقربا لموسى ولهذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعد هذا) اي بعدها هذه المرة او بعدها هذه النفس المقتولة (فلا تصاحبنى) اي لا تجعلنى صاحبك وقرئ تصحبنى قال الكسائي معناه لا تتركنى اصحبك وقرئ بضم التاء والباء وثبتت النون نهاء عن مصاحبته مع حرصه على التعلم اظهروا عذره ولذا قال (قد بلغت من لدنى عذرا) في منازعة قتل يريده انك قد عذرت حيث خالفتك ثلاث مرات وهذا كلام نادم شديد الندامة اضطره الحال الى الاعتراف وسلك سبيل الانصاف وقرأ الجمهور لدنى عذرا منقلبه اخرج ابو داود والترمذي والطبراني وغيرهم وقرأ الجمهور عذرا بسكون الذال وقرئ بضمة هاء وحكى الداني ان ابي اروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكسر الراء وياء بعدها باضافة العذر الى نفسه (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) فيل هي ايلة وهي أبعد الارض من السماء وقيل انطاكية وقيل برقة وقيل قرية من قرى أذربيجان وقيل قرية من قرى الروم وقيل هي بلدة بالاندلس (استطعما اهلها) طلبا منهم الطعام بضافة وضع الظاهر موضع المفعول لزيادة التأكد وللتأنيب والكره اجماع الضميرين في هذه الكلمة لما فيه من الكلفة أو زيادة التشنيع على اهل القرية باظهارهم (فأبوا أن يضيفوهما) اي ان يعطوهما ما هو حق واجب عليهم من ضيافتهما فمن استدل بهذه الآية على جواز السؤال وحل الكدية فقد أخطأ خطأ مبيناً ومن ذلك قول بعض الادباء الذين يسألون الناس

الله تعالى شرع في كل ملة يوماً من
الاسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة
فشرع تعالى لهذه الامة يوم الجمعة
لانه اليوم السادس الذي أكمل الله
فيه الخليفة واجتمعت فيه وفت

فان رددت بما في الرد منقصة على قدر موسى قبل والخضر

وقد ثبت في السنة تحريم السؤال عما لا يمكن دفعه من الاماريات الصحفية الكثيرة عن
ابي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ان يضيفوهما شدة قيل شر القرى التي تبطل

بالقري أي لا تضيف الضيف قبل اطعمته امرأتين أهل بربر بعد ان طلبا من الرجال فلم
 يطعموهما فذهبوا للنساء ثم ولعوا بالرجالهم (فوجدافيهما) أي في القرية (جدارا) طوله
 مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا وامتداده على وجه الارض خمسمائة ذراع (يريد ان
 ينقض) اسناد الارادة الى الجدار مجاز قال الزجاج الجدار لا يريد ارادة حقيقة إلا أن
 هيئة السقوط قد ظهرت فيه كما تظهر أفعال المرادين القاصدين فوصف بالارادة ومعنى
 الانقضاض السقوط بسرعة يقال انقض الحائط اذا وقع وانقض الطائر اذا هوى من
 طيرانه فسقط على شيء (فاقامه) أي فسواه الخضر بيده لانه وجدته مائلا فرده كما كان
 وقيل نقضه وبناه وقيل أقامه بعمود عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم انه قرأ يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد بينه قلت ورواية للصحاحين التي قدمناها انه
 مسحه بيده أولى (قال) موسى (لوشئت لا اتخذت) عن أبي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قرأ اتخذت محققا يقال اتخذ فلان يتخذ فلان مثل اتخذ (عليه اجرا) أي على اقامته
 واصلاحه تحريضا من موسى للخضر على اخذ الجعل والاجر ليعيش بآبائه وتعرف بآبائه
 فضول والاول أولى قال الترمذي لم يثبت لم يثبت حتى يقرروا فهو الاجر (قال) الخضر
 (هذا فراق بيني وبينك) على اضافة فراق الى الطرف اتساعا أي هذا الكلام والانكار
 منك على ترك الاجر هو المنفرد بيننا قال الزجاج المعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا
 وكررين تأكيذا أخرج أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن
 عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله علينا وعلى
 موسى لوصيه لقص الله علينا من خبره ولكن قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني
 ولما قال الخضر لموسى بهذا أخذ في بيان الوجه الذي فعل بسببه تلك الافعال التي أنكرها
 موسى فقال (سأنتك) قبل فراقك لك (بتأويل ما لم تنقطع عليه صبرا) أي الامور
 الثلاثة المتقدمة والمراد بالتأويل اظهار ما كان باطنا بينا وجهه قاله الشهاب وفي
 القرطبي المراد بالتأويل التفسير واصل التأويل رجوع الشيء الى ما له ثم شرع في البيان
 له فقال (أما السفينة) يعني التي خرقتها (فكانت لمساكين) لانه ما عشرة وكانوا اخوة
 لا يقدر على دفع من اراد ظلمهم وقد ذكر النقاش اسماءهم وقرأ جماعة مساكين بتشديد
 السين واختلف في معناها فقل هو ملاح والسفينة وذلك ان المسالك هو الذي يسلك
 السفينة والظاهر قراءة الجهور بالتخفيف (يعملون في البحر) ولم يكن لهم مال غير تلك
 السفينة يكرمونهم من الذين يركبون البحر يأخذون الاجرة وقد استدلل الشافعي بهذه
 الآية على ان الفقير أسوأ حال من المسكين (فأردت ان أعيبها) أي أجعلها ذات عيب ينزع
 ما تزعم منها (وكان وراءهم ملك) جليل حاله بانهم ارادوا ان ينزعوا عنهم
 وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ أمابهم وعن أبي بن كعب انه
 قرأها كذلك وكتب عثمان وكان وراءهم ووراء يكون امام وقد مر الكلام على هذا في قوله
 ومن وراءه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان

الله سمعة على عباده ويشال ان
 الله تعالى شرع ذلك لبني اسرائيل
 على لسان موسى فعدلوا به عنه
 واختاروا السبت لانه اليوم الذي
 لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات
 الذي كل خلقها يوم الجمعة فالزمهم
 تعالى به في شريعة التوراة ووصاهم
 أن يتسكوا به وان يحافظوا عليه
 مع أمره بالهم بعبادة محمد صلى الله
 عليه وسلم اذ بعثه وأخذ موافقتهم

عندهم خبراته (ياخذ كل سفينة) صالحة لامعية (غصبا) نصبه على الصدر الهين
 لنوع الاخذ وقد قرأ ابن عباس وابي بن كعب بزيادة صالحة والمثل الغاصب كان اسمه
 الجملدي الازدي وكان كافرا وقيل كان اسمه عد بن بدد وقيل كان ملك غسان واسمه
 جيب. ورأى كره القرطبي (واما الغلام) يعني الذي قتله (فكان ابواه مؤمنين) ولم يكن
 هو كذلك وقرأ ابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين (نخشينا) الخشية
 خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم عايشي منه وقيل معناه فعلنا والاول اولي
 وعن قتادة هي في مصحف عبد الله تخاف ربك (ان يرهقهما) أي يرهق الغلام ابويه يقال
 رهقه أي غشبه وارهقه اغشاه قال المفسرون معناه خشينا ان يحملهما ما حبه على ان
 يتبعاه في دينه وعوا الكثر وقيل المعنى نخشينا ان يرهق الوالدين (طغيانا) عليهما (وكثرا)
 اعمتهما بتوقفه قيل ويجوز ان يكون نخشينا من كلام الله ويكون المعنى كرهنا كراهة
 من خشى سوء عاقبة امر فقير وهذا ضعيف جدا قال كلام الخضر وقد استشكل
 بعض اهل العلم قتل الخضر لهذا الغلام بهذه العلة فقيل انه كان بالغا وقد استحق ذلك
 بكثرته وقيل كان يقطع الطريق فاستحق القتل لذلك ويكون معنى خشينا الخ ان الخضر
 خاف على الابوين ان يذبا عنه ويتهصباه فيقتلوا في المعصية وقد يؤدي ذلك الى الكفر
 والارتداد والخامس ان الله لا يشكال في قتل الخضر له اذا كان بالغا كافرا او قاطعا للطريق
 هذا فيما تضمنه الشريعة الاسلامية ويمكن ان يكون للخضر شرعية من عند الله سبحانه
 تسوغ له ذلك واما اذا كان الغلام صبيا غير بالغ فقيل ان الخضر علم باعلام الله له ان ولدوا
 بالغا فكان كافرا بسبب عن كثره اضلال ابويه وكثرهما وهذا وان كان ظاهر الشريعة
 الاسلامية ياباه فان قتل من لا ذنب له ولا قد جرى عليه قلم التكليف خشية ان يقع منه
 بعد البلوغ ما يجوز به قتله لا يحل في الشرعية الخيرية ولكنه حل في شرعية اخرى فلا
 اشكال (فاردنا ان يدلها) الابدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه قال الزجاج معنى
 فاردنا فارد الله ومثله في القرآن كثير وقيل المعنى اردنا ان يرزقهما الله (رهما) بدل هذا
 الولد ولد (خبرنا) والتفضيل ليس على باب (ركاة) أي دينا وصلا حادقوى وطهارة من
 الذنوب (واقرب رجا) يسكون الحسام وفري ضمها الرحمة يقال رحمه الله رحمة ورجا
 والالف للتأنيث قال ابن عباس رجاء ودة فبالا بارية ولدت نبيا (واما الجدار) يعني الذي
 أصله (فكان للغلامين) قيل اسمهما الصرم وصريم (في المدينة) هي القرية
 المذكورة اجناديه جوار طلاق المدينة على القرية لغة وقيل عبر هناك بالقرية تحفيرا
 لها ناسا أهلها وعبر هناك بالمدينة فاعطى الجاهل من حيث اشتبه لها على هذين الغلامين وعلى
 اسمهما (وكان تحته كثرهما) قيل كان مالا جديما لا يفيد النطق الكثرة قال عكرمة وقاتدة
 اذ هو المال المجوع قال الزجاج المعروف في اللغة ان الكثرة اذا افردت مع المال المدفون
 فاذا لم يكن مالا قيل كثر علم وكثرهم وقيل لوح من ذهب وقيل علم في مصحف مكتوبة مدفونة
 عن قتادة قال كان الكثران قبلنا وحرم علينا وحرمت النجمة على من كان قبلنا واحلت لنا

وعه ودهم على ذلك ولهذا قال
 تعالى انما جعل السبت على الذين
 اختلفوا فيه قال مجاهد اتبعوه
 وتركوا الجمعة ثم انهم لم يزلوا
 منه يكرهون به حتى بعث الله عيسى بن
 مريم فيقال انه حوله من اليوم
 الاحد ويقال انه لم يترك شريعة
 التوراة الا ما نسخ من بعض احكامها
 وانه لم يزل محافظا على السبت حتى
 رفع وان النصراني بعده في زمن

فلا يحبب الرجل فيقول ما شان الكثرة احل لمن قبلنا وحرم علينا فان الله يحل من امره ما شاء ويحرم ما شاء وهي السن والفرائض تحل لامة وتحرم على أخرى وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ولكن تحته كثر ذهب وفضة أخرجه البخاري في تاريخه وأبو حمزة وحسنه والطبراني والحاكم وصححه وعن أبي الدرداء قال احلت لهم للكنوز وحرمت عليهم الغنائم واحلت لنا الغنائم وحرمت علينا الكنوز واخرج البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي ذر ربه قال ان الكثرة الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت فيه عجبت لمن أبى بالندرة نصب وعجبت لمن ذكر الدار ثم نهك وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لانه الا الله محمد رسول الله وفي نحو هذا روايات كثيرة لا تتعاقب ذكرها فائدة (وكان أبوهما صالحا) فكان صلاحه مقتضا لرعاه ولديه وحفظ ماله ما افقاه الله فلهذا انه ابوهم حقيقة وقيل هو الذي دفنه وقيل هو الأب السابع من عند الدافن له قاله بعض من محمد وقيل العاشر وكان يسمى كاشعا وكان من الانبياء قاله مقاتل واسم امهم مازيناذ كره النقاش فنبه ما يدل على ان الله يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وان بعدوا قال ابن عباس حفظ ابنا صلاح ابيهما واخرج ابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله عز وجل يصلح به صلاح الرجل الصالح ولده ولده ولده ولده ولده واغل دورات حوله فيسائر الون في حفظ الله تعالى ما دام فيهم وعن ابن عباس نحوه وقال موضع حفظ الله في ستر من الله وعافية قال سعيد بن المسيب اني لاصلي في ذكر الذي في صلاتي وقد روي ان الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وروى عن أبيه ما يدل قوله تعالى ان اولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قال الترمذي (أبو ذر ربه) أي ما شاء ومدير امرك وضاف الرب الى ضمير موسى تشير بقوله وانما ذكر اولادك فارتد لانه انما في التناهي وهو فعلة وثاني افاردا لانه افساد من حيث الفعل العام من حيث التبدل وثالث افاردا لانه انعام محض وغير مبدور للبشر قال الشوكاني في التلخيص الرباني اعلم الله قد وجد في الخضر عليه السلام المتقضى للمعنى بحسن العظمة ما اتصل به الله به من العظمة العظيمة والمواهب الجسيمة التي من جلالها العلم الذي فعمله الله به حين اخبر موسى عليه السلام لما سأل هل في الارض أعلم منه فقال عبدنا خضر كما شئت في الجمع كان هذا وجهها العجبا ومساوغا عجا للمعنى بنون العظمة نارة وسد من ان يرى فقال فارتد ان اعياها وقال فارتدنا ملا حظا في احد الموضعين لما يستفهم من العظمة بعد ما سمع الله سبحانه عليه وفي الموضع الآخر فاصد التواضع والله فرد من العظمة التي من جلالها العلم التي اختصه الله بها اجابته مع كونها هي الصيغة التي هي لاسم في الحكم الفرد ومع هذا ففي تلويح العبارة نوع من الحسن آخر وهو الاقتران في الكلام فانه احسن نظرية لتسائط السامع واكثر ايقاظا له كما قيل في الحكمة الالتفات ويمكن ان يقال ان عرق السنية لما كان باعقبا وبحصيل مسمما امر ابيرا فانه يحصل بفرع لوح من الواحها قال فارتد ان اعياها وما كان ان القتل مما تعاطفه النفوس وتدخل فاعله الروعة العظيمة نزل منزلة ما لا يقدر عليه الاجماع ويمكن ايضا وجه ثالث وهو ان يقال لما كان عرق السنية مما

قد طمطين هم الذين تحولوا الى يوم الاحد فخالفة لليهود وتحوّلوا الى الصخرة شرفا عن الصخرة والله اعلم وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الاثرون السابقون يوم القيامة يريد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم قد ايوهم الذي فرض الله عليهم فاختاروا

يكن تداركها ببرد اللوح الذي نزعته كان ذلك وجهها للأفراد لانه يسير بالنسبة الى ما لا يمكن
تداركه وهو القتل واما قوله فاراد ربك فوجه نسبة الارادة الى الرب سبحانه ان هذه الارادة
وقعت على قوله ان يبلغا الشدهما ومعلوم ان ذلك لا يكون من فعل البشر ولا بارادته لان
بقائهما في الحياة حتى يبلغا الشدة لا يدخل تحت طاقة البشر ولا يصح نسبته الى غير الرب
عز وجل ولهذا يقول الخضر رحمة من ربك وما فعلته عن امرى هذا ما خطب بالبال عند
الوقوف على هذه الآية ولم اقف على كلام لاحد من اهل التفسير فيما يتعلق بذلك انتهى
(ان يبلغا الشدهما) أى كمالهما وتمام غوهمما (ويستخرجا كثرهما) من ذلك الموضع الذي
عليه الجدار ولولا نقض الخرج الكثر من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتأمينه
وضاع بالكلية (رحمة من ربك) اهما وهو مصدر في موضع الحال أى مرحومين من الله
سبحانه (وما فعلته عن امرى) أى عن اجتهادى ورأى وعوتاً كيد لما قبله فقدر علم بقوله
فاراد ربك ان لم يفعل الخضر عن امر نفسه لان تنقيص أموال الناس واراقت دماهم
وتغيير احوالهم لا يكون الا بالنص وليس في هذا دلالة على نبوة الخضر كما زعم الجمهور بل
هو الهام من الله سبحانه اليه (ذلك) المذكور من تلك البيانات التي بينتها لك وأوضحته
وجوهها (ناويل مالم تسطع عليه صبرا) أى ماضاق صبرك عنه ولم تطق السكوت عليه
ومعنى التأويل هنا هو المسأل الذي آت اليه تلك الامور وهو اقتراح ما كان مشتبهاً على
موسى وظهور وجهه وحذف التام من تسطع تخففه بما يقال اسطاع واستطاع بمعنى اطاق
ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين وقد اختلف اهل العلم في نسب الخضر وفي كونه نبياً وفي
طول عمره وبقائه حياً وكونه نبياً الى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحياته بعده على
اقوال كثيرة فقول هو ابن آدم اصله وهو ضعيف منقطع وقيل انه ابن قاييل بن آدم وهو
مفضل وقيل انه من سبط هرون اخى موسى وهو بعيد وقيل انه ارميا بن خلقيا وورده ابن
جرير وقيل انه ابن بنت فرعون وقيل ابن فرعون اصله وقيل انه اليسع وقيل انه من ولد
فارس وقيل من ولد بعض من كان آمن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل وقيل كان ابوه
فارسي او امه رومية وقيل بعكس ذلك ثم قيل كان اسمه عامراً وقيل بليلان ملكان وقيل
تلكان بل ملكان وقيل معمر بن مالك وكنيته أبو العباس وهذا متفق عليه قاله النووي
واخرج من قال انه نبى بقوله تعالى وما فعلته عن امرى لان الظاهر من هذا انه فعله بامر
الله والاصل عدم الوساطة قال النعلبي هو نبى في سائر الاقوال ثم قيل نبى غير مرسل وقيل
أرسل الى قومه فاستجابوا له ونفسه الزماني ثم ابن الجوزي وقيل كان ولياً واليه ذهب جماعة
من الصوفية وبه قال عيسى بن ابي موسى من الحنابلة وابن الانباري والقشيري وقيل انه
ملك من الملائكة قال ابن جرير في تاريخه انه كذا في امام فريدون الملائك في قول عامة اهل
الكتاب الاول وقيل كان على مقدمة ذى القرنين الا كبر الذي كان في زمن ابراهيم الخليل
وقصة هذه ذكرها جماعة منهم خيفة بن سليمان واما فخره فقال ابن عباس نسي الخضر في
أجله حتى يكذب الدجال وقال أبو مخنف أجمع اهل العرب بالاحاديث والجمع لها أنه أطول
أدمى عمراً وشرب من عين الحياة وقال الحسن وكل الخضر بالجور والياس بالنبى في وانما

فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه
تبع اليه ودغدا والنصارى بعد
غدا لنا الضارى وعن ابي هريرة
وحديثه رضى الله عنهم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل
الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان
لليهود يوم السبت وكان للنصارى
يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله
ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت
والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة
نحن الآخرون من أهل الدنيا

يجمعان في موسم كل عام وروى ابن مرقوعا اليه صلى الله عليه وآله وسلم اجتماعهما عند
 ردم بأجوج وأجوج كل ليلة وفي سنة ممترو كان وقال النووي في التذيب قال
 الاكثر من العلماء هو حي موجود بيننا وذاك متفق عليه بين الصوفية وأهل
 الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله ووجوده في
 المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من ان تحصى وأشهر من أن تذكر قال ابن
 الصلاح هو حي عند جواهر العلماء والصلحاء والعامة منهم وانما شذبان كاره بعض المحدثين
 وقال بعضهم ان لكل زمان خضرأ وهي دعوى لا دليل عليها وقال السهيلي اسمه عاميل
 وان أباه كان ملكا وأنه الرجل الذي يقتل الدجال ثم يحييه وقال البخاري وطائفة من أهل
 الحديث انه مات قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة ونصره أبو بكر بن العربي لقوله صلى
 الله عليه وآله وسلم في آخر حياته لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم
 وله ألفاظ عند الشيعة وغيرهم ما عن جابر وابن عمر وأجاب من أثبت حياته بأنه كان
 حينئذ على وجه البحر وما برده هذا الجواب وأبعده عن الصواب وأما اجتماعه مع النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيته لأهل البيت وهم مجمعون لفصله صلى الله عليه وآله وسلم
 فقال لهم على هو الخضر فنذكره ابن عبد البر في التمهيد وقل اجتماع الياس مع النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم وانما جاز ذلك جاز لانه الخضر رواه ابن أبي الدنيا عن أنس وتعبه حافظ
 أبو الخطاب بن دحية وقال لم يصح من طريقه شيء ولا يثبت اجتماعه مع أحد من الانبياء
 الامم موسى كما قصه الله من خبره وجميع ما ورد في حياته لا يصح منه شيء باتفاق أهل
 النقل وأما ما جاء من المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز له ما قل ان يلقى شيئا لا يعرفه
 فيقول له أنا فلان فيصدقه وحديث التعزية المتقدم موضوع وفيه ابن حجر زعرك قال
 مسلم صاحب الصحيح فلما رأيته كانت بعرة أحب الى منه وما روى عن أنس موضوع أيضا
 وقد نقل تكذيبه عن أحمد ويحيى وإسحق وأبي زرعة وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من
 المجازفات ونسك من قال بتغيره بقدمه عين الحياة واستند الى ما وقع من ذكره في صحيح
 البخاري وجامع الترمذي لكن لم يثبت ذلك مرفوعا وأخرج الطبراني في المعجم الكبير حديثا
 طويلا عن أبي امامة الباهلي مرفوعا اليه صلى الله عليه وآله وسلم في قصة الخضر يدل على
 كونه نبيا وسنده حسن لولا غنعة بنية وهو ضعيف وقد ذهب الى ان الخضر مات على بن
 موسى الرضا والبخاري وأنكر ان يكون باقيا للعديت المتقدم وهو عدة من تسميته
 مات قال أبو حنيفة في تفسيره الجمهور على ان الخضر مات وبه قال ابن أبي القتيبة والمرى
 لانه لو كان حيا لزمه الحج الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والابواب به واتباعه وقد روى
 عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي وبذلك القبح من ابن
 المناهي وابراهيم الحاربي وأبو طاهر العبادي وأخرج مسلم من حديث جابر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بشهر رأيت في نفسي منقوشة باني
 عليها مائة سنة وله ألفاظ وطرق عند الترمذي وغيره ومن جزم انه غير موجود الآن أبو
 يعلى الحنبلي وأبو الفضل بن لاسر والقلاني أبو بكر بن العربي وأبو بكر بن القاسم وابن
 الجوزي ولستدل على ذلك بأدلة منها ما تقدم ومنها قوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك

والاولون يوم القيامة والمقتضى
 بينهم قبل الخلق رواه مسلم (ادع
 الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
 الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن
 ان ربك هو أعلم عن ضل عن سبيله
 وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى
 أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
 ان يدعو الخلق الى الله بالحكمة
 قال ابن جرير وهو ما رزله عليه من
 الكتاب والسنة والموعظة الحسنة
 أي بما فيه من الزواجر والوقائع
 بالناس ذكرهم بالهدى والباس
 الله تعالى وقوله وجادلهم بالتي هي

الخلد أفان مت فهم الخالدون قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق ان يعبد
 محمد وهو سبي ليؤمن به ولنصرته أخرجه البخاري فلو كان الخضر مروجوا الجاه اليه
 ونصره بيده ولسانه وقائل تحت رايته ولم يأت في خبر صحيح انه جاء الى النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم أو قاتل معه قال أبو الحسين بن المناوي بحثت عن نعيم الخضر وهل هو باق أم لا
 فاذا كثر المغفلين مغترون بانه باق من أجل ما روى في ذلك والاحاديث المرفوعة في ذلك
 واهية والسند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة بن مصقلة كالحرافة وخبر
 رباح كالريح وماء داذلك من الاخبار كاهية او اهية الصدور والاعجاز لا يخلو جالها عن
 أمرين اما أن تكون أدخلت على الثقات استغناء لا ويكون بعضهم نعم ذلك وقد قال
 الله تعالى وما جعلنا البشر من قبل الخلد وفي تفسير الاصفهاني عن الحسن ان الخضر
 مات وتدمر عنه أيضا انه سبي واذا تعارضت ساقط واحتج ابن الجوزي أيضا بما ثبت في صحيح
 البخاري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر اللهم ان تم لك هذه العصابة لا تعبد
 في الارض ولم يكن الخضر فيهم ولو كان يومئذ حيا لورد على هذا النوع فانه كان ممن يعبد
 قطعا وقد بسط الحافظ بن حجر العسقلاني القول في بيان أحوال الخضر وأخباره قبل
 بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي وردت ان الخضر والياس كانا في زمن النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم ثم بعده الى الآن وما جاء في بقائه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 ومن نقل عنه انه رآه وكلمه في أبواب مستنلة من كتابه الاصابة في معرفة الصحابة وتكلم على
 أسانيد هاجرها وتعدى لاوغاها لا يخلو عن الله أو ضعف أو انقطاع أو أعضال أو وضع
 أو تنكارة أو شذوذ لا يصلح شيئا للاستدلال على حياة الخضر وبقائه الى الآن أو الى خروج
 الدجال والحق ما ذكرناه عن البخاري وان شرب في ذلك ولا حجة في قول أحد كائن كان
 الا الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرد في ذلك نص مقطوع به ولا حديث
 مرفوع اليه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يعقد عليه ويصار اليه وظاهر الكتاب والسنة
 في الخلد وطول النعيم لا حدم من البشر وهما قاعان على غيرهما ولا يتضي غيرهما
 عليهما ومن قال انه نبي أو مرسل أو حي باق لم يأت بحجة نيرة ولا سلطان مبين واذا جاءهم
 الله بطل نهر معقل وقد تكلم الحافظ على هذا الباب في فتح الباري أيضا في شأن الاصلاح
 على تفصيل ذلك فليرجع اليه وبالله التوفيق ومنه النسخ والاصابة ولما أجاب سبحانه عن
 سؤالين من سؤالات اليهود وانتهى الكلام الى حيث انتهى شرع سبحانه في السؤال
 الثالث والجواب عنه فالمراد بالسائلين في قوله (وبسئلك) هم اليهود أي سؤال نعمت
 (عن ذي القرنين) واختلافوا فيه اختلافا كثيرا فقبل هو الاسكندر بن فيلقوس الذي
 ملك الدنيا كلها بآسرها اليوناني باني الاسكندرية وقال ابن ابي حنيفة هو رجب من أهل
 مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن ياقث بن نوح وقيل هو ملك اسمه
 هرمس وقيل هردس وقيل شاب من الروم وقيل كان نبيا وقيل كان عبدا صالحا وقيل اسمه
 عبد الله بن الفضال وقيل مصعب بن عبد الله من أولاد كهلان بن سبا وحكي القرطبي عن
 السهمي انه قال ان الطاهر من علم الاخبار انهما اثنان أحدهما كان على عهد ابراهيم

أحسن أي من احتياج منهم الى
 مناظرة وجدال فليكن بالوجه
 الحسن برفق وحسن خطاب كتقوله
 تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب
 الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا
 منهم الآية فامرهم تعالى بلين الجانب
 كما أمر به موسى وهرون عليهم
 السلام حين بعثهما الى فرعون في
 قوله فتقولا له قولنا له يتذكر أو
 يخشى وقوله ان ربك هو أعلم عن ضل
 عن سبيله الآية اي قد علم الشقي منهم
 واليه يدرك ذلك عنده وفرغ منه
 فادعهم الى الله ولا تذهب نفسك

عليه السلام والاخر كان قريبا من عيسى عليه السلام وقيل هو أبو كرب الحميري وقيل هو
 مملث من الملائكة ورجح الرازي القول الاول قال لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى
 الغاية التي نطق بها التنزيل انما هو اسكندر اليوناني كما يشهد به كتب التواريخ قال
 فوجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذا الارسطاطاليس
 الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق
 وصدق وذلك مما لا يبدل اليه قال النيسابوري قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة
 باطلا فقلعه اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والله اعلم ورجح ابن كثير ما ذكره السهيلي من
 انهما اثنان كما قدمنا ذلك وبين ان الاول طاف بالبيت مع ابراهيم اول ما شاء وآمن به
 واتبعه وكان وزيره الخضر وأما الثاني فهو الاسكندر المقدوني اليوناني وكان وزيره
 الفيلسوف المشهور ارسطاطاليس وكان قبيل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة فاما الاول
 المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل هذا معني ما ذكره ابن كثير في نفسه يردوا اليه عن
 الازرق وغيره ثم قال وقد ذكرنا طرفا صالحا في اخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه
 كفاية وحكي أبو السعد في نفسه يرد عن ابن كثير انه قال وانما بينا هذا به في انهما
 اثنان لان كثيرا من الناس يعتقدان هما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا
 المتأخر فيقع بذلك خطأ كثير وفساد كبير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملك
 عادلا ووزيره الخضر وقد قيل انه كان نبيا وأما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس
 الفيلسوف وكان بينهما من الزمان أكثر من التي ستمائة فين هذا من ذلك انتهى قلت
 اعلم في هذا في الكتاب الذي ذكره سابقا وما باله بداية والنهاية ولم تنف عليه والذي
 يستفاد من كتب التاريخ هو انهما اثنان كما ذكره السهيلي والازرق وابن كثير وغيرهم
 لا كما ذكر الرازي وادعى انه الذي تشبه به كتب التواريخ وقد وقع الخلاف هل هو نبى أم لا
 وسأبقى ما يستفاد منه المطلوب قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطيين
 المشهور والمتواتر ان ارسطو وزير الاسكندر بن قيايس كان قبيل المسيح بنحو ثلاثمائة
 سنة وكثير من الجهال يحسب ان هذا هو ذا القرنين المذكور في القرآن ويعظم ارسطو
 بكونه كان وزيره كما ذكر ذلك ابن سينا وامثاله من الجهال باخبار الامم وهذا من جهلهم
 فان الاسكندر الذي وزيره ارسطو هو المقدوني الذي يؤرخ له تاريخ الروم المعروف عند
 اليهود والنصارى وهو انما ذهب الى ارض القدس لم يزل الى السدة عندما يعرف اخباره
 وكان مشركا يعبد الاصنام وكذلك ارسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الاصنام
 وذا القرنين كان موحدا مؤمنا بالله وكان متقدما على هذا ومن سجد له الاسكندر
 ويقول هو الاسكندر بن قيايس ولهذا كان هؤلاء المتفلسفة انما ارجوا على بعد
 الناس عن العقل والدين كالناراطية والباطنية الذين ركبوا مذهبهم من فلسفة
 اليونان ودين الجوس وأظهروا الرفض والجهال المتصوفة وأهل الكلام وانما ينتسبون في
 دولة جاهلية بعيدة عن العلم والايان اما كفارا وامانافقين كما نفى عنهم من تنفق على
 المنافقين الملاحدة ثم تنفق على اللئيم التريك وكذلك انما ينتسبون دائما على أعداء الله

على من ضل منهم حسرات فانه
 ليس عليك هداهم انما أنت نذير
 عليهم البلاغ وعائنا الحسب اب انك
 لا تهدي من أحببت ليس عليك
 هداهم ولكن الله يهدي من يشاء
 الآية (وان عاقبتهم فعاقبوا بمنزل
 ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خسر
 للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله
 ولا تحزن عليهم ولانك في ضيق مما
 يحكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين
 هم محسنون) يا امرئعالى بالعدل
 في النصاص والممانلة في استيفاء
 الحق كما قال عبد الرزاق عن النورى

ورسوله من الكفار والمنافقين انتهى وأما السبب الذي لأجله سمى ذا القرنين فقبل
 الزجاج والازهرى انما سمى ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مطلعها وقرن الشمس من
 مغربها وقبل انه كان له ضفيرتان من شعر الضفائر سمى قرونا وقبل انه رأى في أول ملكه
 كأنه قابض على قرني الشمس فسمى بذلك وقبل كان له قرنان تحت عمامته وقبل انه دعا
 الى الله فشجعه قومه على قرنه ثم دعا الى الله فشجوه على قرنه الآخر وقبل انما سمى بذلك
 لانه كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقبل لانه انقضى في وقته
 قرنان من الناس وهو حي وقبل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابه جميعه وقبل لانه
 أعطى علم الظاهر والباطن وقبل لانه دخل النور والظلمة وقبل لانه ملك فارس والروم
 وقبل لانه ملك الروم والترك وقبل لانه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا
 هو القدر المعمور من الارض وقبل لانه كان لتاجه قرنان وعن أبي هريرة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدري أتبع كان نبيا أم لا وما أدري أئذو القرنين كان نبيا أم لا
 وما أدري الحدود كضارات لا هلهام أم لا أخرجه عبد الرزاق ابن المنذر والحاكم ونحوه
 وغيرهم وعن علي بن أبي طالب قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله
 فأحبه الله ونصح لله فنحبه الله بعنه الله الى قوم فضر بوه على قرنه فمات ثم أحياه الله
 لجهادهم ثم بعنه الله الى قومه فضر بوه على قرنه الآخر فمات فأحياه الله لجهادهم فلذلك
 سمى ذا القرنين وان فيكم مثله وعن ابن عمر قال ذوا القرنين نبى وعن النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم قال هو ملك يسبح الارض بالاسباب أخرجه ابن أبي حاتم عن الاحوص بن حكيم
 عن أبيه وعن عمر بن الخطاب انه سمع رجلا ينادى بى ذا القرنين فقال ها أنتم قد سمعتم
 باسماء الانبياء فاسألوا عنكم واسماء الملائكة وفى الباب غير ما ذكرناه مما يغنى عنه ما قد وردناه
 وقد أخرج أبو الشيخ والبيهقي عن عتبة بن عامر الجهني حديثا يتضمن ان نفر من اليهود
 سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم عما جأله ابتداء وكان فيما
 أخبرهم به انه كان شابا من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علا به ملك الى السماء وذهب به
 الى السد واسناده ضعيف وفيه منكر وأكبر ما فيه انه من اخبار بنى اسرائيل ذكر
 معنى هذا ابن كثير في تفسيره وعزاه الى ابن جرير والاموي في مغازيه ثم قال بعد ذلك
 والجب ان أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة انتهى وقد
 ساقه بتمامه السيوطي في الدر المنثور وساق أيضا خيرا طويلا عن وهب بن منبه وعزاه
 الى ابن اسحق وابن المنذر وغيرهم وفيه أشياء منكرة جدا وكذلك ذكر خيرا طويلا عن
 محمد الباقر أخرجه أبو الشيخ وغيره ولعل هذه الاخبار ومحوها من متون أهل الكتاب
 وقد أمرنا بان لا نصدقهم ولا نكتبهم فيما يلقونه البنا واختلفوا أيضا في وقته فقال قوم
 كان بعد موسى وقال قوم كان في الفترة بعد عيسى وقال قوم كان في وقت ابراهيم
 واسماعيل وقد حققنا ذلك في لقطه الجبلان فراجعوا وبالجملة فان الله ممكنه وملكه ودانت
 له الملوك وروى ان الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن
 داود والاسكندر والكافران نمرود وبختنصر وسيلكهما من هذه الامة تامس لقوله

عن خالد بن ابن سببرين انه قال في
 قوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عاقبتم
 به ان أخذ منكم رجل شيئا فخذوا
 مثله وكذا قال مجاهد وابراهيم
 والحسن البصري وغيرهم واختاره
 ابن جرير وقال ابن زيد كانوا قد
 أمروا بالصنع عن المشركين فأسلم
 رجال ذو ومنعة فذالوا رسول الله
 لو أذن الله لنا لاتصرتنا من هذه
 الكلاب فتمت هذه الآية ثم نسخ
 ذلك بالجهاد وقال محمد بن اسحق
 عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار

تعالى ليظهره على الدين كله وهو المهدى ذكره القرطبي وعن السدي قال قالت اليهود
 لاني صلى الله عليه وآله وسلم انك انما تذكروا ابراهيم وموسى وعيسى والنبيين انك سمعت
 ذكرهم منا فاحببنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة الا في مكان واحد قال ومن
 هو قالوا ذوالقرنين قال ما بلغني عنه شيء فخرجوا فرحين قد غلبوا في انفسهم فلم يلبثوا
 باب البيت حتى نزل جبريل بهذه الآيات ويثبوتك عن ذى القرنين (قل سائلوكم)
 أيها السائلون (منه) أي من ذى القرنين (ذكرنا) خبرا وذلك بطريق الوحي
 المتداول ثم شرع سبحانه في بيان ما أمر به رسوله ان يقول له من انه سئلوا عليهم منه ذكرنا
 فقال (انما كاله في الارض) أي أقدرناه بما مهدنا له من الاسباب لجعلنا له مكنة
 وقدرة على التصرف فيها وسهل عليه المسير في مواضعها وذلله طرقها حتى تمكن
 منها أين شاء وكيف شاء ومن جعل له تمكينه فيها ان جعل الله الليل والنهار عليه سواء
 في الاضاءة (وآتيناه من كل شيء) مما يهواه أو مما يحتاج اليه الخلق (سببا)
 أي طريقا يتوصل به الى ما يريد كالآلات السير وكثرة الجند واستقصاء بقاع الارض
 والوصول الى عين الحياة وقال ابن عباس سببا أي علما وقال أيضا بلاغا الى حيث أراد
 قال المفسرون والمعنى طريقا تؤديه الى مغرب الشمس قاله الزجاج وقيل من كل شيء
 يستعين به المملوك من فتح المداخل وقهر الاعداء وأصل الباب الخليل فاستعير لكل
 ما يتوصل به الى شيء (فاتبع سببا) سلك طريقا نحو المغرب قال الاخفش تبعته وأتبعته
 بمعنى مثل ردفته وأردفته ومنه قوله تعالى فاتبعه شهاب وحكي الاسم اي انه يقال تبعته
 واتبعته اذا سار ولم يلحقه واتبعه اذا لحقه قال أبو عبيدة ومثله فاتبعوههم مشرقين قال
 النحاس وهذا من الفرق وان كان الاصمعي قد حكاه فلا يقبل الابعلم أو دليل وقوله
 عز وجل فاتبعوههم مشرقين ليس في الحديث انهم لم يلقوههم وانما في الحديث لما خرج
 موسى وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه في البحر انطبق عليهم البحر والحق
 في هذا ان تبع واتبع وأتبع لغات بمعنى واحد وهو معنى السير (حتى اذا بلغ مغرب
 الشمس) أي انما ياب الارض من جهة المغرب وآخر العمارة منها لان من وراء هذه النهاية
 البحر المحيط وهو لا يمكن المضي فيه فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها (وجدناها) أي
 رأينا الشمس (تغرب في عين حنطة) أي كثيرة الحنطة وهي الغائصة السوداء يقال حنطت البئر حنطا
 بالتحسين اذا نزع حناتها وحنطت البئر حنطا بالتحريك كثرت حناتها وقرى حامية من الحنطة
 أي حارة وقد يجمع بين القراءتين فيقال كانت حارة وذات حنطة قال كعب أمانا فاني
 أجد في التوراة تغرب الشمس في مأوطين وأشار بيده الى المغرب وأنشد ابن أبي حنيفة
 فرأى مغيب الشمس عن غروبها • في عين ذي خلب وثناط حرمه •
 فقال ابن عباس ما الخلب قال الطين بكلامهم قال فالثناط قال الحنطة قال فالحرمه
 قال الأسود فدعا ابن عباس غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل قبل ولعل ذالقرنين
 لما بلغ ساحل البحر المحيط بها كذلك في نظره اذ لم يكن في مضجع بصيرة غير الماء ولذلك قال
 وجدها تغرب ولم يقبل كانت تغرب قاله ليساوى يعني على العادة من ان الشخص اذا

قال نزلت سورة الفصل كلها بمكة
 وهي مكة الا ثلاث آيات من آخرها
 نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل
 حنظلة رضي الله عنه ومنزل به فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
 أظهر في الله عليهم لا مثلن بثلاثين
 رجلا منهم فلما سمع المؤمن ذلك

كان في البحر يرى الشمس كأنها تغرب فيه قيل وتسمية البحر المحيط عينا لا محذور فيه
 خصوصا وهو بالنسبة الى ما هو أعظم منه في علم الله وفي القرطبي قال بعض العلماء ليس
 المراد انه انتهى الى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع
 السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض وهي أعظم من ان تدخل في عين من
 عيون الارض لانها أكبر من الارض أضعا فامضا عنة بل المراد انه انتهى الى آخر العمارة
 من جهة المغرب والمشرق فوجدوها في رأى العين تغرب في عين حجة كما اننا شاهدناها
 في الارض المساء كأنها تدخل في الارض ولهذا قال وجدناها تطلع على قوم لم نجعل لهم
 من دونها سترا ولم يردانها تطلع عليهم - م بان تماهم وتلاصقهم بل أراد انهم أول من تطلع
 عليه وقال القتيبي ويجوز ان تكون هذه العين من البحر وتكون الشمس تغيب وراءها
 أو عندها أو معها في مقام حرف الصفة مقام صاحبه والله أعلم انتهى أقول ولا بد أن
 يقال لا مانع من ان يتمكن الله من عبور البحر حتى يصل الى تلك العين التي تغرب فيها الشمس
 وما المانع من هذا بعد ان حكى الله عنه انه بالغ مشرق الشمس ومكان له في الارض والبحر
 من جللتها ومجرد الاستبعاد لا يوجب حمل القرآن على خلاف ظاهره قال الكرخي قاله
 تعالى قادر على انه غير جرم الشمس وتوسيع العين وكرة الارض بحيث تسع عين الماء عين
 الشمس فلم لا يجوز ذلك وان كان لا نه لم به لقصور عقولنا عن الاحاطة بذلك وأيضا الانبياء
 والحكماء لا يبع - د أن يقع منهم - م مثل ذلك ألا ترى الى ظن موسى فيما أنكره على الخضر
 انتهى (ووجد عندها) أي عند العين أو الشمس (قوما) قيل هم قوم عراة لباهم جلود
 الوحش وطعامهم - م ما لفظ البحر وكانوا كفارا قاله البيضاوي ومن المعلوم ان الكفر انما
 يتحقق به دبعة رسول وعدم ايمانهم به ولينظر أي رسول أرسل الى هؤلاء حتى كفر وابه
 هذا ولا يظهر انهم - م كانوا أهل فترة لم يرسل اليهم أحد ولما جاءهم ذو القرنين دعاهم الى ملة
 ابراهيم فنهزم من آمن ومنهم من كفر فخير الله بين ان يعذبهم وبين ان يتركهم فقال (قلنا
 يا ذا القرنين) يستدل بهما من يزعم انه كان نبيا فان الله خاطبه بالوحى ومن قال انه لم يكن نبيا
 أوله بالالهام ويحتمل أن يكون الخطاب على لسان نبي غيره (اما ان تعذب) اباهم بالقتل
 من أول الامر (واما ان تتخففهم حنا) أي امر اذا حسن أو امر احسن فاما لغة فيجعل
 المصدر صفة للامر والمراد دعوتهم الى الحق وتعليمهم الشرائع قيل واما للتقسيم دون
 التغير أي لكن شأنك معهم - م اما الله - م ذيب واما الاحسان فالاول لمن أسرع على الكفر
 والثاني لمن تاب منه والاول أولى (قال) ذو القرنين مختارا للدعوة التي هي الشق الاخير
 من التعذيب (أما من ظلم) نفسه بالاصرار على الشرك ولم يقبل دعوى (فسوف نعذبه)
 بالقتل في الدنيا (ثم يرد الى ربه) في الآخرة (فيعذب) فيها (عذابا نكرا) أي منكر افعليها
 شديد ابالنار لانها أنكر من القتل قال الزجاج - خيره الله بين الامرين قال النحاس ورد
 على ابن سليمان قوله لانه لم يجمع ان ذا القرنين نبي فيضا طيب به ذك كيف يقول لربه عز وجل
 ثم يرد الى ربه وكيف يقول فسوف نه - ذبه فيضا طيبه بالنون قالوا التقدير قلنا يا محمد قالوا
 يا ذا القرنين قال النحاس وهذا الذي ذكره لا يلزم لجواز ان يكون الله عز وجل خاطبه على

قالوا والله لئن ظهروا علينا لم نغفر لهم
 بهم - م مثله لم يغفر لهم من العرب
 باح - م قد فأنزل الله وان عاقبتم
 فعاقبوا بمنزل ما عوقبتم به الى آخر
 السورة وهذا مرسل وفيه مبهم لم
 يسم وقد روى هذا من وجه آخر
 متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار
 حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو
 ابن عاصم حدثنا صالح المري عن

لسان نبى في وقته وكان ذوا القرنين خاطب أولئك القوم فلا يلزم ما ذكره ويمكن أن يكون
 مخاطب النبي الذي خاطبه الله على لسانه أو خاطب قومه الذي وصل به اسم إلى ذلك الموضع
 (وإيمان آمن) بالله وصدق دعوى (وعمل) عملاً صالحاً مما يقتضيه الإيمان (فله جزاء
 الحسن) بنصب جزاء وتنوينه قال الفراء نصبه على التمييز وقال الزجاج هو مصدر
 في موضع الحال أى مجزأ به بجزاء وقرئ بالاضافة أى جزاء الخصلة الحسنى عند الله
 أو الفعلة الحسنى وهى الجنة قاله الفراء وقيل اضافة الجزاء إلى الحسنى التى هى الجنة
 كاضافة حق اليقين ودار الآخرة ويجوز أن يكون هذا الجزاء من ذى القرنين أى أعطيه
 وأنفضل عليه (وسنقول له) أى لمن آمن (من أمرنا يسراً) أى مما أمر به ولا ذابسر
 ليس بالصعب الشاق وأطلق عليه المصدر مبالغة (ثم أتبع سبياً) أى سلك طريقاً آخر غير
 الطريق الأولى وهى التى رجع بهم من المغرب وسار فيها إلى المشرق واستقر فيه لا يئيل
 ولا تغلبه أمة مرت عليها (حتى إذا بلغ) فى مسيره ذلك (مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطامع
 عليه الشمس أولاً من معمر الأرض أو مكان طلوعها لعدم المانع شرعاً ولا عقلاً من
 وصوله إليه كما وضعناه فيما سبق قيل بلغه فى ثنى عشرة سنة وقيل فى أقل من ذلك بناء على
 أنه خفله السحاب وطويت له الأسباب (وجدوا تطلع على قوم) قيل هم الزنج وقيل هم
 من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدبغتهم حمالق واسمها بالسريانية مرة ساوهم مجاورون
 بأجوج وماجوج (لم نجعل لهم من دونها) أى الشمس (سجراً) يستترهم لئلا يروى الببوت
 والدة وفولاً من اللباس بل هم حفاة عراة لا يأتون إلى شئ من العماراة قبل لأنهم بأرض
 لا يمكن أن يستقر عليها البناء قال كعب أرضهم لآفة الأبنية لخاوتها وبها أسراب
 فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم قال الزمخشري وعن
 بعضهم قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل لي يئذ ويئثمهم
 مسيرة يوم وليلة قبلت منهم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه ويلتفئ الأخرى فلما قرب
 طلوع الشمس سمعت صوتاً كهية الصلصلة فغشى على ثم أفت فلما طلعت الشمس
 فإذا هى فوق الماء كهية الزيت فإذا خلوني سربالهم فلما طلع النهار جملوا يصطادون
 السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقال مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
 عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض وفى كعب الهية أن أكثر مال الزنج
 كذلك وكذا حال كل من سكن البلاد القريية من خط الاستواء (كذلك وقد أحطنا بما
 لديه خيراً) أى كذلك أمرنى القرنين أتبع هذه الأسباب حتى بلغ وقد علمنا حين ملكناه
 ما عنيده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به أو من الآلات والجد وغيرهما وقيل
 المعنى لم نجعل لهم سترًا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الأبنية والثياب وقيل المعنى
 وكذلك بلغ مطلع الشمس مثل ما بلغ من هجرها وقيل المعنى كذلك يطلع على قوم مثل
 ذلك القبيل الذى تغرب عليهم فنضى فى هؤلاء مثل ما نضى فى أولئك من تعذيب الظالمين
 والاحسان إلى المؤمنين وهو الأصح ويكون تلويح الأساطة بما لديه فى هذه على
 ما يناسب ذلك كما قلنا فى الوجه الأول ثم حتى سمعنا سفر ذى القرنين إلى ناحية أخرى

سليم بن القتيبي عن أبي عثمان عن
 أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقف على
 حرة بن عبد المطلب رضى الله عنه
 حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر
 إلى منظر أو جسع لالتفب منه أو قال
 لقلبه فنظر إليه وقدم له فقال
 رحمة الله عليك أن كنت للماء ملت
 لوصول للرحم فمولا للخيرات والله

وهي ناحية القطر الشمالى بعد تهيئة أسبابه فقال (ثم اتبع سببا) أى سلك طريقا مالنا
 معترضا بين المشرق والمغرب واستقر آخذ ذافيه (حتى إذا بلغ) فى مسيره ذلك (بين
 السدين) بفتح السين وقرئ بضمها وهما سبعين وقال أبو عبيدة وابن الأثير وأبو عمرو
 ابن العلاء السدان كان يخلق الله تعالى فهو بضم السين حتى يكون بمعنى منعول أى هو
 مما فعه له الله وخلقه وان كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا وقال ابن
 الأعرابي كل ما قابلت فسد ما وراءه فهو سد وسد نحو الضعف والضعف والفقير والفقير
 والسدان هما جبلان من قبل ارمينية وأذربيجان قاله ابن عباس وقيل موضع بين
 السدين هو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق وقيل هما جبلان عالين جدا ألسان
 لا يستطيع الصعود عليهما كالدالات ويسمى كل واحد منهما سدا لانه سد الحاج الأرض
 وفى الشهاب اطلاق السد على الجبل لانه سد فى الجبل وفى القاموس السد الجبل والحاجز
 أول كونه ملاصقا للسد فهو مجاز بعلاقة المجاورة وحكى ابن جرير فى تاريخه ان صاحب
 أذربيجان ابام فتحها ووجه انسانا من ناحية الجزيرة فاشاهده ووصف انه بانيان رفيع وراء
 خندق وثيق منيع وحكى ان الواثق بعث بعض من يثق به اليه ليعاينه فخرجوا من باب
 من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهده فوصفوا انه بناء من ابن حديد مشدود بالنحاس
 المذاب وعليه باب متقل وقيل جبلان فى أواخر الشمال قال الرازي والظاهر ان موضع
 السدين فى ناحية الشمال سد الاسكندر ما بينهما أى الفتحة وطولها مائة فرسخ وليس
 لباجوج وما جوج طريق يخرجون منها الى أرض العمارة الا هذه الفتحة ومسكنهم وراء
 هذين الجبلين وأرضهم متصلة جدا تنهى الى البحر المحيط (وجد من دونهما) أى من
 وراءهما مجاوزا عنهما وقيل أمامهما أى خارجة عنهما لا داخله ناحية باجوج وما جوج
 وقال الخطيب بشرى ما من الجانب الذى هو أدنى منه ما الى الجهة التى أتى منها ذو القرنين
 (قوما) أى أمة من الناس لغتهم فى غاية البعد عن لغات بقية الناس لبعده بلادهم من بقية
 البلاد فلذا (لا يكادون) أى لا يقربون (يفقهون) أى يفهمون (قولا) عن مع
 ذى القرنين فهم ما جودا كما يفهم غيرهم لغات لغتهم وقلة فظنهم وقرئ بضم الياء وكسر
 القاف من أذقه اذا بان أى لا يسيئون لغتهم ~~كلاما~~ وقرئ بفتح الياء والقاف أى
 لا يفهمون كلام غيرهم والقراءتان هيستان ومعناه ما لا يفهمون عن غيرهم ولا
 يفهمون غيرهم لانهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم ولسانهم غريب مجهول لشدة غمهم
 فكلامهم مغلق قال ابن جرير هم الترك (قالوا) أى هؤلاء القوم الذين لا يفهمون قولا
 (يا ذا القرنين) وهو الاسكندر الاكبر قيل ان فهمه كلامهم من جملة الاسباب التى
 أعطاه الله وقيل انهم قالوا ذلك لترجمانهم فقال لمن اقرئين بما قالوا له وذلك لانهم من
 اولاد بنات بن نوح وذو القرنين من اولاد سام لا يفهم لغتهم (ان باجوج وما جوج)
 اسمان عجميان لا اشتقاق لهما بديل منع صرفهما للعلى والعبادة وبه قال الاكثر وقيل
 عريان مشتقان من أج التظلم فى منجبه اذا هرول وتأججت النار اذ اتلفت وقرأهما
 الجمهور بغير همز وقرأهما بالهمز قال ابن الأثير وجه همزهما وان لم يعرف له أصل

لولا حزن من بعدك عليك لسوفى ان
 أتركك حتى يحسرك الله من بطون
 السباع أو كلفهوها أما والله على
 ذلك لا مثلين يسعين كمثلك فنزل
 جبريل عليه السلام على محمد بهذه
 السورة وقرأوا نعاقبتم فعاقبوا
 بمنزل ما عوقبتهم به الى آخر الآية
 فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعنى عن يمينه وأمسك عن ذلك

ان العرب قد همزت حروفها لا يعرف الله من فيها أصل كقولهم كبات وراث واستنات
 الريح ويحتمل أن تكون الهمزة أصل لا والاف بدلا عنها وبالعكس لان العرب تتلاعب
 بالامضاء الجمية قال أبو علي يجوز أن يكونا عربيين فمن همزة فهو على وزن يفعل مثل
 يربوع ومن لم يهمزها يمكن أن يكون خفف الهمزة فقلها التماسل رأس وأما ما جوج فهو
 مفعول من أج والكلمات من أصل واحد في الاشتقاق قال وترك الصرف فيهما على
 تقدير كونهما عربيين للتأنيث والتعريف كأنه اسم للقبيلة وقيل اشتقاقهما من الأوجه
 وهي الاختلاط أو شدة الحر وقيل من الأوج وهو سرعة العدو واختلف في نسبهم فقيل
 هم من ولدياقت بن نوح والتك منهم وقيل ياجوج من الترك وما جوج من الجبل والديلم
 وقال كعب الاحبار احتلم آدم فاختلف ماؤه بالتراب فخلقوا من ذلك الماء قال القرطبي
 وهذا فيه نظر لان الانبياء لا يخلقون وانما هم من ولدياقت كذلك قال مقاتل وغيره وقد
 وقع الخلاف في صفتهم فمن الناس من يصفهم بصغر الجثث وقصر القامة ومنهم من يصفهم
 بكبر الجثث وطول القامة ومنهم من يقول لهم مخالب كخالب السباع وان منهم من صفا
 ينترس احدى اذنيه ويلتحف بالآخرى ولاهل العلم من السلف ومن يدهم اخبار مختلفة
 في صفاتهم وأفعالهم قال ابن عباس ياجوج وما جوج شبر وشبران وأطواهم ثلاثة
 أشبار وهم من ولد آدم وفيه بعد وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان
 ياجوج وما جوج من ولد آدم ولو أرسلوا لفسدوا على الناس معايشهم ولا يموت منهم
 رجل الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وان من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتاريس ومن ذلك
 أخرجه الطبراني وعبد بن جريد وابن المنذر والبيهقي وغيرهم قيل هم عشرة أجراء وولد آدم
 كلهم جزء ومسافة الارض بينهم ما خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مشكن
 لهم بقى عشرة سبعة للجنة وثلاثة للجملة الخلق غيرهم وهم كفار دعاهم النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم الى الايمان ليلة الامراء فلم يجيبوا والله أعلم (مفسدون في الارض)
 بالنهب والبقى عند ذر وجهم وقيل سيفسدون بعد ذر وجهم اليأس واختلاف في افسادهم
 في الارض فقتل هو كل بني آدم وقيل هو الظلم والغنى والقتل وما روجوه الا فساد
 وقيل كانوا يخرجون الى أرض هؤلاء القوم الذين شكواهم الى ذى القرنين في أيام
 الربيع فلا يدعون فيه شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا حلوه وأدخلوه أرضهم وأخرج
 أحد الترمذي وحده ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن
 ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ياجوج وما جوج يفسدون
 في الارض يحضرون السد كل يوم حتى اذا كانوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم
 ارجعوا فتقنونه غدا فيعودون اليه أشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم وأبى الله ان
 يعيدهم على الناس حضروا حتى اذا كانوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
 فتقنونه ان شاء الله تعالى ويستثنى فيعودون اليه وهو تهينته حين تركوه فيصنونه
 ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويحصن الناس منهم في حصونهم فيموتون
 بهم امهم الى السماء فتخرج من تحتها ما ينفقون فتهرأنا من في الارض وعلا ناس في

وهذا السناد فيه ضعف لان صالحا
 هو بشر المري ضعيف عند الأئمة
 وقال البخاري هو منكر الحديث
 وقال الشعبي وابن جرير زلت
 في قول المسكين يوم أحد فيمن مثل
 بهم لقنن بهم فأنزل الله فيهم ذلك
 وقال عبد الله ابن الامام أحمد في
 مسند أبيه حدثنا هبة بن عبد
 الوالي المروزي حدثنا الفضل بن

السماة قسرا وعلوا فيبعث الله عليهم تغفاني اقفاهم فيهلكون قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض تسمن وتبطر وتشكر شكر من طعمهم وقد ثبت في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نومه وهو محروجه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبيث وانخرجنا هؤلاء من حديث ابى هريرة مرفوعا وقد ذكرنا تفصيل حالهم في صحيح الكرامة فراجعهم (فهو يجعل لك خراجا) هذا الاستفهام من باب حسن الادب مع ذي القربى وقرئ خراجا قال الازهرى الخراج يقع على الضريبة و يقع على مال القى ويقع على الجزية وعلى الغلة والخراج أيضا اسم لما يخرج من القرائن في الاموال والخرج المصدر وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض وقيل الخرج ما يخرج كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان وقيل هما بمعنى واحد قال ابن عباس خرباى أجزا عظيما وجه الاموال (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) اى رد ما حاربنا بيننا وبينهم فلا يصلون اليها قال الخليل وسيبويه الضم هو لاسم والفتح المصدر وقال الكسافى الضم والتخلف لغتان بمعنى واحد وقد سبق قريا ما حكىناه عن ابى عمرو بن العلاء وابى عبيدة وابن الانبارى من الفرق بينهما وقال ابن ابى اسحق ما رآته عينك فهو سد بالضم وما لا ترى فهو سد بالفتح وقد قدمنا بيان من قرأ بالفتح وبالضم فى السدين (قال) لهم ذو القرنين (ما كنيت فيعربى) اى ما بسطه الله على من المال والقدرة والمالك وفى قراءة سبعة بنون من غير ادغام (خير) من خرجكم الذى يجعل لونهى فلا حاجة الى اليه وأجعل لكم السد تبرعاً ثم طلب منهم المعاونة له فقال (وأعينونى بقوة) اى برجال منكم يعملون بأيديهم ثم (وأعينونى بالآلات البناء) أو بجمع وعهما قال الزجاج يعمل لونهى معى (أجعل بينكم وبينهم ردماً) بجزا احصينا وهذا جواب الامر والردم ما جعل بهضه على بعض حتى يتصل قال الهروى يقال ردمت الثلثة أردمها بالكسر ردم اى سدتها والردم أيضا الاسم وهو السد وقبل الردم أبلغ من السد اذا سد كل ما يسد به والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوهما حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم نوبه اذا رفعه برقع مشكاته بعضه فوق بعض قال ابن عباس الردم هو أشد الحجاب (آتوى) اى أعطونى وناولونى (زبر الحديد) جمع زبرة كزبرة وغرف وهى القطعة قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة قال القرامه عنه آتوى بها على قدر الحجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الخطب والشمع (حتى اذا سألوا بين الصدفين) بفتح الحرفين وضمهما وضم الاول وسكن الثانى والثالث أشهر اللغات وقرئ بفتح الصاد وضم الدال قال الازهرى يقال لجناى الجبل سدقان اذا تقادبا لتصادفهما اى تلاقيهما وكذا قال أبو عبيدة والهروى وقد يقال لكل بناء عظيم مرتفع صدف قاله أبو عبيدة وفى البيضاوى الصدفين من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتعاقب وقال ابن عباس الصدفين الجبلين وقال مجاهد رؤس

موسى حدثنا عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبى العباس عن أبى بن كعب قال لما كان يوم أحد قتل من الانصار ستون رجلا ومن المهاجرين ستة فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لفتلنهم هم فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قرىش بعد اليوم

الجبلين ومعنى الآية أنهم سمعوا صوت زبر الحديد فجعل يبنى بهما بين الجبلين حتى ساءوا لهما ثم
 (قال) للعله (انفخوا) على هذه الزبر بالكيران (حتى إذا جعله) أي جعل ذلك المنوخ
 فيه وهو الزبر (نارا) أي كالنار في حرها واسناد الجعل إلى ذى القرنين مجازا لكونه الآخر
 بالنفخ قبل كان يأمر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والنفخ المنافع
 حتى يجمع والحديد إذا أوقد عليه صار كالنار ثم يوقى بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك
 الطاقة وهو معنى قوله (قال آتوني أفرغ عليه قطرا) قال أهل اللغة هو النحاس المذاب
 وبه قال ابن عباس والافراغ الصب وكذا قال أكثر المفسرين وقالت طائفة القطر
 الحديد المذاب وقالت طائفة أخرى منهم ابن الأباري هو الرصاص المذاب قد دخل القطر
 بين زبره فصارت شيئا واحدا قيل وهذا السدم عجزة عظيمة ظاهرة من الزبرة الكبيرة إذا نفخ
 عليها حتى صارت كالنار لم يدر أحد على الشرب منها أو النفخ عليها إلا يكن إلا بالتقرب منها
 فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أيدى أولئك النافخين حتى لا يمتدحوا من
 العمل فيه (فما استطاعوا) أصله استطاعوا قال ابن السكيت يقال ما استطاع وما
 استطاع وما استطيع وبالتخفيف قرأ الجمهور وروى حمزة وحدهما استطاعوا ابتداء الطاء
 وهي قراءة ضعيفة الوجه قال أبو علي النارسي هي غير جائزة وقرئ على الأصل (أن
 يظهره) أي بعلمه قاله ابن جريج وقال قتادة إن يرتدوه أي فاستطاع بأجوج وما أجوج
 أن يعلموا على ذلك الردم لارتفاعه ولاسته فكان ارتفاعه مائتي ذراع وملاسته لا يثبت
 عليه قدم ولا غيره (وما استطاعوا نه أقبا) يقال نقبت الحائط إذا خرقت فيه خرقة فخلص
 ما وراءه قال الزجاج ما استطاعوا أن يتقبوه من أسدله لشدته وصلابته وسماكته ونفخه أي
 عرضه قيل إن عرضه خمسون ذراعا وطوله فرسخ وسعة الفتحة التي بين الجبلين مائة فرسخ
 (قال) ذو القرنين مشير إلى السد (هذا) السد أي الإقدار عليه (رحمة من رب) أي
 أثر من آثار رحمته لهؤلاء المجاورين للسد ولأن خلقهم من مخشي عليه معرتهم لولم يكن
 ذلك السد فهو نعمة لأنه مانع من خروجهم (فإذا جاء وعد رب) أي أجله أن يخرجوا منه
 وقيل هو مصدر بمعنى المنعول وهو يوم القيامة (جعل) الطاهر أن الجعل هنا بمعنى التسمير
 وعند ابن عطية بمعنى خلق وفيه بعد لأنه إذا لم يوجد (دكا) أي مستويا بالارض ومنه
 كلا إذا دكت الارض دكلا قال الترمذي أي مستويا يقال نافذة دكا إذا ذهب سنامها
 وقال القتيبي أي جعله مدكوكا بسوطا ملصقا بالارض وقيل مساويا بالارض فيغور فيها
 أو ينوب حتى يصير زابا وقال الحلبي قطعا منكسرة ومن قرأ كتابا لم يدركه التشبيه بالنافذة
 الدكا وهي التي لا سنام لها أي مثل دكا لأن السدم كرفلا يوصف بدكا وقرأ الباقون دكا
 بالتشوين على أنه مصدر ومعناه ما تقدم ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الحال أي مدكوكا
 قال قتادة لا أدري الجبلين يعني به أم يثمل (وكان وعد رب) أي يخرجهم أو وعده
 بالثواب والعقاب أو الوعد لهم ودخا ناسا لا يتخلف وهذا الخبر قول ذى القرنين ثم قال
 الله تعالى (وتركنا بعضهم بأي بعض يا جوج وما جوج) (يوشد يوج في بعض) أي جعلنا
 وصيرنا بعضهم يوم مجي الوعد أو يوم خروج يا جوج وما جوج يحتلط ويوج في بعض

فنأدى أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد آمن الأسود والابيض إلا
 فلا نأو فلا نأنا ساسماهم فانزل الله
 تبارك وتعالى وإن عاقبتهم فعاقبوا
 بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر السورة
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نصبر ولا نعاقب وهذه الآية الكريمة
 لها أمثال في القرآن فانهم امشقله
 على مشروعية العدل والنسب

له نزل في تقييد التزل بمكان الضيف نظر كما قال بعضهم - م انه الذي يعد للضيف وعلى هذا
 فيكون تهمكهم كقوله فبشرهم بعذاب اليم والمعنى ان جهنم معدة لهم عندنا كما بعد التزل
 للضيف (قل هل تنبئكم بالاخسر من احمالا) جمع اخسر اى أشد خسرانا من غيرهم
 أو بمعنى خسر وجع العمل للدلالة على ارادة الانواع منه عن مصعب بن سعد قال سألت
 ابي ايهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وأما النصارى فكفروا بالحنة وقالوا الاطعام فيها ولا شراب والحرورية الذين يتقضون
 عهد الله من بعدهم شافه وكان سعيهم الفاسقين وعنه قال لا ولا كهم أصحاب الصوامع
 والحرورية قوم زاغوا فازاغ الله قلوبهم وعن علي قال انهم الرهبان الذين حبسوا انفسهم
 في السوارى وعنه قال هم جرة قريش وعنه قال لا اظن الا ان الخوارج منهم (الذين ضل)
 اى بطل وضاع (سعيهم) كالتحق والوقف وانما الملهوف لان الكثرة لا تنفع معه طاعة
 (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) اى والخال انهم يظنون (انهم يحسنون صنعا) علا
 يجازون عليه وانهم منتفعون بآثاره (أولئك الذين كذبوا بايات ربهم) مستأنفة مسوقة
 لبيان تكميل الخسران وسببه وهذا أولى الوجوه ومعنى كفرهم بالآيات كفرهم بدلائل
 توحيدهم من الآيات التكوينية والتزييلية (واقائه) اى كفروا بالبعث والحساب
 والثواب والعقاب وما بعده من أمور الآخرة ثم رتب على ذلك قوله (فحبطت أعمالهم)
 التى عملوها مما يظنون حسنا وهو خسران وضلال ثم حكم عليهم بقوله (فلا نقسم لهم
 يوم القيامة وزنا) اى لا يكون لهم عندنا قدر ولا انعام بل نزيدهم ونستألفهم وقبل
 لا يقيم لهم ميزان توزن به أعمالهم لان ذلك انما يكون لاهل الحسنات والسيئات من
 الموحدين وهؤلاء الاحسانات لهم قال ابن الاعرابى العرب تقول ما للفلان عندنا وزن اى
 قدر حسنة ويوصف الرجل بانه لا وزن له لحسنه وسرعة طيشه وقلة ثبته والمعنى على هذا
 انهم لا يعتد بهم ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة وقرأ مجاهد يقيم اى فلا يقسم الله
 وقرأ الباقر بالنون وفي الحديث من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم قال انه لياق الرجل العظيم السمين يوم القيامة لارن عند الله جناح بعوضة وقال
 اقرؤا ان شئتم فلا تقسم لهم يوم القيامة وزنا ثم بين سبحانه عاقبة هؤلاء وما يؤول اليه امرهم
 فقال (ذلك) اى الذى ذكرناه من أنواع الوعيد وجوب أعمالهم وخسة قدرهم
 (جراؤهم جهنم) عطف بيان للجزاء والسبب في ذلك انهم ضموا الى الكثرة اتخاذهم
 آيات لله واتخاذ رسوله هزوا والباء فى (بما كفروا) للريبة (واتخذوا آياتى ورسلى
 هزوا) اى مهزوا به ثم ذكر سبحانه بعد هذا الوعيد هؤلاء الكفار الوعد للمؤمنين
 فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى جمعوا بين ما حتى كانوا على ضا صفة من
 قبلهم (كانت لهم) فيما سبق من علمه لاهل طاعته قاله ابن التبارى (جنات
 الفردوس نزلا) قال الميرد الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر المتفوالا غلب
 عليه العنب واختار الزجاج م قاله مجاهد ان الفردوس البستان باللغة الرومية وقيل كل
 ما حوط فهو فردوس والجمع فسر اديس وحكى الزجاج انها الاودية التى تنبت خضروا بمن

بالصبر واخبار بان ذلك لا ينال
 الا بمشيئة الله واعاقته وحوله
 وقوته ثم قال تعالى ولا تحزن
 عليهم اى على من خالفك فان الله
 قد رد ذلك ولانك فى ضيق اى غم
 مما يكرهون اى مما يجهدون
 انفسهم فى عداوتك وابصال
 الشر لك فان الله كافيك وناصرك
 ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم
 وقوله ان الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون اى معهم

الذهب فقبل هو عربي وقيل أعجمي وقيل فارسي وقيل مرياني وقد تقدم بيان التعليل
والمعنى كانت لهم غارجنة الفردوس نزلهم عدلهم مبالغة في اكرامهم أنخرج الطبراني
ولما كم وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم سلوا الله الفردوس فاهم أسرة الجنة وإن أدل الفردوس يسمعون
أطيط العرش وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم إذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش
الرحمن ومنه تفجير أنهار الجنة وأخرج الترمذي وأحمد والحاكم والبيهقي وعبد بن حميد
عن عباد بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن في الجنة مائة درجة كل
درجة منها ما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة ومن فوقها يكون العرش ومنه
تفجير أنهار الجنة الأربع فإذ سألت الله فاسأله الفردوس وعن السدي هو الكرم
بالسبطية وقال كعب بن جراح الأعمش السرياني وعنه ليس في الجنان جنة أعلى من
جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة
الجنة وأوسطها أو وسعها أو فضلها أو رفعها وقيل هي الجنة الملتفة بالأشجار التي تنبت
ضروباً من السبات والاحاديث بهم هذا المعنى كثيرة وقد أضعنا ما جاء في الجنان كلها ونعميها
من الاحاديث والآثار في كتاب حبيتنا من غير ما كان الغرام إلى روضات دار السلام
(خالد بن قيس لا يبعون عنها حولا) قال مجاهد لم يقصروا أي لا يطلبون تحولاً عنها إلى غيرها
أذهي أعز من أن يطلبوا غيرها وتشتاق أنفسهم إلى سواها قال ابن الأعرابي وابن قتيبة
والأزهري الحول اسم بمعنى التحول يقوم مقام المصدر وقال أبو عبيدة والقراء أن الحول
التحول ولما ذكر سبحانه أنواع الدلائل نبه على كمال القرآن فقال (قل لو كان البحر مداداً
لكلمات ربّي) قال ابن الأثير يسمى المداد مداد الامداد الكاتب وأصله من الزيادة
ومجيء الشيء بعد الشيء ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد أو المراد بالبحر هنا الجنس
والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وبهاثبه وفرض أن جنس البحر مدادها (لنفد
البحر) أي لنفني ماؤه (قبل أن تنفذ كلمات ربّي) أي قبل نفوذ الكلمات وقيل
المعنى لو كان البحر مداد القلم والقلم يكتب لنفذ البحر قبل نفوذ كلمات ربّي أي علمه فله
مجاهد وقال قتادة يتقدم البحر قبل أن ينفذ كلام الله وحكمته وقيل المراد به ما علمه
قرئ تنفذ بالناء والياء وهما سبعة من الحروف في الكشف أن قبل هنا بمعنى غير أو بمعنى
دون وقبل على سبحانه بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى وهو أن كان
واحد فيجوز أن يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من القوائد وقد عبرت العرب عن الفرد بلفظ
الجمع قال الأعشى

ووجه نقي اللون صاف يزينه • مع الجبدلات لها ومعاظم

فعبّر باللبات عن اللبة قال الجبائي إن قوله قبل أن تنفذ كلمات ربّي يدل على أن كلماته قد
تنفذ في الجلة ومأبذة عدمه امتنع قدمه وأجيب بأن ما إذا لفظ الدالة على متعلقات
تلك الصفة الأزلية وقبل في الجواب أن تنفذ شيء قبل تنفذ شيء آخر لا يدل على تضاد الشيء

بأي شيء ونصره ومعونه وهدية
وسعيه وهذه معية خاصة كقوله إذ
يسئ ربك إلى الملائكة أني معكم
فثبتوا الذين آمنوا وقوله أو
وهرون لا تقفأ فأنى معكم اسمع
وأرى وقول النبي صلى الله عليه
وسلم للصدوق وهما في الغار لا تحزن
إن الله معنا وأما المعية العامة
فبالسمع والبصر والعلم كقوله تعالى
وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون
بصير وكقوله تعالى ألم تر أن الله يعلم

للآخر ولا على عدم تضاده فلا يستفاد من الآية الاكثره كلمات الله بحيث لا تضبطها عقول
 البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل على ذلك في هذه الآية والحق ان كلمات
 الله تابعة لمعوماته وهي غير متناهية قال كامات غير متناهية (ولو جئنا بعثله مددا) كلام
 من جهته سبحانه غير داخل تحت قوله قل لو كان البحر مائة زيادة بالغة ونا كدهم والوار
 اعطف ما بعده على جملة مقدره مدلول عليها بما قبلها أي انقد البحر قبل ان تنفذ كلمات الله
 لو لم يحث بعثله مددا ولو جئنا بعثله أي البحر مدد النفا أيضا والمدد الزيادة وقرئ مداد او هي
 كذلك في مصحف أبي ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يسلّم ان يسلّم لك التواضع
 فقال (قل انما أنا بشر مثلكم) أي آدمي حالي من صور على البشرية لا يضافها الى الملكية
 ومن كان هكذا فهو لا يدعي الاطاعة بكلمات الله الا انه امتاز عنه بالوحي اليه من الله
 سبحانه فقال (يوحى الى) وكفى بهذا الوصف فارقا بينه وبين سائر أنواع البشر ثم بين
 ان الذي أوحى اليه هو قوله (انما الحكم له واحد) لا شريك له في الألوهية والملك وفي هذا
 ارشاد الى التوحيد ثم أمرهم بالعمل الصالح والتوحيد فقال (فمن كان يرجو لقاء ربه)
 الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمعنى من كانه هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين
 ويخاف المصير اليه وقيل يؤمل رؤية ربه والبعث والجزاء (فليعمل عملا صالحا) هو
 ما دل الشريعة على انه عمل خير يثاب عليه فاعله أي ما توفيقي اعتبرانه شرعا عن ابن عباس
 قال أنزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله الهة أخرى غيره وأبست هذه في المؤمنين
 (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) من خلقه وواء كان صالحا وطالحا حيوانا أو جمادا قال
 الماوردي قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية ان المعنى لا يراى بعمله أحدا
 وأقول ان دخول الشرك الجلي الذي كان يثاب به المشركون تحت هذه الآية هو المقدم
 على دخول الشرك الخفي الذي هو الرياء ولا مانع من دخول هذا الخفي تحتها انما المانع من
 كونه هو المراد بهذه الآية عن ابن عباس قال قال رجل يا نبي الله اني أقف المواقف أستغني
 وجه الله وأحب ان يرى موطني فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية وعنه قال كان
 جندب بن زهير اذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخبر ارتاح له فزاد في ذلك لقالة الناس
 فلا يربيه الله فنزل في ذلك فن كان يرجو لقاء ربه الآية وأخرج أحمد والترمذي وابن
 ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد بن أبي قحافة الانصاري وكان من الصحابة سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا جمع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه
 نادى من كان أشرك في عمل الله أحد افليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى
 الشركاء عن الشرك وأخرج الامام محمد بن يحيى عن أبي هريرة ان رجلا قال يا رسول
 الله الرجل يجاهد في سبيل الله وهو يتغنى عرضا من الدنيا فقال لا أبره فاعظم الناس
 ذلك فعاد الرجل فقال لا أبره وعن شداد بن أوس قال كان عبد الرياء على عهد رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الشريك الاصغر وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يقول من صلى براء فقد أشرك ومن علم براء فقد أشرك ومن تصدق براء فقد

ما في السموات وما في الارض
 ما يكون من تحصى ثلاثة الاله
 رابعهم ولا خمسة الاله سادسهم
 ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الاله
 مريم أيها كانوا وكان تعالى
 وما تكون في شأن وما تعلمونه من
 قرآن ولا تعلمون من عمل الانكا
 عليكم شهدوا الآية ومعنى الذين
 اتشوا أي تركوا المحرمات والذين
 هم محسنون أي فعلوا الطاعات
 فهو لا الله يحفظهم ويكافؤهم

أشركتم قرأ في كتابه أن رجلاً من بني النضير أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الله يقول أنا خير قسيم لمن أشركني من أشركني شيئا فإن عذبه قليله وكثيره لشريكه الذي أشركه أنا فغضب عنه غنى أخرجه أحد وأبوه به والطيب السبي وأخرج أحد والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح النمر الذي أن يقول الرجل يلقى لمكان رجل وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية قلت أتشرك أم لا قال نعم أما أنتم لا تعبدون شمساً ولا قمر ولا نجماً ولا وثناً ولكن براون الناس بأعمالهم قلت يا رسول الله ما الشهوة الخفية قال يجمع أحدهم صائفاً فيعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته وأخرج أحمد وسلم وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه أنه قال أنا خير النمر كما في عمل لا أشرك فيه غيري فأناب من منه وهو الذي أشرك وفي لفظ من أشرك بي أحد فله كله وفي الباب أحاديث كثيرة في التحذير من الريا ما منه الشرك الأصغر وإن الله لا يقبله وقد استوفاهما صاحب الدر المنثور في هذا الموضع فليرجع إليه ولكن لا تدل على أنه المراد بالآية بل الشرك الجلي يدخل تحتها دخلاً وأولاً وعلى فرض أن سبب النزول هو الرياء كما يشهد به إلى ذلك ما قدمنا فالاعتبار به عموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في علم الأصول وقد ورد في فضائل هذه الآية بخصوصها ما أخرجه الطبراني وابن مردويه عن حكيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم ينزل على امتي إلا سورة الكهف لكنتهم وأخرج ابن راهويه والبيهقي والحاكم وصححه والبرازي في الألقاب وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ في ليلة فن كان يرجو لقاء ربه الآية كان له نور من عند أبين إلى مكة حشوه الملائكة قال ابن كثير بعد أخرجه غريب جداً وعن معاوية بن سفيان أنه تلا هذه الآية فن كان يرجو لقاء ربه وقال إنه آخر آية نزلت من القرآن قال ابن كثير وهذا أثر متكرر فإن هذه الآية هي آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها ولا ما يغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه وإلى هنا انتهى الجزء الثاني (١) من تفسير الكتاب العزيز المسمى (بفتح البيان في مقاصد القرآن) وينتهي الجزء الثالث إن شاء الله تعالى وكان الفراغ من زبده على يد مؤلفه الفقير إلى الله تعالى في يوم سواه (صديق بن حسن ابن علي الحسيني القنوجي) ختم الله له بالحق وأداه حلاوة رضوانه الأسنى في صبيح الأربعاء له تامل جلال الآخرة من شهر سنة تسع وثمانين ومائتين وألف الهجرية على صاحبها أفضل الله له والسلام والحب في بلدة (جويال) أجنبية من أمته وأهلها عن الفسوق والبليّة وقد أفرغت فيه جهدي وبذل فكرى في فائس أراها إن شاء الله

وينصرون ويؤيدونهم ويظفرونهم على أعدائهم ومخالفينهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا معمر بن عوف عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضي الله عنه من الذين آمنوا والذين اتقوا والذين هم محسنون

آخر تفسير سورة النحل والله الحمد والمثني وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

(١) قوله انتهى الجزء الثاني أي من تجزئة المؤلف

الله تعالى تجدى فهذا جهد المقل غير مجل بالمقصود ولا عمل فرحم الله امرأتك ربين
الاتصاف اليه ووقف فيه على سهو فاطلعني عليه

حدث الله ربي اذهداي * لما أبدت مع عجزى وضعفى

فنى بالخطأ فارد عنه * ومن لى بالقبول ولو بحرف

ولم يكن قط يحطريالى ويعرفى خلدى أن تصدى لذلك علمانى بالمعز عن السلوك فى هذه
المسالك وعسى الله تعالى ان ينفع به نفعاجا ويفتح به قلوبا غلقا وأعيننا عجا وآذاننا سميا
ومن كان فى هذا ماعى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ومن أحسن من الله قبلا رزقنا

الله به هداية الى سبل الحق توفيقا وبصيرة لمبالية وخبرة بدقائق

معانيه وتحتيقا وجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن

أولئك رفيقا وما ذلك على

الله يعزى

وقال الشيخ العلامة الفقيه والجهيد الفاضل النبيه مجتهد عصره ومفتي عصره انسان
عينا لا مال والاماني الشيخ يوسف بن المبارك العريشي الباني نفع الله بعلمه
الاقامي والاداني مقرر هذا التفسير العظيم ذا الخطر الجسيم مانعه .

• (بسم الله الرحمن الرحيم) •

نحمدك يا من جعل العلماء العاملين ورثة الانبياء ورفع مقامهم اعلاما فكانوا المشريعة
والاهداء فنجوا ما واصلوا وشغلهم بخدمة كتابه فينبوا احكامه وكشفوا اسراره
وأوضحوا حقائقه وقسموا علومه أقساما وفقههم بعناية فقاموا في خدمته بتفسيره
وتأويله وأجروا في كشف حقائقه أنلاما لما علموا انه أرخ العلوم أصلا وأنورها كلاما
وأسبغها فروعاً وأصلها وأحدتها نظاما اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو
الدال عليه وله اماما فأحرزوا بذلك مزايا ورتباصاروا بها اعظاما وقذف في قلوبهم
أنوار ابرون بها من المشكلات ما كان بعيدا عن محجباتها ومنه انها ما مناهم
تعالى عليهم وافضلها وعزرا اكراما فذاقوا حلاوة فهم أسرار كتابه فاجروا في طلب
سفره تعبوا ولا سأموا وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
أكرم به رسولا واماما صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما

(أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما من علينا بالاجتماع باخينا العلامة المحقق الفهامة
قاضي الخنة الحسين بن محمد السبي حفظه الله وزاده علما وأسبغ عليه من كرمه
عظيم النعمى في حرمة الشريف بركة المنرفة شرفها الله وعظمها اودار الكلام
بالمذاكرة بيننا في ذلك المكان الشريف وحلا وراق لنا الوقت في تلك الماتر الشريفة
وانجلى فناءنا عن تلك الديار التي ساقته اليها الاقدار وهل بقي في زوايا تلك الارض
خبيا من العلماء العاملين وأئمة المسلمين وهداة لعباده المؤمنين فذكر لنا الخبر الكثير
ومن جملة من ذكره السيد البدر العلامة التواب تاج العلم والها والفهامة الذي علت
مرتبته فوق الها فابهرق وصفه فاجز وأطال فاطاب وأجاد في كشف مناقبه حين
أجاب وذكركم من جملة مناقبه ان وفقه الله سبحانه لتفسير كتابه بتفسير عظيم ما أنفست
فوائده وانسج فرائده وأفصح مقالة وأفسح مجالة فلما سمعت بحالته تشرفت
لرؤية ذلك الكتاب وروايته فقال لي القاضي المذكور قد طبع بحمد الله منه الجزء
الاول وسأرسل لك به والباقي ان شاء الله بصلكم على أيدينا من عند السيد العلامة
التواب مجلا به فلما رجع القاضي انذ كورا بأول العادات من زيارة سيد الكائنات
أرسله اليها من بندر الحديقة فاستبشرت بوروده وحصلت على الفائدة من وفوده
فسرحت في درر معانيه نظري ورعت في رياض حقائق كذمه جواد فكري فوجدته
تفسير اقدر مع من جواهر معاني التصديق عارقي وغلا وجمع من دبع التفسير ما دق
وعلا ولما كشفت عن خازن جواهره سطوراً نور علومه وتاملت بيان منافع الغيب
من منطوقه ومشهوره فقام لنا بفتح التقدير خطيب نيل أوطاره وكشاف حقائق علومه

وأسراره على منبر الفضل ينادي بأنه لمن أجل المصنفات في علم التفسير وأعلامها جامعة
لجميع من الأقاويل وأسماها عاريا عن النسب والضعيف والتبديل برتبة قدمها
بحسب الأحاديث النبوية العجائب مطرزا بالاحكام الشرعية البينات مرصفا
بأحسن الاشارات وأوضح العبارات مساقا بأبلغ إيجاز وأحسن ترتيب مع التسهيل
والتهريب كلماته أزهريته في كتاب وجواهر تكتون من الفسطاط عذاب
ومواهب لا تدرك يدك كساب قبحان من يرزق من يشاء بغير حساب وكيف لا
ومحاسنه لا توجد مجموعة قبله في كتاب فهو تفسير فاضل عليه أنوار البلاغة والفصاحة
من كل باب ملائم من صنعه الأوراق عمارق وزين الاتفاق بما فاق كلامه أحلى
في الأقوال من الشهد وأنتم إلى النواظر من النوم بعد السهد

معان تطرب السمعاء لها حكم يا حكم

والفاظ هي الأرواح ح لا أرواح أجسام

فلا بدع صدر هذا التفسير عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق وروية
ملائمة لوجهها المغارب والمشارق وقريحة أذقت جواهرها وشممت سناها تذكرت
ما بين العذيب وبارق فماتك ابن الحسن من الحسن في هذا الفن نوعا فاعلمه بقول
القائل فيما أجاء صنعا

قطف الرجال القول حين نباته • وقطفت أنت القول لما نورا

فته در أفاضلك بانواب ولله درر فضلك يا أواب وأحسن بوابك الهاطل بالبيان وطالت
المغيب بالعرفان على رسل (١) فالك من مجاري • إلى رتب العلامة ولا رسل (٢)
لسانك غواص وانطق جواهر • وصدرك بحر الفضائل زاهر

وبالجملة فلقد وقفت على هذا التأليف وقوف من أحفمه الحصر ورمت التناول لمده
فلحق باع القصر واستنطق لسانى لعرب عن حسن وصفه فاستجم واستندمت
جواد قللى للبرى في هذا الميدان فاجم وكيف وقد صدق لما عاتب عليه وقرر
واستخرجه من عو بصات الأفكار وحرر قول القائل الماهر كم ترك الأول للآخر وعلمنا
ان في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا والمنح الالهية ليست محصورة بشوم دون قوم ولا
مناضة في يوم دون يوم بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فله امرى
ان هذا هو التأليف الذى يشغره العالمون واثله هذا فيه مل العالمون لا يرت
حدائق حقائقه نزعة للاحدائق وحدائق بلاغته وحسن قائلته في جيل الابدان بمنزلة
الاقلاوق والله المسؤول ان يرفع قدر هذا المؤلف ومقام قدره ويوضح منهاج التفسير بنور
بدره بمنه وكرمه ولا زال قدوة لمن اقتدى وسراجا منير لمن استرشد واهدى ونور
الشريعة جمع مد صفاتها النيرة فلا زال بها محمد اسانلا من الله تعالى ان يديمه قراطا لعا
في مع السعادة ساميا مراتب المناخر والسادة آمين اللهم آمين والى هنا انتهى
بنا الكلام على ما أردناه من التفریط على هذا المؤلف الذى لا يقدر وصفه وتصديده

(١) أى مهمل اه منه

(٢) أى موافق لك في النضال

اه منه

والصلاة والسلام على من حسن به الابتداء والختام سيدنا ومولانا محمد بدر التمام وعلى
آله وأصحابه هداة الأنام ما أشرق نجم في الحضراء وأورق نجم في الغبراء آمين اللهم
• آمين • قاله بلسانه وخطه بينانه وحرره بقلمه وبيانه خادما للعلم والعلماء
• العبد الاحقر المستحق اسمه ان لا يستطر الفقير الى الله تبارك
يوسف بن المبارك حسين الشافعي الاشعري
العريشي اليمنى غفر الله له وسدد عليه
وخلقه آمين اللهم
آمين

• (فهرسة الجزء الخامس من تفسير فتح
البيان) •

تجيفة

٢ سورة يوسف عليه السلام
٨٧ سورة الرعد
١٢٠ سورة ابراهيم عليه السلام
١٦٨ سورة الحجر
٢٠٦ سورة النحل
٢٩٤ سورة بني اسرائيل
٢٧٥ سورة الكهف

• (تمت) •

• (فهرسة الجزء الخامس من تفسير الحاشية
ابن كثير) •

تجيفة

٢ من سورة التوبة يا أيها الذين آمنوا ان
كثيرا من الاحبار والرهبان
٩٦ سورة يونس عليه السلام
١٤٢ سورة هود عليه السلام
١٨٢ سورة يوسف عليه السلام
٢٢٥ سورة الرعد
٢٧٤ سورة ابراهيم عليه السلام
٣١٢ سورة الحجر
٣٢٨ سورة النحل

• (تمت) •

